الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية
شعبة العلوم الإسلامية

رسالة دكتوراه بعنوان:

مدرسة التفسير
بالجزائر منذ القرن التاسع الهجري

دراسة حول أعلام التفسير واتجاهاتهم عند أهل السنة والإباضية.

إعداد الطالب:
بلحاج جلول

إشراف الأستاذ الدكتور:
ماحي قندوز

السنة الجامعية: 1439هـ - 1440هـ الموافق 2018 م - 2019م.

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وتقدير

لا يفوتني بمناسبة الفراغ من هذا العمل العلمي حول تاريخ التفسير والمفسرين الجزائريين بداية من القرن التاسع، وبحثا في الجذور والامتداد أن أوجه الشكر الخالص لكل من:

_ الأستاذ الدكتور سيب خير الدين الذي شرفني بالإشراف على هذه الرسالة طيلة ست سنوات، ولم يزل يستحثني لإتمامها؛ فله مني وافر الشكر والتقدير على ذلك، وأستسمحه في التأخير.

_ و الدكتور ماحي قندوز على قبول الإشراف لأجل تقديم الرسالة، وعلى ما أبداه من استعداد وأفاد به من ملاحظات جمَّلت وكمّلت الرسالة.

_ كما لا يفوتني أن أوجه الشكر للجنة المناقشة على حسن القراءة، وكريم التوجيهات العلمية، بما يزكّي مضمون الرسالة، ويعدلُ شكلها لتنال القبول وتتأهل للإفادة.

الإهداء

ـ إلى الوالدين الكريمين: لعرج ورقية؛ تعويضا عن طول الغياب، وابتغاء الرضا والأجر.

ـ الزوجة الأستاذة الكريمة، والأهل والذرية ابتغاء الصلاح والذخر.

ـ إخوتي وأخص بالذكر أختي الباحثة: فضيلة معدن الصبر والشكر.

ـ معلّميّ وأساتذتي وشيوخي... سيدي محمد بلكبير... عنوان التقدير والفخر.

ـ الإخوة والأصدقاء رفقاء الطلب في السهل والوعر.

أهدي هذا العمل إلى كل من يرفع لافتة : يمضي الرجالُ ويبقى النهجُ والأثرُ.

المقدمة:

ظل تفسير القرآن الكريم حاجة دينية، تستجيب لتطلعات المؤمنين لفهم كلام الله تعالى، وتدبر آياته (ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)، وهو أيضا حاجة علمية لكون القرآن الكريم وقع محورا للعلوم الشرعية من عقائد وأحكام...وما توقف فهمُه عليها من علوم اللغة والبيان... وقد تولى مهمة تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عملا بقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)، ولقد قال ابن خلدون في ذلك: فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يبينُ المجمَلَ، ويميزَ الناسخَ من المنسوخ، ويعرِّفه أصحابَه، فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه.

ثم تولى الصحابة رضي الله تعالى عنهم من بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بيانَ ما احتاج الناس إلى ظهور معناه، سواء تعلق الأمر باللغة ومفرداتها، أو تعلق بذكر سبب نزول الآيات أو غير ذلك من أنواع التفسير وبيان الأحكام. وقد قدم إلى المغرب العربي مع جيش الفتح الإسلامي جملة من الصحابة الكرام على ما في رياض النفوس للمالكي؛ ففيه أن الخليفة عثمان بن عفان استشار أصحابَ رسولِ الله في غزو إفريقية فأجابوه إلى ذلك فـــ" خطب الناسَ وندَبَهم إلى الغزو إلى إفريقية، فخرج جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عباس... وعبد الرحمان بن أبي بكر، وعبد الرحمان بن صبيحة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأخواه...، وعبد الله بن عمرو بن العاص....وغيرهم من قبائل شتى. خرج جميعهم مع عبد الله بن أبي السَّرْح العامري سنة سبع وعشرين من الهجرة.".

وقد قام عقبة بن نافع رحمه الله ببناء عدة مساجد بالمغربين الأقصى والأوسط، والتي كانت بلا شك مراكز تعليمية، وترك صاحبَه شاكرًا في بعض مدن المغرب الأوسط لتعليم البربر الإسلام...، ثم جاء من بعده حسَّانُ بن النعمان الذي خصص ثلاثة عشر فقيها من التابعين، ليعلم البربرَ العربيةَ والفقه ومبادئ الإسلام. وهذا النقل الأخير عام شامل لكل بربر المغرب الأوسط وغيرهم. كما هو عام وشامل من جهة أن التعليم المقصود قد حوى التفسير وغيره.

والذي أعتقده أن هذه الحركة المباركة لتعليم القرآن، وبيان مقاصده بقيادة الصحابة قد مثلت أرضيةً طيبة في تأسيس عمل التفسير، وخصوصا أن المذاهب لم تكن قد ظهرت بعدُ، سواء منها العقدية أو الفقهية؛ بل كان القرآن هو محورَ كل تصور، ومرجع كل حركة.

وقد كان البربر الذين دخلوا هذا الدين من ضمن هذا الجيش، كما كان أهل البلاد كذلك، ولا عجب أن يتمّ تداول كل ذلك بلغة العرب التي وقع بها بيان القرآن وإعجازه. وأن ذلك كان بصفة مكثفة عبر دروس مستمرة وواسعة فسرت لنا تمكنَ العربية من قلوب الجيل الأول من أهل البلاد المفتوحة.

هذا وإن البربر بما لهم من لسان مختلِف قد جعل عملَ التفسير في بداياته يتم على مرحلتين: مرة بترجمة كلمات القرآن إلى لسان البربر، وأخرى بتفسير معاني الآيات للمسلمين الجدُد؛ فكان هذا إذا ثبتَ أشبهَ بالترجمة التفسيرية. وإنه ومنذ ذلك الزمان تتابع عملُ التفسير رواية له واشتغالا به؛ فكان هذا المطلب من أهم المطالب الدينية؛ لتعلقه أولا بالقرآن، ثم لشدة الحاجة إليه لما عرفه المغربُ من بعدُ من اختلاف وظهور للفرق، وسعي كل فرقة للانتظام تحت مظلة القرآن عن طريق تأويل نصوصه.

فانطلقت حركة التفسير بذلك تواكب العلوم الشرعية، وغيرها من علوم الآلة، سواء كان \لك بالتدريس بالمساجد والمدارس، أو بالتأليف العلمي...وقد سبق إلى المغرب عموما مفسرون من أمثال عكرمة الإفريقي، ويحي بن سلام في جماعة واشتغل الناس بمروياتهم وبتفاسيرهم وعمل النساخ على نشرها، والمفسرون على تدريسها . فظهر بذلك فن التفسير مع الاطلاع على تآليف أهل المشرق والأندلس فيه. وإلى يوم الناس هذا والعمل مستمر، والتدريس جار، مع توفر وسائل النشر، واتساع الجمهور.

أهمية الموضوع

لاشك أن تحصيل العلوم الشرعية كان ولا يزال واجبا دينيا لم يتأخر عنه أهل هذا القطر المجيد، وإن مما صعب على مؤرخ الحركة الثقافية عموما هو عسر تحديد الشخصية الجزائرية للعالِـم في بدايات الفتح الأولى بل في القرون الثلاثة الأولى بالخصوص؛ لاتصال جغرافيا المغرب، وقلة التدوين لتراجم علمائه وأعيانه بتحديد أمكنة النشأة وتاريخ الوفاة. ولعل من بعض أسباب ذلك لا جميعه هو ما أشار إليه ابن خلدون في المقدمة من أن أهل المغرب لا اعتناء لهم بالـتأريخ لأنفسهم؛ اللهم إلا أن يكون ذلك بوجود بعض المحددات مثل: الأوراسي أو التيهرتي أو التلمساني... حتى أنه في كتب التراجم المشرقية وإلى فترة متأخرة يكتفون بالنسبة إلى المغربي عن التحديد المطلوب، كما في الضوء اللامع للسخاوي، أو الكواكب السائرة للغزي...ونظرا لندرة تداول تراث الجزائريين بالخصوص والمغاربة عموما في التاريخ الحديث فإنه ليخيل للناظر أن التفسير إنتاج مشرقي بحت وأنه لا خصوصية للمغاربة فيه. وهو شيء إضافة إلى عدم تطابقه مع الواقع، مضر بالتاريخ الثقافي، ومناف للحقيقة العلمية، وبالمرجعية الوطنية حيث يستبعد من عناصرها أهم مطلوب وهو التفسير.

فتأتي هذه الدراسة تستكمل شيئا من واجب تسليط الضوء، وقانون البحث على فترة مهمة بداية من القرن التاسع الآهل بالعلم والعلماء، والتفسير والمفسرين، والذي كان نتائج تراكم معرفي هائل في التفسير، وكان من المفروض أن يكون بدوره قاعدة انطلاق زاخرة لإنتاج التفسير فيما تلاحق من الزمان، وامتد من المكان.

وكانت نيتي قد توجهت إلى التأريخ لحركة التفسير والمفسرين الجزائريين بداية من الفتح الإسلامي، ولكن الموضوع قبل بالشكل الذي انتهى إليه الآن من الاقتصار على القرن التاسع فما بعده إلى يوم الناس وفي ذلك القدر كفاية. فشرعت في إحصاء المفسرين وتدوين تراجمهم وتراجم أشياخهم وتلامذتهم المفسرين، وإنتاج قرائحهم، مع ملاحظة الأسانيد شيء من قضايا التفسير قديما وحديثا.

إشكالية البحث

قرأت كما قرأ غيري للشيخ إبراهيم الإبراهيمي مقولته بمناسبة ختم ابن باديس لتفسير القرآن أنه لم يختم التفسير بأرض الجزائر منذ الشريف التلمساني (871هـ)، فأطلق رحمه الله و لم يقيد مقصوده هل هو ختم التدريس أم ختم التأليف. وهو أمر يثير التساؤل عن مدى دقة هذا الحكم، وهل فعلا تعسر على الجزائريين التأليف في التفسير أو تدريسه، وهم الذين كادوا أن يستوعبوا الفنون تدريسا وتأليفا.

– والسؤال هل للجزائريين اشتغال بالتفسير على تعدد الفرق وتوالي القرون واختلاف الأمكنة، وما هي تآليفهم وأين مصادر وجودها، وما طبع منها؟

– وهل هي على نمط واحد أم اختلفت اختلاف أنماط التفسير من مأثور، وتفسير بالرأي...؟

– وما هو منهجها في ذلك علما أنه وجد إلى جانب أهل السنة، جماعات من الإخوة الإباضية على تعاقب الأزمان...؟

– وهل تأثرت بالحركات الإصلاحية التي اجتاحت الوطن العربي خصوصا، بعد أن ساد التفسير المدرسي، حلقات الدروس وبطون الكتب، أم تجاوبت مع قضايا المجتمع، واهتمامات العصر كلما كان ذلك أمرا ضروريا، ومطلبا معرفيا ذا طبيعة ملحة لا تعفي المفسر من تجاهله..؟

– وما هي الصلات المعرفية بين مدرسة التفسير الجزائرية وغيرها من مدارس مغربية بما فيها الأندلسية، والمدارس المشرقية قديما وحديثا؟

– وهل ختم المفسرون الجزائريون القرآن تدريسا وتأليفا، وما مقدار ذلك، وهل توجد وثائق تثبت أو تنفي ذلك؟

أسباب اختيار الموضوع:

– الرغبة المتأصلة والمستمرة في مطالعة تاريخ الجزائر خصوصا الثقافي منه، والوقوف على منجازات الأفراد والجماعات في خدمة العلم والثقافة، ومدى إسهام كل ذلك في استقرار الدول والكيانات الاجتماعية واضطرابها.

– الولع بمطالعة تراجم الرجال من علماء وأدباء ومتشرعة في طلب العلم ونشره، وما تركوه من تراث ضخم أغنوا به ذاكرة الأجيال، وعمروا الحواضر العلمية، وما رسموه من خط أصيل في خدمة العلم وأهله، والبحث المستمر لأجل الكشف حتى الثمالة عن تراثهم، وامتدادهم في حياتنا الثقافية...

– المباهاة بذلك كله لأهل المشرق وإثبات أن هذا المغرب لم يتأخر عن خدمة العلم والحضارة كلما اقتضت الضرورة ذلك، وكلما واتت ظروف العمران، بل ولو كانت الظروف معاكسة، مما يفتح الباب للجهود الشخصية، والمبادرات الضيقة.

– التأريخ لحركة التفسير الأصيلة ههنا بالجزائر، ومواكبتها لتطورات الوتيرة الثقافية بما يشمل العلم الشرعي، وما أغنت به الواقع من معطى امتداد المرجعية، والاستمرار في التحديث.

أهداف الموضوع:

ـ إحصاء جملة وافية غير نهائية من المفسرين الجزائريين داخل وخارج الوطن، والوقوف على أحوالهم ومؤهلاتهم والعلمية، وإسهاماتهم في الحركة الثقافية...

ـ بذل نهاية الممكن في الجرد الواسع لإنتاج التفسير بوطن الجزائر، ومحاولة الوقوف على المطبوع منه والمخطوط، وتقييد عناوين المفقود منه.

– وصل أسانيد المدرسة الجزائرية في التفسير إسوة بغيرها من المدارس، وبغير التفسير من العلوم الشرعية، والبيانية.

– الكشف عن مناهج المفسرين الجزائريين في التفسير، وعرض عناصر المنهج، لأجل ملاحظة كيف انعكس كل ذلك على شكل التفسير، وأسهم في طريقة صياغته.

– المساهمة في إثراء المكتبة الوطنية، والساحة الثقافية بعرض موسع وجرد ولو كان غير نهائي لقائمة من المفسرين والتفاسير الجزائرية...

دراسات السابقين:

وهذا البحث كا لا يخفى مسبوق بجهود كريمة أسهمت في خدمة هذا الموضوع كل من زاويته التي اختارها، ومن موقعه الذي يتحرك منه؛ ليجمع هذا البحث حسنات ما تفرق في غيره ويزيد عليها مباحث متعددة، ومن زوايا مختلفة؛ ويسعى بذلك لأن يكون أكثر تخصصا من غيره في تناول هذا الموضوع ومعالجة قضاياه...

ـ **التفسير والمفسرون بغرب إفريقيا:** رسالة دكتوره للباحث محمد بن رزق بن طرهوني نشر دار بن الجوزي 1426هـ/ 2005م، وهي جهد جيد ومشكور، ومحاولة جادة في إحصاء المفسرين المغاربة والدلالة على مواضع تآليفهم من مخطوط ومطبوع. ومع ذلك فهي عامة في تفاسير المغاربة، مما جعل عددا لا بأس به من المفسرين الجزائريين بالإضافة إلى إنتاجهم التفسيري يغيب في هذه الدراسة الجادة والجيدة من ذلك: تفسير الفاتحة للسنوسي والمغيلي، وتفسير أبي راس، والخروبي الطرابلسي، ومصطفى آل عزيز، وسعيد كعباش، والتواتي بن التواتي، ومحمد عبد الكريم، الحسين العنابي...إضافة إلى سقوط تراجم مثل: التنسي، وابن زكري، وابن هلال، والهبري المجاوي...

زيادة على أن الدراسة المقدمة أضافت مباحث جذور حركة التفسير بالجزائر خصوصا، مع الإشارة إلى نصوص نموذجية اقتبستها من المعيار المعرب للونشريسي، والجواهر الحسان للثعالبي...، وأيضا من مبحث أسانيد المدرسة الجزائرية، وصلات هذه المدرسة بغيرها من المدارس المشرقية والمغربية، مع الإيجاز في تناول قضايا أساسية من شأن التفسير أن يتناولها.

وتضمن ما قدمته من دراسة استعراض لحركة تدريس التفسير داخل وخارج الوطن، إضافة إلى أنه عند تقديم المشروع لم أكن قد اطلعت بعد على هذه الدراسة الجيدة.

– **معجم المفسرين:** للمرحوم عادل نويهض، وقد استعرض فيه إحصاء واسعا وعريضا للمفسرين عبر العصور ومن بينهم الجزائريون، غير أنه لم يستوف بالإشارة إلى مواطن إنتاجهم من مخطوط ومطبوع وفاته من المعاصرين عدد كثير، ولم يتناول قضايا تفسير، ولا مباحث إسناد، ولا تعرض للتأريخ لتفسير القرآن قديما وحديثا بالجزائر. وهو عمل جيد ودقيق وهو على اختصاره مصدر مهم.

– **التفسير والمفسرون:** وهو للشيخ مختار اسكندر، وهو جزائري الأصل، ومن المفترض أن يأتي عمله في أربعة أجزاء غير أنه لم يصدر إلا الجزء الأول في حدود ما أعلم. حاول فيه صاحبه مشكورا استعراض شخصيات جزائرية عرفت واشتهرت بالتفسير، دون الاهتمام بعرض نماذج من إنتاج التفسير، ولا التعرض لقضاياه، ولا أسانيد المفسرين في ذلك، وقد كان مكونا مهما من مكونات مدرسة التفسير. ومع ذلك فقد أحصى في الجزء الأول عددا لابأس به وله فضل السبق وهو مشكور على ذلك ومأجور

صعوبات البحث:

ولا بد أن أشير هنا إلى بعض ما اعترض الباحث من صعوبات عند بداية بحثه بالخصوص، وقد كان كثير من تفاسير الجزائريين حبيس المكتبات الخاصة، ولم يكن بالإنترنت يومها أعمال كثير من المفسرين كتفسير

الفاتحة للمغيلي، والسنوسي، وأبي راس، وحسين العنابي، ومصطفى آل عزيز، وحاشية البليدي، وتفسير الشيخ طاهر الجزائري، والخروبي الطرابلسي...ومع ذلك فقد بذلت جهدا كان من الممكن أن يكون واسعا في الحصول على ما ذكر وغيره لتحقيق ما تم إنجازه. ولله الحمد.

المنهج المتبع:

ركزت في هذا البحث على عنصر العرْض والوصف أولا، ثم القيام بالتحليل بشكل وجيز لما تم انتهاجه من طرائق التفسير، وما تناوله المفسرون من قضايا التفسير، واكتفيت غالبا بالعرض؛ إذ كانت النصوص المقدمة نفسُها توحي بكثير من التفاصيل والنتائج.

أضيف هنا أنني ترددت كثيرا في تحديد المعيار الفني لشخصية المفسر. هل هو من له إنتاج كامل أو جزئي، أصيل أو مسبوق؟ وهل المفسر هو من تترجم له الكتب بذلك ولو لم يذكر له تأليف، و لم يعثر له على نصوص تفيد أنه اشتغل بتدريس التفسير. وأيضا هل تدريس التفسير كاف لاعتبار المدرس مفسرا؟ وكيف تصنف جهود المتأخرين في تفسير السورة والسورتين؟...

واستقر اختياري أخير على المعيار التالي:

– أن يكون له تفسير مخطوط أو مطبوع ولو مفقودا.

– أن يترجم له العلماء بالمفسر.

– أن يشتهر بتدريس التفسير.

أوجزت في ترجمة المفسر بالاقتصار على من عرف من شيوخه باتفسير، تدرسيا أو تأليفا، وكذا على تلامذته بنفس الشرط، تخلصا من التطويل بالتراجم، علما بأن التفسير وشخصية المفسر تقتضي تحصيلا وافرا لمقادير كافية من مختلف العلوم، وأهلية تكاد تصل درجة التخصص في علوم الآلة وغيرها، ومتابعة لمختلف علوم الوقت كما هو مشاهد في التآليف المعاصرة.

أعطيت الأولوية للمصادر والمراجع الجزائرية كلما كان ذلك ممكنا، ثم المغربية، ثم المشرقية تأكيدا للصبغة الجزائرية لهذا الموضوع من جهة المخطوطات والمطبوعات والقضايا، وكتب الأسانيد والتراجم والطبقات، للدلالة على وجود إنتاج وفير خضع لتأريخ وطني في مهماته وكثير من تفاصيله.

أسأل الله التوفيق لما فيه الخير، والسداد في الهداية لسبله.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: الجزائر، الجغرافيا السياسية.

المبحث الثاني: مفهوم المدرسة.

المبحث الثالث: التفسير: تعريفه، نشأته، مصادره.

المبحث الأول: الجزائر، الجغرافيا السياسية.

يقتضي تحديدُ كون أحد المفسرين جزائريا ممن ستقع لهم الترجمةُ – لاحقا – كالقاضي سعيد العُقباني من أصل أندلسي ، وأبي الفضل المشدالي البجائي، وابن فائد القسنطيني في جماعة وقد كان الأخيران من شرق الجزائر الحالية، أن أبينَ الجغرافيا السياسية لبلد الجزائر في القرن التاسع الهجري بالخصوص، وهو فاتحة الفترة محلّ الدراسة " ذلك أن الحدودَ السياسية لجزائر القرن التاسع لم تكن مضبوطة ولا ثابتة، وكلمةُ الجزائر عندئذ لم تكن تطلق إلا على مدينة ساحلية صغيرة قليلة الأهمية، و لم تكن تعني بأية حال القطرَ الجزائري المعروف الآن."[1].

وفي دائرة المعارف البريطانية ما يلي: " ليس من الهيّن فصلُ تاريخ بلاد الجزائر الأصلية خلال القرون التسعة الأولى من هجرة النبي (من القرن السابع إلى القرن السادس عشر للميلاد) عن تاريخ إفريقية الشمالية أو عن تاريخ الأندلس في بعض عهوده."[2].

هذا ما يخصُّ كلمةَ (**الجزائر**)، غير أن كثيرا مما هو من جغرافيا الجزائر الحديثة كان تابعا لما كان يطلقُ عليه يومها (**المغرب الأوسط**)، وهي تسمية قديمة تعود إلى ما قبل عصر ابن خلدون (تـــ: 808هـــ)؛ وينتمي الشرق منه خصوصا وفي أحيان كثيرة إلى ما كان يطلق عليه (**المغرب الأدنى**) مركز الدولة الحفصية، تونس اليوم، وأيضا إلى ما كان يسمى بـــ(**المغرب الأقصى**) وقاعدته الدولة المرينية، وهي المملكة المغربية حاليا، كما هو واضح في كثير من كتب التاريخ كابن عذاري وغيره.

وإنما قلتُ كثيرا لأن بعض الجهات كانت وعلى فترات طويلة ومتكررة امتدادا لبعض دول الجوار؛ فبخصوص الشرق الجزائري فإنه كثيرا ما كان مناطقَ امتداد للدولة الحفصية في لحظات قوتها " ذلك أن جزءا كبيرا من الشرق الجزائري اليوم بما في ذلك: قسنطينة وعنابة وبجاية وبسكرة وتُقُّرتْ...كانت تحت هيمنة الدولة الحفصية."[3]؛ ويكون بالتالي بعض أعلام التفسير في الفترات المحددة خاضعين لسلطان الدولة المتوسعة، فيقوم تبعا لذلك بتولي القضاء لهذه الدولة، والخطبة باسم سلطانها الحفصي، لا يخرجون في ذلك عن طوع يده.

حتى إذا ضعُفتْ وتراجعت قبضةُ السلطان الحفصي استقلتْ عنها الولاياتُ كقسنطينة وبجاية والشرق عموما، وخلعت بيعة السلطان الحفصي القائم يومها. وهكذا في فترات مستمرة ومتكررة، مما يضطر السلطان الحفصي إلى إعادتها إلى سلطة الأمر القائم كلما أمكنه ذلك وواتته الظروف. وكثيرا ما كان يتمُّ له ذلك إلى نهاية الدولة الحفصية. ويتجدد انتماء الأعلام المشار إليهم وغيرهم إلى الكيانات السياسية الجديدة والتي قد تكون امتدادا للدولة الزيانية أو المرينية أو بعض الكيانات السياسية المستقلة (الإمارات الصغيرة).

---

[1] – تاريخ الجزائري الثقافي، الدكتور أبو القاسم سعد الله (دار البصائر للنشر والتوزيع ـــ الجزائر ـــ ط:06، 2009م) 40/1.

[2] ـــ دائرة المعارف البريطانية (دار الفكر، لبنان، 1985،ط:01) 377/6.

[3] – تاريخ الجزائري الثقافي، المرجع نفسه. 40/1. الجزائر في التاريخ، محمد الطاهر عدواني (المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر– ط:01، 1984م) 23/1، 24.

ومثل هذا التداول على الولايات المذكورة وغيرها هو الذي كان يشحنُ وبصفة دائمة حالةَ الاضطراب السياسي المشار إليه في الشرق الجزائري. هذا وإن بعضَ مؤرخي المرحلة تحدثَ عن نقض بيعة السلطان الحفصي المتكررة في قسنطينة وبجاية وعنابة وبسكرة، حيث قضيَ على إمارة بني مَزْني في بسكرة والأوراس. وعندما حاول السلطان استعادة نفوذَه كاد أن يلقى حتفَه في جبال والأوراس.[1]، بينما يبقى سائر ما يعرف اليوم بتونس تحت السيطرة، إذ هي مركز السلطة الحفصية.

وإن انفلاتَ الشرق الجزائري من يد السلطان الحفصي لم يكن يعني دائما دخولَه تحت سلطان الدولة الزيانية القائمة يومها، فإن نفوذ هذه الدولة الفَتية لم يكن ليطالَ بالضرورة الولايات المذكورةَ بل كان فقط ما " يعرف اليوم بالغرب الجزائري تحت نفوذ الدولة الزيانية، التي اتخذت قاعدتها تلمسان."[2]. على أن ذلك كان يحدث في فترات قليلة جدا وأيضا قصيرة وفي أزمنة بعض كبار ملوك هذه الدولة. فقد ذكر بعض من أرّخَ للمرحلة ذلك بقوله " أما أبو سعيد يغمراسن فقد أخذ يوسع أطراف مملكته، في وسط الجزائر وشرقها فوصل إلى تنَس ومازونة والمدية، وتوجه نحو الجنوب فاتحا."[3]. وعبارة المدني غير دقيقة في إفادة هذا التوسع جهةَ الشرق، فإن ما هو مذكور من المدية كأقصى حدّ لا يتعدى وسط المغرب الأوسط.

وإن هذا التناوب في تقسيم وطن الجزائر رغم قيام دولته الفتية الزيانية – والتي هي بمعايير السياسة دولة وطنية– لم يكن من مهمة ملوك الدولة الحفصية فقط، بل كان ذلك شأنا خاصا على ما يبدو حتى عند بعض ملوك الدولة المرينية رغم تقدم ضعفها، إذ " وصلت جيوش المرينيين في بعض الأوقات إلى تونس والزّاب وقسنطينة، كما وصلت جيوشُ الحفصيين إلى المدية وملیانة وتلمسان."[4].

وإنما قلتُ شأنا خاصا لأنه وفي زمن لاحق ومتأخر، قام بعض ملوك المغرب بإعادة كرّة الاحتلال بغرض فك تلمسان بالخصوص من يد العثمانيين فقد ذكر الناصري في الاستقصا عن بعض الملوك المغرب أنه " تاقتْ نفسُه إلى الاستيلاء على المغرب الأوسط وكان يعزُّ عليه استيلاءُ التركِ عليه مع أنهم أجانب من هذا الإقليم ودخلاءُ فيه؛ فيقبح بأهله وملوكه أن يتركوهم يغلبون على بلادهم، لاسيما وقد فرَّ إليهم عدو من أعدائه، وعَيْص من أعياص أقتاله، وهو أبو حسّون الوطّاسي. فرأى الشيخ من الرأي، وإظهار القوة في الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدؤوه، فنهض من فاس قاصدا تلمسان في جموعه إلى أن نزل عليها وحاصرها تسعة أشهر، وقُتل في محاصرتها ولده الحرّان. وكان نابا من أنيابه، وسيفا من سيوفه، ثم استولى الشيخ على تلمسان ودخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة ونفى التركَ عنها، وانتشر حكمُه في أعمالها إلى وادي شلف."[5].

---

[1] – انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ج42/1.

[2] – تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله. ج 40/1.

[3] – كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني (دار الكتب البليدة ـــ الجزائر ـــ ط:02، 1963م) 31.

[4] – تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه. 40/1.

[5] – الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، للسلاوي (دار الكتاب، الدار البيضاء ـــ المغرب ـــ 1954م) ج 5/ 25.

ونظرا لحالة المدّ والجزر بين الدول المذكورة، فكثيرا ما كان يسفرُ الأمرُ عن حالة فراغ سادت الوسطَ الجزائريَّ بالخصوص، وطبعته بأحوال من الاضطراب بررتْ قيامَ بعض الإمارات الصغيرة فيه، فقد قال بعض المؤرخين للمرحلة: " أما وسطُ القطر الجزائري الحالي فقد كان منطقة عازلة بين الحفصيين والزيانيين، ومن ثمة كان منطقةَ صراع دائم بين القوتين، ولذلك ظهرت فيه إماراتٌ محلية صغيرة كانت تحتفظ بحيادها أحيانا، ولكنها كانت في أغلب الأحيان تتبع الأقوى."[1].

وقد ذكر بعض الباحثين وهو بصدد التأريخ للتاريخ الثقافي لوطن الجزائر في بداياته الأولى أنه مضطر للتوسع في التأريخ الثقافي تونس والمغرب الأقصى، وعدَّدَ أسبابا لهذا الاضطرار أفاد ذلك نصٌّ كلامه التالي: " ولم أكتف بدراسة الحياة بالجزائر وحدها، بل درستْ معها الحياة الثقافية بإفريقية – تونس والمغرب الأقصى – كما أشرت إلى ذلك من قبل لأسباب منها ما ذكرته، ومنها أيضا:" أن أكثر علماء الجزائر وأبنائها كانوا يترحون إلى القيروان، ويقيمون بها إقامة دائمة أو عارضة، والتعريف بهم يستوجب التعريف بشيوخهم وتلاميذهم هنالك. ومنها أن الجزائر الشرقية – الزاب – كانت تابعة لحكم القيروان، وأن ثقافة أبنائها كانت تستمد حيويتها، وقوتها من منابع القيروان. ومنها أن أعلام القيروان من أدباء وفقهاء وأصحاب مقالات كان لهم احتكاكٌ كبير وتأثير واسع على أدباء الجزائر وفقهائها. وهذا العامل ينطبق أيضا على أعلام المغرب الأقصى الذين كانوا يترددون على المغرب الأوسط وإفريقية، ويأخذون من أعلامها في هذه الفترة المبكرة من الحياة الثقافية بالمغرب العربي كلّه."[2]. والذي يهمُّ من هذا النقل هو كون بعض مناطق وطن الجزائر كانت تقع تحت امتداد تونسي أو مغربي واقع سياسي مبكر، مما يحتم على المؤرخ أن يأخذ في الاعتبار الإفراز الثقافي لذلك الواقع.

وفي نص آخر لنفس الباحث يعتبر فيه الحدودَ السياسية للجزائر عبر التاريخ هي ما استقر عليه الوضعُ خصوصا في زمن الأتراك بها، فهو يقول: " والوطنُ الجزائري الذي نؤرخ لأعلامه نريد به الوطن الواسع بحدوده المعروفة في العهد التركي من ملويَّة غربا إلى القالة شرقا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى أعماق الصحراء جنوبا." [3].

وبالنظر لما تقدم مما أوجزتُ الحديثَ فيه، واقتصرتُ فيه على محلّ الحاجة؛ فإن هذا الوطن اليوم مدين لخدمات الدولة العثمانية من جهتين: الأولى أن الترك جاؤوا " فوقفوا في وجه النصارى، وأنقذوا الإسلام في إفريقيا، وأسسوا بقوة السلاح دولة إسلامية تشمل المغربَ الأوسط بأسره على أنقاض الدويلات البربرية؛ بعد أن قوَّضتْ أركانَها الفوضى التي دامت أمدا طويلا."[4]. وهذا التخليص المبكر لأراضي وشعوب المنطقة يُرسخ قدرَه الديني والاجتماعي في ضمير تاريخ المغرب الأوسط الثقافي خصوصا.

---

[1] – تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه. ج40/1.

[2] – المغرب العربي تاريخه وثقافته، رابح بونار (دار النشر والتوزيع ـــ الجزائر ـــ ط:01، 1982م) ص:09.

[3] – المغرب العربي تاريخه وثقافته، المرجع السابق. 09.

[4] – تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان الجيلالي (ديوان المطبوعات الجامعية ـــ الجزائر ـــ ط:07، 1994م) ج 15/3.

ومن جهة ثانية ما مثّله من الخلاص السياسي من جهة حفظ الحدود، وطرد المحتل الأجنبي، وهو ما تبين خطرُه من بعد عندما ضعُف الوجودُ العثماني، وحلّ محلّه الاحتلالُ الفرنسي، " فهذا المفهوم لكلمة (الجزائر) لم يصبح معروفا إلا منذ القرن العاشر أي أثناء الحكم العثماني."[1]. فالقطر الجزائري اليوم هو نفسُه القطر الجزائري الذي أخذ يتكون في القرن العاشر.

وقد شعر الخلفاء العثمانيون بالحاجة المستمرة إلى ضبط الحدود من جهة غرب الدولة الجزائرية في وقت متقدم جدا من قدومهم لم يتجاوز نصف القرن الأول، إذ أنه " لما استقر الحكمُ التركي بتلمسان، وخضع لسلطانه جميعُ أعمالها، وتقرر رسم الحدودُ السياسية بين المملكتين الجزائر ومراكش؛ انتدب لذلك العلامة الهمام أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي، فوفد على سلطان المغرب سنة 961هـ/1553م...وتمّ على يده تخطيطُ الحدّ الغربي الذي بقي محترما معروفا إلى اليوم بين حكومة الجزائر والمغرب الأقصى و لم يحدثْ فيه كبيرُ تغيير."[2].

ويمكن من هذا التاريخ نسبة جميع أعلام التفسير في القرن العاشر والمنتمين إلى ولايات الجزائر التابعة للخلافة العثمانية يومها – شرقا وغربا، شمالا وجنوبا –ـــ إلى القطر الجزائر بحدوده السياسية الحالية، إذ لم يحدث تغييرٌ يذكر غير ما كان يحصل من الطوارئ العارضة كبعض الحروب، والتراعات التي يحدث فيها الاستيلاء على بعض المناطق المحدودة ثم التراجع عنها.

تخلّت الدولة العثمانية عن الجزائر بعد ضَعفٍ تراكمَ على جسدها في المشرق والمغرب، و لم يتسنّ للداي حسين أن يقدم ما كان منتظرا من الدفاع المستميت، بل لم يعمل بما يكفي لنقل مسؤولية هذا الدفاع إلى سكان الجزائر الأصليين في اللحظة المناسبة. ورغم أن تبني مسؤولية الدفاع عن الوطن من سكانه المحليين قد تمّ وفي وقت مبكر نسبيا وعلى فترات متفرقة، وفي أمكنة أكثرَ تفرقا إلا أن الوقت كان قد فاتَ، فمخالبُ الاحتلال قد أخذتْ تنهشُ في جسم الجزائر الضعيف رغم إمكاناته واتساع مساحته، و لم يمض القرنُ التاسع عشر حتى كان كلُّ التراب الوطني بحدوده العثمانية تحت قبضة المستعمر الفرنسي.

ويوم أن انتصر الفرنسيون على أقاليم الجنوب الجزائري " أعلنوا في سنة 30 نوفمبر 1882م إلحاقَ بلاد بني مصاب – مزاب– بأرض المستعمرة...و لم يحصل بعدها من الأحداث المهمة في هذا المجال سوى حركة التوارق بالصحراء...ثم وقع احتلال عين صالح وتوات والساورة بالصحراء (1318هـ/1900م).[3]. والغرض الإشارة إلى أن ذلك الاحتلال والتوسع إنما كان يتم باسمُّ احتلال الجزائر، لا باسم تونس ولا المغرب الأقصى إذ كان ذلك سيحصل في فترة متأخرة جاوزت ستين سنة. و لم يقم من أهل المغرب الأقصى ولا تونس من واجه قوات الاحتلال الفرنسي بالمقاومة في الجنوب المذكور.

---

[1] – تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه. ج 40/1.

[2] – تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق. ج86/3. كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني: ج 37.

[3] ـــ تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق. ج 312/3.

وهذه الحدود التي خلفها الاستعمار بعد اندحاره هي نفسُها التي تولّتْ الدولةُ الوطنية قيادتها والمحافظة عليها، وهي التي يمكن للباحث أن يعتمدها كما هي دون اعتبار للتطورات التي حدثت لها عبر القرون، وجغرافيا بعض مناطقها التي طال حولها النزاع حتى وقع استردادُها أخيرا، وهي التي يمكن اعتمادُها أيضا في تحديد نسبة المفسرين إليها سواء ولدوا وعاشوا بها كالبسيلي والعقباني وابن مرزوق والثعالبي والسنوسي والمغيلي، وأبي راس الناصري وابن باديس، والشيخ بيوض والشيخ اطفيش...أم ولدوا فقط وعاشوا وماتوا بغيرها كأبي الفضل المشدالي وعبد الواحد السجلماسي، وعيسى الثعالبي، والأمير عبد القادر...أو عاشت أصولهم بها دون أن تتسنى للمفسر المترجم له الإقامةُ بها كالأمير المازوني، والعلامة الشمُنُّي القسنطيني، والشيخ الخضر حسين، والشيخ طاهر الجزائري...كما سأتعرض له لاحقا إن شاء الله.

المبحث الثاني: مفهوم المدرسة.

إن مصطلح " المدرسة " قديم في الفكر الإنساني عموما، وهو من المفردات المشهورة في التراث الإسلامي أيضا في أحدِ معانيه، ولأجل الوقوف على مفهوم مصطلح " المدرسة "، سواء في جانبها اللغوي أو الاصطلاحي

أ – المدرسة في مدلولها اللغوي: يفيد الرجوع إلى المعجم العربي في أقدم صوره عند مادة (درس) ما نصه: " يَدْرُسُه، بالضَّمّ، ويَدْرِسُه، بالكَسْر، دَرْساً، بالفَتْحِ، ودِرَاسَةً، بالكَسْرِ، ويُفْتَحُ، ودِرَاساً، ككِتَاب: قَرَأَه. وَفِي الأَساس: كَرَّرَ قِرَاءَتَه فِي اللِّسَان ودارَسَهُ، من ذلِكَ كأَنَّه عانَدَه حَتّى انْقَادَ لِحِفْظِهِ. وَقَالَ غيرُه: دَرَسَ الكِتابَ يَدْرُسُه دَرْساً: ذَلَّلَهُ بكَثْرة القِرَاءَةِ حَتّى خَفَّ حِفْظُه عليهِ من ذلِك كأَدْرَسَه. وَدَرَّسهُ تَدْرِيساً. قَالَ الصاغانِيُّ: شُدِّد للمُبَالَغة، وَمِنْه مُدَرِّسُ المَدْرَسَة. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: دَرَسَ الكِتَابَ ودَرَّسَ غَيْرَه: كَرَّرَه عَن حِفْظ."[1]. وعليه تكون المدرسة موضع الدرس.

ب – المدرسي في مدلولها الاصطلاحي: وبالبحث وجدت فيه أن " المدرسةُ بالمعنى الواسع جماعةٌ من العلماء أو الفلاسفة ينتسبون إلى مذهبٍ واحد أو يدافعونَ عن مبدأ أساسي واحد."[2]. وهذا أحدُ مفهوميْ هذا المصطلح، وهو بهذا المدلول موجود، ومنذ وقت مبكر في منتَج التفسير في بلاد الجزائر، فقد وجد طائفتان على الأقلّ من الدارسين للقرآن الكريم، وهم مفسرو أهل السنة، والمفسرون من علماء الإباضية؛ إذا استثنينا من يفترض أنه وجد من المفسرين من علماء الدولة العبيدية بالمغرب عموما، وهو اتجاهٌ يقعُ خارجا عن الفترة المحددة للدرس.

ومن غير شك أن كلا الطائفتين من المفسرين مثّلا اتجاهين مختلفين ولو نسبيا في توجيه مدلول العديد من الآيات القرآنية، وفقا لمقررات مذهبية معينة في العقائد والأحكام الفقهية، وغير ذلك من العناصر المعرفية لكل اتجاه على ما سيأتي بيانه في محله تفصيلا.

---

[1] – تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي مصدر سابق. 16/ 65.

[2] ــ المعجم الفلسفي، جميل صليبا (دار الكتاب اللبناني ــ لبنان ــ 1982) ج 358/2 - 359.

وللإشارة فقط ففي اختصار هود بن محكم الهواري لتفسير محمد بن سلام – وهو تفسير بالمأثور مبكر يعتمد الاستكثارَ من نقل الأقوال عن المفسرين من أهل القرنين الأول والثاني ــ تجد المفسرَ الهواريَّ الإباضي يختارُ من ضمن المنقول ما يتوافقُ والمقرراتِ الاعتقاديةِ لنحلتِه الإباضية كنفي رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة، كما سأبينه لاحقا وفي محلّه. كما تجده يفعلُ مثل ذلك في آيات الصفات...

بينما يختص التفسيرُ السنّي بإثبات كلّ ذلك وغيره، مما هو من صميم الاتجاه السني بداية مما أثر من التفسير عن الإمام مالك، وكثير من مفسري هذا العنوان. ويظهر الالتزام المذهبي في الأحكام الفقهية واضحا وبالشكل الذي يؤكد ما تمّ تقريره من التفسير على وفق المعروف من اتجاه كلّ مدرسة والقائمين عليها.

وفي تعريف ثان يظهر فيه الجمع بين معنيي المصطلح فــ" (المدرسة) مكانُ الدرس والتعليم، وجماعةٌ من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهبا معينا أو تقول برأي مشترك، ويقال: هو من مدرسة فلان على رأيه ومذهبه (ج) مدارس."[1]. وعلى المعنى الأول منه نجد التفسير ينتمي إلى مدرسة راسخة تتكون المدرسة فيه من مكان للدراسة ومشائخ وطلبة ومقررات للدراسة، ومناهج للتفسير، وتكون تحت إشراف حكومي أو زاوية أو مدرسة خاصةٍ بشيخ أو عائلة علمية، ويتمّ تمويلُها من بيت المال أو أموال الوقف المخصص لها أو من المال المرصد من عموم المحسنين.

والمقصود هو المعنيان معا وخصوصا الأخير منهما؛ أما المعنى الأول فقد كان موجودا باعتبارين:

– **الاعتبار الأول:** أن المفسرين الجزائريين سواء من وقعت الترجمةُ لهم، والتعريف بهم أو غيرهم ينتمون في شق منهم إلى مدرسة أهل السنة والجماعة في مقابل غيرها من مدارس التفسير. والتي كان لها منهج واضح في طريقة التفسير سواء ما يخصُّ الاعتمادَ على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما وقع في كتب الحديث والمسانيد، ومثّل أبوابا ثابتة فيها. قد يصحُّ ما تمّ نقلُه أو قد تلحقُه انتقاداتٌ في مسألة الصحّة والثبوت.

ويعتمدون على ما تم نقله عن الصحابة من مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود، والإمام علي بن أبي طالب أو زيد بن ثابت رضي الله عنهم... حتى أنه يكاد يجمعُ عن ابن عباس رضي الله عنه ما يشبه التفسيرَ الموسع على أن بعضهم شكك في صحة نسبة ذلك إليه. غير أن توسع هذا الصحابي الجليل في التفسير أمرٌ ثابت رواه عنه كثير من تلامذته، وخصوصا منهم عكرمة الإفريقي. وهو عنصر سأعود إلى الاعتماد عليه في التأريخ لجذور حركة التفسير بالجزائر والمغرب عموما. كما يعتمدون أيضا على ما دونته الكتب المختلفة عن المشهورين من التابعين في التفسير كعكرمة والحسن البصري في جماعة.

ومن خصائصها هذه المدرسة أيضا استعمال الرأي المحمود وصحيح النظر في كتاب الله، وهو شيء بدأ قليلا ثم كثر، وضيقا ثم اتسع، وقد ظهر في بعض صيغه توسعا في دلالات ما نقل من التفسير، بما لا يناقض ما صح من النقل أو سلّم من جهة اللغة ...

[1] – المعجم الوسيط (مطابع دار المعارف ــ مصر ــ 1981م) ج 1/ 280.

وكان من نتاج هذا المسلك الراسخ أن اختصوا بمنهج علمي في فهم آيات العقائد وافقوا فيه غيرَهم أو خالفوهم، وهو اعتماد الظاهر كأساس ثم الجنوح إلى التأويل القائم على الدليل، كما لهم في آيات الأحكام منهج اقتصاد في توجيه الآيات لصالح المذهب الفقهي. وهم بين استعمال مقتصد للقصص وأخبار أهل الكتاب وغير ذلك. وهذا كله سأتعرض له في مصادر التفسير، زيادة على شهرته في كتب التفسير وعلوم القرآن، ومناهج المفسرين.

– **الاعتبار الثاني:** أنهما مدرستان باعتبار كون الإباضية قد اختصوا ببعض التوجهات في العقيدة والفقه، خالفوا فيه عموم الأمة، لم يقتصروا في المخالفة على أهل السنة من المفسرين الجزائريين. ولهم بدورهم مقولاتٌ في التفسير خاصة، ومبادئُ مقررة حاكمةٌ على دلالة الآيات موجِّهة لمعانيها، سواء في العقائد وهي أسُّ التفريق بين الفرقتين، أو الفقه وهو انعكاس لما تم اعتماده من تصور، وبلورته من اتجاه. غير أنهم في ذلك كله لا يُعدَمون أرضيةَ وفاق، ونقاط اتفاق قابلة للتوسعة، تجمع بينهم وبين مفسري أهل السنة والجماعة، أشير إليه في محلّها، وخصوصا عند المفسرين المعاصرين ممن ينتمون إلى المدرسة الإصلاحية.

كما أن كلا المدرستين قد انطلقت أثريةً تعتمد على مقولات السلف والسابقين من أئمة المدرسة والمذهب، ثم ساد التفسيرَ فيهما مقرراتُ المذاهب الكلامية والفقهية، وأتخمُ التفسير بذلك وعبر قرون بالمباحث من سائر العلوم اللغوية والفقهية والآراء الكلامية وغير ذلك إلى أن انتهت كلٌّ من المدرستين إلى ميدان التفسير الإصلاحي لمـــّا قام داعي ذلك في المجتمع الجزائري خصوصا من الحاجة إلى توجيه الحياة العلمية والعملية وجهة إصلاحية تعتمد صحيح الموروث التفسيري من كتاب وسنة، وتتعاطى مع قضايا الواقع بمختلف عناصره. وهو سيرد تفصيله في الفصل الثالث وخاتمته بالخصوص.

أما المفهوم الثاني: وهو أن " المدرسة بالمعنى الضيق جماعة من الفلاسفة لهم مذهب واحد ونظام واحد ومكان واحد للاجتماع، ورئيس أو عدة رؤساء يتعاقبون على التعليم."[1]، فإنه من جهة كون المدرسة تتحدد بمشايخ التفسير، ومقرراته كالبيضاوي وابن عطية والزمخشري... والجواهر الحسان لاحقا، ومن طلبة وإنتاج تفسيري سواء كان مسموعا فقط أو مكتوبا عثرنا عليه أو بقي في حيز الروايات التاريخية. كما تتحدد أيضا المدرسة بالأماكن التي كان يدرس بها التفسير إذ نجدها تنوعت إلى المدارس العلمية، والمساجد بما في ذلك دروس وخطب الجمعة، والزوايا ومجالس السلطان، وربما بيوت العلماء. كما أن التفسير قد اتخذ من منبر الإذاعة والتلفزيون وصفحات الجرائد، والمجلات قنوات توصيل جديدة وواسعة؛ فقد وجد كلّ ذلك ومنذ وقت مبكر، وأستعرض بعض ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

أ – **دروس التفسير بالمدارس:** المدارس بوطن الجزائر تخرج عن حد الحصر لكثرتها، وإنما أمثل لها بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان، والتي كان يدرِّس بها الشيخ ابن زاغو التلمساني، وقد حضر لديه القلصادي (891هـــ)،

[1] ــ المعجم الفلسفي، المرجع السابق. ج 358/2.

وذكر ذلك في رحلته فقد قال عنه الحفناوي" فوجد الشيخ في المدرسة يقرئ الطلبة."[1]. بل إن تدريس علماء الجزائريين لتفسير القرآن قد تجاوز حدود المدارس بأرض الوطن فاشتغل مثل الإمام المشدالي (866هـ) بالتفسير "حتى انتزع له تدريس التفسير بقبة المنصورية."[2]. وسيأتي تفصيل ذلك في تراجم أعيان المفسرين.

ومن الملاحظ أن التفسير بالمدرسة كان يتمُّ غالبا للطبقة العليا من طلاب العلم بعد أن يكونوا قد اجتازوا مراحل التحصيل في علوم الآلة بالخصوص، من نحو وبلاغة ومنطق وعلوم الشريعة عموما... وما وصل إلينا من أنواع التفسير الذي اصطلحنا على تسميته: بالتفسير المدرسي هو من هذا النوع الذي تقررُ فيه الكتب العالية كالكشاف للزمخشري وحواشيه، وتفاسير أبي حيان الثلاثة، وأنوار التنزيل للبيضاوي وحواشي العَضد عليه، والتفسير الكبير للفخر الرازي، والجلالين في أزمنة متأخرة.

ب – دروس التفسير بالمسجد: والمسجد من أوسع الأماكن وأكثرها مناسبة لدرس التفسير حيث يلقى في حلقات مستمرة، لسنين طويلة إلى أن ينتهي فيه ختم التفسير. وفي بعض النصوص أن الوادي آشي مثلا حضر عند السنوسي ختم التفسير، كما سأذكره في مكانه وأذكر غيره. وربما حضر درس التفسير عمومُ الناس وقد يؤخذ حضورهم بالاعتبار فيأتي التفسير قريبا من مداركهم وخصوصا في الأزمنة المتأخرة كما كان يفعل الشيخ بالحاج عدون قشّار، فقد ذكروا أن " أبرز عمل علمي ساهم به يتمثل في تفسيره للقرآن الكريم في المسجد، من سنة 1956م إلى 1996م، وقد أقيم له حفل تكريم بمناسبة ختمه يوم 20 جوان 1996م."[3]. وهو مسجد "بنورة " الذي عمل به واعظا ثم إماما ثم قائما على أوقافه.

وكذلك فعل ابن باديس في الجامع الأخضر، والشيخ إبراهيم بيوض ببعض مساجد غرداية، الثعالبي ومن درّس كتابه الجواهر الحسان، والشيخ إبراهيم القراري حفار بمسجد القرارة، وإبراهيم بن إدريسو، وابن لَلُّو التلمساني فقد "روى أبو حامد المشرفي أن ابنَ للُّو التلمساني قد ختم التفسيرَ في الجامع الأعظم بتلمسان."[4]... على ما سيأتي مفصلا في تراجم المفسرين إن شاء الله.

ودرّس التفسيرَ الشيخُ الخضر حسين في مساجد دمشق والقاهرة، وأما الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، فقد انبرى " لتدريس التفسير ضمن دروسه في المسجد النبوي التي تذاع بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية."[5]. وغير هؤلاء كثير يأتي في بابه. وقد لا يؤخذ بالاعتبار حضور عامة الناس مجالس التفسير فيجري بالمسجد ما كان يجري بالمدرسة من مطالعة الكتب العالية في التفسير، وتقرير التفسير على درجة من التحصيل متقدمة.

---

[1] – تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي (مؤسسة الرسالة ــ لبنان ــ ط: 02، 1985) ج44/1.

[2] – الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، للسخاوي. ج4 / 388.

[3] ــ معجم أعلام الإباضية (دار الغرب الإسلامي بيروت ــ لبنان ــ ط: 02، 2000م)ج 79/2.

[4] ــ تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه. 420/1.

[5] ــ التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا (دار ابن الجوزي ــ المملكة العربية السعودية ــ ط:01، 2006م) ج202/1.

ج – دروس التفسير بالزوايا: والباحث يلحظ بسهولة ظاهرة انتشار الزوايا في الفترة محلّ الدراسة، وكثيرا ما كانت في القرون السابقة قرينة الأماكن العلمية، حيث يتواجد بها العلماء، وإقامة الطلبة إضافة إلى اختصاصاتها الصوفية...وسأذكر في ترجمة أحمد بن عليوة وابن الهامل ما درَسه ودرَّسه من التفسير بزوايا الشرق الجزائري وغيره.

د – دروس التفسير بمجالس السلطان: وهي على قلّتها فيما عثرتُ عليه من تراجم المفسرين الجزائريين إلا أن ذلك يدلّ بوضوح على أن تدريس التفسير كان تقليدا قديما متبعا قد جرى عليه ملوك المغرب أعم من أن يكونوا من بني عبد الوادي حيث يلقي بعضُ كبار العلماء بالمجلس درسا في التفسير كما تفيده رواية المقري في نفح الطيب: " قلت: وحدثني عمي الإمامُ سيدي سعيد المقري رحمه الله تعالى أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية، طلب منه أهلُ تونس أن يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان فأجابهم إلى ذلك وعينوا له محلَّ البدء فطالع فيه، فلما حضروا قرأ القارئ غيرَ ذلك وهو قوله تعالى (فمَثَلُه كَمَثَل الكَلْب)[الأعراف 176]، وأرادوا بذلك إفحامَ الشيخِ والتعريض به فوجم هنيهة ثم تفجّر بينابيع العلم."[1].

وسأذكر في مبحث تدريس التفسير نصوصا لمفسرين جزائريين بين يدي سلاطين الدولة الزيانية بالخصوص.

وهذا النص يدل على أمور: منها أن التفسير بمجلس السلطان كان تقليدا معروفا بالمغرب عموما، وأن مجموعة من المفسرين الجزائريين قد جلسوا هذه المجالس الفخمة، وأنهم قد تعرضوا بذلك للامتحان العسير، وأنهم نجحوا بامتياز كما تفيده الرواية. وأن التفسير كان فنا علميا معروفا يدْرس ويدرَّس ويتبارى العلماء والطلبة في الظهور به، واستكمال درجات التحصيل العالية فيه.

وحدث مثل ذلك لابن مرزوق الجد، فقد قال متحدثا عن نفسه: " وقرأتُ بين يديهم نفعهم الله كتاب الاكتفاء للإمام أبي الربيع سليمان بن سالم الكلاعي، وختمته ثلاثا. وقرأت بين يديهم كتاب الحلية للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، وكتاب المدهش لابن الجوزي مرات، وكثيرا من تأليف ابن الجوزي، وجملة وافرة من تفسير الثعلبي وتفسير القرطبي. إلى غير ذلك مما قرأته في ملازمتي له من كتب الوعظ والحديث أو دول القراءة من الموطأ والتهذيب لابن الحاجب."[2]. والنص يفيد أنه فعل ذلك بين يدي كثير من أمراء تلك الدولة المجيدة.

وقد حصل مثل ذلك لمحمد بن العباس (871هـ)، وابن زكري (899هـ) والسنوسي (895هـ) وغيرهم، ولكن الأخير امتنع من حضور مجالس السلطان؛ بل امتنع من التفسير وقد رغب السلطان أن يحضره بالمسجد الذي كان مقررا ختم التفسير به، وجلس في فترة متأخرة الشيخ عبد القادر الراشدي لمثل ذلك في تفسيره للقرآن.

---

[1] – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري (دار إصدار ـــ بيروت ـــ ط:01، 1968م) ج433/5.

[2] – المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، لابن مرزوق الجد (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـــ الجزائر ـــ 1981م) /277.

على أن بعض المفسرين كالسنوسي كان يتحاشى مثل ذلك : " وطلبه السلطان أن يطلع عليه، ويقرأ التفسير بحضرته، على عادة المفسرين، فامتنع فألحُّوا عليه فكتب إليه معتذرا بغلبة الحياء عليه، ولا يقدر على التكلم هناك فأيسوا منه"[1]. بل إن بعض الأمراء لما سمع أن الشيخ بصدد ختم التفسير عزم على الحضور في مجلس الشيخ ينال بذلك البركة، فما كان من الأخير إلا أن غير الترتيبَ، وأعاد ما كان قد عزم على فعله من تقسيم الختم على أيام؛ فإذا به يستعجلُ الختْمَ في يوم، يفوت الفرصةَ على الأمير أن يحضر فيعكرّ صفو المجلس، ويتكلف له السنوسي ما ليس من دأبه من التصنع، ولا هو من سجاياه " ولما وصل في تفسيره سورةَ الإخلاص، وعزم على قراءتها يوما والمعوذتين يوما، سمع به الوزير وأراد حضور الختم، فبلغه ذلك فقرأ السور الثلاثة يوما واحدا خيفة حضوره عنده."[2]. وسأذكر تحت عنوان منابر تدريس التفسير قائمة لمن فسر القرآن من علماء الجزائر بمجالس السلطان عبر القرون.

هـــ – دروس التفسير على صفحات الجرائد: ومن منابر تدريس التفسير ونشره صفحات الجرائد، فقد كانت دروس الخضر حسين تظهر في جرائد نذكرها في محلّها، وكذلك دروس الشيخ ابن باديس. وقد واكب ذلك ظهور الصحافة بالوطن العربي وكونها واسعة الانتشار، وذات جمهور متوسط ومتنوع، ويمثل الشرائح الثقافية الموجودة في المجتمع يومئذ؛ ولأجل ذلك لم يكن التفسير على طريقة تفسير المدارس والطبقات العليا من الطلبة.

و– دروس التفسير الإذاعة: كما أن التفسير قد شغل منبرا جديدا وهو الإذاعة، ومن هؤلاء من فسروا كل القرآن أو أجزاء منه كالشيخ أبي بكر الجزائري كما مرّ بالمملكة السعودية، والشيخ محمدكتُّو رحمه الله بالإذاعة الوطنية للجمهورية الجزائرية سنوات السبعينات والثمانينات، وأيضا الشيخ المجاوي الهبري من أهل تلمسان.

ي – دروس التفسير في النوادي: بل إن ذلك تعدى إلى النوادي والجمعيات كما كان يقوم به الخضر حسين في " دروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة."[3]. وقام أيضا " بتفسير القسم الأكبر من سورة البقرة من الآية الأولى وحتى الآية 195، إضافة إلى سورة الفاتحة، ونشر هذا القسم من التفسير في مجلة "لواء الإسلام"، بدء من العدد الأول الصادر في رمضان المبارك 1366هـــ، وتحت وطأة الشيخوخة لم يتمكن من الاستمرار في التفسير."[4].

المبحث الثالث: تعريف التفسير، ونشأته، ومصادره.

---

[1] – نيل الابتهاج، للتنبكتي(دار الفكر، لبنان، ط:01، 1979م) ج 254/2، تعريف الخلف، للحفناوي. ج182/1.

[2] – نيل الابتهاج ج 254/2، المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، للملالي (مخطوط خاص) لوحة 151.

[3] – موسوعة الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين، جمع علي الرضا الحسيني (دار النوادر – سوريا – ط: 01، 2010م) ج04/1.

[4] – موسوعة الأعمال الكاملة علي الرضا الحسيني. المرجع نفسه ج 04/1.

درج الذين يكتبون في علم التفسير ومناهج المفسرين على البداية بتعريف مادة التفسير من جهة اللغة، وما تعود إليه مادتُه عند التحليل. وإن تتبع المصادر اللغوية يفي بغرض الباحث، ولعل مجرد مطالعة مختلف تلك المصادر على وفرتها، يتبين به أن ما جمعه ابن منظورُ مثلا في لسان العرب تحت مادة: (ف، س، ر) يكاد يلخص ما ذكر تحتها من الاتفاق والاختلاف والتفصيل في وجوه الدلالة عند غيره. ومع ذلك إذا تقدمنا قليلا نجد القاموس للفيروزابادي مع شرحه تاج العروس للزبيدي، وهو من أوفى وأدقّ المعاجم يفيد البحثُ فيه زبدةَ ما انتهى إليه الدرس اللغوي في تعريف مادة التفسير. وباقي ذلك من وجوه النقل إنما هي توثيق لمادة ما ذكر مجملا أو مفصلا.

وبالعودة إلى بعض المفسرين الجزائريين الذين قدموا أمام تفاسيرهم تعريفَ التفسير والتأويل كالبسيلي أو أبي راس الناصري وجدتهم قد اعتمدوا مقدارَ ما تمَّ الاتفاقُ عليه في باب اللغة، حتى أن أبو راس مثلا لم ينسب ما عرَّف به التفسيرَ لغة لأحد من أهل اللغة اكتفاء منه بما حصل من الاستقرار للمدلول اللغوي لكلمة التفسير بالخصوص.

أولا– تعريف التفسير:

أ – **التفسير في اللغة:** باستعراض ما ورد في لسان العرب شرحا لمادة التفسير وجدته يقول " الفَسْر: البيان، وفسَرَ الشيءَ يفْسِرُه بالكسر ويفْسُره بالضم فسْرًا، وفسَّرَه أبانه، والتفسير مثلُه." [1]، ثم قال: الفَسْرُ: كشفُ المغَطَّى، والتفسيرُ كشفُ المراد عن اللفظ المشكِل."[2]. وبالنظر أيضا إلى ما ورد في القاموس للفيروزابادي عند الكلام عن المادة نجد ما يلي:" الفَسْر: الإبانةُ وكشف المغطى، كالتفسير. والفعل: كضَرَب ونصَر."[3]. يتبين أن عبارة الكشف والبيان هي المدلول الأساس لكلمة التفسير حتى إذا تولى الزبيدي شرح ما جاء في القاموس لم يزد على أن قال للتأكيد يقال:" فَسَرَ الشيءَ يَفْسِرُه ويَفْسُرُه وفَسَّرَه : أَبَانَهُ ."[4]. بعد أن بين أن وزن الفعل من فسَر " والفِعْلُ كضَرَب ونَصَرَ."[5].

قدم البسيلي في أول التقييد الكبير نقلا عن أبي حيان بمناسبة الكلام عن تعريف التفسير أن الشيخ أبا حيّان قال:" التفسير لغة: الاستبانة، قاله ابن دريد."[6]. وابن دريد من أوائل أهل اللغة والعالِمين بها، وقضية اقتصار أبي حيان على لفظ الاستبانة تدل على اعتماده هذا التعريف، كما يدلُّ عليه عمل البسيلي أيضا.

---

[1] – لسان العرب لابن منظور (دار المعارف ــ مصر ــ 1986م) ج361/6.

[2] – لسان العرب لابن منظور، المصدر نفسه. ج361/6.

[3] – القاموس المحيط، للفيروزابادي (دار بولاق ــ مصرــ طبعة مصورة 1985م) ج110/2.

[4] – تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي (مصورة عن المطبعة الخيرة ــ مصر ــ 1985م) ج13 / 323.

[5] – تاج العروس، المصدر نفسه 13 / 323.

[6] – التقييد الكبير للبسيلي(نسخة ألكترونية بالمكتبة الشاملة.) 200.

فإذا انتقل الباحث قرنين من الزمان يجد نفس التعريف عند أبي راس غير معزوٍّ لأحد، وهو ما ذكره أول تفسير الإبريز فقد قال: " مقدمة: اعلم أن التفسير لغة: التبْيِـــينُ." [1]. ومنه يتضح أن التطور الدلالي لكلمات المعجم في شأن مادة التفسير قد شهد استقرارا منذ البداية، وعند أوائل الأعمال المعجمية كما عند ابن دريد مثلا، وإلى غاية أبي راس رحمه الله، وسيتبنى المعاصرون وعمومُ من بحث هذا الموضوع ما انتهى إليه الدرسُ اللغوي لهذه المادة، وما تواتر نقلُه من أعمال اللغويين في باب العربية.

فحسين الذهبي مثلا وهو من المعاصرين وهو ممن أشبع موضوعَ التفسير بحثا أثناء تعريف التفسير ذكر أن " التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول."[2]. وما ذكر من الكشف هو البيان بعينه، وكون متعلق البيان حسيا أو معنويا هو تفصيل يشمله الإجمال السابق في كلام اللغويين كابن منظور وغيره.

ب – التفسير اصطلاحا: على أن المعنى اللغوي قد لا يتطابق دائما مع المعنى الطارئ المصطلح عليه بعد حدوث المفاهيم الشرعية، وتدوين العلوم الإسلامية، فيضطر الباحث إلى إعادة النظر، وصياغة المعنى الجديد للفظة، للنظر في مدى التطابق أو الاختلاف بين المعنى الشرعي واللغوي؛ فالسيوطي مثلا وهو من المتأخرين وممن اهتم باستيفاء التعاريف لفنّ التفسير يختار أخيرا أنه " علمٌ يفهمُ به كتاب الله المنزّلُ على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه."[3]. وأكثر تفصيلا ما ورد عند الزركشي " علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتميمات لذلك."[4]. ويلاحظ أن المعنى اللغوي موجود مهما كثرت الزيادات والتفاصيل.

ويزيد ما ذكر تقريرا قولُ بعضهم: " علمٌ يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية."[5]. وعبارة " علمٌ " تفيد أن له قواعدَ وضوابطَ ينبغي التزامُها، وأنه متضمنٌ لشروط يجبُ استيفاؤها، وهو أمر متفق عليه عند الباحثين.

وبالعودة إلى الزبيدي مثلا وجدته بعد ذكر المعنى اللغوي يردفه بالمعنى الشرعي، فقد قال: " وقيل: التَّفْسِيرُ: شَرْحُ ما جاءَ مُجْمَلاً من القصَص في الكِتَاب الكريم، وتعْرِيفُ ما تَدُلّ عليه أَلْفَاظُه الغَرِيبَة، وتَبْيينُ

---

[1] –كتاب الإبريز والإكسير في علم التفسير، للشيخ أبي راس الناصري. مخطوط خاص لوحة 05.

[2] – التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي (دار الكتب الحديثة ـــ مصر ـــ ط:02، 1976م) : ج12/1.

[3] – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (مطبعة حجازي بالقاهرة، 1948م)ج 174/2.

[4] – التقييد الكبير للبسيلي، المصدر السابق / 200.

[5] – الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق. ج 174/2.

الأُمورِ التي أُنْزِلَتْ بسَبَبِهَا الآيُ."[1]. وهذا الذي ذكره شيء يحتمله الإجمال السابق وإن كان تفصيلا أساسيا لا تتجاوزه التفاسير.

وأكثر تحديدا للجزئيات ما يذكره أبو راس عند تناوله لتعريف التفسير اصطلاحا فقد قال:" واصطلاحا: بيانُ معنى القرآن بما هو مأثورٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابةِ والتابعين، واستخراج أحكامِه وحِكَـمِه."[2]. وفي التزام أبي راس النص على التفسير بـــ – المأثور – في هذا التعريف زيادةُ تأكيد على خصوصية وظيفة الكشف والإبانة بمناسبة تفسير كلمات الله، وتوجيهٌ للتفسير باتجاه الموروث من المأثور احتياطا للسداد في فهم كلام الله تعالى، واستفادة أحكامه.

وهذا الذي تم ذكرُه على إجماله وتفصيله، قد ضمَّنه الشيخ محمد حسين الذهبي في التعريف الذي اختاره بعد أن استعرض مجموعة من التعريفات القديمة والحديثة فقد قال عن معنى التفسير بأنه " شاملٌ لكل ما يتوقف عليه فهمُ المعنى وبيان المراد."[3]. وهي عبارة عامة تشمل جميعَ ما يتطرق له المفسرون من القواعد والضوابط، والشروط المقترحة...

[1] – تاج العروس، المصدر السابق. ج 324/13.

[2] –كتاب الإبريز والإكسير في علم التفسير، المصدر نفسه. لوحة 05.

[3] – التفسير والمفسرون، المرجع السابق.ج 14/1.

ثانيا – نشأة التفسير في الدراسات الإسلامية.

أ – الحاجة إلى تفسير القرآن:

تنبع الحاجةُ إلى تفسير القرآن من ضرورة أن يفهم الأفرادُ والجماعات ما يدل عليه كلامُ الله تعالى المترل على نبيه من حقائق العقيدة وأحكام الشرائع، وما تخلل ذلك من أنباء الأمم وقصص الأنبياء الماضين؛ لأجل التصديق والاعتبار، والعمل والمتابعة في تفاصيل الحياة الإسلامية. كلُّ ذلك على وفق ما تقتضيه قوانين الكلام العربي؛ إذ كان القرآنُ " قد استعمل الحقيقةَ والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والإطناب، وعلى نمط العرب في كلامهم. غير أن القرآن يعلو على غيره من الكلام العربي، بمعانيه الرائعة التي افتنَّ بها في غير مذاهبهم، ونزع منها إلى غير فنونهم، تحقيقاً لإعجازه، ولكونه من لدُن حكيم عليم."[1].

ولما كان عموم العرب على قدر واسع من جودة البيان، وسلامة الأداء، بسبب ما حصل للسانهم من الاتساع، ومفردات لغتهم من الوفرة، لم يكن منهم في الجملة " من تعذر عليه فهمُه، ولا خفيتْ عليه مقاصدُه ومعانيه، بل كان وضوح معانيه، ويسر فهمه هو الأصلَ فيما قام حوله من صراع بين مؤمن يجدُ فيه شفاءَ نفسه، وانشراحَ صدره، وكافر ينقبضُ لقوارع آياته، فلا يزالُ يدفعها بالإعراض والمعارضة، والدفاع والمقارعة، وكان ذلك هو الأصلَ أيضا في تكوّن الأمة المحمدية، وتولد التاريخ الإسلامي."[2].

ولو كان أشكل عليهم لحظة الخطاب شيءٌ من مفرداته، أو أُبْهِمَ عليهم جملةٌ من تعابيره لكان ذلك مما خالف به نمطَ البيان عندهم؛ ولما سلَّموا له عند المعارضة أن يكونَ من جنس كلامهم، فضلا أن يفوقه، فيدعي الآتي به لكلامه فضلَ بيان أو سبقَ بلاغة. بل دل الواقع على أن ما حصل من صدق الإقبال عليه أو شدة المخالفة له إنما كان عن فهم أكيد، ووعي ظاهر؛ فما كان إذن " مثلُ ذلك الواقع ليتكون إلا من كلام مفهوم، ودعوة درَك معناها الذي جاد بنفسه في سبيل نصرتها، أو من لقي الحتْفَ في موقف معارضتها."[3].

فما حاجة الناظر في كلام الله إلى التفسير بعد الذي نقلته من النص والتعليق خصوصا، وقد وصف الله كتابه في مناسبات عديدة بأنه (كِتَابٍ مُبِينٍ)، وأنه ميسَّرٌ للذكر في قوله تعالى (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[الدخان: 58]؟ ووجه الحاجة أن " الله جلَّ شأنُه بين فيه أصول العقيدة، وقواعد الشريعة، وأسسَ السلوك، وأرشدَ إلى أقوم المناهج في الفكر والعمل، ولكنه لم يتضمن تفصيلاتِ هذه الأمور، وترك ذلك للسنّة حينا، ولعقول المسلمين أحيانا."[4].

وليست السنةُ المبينة مما تتوافر معرفتُها عند كلّ أحد من المسلمين بل ولا عند كثير منهم، ولا كلُّ ناظر في القرآن ممن يستقل بذهنه في معرفة مدلولات الآيات القرآنية. إما من جهة القدرة الذهنية أو لكون النظر

---

[1] – التفسير والمفسرون، المرجع السابق. ج 2/ 1.

[2] – التفسير ورجاله، الفاضل بن عاشور (مجمع البحوث الإسلامية ــ مصرــ عام: 1970) / 08.

[3] – التفسير ورجاله، المرجع نفسه. / 08.

[4] – كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي (دار الشروق – بيروت – ط:04، 2005) 199.

العقلي المقصود هنا هو ما قام على قواعد العربية، ومعرفة ملابسات النزول، وأخبار الأمم والأنبياء. إذ الناس " يتفاوتون في الفهم والإدراك فمنهم من لا يدرك إلا المعنى الظاهر القريب، ومنهم من يغوصُ على المعنى العميق البعيد، ومنهم من يفهم المعنى على غير وجهه. ثمّ إن هذا القرآن نزل لأسباب وملابسات معينة، من شأنها إذا عرفتْ أن تلقيَ الضوءَ على المعنى المراد، وتعينُ على فهمه فهما صحيحا." [1]. وهذا التفاوت يتضح خصوصا في الأزمنة التي تشيع فيها الأمية، وهو ما عمل الاستعمار على نشره بعد أن تأكد من دوره في إبعاد الناس عن مقاصد القرآن.

ثم إن القرآن من جهة ثانية قام على ما قام عليه لسان العرب، و" ما فيه من تنوع الدلالات من الصريح والكناية، والحقيقة والمجاز، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمنطوق والمفهوم، وما يفهم بالإشارة وما يفهم بالعبارة."[2]. وهذه المقادير من إدراك أساليب العربية ليست متيسرةً لكثير من الناظرين في القرآن خصوصا بعد شيوع العُجْمة في اللسان العربي، أو في العصور التي سادت فيها اللهجاتُ العامية، أو في المجتمعات التي اعتنقت الإسلامَ وبقيت على لغاتها الأصلية لم تنتقل إلى العربية في غير الصلاة وكلمة التوحيد، وقراءة القرآن كله أو شيء منه، أو الإنصات إليه بدون فهم لمفرداته فضلا عن تعابيره وفنون أساليبه.

وبالعودة إلى الأصل نجد أن المفردات القرآنيةَ، كما الآيات لها معان ثابتة، وهي تدل على معانيها بشكل واضح؛ إذ كان ما لا معنى له من المفردات والتراكيب غير موجود في النظم القرآني. وليس إدراك تلك المعاني حكرا على أحد فيتعذر تحصيلُها إلا من جهته؛ فللناظر إذا أن يقرر " أن كل لفظ في القرآن له معناه الإفرادي، وكلّ كلام له معناه التركيبي، وأنه لم يردْ في القرآن ما لا معنى له، ولم يرد فيه نصوص لها معان لا تفهم إلا بالتوقيف عليها من طرف شخص معين، بل إن كلّ ما فيه يدل على معان ظاهرة، دلالته عليها بحسب الوضع اللغوي العربي."[3]. فالملمُّ بالوضع العربي بالسليقة أو بالتعلم والتحصيل يدرك ذلك مهما كان أعجميا، ولذلك كان من المفسرين جملة ممن أصولهم عجمية، ولم يمنعهم ذلك من البلوغ الغاية في حيازة معاني المفردات والتراكيب القرآنية. كالزمخشري، والرازي والتفتازاني...

وبالبحث عن سبب الحاجة إلى التفسير بعد أن تقرر أصل الدلالة الواضحة المستقلة لكلام الله على معانيه الشريفة لا نجد القرآن " بحاجة إلى التفسير احتياجا أصليا، ولكن الحاجة إلى تفسير القرآن إنما هي حاجة عارضة نشأت من سببين..."[4]. حيث يرجع الفاضل بن عاشور الحاجة إلى التفسير إلى سببين اثنين، ونص كلامه: " فالقرآن العظيم، عندنا معاشر المسلمين، كلام دال على معانيه، دلالة مأخوذة بالطريق الواضح العادي لدلالة الكلام العربي، فليس هو على ذلك بمحتاج إلى التفسير احتياجاً أصلياً، ولكن الحاجة إلى تفسير القرآن إنما هي حاجة عارضة نشأت من سببين:

---

[1] – كيف نتعامل مع القرآن المرجع نفسه: 199.

[2] – كيف نتعامل مع القرآن، المرجع نفسه. 199.

[3] – التفسير ورجاله، الفاضل بن عاشور (مجمع البحوث الإسلامية ــ مصرــ عام: 1970) /09.

[4] – التفسير ورجاله، المرجع نفسه: 10.

– **السبب الأول**: هو أن القرآن لم يترل دفعة واحدة ، وإنما كان نزوله وتبليغه في ظرف زمني متسع جداً: قدره أكثر من عشرين عاماً، فكان يترل منجماً على أجزاء مع فواصل زمنية متراخية بين تلك الأجزاء، وكان نزوله في تقدم بعض أجزائه وتأخر البعض الآخر، على ترتيب معروف يختلف عن ترتيبه التعبدي؛ لأن ترتيب تاريخ الترول كان منظوراً فيه إلى مناسبة الظروف والوقائع، مناسبة ترجع إلى ركن من أركان مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وترتيب التلاوة، أو الترتيب التعبدي، كان منظوراً فيه إلى تسلسل المعاني وتناسب أجزاء الكلام بعضها مع بعض، وذلك يرجع إلى ركن آخر من أركان مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكلا الترتيبين راجع للوحي، وكلاهما وقع به التحدي الإعجازي إلا أن أولهما مؤقت زائل بزوال ملابساته من الوقائع والأزمنة والأمكنة. والترتيب الآخر، وهو ترتيب التلاوة التعبدي، باق لأنه في ذات الكلام، يدركه كل واقف عليه وتال له من الأجيال المتعاقبة، بينما الترتيب التاريخي لا يدركه إلا شاهد العيان لتلك الملابسات من الجيل الذي كان معاصراً لترول القرآن، ممن كانت لهم تلك الملابسات دلائل وقرائن على ما أريد من المعاني التي استفادوها من التراكيب القرآنية. فكان انقراض تلك الملابسات الوقتية محوِجاً إلى معرفتها معرفة نقلية تصورية ليتمكن الآتون من استعمال القرائن والدوال، التي اهتدى بها إلى معاني التراكيب القرآنية سابقوهم. وبذلك طلبوا الرجوع إلى المعارف المنقولة عن تواريخ نزول الآيات، ومحالها، والمناسبات التي جاءت فيها للاستعانة بذلك على استيضاح المعاني المقصودة من التركيب استعانة فقط، لأن للتراكيب دلالاتها الذاتية، التي لا تحددها، ولا تتحكم في تكييفها، تلك المناسبات وإن كانت معينة على استجلائها. وذلك ما يرجع إلى الأخبار المتعلقة بكل جزء من أجزاء القرآن: بتعيين تاريخه، ومحله ، وتصوير الحادثة التي اتصلت به، وهي المعارف التي تسمى " أسباب الترول " وما هي إلا مناسبات، لا أسباب حقيقية. وإن سميت أسباباً على طريق التسامح والتجوز، فإن العلماء متفقون على أن ما يدل عليه الكلام القرآني، هو الذي يؤخذ به، على ما في دلالته من شمول واتساع، لا يضيق منهما مراعاة الملابسات الظرفية التي اتصلت بتاريخ نزوله وهو معنى قول علماء أصول الفقه: (إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب). فمن هذه الجهة أصبحت لفهم القرآن حاجة إلى علوم أثرية نقلية هي من علوم الرواية لا من علوم الدراية، تتصل بعلم الحديث وعلم السيرة، وترجع إلى ضبط تواريخ الترول، وعلاقات تلك التواريخ بمواقف من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومواقعها من نسبة بعضها لبعض بالتقدم والتأخر ، ومواقعها من تفاصيل الأحوال العامة والخاصة التي اتصلت بها. فكان ذلك عنصراً أثرياً نقلياً يرتبط بأخبار السنة والسيرة هو أحد عنصري التفسير الذي نشأت الحاجة إليه من السبب الأول من السببين.

– **السبب الثاني**: فهو أن دلالات الألفاظ والتراكيب، تتبعها معان تكون دلالة التراكيب عليها محل إجمال أو محل إبهام ،إذ يكون التركيب صالحاً على الترديد لمعان متباينة يتصور فيها معناه الأصلي ولا يتبين المراد منها ، كأن يقع التعبير عن ذات بإحدى صفاتها، أو يكنى عن حقيقة بإحدى خواصها، أو أحد لوازمها، على الطرائق البيانية المعهودة في اللغة العربية وغيرها ، فينشأ عن ذلك إجمال، فيطلب بياناً، أو إبهام يتطلب تعييناً كما يقع ذلك في الكلام بصفة عامة، ولما كان الذين اتصلوا أولاً بتلك المجملات أو المبهمات أو المطلقات قد رجعوا إلى المبلّغ – صلى الله عليه وسلم – في طلب بيانها أو تعيينها أو تقييدها فتلقوا عندما أفادهم فاطلعوا بأن الذين أتوا

بعدهم احتاجوا إلى معرفة تلك الأمور المأثورة عن النبي ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ لتتضح لهم تلك المعاني كما اتضحت لمن قبلهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالخبر المأثور ممن ليس إلا عنده العلم المعصوم الذي يوضح ذلك وهو النبي ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ فتكون بذلك عنصر ثان من عناصر التفسير هو وإن كان أقل عدد مواقع من العنصر الأول لأنه يختص بأمور معينة محصورة، ولا يعم جميع أجزاء القرآن إلا أنه أكثر تأكداً من العنصر الأول لأن العنصر الأول يعين على فهم لم يكن متوقفاً عليه ، وأما هذا العنصر الثاني فإن تحقيق محامل الألفاظ على المقاصد التابعة لمعاني الكلام الأصلية يتوقف عليه توقفاً مطلقاً.

وعلى ما بين هذين العنصرين الأثريين من عناصر التفسير من تفاوت واختلاف فإنهما قد اتحدا في تكوين مادة مشتركة يعتمد عليها في تفسير القرآن ، هي مادة نقلية إخبارية تستوي عامة عناصرها في الاندراج تحت عنوان جامع هو: التفسير بالمأثور." [1].

ولعله استجابة لهذا الأصل المقرر وانطلاقا منه لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدلُّ على أنه فسر القرآن باستيفاء المفردات والتراكيب؛ لما لم تكن الحاجة داعية إلى كل هذا النص على الظاهر، وبيان ما هو في الواقع مبين. فقد نقل البسيلي بصدد الكلام عن نشأة التفسير عن ابن عطية ما روته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – " ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن إلا آيًا علَّمه إياهنّ جبريل. معناه: في مغيبات القرآن، وتفسير مجمله، ونحو ذلك مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى."[2].

وهذا الذي عقب به البسيلي بيانا لرواية عائشة رضي الله عنها لا يتوقف عليه فهم المعنى، وإنما يلزم عند العمل بالمعنى المستفاد كمقادير الصلاة وصفة الصوم والحج...وهي مقادير زائدة على أصل المعنى الواضح وتكفّلتْ ببيانها السنة العملية، كما في قوله عليه السلام:" صلّوا كما رأيتموني أصلي"[3]، أو في شأن الحج "خذوا عني مناسككم." [4]. وغير ذلك من سائر الأبواب خصوصا الفقهية التي يمثل فيها كثيرٌ من السنة العملية وتفاصيل السيرة النبوية تفسيرا للقرآن، فإذا أضفنا إليها سائر ما أثر عنه عليه السلام من الأحاديث في مختلف حقائق الدين: من عقيدة وأخلاق وقصص... أمكن أن نفهم كلامَ ابن تيمية رحمه الله " يجب أن تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانيَ القرآن، كما بين لهم ألفاظَه؛ فقوله تعالى (لتبينَ للناس ما نزّلَ إليهم)[النحل: 44] يتناول هذا وهذا."[5].

حتى إذا انتهى الحال إلى الصحابة رضي الله عنهم لم تكن حاجتُهم إلى التفسير كحاجة من جاء بعدهم لما قدمناه من وضوح دلالة القرآن على مقاصده، ولكونهم عاصروا التنزيل، وشهدوا ظروفه وملابسات نزوله، ولأجل ذلك " ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا وهو وإن كان من التابعين أكثر منه

---

[1] ـــ التفسير ورجاله، المرجع نفسه. 23.

[2] – البسيلي التقييد الكبير، المصدر نفسه. اللوحة 02.

[3] – صحيح البخاري (دار الفكر ـــ سوريا ـــ طبعة مصورة عن الأوفست. 1981م)ج 1 / 128، باب الأذان للمسافر.

[4] – صحيح مسلم ج 2 / 943، باب استحباب رمي الجمرات.

[5] – مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (المكتبة السلفية ـــ القاهرة ـــ ط:05. ب ت) 45.

في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى مَن بعدهم. وكلما كان العصرُ أشرفَ كان الاجتماعُ والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر."[1].

وقد عدَّدَ البسيليُّ الجزائري في صدر تفسيره جملة ممن اشتهر من المفسرين على عهد الصحابة وخص بالذكر منهم: " و[أمّا] صدر المفسرين [فـــ] علي بن أبي طالب، ثم عبد الله بن عباس وعنه أُخِذَ ثم عبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، ثم من التابعين..."[2].

وقد كان ابن عباس رضي الله عنه " يُلقَّب بالحَبْر والبحر لكثرة علمه، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعنى كتاب الله، ولذا انتهتْ إليه الرياسة في الفتوى والتفسير."[3]. فقد تعددت الطرق عنه والروايات المتصلة به، ويوشك أن يكون ما وصلنا من جهته تفسيرا كاملا لكل القرآن؛ على أن مقدارا غيرَ قليل تردد كثيرٌ من الباحثين في نسبته إليه؛ لما تبين من انقطاع الأسانيد الصحيحة إليه، وكثرة ما نسب إليه مع ما فيه التناقض والضعف.

والذي يهم الباحثَ من الطرق التي اتصلت بابن عباس في موضوع التفسير" طريق ابن إسحاق صاحب السير، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهى طريق جيدة وإسنادها حسن. وقد أخرج منها ابنُ جرير وابن أبي حاتم كثيراً، وأخرج الطبراني منها في معجمه الكبير."[4]. بسبب أن فيها ذكرَ عكرمة رحمه الله، وهو من أصل إفريقي وقد كان عاد إلى القيروان، والتزم بجامعها المشهور مكانا يدرّسُ فيه من جلسَ إليه من عموم أهل المغرب. ولا شك أن التفسير كان من أبرز اهتماماته.

وعِكرمة المذكور هو أبو عبد الله عكرمة البربري المدني مولى ابن عباس (أصله من البربر بالمغرب) روى عن مولاه، وعليّ بن أبي طالب، وأبي هريرة، وغيرهم. وقد تعرض لجملة من التهم نسبتْ إليه من شأنها أن تقللَ من أهمية ما يرويه؛ منها كثرة الرواية عن ابن عباس؛ لكنها عند التحقيق" تهمٌ باطلة لا تقوم على أساس، فعِكرمة مولى ابن عباس، كان يلازمه ويخالطه، فلا يضيره كثرةُ الرواية عنه لأن هذا أمرٌ طبيعي، ولا يمكن أن يُعَدّ افتراءً على العلم وافتياتاً على الرواية؛ لأن كثرة الرواية ليست من المطاعن التي تُوجَّه إلى الراوي وتَذْهب بعدالته."[5].

ومنها كون عكرمة من الخوارج " وأما ما رُمي به من الميل للخوراج فافتراءٌ عليه، ولا يكاد يتفق مع سلوكه في حياته، قال ابن حجر: " فأما البدعة، فإن ثبتتْ عليه فلا تضرّ حديثَه؛ لأنه لم يكن داعية، مع أنها لم

---

[1] – مقدمة في التفسير، المرجع أعلاه / 45.

[2]– مقدمة تفسير البسيلي، المصدر نفسه. لوحة 01.

[3]– التفسير والمفسرون، المرجع السابق. ج 2/ 14.

[4] – التفسير والمفسرون، المرجع السابق. ج 2/ 19.

[5] – التفسير والمفسرون، للذهبي. ج 3/ 5.

تثبتْ عليه."[1]. وقد كان الخوارج ممن سارع إلى شق الصفّ، والخروج على جماعة المسلمين فاستحلوا – بما اعتقدوه وحملوا عليه آيات القرآن خصوصا– مُهجَ أقوام من المؤمنين عصمتها كلمةُ التوحيد.

على أن من مميزات التفسير في زمن التابعين اتساع الاختلاف فيه نسبة إلى عهد الصحابة؛ دلّ على ذلك كثرةُ ما نسب من الأقوال إلى من اشتهر به مثل " الحسن بن أبي الحسن، ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة، عكرمة، والضحاك بن مزاحم، والسُّدّي، ثم حمل التفسير عدولُ كلِّ خَلَف." [2]، زيادة على ما ذكره ابن تيمية من نقص شرفِ زمانهم عن زمن من كان قبلهم، وهو يعني بذلك الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ثم اتسع التفسير خصوصا زمنَ تدوين العلوم، وألف الناس فيه كعبد الرزاق، والمفضّل، وعلي بن أبي طلحة، والبخاري، وغيرهم. ثم محمد بن جرير الطبري جمع أشتات التفسير، وقرّب البعيدَ، وشفى في الإسناد. وأما أبو بكر النقاش، وأبو جعفر النحاس فكثيرًا ما استدرك الناسُ عليهما، وتبعهما مكيٌّ بن أبي طالب، وأبو العباس المهدوي متقنُ التآليف."[3].

وكل ما ذكر من قول البسيلي فهو إجمال عن مسألة التأليف في التفسير دون تعرض لاتجاهات ذلك التأليف، وكلام ابن عاشور فيه توفيةٌ تبينُ شيئا من ذلك فقد قال: " ثم تلاحق العلماء في تفسير القرآن وسلك كلٌّ فريق مسلكا يأوي إليه وذوقا يعتمد عليه. فمنهم من سلك مسلكَ نقل ما يُؤثرُ عن السلف. وأول من صنف في هذا المعنى، مالك ابن أنس، [ذكر]ذلك الداودي تلميذ السيوطي في طبقات المفسرين، وذكره عياض في المدارك إجمالا. وأشهر أهل هذه الطريقة فيما هو بأيدي الناس محمد بن جرير الطبري."[4]. وقد جمع تفسير مالك رحمه الله وهو ينتمي إلى زمرة ما قرره ابن عاشور عنه؛ إذ كان الزمنُ زمنَ الرواية.

ووجد من التفسير ما يجنح فيه أصحابُه إلى التوسع في القول في بيان معنى الآيات مراعين في ذلك ما صحّ نقلُه من مأثور التفسير" ومنهم من سلك مسلكَ النظر كأبي إسحاق الزجاج وأبي علي الفارسي، وشغِف كثيرٌ بنقل القصص عن الإسرائيليات، فكثرت في كتبهم الموضوعات."[5].

وهذا التوسع وإن لم يشطبْ على ما تمّ تداوله من الروايات المأثورة في التفسير إلا أن ما تمتْ إضافتُه اتسمَ في عمومه بكثير من الخلل بسبب الضعْف في سلامة أخبار الماضين من جهة التاريخ، أو خطَل التسليم بها من حيث أحكام العقل ومقررات الدين. وهو ما سأتطرق إليه عند الكلام عن الإسرائيليات والقصص في التفسير.

والذي يهمّ الباحثَ هنا إنما هو بيان أن لإمام المذهب مالك بن أنس إسهامات في حركة التفسير، فقد أثر عنه من ذلك جملة نقلها عنه المخزومي كما في مدارك القاضي عياض، وقد تم تداولها كما في كتاب الجامع آخر البيان والتحصيل لابن رشد الجد (520هـ)، وهو كتابُ المذهب. وأسوق الآن من ذلك نصوصا يتبين

---

[1] – التفسير والمفسرون، للذهبي. ج 3/ 6.

[2] – مقدمة في التفسير، ابن تيمية، المرجع السابق 45.

[3] – التقييد الكبير، للبسيلي: 211.

[4] – التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (الدار التونسية للنشر ـــ تونس ـــ ط: 01. 1982م) ج 1/ 14.

[5] – التحرير والتنوير، المرجع نفسه ج 1/ 14.

منها ما آل إليه لونُ التفسير في زمانه، ثم أعلق عليه بما هو مناسب. فقد " سئل مالك عن تفسير مكة وبكّة؛ فقال: بكة موضعُ البيت، ومكة غيرُه من المواضع يريد القريةَ."[1]، و لم يسند مالك ذلك لأحد.

وفي قوله تعالى (وجَعَلَنِي مُبارَكًا)[سورة مريم:31] يقول مالك رضي الله عنه: " ما أبينَها لأهل القدر، أخبرَ بما هو كائن من أمره حتى يموتُ."[2]، فأنت تراه جعل من نصِّ الآية ردا على من نفى تقدير الله للأشياء قبل وقوعها على ما اقتضته حكمتُه سبحانه وتعالى.

وأيضا قوله: " وقد وسئل مالك عن تفسير (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)[سورة الأنفال:29.]، قال: مخْرجًا؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)[سورة الطلاق:02]."[3]. فهو في هذا كله يعود إلى تفسير الآية كما ورد في غيرها من آي القرآن، مرة يقول باجتهاده كرده على أهل القدر، وهو ردّ رآه واضحا لا يحتاج إلى نسبة القول به إلى أحد من السابقين، وأخرى يعود إلى الواقع كالتفريق بين مكة البلد المعروف حماها الله تعالى، وبكّة اسم لغيرها من البلاد على ما يكون قد بلغه في ذلك من أسماء البلاد.

وهو لون من الاتساع في تفسير الآيات بما يقتضيه النظر الصحيح المبني على استيفاء شروط القول على الله في تفسير مراده؛ وذلك بالرجوع إلى نفس كلام الله أو حقائق الواقع أو وضوح دلالة الآية موضوع البحث.

وقد ورد عن السلف رضي الله عنهم في تفسير كلام الله النهيُ الشديد، وأثِرَت فيه مقالات تناقلتها الكتب، كقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه:" أيّ سماء تُظلني وأي أرض تقلّني إذا قلتُ في كتاب الله عز وجل برأيي."[4]، وحرصهم على نسبة التفسير إلى قائله من أهل القرون المفضلة؛ وجعلوا غير ذلك من الرأي المذموم، وهو قرين القول على الله بغير علم الذي نهت عنه الآيات (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: 169]."

ولأجل هذا قلّ التفسير في القرون الأولى إلا بما هو محفوظ من الآثار، و لم يتمَّ التوسعُ في تفسير ما لم ينقل فيه شيء من الآثار المسندة إلا في أزمنة متأخرة، وبمقادير ضيقة. يدلّ على ذلك تفسير يحي بن سلام (تـــ 202هـــ) مثلا وقد كان شائعا في المغرب، واختصره من أهله عالمان أحدهما إباضي المذهب وهو هود بن محكم الهواري(بعد 250هـــ)، والآخر أندلسي وهو ابن زمنين (تـــ 399هـــــ). وكلا العملين قد وصل إلينا وبإمكان الناظر فيه أن يلاحظ ما قرره الباحث، على أن ذلك في اختصار الهواري أوضح.

وبمرور الزمان وجد جملة من الأئمة وقد اتخذوا من نفس المنقول فرصة للترجيح فيه باستعمال النظر، والرجوع إلى اللغة. وقد قدمتُ عن مالك رحمه الله مثالَه، وفي تفسير الطبري (310هـــ) ما يدل الناظر على ذلك.

---

[1]– البيان والتحصيل، لابن رشد الجد (دار الغرب الاسلامي ـــ بيروت ـــ ط: 01. 1985م) ج 57/17.

[2] – البيان والتحصيل، المصدر السابق. ج 545/17. وانظر موافقة ابن رشد له.

[3]– البيان والتحصيل، لابن رشد. ج 77/17.

[4] ـــ الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق ج134/1.

واستمر التردد في استعمال الرأي في التفسير وتحاشيه إلى زمان الإمام الغزالي (تـــ 505هـــ) وهو الزمن الذي تكون فيه الرواية قد مضى زمانها، وتم تدوين العلوم، وتم الاستغناء عن الأسانيد في الأغلب الأعم. وأنت تراه قد أنكر أن يكون كلُّ رأي في تفسير كلام الله مذموما أو قولا على الله بغير علم، وجعل ذلك من الحجُب. فقد قال أن من موانع الفهم: " رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً، واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقلُ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وأن ما وراء ذلك تفسيرٌ بالرأي... فهذا من الحجب العظيمة."[1].

على أن التجاسر على تجاوز المنقول إلى التوسع في الرأي، وما يقتضيه النظر والاكتفاء في كثير من الأحيان بمدلول اللغة على اتساعها، وأكثر من ذلك نقدُ المنقول، وردُّ جملة منه قد تكاثر بطول الزمان، إذ لم يتم كل ذلك في وقت واحد، ولا في مكان واحد؛ بل ولا من فئة واحدة ممن خاض في التفسير. والنص التالي للمقَرِّي يدل على ذلك وعلى غيره، وأنا أسوقه بطوله، ويتم التعليق عليه بما هو مناسب فقد قال: " فمن أشدّ ذلك إتلافا لغرضنا[2] تحريفُ الكلم عن مواضعه الصحيحة أن ذلك لم يكن بتبديل اللفظ، إذ لا يمكن ذلك في المشهورات من كتب العلماء المستعملة فكيف في الكتب الإلهية، وإنما كان ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس وغيرُه. وأنت تبصرُ ما اشتملتْ عليه كتب التفسير من الخلاف، وما حمّلت الآيُ والأخبار من التأويلات الضعاف." [3].

فهو يجعل تفسير الآيات بالتأويلات الضعيفة وتحميلها بالاحتمالات المعاني السخيفة من التحريف، وفي هذا السياق ذكر المقري ما نصه: " قيل لمالك: لم اختلفَ الناسُ في تفسير القرآن؟ فقال: قالوا بآرائهم فاختلفوا. أين؛ هذه من قول الصديق:" أيُّ سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلتُ في كتاب الله عز وجل برأيي. كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل إلى بعض الميل، وأقرب ما يحمل عليه جمهور اختلافهم أن يكون بعضهم قد علم بقصد إلى تحقيق نزول الآية من سبب أو حكم أو غيرهما، وآخرون لم يعلموا ذلك على التعيين فلما طال بحثهم، وظنوا عجزَهم؛ أرادوا تصويرَ الآية بما يسكن النفوس إلى فهمها في الجملة، ليخرجوا عن حدّ الإبهام المطلق؛ فذكروا ما ذكروه على جهة التمثيل لا على سبيل القطع بالتعيين. بل منه ما لا يعلم أنه أريد لا عموما ولا خصوصا، لكنه يجوز أن يكون المراد. فإن لم يكن إياه فهو قريبٌ من معناه. ومنه أنه مراد، لكن بحسب الشركة والخصوصية مع جواز أن يكون هو المرادَ بحسب الخصوصية ثم اختلط الأمران."[4].

---

[1] – إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (دار الغد العربي ـــ مصر ـــ ط:02. 1986م) 1 / 293، التحرير والتنوير، المرجع السابق ج 1/ 27.

[2] – كذا بالأصل.

[3] – نفح الطيب، للمقري، المصدر السابق. ج 5/ 278.

[4] – نفح الطيب، المصدر السابق. ج 5/ 278.

فهذه الوجوه المذكورة في النص على الأقل توضح سبب اتساع مجال الرأي في التفسير، وتبرر شيئا من الاختلاف الواقع بين المفسرين ما قبل زمان المقري صاحب النص. وهو بالشكل المعروض اختلاف قريب.

ولما كان المحذورُ من تفسير القرآن بمحض الهوى، والتأويل الخالي من كل دليل شديد الخطورة، موجودا في التراث التفسيري عند عموم فرق المسلمين لا ريب أن كان " تفسير القرآن من أصعب الأمور، فالإقدام عليه جراءة. وقد قال الحسن لابن سيرين: تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب. فقال له: تفسر القرآن كأنك شهدتَ التنزيلَ. وقد صحَّ أن رسول الله لم يكن يفسرُ من القرآن إلا آيات معدودة، وكذلك أصحابه والتابعون بعدهم. وتكلم أهلُ النقل في صحة التفسير المنسوب لابن عباس إليه، إلى غير ذلك. ولا رخصة في تعيين الأسباب والناسخ والمنسوخ إلا بنقل صحيح أو برهان صريح، وإنما الرخصة في تفهيم ما تفهمه العرب بطباعها من لغة وإعراب وبلاغة وبيان إعجاز ونحوها.اهـــ."[1]. والعبارة الأخيرة تحدد الرخصة في شكل الاستناد إلى الرأي فيما لا مأثور فيه، وأنه بالحصر ما تدل عليه الألفاظ القرآنية من المعاني اللغوية بالإفراد أو التركيب.

هذا وإن مضمون النص أعلاه يختصر المعركة الطويلة التي قامت واستمرت في وجه تفسير القرآن بالرأي أي بغير ما حملته كتبُ التفسير والمسانيد من الآثار، وكيف أن من نتيجة ذلك كله ما نراه من شدة الاختلاف واتساعه في تفسير كلام الله وكأنه كتب بلغة أخرى غير عربية القرآن؟ وفيه زيادة على ما قررته الإقرارُ بأن تفسير القرآن من العلوم الصعبة لقلة المعالم في طريق المفسر، سواء من جهة قلة ما فسره لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ضعف كثير مما نقل من ذلك، حتى أن فيه حكاية مشهورة عن التشكيك في ثبوت كثير من التفسير المنسوب لابن عباس.

ومع ذلك فقد حُسم الجدلُ لصالح الاستفادة من النظر الصحيح المبني على ما اشترطه العلماءُ من العلوم في شخص المفسر، والتصحيح المستمر لما وقع فيه الانحراف حتى استقر ذلك آخر الأمر، ودخل بسبب التوسع المذكور فنونٌ من القول كالإعجاز العلمي، وتوظيف حقائق التاريخ، وأكثر من ذلك التوسع في اللغة وفنونها في التفسير حتى أصبح ذلك اتجاها راسخا، ولونا بارزا كشفت عنه تفاسير كبيرة كالكشاف للزمخشري وحواشيه الكثيرة، وكتب أبي حيان وغير هؤلاء كثير.

وعبارة ابن عاشور تكشف عن الرغبة القديمة لمفسري القرآن الكريم في أن يتمّ تجاوز مقولة الاقتصار على المأثور – ولو على القول بصحته في الجملة – في تفسير كلام الله، والسعي الواضح لأجل اقتحام ميدان التفسير بما هو زائد على ذلك غيرَ خارج عليه؛ " فلله درّ الذين لم يحبسوا أنفسَهم في تفسير القرآن على ما هو مأثور، مثل الفرّاء وأبي عبيدة من الأولين، والزجاج والرماني ممن بعدهم، ثم الذين سلكوا طريقَهم مثل الزمخشري وابن عطية.."[2].

---

[1] – نفح الطيب، للمقري ج5/ 278.

[2] – التحرير والتنوير، المرجع نفسه. ج1/ 31.

وهو أمر قد حدث فعلا ومنذ أزمنة بعيدة، ورغبةٌ تحققت في مئات التفاسير التي بنيت على أساس الجمع بين صحيح مأثور التفسير والرأي السديد في بيانه.

ثالثا – مصادر التفسير.

كان البحث فيما سبق إنما هو حول نشأة التفسير عموما، بما يشمل التفسيرَ عند أهل المغرب، وإن تلك النشأة مرتبطة باعتماد مصادر ذلك التفسير. وقد تكلم العلماء في تلك المصادر من جهتين؛ الأولى: خاصة بما نقل من التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين مما هو من قبيل النقل لا مدخلَ فيه للرأي عموما، وبينوا أن صدق التفسير به عائد إلى صحة النسبة إلى مصدره. والثاني: ما يعود إلى النظر مما يعتمد اللغةَ والقرائن... قال الزركشي في البرهان: " اعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيرُه بالنقل، وقسم لم يرِد. والأول: إما أن يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة أو رؤوس التابعين، فالأول يُبحث فيه عن صحة السند، والثاني يُنظر في تفسير الصحابي، فإن فسَّره من حيث اللغة فهم أهلُ اللسان فلا شك في اعتماده، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه." [1].

وهذا الضابط المذكور ضروري؛ أما أولا: فلِما يجب من التحفظ والتحرز فيما يفسر به كلام الله، وأما ثانيا وهو فرع عن الأول فلكثرة الوضع والكذب في نسبة التفسير إلى الصحابة وخصوصا ابن عباس. قال ابن عاشور: " والحاصل أن الرواية عن ابن عباس، قد اتخذها الوضَّاعون، والمدلّسون ملجأ لتصحيح ما يروونه، كدأب الناس في نسبة كلّ أمر مجهول من الأخبار والنوادر، لأشهر الناس في ذلك المقصد."[2].

وبالتتبع لمختلف التفاسير يتبين أن المفسرين إنما كانوا يسيرون على وفق ما عرف من الرجوع أولا إلى ما وقع بيانُه في نفس القرآن، ثم إلى ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم مهما وجد، وإلى ما نقل عن الصحابة من التفسير ثم رؤوس التابعين، ثم النظر الصحيح المبني على ما ذكر، وعلى اللغة والقرائن ومعرفة الناسخ والمنسوخ...

والرجوع إلى ما تقتضيه لغة العرب طريقٌ واضح يضاف إلى ما ذكر، وكثيرا ما كانت مباحث العربية مرجّحا قويا، وداعما أساسا للخوض في التفسير؛ ولأجل ذلك قال الشيخ أبو راس الناصري: " واستمدادُ ذلك من علم النحو، واللغة والتصريف والبيان والأصول، والقراءات إلى غير ذلك من معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ."[3]. وذلك أن خطاب القرآن وقع بناؤه على ما عرفته العرب من أسلوب الكلام وطرائق البيان.

---

[1] – البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (دار الفكر ــ سوريا ــ ط: 03. 1980م) ج2 /149.

[2] – التحرير والتنوير، ابن عاشور. ج1/ 14.

[3] ــ الإبريز والإكسير في علم التفسير، لأبي راس الناصري. لوحة 05.

أ- تفسير القرآن بالقرآن.

هذا اللون من التفسير وجد مبكرا وفي المحاولات الأولى للتفسير، فإن كثيرا مما " أُوجزَ في مكان قد يُبْسطَ في مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبيَّن في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييدُ في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيصُ في آية أُخرى."[1]. وهذا من أحسن البيان وآكدِه. ومثالُه " أن يُحمل المجمَل على المبيَّن لِيُفسَّر به ...{أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ}.. فسرتها آيةُ {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} الآية [3] من السورة نفسها."[2]. فهذا إذا كان واضحا هنا، فإنه في أماكن أخرى يحتاج إلى نوع نظر واجتهاد لأجل صحة حمل اللفظ المطلق على اللفظ المقيد."[3].

وقد ورد في السنة بيان لذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ). " تخصيصه صلى الله عليه وسلم الظلمَ في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) بالشرك، فإن بعض الصحابة فهم أَن الظلم مراد منه العموم، حتى قال: وأيُّنا لم يظلمْ نفسَه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ليس بذلك، إنما هو الشركُ."[4]. يريد بذلك قوله تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنَه (لا تشركْ بالله إن الشركَ لظلمٌ عظيم).

ففي تفسير الثعالبي يوجد مثال لذلك في بيان قوله تعالى " (مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ)[فاطر:10]، يفتحُ وجوه الاحتمال بإمكان أَنْ يُرِيدَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ بِمُغَالَبَةٍ فَلِلَّهِ العِزَّةُ: أي: لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ وَلاَ تَتِمُّ إلاَّ بِهِ، وَنَحَا إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَقَالَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ."[5]. وتممه بنقل قول ابن عطية وهو الشاهد في التمثيل: وَهَذَا تَمَسُّكٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (واتخذوا مِن دُونِ اللهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً) [مريم: 81]."[6].

وعند محمد بن يوسف السنوسي أمثلة، وإن كانت محدودة لمحدودية ما تمَّ العثور عليه من منتجه في التفسير إلا أنها تشير ولو من بعيد إلى أصالة هذا المسلك عند هذا الإمام وعند غيره عموما، كما يظهر مثلا في تفسير قوله تعالى (المغضوب عليهم) فقد قال: " فالمغضوب عليهم يحتمل أن يكونوا هم الذين عرفوا استقامةَ ذلك الطريق، وسهولتَه وقربَه ثم تنكَّبوا عنه؛ إما كبْرا أو حسدا لمن دعا إليه، أو إيثاراً للدَّعة أو الرياسة، أو التمتع بالشهوات. وإن هؤلاء اليهود فإنهم عرفوا الحقّ وتنكَّبوا عنه، كما قال تبارك وتعالى (فَلَمَّا

---

[1] – التفسير والمفسرون، المرجع السابق. 1 / 31.

[2] – التفسير والمفسرون. ج1 / 31.

[3] – التفسير والمفسرون، ج 1 / 33.

[4] – المرجع نفسه، ج1/ 36 .

[5] – الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمان الثعالبي (المؤسسة الوطنية للكتاب ــ الجزائر ــ ط:02. 1982م) ج 3/ 249.

[6] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه 3/ 249.

جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّه عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ)."[1].

وفي تفسير سورة الفاتحة وهو الأثر التفسيري الوحيد للمغيلي الذي وصل إلى أيدي الباحثين تجده يعود في ترجيح أن المراد بـــ(المغضوب عليهم) اليهود، وأن (الضالين) هم النصارى. وهو تفسير ثابت في الأثر يعود إلى تأييد الغضب والضلال المذكورين بنصوص آيات أخرى تثبت ذلك لهم، فقد قال في قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ما نصه: " وفسر هنا ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد رضي الله عنهم (المغضوب عليهم) باليهود، و(الضالين) بالنصارى. ورواه عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم." [2].

و لم أجد لأحمد التجاني أمثلة واضحة لكون تفسيره لا يقف عند الظاهر فلا يندرج فيما البحث فيه؛ بل تكون الآيات المتعلقة بالمعنى الإشاري الذي يسوقه للآية المراد تأويلها من قبيل الاستئناس. ومع ذلك أذكر المثال التالي فقد قال وقد سئل عن تفسير قوله تعالى (ولنبلونَّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوَ أخباركم) فذكر ما نصه: " البلاء على ضربين بلاء يكون امتحانا واختبارا، مثل قوله تعالى (ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب)[المائدة: 94]. ومثل قوله تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) [محمد:31]. وأما البلاء غير الامتحان فيه مجرد العذاب مثل قوله سبحانه وتعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ)[البقرة: 214]."[3]. فهذا كما تراه رجوع إلى الآيات بمناسبة التفسير، ولكنه رجوع استدلال على المعنى الذي يتجه إليه المفسر لا رجوع بيان ما تفيده الآيات المسوقة للتفسير والتوضيح.

وأحيانا يكون تفسير القرآن بالقرآن على سبيل الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض، فعند أبي راس مثلا تجده بعد أن يقرر أن لا تعارض بين القرآن وبعض حقائق علم الفلك يقول: "(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ)[فصلت:12] بدلٌ أو تفسيرٌ. فإن قيل: إن أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعةَ أفلاك؟ قلت: فيما ذكروه شكوك، وإن صحّ فليس في الآية نفيٌ الزائد، مع أنه إن ضمّ إليها العرش والكرسي لم يبق خلاف. تنبيه: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء قبل الأرض، وقوله (والأرض بعد ذلك دحاها) ظاهره خلاف ذلك. والجواب أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك."[4]. وتفيد أنه لا تعارض أيضا بين الآيات القرآنية فيما تفيده من المعاني بما في ذلك معاني الترتيب في حقائق المذكورات.

---

[1] – تفسير سورة الفاتحة للسنوسي ضمن المواهب القدوسية للملالي الفصل الخامس.

[2] – شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، الدكتور علال بوربيق (مؤسسة البلاغ ـــ الجزائرـــ 2013م) 235.

[3] – تفسير التجاني ضمن كتاب جواهر المعاني (المكتبة العصرية ـــ صيدا لبنان ـــ ط: 01. 2002م.) ج101/1.

[4] – الإبريز والإكسير، لأبي راس لوحة: 28.

وفي المواقف للأمير عبد القادر وهو وإن كان تفسيرا لا يقف عند حدود الظاهر، إلا أنه يمكن ملاحظة مدى ما يمثله الرجوع إلى الآيات من مستوى لدى تقرير ما تحتمله الآية المراد تفسيرُها من وجوه المعاني كما يبدو ذلك في تأويل قوله تعالى (أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبصارَ)[يونس:31]: " يتصرف فيهما تصرف المالك، فتسمع وتبصر الشيءَ على حقيقته، وعلى ما هو عليه إذا شاء إسماعَها وإبصارها، فلا تسمع ولا تبصر الشيء على حقيقته وعلى ما هو عليه، وهي موجودة من غير آفة ظاهرة. ألا ترى المحجوبين الجاهلين كيف يسمعون كلام الحق سبحانه ولا يسمعونه؟ أعني لا يعرفونه. وإذا انتفتْ فائدةُ السمع فقد انتفى السمعُ لانتفاء المقصود منه. فقد ملك الحق سبحانه سمعه وصرفه عن معرفة المسموع كلام من هو؟ وكذلك يبصرون الحق تعالى ولا يعرفونه، فانتفى البصر لانتفاء فائدته. فقد ملك الحق أبصارهم وصرفها عن معرفة المبصَر من هو؟ (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)[الأعراف: 198]."[1]. والآية الأخيرة مسوقة أساسا لتأكيد معنى أن السمع والأبصار بيد الله، ولو شاء سلبها لكان له ذلك لا معقّب لحكمه. ودلالتها على ذلك غير مباشرة كما ترى.

وأسوق للشيخ اطفيش الإباضي وهو من شيوخ التفسير والمتوسعين في التفسير فيه مثالا عند قوله تعالى (إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيب مِنَ المُحْسِنِينَ) " ترجيح للطمع، ولاسيما عند الاحتضار، وتنبيه على ما يتوسل به إلى الإجابة والقبول وهو الإحسان. لم تذكَّر الرحمة لإضافتها إلى غير مؤنث لأنها ذكرت ولا إضافة إليه في قوله تعالى (إِنّ السّاعةَ قريبٌ)، وأيضاً هذا مختص بالشعر. وأُجيز العكس بل ذكر لتأويله بالرُّحم بضم الراء كما في قوله تعالى (وأَقربَ رُحماً) أَيْ: رحمة."[2]. والشاهد هنا ليس في تفسير الآية المراد تفسيرها وإنما لغرض لغوي وهو تذكير (قريب) مع أن الكلام في الرحمة وهي مؤنثة لفظا. وساق لها المفسر نظائر من القرآن تثبت ما ذهب إليه وهو واضح.

وبالعودة إلى الشيخ الخضر حسين وهو من مفسري الظاهر الواقفين عند حده تجده على اختصار تفسيره يعود في تقرير معنى الآية إلى ما يؤكد ذلك ويوضحه من غيرها من الآيات كما فعل عند قوله تعالى (يحبُّونهُم كَحُبّ الله) فقد قال ما نصه: " الحبُّ: ميلُ القلب إلى الشيءِ. والضميرُ (هم) عائدٌ إلى قوله تعالى (أندادا)، وورود في صيغة ضمير العقلاء ظاهر في أن المراد من الأنداد في الآية: من بلغ الجهال في تعظيمهم حدَّ العبادة، أو كانوا يطيعونهم في أمر التحليل والتحريم الإطاعة الواجبة لله؛ كما حكى الله عنهم ذلك بقوله تعالى (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)."[3]. وواضح ما تشير إليه الآية من بيان معنى الندّية.

ونفس المسلك يجده المطالع عند ابن باديس وهو من المتأخرين أثناءَ الحديث عن قوله تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن... خير وأحسن تأويلا)[الإسراء: 34-35] فقد ساق الآية التي تشير إلى الأشد

---

[1] – المواقف للأمير عبد القادر، تحقيق: عبد الباقي مفتاح (دار الهدى الجزائر _ 2005م) ج 129/1.

[2] – تيسير التفسير، محمد بن يوسف اطفيش، نسخة إلكترونية. ج 3 / 146.

[3] – أسرار التنزيل، ضمن الأعمال الكاملة للخضر حسين الجزائري. ج 295/1.

وتحدده بسنّ معين " ... وقد جمع العلامتين قولُه تعالى (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح...إليهم أموالهم) [النساء: 05]...كما قال تعالى (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة) [الأحقاف:15]...]"[1].

ويوجد في تفسير الشيخ أحمد بن عليوة خصوصا البحر المسجور أمثلة ولو محدودة لرجوعه للآيات المختلفة التي تبين معنى الآية المراد تفسيرها ربما لاختصاره أولا، وأيضا لكون تفسيره موضوعا أساسا لإفادة المعاني التأويلية التي تتجاوز الظاهر، على الرغم من أن تفسيره البحر المسجور ينصُّ على الظاهر ويقرره في كل آية قبل تأويلها على ما هو معلوم من منهجه رحمه الله تعالى.

ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير لفظة (كلماتٍ) من قوله تعالى (فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ) فقد فسرها بما فسرتها الآية من سورة الأعراف وهو في ذلك تابع لباقي المفسرين ونص كلامه: " فتلقى آدم من ربه دون حواء (كلمات) وهي قوله: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)، (فتاب عليه) وعلى حواء بالتبعية..."[2].

وتجد للشيخ بيوض من مفسري الإباضية عند قوله تعالى (وكانوا بشركائهم كافرين) ما نصه: " وهذا كما قال في آية أخرى (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ)[فاطر: 14]، يقول الكافر لمعبوده: لقد عبدتك في الدنيا، فيقول المعبود: لا أعرفك ولا تعرفني. وهذا يجليه بوضوح قوله تعالى (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) [البقرة: 166]."[3]. وهي تبين أن معنى الكفر بالشركاء يكون بالبراءة منهم وهو تأكيد أقرب إليه من أن يكون بيانا.

وعند تفسير قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الأعراف: 57] تجد الشيخ سعيد كعباش وهو من مفسري الإباضية أيضا بعد أن قرر كلاما في تفسيرها قد ساق من الآيات ما هو في المعنى العام بيانٌ لما تضمنته، كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} [الشورى: 28]، وقوله تعالى {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} [فاطر: 9]، وقوله أيضا {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } [الواقعة: 68 - 70].

وعند محمد بن عبد الكريم وهو من المفسرين المعاصرين وتفسيره ظهر حديثا لا يستشهد بالضرورة بالآيات لتوضيح معنى أو تأكيده بل لبيان ما تفيده بعض الحروف وما تتعدى به إلى غيرها من الكلمات، تفريقا بينها وبين ما تتعدى إليه بعض الحروف في نفس السياق. كما في قوله " التوجيه الثالث أن (عفا)

---

[1] - مجالس التذكير، لابن باديس، المرجع نفسه: 10.

[2] - البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، لمصطفى بن عليوة، (المطبعة العلاوية، الجزائر، ط:01، ب ت) ج 119/1.

[3] - في رحاب القرآن، للشيخ بيوض. تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بلحاج (المطبعة العربية، غرداية - الجزائر - 2001م) 94/10.

يتعدى بـــ (عن) إلى الجاني وإلى الجناية، يقال: عفوتُ عن فلان، ويقال عفوتُ عن سيئات فلان. قال الله تعالى (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) [البقرة:187]، وقال أيضا (وهو الذي يقبلُ التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات) [الشورى:25] "[1].

وإن آخر ما اطلعتُ عليه من تفاسير المعاصرين، وقد صدر حديث أيضا تفسير الشيخ التواتي بن التواتي، وهو تفسير حريٌّ به أن يعود في بيان الآيات إلى آيات في مواضع أخرى بنفس المدلول أو بمدلول متقارب لكونه اهتم بالقراءات، وهي مناسبة لسوق الآيات بجانب بعضها؛ بغرض كشف المعاني أو تأكيدها كما في تفسير قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) فقد قال: " لم يذكر لحمده هنا ظرفا مكانيا ولا زمانيا، وذكر في سورة الروم أن من ظروفه المكانية: السماوات والأرض في قوله: (وله الحمد في السماوات وفي الارض)،[الروم: 18]، وذكر في سورة القصص أن من ظروفه الزمانية: الدنيا والآخرة في قوله (وهو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة)[القصص: 70]، وقال في أول سورة سبأ (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [سبأ: 1]."[2].

ب – تفسير القرآن بالسنة النبوية:

وثاني ما ينظر فيه المفسر بعد نظره في القرآن أن يبحث في كتب السنن والمسانيد عمّا عسى أن يكون قد فسّر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سور القرآنَ وآياتِه، فقد ثبتَ عنه من وجوه كثير أنه فسّر لأصحابه آياتٍ كثيرةً، وقد صح من ذلك شيءٌ لا بأس به، يرسم معالمَ واضحةً للمفسر. قد ذكر السيوطي في الإتقان[3] ما ملخصه أن الظلمَ المذكور في قوله (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) [الأنعام:82] هو الشرك، وأن الحساب اليسيرَ في قوله تعالى (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)، وهو العَرْضُ، وأن الخيط الأبيض والخيط الأسود هما بياض وسواد الليل، وأن الذي (رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) [النجم:13]أنه جبريل...وغير ذلك كثير.

وقد روى الثعالبي في تفسير قوله تعالى (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) [البقرة:238] ما يبين ذلك من السنة النبوية ففي «الموطَّأ» عن يَحْيَى بْنِ سعيدٍ؛ أنه قال: " بلَغَني أَنَّهُ أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ العَبْدِ الصَّلاَةُ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ، نُظِرَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنْ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ، لَمْ يُنْظَرْ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ.". قال أبو عمر بن عبد البَرِّ في كتاب «التمهيد»: وقد رُوِيَ هذا الحديثُ مسنَداً عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ وجوهٍ صِحَاحٍ، ثم أسند أبو عمر عن أَنَسِ بنِ حكيمٍ الضَّبِّيِّ، قال: قَالَ لِي أبو هُرَيْرة: إذا أَتَيْتَ أَهْلَ مِصْرِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ المُسْلِمُ صَلاَةُ المَكْتُوبَةِ، فَإِنْ أَتَمَّهَا وَإِلاَّ قِيلَ: انظروا، هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، أُكْمِلَتِ الفَرِيضَةُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الأَعْمَالِ

---

[1] – توجيهات القرآن الكريم، محمد بن عبد الكريم (مؤسسة للنشر والتوزيع ـ 2011ـ الجزائر.) 242/2.

[2] – الدر الثمين، التواتي بن التواتي (مطبعة رويغي الأغواط – الجزائر – ط: 01، 2011م.) ج 153/1.

[3] – الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي.ج111/1.

المَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ.". وفي روايةِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ بهذا المعنى. قال: " ثُمَّ الزَّكَاةُ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ على حَسَبِ ذَلِكَ . انتهى ."[1].

وتجد مثل ذلك عند السنوسي في تفسير قوله (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: 153]، فقد نقل قول عبد الله بن مسعود " خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، وخط عن يمينه وشماله خطوطا، وقال هذه سبيلي، وهذه سبيل، وعن كل سبيل منها شيطان يدعو إليها احبسوا إلى دين الإنس يريدون بها أهل البدعة، ثم تلا هذه الآية (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ). قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لعبد الله بن مسعود: يا أبا عبد الرحمان: ما الصراط المستقيم؟ فقال: هو رب الكعبة الذي وجدت عليه أباك، حتى دخل الجنة، ثم حلف على ذلك ثلاثا. قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)[الأنعام: 159]، يا محمد.". والآية الأخيرة تفيد معنى ما تفيده الآية المفسرة من التمسك بالصراط الواحد لاستقامته، وترك التفرق فيه.

وأيضا نقل الخزرجي التلمساني في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)[فاطر: 32] عن " أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال: كلهم في الجنة.". وروينا في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نحن الأولون الآخرون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة.". وفي رواية لمسلم أيضا " نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلق.". وخرج ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يوم القيامة يقال أين الأمة الأمية ونبيها؟ فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غرًّا محجّلين من آثار الطهور. فتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها.". وروينا في سنن أبي داوود قال أنا عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، وإنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل.". انتهى."[2].

ومثال ذلك أيضا ما ذكره المغيلي في تفسير سورة الفاتحة وهو الأثر الوحيد الذي وصل إلى يد الباحثين حديثا في فضل الفاتحة فقال ما نصه: " وكفى دليلا على عظيم فضلها قول النبي صلى الله عليه وسلم فيها: " لم يترل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها."."[3].

---

[1] – تفسير الجواهر الحسان، المصدر السابق. ج1/ 141.

[2] – المعيار المعرب، للونشريسي (دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:02، 1985م) ج 11/310-311.

[3] – تفسير سورة الفاتحة للمغيلي، مخطوط خاص لوحة: 02.

وأعود لأبي راس لأشير إلى ما أورده من الرواية الثابتة في تفسير قوله تعالى: (ولن يتمنَّوْهُ أبدا بما قدمتَ أيديهم) من موجبات النار كالكفر بمحمد وتحريف التوراة، وفي الحديث: " لو تمنَّوُا الموتَ لغصَّ كلُّ إنسان بريقه فماتَ مكانَه، وما بقيَ يهودي على وجه الأرض. "[1].

وفي نص آخر يورد أبو راس حديثا في تفسير قوله تعالى " ﴿ربَّنا وابعَثْ فيهم﴾ أو في الذرية المسلمة (رسُولا منْهم) من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءهما[2] بمحمد صلى الله عليه سلم كما قال: " أنا دعوة إبراهيم"[3] ". على أن هذا الحديث يبين استجابة الله لدعوات الخليل أكثر من أنه بيان لألفاظ الآية أو لأحكامها.

ولا يفوتُ الأميرَ عبد القادر وهو بصدد الإشارة إلى المواقف التي اختارها من مجمل القرآن أن يعود إلى الحديث النبوي كلما كان ضروريا لإفادة معنى أو تأكيده كما فعل ذلك عند قوله تعالى (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) [سورة ص: 38]؛ كان سليمان عليه السلام قال: لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة تحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله. فلم يقلْ إن شاء الله؛ فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق إنسان. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه."[4].

وأعود للشيخ اطفيش تحت هذا العنصر لأجل بيان أنه في تفسيره أسوةٌ بغالب المفسرين يعود عند تفسير الآي إلى ما وقع في السنة كلما صحّ الحديث، ولا يفوته أن يصرح بذلك كما في قوله في الموضع الأول عند تفسير قوله تعالى (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) [مريم: 52]. فقد قال: " روى سعيد ابن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير والحاكم، وصححه وغيره عن ابن عباس: « أن جبريل عليه السلام أردفَ موسى حتى سمع صريرَ القلم والتوراة تكتبُ له » أي كتابة ثانية؛ لأن في الحديث الصحيح الوارد في شأن محاجّة آدم موسى عليهما السلام: « أن التوراة كتبت قبل آدم بأربعين عاماً » فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خُصّ بالمعراج الأكمل لا بالمعراج مطلقاً، وقيل (نجياً) بمعنى ناجياً عن المهالك بصدقه. روى عن قتادة وهو بعيد . "[5].

وإن الشيخ الخضر حسينا على طريقته في اختصار المعاني، وتقريرها دون الإكثار من الآيات ذات المعنى المشترك أو الأحاديث وأقوال المفسرين، قد عاد ولو في مرات محدودة جدا إحداها في هذا النص إلى حديث يستأنس به لمعنى قرره للآية (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) " التبديل التغيير: " وكلا المغيِّرين لما أمر الله به من قول أو فعل ضال مستحق لأن يكون مصيره سوء العذاب؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته كما ورد في صحيح مسلم: " فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور

---

[1] – إسناده ضعيف، تخريج أحاديث الإحياء للعراقي. ج 6/ 183.

[2] – في الأصل دعاه.

[3] – الإبريز لأبي راس. لوحة: 72. صحيح برقم: 1463 في صحيح الجامع للألباني.

[4] – المواقف، للأمير عبد القادر، المصدر نفسه. ج162/1.

[5] – تفسير اطفيش، للشيخ اطفيش. نسخة إلكترونية. ج 497/5.

محدثاتها، وكل بدعة ضلالة."، وفي رواية النسائي: " وكل محدثة بدعة، وكل بدعة في النار. "."[1]. إذ تشترك الآية والحديث في خطورة تبديل كلام الله أو أحكامه، وأن ذلك من الظلم والبدع المؤدية للهلاك.

وهو شيء فعله ابن باديس في مناسبات عديدة لكنها تبقى دائما محدودةً، لنفس السبب وهو الاختصار وقلة ما وصل إلينا من تفسيره، ثم حرصه على الاقتصار على تقرير المعاني العامة كما يفيدها ظاهر اللفظ. انظر ما قاله عند تفسير قوله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر....)[الفرقان:68] ما نصه: " ثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم أن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبرُ (عند الله)؟ قال: أن تدعو لله ندا وقد خلقك. قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة من أن يطعم معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك." قال: تواردت الآية والحديث على في الإثم الأول على شيء واحد، وتواردا أيضا في الثاني والثالث إلا أن في الحديث ذكر فرد من العام هو شر أفراده وأكبرها إثما، وفي الآية ذكر العام." [2].

وعند الشيخ إبراهيم بيوض رجوع إلى الأحاديث ساعة التفسير، ولكنه يأخذ غالبا شكل الاستئناس والتوسع في معنى ظاهر اللفظ. وربما كان الحديث المسوق بيانا لكيفية أجملها القرآن، وهو ما يهمنا هنا أكثر، كما في قوله تعالى (وكذلك تخرجون) قال ما نصه: " نحن الآن كذلك نباتٌ على ظهر الأرض نكبر، وننموا ثم نموت ونيبس وتدخل بذورنا الأرض، حتى إذا أراد الله إنباتنا أحيانا ولذلك يقول بعض الحكماء والعلم عند الله إن الله إذا أراد أن يبعث الناس بعد البرزخ يترل على الأرض ماء فيخرج الناس منها كما يخرج النبات. هذا ما قال البعض ولا ندري أهو حق أمْ لا؟، وهل تكون حياتنا على هذا النحو أم على نحو آخر؟ فالمثال واحد؛ إذ لكل واحد منا مكان في الأرض يدخل فيه إذا مات. وفي الحديث: " إن الإنسان يفنى كله ولا يبقى منه إلا عجم الذنب، أو عجب الذنب."."[3].

والذي يبدو أن المعاصرين كانت الصفة الغالبة على تفاسيرهم تقرير المعاني كما تفيدها الألفاظ الشريفة، وجريا على المشهور من عمل المفسرين، وما انتهت إليه تقريراتهم من المعاني المتبادرة، سعيا إلى توحيد المعنى المستفاد، وترك التشويش عليه بكثرة الأقوال، والروايات. انظر مثلا إلى الشيخ أبي بكر الجزائري عند تفسير قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت...)[النساء: 60-61]فقد نقل ما نصه: " روي أن منافقا ويهوديا اختلفا في شيء فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم لعلمه أنه يحكم بالعدل ولا يأخذ رشوة، وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فتحاكما إلى رسول الله صلى الله عليه سلم فقضى لليهودي فترلت فيهما هذه الآية..."[4]. وهو سبب نزول الآية كما هو ثابت؛ لذلك اضطر المفسر إلى اللجوء إليه ولا يفعل ذلك في جميع المناسبات.

---

[1] – أسرار التنزيل، للخضر حسين، المرجع السابق. 112/1.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 218-219.

[3] – في رحاب القرآن، للشيخ بيوض (نشر جمعية التراث ــ غرداية ــ الجزائر ــ 2001م) ج 137/10.

[4] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 500/1.

وفي البحر المسجور لابن عليوة وعند قوله تعالى (ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى)[1] ينقل حديثا يستدل به لما رآه من ثبوت الرؤيتين القلبية والبصرية للنبي صلى الله عليه سلم لربه في المعراج، وهي مسألة الخلاف فيها مشهور حتى بين الصحابة. وهذا هو نص ما ذكره:" وتحصل من هذا أن محمد صلى الله عليه وسلم اجتمع له الرؤيتان معا القلبية والبصرية، قال في الأولى (ما كذَبَ الفؤادُ ما رَأى)، وفي الثانية (ومَا زاغَ البَصرُ وما طَغَى). ومن هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام: " رأيت ربي بعيني وبقلبي." [2]."[3].

وطريقة الشيخ محمد بن عبد الكريم المتبعة في تفسيره بعد شرح الألفاظ وتقرير المعنى الإجمالي للمقطع المراد تفسيره أن يسرد توجيهات الآية، ويذكر تحت كلّ توجيه غالبا جملة من الأحاديث معزوّة إلى مخرجيها. وهي طريقة يلتزمها على طول تفسيره، كما فعل ذلك مثلا عند تفسير قوله تعالى (إنّ في خَلْق السَّماوات والأرض واخْتلاف اللّيْل والنَّهار)[البقرة: 164] ما نصه: " التوجيه الأول: روي عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم)، فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله (إنّ في خَلْق السَّماوات والأرْض) إلى قوله (لقَوْم يَعقلُونَ). وروي عن أبي الضحى أنه قال لما نزلت (وإلهكُم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هوَ الرحمانُ الرَّحيمُ) تعجب المشركون وقالوا: إله واحدٌ؟ لئن كان صادقا فليأتنا بآية، فأنزل الله (إنّ في خَلْق السّماوات والأرض) إلى قوله (لقوم يعقلون)."[4].

وأقف عن آخر المفسرين الجزائريين في حدود ما اطلعت عليه وهو الشيخ التواتي بن التواتي، فقد ذكر نص دعاء آدم عليه السلام تفسيرا للفظ (كلمَاتٍ) من قوله تعالى (فتلقَّى آدمُ من ربِّه كلماتٍ فتابَ عَليه)، وساق المفسر " عن بُريدة وهو سليمان عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لما أهبط الله آدم إلى الأرض طاف بالبيت سبعا، وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما عندي فاغفر ذنوبي، أسألك إيمانا يباشر قلبي، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي. قال فأوحى الله إليه إنك قد دعوتني بدعاء أستجيب لك فيه ولمن يدعوني. وفرجت همومه وغمومه، ونزع فقره من بين عينيه، وأجرت له من وراء كل تاجر زينة الدنيا وهي كلمات عهد وإن لم يزدها.". رواه الطبراني في معجمه الكبير، وفي جامع المسانيد والسنن."[5]، وهي مصادر يبعد أن تكون أحاديثها ثابتة وخصوصا بهذا السياق.

وفي موضع آخر نقل عن السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مُرَّة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى (فلما أضاءت ما حوله) " زعم أن ناسا دخلوا الإسلام مقدمَ نبي

---

[1] – سورة النجم: 11.

[2] – الحديث في مسند أحمد بن حنبل. ج 184/3.

[3] – لباب العلم في تفسير سورة النجم لابن عليوة (المطبعة العلوية ــ الجزائر ــ بدون تاريخ): 20.

[4] – توجيهات القرآن الكريم، للدكتور محمد بن عبد الكريم (ــ الجزائرــ ط:01. 2014م) ج 223/2.

[5]– الدر الثمين، للدكتور التواتي بن التواتي. ج436/1.

الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ثم إنهم نافقوا فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد نارا فأضاءت ما حوله من قذى أو أذى فأبصره..." [1].

ج- تفسير الصحابة للقرآن:

ومما يرجع إليه المفسّر للقرآن الكريم ما وصلنا من تفسير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عدَّ البسيليُّ وغيره منهم جملة تقدم ذكرُهم أعلاه، وأكثرهم رواية وقولا في التفسير سيدنا عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود. فقد فسروا من القرآنَ خصوصا ابنَ عباس شيئا كثيرا رغم وجود بعض الروايات التي تثبت تحفظَهم في التفسير بل نهيَهم عنه. ففي الحديث عن ابن عباس مرفوعا: "...ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار."[2]، وحديث جندب: " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ." [3]، وما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: " أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلتُ في كتاب الله ما لم أعلم." [4]. إلا أنه قد نقل عنهم من التفسير الشيءُ الكثير؛ مما يدل على أنهم حملوا النهي الواردَ على تفسير القرآن بمجرد الرأي أي " بالهوى فهو يجرُّ القرآن جرا لتأييد ما يهواه ويميل إليه من فكر. وبهذا يصبح القرآنُ تابعا لا متبوعا، ومحكوما لا حاكما، وفرعا لا أصلا. أي أن الآراء والمعتقدات والمذاهبَ هي التي تجعل من يفسّر الآيةَ أو يحتجّ بها، يلوي عنقَها ليًّا لتأييد ما يراهُ ويعتقدُه."[5].

أو يكون المراد بها ما ذكره ابن تيمية: " أن يهجم على تفسير القرآن دونَ أن يتأهل له بما يلزم من أدوات التفسير، وشروط المفسر من استحضار سائر القرآن، وما صحّ من الحديث، وما جاء عن الصحابة من أسباب النزول ونحوها، وما نبه عليه مفسرو السلف من حذف وإضمار وتقديم وتأخير، ونحو ذلك مما يخرج بالألفاظ عن ظاهرها." [6].

وإن الصحابة لأهلٌ في عمومهم للقول في التفسير، وبيان المراد منه لمن سألهم عنه، أو قاموا ببيانه في تعليم المسلمين ابتداء من غير سؤال، أو في مقام الاحتجاج على من خالف أو جهل معناه ممن عاصرهم أو دخل الإسلام في زمانهم، وكل ذلك ببركة سعيهم وواضح قصدهم. يدل على تلك الأهلية ما أثر عنهم ووصل إلينا في بطون كتب الحديث، وكتب التفسير. والسبب في ذلك ما توفر لهم من الصفات العلمية مثل " قوتهم في اللغة العربية، وإحاطتهم بمناحيها وأساليبها، وعدم تحرجهم من الاجتهاد وتقرير ما وصلوا إليه باجتهادهم، ومخالطتهم للنبي صلى الله عليه وسلم مخالطة مكّنتهم من معرفة الحوادث التي نزلت فيها آيات القرآن."[7].

---

[1]- الدر الثمين، المرجع نفسه. ج 436/1.

[2]-كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه راه الترمذي وقال هذا حديث حسن.

[3]- أخرجه أبو داود في كتاب العلم: باب الكلام في كتاب الله بغير علم: ج320/3. وفي بعض رواته مقال.

[4] - تقدم تخريجه قريبا.

[5]- كيف نتعامل مع القرآن العظيم، القرضاوي (دار الشروق ــ سوريا ــ ط:04. 2005م) 210.

[6]- أصول التفسير لابن تيمية، المرجع نفسه. 108.

[7] - التفسير والمفسرون للذهبي، المرجع نفسه. 2 / 13.

وتفسير الصحابي وإن كان أمرا مختلفا فيه في الجملة إلا أنه عند التفصيل يمكن التفريق فيه بين ما ينقل عنه إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، وكل ما ليس للرأي فيه مجال؛ فهذا من قبيل الحديث المرفوع إنما يكون البحث عن صحة سنده لا غير. فإن صحّ لم يجز رده اتفاقاً، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال. فقد قال الحكم :" فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند."[1].

وما حكم عليه بالوقف على الصحابي فهو " من اجتهاده فقد لا يقبله فريق لأنه لَمَّا لم يرفعه، عُلِم أنه اجتهد فيه، والمجتهد يُخطئ ويُصيب، والصحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين. وقَبِله فريق وألزموا الأخذ به والرجوع إليه، لظن سماعهم له من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأنهم إن فسَّروا برأيهم فرأيهم أصوب؛ لأنهم أدرى الناس بكتاب الله، إذ هم أهل اللسان، ولبركة الصحبة والتخلق بأخلاق النبوة، ولِمَا شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختُصوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس وغيرهم.[2].

وبالرجوع إلى كتب التفسير وجدت الثعالبي أكثر المفسرين رجوعا إلى قول الصحابة، وبداية من ابن باديس وهو من المفسرين المتأخرين حيث لم يتكرر ذكر عبد الله بن عباس سوى عشر مرات، وذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما كذلك، وهو نفس ما تجده عن أبي بكر جابر الجزائري إذ لم يتجاوز العدد المذكور العشر مرات، وهو يدل على أمور منها:

– أن تفاسير المتأخرين لم تقم على معاني الرواية من ذكر الأسانيد، وتصحيحها، وتعداد القائلين بالتفسير قلّوا أو كثروا.

– وأيضا أن معانيَ التفسير كانت قد استقرت، وإنما يعتمد في الغالب على المعنى اللغوي وما تفيده اللغة مباشرة، وهو قريب مما يفيده ظاهر الآيات، وما يدعمها من آيات أو أحاديث، وغالب ذلك يكون قد قال به مفسرون من كبار الصحابة والتابعين، والمشاهير من أهل اللغة، والمعتمد من كتب التفسير كالرازي والبيضاوي، وابن عطية.

وأستعرض شيئا من المواضع تبين ذلك الإجمال، وتدل بالمثال على طريقة المفسرين محل الدراسة والتعريف في الرجوع إلى قول الصحابي في التفسير، وهل ذلك مطلقا أو حيث يظن أن ما ارتآه الصحابي هو من المرفوع.

ذكر المغيلي في تفسير سورة الفاتحة على اختصاره موضعا واحدا عند قوله تعالى (غَيْرِ المغْضُوب عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّينَ) فقد قال ما نصه: " وفسر هنا ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد رضي الله عنهم

[1] – معرفة علوم الحديث للحاكم (دار الآفاق الحديثة ـــ بيروت ـــ ط:01، 1980م) 1/ 36.

[2] – التفسير والمفسرون للذهبي، المرجع السابق. 25/2.

(المغضوب عليهم) باليهود، و(الضَّالينَ) بالنصارى. ورواه عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم." [1]. وأنت ترى أن ما فسر به الصحابي قد ثبت مرفوعا من طريق غيرهم، وهو ما يؤيد أن تفاسيرهم ربما كانت إلى المرفوع أقرب إلا أن يدل دليل، كاختلافهم على أقوال متغايرة.

وكذلك عند الشيخ أبي راس فعلى اختصار تفسيره وكونه لم يتعد الحزبين من القرآن أي الجزء الواحد نمثل له بموضعين الأول عند قوله تعالى " ﴿ صراطَ الذينَ أنْعمْتَ عَليهمْ ﴾ بالهداية بدلٌ مما قبله بدلُ الكلِّ من الكل، وهو في حكم تكرير العامل من حيثُ أنه المقصودُ بالنسبة، وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكَدِ وجْهٍ وأبلغِه. والمُنْعَمُ عليهم قال ابن عباس هم النبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالحون."[2]. وما قال ابن عباس رضي الله عنه هنا يؤيد ما قررته من قبل أن تفسيرهم ربما كان راجعا أكثر إلى ما فهموه من القرآن أو ثبت عندهم من بيان الرسول؛ فإن قول ابن عباس: يشير إلى قوله تعالى (الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).

وفي نص آخر ينقل عن ابن مسعود رضي الله عنه تفسير (يجعلون أصابعهم في آذانهم)[سورة البقرة:] فقد فسر الألفاظ بما اختاره ونقل عن ابن مسعود ما ختم به النص التالي" ﴿يجعلون﴾ أي أصحاب الصيّب ﴿أصابعهم﴾ أي أناملها ﴿في آذانهم﴾ أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة، فهو مجاز مرسل علاقته الكلية والجزئية أراد به المبالغة من أجل الصواعق لئلا يسمعوها. جمع صاعقة وهي: قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه. الصعق: وهو شدة الصوت، يقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت. وقرئ من الصَّوْعق. وقال ابن مسعود: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن." [3]. والشاهد فيه تفسير عبد الله ابن مسعود، وظاهر أنه حكاية واقع كان عليه المنافقون زمن النبوة رآه السيد عبد الله ابن مسعود وعاينه.

ولم أطلع في حدود بحثي في المواقف للأمير عبد القادر على مثال في الرجوع إلى قول صاحب في بيان معنى آية؛ فإن مفسر المواقف وإن كان لا ينفي الظاهر إلا أنه لا يعود إلا فهم صاحب ولا تابع فيما هو بصدده من التأويل؛ إذْ لم تؤثر عنهم رضي الله عنهم المعاني التأويلية التي اختار التفسير على وفقها؛ اللهم إلا أن يكون ذلك في سند حديث أو من قبيل أقوالهم في المعاني العامة.

وإضافة إلى ما مرّ من الرجوع إلى الآيات والأحاديث الثابتة يكثر الشيخ اطفيش في تفاسيره من الاستدلال بقول الصحابي في تفسير الآية وتقرير معانيها كما تجد ذلك في قوله تعالى (الصراط المستقيم) في سورة الفاتحة وهو كذلك في كلّ (صراط) وقع في القرآن فقد قال ينقل عن " ابن مسعود وابن عمر: ترك النبي صلى الله عليه وسلم طرف الصراط عندنا وطرفه في الجنة، ومرجع هذه الأقوال كلّها واحد."[4]. وقال أيضا: " قال ابن

---

[1] –شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع نفسه. 235.

[2] – الإبريز لأبي راس، المصدر السابق. لوحة: 11.

[3] – الإبريز لأبي راس. لوحة: 23.

[4] – همیان الزاد إلى دار المعاد، للشيخ اطفيش (وزارة التراث القومي ــ سلطنة عمان ، بدون تاريخ) 1 / 39.

مسعود رضي الله عنه: والذي لا إله غيره ما آمنَ أحد أفضلُ من إيمان بغيب، ثم قرأ هذه الآيةَ، رواه الحاكم وصححه."[1].

كما لا أثر لذكر قول صحابي أو تابعي في تفسير في رحاب القرآن للشيخ بيوض في الأجزاء التي اطلعت عليها؛ إذ كان هذا الأخير يكتفي بسرد المعاني العامة كما هي مقررة بظاهر ما تفيده العربية عريا عن الرجوع إلى مصدر خاص، وما درج عليها أغلب المفسرين اللهم إلا أن تكون من مسائل الاعتقاد أو الفقه فعلى وفق مذهب المفسر.

وأيضا نجد ذلك المسلك من الاكتفاء بتقرير المعاني العامة عند الشيخ أبي بكر الجزائري، فلا تكاد تجده يرجع إلى أقوال الصحابة ولا التابعين، ولا حتى من باب تأكيد ما يذهب إليه من التفسير وقد بين هو بنفسه الدافع إلى ذلك حين بين خصائص تفسيره والتي منها " خلوُّ هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت، والالتزام بالمعنى الراجح، والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح، حتى إن القارئ لا يفهم أن هنالك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى. وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم."[2].

وكذلك يجري الأمرُ عند الشيخ ابن عليوة فهو لا يذكر عن صاحب ولا عن تابع قولا خاصا فسر به الآية، إذ كان التفسير بالظاهر يكتفى فيه بما تفيده العبارة أو يستأنس له بالآيات ذات المعاني المشتركة، وبعض الأحاديث النبوية.

وقد اعتمد الشيخ محمد بن عبد الكريم أقوالَ ابن عباس في التفسير سواء ما كان منها من قبيل بيان سبب النزول أو رواية حديث يفيد معنى الآية المقصود تفسيرها أو كان قولا مستقلا له يقرر به معنى أفادته الآية. فمن الأخير وهو ما يهمنا هنا ما نقله عنه في تفسير قوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) بعد أن ذكر ما اختاره من التفسير " وروي عن عبد الله بن عباس أنه قال: لا يلزم الوفاء بعهد الظالم؛ فإذا عقد عليه في ظلم فانقضه."[3]. نقله عنه الجصاص في تفسيره.

ويقلُّ عند الشيخ سعيد كعباش الرجوع إلى أقوال الصحابة في التفسير، فهو يستغني في ذلك بما تفيده العبارة الشريفة، وما يفيده ظاهرها. ويؤيد ذلك بما ينقل عن كثير من المفسرين في مناسبات مختلفة يتأتي الإشارة إليها. بينما يذكر الصحابة إذا كانوا من أصحاب القراءات فهو كثيرا ما يعود إليه وهو شيء سأذكره في محلّه.

---

[1] – همیان الزاد، المصدر نفسه 1 / 75.

[2] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. 06/1 .

[3] – عن أحكام القرآن للجصاص الحنفي، المصدر نفسه. 79/1.

بينما تجد عند الشيخ التواتي بن التواتي نماذج كثيرة للرجوع إلى أقوال الصحابة في التفسير منها مثلا ما وقع بيانا للكيفية التي توصل بها إبليس إلى إغوائهما حتى أكلا من الشجرة أقاويل، فقد ذكر قول " ابن مسعود وابن عباس والجمهور: شافههما بدليل وقاسمهما."[1].

د- الرجوع إلى أهل الكتاب في التفسير:

وإن مما رجع إليه المفسرون كثيرا ما أثر عن أهل الكتاب من الأخبار، وتفاصيل القصص المتعلقة بما ورد في القرآن من أخبار الأمم والكتب السابقة، من جهة ذكر الأسماء والأزمنة والأماكن إلى غير ذلك. وقد ورد في التحديث عن بني إسرائيل نصوصٌ ترتب كثيرا من الحرج على ذلك، وعلى الرغم مما صح من تلك النصوص فقد ملئت كتبُ التفسير من ذلك وشحنت عن آخرها مما سبب خللا واضحا في مدلول الآيات ووضوح مقاصد القرآن. وقد نشأت حركة مبكرة تضاد هذا الاتجاهَ، وتمنع الحديث عن بني إسرائيل، وانتهى الجدل إلى التفصيل في ذلك:

القسم الأول: ما علمنا صحتَه مما بأيدينا من القرآن والسنة فهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غُنْية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم... وعلى هذا القسم يحمل قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح:" بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرجٌ، ومن كذبَ عليّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار."[2].

القسم الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، وذلك مثل: ما ذكروه في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليه الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان وغير ذلك، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه." [3].

ومن ذلك ما روي في تفسير سحر هاروت وماروت، فإن البسيلي مثلا في التقييد الكبير لم يعرّج على ما عقّب به ابنُ عرفة على ما أورده ابن عطية في شأن هاروت وماروت من الإسرائيليات فقد قال ابن عرفة: " قال ابن عطية: روي أنهما (ملَكان) اختصمت إليهما امرأة، وحكى القصة، وضعفه ابن عطية من جهة السند. قال ابن عرفة: بل هو ضعيف من جهة الاستدلال، فإنه قد قام الدّليل على عصمة الملائكة. ولا يقال: إنهما كانا معصومين، ثم انتفت العصمة عنهما حينئذ، فإنّ ذلك إنما هو فيمن يتّصف بالحفظ لا بالعصمة، فيصح أن يحفظ تارة دون تارة، أما العصمة فلا تزول عمن ثبتتْ له أبدا (وقد) كان الشيوخ يخطئون ابن عطية في هذا الموضوع لأجل (ذكره) هذه الحكاية. ونقل بعضُهم عن القرافي أن (مالكا) أنكر ذلك في حق هاروت وماروت."[4].

---

[1] - الدر الثمين للتوتي، المرجع نفسه. 432/1.

[2] - إسناده صحيح، مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر(دار الحديث، القاهرة، ط:01، 1995م) ج 6/ 42.

[3] - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد ابو شهبة (دار الجيل – لبنان – ط: 01 ، 1992.) محمد ابو شهبة (دار الجيل – لبنان – ط: 01 ، 1992.) 135.

[4] - تفسير ابن عرفة، لمحمد ابن عرفة (نسخة إلكترونية بالمكتبة الشاملة الإصدار الأول 2010) 140.

بينما التزم الثعالبي الإشارة إلى ما يذكر في ذلك، وعقب بالتضعيف فقد قال في تفسيره : " وما يذكر في قصتهما مع الزُّهَرةِ كُلُّه ضعيفٌ؛ وكذا قال: (ع). (ت): قال عياض: وأما ما ذكره أهل الأخبار، ونقله المفسِّرون في قصَّة هَارُوت ومَارُوت، وما رُوِيَ عن عليٍّ، وابنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما في خَبَرِهما، وابتلائهما، فاعلم أكرمك اللَّه أن هذه الأخبار لم يُرْوَ منها سقيمٌ ولا صحيحٌ عن رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وليس هو شَيْئاً يؤخذ بقياسٍ، والذي منه في القرآن، اختلف المفسِّرون في معناه، وأنكَرَ ما قال بعضهم فيه كثيرٌ من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود، وافترائهم؛ كما نصَّه اللَّه أول الآيات. انتهى.انظره."[1].

وكذلك فعل أبو راس الناصري عند الإشارة للقصة مع التعقيب عليها بالإبطال " (وما أنزل على الملكين)[البقرة:102] عطف على السحر، والمراد بهما واحد فالعطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه، وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة. وما رويا أنهما مثلا بَشَرَيْنِ، وكتب فيهما الشهوة وتعرضا لامرأة اسمها الزهَرة بفتح الهاء وتكسر تخفيفا فحملتها على المعاصي وصعدت إلى السماء بما نقلت منهما فمن أساطير اليهود."[2].

غير أنه عاد إلى اعتماد شيء من ذلك مما لا يتجاوز أمر الأعداد، وما يدخلها عادة من الاختلاف. ففي تفسير قوله تعالى (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء)[سورة:59] يقول:" ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في شأنهم، وإشعارا بأن الإنزال عليهم بظلمهم بوضعهم غير المأمور به. ﴿رجزا﴾ عذابا وطاعونا مقدرا ﴿من السماء﴾. روي أنه مات به منهم في ساعة أربعة وعشرون ألفا. وقول ابن جزي سبعون ألفا ضعيف."[3]. فأنت تراه كيف اعتمد ما رجحه من عدد وأورده بصيغة " روي" على ما فيها من التمريض، وسقى تحديدَ ابن جزي من كأس التضعيف. ولعلّ ذلك إنما هو من قبيل الثقافة التاريخية التي كان أبو راس من المتخصصين فيها.

فإذا انتقلنا إلى مفسر كابن باديس في تفسير قوله تعالى (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) [النمل: 22] نجده عمم الحكم في مثل هذه القصة وغيرها مما جرت عادة المفسرين بحشره بالمناسبة فقد قال تحت عنوان فرعي " تحقيق تاريخي: رويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير، مما تلقى من غير تثبت ولا تمحيص، من روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه، وروى شيئاً من ذلك الحاكم في مستدركه، وصرح الذهبي ببطلانه. ومن هذه المبالغات الباطلة أنه ملك الأرض كلها مشارقها ومغاربها، فهذه مملكة عظيمة بسبأ كانت مستقلة عنه، ومجهولة لديه، على قرب ما بين عاصمتها باليمن وعاصمته بالشام."[4].

---

[1] – تفسير الثعالبي 1/ 57.

[2] – الإبريز لأبي راس الناصري لوحة رقم: 60.

[3] – الإبريز لأبي راس الناصري لوحة رقم: 39.

[4] – مجالس التذكير لابن باديس، المرجع نفسه./272.

بينما أعرض الشيخ جابر الجزائري في تفسيره عن هذه القصة، و لم يكلف نفسَه بذلك عناءَ ردها أو الاعتذار لمن حشَرها في التفسير.[1]

القسم الثالث: ما هو مسكوتٌ عنه فلا نؤمن به، ولا نكذبه؛ لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه، أو باطلا فنصدقه، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم. ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة، قال:" كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: " لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: (آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) [العنكبوت: 46]". الآية، ومع هذا: فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به."[2].

ولعل من هذا القبيل ما نقله الثعالبي في تفسيره لقوله تعالى (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)[سورة البقرة:247] الآية: قال وهْبُ بن مُنَبِّهٍ: وكان طالوتُ رجلاً دبَّاغاً، وقال السُّدِّيُّ: سَقَّاءً، وكان من سِبْط «بِنْيَامِينَ»، وكان سبطاً لا نبوَّةَ فيه، ولا ملكَ، ثم إن بني إسرائيل تعنَّتوا، وحادُوا عن أمر اللَّه، وجَرَوْا على سَنَنِهِمْ، فقالوا: (أنى يَكُونُ لَهُ الملك عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بالملك مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ المال)[سورة البقرة:247]، أي: لم يؤتَ مالاً واسعاً، يجمع به نفوسَ الرجالِ، ويَغْلِبُ به أهْلَ الأَنَفَةِ."[3]. فهو كما ترى من قبيل المعاني العامة والأسماء التي ذكرت قد تكون صحيحة لا مخالفة للآية في تحديدها.

بل إن صاحب أيسر التفاسير أظهر استغناءه عن أحاديث أهل الكتاب بتقرير المعاني العامة للآية، والاكتفاء بالاعتبار بما ذكر في الآيات، حتى إذا وجد في السنة الثابتة تفصيلا مما يتعلق بقصص الأنبياء والأمم السابقة أثبته كما فعل في تفسير قوله تعالى (فلَمَّا فصَلَ طالوتُ بالجُنُود) فقد قال ما نصّه " لما التقى الجيشان جيش الإيمان وجيش الكفر طالب جالوت بالمبارزة فخرج له داود من جيش طالوت فقتله، والتحم الجيشان فنصر الله جيش طالوت على عدد أفراده ثلاثمائة، وأربعة عشر مقاتلا لا غير لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل بدر: إنكم على عدة أصحاب طالوت. وكانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا فهزم الله جيشَ الباطل على كثرته، ونصرَ جيش الحق على قلته."[4].

وفي محاولة لاستعراض نماذج من رجوع المفسر إلى أقوال أهل الكتاب بصدد تفسير بعض الآيات نذكر مثلا عند أبي راس: فقد نص على تفصيل بمناسبة تفسير قوله تعالى: " (فمن اهتدى) نجا ومن ضلّ هلك."[5]؛ فقد ذكر أنه " روي أن آدم نزل بسَرَنديب جبل بأرض الهند، وحواء بجدة وإبليس بالأُبُلّة."[6].

---

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. 1ج /43.

[2] – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، المرجع السابق. 135.

[3] – تفسير الثعالبي، المرجع نفسه. ج 1/ 146.

[4] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1/ 127.

[5] ــ الإبريز، للناصري، المرجع نفسه.. لوحة 34.

[6] ــ الإبريز، للناصري، المرجع نفسه.. لوحة 34.

وكذلك ذكر عند قوله تعالى ﴿ فسَلِّمُوا على أنفُسكُم﴾: " روي أن الله ألقى عليهم الظلام لكي لا يتباصروا، فيتراحموا فقتلوا من الغداة إلى العَشِيّ، حتى دعا موسى وهارون فانكشف الظلام ونزلت التوبة فكانت القتلى سبعين ألفا."[1]. وفائدة النص في تحديد العدد المذكور لا تخفى.

وتجد للتجاني التحفظ المعهود عند مفسري الجزائريين فقد ذكر من سأله عن تفسير قوله تعالى (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة)[سورة ص: 23] " وسألت شيخَنا رضي الله عنه عما ذكره بعض المفسرين في حق سيدنا داود عليه السلام، وأنه تمنى كذا بقلبه وأمر الرجل بكذا ليفعله وكذا وكذا؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: قال معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم، وإنما حكى الله عنه أن الخصمين اختصما في نعج من الغنم لا غير كما قال الله (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) إلى قوله (وأناب). ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح لا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهرُه يلزم منه المحالُ. وكلا الأمرين منتفٍ هنا فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه، ولا قرينة تصرفها عن الظاهر. وإذا فهمت هذا تبين لك أن على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالحي عامة المؤمنين. فكيف يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط."[2]. وفيما أنكر وروده في شأن نبي الله داوود عليه السلام استجابة لما تقتضيه العقيدة الإسلامية من الجزم بعصمة أنبياء الله عما لا يليق. وهو في ذلك مسبوق بجملة المفسرين فلا معنى للتطويل.

وكذلك فعل الشيخ اطفيش فقد عاد في مواضع كثيرة من تفاسيره إلى النقل عن أهل الكتاب و لم يتعقب النقل عنهم بكثير، وهو في ذلك متأثر بتفاسير ولو غير جزائرية يغلب على مقاصد مفسريها الاستكثار من النقول، وملء الفراغات التي يتركها المفسرون خصوصا في مجال التاريخ، وقصص أهل الكتاب وموضوعات أخرى كما في النص التالي من تيسير التفسير يبدو الأمر أكثر وضوحا في أمر من محض الغيب ينسب لكعب الأحبار فيه من التفسير ما لا سند له فيه إلا أن تكون ثقافته الكتابية انظر قوله: " قال كعب الأَحبار: خلق الله ياقوتة خضراءَ وصيرها ماءً وخلق الريح تحته ثم وضع العرش على الماءِ."[3]. وهذا الشكل من الاطمئنان في الرجوع إلى جميع ما نقل عن علماء أهل الكتاب تجده عند مفسر كبير كالسيوطي رحمه الله في الدر المأثور.

وقد صرح أبو بكر الجزائري أن من مميزات تفسيره العديدة " إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لابد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج."."[4]. ولذلك لا تراه يعود إلى شيء منها إلا على ضيق شديد لا يصادم مدلولا قرآنيا، وقد يمكن الاستغناء عنه. وقد نقل على الأقل في هذا الموضع الشيخ جابر الجزائري عن ابن عباس عن أهل الكتاب: " ولهذه الرهبانية سبب مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما نذكره باختصار للفظه ومعناه قال كان بعد عيسى

---

[1] ـ الإبريز للناصري، المرجع نفسه.. لوحة 38.

[2] ـ تيسير التفسير للشيخ اطفيش، المرجع نفسه. 3 / 212.

[3] ـ تفسير التجاني ضمن جواهر المعاني، للتجاني. 116/1.

[4] ـ أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه.. 06/1.

ملوك بدلوا التوراة وحرفوا الإنجيل وألزموا العامة بذلك، وكان بينهم جماعة رفضُوا ذلك التحريف للدين و لم يقبلوه ففروا بدينهم، والتحقوا بالجبال وانقطعوا عن الناس مخافة قتلهم أو تعذيبهم لمخالفتهم دين ملوكهم المحدث الجديد فهذا الانقطاع بداية الرهبانية، وعاش أولئك المؤمنون وماتوا وجاء جيل من أبناء الدين المحرف فذكروا سيرة الصالحين الأولين فأرادوا أن يفعلوا فعلهم فانقطعوا إلى الصوامع والأديرة، ولكنهم جهال وعلى دين محرف مبدّل فاسد فما انتفعوا بالرهبانية المبتدعة وفسق أكثرهم عن طاعة الله ورسوله."[1].

ونفس الموقف وأصرح منه يوجهه الشيخ سعيد كعباش اللائمة لكثير من المفسرين الذين لا يفوتون فرصة حشو التفسير بالإسرائيليات في كل مناسبة ومنا المناسبة التي هو بصددها وهي تفسير قوله تعالى في شأن يوسف عليه السلام وامرأة العزيز (ولقد همّتْ به وهمَّ بها لولا أن رأى برهانَ ربّه)[سورة يوسف:24] فقد ذكر ما نصه: " من المفسرين من أخذ بالإسرائيليات في هذا الموضع فأغرق في التصورات الخاطئة لموقف يوسف إزاء المرأة بأن يجيبها لما دعته، ثم انكفّ عن ذلك لما رأى برهان ربه. ثم أغرقوا في ذكر أنواع البراهين حتى لا يكاد يرعوي وحاشاه. وقال هؤلاء: إن الهم بالسيئة مع الكف عن إيقاعها لا ينافي ذلك عصمة الأنبياء، واستدلوا له بحديثين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تبارك وتعالى: فإن عملها فاكتبوها له بعشرِ أمثالها. وإن همَّ بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها بمثلها."[2]."[3].

[1] _ أيسر التفاسير، المرجع نفسه ج 4 / 214.

[2] _ صحيح مسلم ج 1 / 117، باب إذا هَمَّ عَبْدِي بحسنة.

[3] _ نفحات الرحمان، للشيخ سعيد كعباش. ج41/7.

ه- تفسير التابعين وقيمته العلمية.

ليست أقوالُ التابعين على كثرتها في التفسير مما اتفق على اعتمادها إلا أن مذهب أكثر المفسِّرين أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير، لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة، فمجاهد مثلاُ يقول ما قد ذكرناه سابقا: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أُوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولذا حكى أكثر المفسِّرين أقوال التابعين في كتبهم ونقلوها عنهم مع اعتمادهم لها. وفي هذا يقول بعض المعاصرين مرتبا أقوال التابعين من بين المصادر " وقد اعتمد هؤلاء المفسِّرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى ما رووه عن التابعين من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى."[1]. على أنه لا مانع وهو ما حصل فعلا من الانتفاع بالمروي عنهم من أقوال التفسير، والتآليف فيه.

وعلى خلاف أكثر المفسرين الجزائريين نجد تفاسير الشيخ اطفيش مرجعا مهما لأقوال الصحابة والتابعين، وهو ما يهمنا هنا؛ فتفاسيره بحقّ مدونة لأقوال التابعين وأهل الكتاب خصوصا كعب الأحبار رضي الله عنهم أجمعين، وفيما نقلته كفاية وأزيدك هنا نصين في موضعين مختلفين الأول منهما في تيسير التفسير عند قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)[البقرة: 159]) فقد قال " وأجاب (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ) يبعدهم عن رحمته، ويذيقهم العذاب، مقتضى الظاهر أولئك نلعنهم ويلعنهم اللاعنون بالنون، إلا أنه بالياء، ولفظ الجلالة تفخيما للحكم، يبعدهم الله عن رحمته أو يذمهم للملائكة، وفى اللوح المحفوظ (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) أي يتلفظون بلعنهم، كلٌّ وكلامُه، حتى الجمادات، وقد علم الله تسبيحها، أو يدعون بإبعادهم عن الرحمة، وتلعنهم أجسامهم وأجسام غيرهم من الكفرة والمسلمين، وقيل الملائكة والثقلان، وقال ابن عباس: غير الثقلين، وقال عطاء: الثقلان، وقال مجاهد: البهائم حتى العقارب والخنافس إذا أقحطت بذنوب بني آدم."[2]. فقد نقل عن عطاء وعن مجاهد ومن قبلهما عن ابن عباس وهو ظاهر في أنه من تفسيرهم لا ما ينقلون عن شيخهم ابن عباس، إذ لم يسندوا عنه الرواية كما هو المعهود.

و- أقوال وكتب المفسرين.

وهناك مصدر آخر دأب كثير من المفسرين على الرجوع إليه، وعرض نصوصه للموافقة غالبا، وأحيانا للنقد والمخالفة خصوصا في الفترة محل الدراسة، وتلك هي أقوال المفسرين، وما وصلوا إليه من الاختيارات، وما أثبتوه من الآراء المجتهد فيها سواء تعلق الأمر باللغة أو الأحكام الفقهية...

---

[1] - التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي. ج 3/ 2.

[2] - تيسير التفسير، الشيخ اطفيش. ج 182/1 .

ففي مجال الكشف عن وجه تقديم العبادة على الاستعانة (إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ) أورد السنوسي كلام الشيخ ابن عرفة فقد قال:" للشيخ ابن عرفة أن تقديم العبادة على الاستعانة أقرب لكمال الافتقار وخلوص النية."[1]. وقد سلم السنوسي هذا القول أو على الأقلّ لم يعقبْ عليه.

وقد رجع المغيلي في تفسيره المختصر للفاتحة إلى علمين أولهما ابن عطية فقد ذكر عنه: " والذي يترجح أن المعنى فمن وافق في الوقت مع خلوص النية والإقبال على الرغبة إلى الله تعالى بقلب سليم، والإجابة تتبع حينئذ؛ لأن من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم."[2]. ومرة ثانية إلى قول الإمام الأشعري " لا يقال لله تعالى على الكافر نعمة دينية ولا دنيوية."[3]. وكل ذلك عند شرح قول العبد (آمين) بعد قراءة الفاتحة.

وعند الأمير عبد القادر وجدت إحالات على مصادر عامة كقوله " قال المحققون" و" قال أكثر الناس"، إلى غير ذلك. ففي تفسير قوله تعالى (ألا إن أولياء الله) [يونس:63] يقول: " جمهور المحققين من أهل الله تعالى على أن الولاية مكتسبة، والاكتساب افتعال وهو طلب الشيء بقوة واجتهاد؛ وعليه فالعمل لأجل تحصيل الولاية التي معناها القرب من الله تعالى برفع الحجاب وإخلاص العبودية إليه وصدق التوكل عليه، والانحياش ظاهرا وباطلا إليه ليس بعلة قادحة في العبادة."[4]. ولا أدري من أهل التحقيق هنا هل هم علماء العقيدة والكلام، أم شيوخ التصوف إذ (الولاية) مبحث مشترك بينهم.

و لم يفتِ الشيخَ ابن باديس أن يعود إلى بعض أعلام التفسير من المتقدمين خصوصا فقد فنقل مثلا عن الحافظ ابن العربي عن الإمام عبد الكريم بن هوازن شيخ الصوفية في زمانه قال:" إنما قال لا أرى لأنه اعتبر حال نفسه إذ علم أنه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر فلأجلها سلبه؛ فجعل يتفقد نفسه، فقال: مالي؟"[5]. وعقب ابن باديس على ذلك قوله: " وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالَهم تفقدوا أعمالَهم. هذا في الآداب فكيف بنا اليوم ونحن نقصر في الفرائض. مثل هذه الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الإمام الجليل من أجل علوم القرآن وذخائره؛ إذ هي معاني صحيحة في نفسها، ومأخوذة من التركيب القرآني أخذا عربيا صحيحا ولها ما يشهد لها من أدلة الشرع. وكل ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول."[6].

---

[1] – تفسير الفاتحة للسنوسي، المصدر السابق.

[2] ـ الإبريز، لأبي راس لوحة 02.

[3] ـ تفسير سورة الفاتحة للمغيلي، المرجع نفسه. / 233.

[4] ـ المواقف، للأمير عبد القادر، المصدر السابق 200/1.

[5] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 267

[6] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه 267

ويمكن إجمال الحقيقة التالية وهي أن كلا من الخضر حسين وابن باديس وجابر الجزائر ومصطفى عزيز لا ينقلون عن كثير من العلماء بالعزو إليهم، بل ربما ذكروا المعاني مقررة بعد مطالعتها في مظانها. وهو ما يفسر عدم التصريح بمصادر كل معنى يساق بإزاء الآية المراد تفسيرها.

ووجدت مخالفة لهؤلاء عند مفسر معاصر إذ ينقل الشيخ سعيد كعباش عن كثير من المفسرين متقدمين ومتأخرين، كما في تفسير قوله تعالى مثلا: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)[1] رجع تفسير الهم الوارد في الآية إلى تفسير المنار: " ويرى صاحبُ المنار أن الهمّ الوارد في الآية لا يراد به المواقعة الجنسية، بل هو الضرب والتنكيل. ورجع إلى القطب أيضا فقال فنقل عنه: قصدت منه المباشرة بعزم قوي ، حتى أنها مدت يدها وقصدت المعانقة، ويوقف هنا ويبدأ بقوله (وهم بها لوا أن رأى برهان ربه) فهو لم يهم بها لأنه رأى برهان ربه، ولولا للامتناع وهو نفي."[2].

وينقل الشيخ التواتي بن التواتي عن كثير من القراء والمفسرين خصوص علماء النحو والقراءة لكون كتابه يهتم بالقراءات وتوجيهها بالأساس إضافة إلى غير ذلك من بيان المعاني وتقرير الأحكام الشرعية. فقد نقل عن الرازي بمناسبة تفسير قوله تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله...) حيث قال: " قال الرازي رحمه الله: لما اقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع وأبطل القول بالشريك عقبه بما يدل على النبوة، وذلك يدل على فساد قول التعليمية الذين جعلوا معرفة الله مستفادة من معرفة الرسول، وقول الحشوية الذين يقولون: لا تحصل معرفة الله إلا من القرآن والأخبار. ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على كون القرآن معجزا أقام الدلالة على كونه معجزا." [3].

وقد يعود إلى بعض أهل اللغة في تحديد معاني ألفاظ وقعت في آيات ذات مضمون عقدي كما في قوله (ثم استوَى إلى السَّماءِ) إذ يقول " الزجاج: قال قوم في قوله عز وجل (ثمَّ استوى إلى السَّماءِ) عمد وقصد إلى السماء، كما تقول: فرغ الأمير من بلد كذا وكذا، ثم استوى إلى بلد كذا وكذا معناه قصد بالاستواء إليه."[4].

---

[1] – سورة يوسف: 24.

[2] – نفحات الرحمان للشيخ سعيد كعباش، المرجع نفسه. 7/41-42.

[3] – الدر الثمين للتواتي، المرجع نفسه.. ج353/1.

[4] ـ الدر الثمين للتواتي، المرجع نفسه.. 396/1.

ي- المصادر الحديثة في التفسير:

جدّتْ في حياة المسلمين علومٌ لم تكن موجودة عندهم بالشكل الذي انتهت إليه حديثا، فعلم الاجتماع وعلم النفس مثلا لم يكن لديهم سوى معارف بشرية لم تأخذ بعد شكلها المنهجي، وقد يلتزمها مفسر دون آخر، وقد يوليها مفسر من العناية ما ليس عند غيره. ولكن المفسرين الجزائريين المعاصرين أسوة بغيرهم من مفسري المشرق قد أولوها من العناية والاستحضار في تفسير القرآن ما من شأنه أن يزيد في قيمة التفسير، ويتيح مقروئية أكثر اتساعا وعلى صعيد نوعي.

هذا إضافة إلى العلوم التجريبية، وعلوم التاريخ والجغرافيا وغير ذلك. وقد جعل الشيخ رشيد رضا أسوة بشيخه محمد عبده من شروط المفسر " العلم بتاريخ البشر، وعلم السيرة والعلوم الكونية."[1]؛ لما لها من أهمية في فهم معاني الآيات، وتنزيلها على مواقعها من حياة الناس. وقد صرح بعض المعاصرين ممن اهتموا بالدراسات القرآنية خصوصا بالقيمة المعرفية لعلم الاجتماع، وعلم النفس " فإن هذين العلمين يعينان المفسر على فهم المراد من بعض الآيات، وتفسيرها تفسيرا علميا صحيحا، والكشف عما فيها من أسرار اجتماعية. وقارئ التفسير اليوم تستهويه التفاسير المدعمة بالمباحث النفسية والاجتماعية...أن يكون على علم بتاريخ الأديان السماوية السابقة كاليهودية والنصرانية وما دخلهما من تبديل حتى يستطيع أن يفسر مثل قوله تعالى (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)[المائدة: 41]، والمذاهب الدينية غير السماوية كالبرهمية والبوذية والمَزْدكية والمانَوية ونحوها. وبذلك يستطيع المفسر أن يصل إلى الحق والصواب حينما يعرض للآيات التي جادلت أهل الكتاب، ولاسيما النصارى في عقيدتي التثليث والصلب والفداء وكيف تأثروا، وكيف تأثروا في هذين العقيدتين بالديانات والنحل القديمة، وإلى غير ذلك."[2].

وهذا الاتجاه المتزايد نحو الدراسات الاجتماعية والنفسية يستجيب لطلبات كثير من القراء للتفسير، لما تتيحه الدراسات المشار إليها من توسيع مدلولات الألفاظ والتراكيب القرآنية، وما تفيده من المعاني الإنسانية المختلفة.

وتحت تأثير ما جدّ من معارف حديثة يقرر الخضر حسين بشأنها أن المفسر ينبغي أن يجمع بينه القرآن وما هو من قبيل المعارف القطعية على وجه يزيل التعارض الظاهر، دفعا لما يتوهم من أن الآية نقيض ما هو مقرر في باب العلميات. المهم أن يكون معرفةً قطعية لا مجرد ظنيات يدعى فيها التناقض والنصَّ القرآني " وقد يورد بعض من لا يفرق بين الظنِّيات والعلميات ومن لا يمعن النظر في فهم البليغ من الكلام أشياء يزعم أنها علميات جاء القرآن على خلافها، فمن واجب المفسر أن يتصدى لإزاحة هذه الشبه، ويبين بالطريق المنطقي أن ما أورد على القرآن لا يدخل في العلميات، أو يذهب في تفسير الآية على وجه يلائم بلاغة القرآن، ولا

[1]- الإسرائيليات والموضوعات في التفسير. المرجع السابق 37.

[2]- الإسرائيليات والموضوعات في التفسير. المرجع نفسه / 37.

يخالف ما قرره العلم، وأقام الدليل على أنه قطعي لا يلابسه ريب."[1]. وهذا الذي ذكره دأبَ عليه جملة المفسرين المعاصرين ممن فرقوا بين القطعيات والظنّيات في العلوم؛ فجزموا بعدم التعارض بين نصوص القرآن وقطعيات المعارف، و لم يلتزموا المعالجة لما هو من قبيل الظنّيات لا القطعيات.

وعند ابن باديس مثلا وبمناسبة الكلام عن خصائص الأمة العربية يلجأ إلى المعاني الاجتماعية، وما طبعت عليه الشعوب عموما وخصوص الأمة العربية فهو يقول: " فمن الطبيعة العربية الخالصة: أنها لا تخضع للأجنبي في شيء، لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتها. ولذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف، ويحدثها كثيراً عن أمة اليهود التي لا يناديها إلاّ بيا بني إسرائيل؛ تذكيراً لها بجدها الذي هو مناط فخرها كل ذلك لأنها أمة تحيا بالشرف والسُّمُوّ والعلو. ويذكرها بالذّكر وهو في لسانها الشهرة الطائرة والثناء المستفيض، يقول تعالى لنبيه وهو يعني القرآن: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[الزخرف: 43، 44]. والأنبياء لم يبعثوا إلاّ في مناسب الشرف، ومنابع القوة، ومنابت العزة ليبنى المجد الطريف من الدين على المجد التليد من أحساب الأمة وأنسابها وشرفها وعزها، وما كان لها من مناقب تلتئم مع أصول الدين. فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]، ليشعرهم أن عليهم من الواجبات في مقابلة هذا الشرف الذي أعطوه ما ليس على غيرهم، ولا شك أن ثمن المجد غال!! وهذا الشرط الذي ذكره الله، وذكر به العرب هو شرط واجب الاعتبار والتنفيذ، لأن الأمة التي لا تؤدي ثمن المجد لا تحافظ عليه، ثم هي أمة لا يعتمد عليها في النهوض بنفسها ولا بغيرها. وإنما ذكرهم الله بذلك لينهضوا بالأمم على ذلك الأساس، وهو إحياء الشرف الإنساني في نفوسها، وليعاملوها على ذلك الأساس بالعدل والرحمة والتكريم. وما ذكر القرآن العرب بتكريم بني آدم وخلقهم في أحسن تقويم، إلاّ ليعاملوهم على هذه القاعدة التي وضعها الخالق. وإن أعداء البشرية اليوم وقبل اليوم، يعمدون إلى قتل الشرف من النفوس، ليستذلوا من هذا النوع ما أعز الله، ويهينوا منه ما كرم الله."[2]. ومضمون النص يشير إلى أمرين مسؤولية كل العرب كأمة في المحافظة على ثمن المجد لما قد كلفها من ثمن، والأمر الثاني ما هو واقع من استهانة بعض الشعوب بغيرها، مما فيه تجاوز للحدود الإنسانية. وكأنه يشير بذلك إلى الاستعمار.

وفي نص آخر لابن باديس أوضح تراه يستفيد مما هو مقرر من المعارف الفلكية، والتي كان القدماء يسمونها بعلم الهيئة في تفسير قوله تعالى (فمَحَوْنا آيةَ اللّيْل)، فيقرر أن في خصوص ضوء القمر ما يلي: " (فَمَحَوْنَا) المحو هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح، وإزالة الآثار من الديار. فمحو (آيَةَ اللَّيْلِ) إزالة الضوء منها، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل؛ فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً، ثم أزيل ضوؤه فصار مظلماً." [3]. هذا المقدار هو ما تفيده الآية مباشرة.

---

[1] – موسوعة الأعمال الكاملة للخضر حسين، محمد رضا كامل المحامي. ج 29/2.

[2] – مجالس التذكير لابن باديس، المرجع نفسه. 390.

[3] – تفسير ابن باديس المرجع نفسه./ 47.

وللاستدلال على صدق مضمون الآية لمن يحتاج إلى ذلك يستعين بالمعارف الحديثة حول ضوء القمر فهو يقول: " وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس. واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر- كالأرض- كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمْو والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد." [1]. وهو بهذا يؤكد حقيقة تطابق المعارف العلمية ونصوص القرآن الكريم.

والفائدة التبعية لهذا أن هذا التطابق يدل بالأساس على الطبيعة الإعجازية لهذا الكتاب فهو قد نزل على نبي أمي ، وعلى أمة أمية في زمن لم يكن يتيسر لأحد في أي جيل أو حضارة ما هو متاح اليوم من معارف الفلك " لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية: ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان!! فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم إلاّ أفراداً قليلين من علماء الفلك. وإن حمو جرمه أولاً، وزواله بالبرودة ثانياً، ما عرف إلاّ في هذا العهد الأخير.

والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرناً نبي أمي، من أمة أمية، كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم؛ فلم يكن ليعلم هذا إلاّ بوحي من الله الذي خلق الخلائق وعلم حقائقها!! كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الجْاَهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ."[2].

وبالانتقال إلى مفسر آخر وهو مصطفى علي، وتحت عنوان حقيقة السماوات السبع يعلق على قوله تعالى (وجَنَّة عَرْضُها السَّمَاواتُ والارضُ)[سورة آل عمران: 133] " وإن كان موضوعنا ذكر السماوات السبع الشرعية، وحيث أن السماوات السبع هي كواكب الجنة وأرضها ومواطنها لذلك كان لزاما علينا الإشارة إلى الجنة ومكانها وحدودها وكواكبها. وإذا كانت السماوات السبعُ لا تخرج ولا تزيد عن حدود المجموعة الشمسية وهي على عدد الكواكب المكتشفة في إطار المجموعة الشمسية والتي أعطي لها هذه الأسماء: المريخ المشتري زحل أورانيوس نبتون بلوتون، وكان آخر كوكب في المجموعة الشمسية ولم نسمع بعد بتسميته...ويمكن أن كل مملكة تنقسم إلى جنتين وتتحقق الآيات في سورة الرحمان والواقعة وأنها أربع جنان."[3]. وبغض النظر عما وصل إليه من الاستنتاج المحتمل، ومدى علمية مثل هذا التقرير، فإنه من الواضح مدى تسليم المفسر للحقائق العلمية وتبنيه توظيفها في التفسير ليتيسر له ما انتهى إليه من النتيجة. وهذا يحشره في زمرة من لم ير التحفظ من المعارف الحديثة في التفسير. وليس التحفظ من باب إنكارها بل فقط اكتفاء بالمعاني المباشرة للآيات.

---

[1] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. / 47.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. / 47.

[3] – الحق لما اختلف فيه من الحق، مصطفى بن علي آل عزيز (دار الرشاد الإسلامية ــ لبنان ــ ط:01. 1990م) 395/1.

ويتضح ذلك أكثر بالرجوع إلى مفسر معاصر كالشيخ جابر الجزائري: " ما ادّعى اليوم من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف ما في رحم المرأة، فهذه المعرفة ليست داخلة في قوله تعالى (ويعْلمُ مَا في الأرحام)؛ لأنها بمثابة من فتح البطن ونظر ما فيه فقال: هو كذا، وذلك لوجود أشعة عاكسة. أمّا المنفيّ عن كل حد إلا الله أن يقول المرء: إن في بطن امرأة فلان ذكراً أو أنثى ولا يقربُ منها ولا يجرّبها في ولادتها السابقة، ولا يحاول أن يعرف ما في بطنها بأيّة محاولة."[1]. وإنما قلنا: احتياط؛ لأن من شأن المبالغة في حشر المعارف الإنسانية تحت مدلولات الآيات بأدنى مناسبة من تكلف الموافقة والمطابقة دائما. وقد لا يكون ذلك جليا عند كل ناظر.

وفي موضع آخر يذكر الجزائري " (إنَّ فيهَا قَوْمًا جَبَّارينَ) بيان الأثر السيء الذي تركه إذاعة النقباء للأخبار الكاذبة المهولة، وقد استعملت ألمانيا النازية هذا الأسلوب ونجحت نجاحاً كبيراً حيث اجتاحت نصف أوربا في مدة قصيرة جداً ."[2]. وهي إشارة منه أنه يمكن الاستعانة بالمعارف الحديثة لإثبات صدق الحقائق القرآنية لمن احتاج إلى ذلك. لكنه لا يتوسع في ذلك كثيرا.

وكذلك يستعين الشيخ جابر بالمعارف الطبية الحديثة والتي مفادها أن البرص داء عضال لا دواء له على الأقل في الزمن الذي أنجز في الشيخ تفسيره، وفائدة ذلك عنده إثبات معجزة المسيح عليه السلام وكل ذلك تجده عند قوله " (الأبرص): ذو البرص وهو مرض عَياءٌ، عجز عنه الطب القديم والحديث، والبرَص بياض يصيب الجلد البشري."[3].

ويكفي أن يقال أنه في مدرسة التفسير الجزائرية لم يقم من بين جميع مفسريها من يصرح بالتنكر للمعارف الإنسانية ومدى توافقها مع حقائق القرآن، كما لم يوجد فيهم من يبالغ في حشرها في موضوعات التفسير مهما كانت ظنية.

---

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه.: 259/3.

[2] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. 1 / 342.

[3] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. 1 / 168.

الفصل الأول

المبحث الأول: التفسير بالمغرب الأوسط قبل القرن التاسع.

المبحث الثاني: أسانيد مدرسة التفسير بالجزائر.

المبحث الأول: التفسير بالمغرب الأوسط قبل القرن التاسع.

أقتصر في عرض ومعالجة هذا المبحث على ما وصل بيد الباحثين التفسير، إذ كانت البدايات الأولى لحركة التفسير لم تخلف لنا منتوجا في التفسير موثقا قل أو كثر، وإنما يرد ذكر دخول تفسير يحي بن سلام بلاد المغرب وسعي العلماء لسماعه عليه ومن ثم على إبنه محمد. والذي قام بعد باختصاره هو هود بن محكم الهواري[1]، ومن حسن الحظ أن عمله التفسيري قد وصل إلينا. وقد ورد في ترجمته الموجزة أنه " اشتغل بتفسير القرآن من علماء النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة والنصف الأول من القرن الثالث، وقطنت أسرته جبل أوراس."[2]. وليس في أيدينا ما يبين مشايخه ولا أين درس التفسير، غير ما ذكره الشماخي: " عالم متفنن خائض وهو صاحب التفسير المعروف وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين."[3]. وهو نص على إيجازه لا يدل على أكثر من أن له تفسيرا وأنه متمكن في ذلك العلم لولا أن التفسير هو بين أيدينا وهو مختصر لتفسير يحي بن سلام.

وأزيد ههنا نقولا تثبت ذلك وتؤكد أن من منهج المؤلف الاستشهاد بالأحاديث النبوية في أغراض مختلفة منها المعنى اللغوي لبعض ألفاظ الآية الكريمة كما في قوله " المفسر يستشهد أحيانا بالأحاديث النبوية لبيان معنى لغوي، ومن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين). قال: ذكروا عن جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنا حِلَقا حلقا فقال: ما لي أراكم عزين.". كما استشهد ابن محكم بالأحاديث النبوية في مواطن كثيرة من تفسيره في بيان أمور اعتقادية وفقهية وأخرى متنوعة[4].

وعاد ابن محكم إلى قول الصحابة خصوصا منهم ما ذكروه عن ابن عباس رضي الله عنهما من " أنه كان يجهر بـــ ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ في الصلاة، ويقول: من تركها فقد ترك آيةً من كتاب الله. وابنُ عباس كان يجعل﴿ صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ آية واحدة. ونقل أيضا عن كل من ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم جميعا أنهما قالا: ترك النبيُّ عليه السلام طرفَ الصراط عندنا وطرفَه في الجنة.

ولا يخفى ما عاد إليه من أقوال التابعين فهي من الكثرة بمكان يدل عليه نسبة ذلك في تفسير الفاتحة فقط، ونسبة تفسيرها من كل أجزاء التفسير المختصر؛ بل لا يبعد أن يقال أنها صلب تفسير ابن محكم خصوصا ما نقل عن الحسن والظاهر أنه الحسن البصري كما في المواضع التالية: ونقل عن أهل العلم كما في النقلين الآتيين: قال بعض أهل العلم: إن المشركين قالوا: أما الله فنعرفه، وأما الرحمانُ فلا نعرفه، فأنزل الله :﴿ وَهُمْ

---

[1] – هود بن محكم الهواري الإباضي من علماء النصف الأول من القرن الثالث الهجري، اختصر تفسير يحي بن سلام، وعمله مطبوع وجد مفيد. معجم المفسرين ج 713/2.

[2]– أخبار الأئمة الرستميين، 49.

[3]– السيَر، للشماخي، المصدر السابق. 381.

[4]– راجع في كل ذلك هود بن محكم الهواري ومنهجه في التفسير / 84 وما بعدها.

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ﴾ يا محمد ﴿ هُوَ رَبِّي ﴾[سورة الرعد 30]. و لم يذكر ابن محكم من هو من أهل العلم وإن كان الظاهر أنه من أهل الرواية كما هو مقتضى النص. وفي موضع آخر في تفسير لفظ (الصراط): قال بعض المفسرين: ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يعني الطريق المستقيم إلى الجنة، وهو دين الإسلام.". و لم يصرح باسم هذا البعض وإن كان القول معروفا لابن عباس وغيره.

وهو كذلك إذ كانت سمة ذلك العصر خلط أقوال الكتابيين وسمي من بعد بالإسرائيليات بأقوال غيرهم من أهل التفسير. وقد استمر هذا المسعى كما قد سبق إلى تفاسير الشيخ اطفيش كما مرّ.

وأختم بهذا النص الذي يلخص حركة التفسير عند الإباضية " فمن العلوم الدينية التي لاقت اهتماما في عصر الشيخ عمروس علم التفسير، وقد نبغ الكثير من العلماء المغاربة في التفسير في ذلك الوقت، فمنهم الإمام عبد الرحمن بن رستم، وقد ألف كتاب في تفسير القرآن الكريم؛ والإمام يعقوب بن أفلح، الذي يظهر أنه كان عالما بتفسير القرآن الكريم ، ويستشف ذلك من كلامه عندما سئل: أتحفظ القرآن ؟ فقال:" أستعيذ بالله أن يترل على موسى وعيسى عليهما السلام ما لم أحفظ وأعرف معناه ، فكيف بالكتاب المترل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ والشيخ محمد بن يانس كان كذلك من العلماء النابغين في علم التفسير، فكان ضمن الوفد الذي طلبه الإمام عبد الوهاب لمناظرة المعتزلة، فطلب مائة مفسر، فأرسلت إليه محمد بن يانس الذي كان يغني عن المائة مفسر، وكان يقول:" أخذت تفسير القرآن كله من الثقات، وعلمته عنهم إلا حرفا واحدا، أو حرفين، فان اضطررت أجد مخرجا."؛ ويظهر من كلام ابن يانس أن جبل نفوسة كان يعج بالعلماء المتضلعين في التفسير، وذلك ظاهر من قوله:" أخذت تفسير القرآن كله من الثقات ومن المفسرين الذي ظهروا في ذلك الوقت الشيخ لواب بن سلام، الذي فسر جزءا من سورة الشورى، وغيرها من الآيات من سور متفرقة في كتابه " شرائع الدين"، وقد كان كثيرا يشير في تفسيره إلى الحسن البصري، وابن عباس، مما يدل على شيوع تفسير هذين العالمين في المغرب العربي، كما يذكر الباحث إبراهيم بحاز وكذلك كانت تحدث مناظرات في التفسير بين العلماء في ذلك الوقت، ومن ذلك ما حدث بين ابن الصغير وأبي الربيع سليمان الإباضي عندما تناظرا في تفسير قوله تعالى (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ)، ثم تدخل عالم إباضي آخر وناظر ابن الصغير في تفسير قوله تعالى:(لَمْ يَحِضْنَ). ومن المفسرين الذين ظهروا في ذلك العصر كذلك، الشيخ هود بن محكم الهواري، وله كتاب في تفسير القرآن عنوانه " تفسير كتاب الله العزيز. "[1].

وفي القرن الرابع الهجري نجدُ من أهل السنة نموذجا لواحد من مفسري المغرب الأوسط، وهو الإمام أحمد بن نصر الداودي، وهو من أهل القرن الرابع له كتاب في التفسير لم يعثر عليه بعد. وقد قال بعض من كتب في هذا الموضوع: " وله تفسير القرآن الكريم جمع فيه ما بين الرواية والدراية ولعله من أنفس التفاسير القديمة،

[1] – الشيخ عمروس ومنهجه، المرجع نفسه. ج225/1.

وبقي متداولا بين الناس حتى القرن التاسع وأخذ منه العلماء ونقلوا عنه. وناهيك من أخذ عنه فخر الجزائر العالم العلامة الولي الصالح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تفسيره الجليل الجواهر الحسان."[1].

نقل منه الثعالبي في الجواهر الحسان نصوصا عديدة تدل على طبيعة ذلك التفسير. بل إن عبارة الثعالبي تفيد أن ذلك التفسير كان موجودا إلى حدود القرن التاسع فقد قال الثعالبي: " ومهما ذكرتُ الداووديَّ في هذا المختصر، فإنما أريد أحمد بن نَصْرٍ الفقيهَ المَالِكِيَّ، ومن تفسيره أنا أنقل. انتهى."[2].

وقال في عبارة أخرى يثبت التفسير للداودي: " وقال أحمد بن نصر الداودي في تفسيره وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سار مع أصحابه في سفر، فقال: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه. فقالوا ذلك. فقال: والله إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها."[3]. انتهى.

وفيما يلي بعض النصوص التفسيرية للداودي، فقد قال الثعالبي في تفسير قوله تعالى (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) [البقرة:89])، ويستفتحون معناه: يستنصرون. قال أحمد بن نصر الداودي: ومنه عسى الله أن يأتي بالفتح أي بالنصر. انتهى."[4]. وهو تفسير للقرآن بما ورد في القرآن نفسه.

ورجع الداودي في تفسير آيات إلى ما ثبت عنده من السنة كما فعل في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [البقرة: 204]" وقد ذكر أحمد بن نصر الداودي في تفسيره أن هذه الآية نزلت في الأخنس ابن شريق انتهى."[5]. وكذلك في قوله تعالى: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) [البقرة: 222]. قال أحمد بن نصر الداودي: روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتقوا النساء في المحيض؛ فإن الجذام يكون من أولاد المحيض. انتهى."[6].

وأحيانا يرجع في تفسير الآيات إلى ما ثبت عنده من قول الصحابة كما في قوله تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) [البقرة: 206]. فقد كتب الثعالبي ما اختاره للتفسير بقوله: وقوله تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتق الله} الآية: هذه صفة الكَافِرِ والمنافقِ الذاهِبِ بنَفْسِهِ زَهْواً، ويحذر المؤمن أن يوقعه الحَرَجُ في نحو هذا، وقد قال بعْضُ العلماءِ: كفى بالمرءِ إثْماً أنّ يقول له أخُوهُ: اتق اللَّهَ، فيقول له: عَلَيْكَ نَفْسَكَ، مِثْلُكَ يُوصِينِي."[7]. ثم نقل قول الداودي وهو محلُّ الشاهد: " قُلْتُ: قال أحمد بن نَصْرٍ الداووديُّ: عن ابن مسعودٍ: من أكبر الذنبِ أنْ يقال للرجُلِ: اتق اللَّه، فيقولَ: علَيْكَ نَفْسَكَ، أَنْتَ تَأْمُرُنِي.انتهى." [8].

---

[1] _ المفسرون الجزائريون عبد القرون، محمد المختار اسكندر (طبعة جزائرية بدون تاريخ) 62.

[2] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 1/ 119.

[3] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. 1/ 69.

[4] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. 1/ 87.

[5] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. 1/ 160.

[6] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. 1/ 171.

[7] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. 1/ 118.

[8] – تفسير الثعالبي، المصدر السابق. 1/ 118.

ويرجع الداودي في تفسير الآيات إلى ما نقل عن التابعين كما فعل في قوله تعالى (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [البقرة: 260]" قال الداودي: وعن ابن جبير أو لم تؤمن بالخلة. قال مجاهد والنخعي {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} أي ازدادُ إيمانا إلى إيماني. وعن قتادة لأزدادَ يقينا. انتهى."[1].

بل ينقل عن بعض التابعين من أهل التفسير ما الظن به أنه من قبيل الإسرائيليات مع تحفظه فيما يبدو؛ فقد نقل في تفسير قوله تعالى (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) [يونس: 10]...بعد أن نقل الثعالبي كلام غيره:" وعبارة الداودي عن ابن جريج دعواهم فيها قال إذا مر بهم الطائر يشتهونه كان دعواهم به سبحانك اللهم فيأكلون منه ما يشتهون ثم يطير وإذا جاءتهم الملائكة بما يشتهون سلموا عليهم فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام وإذا أكلوا حاجتهم قالوا الحمد لله رب العالمين؛ فذلك قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين."[2].

ويحدث أن ينفرد الداودي بتقرير المعنى المراد، وربما أسنده بما يتوفر له عن الصحابة مما هو من قبيل المرفوع كما في قوله (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا) [الأنعام: 158]. " قال الداودي: قوله تعالى (أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) [الأنعام: 158] يريد أن النفس المؤمنة التي ارتكبت الكبائر لا تقبل منها التوبة يومئذ، وتكون في مشيئة الله تعالى كأن لم تتب. وعن عائشة رضي الله عنها: إذا خرجت أول الآيات طرحت الأقلام، وحبست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال انتهى."[3].

وفي هذا الموضع أيضا وجدتُ الداودي يجنح إلى النقل عن التابعين في موضع يحتمل التأويل، فالفوقية الواردة في الآية تحتمل فوقية المقدار وهو ما صدر به الثعالبي كتابه، وتحتمل فوقية موضع أن المؤمنين في الجنة. وهو ما يفيده نقل الداودي عن قتادة.

وإنما استكثرت نمن النقل عن الداودي لنرسم الخطوط الأولى لمدرسة التفسير بالجزائر، وما مفردات المنهج المتبع فيها، وإلى أي درجة اعتمد النقل وما جهات ذلك النقل، ومتى وما هي المقادير التي سمح للرأي أن يحاذي النقلَ في التفسير، وما طبيعة ذلك الرأي؟ ليتبين لنا فيما بعد كيف سارَ خطُّ التفسير وما هي التطورات التي شهدها، وإلى أي مدى انتهى ذلك التطور بحركة التفسير.

وفي القرن الخامس الهجري نجد مثالا للمفسر الجزائري هو أحمد بن علي الباغاني أبو العباس (تـــ:401هـــ) و(باغاية) من أرض الجزائر في الشرق منها. وهو من أهل العلم بالقرآن اشتغل بالتدريس " بالمسجد الجامع بقرطبة."[4]، وعلق بعضهم على هذه المكانة في التدريس بقوله " وناهيك بمكانة هذا المسجد في ذلك الوقت، ومن يتصدى للتدريس فيه، وخاصة تفسير القرآن الكريم، وذلك لمكانته العلمية الخاصة بعلوم

---

[1] ـــ تفسير الثعالبي، المصدر نفسه.. 1/ 208.

[2] – تفسير الثعالبي، المصدر السابق.2/ 171

[3] – تفسير الثعالبي، المصدر السابق. 1/ 570.

[4] – معجم المفسرين، لعادل نويهض، المرجع السابق. 49/1.

القرآن."[1]. وكان قد رحل إلى المشرق فأخذ بمصر " عن أبي الطيب بن غلبون، وأبي بكر الأدفوي"[2]، ولا يخفى مَنْ هؤلاء في التفسير والعلم بالقرآن.

وقد وصف المفسر الباغاني بكونه " بحرا من بحور العلم لا نظير له في حفظ القرآن؛ قراءته وإعرابه وأحكامه، وناسخه ومنسوخه." [3]، وتلك شروط التفسير ومؤهلات المفسر، بل كان في كل ذلك السابقَ في الحلقة. ولا شك أن تدريس التفسير كان من ضمن درسه المستمر كما تفيده قضية التخصص في علوم القرآن المنوه بها في كتب التراجم.

وفي خصوص التأليف فقد ذكرت المصادر بعد التعريف به ذلك إذ له " كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا، وهو على مذهب مالك."[4]. وإذا كان هذا التفسير لم يصلنا فعبارة من اطلع عليه تفيد أهميتَه وتقرر قيمتَه العلمية، وأنه نحا في توجيه آيات الأحكام ما يوافق مذهب مالك في الفقه، وما قرره من القواعد في الأصول.

ومن مفسري هذا القرن أيضا من الإباضية أبو بكر بن يحي الزواغي النميلي[5]المتوفى (/431هـ)، ورد في ترجمته " وهو إلى ذلك عالم له آراء عقدية وفتاوى، وآراء في السياسة الشرعية، ومناظرات مع عزّابة زمانه، وتفسير لبعض الآيات القرآنية، أورد بعضا منها الوسياني."[6]، والعبارة وإن كانت لا تدل على أن له تأليفا في التفسير أو كان من مدرسيه إلا أن نقل بعض ما فسر به القرآن عبر العصور عند علماء طبقات المذهب يدل على قيمة ذلك التفسير ومكانة ذلك المفسر.

ولا يكاد ينقضي القرن الخامس حتى تشغل القرن الموالي له شخصية إباضية تركت إرثا علميا وشهرة سجلتها كتب التراجم والمدونات العلمية إذ نجد فيه شيخ التفسير " الإمام أبا يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني المتوفى سنة 570 هـ الذي رحل إلى الأندلس ودرس بها وكان يلقب بالجاحظ، فسر القرآن الكريم في مؤلف ضخم من ثمانية مجلدات." [7]. وتدل عبارة الرحلة إلى الأندلس أن الحياة الثقافية قد لطفت من حدة الانتماءات المذهبية إذ لا بعلم أنه كان بالأندلس قوم من الإباضية فضلا أن تسمح أوضاعهم بعقد حلقات التدريس خصوصا من أمثال الورجلاني المذكور. وهو أمر سنجده يتكرر في العصور المتأخرة إذ كان كثير من إباضية الجزائر مثلا يدرسون بالزيتونة وعند مشايخها المعروفين بانتمائهم لأهل السنة ومدرستهم العلمية والعقائدية. والعبارة التالية تؤكد ذلك " رحل في شبابه إلى الأندلس، وسكن قرطبة طلبا للعلم. شبهه

---

[1] _ المفسرون الجزائريون عبد القرون، المرجع نفسه. 62.

[2] – معجم المفسرين، المرجع السابق. 49/1.

[3] – معجم المفسرين. 49/1.

[4] – الداوودي طبقات المفسرين، المصدر نفسه. 53/1.

[5] – معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق. 89/2-90.

[6] – معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق. 89/2-90.

[7] – معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق. 89/2-90.

الأندلسيون بالجاحظ. وعاد إلى بلده، ومنها انتقل إلى المشرق، وزار أشهر حواضره العلمية، ولقي أكابر العلماء والشيوخ. كما وصل في إحدى رحلاته العلمية إلى أواسط إفريقيا وإلى قريب من خط الاستواء." [1].

وفي بعض العبارات أنه يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي أبو يعقوب الورجلاني[2]: " ولد بورجلان سنة خمسمائة، رحل في شبابه إلى الأندلس... وانتقل منها إلى المشرق وزار أشهر حواضره العلمية...". ألف في تفسير القرآن في سبعين جزءا. قال البرادي وهو ممن اطلع على بعضه: " وهو كتاب عجيب رأيت منه في بلاد " أريغ " سفرا كبيرا لم أر ولا رأيت قط سفرا أضخمَ منه ولا أكبرَ منه. وحزَرتُ أنه يجاوز سبعمائة ورقة فيه تفسير فاتحة الكتاب والبقرة وآل عمران، وحزرتُ أنه فسر القرآن في ثمانية أسفار مثله... فلم أرَ ولا رأيتُ أبلغ منه، ولا أشفى للصدور في لغة أو إعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة أو شاذة أو ناسخ أو منسوخ أو جميع العلوم منه. فإذا ذكر آية يقول قوله تعالى إلخ، فأول ما يذكر إعراب الآية ويستقصيه، ثم يقول اللغة فيستقصي جميع تصاريف الفعل من الكلمة، ثم الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسوقُ الروايةَ من كتاب الربيع ابن حبيب المعروف بـــ"المسند"، ثم يسرد فيه السند: أبو عبيدة عن جابر ويذكر الحديث. ولقد استقصى الخلافَ الذي في الإمام في قوله {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} [البقرة: 124]؛ فذكر مقالة الرافضة والغالية وذكر مقالات النُّكّار، وغيرهم من جميع الفرق. ولعمري إن فيه لعُلوما جمَّة."[3].

ومن المفسرين الجزائريين في هذا القرن أيضا " أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي التوزري المتوفى سنة 513هـــ". وليس فيما بين أيدي الباحثين من النصوص لقلتها ما يؤكد إنه كان له في التفسير عمل علمي على غرار ما يذكر له من التآليف المختلفة.

ومن مفسري هذا القرن أيضا الحسين بن علي بن محمد أبو علي المسيلي[4]، نسبته إلى المسيلة. نشأ في مدينة بجاية وتوفي 580هـــ، ورد في ترجمته أنه أصولي متكلم من فقهاء المالكية، له في التفسير كتاب التفكر فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات.[5]. ولم يصل إلى أيدينا من النقل ما يوضح نوع هذا التفسير ولا طريقة المفسر.

كما تجد أيضا شخصية أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمران الذي " درس التفسير وألف فيه كتابا وصل إلى سورة الفتح." [6]. وليس بين أيدينا الآن أكثر مما ذكر هنا ولا نجد نصا منسوبا لهذا العمل العلمي في شيء من المراجع التي بين أيدينا.

---

[1] – معجم المفسرين، المرجع السابق. 808/2.

[2] – معجم المفسرين، المرجع السابق. 809/2.

[3] – اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، نور الدين السالمي (درا إحياء التراث العماني ـــ سلطة عمان – 1401هـــ) /11.

[4] – معجم المفسرين، المرجع السابق. 769/2، أعلام الجزائر، عادل نويهض (مؤسسة نويهض الثقافية – بيروت– ط:02، 1980م) 299، عنوان الدراية، المصدر السابق. 13.

[5] – معجم المؤلفين، المرجع السابق. 62/3.

[6] – معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق. 89/2-90.

ويلاحظ إلى حدود هذه الفترة أن درس التفسير وتدريسه كان عملا مستمرا ضمن ما يعقد من الحلقات العلمية، وأن التأليف فيه كان قد خطا خطواته الأولى غير أن التدوين الذي يأخذ شكلا منهجيا وتقليدا مستمرا " يحيى بن محمد بن منداسي التلمساني المفسر الفقيه الواعظ قال الذهبي: "جمع وجاور بمكة وسمع من أبي الحسن وسكن الإسكندرية ووعظ بها من آثاره: "تفسير القرآن الكريم". والعبارة الأخيرة تثبت اختصاصه بالتفسير والزمن قريب عهد بالرواية، وناهيك بشهادة الذهبي له.

وبالنظر إلى ما كان متداولا من تفاسير المتقدمين نورد النص التالي والذي يفيد أن من مقررات التفسير في هذه المرحلة تفسير عبد بن حميد وهو تفسير أثري، فقد ورد في التعريف بالشيخ عبد الحق الإشبيلي أنه" أقام بمدينة بجاية بُرْهة في هربه من المغرب وحدّث بها في سنة 537هـ، ويحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي بتفسير عبد بن حميد عن أبي محمد طاهر بن أحمد بن عطية المرِّي القاضي عن ابن بشر هذا عن أبي علي الصدفي عن العذري عن أبي ذر عن أبي محمد بن حموية عن إبراهيم بن حزيم عنه."[1].

وله سند متصل يدل على الحرص على تفاسير الرواية التي تتصل بالقرن الثاني الهجري، وأنه كان يعامل معاملة الآثار النبوية ولا غرابة فقد كان التفسير عموما عماده وسداه ولحمته الآثار النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وقد عرفت منزلتهم في التفسير فلا نطيل بإعادة القول فيها.

وأضيف إلى هؤلاء المذكورين نصا يفيد أن صاحبه قد تعاطى تدريس التفسير بمجلس السلطان، وهو أعلى ما يمكن أن يصله مفسر من الرتبة لوجود الأقران، وما كان يجري بهذه المجالس من النقض والمعارضة بحضرة السلطان فمن دونه. " قال الشيخ أبو يحي المطغري: لما اجتمع العلماء عند أبي عنان أمر الفقيه العالم المقرِّي بإقراء التفسير فامتنع منه، وقال: الشريف أبو عبد الله أولى مني بذلك. فقال له السلطان: تعلم أنت علوم القرآن وأهل لتفسيره فأقرأه. قال له: إن أبا عبد الله أعلم بذلك مني فلا يسعني الإقراء بحضرته، فعجبوا من إنصافه؛ ففسر أبو عبد الله بحضرة العلماء كافة في دار السلطان، ونزل عن سرير ملكه وجلس معهم على الحصير، فأتى بما أدهش الحاضرين."[2].

وفي القرن السابع تجد عليّ بن عبد الله ناشر بن المبارك أبو بكر أبو الحسن الوهراني[3]، وقد رحل إلى المشرق فيما يبدو في زمن غير محدد إن لم يكن قد ولد هنالك، وذكر في ترجمته " المفسر خطيب داريا."[4]، وهي من قرى المشرق. وليس بين أيدينا أسماء شيوخه ولا تلامذته، وقد توفي الوهراني المذكور في 615هـ. وتذكر التراجم أن له " تفسيرَ القرآن."[5].

---

[1] – المعجم لابن الأبار، المصدر السابق. 59.

[2] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع السابق. ج116/1.

[3] ـــ معجم المفسرين، لعادل نويهض، المرجع السابق. ج 368/1.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 349.

[5] ـــ التفسير في غرب إفريقيا، للطرهوني، المرجع السابق. ج 263/1.

كما تجد أيضا سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين العابدي الكُومي عفيف الدين أبو الربيع التلمساني، وهو شخصية قلقة في التصوف. ولد العفيف سنة عشر وستمائة. وقد ترجم له جماعة، وصرح ابن العماد بكون عفيف الدين المذكور " أحد زنادقة الصوفية "[1]، وهي عبارة من مشرقي تدل على شهرة عفيف الدين وذيوع صيته على نحو ما ذكر وغيره. وذكر المترجمون أن له " تفسير سورة الفاتحة."[2]، وليس بين أيدينا الآن ما يدل على شكل ذلك التفسير ولا لونه إلا من حيث كونه من الصوفية بل من غلاتهم كما تفيده عبارة ابن العماد.

كما تجد من المفسرين أيضا أحمد بن علي بن يوسف البوني: (622هـ)" ومعلوم أن بونة من وطن الجزائر وهي عنابة اليوم. وللبوني المذكور تآليف في التفسير وهي " تحفة الأحباب ومنية الأنجاب في أسرار بسم الله وفاتحة الكتاب[3]، وأيضا " فتح الكريم الوهاب في فضائل البسملة من جملة الأبواب، وخصائص سر الكريم في فضائل بسم الله الرحمان الرحيم."[4]. والظاهر من هذا أن المعالجة ليست من نمط التفسير الذي نقصده بل هي إلى بيان الأسرار والخواص، والفضائل أقرب منها إلى معرفة معاني الآيات ومقاصد السور.

وقد وصل الباحثين من تراث التفسير في هذا القرن بعض النصوص عن الإمام أحمد بن إدريس البجائي (740هـ) ضمن تقييد التفسير عن ابن عرفة رأيتُ أن نستعرض شيئا منها؛ لأجل الوقوف على طبيعة ذلك التفسير ومنهجه صاحبه، وخصوصا أنه ورد مقرونا بتفسير ابن عرفة وهو من نفس القرن على أنه عاش في أواخره. من ذلك ما جاء في التقييد المذكور في قوله تعالى " (وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ). استدلوا به على أن الصوم للمسافر خير وأفضل. قلتُ: وقال لي سيدي الشيخ الصالح الفقيه أبو العباس أحمد ابن إدريس البجائي: لا دليل فيها؛ لأن قوله {يا أيها الذين آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصيام...} إلى قوله {وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ} منسوخ بقوله الله تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن} (ويدلّك) على النّسخ قولُه تعالى {أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ} وهو جمع قلّة ولا يتناول الشهر حسبما قال الزّمخشري معناه: أياما (مؤقتات) (بعدد) معلوم أو قلائل كقوله {دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ.}."[5]. وهو تفسير للقرآن بنفس ما ورد فيه على سبيل النسخ. ولا يفوتنا أن نسجل أنه عنصر استمر في التفسير. إضافة إلى أن المفسر قد استشهد بكلام غيره من المفسرين وهو الزمخشري وقد كان كتابه الكشاف قد حظي بالعناية في أرقى درجات المشيخة.

ونقل عنه في التقييد المذكور أيضا في تفسير (فمن شهد منكم الشهر فليصمه): قلت: وكان سيدنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إدريس رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى يقول: " هذه الآية تدل على أن المسافر غير مأمور بالصّوم؛ لأن «شهد» بمعنى حضر والمسافر ليس بحاضر. وقالوا إذا صامه فإنه يجزيه ويكون أداء، وقالوا في العبد: إنّ الحج

---

[1] – شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي (مؤسسة الرسالة – سوريا– ط:02، 1985م) ج412/5.

[2] – منه نسخة بمكتبة بتشستربيتي (الفهرس الشامل 344/1).

[3] ـــ معجم المفسرين، المرجع نفسه. 760/2.

[4] – هدية العارفين، المرجع نفسه. 90/1.

[5] – تفسير ابن عرفة، المصدر نفسه. 1/ 220.

ساقط عنه فإن حج ثم عتق لم يجزه عن حجة الفريضة، فحينئذ نقول: فعل العبادة قبل وجوبها إن كانت عندكم نفلا سدّ مسدّ الفرض. قال: والجواب عن ذلك أن المسافر مأمور بالقضاء لقوله تعالى: {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} وذلك دليل على أن إباحة الفطر له (إنما هو رخصة)، لا لكون السفر مانعا من الصوم بخلاف العبد؛ فإنه إن عَتَق فلا يزال مطلوبا بالحج وإذا فعله بعد العتق كان أداءً؛ لأنّه أوقعه في وقته وهذا إن أدركه الصوم في السفر ثم حضر وفعله كان قضاء."[1]. ومن هذا النص يتبين مدى حاجة المفسر إلى الرجوع إلى اللغة لترجيع بعض المعاني كما في تفسير (شهد) بمعنى حضر خلاف ما لو كان مسافرا وعلى هذا يترتب الحكم الفقهي. ويلاحظ أيضا غلبة التناول الفقهي للآية بما يؤيد أحكام مذهب المفسر في الأحكام الشرعية.

وفي شخصية منصور بن علي بن عبد الله الزواوي حيث لا يجد له الباحث عملا تفسيريا إلا أنه يستفيد مما ذكر عنه قيامَه بدرس التفسير بالأندلس عام 753هـ. وهو ما يفيده النص التالي: " قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، فلقي رحباً، وعرف قدره، فتقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهة، وحلق للناس متكلماً على الفروع الفقهية والتفسير. وتصدر للفتيا..."[2]. وخصوصا إذا علمنا أن منصورا الزواوي من تلاميذ الباهلي وقد قال بعضهم في ترجمة الأخير " مفيدنا المقدم أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بالمفسر رحمه الله."[3].

وفي نص آخر لابن الخطيب يترجم لمنصور بن علي بن عبد الله الزواوي أبو علي. قال ابن الخطيب " حريص على الإفادة والاستفادة مثابر على تعليم العلم له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية درس في التفسير والفقه وغير ذلك أخذ عن أبيه ومنصور بن أحمد المشدالي وعبد المهيمن الحضرمي وأبي القاسم الحسيني."[4].

ومن مفسري هذا القرن أيضا الإمام يحي بن محمد بن موسى أبو زكريا التُّجِيبي التلمساني[5]: " وكان قد سكن الإسكندرية (652هـ) وصنف في التفسير والرقائق[6]. ولم يصل بأيدينا ما يدل على شكل هذا التفسير ولا طبيعته. وممن درس التفسير خارج بلاده الجزائر، ووقع الترجمة له بذلك " الإمام أبو الروح عيسى المشهور بابن يحيى السكلاني الجميري الزواوي المولود بزواوة سنة 644 هـ، والمتوفى بالقاهرة عام 743هـ فسر

---

[1] – تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة 1/ 222. وانظر أيضا تفسير (ولا تنكحوا المشركات حتى يومنّ) 268/1، وتفسيره لقوله تعالى (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ) 2/ 85، وقوله تعالى (وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ)4/ 217، وغيرها مما في تفسير ابن عرفة.

[2] – الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (طبع بمصر ـــ 1974م) 1/ 458.

[3] – الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق. 1/ 459.

[4] – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (صورت عن طبعة الهند – مصر– 1966م) 2 / 144. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 2 / 144.

[5]– معجم المفسرين ج 735/2، معجم أعلام الجزائر 83.

[6]– طبقات المفسرين للأدنوي، المصدر نفسه. 187.

القرآن تدريسا بمصر والشام. وهو أمر يدل على تبحره في ذلك لكثرة شيوخ التفسير والتآليف بالمشرق وهو غريب الدار.

ومن مفسري القرن الثامن الإمام أحمد بن العباس النقاوسي المتوفى 765هـ " له مشاركة في علوم التفسير.."[1]، و لم يصل بأيدي الباحثين شيء من إنتاجه، ولا تيسر لهم بعض النصوص المنقولة عنه؛ غير أن من ترجم له عرّفه بالمشاركة في التفسير كما تقدم، وهي عبارة تدل على تخصصه في غير التفسير، لكن إسهاماته في التفسير كانت ملفتة للنظر.

ويجد الباحث في نفس هذا القرن أحد ابني الإمام يسأل في المشرق عن التفسير: " وقال: ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً، أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشريطتين: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال: 23]، فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج: ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون، وهو محالٌ."[2].

وفي تعريف الخلف جواب السؤال المذكور على لسان أبي زيد بن الإمام. ونص جوابه: " وقال: ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً، أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشريطتين: (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون، فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج " ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون " وهو محال. ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن حكم؛ قال الخُوَنْجي، والإهمال بإطلاق لفظه، لو وأن في المتصلة، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان، والمهملة في قوة الجزيئة، ولا قياس على جزئيتين. فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين، أخبرته بهذا، وبما أجاب به الزمخشري وغيره، مما يرجع إلى انتفاء أمر تكرار الوسط. فقال لي: الجوابان في المعنى سواء، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط. وأخبرت بذلك شيخنا أبا عبد الله الآبلي، فقال إنما يقوم القياس على الوسط، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين، إلى ساير ما يشترط. فقلت: ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلاً لمجمل ما ينبئ عليه الوسط وغيره، وإلا فلا مانع لما قاله ابن حسين. قال الآبلي: وأجبت بجواب السّلَوِي، ثم رجعت إلى ما قاله الناس، لوجوب كون مهملات القرآن كلية، لأن الشرطية لا تنتج جزئية. فقلت: هذا فيما يساق منها للحجة مثل (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا). أما في مثل هذا فلا. قلت: وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولي سبب تأخر، حسبما تبين في مسألة، لو لم يطع الله، فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله."[3].

وهذا النص المنسوب لمفسر من أهل القرن السابع يفيد في رسم مسار التفسير ومنهج المفسر في ذلك بعد ثلاث قرون من انتهاء عصر الرواية آخر القرن الرابع. فأنت ترى أن السؤال عن الآية لم يقع حول معاني

---

[1] – معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، المرجع نفسه. 331.

[2]– الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر نفسه. ج1/ 219.

[3]– نفس المصدر ج1/ 219.

الألفاظ من جهة اللغة، ولا من جهة ما ثبت من النقل في ذلك قبولا أو استشكالا، ولا من جهة توجيه الآية نحويا. بل وقع استجابة إلى مباحث المنطق وقد أخذت تنتشر قبل هذا القرن بالمشرق وأتخمتْ به مباحث العلوم من تفسير وكلام وبالغة وغير ذلك. فقوقع الجواب حسب طبيعة السؤال. ولاحظ أيضا كيف تم تداول هذا السؤال بين أهله المفسرين شرقا وغربا، وكيف تم الرجوع إلى كبير المفسرين في الزمن المذكور وهو الزمخشري. رحمه الله الجميع.

وفي هذا القرن ظهر الشريف التلمساني وقد أخذ عن ابني الإمام المذكورين وغيرهم، وذكر عنه أنه " فسر القرآن خمسا وعشرين سنة بحضرة أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة، لا يتخلف منهم أحد، عالما بقراءته ورواياته وفنون علومه من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ وغيرها."[1]. وفي بعض النصوص أن الشريف المذكور " حضر يوما مجلس أبي زيد بن الإمام في تفسير القرآن، فذكر نعيم الجنة فقال له الشريف وهو صبي: هل يقرأ فيها العلم؟ قال له: نعم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. فقال له: لو قلت: لا؛ قلت لك: لا لذة فيها فعجب منه الشيخ."[2]. وهذا النص يفيد أن ابن الإمام كان يخص تفسير القرآن بمجلس منتظم.

ومنهم في هذه الفترة إمام المغرب في زمانه العلامة المجتهد أبو عبد الله الشريف التلمساني المتوفى سنة 771 هـــ الذي خلف آثارا علمية جليلة، وكان علم التفسير في طليعة ما يعتني به من فنون وقد دأب عليه سنين طويلة، وعن توقيت هذا التدريس أن الشريف كان " غالبا يقرأ المدونة بعد التفسير حتى مات."[3]، ومعروف أن تدريس المدونة لم ينقطع عبر العصور، ولا تعطلت مجالسها وخصوصا زمن صاحب الترجمة. وفي نص آخر أنه كان " يقرئ في التفسير نحو ربع حزب كل يوم مع البحث، وإذا طال بحث الطلبة أمرهم بالتقييد في المسألة ثم يفصل بينهم."[4]. وهو يفيد أنه درس مخصص لخواص الطلبة، وأن مجال البحث كان متاحا وأنه كان يحدث أن ينفصل المجلس على مجال منفتح على الدرس والمطالعة.

ويدلك على مكانة الدرس الذي كان يتعاطاه الشريف المذكور أن الشاطبي من تلامذته وكفاه بذلك فخرا، فقد قيل في ترجمة الشاطبي أنه " أخذ عن الشريف السبتي والشريف التلمساني وغيرهما. أثنى عليه علماء المغرب، وقال التنبكتي: له القدم الراسخ والإمامة العظمى في الفنون فقها وأصولا وتفسيرا وحديثا وعربية وغيرها."[5]. وكتبه شاهدة بذلك خصوصا الموافقات وشرح الألفية وقد طبع أخيرا في عشر مجلدات.

ومن المفسرين أيضا في هذا القرن المقري الجد[6] (757هـــ): محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن علي القرشي المقري أبو عبد الله التلمساني. " يقوم أتم القيام على العربية والفقه

---

[1] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. ج117/1.

[2] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. ج 113/1.

[3] – تعريف الخلف للحفناوي، نفس المرجع. ج118/1.

[4] – تعريف الخلف للحفناوي، نفس المرجع. ج118/1.

[5] – معجم المفسرين، المرجع نفسه. ج23/1.

[6] ـــ مصادر الديباج المذهب، لابن فرحون المالكي (دار الفكر، لبنان، بدون تاريخ) 288.

والتفسير."[1]. وهي عبارة تدل على تمكنه من علم التفسير، ورجوع العلماء إليه فيه، ودونها عبارة من ترجم له بقوله: " عالم بالتفسير والفقه."[2]. وقد ذكر في كفاية المحتاج كل ذلك بقوله " كان ذا إحاطة بالتفسير."[3].

وقد أشارت كتب التراجم إلى أن له أبحاثا في التفسير نازعه فيها بعض علماء تلمسان وهو أبو الفضل التلمساني الآتي. ومن شيوخ صاحب الترجمة أبو حيان فإن المقري المذكور قد " حجَّ ولقيَ جلَّة، وأخذ بمصر عن أبي حيان..." [4]. ومعروف مكانة أبي حيان في التفسير وما له في من التآليف الكبيرة.

وبمناسبة الكلام عن المقري الجد وقبل سرد ما عثرتُ عليه من نصوص التفسير يجدر الإشارة إلى أن شيخ المفسرين أبا حيان شيخٌ لكثير من المفسرين الجزائريين، ويتصل سندهم به كما هو عند أحمد المقري (1041هـ) بأبي حيان عن طريق ابن مرزوق الجد " قلت: وتتصل روايتي عن الإمام أبي حيّان من طرق عديدة: منها عن عمي وليّ الله العارف به شيخ الإسلام مفتي الأنام الخطيب الإمام ملحق الأحفاد بالأجداد سيدي سعيد بن أحمد المقّري التّلمساني، عن شيخه العالم أي عبد الله التّنسي، عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التّنسي ثمّ التّلمساني الأموي، عن عالم الدنيا أبي عبد الله ابن مرزوق، عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق، عن الأثير أبي حيان بكل مروياته." [5].

ويحدث أن يجري التفسير على هيئة استشكال على سبيل بيان النكتة فيجيب عنه المفسر بما يراه وجه مقبولا لدلالة الآية، وقد قدمنا عن ابن الإمام أبي زيد ما يشبه هذا فلنورد نظيره وقد وجه للمقري الجد والعبارة له " ولما اجتمعنا بأبي الوليد ابن هانئ مقدمَه علينا من غرناطة سأل ابن حكَم عن تكرار من في قوله تعالى (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) [الرعد: 10]، دون ما بعدها. فقال: لولا تكررها أولا لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان؛ فارتفع بتكرار الموضوع. أما الآخر فقد تكرر الزمان فارتفع توهم التضاد فلم يحتج إلى زائد على ذلك. فقلت: فهلا اكتفى بسواء عن تكرار الموضوع؛ لأن التسوية لا تقع إلا بين أمرين. وإنما الجواب عندي: أنها تكررت أولا على الأصل؛ لأنهما صنفان يستدعيها كل واحد منهما أن تقع عليه، ثم اختصرت ثانيا لفهم المراد من التفصيل بالأول مع أمن اللبس. وقد أجاب الزمخشري بغير هذين فانظره. "[6]. وهو نقل يؤكد دقة الدرس التفسيري وعمقه، وعدم الاكتفاء بتوجيهات أقران الزمخشري مع الإحاطة بها، مع ملاحظة درجة الزمخشري في التفسير وعلو مكانه.

وأنقل هنا بعض نصوص التفسير عن المقري الجد وردت في كتاب المعيار للونشريسي، وأعلق عليها بما يحتمله محل الشاهد منها. من ذلك ما وقعت له الترجمة في المعيار بـــ" مسألة قال الإمام العلامة سيدي أبو عبد

---

[1] ـــ تعريف الخلف، للحفناوي، نفس المرجع. ج 166/2.

[2] ـــ نيل الابتهاج، للتنبكتي، المصدر نفسه. 69.

[3] ـــ كفاية المحتاج، للتمبكتي، المصدر نفسه. 166.

[4] – نيل الابتهاج، المصدر نفسه. 69.

[5] – نفح الطيب للمقري، المصدر نفسه. ج 2 / 574.

[6] – نفح الطيب للمقري، المصدر نفسه. ج 227/5.

الله المقري: نظرت في قوله تعالى (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ [الإسراء: 59]) مع ما في الصحيح من قوله عليه السلام:" ما بعث من نبي قبلي إلا أوتي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا، وأرجوا أن أكون أكثرَهم تابعا يوم القيامة."، ففهمت من ذلك سرّ رفع العذاب العام والمسخ وغير ذلك مما نال الأمم المتقدمة؛ وذلك أن تلك الآيات آيات اضطرار فكانت العقوبة على تكذيبها عقوبة عناد. وآية الوحي آية اعتبار فالعقوبة على ردها عقوبة إعراض وإلحاد. وكأن الله عزّ وجل مهّد لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أمرَه بأن بعث الأنبياء قبله بالآيات وأهلك المكذبين بها بمنكرات العقوبات ثم لم ينقطع مع ذلك شرك ولا غلب توحيد فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم بوحي يعرفه المستبصر، ويفهمه الذكر فمن أيقظ الله بصيرَته علم أنه من عند الله تعالى، ومن حجب قلبه صرفه عن طريقه، ثم نصره بالسيف فبلغ حتى مات. وقد أسلمت العرب، وسالمت ثم قام بعده خلفاء به فأشاعوه في الأقطار وقاتلوا عليه جميع الكفار حتى فتحوا البلدان وأظهروا دين الإسلام على سائر الأديان؛ فعم بلوغ دعوته المشارق والمغارب وعلت كلمته الرؤوس والمناكب، فلم يدعوا في الأرض مسلما أو عابدا لله غير جاحد له، ولا مشرك به من كتابي أو مجوسي أو ذمي أو حربي مطلوب لا طالب ومركوب لا راكب، ونحن ننتظر استئصال شأفتهم وإخماد نار شوكتهم، وعلو منار كلمتهم فكل من على الأرض اليوم فهو مذعن لله عز وجل مقر به خائف من بطشه، راغب في فضله لا يدعي التلبية لغيره، ولا يقر بمعبود سواه ببركة آية الوحي. وهذا سرٌّ كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وأكثرهم تابعا. ويدلك على ذلك أن الآيات كانت مع خصوص الدعوى، والوحي مع عمومها بظهور أثرها في الأمور المخبر بها في قل الإسلام من أكبر معجزات سيد الأنام. وهذا سرٌّ: " لو أدركني موسى ما وسعه إلا إتباعي.". وهو سرٌّ تحريم الملك في أمته، وشرع الخلافة حتى يكون الأمر على نهجه والله أعلم."[1].

وواضح من هذا النص أنه لم يسقْ مساقَ تفسير الآية المذكورة بالوقوف على معاني ألفاظها من جهة اللغة وإسناد المعاني التركيبية إلى مدلول آية أخرى أو أحاديث مأثورة أو قول صاحب... إلى آخر ما هنالك من المصادر المعروفة، لكنه سيق لبيان ما تفيده الآية والحديث المذكورين مجتمعين، ويدفع ما توهم من المعارضة بينهما. لأجل ذلك والله أعلم لم يعد المقري فيما ذكر إلى مرجع خاص لكون معاني تفسير الآية مقررة يمكن للناظر أن يطالعها في كتب التفسير وهي كثيرة، غير أن ما يفتح به على المفسر من وجوه الدلالات يحتفظ المفسر بحقه في نسبته إلى نفسه ويقيم لأجل ذلك الدلائل على صحته، ويدفع عنه وجوه النقض والاعتراض.

مما يحسن ذكره هنا أن التفسير أخذ يدخله شيء كثير من المعالجات المذهبية سواء لقضايا فقهية أو كلامية، وكأنما يقصد المفسر أن يجد في التفسير مصداق ما يتبناه من قضايا العقيدة والفقه. وهذا النص يفيد ذلك ويستعرض أقوال المتخصصين في المسألة." وقال أيضا رحمه الله: قوله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: 9] يدل على وجوب العمل بالراجح، وقد حكى الإجماع عليه؛ لأنه دليل على قوام بعض

[1] ـــ-كتاب الجامع من الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ليحي المازوني، تحقيق د: ماحي قندوز (منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2013م) 292/1.

الطرق سواه، ثم لم يرض للعالم غير إتباع سبيله، وانتهاج طريقته. وقوله أيضا بعدها (وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) [الإسراء: 10] دليل على جواز التبشير بمصاب العدو والفرح به، وإن كان أخرويا. وقد اختلف في جواز الدعاء عليه بالموت على الكفر؛ وقد أفتى شرف الدين الكركي بكفر من قال لرجل أماته الله على الكفر. قال لأن محبة الكفر كفر، ورددته بقول صالح ابني آدم (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ) [المائدة: 29] الآية. انتهى. "[1].

وأسوق قبل التعليق نصا لإمام مفسر جزائري الأصل تعقب له هذا التحليل، وفيه " فكتب الفقيه العلامة سيدي أبو الفضل ابن الإمام[2] عقب كلام المقري ما نصه: الحمد لله قوله في الآية الأولى يدل على وجوب العمل بالراجح مما يمنع، وذلك أن (يَهْدِي) يحتمل أن يكون مفسرا بـــ(يَدْعُو) على نهج (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) [فصلت: 17]، وعلى هذا القول أن إجابة دعوته تجب؛ لأن الدعاء منه إلى التي هي أقوم بأوامر ونواه يوقف مع كان منها، وتارة يكون معنى (يَهْدِي) يرشد؛ وإرشاده من وجوه لا تحصر ولا تحصى. كما أن (التي) أيضا يحتمل أن يكون على ظاهره مقتضيا للتفضيل. ويحتمل أنْ لا. وذلك إذا لوحظ منه التوحيد إذ التشريع لم تختلف فيه؛ فلو قيل مثلا: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم على معنى أنه يرشد الناظر فيه إلى الحالة القويمة، وذلك إذا نظر فيه مؤمن من الوجه التوحيدي، وما يقول إذا نظر فيه كتابي مسلم من وجه إنبائه عن قصصهم وأخبارهم مع أبنائهم فإن قال المراد مجموع القرآن من حيث هو مجموع، وكل آياته لا كلياتها، فيبقى النظر في الإشارة لماذا هي من قوله سبحانه (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ) فتأمله." [3].

وكلام الإمامين يحتمله المقام إذ كانت المعاني المشار إليها يتضمنها الظاهر، وهي واقعة بوجه من الوجوه ضمن مدلولاته، وما استدل به كل منهما هي طريقة المفسرين عموما في القرن المشار إليه، وهم متأثرون في هذا المسلك بالزمخشري إذ كان يهتم باستثارة المعاني الأصلية والهامشية. وقد أوردنا شيئا منه أعلاه فلا نطيل بإعادته.

وقال أيضا رحمه الله لما نزل قوله تعالى (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ [الأنعام: 65]) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعوذ بوجهك" الحديث. (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: 65]) قال: أعوذ بوجهك."، (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) [الأنعام: 65] قال هذا أخفُّ. فمن ثم وربك أعلم منح هذه دون تينك على ما ثبت في الصحيح من قوله:" سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بالسّنة فأعطانيها."الحديث. وهذه والله أعلم هي العذاب من فوق." وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها."، وهي والله أعلم العذاب من تحت."، " وسألته أن لا يجعل فتنتهم بينهم فمنعنيها." الحديث. وهذه هي اللبس والإذاقة فتأمل ذلك تجد الحديث كالفاء لبائه، واستعذ بالله من

---

[1] – الجامع من الدرر المكنونة ليحي المازوني،، المصدر نفسه. ج292/1.

[2] – أبو الفضل بن الإمام ستأتي ترجمته قريبا.

[3] – الجامع من الدرر المكنونة، المصدر نفسه. 292/1.

جميع بلائه، ولا تحتقر شيئا من عذابه نعوذ بالله منه.". والذي يهمنا من هذا النص كيف جعل المقري الحديث كالشرح للآية، وفصل أجزاءه على فصوله، وسلمه له الإمام أبو الفضل لولا أنه استدرك عليه أن القول للسهيلي في كتاب السيرة له وهو معروف أشار إليه في النص التالي. " فكتب سيدي أبو الفضل ابن الإمام عقب كلامه هذا كلام في غاية الحسن نعم كدّر صفوه أني أحفظ مثله للسهيلي فطالعه في الروض الأُنُف فقد يكون حفظه ثم نسيه أعني نسيه على الوجه الخاص في كونه هنالك، وكونه للسهيلي؛ فلكثرة الحفظ ظهر له أنه أثاره. ويحتمل أن يكون هو المدركَ له ولا يبعد فالمنصب كبير وعلمه غزير. ولا أحرر الآن النقل كما أني لا أشك في أنه هنالك. وأتخيل أن السهيلي قرره وهو الذي نفي في كلام المقري ولما لم يغلب ذلك على ظنه بما نقصه البحث، قال: ومن ثم وربك أعلم. ولم أجد في الكتب في الوقت، وقد أرشدناك للمطالعة فيما بقي.". وقد اقتصرنا على محل الحاجة إذ كان النص والتعقيب عليه طويلين. ولا ذكر فيهما لقول صاحب ولا تابعي، كما لم يعرجا على بيان الألفاظ الشريفة في الآية إذ كانت معلومة لمطالع التفسير. فمطالع التفسير هنا من العلماء، وأقل ذلك أن يكون من الطبقة العليا من الطلبة. وهذا اللون من التفسير هو الذي سنصطلح على تسميته بالتفسير المدرسي؛ لكونه كان يتمُّ في المدارس غالبا وبين العلماء، ويمزج كثير منه بكلام المحققين في الفنون الشرعية واللغوية المختلفة.

وبين أيدي الباحثين الآن نصوص لأبي يحي الشريف، وهو مفسر مخضرم بين القرن الثامن والتاسع. ويمكن باستعراض شيء مما تيسر لنا أن ننظر كيف عبر التفسير ومنهجه في القرن الثامن إلى الإنتاج التفسيري في القرن التاسع وفاتحة الفترة المحددة للدراسة. وما هي مميزات هذا الانتقال إن كان ثمـــّتَ مميزات، أم أن التفسير هو التفسير والطريقة هي الطريقة لا فرق.

وفي بعض نصوصه يتوجه السؤال إلى نكتة بلاغية عن سبب إسناد الفعل إلى ضمير العظمة دون إسناد الفعل المجاور إلى غير الضمير المذكور. وقد أجاب أبو يحي بما تراه. وهو جواب يحتمله النظر وإن كان الجميع من تصريف الله تعالى للمقادير. وعلى نهج الأشاعرة في فهم قوله تعالى (واللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) " وسئل عن قوله تعالى (فالتَقَمَهُ الحُوتُ) وقوله سبحانه (فنبَذْناهُ) فقيل له لم خص النبذ بالإسناد إلى ضمير العظمة دون الالتقام؟ فأجاب: بأن قال لأمرين الأول النبذ نعمة ظاهرة فناسب ذلك إسناده إلى ضمير العظمة، بخلاف الالتقام. الثاني: أن النبذ من الحوت بعد الالتقام أشد غرابة من الالتقام ابتداء، فكانت شدة الغرابة مناسبة للتخصيص بضمير العظمة." [1]. والإشكال على ما يبدو لما يقل وألقمناه الحوت وقال فنبذناه مع أن ظاهر الأمر أن الحوت أو البحر هو الذي نبذه.

[1] – المعيار المعرب، للونشريسي، المصدر نفسه. ج 159/11.

خاتمة:

إن مدرسة التفسير بالجزائر إذن قائمة ومنذ زمن بعيد يدلُّ على ذلك كثرة أعلامها، وإنتاجها العلمي المتعدد والمتنوع، كما يظهر جليا من خلال منهج التفسير الذي كان على الأقل يختلف ما بين منهج أهل السنة ومنهج الفرقة الإباضية إلى درجة تسمح بالتمييز؛ لما يوجد من التباين في أطر التناول ومعايير المعالجة التفسيرية بين المدرستين. ويظهر أيضا من خلال ما جلبته من النصوص على كثرتها وتنوعها، أن هذه المدرسة بدأت أثرية تستند إلى الموروث من الحديث وأقوال الصحابة والتابعين وثبت في اللغة..وحدث أنها كانت تعود إلى ما نقل عن العالمين من أهل الكتاب لتفصيل ما أجمله القرآن مما لا يوجد تفصيله في الموروث النبوي... ثم انتقلت إلى أن أصبح التفسير فيها مدرسيا يستهدف شرائح كبار الطلبة بل يستهدف العلماء وربما كان التفسير موجها إليهم بالأصالة لكثرة ما يورد فيه من المباحث الكلامية الدقيقة، والتوجيهات النحوية المتشعبة والاختلاف في المسائل المذهبية وما كان يحضر تحتها من الاستدلال بالقواعد ومسائل الأصول. وقد مثل كثير من جهودهم مواكبة لحركة التفسير في المشرق العربي يومها؛ فقد تلقاه المفسرون الجزائريين تلقي المنتقد الباحث الأصيل فقبلوا منه وردوا ما أداهم إليه اجتهادهم، واستقلال شخصيتهم لم يمنعهم من ذلك أن يكون كلام الزمخشري شيخَ المفسرين أو أبي حيان شيخَ النحويين...

المبحث الثاني: وصل أسانيد التفسير بالمدرسة الجزائرية.

أ – القيمة العلمية للأسانيد.

تنبع ظاهرة السند في العلوم الشرعية – خصوصا – من الرغبة في وصل المأثور إلى مصدره، سواء كان هذا المأثورُ قرآنا، أو أحاديثَ أو أورادا أو أنسابا، ففي مجال تواتر القراءة القرآنية حرص القراءُ على وصل أسانيد القراءة عن الشيوخ إلى مصدرها الأول، وهو النبي صلى الله عليه وسلم. وهو أمر أكد من جهةٍ صدقيةَ القراءة عن المصدر، ومن جهة أخرى حفظ لنا الوجوه المختلفة للقراءات من ناحية تعدد طرق الأداء، وكيفية الرسم. وهو أمرٌ لا تزال تتداوله المدارس القرآنية رغم انتشار القرآن والمصحف الشريف في المطابع والأقراص وجميع وسائل الحفظ.

وفي ميدان الحديث النبوي ظلّ السند محكّا رئيسا لصحة المنقول، وضابطا دقيقا لرد كثير مما لم تصح نسبته إلى صاحب الرسالة المصدر. وهكذا تتعدد الأسانيد وتختلف درجاتها، وتتعدد بذلك رجالات السند، ودرجات ضبطهم وحفظهم. وقد أنتج هذا علما خاصا دقيقا، سمي فيما بعد بعلم الجرح والتعديل. ولم تفقد الثقة بجماعة من النقلة إلا بعد أن تمكن أهل الأهواء، وصارت لهم دولة يحتمون بها. قال الإمام ابن سيرين: " لم يكونوا يسألونَ عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم."[1].

وفائدة حفظ الإسناد " بقاء الشريعة المحمدية – على صاحبها الصلاة والتسليمات – المشتملة على سعادة الدارين، وذلك ظاهر لمن تأمل فإنا لم نشاهد النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ولم نسمع منه بلا واسطة ولم تصل أحاديثه إلا بالوسائط، سواء كان هذا الوصل من جهة انتساخ النسخ من مثلها أو من استماع حديث من مخبره أو نحو ذلك. وهذه كلها أنواع الإسناد فلو لم يكن الإسناد أصلا لم تبق الشريعة وإخبار من ليس بصدوق أو ليس بضابط لا يعتمد عليه، وكذا النسخة التي لم تصحح على أصلها، ولم يعرف صحة أصلها لا يعتمد عليها، والتحمل منه ما هو قطعي ومنه ما هو دخله الوهم فإذا طلبت المعتمد من الأخبار لا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة الرجال وأحوالهم وصنيع تحملهم فهذا هو علم الإسناد."[2].

غير أن الحاجة إلى اتصال الأسانيد في الحديث النبوي تكاد تنتهي مع بداية القرن الرابع، وهو التاريخ الذي تقف عنده الراوية، ويقع الاستغناء عنها بتدوين دواوين السنة النبوية، والجوامع والمسانيد. وإنما بقي الحرص على السند لأجل بركة جهود الأوائل كما وقعت الإشارة إليه: " أما وقد دُوِّنَت الدواوين، وجُمِعت

[1] – صحيح مسلم، باب في أن الإسناد من الدين. ج15/1.

[2] – انظر قيمة الإسناد، قاسم علي سعد (دار البشائر الإسلامية – بيروت – ط: 02، 2010)/33.

الأحاديث النبوية فيها، فإن الحاجة إلى طلب العلوِّ لم تعد مُلِحَّة، بل صار القصد من السماع والرواية في الأزمنة المتأخرة هو الْحِرْصُ على بقاء سلسلة الإسناد في الأمة."[1].

وذكر الإمام النووي أن الأسانيد " من المهمات المطلوبات بحيث ينبغي لمعلم العلم وطالبه معرفتها، ويقبح به جهالتُها؛ فإن شيوخَ الإنسان في العلم آباؤه في الدين ووصلة بينه وبين رب العالمين. وكيف لا يقبح جهلُ الأنساب والوَصلة بهم مع أنه مأمور بالدعاء لهم والثناء عليهم. ومن ثم اعتنى بتحريرها الأئمة الثقات، وألفوا في تدوينها الأثبات."[2].

وأما في غير هذين المصدرين فقد تداول المشايخ الأسانيد وحرصوا على وصلها، توثقا فيما يظهر من مضامين الكتب، وأسماء مؤلفيها، وحرصا فيما يبدو على تأكيد وجودها كمصادر ومقررات للتدريس، لما حازته في العموم من تسليم مصاديقها في العقائد والفقه... وفي هذا الإطار يلاحظ الحرص المبكر للعلماء مشايخ وطلبة على تلقي عموم المصادر الإسلامية من مؤلفيها الأوائل؛ فتجد جملة كبيرة من إجازات الشيوخ وفهارسهم وأثباتهم، كما تجد معاجم الشيوخ. وإن من أوسع ما جمع في ذلك المعجم المفهرس لابن حجر (852هـ) وقد ثبتت أسانيد ابن مرزوق (842هـ) من طريقه. كما جمع الرّوداني كتابه صلة الخلف بموصول السلف (1094هـ) عن شيخه سعيد قدورة إلى آخر أسانيده وقد حوى عددا هائلا من الكتب والمصنفات إلى مؤلفيها، ومنهم من هو في القرن الثاني الهجري.

وبمناسبة ذكر القرن الثاني عشر الهجري أورد النص التالي لاتصاله بالموضوع وإفادته قيمة الإجازة عموما فعن الشيخ طالْبَنْ بن الوافي في إجازته لمعاصره عبد الرحمان التنلاني: " وبه كتب وكرر اسمه عُبَيْد ربه طالبَن بن الوافي بن طالبن بن محمد بن أحمد بن حاد قائلا: إنما أجزت الأخ المذكور لما رجوت لنفسي وله من الدخول بذلك في زمرة من له الانتساب إلى الجناب العلي سيد المرسلين، ومن ثواب الإعانة على نشر العلم، وإتيان الأمر من بابه فقد ورد (الأسانيد أنساب العلم). والله الموفق صوب الصواب وإليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل." [3].

ومن أواخر من جمع أكبر ما وصل إلى يده من أسانيد كتب التفسير خصوصا الإمام محمد بن علي السنوسي، فقد ذكر أنه أسند 100 تفسير، ما بين تفسير بالمأثور، وآخر بالرأي. أثبتَها في كتابه المنهل الروي، وقد حرصتُ على الاستفادة منه، إذ كان تاريخ تأليفه متأخرا عن الروداني المذكور.

وقد نقلتْ عن المتقدمين كما عن المتأخرين عبارات تنص على قيمة الأسانيد، واتصال ما بين القارئ والمؤلف عبر القرون، وما في كل ذلك من الفوائد العلمية فقد نقل عن بعضهم: " فإذا ثبتَ هذا وتقرر وصح بالبرهان وتحرر، فكل محقق يتحقق ويتيقن أن الإسنادَ ركن الشرع وأساسه فيتسمت بكل طريق إلى ما يدوم به

---

[1] – ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة، جمال بن محمد السيد (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط:01، 2004م) ج 1/ 177.

[2] – كفاية المستفيد لما علا من الأسانيد، محمد بن عبد الله الترمسي (دار البشائر الإسلامية – بيروت – بدون تاريخ.) /06.

[3] – الغصن الداني، لبلعالم القبلاوي (طبع بمطبعة دار هومة ب ت) 35.

درسه لا اندراسه. وفي الإجازة كما لا يخفى على ذي بصيرة وبصر دوام ما قد روي وصح من أثر ونقاوة بهائه وصفائه وبهجته وضيائه. ويجب التعويل عليها والسكون أبدا إليها من غير شك في صحتها وريب في فسحتها، إذ أعلى الدرجات في ذلك السماع ثم المناولة ثم الإجازة ولا يتصور أن يبقى كل مصنف قد صنف كبير ومؤلف كذلك صغير على وجه السماع المتصل على قديم الدهر المنفصل، ولا ينقطع منه شيء بموت الرواة وفقد الحفاظ الوعاة؛ فيحتاج عند وجود ذلك إلى استعمال سبب فيه بقاء التأليف ويقضي بدوامه ولا يؤدي بعد إلى انعدامه؛ فالوصول إذا إلى روايته بالإجازة فيه نفع عظيم، ورفد جسيم إذ المقصود به إحكام السنن المروية في الأحكام الشرعية، وإحياء الآثار على أتمّ الإيثار سواء كان بالسماع أو القراءة أو المناولة والإجازة لكن الشرط فيه المبالغة في الضبط والإتقان والتوقي من الزيادة والنقصان."[1].

على أن القيمة العلمية لوصل مثل أسانيد هذه الكتب لمؤلفيها ليست محل اتفاق من الجميع إذ نجد من غمز في تقدير ذلك والاهتمام به نسبة إلى الاهتمام بالفنون المسندة نفسها؛ فهذا الكتاني وهو ممن أولع بجمع ما في الأثبات والمعاجم والمشيخات كما يدل عليه عنوان كتابه الذي هو مدار اجتهاد المتأخرين تجده يقول عن ثالث أقسام علوم الحديث: " والثالث جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه وطلب العلو فيه والرحلة إلى البلدان. والمشتغل بها مشتغل عما هو الأهم من العلوم النافعة فضلا عن العمل به الذي هو المطلوب الأصلي إلا أنه لا بأس به لأهل البطالة لما فيه من بقاء سلسلة الإسناد المتصلة بأشرف البشر. قال: ومما يزهد في ذلك أنه فيه يتشارك الكبير والصغير والفاهم، والجاهل والعالم، وقد قال الأعمش: حديث يتداوله الفقهاءُ خير من حديث يتداوله الشيوخ."[2].

والعبارة الأخيرة استدل بها المؤلف على ما تقدم من أن الاهتمام بالدراية وفهم النصوص بقصد العمل بها أولى من الاشتغال بروايتها وأسانيد أصحابها.

ب- تعريف الإجازة والفهرس والثبت:

يقتضي إدراج بحث الأسانيد في برنامج مدرسة التفسير الجزائرية أن أتعرض بالتعريف لمصادر تلك الأسانيد، وما تندرج تحته من التسميات الفنية كالإجازات والأثبات، ومعاجم الشيوخ دون أن أتعرض إلى كل مصدرٍ مصدر أكون قد اعتمدتُ عليه لعدم دخوله في شرط بحثنا، ولشمول كثير من هذه المصادر لفنون أخرى زائدة على التفسير من سائر الفنون الشرعية من حديث وفقه وعربية وتاريخ...

[1] - المجاز والمجيز، المرجع نفسه. 54.

[2] ـــ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للكتاني. ج 1/ 73.

1- تعريف الإجازة: الإجازة أنواع كثيرة وهي على درجات أصحها الإجازة لشخص معين كـــ" أن يجيز العالم كتابا معينا لرجل معين فيعين المجازَ له والمجازَ به، فيقول: أجزتُ لك أن تروى عني كتاب فلان، قال زين الدين: إنه حكى القاضي عياض الاتفاق على جواز هذا النوع." [1].

ودون هذه الدرجة في القيمة العلمية أن يجيز الشيخ لرجل معين جميعَ مسموعاته من غير تعيين للمجاز به، وهذا النوع هو ما شاع عند المتأخرين، وما اعتمدنا عليه في وصل أسانيد؛ لأنه تم عن طريق إجازة المشايخ لفهارسهم وأثباتهم ومعاجم شيوخهم جملة لغيرهم ممن عينوهم دون أن يتم عرض ما بها من الكتب كتابا كتابا. نجد هذا عند الشيخ الأمير المالكي يجيز الشيخ أبو راس الناصري وغيره، والشيخ سعيد قدورة يجيز الروداني، وإجازة ابن حجر العسقلاني قبل ذلك لأبناء ابن مرزوق. والدرجة الثالثة وهي دون ذلك بل هي آخر المراتب ولم نعتمد عليها في شيء وهي قول الشيخ جميع مسموعاته لجميع الموجودين من المسلمين."[2].

2- تعريف الثَّبَت: والثبْتُ بسكون الموحَّدة الثابت القلب واللسان والكتاب، والحجة وأما بالفتح فما يثبتُ فيه المحدثُ مسموعَة مع أسماء المشاركين له فيه؛ لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره. وفي فتح الباقي لشيخ الإسلام زكرياء الأنصاري: الثبْت بالإسكان الثابت، وبالفتح الثبَت والحجة ما يثبت فيه المحدث سماعَه مع أسماء المشاركين له فيه." [3].

وذكر الكتاني عن محمد بن الطيب الشرقي في حواشيه على القاموس: " استعملوا الثبت على بالفتح والتحريك في الفهرسة التي يجمع فيها المحدث مروياته، وأشياخَه كأنه أخذ من الحجة لأن أسانيده وشيوخه حجة له، وشاع ذكره، وذكره كثير المحدثين وغيرهم ولم يتعرض له المصنف."[4].

وقال فيها أيضاً: وأما إطلاق الثبت على الكتاب الذي يجمع فيه المحدث مشيخته ويثبت فيه أسانيده ومروياته وقراءته على أشياخه المصنفات ونحو ذلك، فهو اصطلاح حادث للمحدثين ويمكن تخريجه على المجاز أيضاً لأن فعل بمعنى مفعول أو مفعول فيه كثير جدا. ونحوه في تاج العروس (انظر مادة ثبت).

3- تعريف الفهرس: وفي شرح الحافظ السخاوي عليه في المحلّ المذكور: " الفهرسة بكسر أوله وثالثه ما يجمع فيه مرويه، قال صاحب تثقيف اللسان: صوابها بالمثناة الفوقية "[5]. وفي القاموس: " الفهرس بالكسر الكتاب الذي يجمع فيه الكتب، معرب فهرسة وقد فهرس كتابه. وقال الزركشي في تعليقه على ابن الصلاح: يقولون فهرسَة بفتح السين وجعل التاء فيه للتأنيث، ويقفون عليها بالهاء، والصواب كما قاله ابن مكي في

---

[1] - انظر توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، للصنعاني (- دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط:02. 1986م)ج 2/ 193.

[2] - انظر توضيح الأفكار، المصدر نفسه.ج 2/ 193.

[3] ـــ فهرس الفهارس، للكتاني، المرجع نفسه. 1/ 68.

[4] ـــ فهرس الفهارس للكتاني، المرجع نفسه. 1/ 68.

[5] ـــ فهرس الفهارس، المرجع نفسه.1/ 69.

تثقيف اللسان فهرسْت بإسكان السين والتاء فيه أصلية، ومعناها في اللغة جملة العدد للكتب، لفظة فارسية. واستعمل الناس فيها فهرَس الكتبَ يفهرسُها فهرسةً." [1].

قال الكتاني رحمه الله " الأولى: اعلم أنه بعد التتبع والتروي ظهر أن الأوائل كانوا يطلقون لفظة " المشيخة " على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك المعجم؛ لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات. وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون البرنامج، أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون إلى الآن الثبَت وأهل المغرب إلى الآن يسمونه الفهرسة. "[2].

[1] ــ القاموس المحيط، للفيروزابادي (مؤسسة الرسالة، لبنان، ط:08، 2005م) ج564/1.

[2] ــ فهرس الفهارس، المرجع نفسه. 1/ 69.

ج – ترتيب الأسانيد على وفق القرون الهجرية.

أولا: أسانيد القرن التاسع الهجري:

1– أسانيد كتب ابن مرزوق في التفسير عن ابن حجر العسقلاني: سيأتي في ترجمة ابن مرزوق الحفيد أنه في حدود 826هـ، كتب له ابن حجر العسقلاني إجازة عامة له ولأولاده، وفي ضمن هذه الإجازة قائمة طويلة من كتب التفسير، وهو ما يهمُّ موضوعَ البحث الآن. وقد اشتمل المعجم المفهرس لابن حجر على معظم الإجازة المذكورة، وهو كتاب حافل بذكر أسانيد الكتب من مختلف العلوم، والذي أقتطفه هنا هو كتب التفسير خاصة.

وقد ثبت أن ابن حجر أجاز ابن مرزوق الحفيد وأجاز أولاده من بعده في جميع مروياته وهي كثيرة، فقد ذكر الوادي آشي عن شيخه ابن مرزوق الكفيف بمناسبة الكلام عن سند الكفيف في البخاري: " وقد أنبأه رضي الله عنه به بمثل هذا العدد الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشهير بابن حجر رحمه الله تعلى في إجازته العامة لأولاد مرزوق في عام تسعة بتقديم التاء وعشرين وثماني مائة ثم لعشر بقين من صفر منها، وكان شيخنا أبقى الله بركته إذ ذاك من أربعة أعوام وأشهر."[1].

وقد تتبعتُ المعجم المفهرس لابن حجر منها، وحصرت كتب التفسير خصوصا فوجدتها من العدد بحيث أحصتِ المعظمَ والمهمَّ من تفاسير أهل الإسلام ومن أهل السنة خاصة، شرقا وغربا. ما بين تفاسير المأثور وأهل الرأي على السواء، وقد كانت الإجازة المذكورة بتاريخ 826هـ. وهو تاريخ كافٍ لتراكم التفاسير وأسانيدها، والذي يهمُّ هنا بعد إحصائها أن أورد من أخذ أسانيد الكتب المذكورة عن ابن مرزوق 842هـ من أهل القرن التاسع خصوصا.

ومن ذلك التفاسير التالية: كتاب التفسير لعبد الرزاق، كتاب التفسير لمحمد بن يوسف الفريابي، كتاب التفسير لعبد بن حميد، كتاب التفسير لأبي محمد بن أبي حاتم، كتاب التفسير لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، كتاب التفسير عن سفيان الثوري، كتاب التفسير عن سفيان بن عيينة، جزء فيه التفسير المروي عن مالك جمع أبي بكر الجعابي، كتاب التفسير لإسحاق بن راهويه، كتاب التفسير لأبي مسعود أحمد بن الفرات الرازي، الناسخ والمنسوخ عن قتادة، كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي داود السجستاني، التفسير المسند لأبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، كتاب التفسير عن قتادة، كتاب التفسير عن أبي العالية، كتاب التفسير عن مجاهد، كتاب التفسير عن الضحاك بن مزاحم، كتاب التفسير عن روح بن عبادة، التفسير عن عمرو بن علي الفلاس، قطعة من تفسير أبي بكر بن أبي شيبة، كتاب ثواب القرآن له، التفسير ليحيى بن سلام، كتاب شفاء الصدور في التفسير لأبي بكر محمد بن الحسن النقاش، جزء فيه تلخيص الآي المدني من الآي المكي، جزء فيه منتقى من فضائل القرآن للحافظ الضياء، جزء فيه سورة الإخلاص لأبي نعيم الأصبهاني، جزء فيه فضل

[1] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، 1989م): 260.

سورة الإخلاص للخلال، جزء فيه فضل آية الكرسي للذهبي، اختلاف المصاحف لنفطويه، كتاب أحكام القرآن لأبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق القاضي، كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي، قتلى القرآن له، كتاب التفسير لأبي محمد البغوي المسمى معالم التنزيل، كتاب أسباب النزول للواحدي وكتب البسيط والوسيط والوجيز في التفسير له، جزء فيه خبر إرمَ ذات العماد، كتاب معاني القرآن لأبي محمد بن قتيبة، كتاب الناسخ والمنسوخ عن عطاء الخراساني، كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه لأبي عبيد القاسم بن سلام، كتاب التفسير عن وكيع بن الجراح، كتاب التفسير لأبي الشيخ، كتاب التفسير عن أبي هشام محمد بن السائب الكلبي، كتاب التفسير عن هشيم بن بشير، كتاب قراءة عبد الله بن مسعود، كتاب النظائر عن مقاتل بن سليمان، كتاب عدد الآي لمحمد بن عيسى الأصبهاني، كتاب معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج، معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر ابن المثنى، جزء فيه ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن لأبي العباس المبرد، جزء فيه طرق حديث الإفك للآجُرِّي، والهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن لمكي، والناسخ والمنسوخ له وغريب القرآن له ومشكل القرآن له والتفسير الكبير له، كتاب إعراب القرآن لأبي إسحاق الزجاج، كتاب عين المعاني في التفسير للسجاوندي، كتاب غريب القرآن للعزيزي. كتاب الياقوتة لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب في غريب القرآن، كتاب المختصر في نظائر السور لجعفر السراج، كتاب النكت في تفسير القرآن لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، كتب أبي الحسن الواحدي في التفسير البسيط والوسيط والوجيز، كتاب معالم التنزيل لأبي محمد البغوي، كتاب التفسير المسمى ري الظمآن لأبي الحسن بن النعمة، كتاب التفسير لأبي محمد بن عطية، كتاب التفسير الكبير لأبي عبد الله ابن أبي الفضل المرسي، كتاب التفسير الكبير، وكتاب التفسير المسمى بالتبصرة للموفق أبي العباس أحمد بن يوسف الكواشي، كتاب حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي.

2- أسانيد عبد الرحمان الثعالبي (875هـ): إن الثعالبي لممن اتصل سنده بابن مرزوق فقد ذكر عن نفسه في كتاب غَنيمة الواجد له ما أسنده عن شيخه من الكتب عامةً، وبعض كتب التفسير، وقد أخذ محمد بن يوسف السنوسي 895 هـ عن الثعالبي وسيأتي ما يذكره الملالي أن الثعالبي أجاز السنوسي، فاتصل سنده من هذه الجهة. وأخذ ابن زكري (ت:899) عن ابن مرزوق فهو شيخه، وأخذ عن ابن زاغو فهو شيخه أيضا[1]، واتصل الشيخ التنسي (ت:899هـ) عن ابن مرزوق وابن زاغو، فهما من شيوخه. وقد عمم ابن زاغو لتلاميذه الإجازةَ بما ثبت له من الأسانيد وسيأتي ذلك في ترجمة ابن زاغو فعد إليه.

كما اتصل إسناد المغيلي بالثعالبي عن ابن مرزوق فبعضهم أشياخ بعض، واتصل سند المغيلي بشيخه يحي إيدير (ت:877هـ)، وهو من تلامذة ابن مرزوق وابن زاغو (ت:845هـ)، في جماعة، كما اتصل سند ابن مرزوق الكفيف (ت: 901هـ) عن والده ابن مرزوق الحفيد فقد أخذ عنه، وعمم له الإجازة عن ابن حجر وغيره كما هو ثابت في تراجمهم وستأتي مفصلة في محلها.

[1] - تعريف الخلف برجال السلف. للحفناوي. المصدر السابق.

ثانيا – أسانيد التفسير في القرن العاشر:

وهكذا تجد أسانيد ابن مرزوق تغطي القرن التاسع فإن من ذكرتُ أشياخُ مدرسة التفسير وغيره من العلوم الشرعية، وتجد من أهل القرن العاشر من اتصل سنده كالخروبي مثلا (تـــ:963هـــ) بهؤلاء فقد كان الشيخ زروق (تـــ:899هـــ)، وهو وإن لم يكن من المفسرين ولا من الجزائريين، واسطةً بين أهل القرنين. قال الكتاني عن أسانيد ابن مرزوق: " نروي ما له من طريق الثعالبي عنه. ح: ومن طريق الحافظ ابن حجر عنه. ح: ومن طريق ابن غازي عن ابن مرزوق الكفيف عنه. ح: ومن طريق المقرِّي عن عمِّه سعيد عن محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي وسُقَين: الأول عن أبيه الحافظ عنه، والثاني عن زروق عن الثعالبي عنه، وهذا أعلى ما يمكن."[1].

بل إني وجدتُ هذه الواسطة وهي الشيخ زروق حلقة وصل ما بين قرون لاحقة وبين ابن مرزوق الحفيد، وما له من أسانيد كتب التفسير خصوصا، فقد روى الكتاني أنه يتصل بالإسناد إلى الثعالبي: " وأروي كل ما له بإسنادنا المسلسل بالجزائريين إلى الشهاب أحمد بن قاسم البوني عن أبيه عن أبي مهدي عيسى الثعالبي عن أبي محمد عبد الكريم الفكَون القسمطيني عن العلاّمة أبي زكرياء يحيى بن سليمان الأوراسي القسمطيني عن أبي القدس طاهر بن زيان الزواوي القسمطيني عن الإمام أبي العباس أحمد زروق عنه."[2].

كما احتوى فهرس ابن غازي المكناسي (919هـــ)، على أسانيد دارت حول كثير من الجزائريين لتصل إلى ابن مرزوق من طرق متعددة، وقد لازم ابن هلال التلمساني شيخه ابن غازي ملازمة طويلة وحضر عنده التفسير، وأجازه بما له من السند المتصل عام (906هـــ)[3]، واتصل كل ذلك بسعيد المقري...

كما شمل فهرس ابن منجور على كثير من الأسانيد بعضها عن ابن غازي عن تلاميذ ابن مرزوق وبعضها الآخر عن غيره والمهم أن السند مذكور ومشهور ومتصل عن أهل المغرب عن أهل المشرق كابن حجر والسيوطي، وزكرياء الأنصاري، وولي الدين العراقي وغيرهم.

وأما عبد الواحد الونشريسي فقد أخذ عن والده أبي العباس، وابن غازي كما في فهرست ابن منجور وغيره[4].

---

[1] – فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 1/ 525.

[2] – فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج2/ 733.

[3] ـــ ثبت ابن منجور، ابن منجور، تـــ: محمد حجي(المغرب للنشر والتوزيع، المغرب، ط:01، 1979). 41.

[4] ـــ ثبت ابن منجور، المصدر نفسه. 50.

ثالثا– أسانيد التفسير في القرن الحادي عشر:

يروي سعيد المقري أسانيد ابن مرزوق في التفسير خصوصا بسنده إلى ابن غازي، كما أورده الروداني المغربي (1094هـ) في كتاب صلة الخلف وهو عن عمه سعيد المقري المتقدم به.

وفيما يلي أورد أسانيد سعيد قدورة عن سعيد المقري، وأقتصر على كتب التفسير منها، وإلا فإن كتاب صلة الخلف للروداني المذكور يشتمل على أسانيد الشيخ قدورة عن سعيد المقري في سائر العلوم والفنون. ومن جملة كتب التفسير: التفسير لابن جزي الغرناطي، التفسير الكبير لأبي عبد الله المرسي، التفسير المسمي بالتيسير لعبد العزيز بن احمد الديريني، التفسير الكبير للكواشي وكذا التفسير الصغير له المسمي بالتبصرة، التفسير للإمام أحمد بن حنبل به إلى الفخر بن البخاري، التفسير المسند لابن مردويه، التفسير المسمي ري الظمآن لابن النعمة، التفسير للسائب الكلبي، التفسير عن وكيع بن الجراح، التفسير لأبي حيان، التفسير عن هشيم بن بشير، التفسير للفلاس، التفسير لأبي بكر بن أي شيبة، التفسير عن سفيان الثوري، التفسير لعبد الرزاق، التفسير لابن جرير الطبري، التفسير لأبي بكر بن المنذر، التفسير ليحيي بن سلام، التفسير لأبي مسعود بن القراب الرازي، التفسير لابن راهويه، التفسير لأبي حاتم الرازي، التفسير لعبد الرحمن بن أبي حاتم، التفسير للفريابي، التفسير لعبد بن حميد، التفسير لأبي بكر النقاش، التفسير عن قتادة، التفسير عن أبي العالية، التفسير عن مجاهد، التفسير عن الضحاك بن مزاحم، التفسير عن روح بن عبادة، التفسير للحسين بن داود، التفسير المروي عن مالك لأبي بكر محمد بن عمر الجعابي، التفسير عن سفيان بن عيينة، التفسير لأبي سعيد إبراهيم بن طهمان، التفسير لأبي إسحاق الثعلبي المسمي بالكشف والبيان، التفسير للبغوي المعروف بمعالم التنزيل، التفسير لعبد الملك بن جريح، التفسير لأبي بكر بن مقسم، التفسير الكبير للإمام الرازي تقدم قبيل حرف الباء تفسير الواحدي البسيط تقدم في حرف الباء، تفسير الزمخشري والبيضاوي وأبي زيد الثعالبي تأتي في ضمن تصانيفهم، تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن، تفسير ابن الخازن، تفسير أبي السعود محمد بن محمد العمادي المفتي المسمي بالإرشاد، تفسير سورة الإخلاص لأبي العباس احمد بن تيمية.

وتوجد أيضا تفاسير ضمن أسانيد تصانيف أصحابها: تصانيف محمود بن عمر الزمخشري ومنها الكشاف، تصانيف ناصر الدين البيضاوي، تصانيف العضد، تصانيف ناصر الدين ابن المنير: الانتصاف من الكشاف، تصانيف الأستاذ ابن الجزري ومنها التفسير، تصانيف المولي سعد الدين التفتازاني، ومنها حاشيته على الكشاف اختصرها السنوسي التلمساني، تصانيف الطيبي منها حاشية على الكشاف، تصانيف كمال الدين البابرتي منها: حاشية علي الكشاف لم تكمل، وتصانيف الشيخ ابن عربي الطائي الحاتمي ومنها التفسير، تصانيف عمر النسفي الحنفي منها التفسير. وقد قال: نحن بفضل الله نروي تصانيف كل واحد من: وأبي حيان والجلال السيوطي والحافظ ابن حجر وتلامذته: زكريا والحفيد ابن مرزوق وأبي زيد الثعالبي وهو عن أبي القاسم البرزلي وأبي عبد الله الأبي في جميع تصانيفهم، والعلامة ابن غازي.

وممن روى عن الشيخ سعيد المقري ابن أخيه أبو العباس أحمد المقري، والشيخ سعيد قدورة الجزائري، والشيخ المفسر يحي الشاوي النائلي، والشيخ المفسر عبد الواحد السجلماسي كما سيأتي في تراجمهم. وجميع هؤلاء هم شيوخ التفسير في زمانهم تدريسا وتأليفا.

رابعا – أسانيد القرن الثاني عشر: وقد وقعت لبعضهم أسانيد كتاب المنح البادية في الأسانيد العالية لأبي عبد الله الفاسي (1134هـ)، المشتملة على جملة العلوم والفنون السائدة في زمانهم، والذي يهم البحثَ هنا هي أسانيدُ كتب التفسير خاصة. وهي على قلتها تدلّ على انحسار الاهتمام بعدد محدود من ذلك وترك التوسع في الأسانيد. والعرض التالي لقائمة كتب التفسير في كتاب المنح البادية يدل على شيء من ذلك وعلى غيره.

– **أسانيد كتب التفسير بالمنح البادية:** اشتمل كتاب المنح البادية على مجموعة من التفاسير المشهورة نعرضها فيما يلي: تفسير ابن عطية (المتوفي 542هـ)، تفسير الزمخشري وسائر مؤلفاته (المتوفي 538هـ)، الهداية لأبي مكي (المتوفي 430هـ)، تفسير البيضاوي(المتوفي 691هـ)، تفسير ابن جرير الطبري (المتوفي 310هـ)، تفسير الثعلبي (توفي 427هـ، وقيل سنة 437هـ)، تفسير الواحدي (توفي 468هـ)، تفسير أبي حيان(المتوفي سنة 743هـ)، تفسير الماوردي المتوفى سنة 450هـ)، حقائق التفسير للسلمي المتوفي (412هـ)، تفسير أبي السعود، تفسير القشيري، تفسير الكواشي (توفي سنة 680هـ)، تفسير الفخر الرازي (المتوفي سنة 606هـ).

خامسا – أسانيد القرن الثالث عشر:

1 – ثبت الأمير المالكي: مثّل ثَبَتِ العلامة محمد بن الأمير المالكي المازوني (1232هـ) حلقة وصل أكيدة بين أسانيد أهل القرون السابقة، ومن جاء بعدهم من العلماء والمفسرين بالخصوص، ومثل ثبته المشهور نموذجا لكتب الأسانيد التي شاعت وجرى طلبها في هذا القرن والذي يليه، إذ يجد الباحثُ فيه زبدةَ الأسانيد في مختلف العلوم وخصوصا منها التفسير، وقد شاع هذا الثبت وحصل الإقبال عليه. وأذكر الآن أسانيد كتب التفسير من ثبت الأمير المالكي: تفسير البغوي، تفسير الجلال السيوطي، تفسير الجلال المحلي، تفسير الخازن، تفسير القرطبي، تفسير ملا أبي السعود، تفسير الكواشي، تفسير الرازي، تفسير النسفي الحنفي، تفسير الحداد الحنفي، تفاسير محي الدين بن العربي، تفسير ابن عطية، تفسير الزمخشري، تفسير البيضاوي، تفسير ابن جرير، تفسير الثعلبي، تفسير الواحدي، تفسير المديد لأبي حيان، النهر لأبي حيان، الساقية لأبي حيان، تفسير الماوردي، حقائق التفسير للسلمي.

وممن روى أسانيد الأمير المالكي المذكور جملة من المفسرين الجزائريين من أبو راس الناصري، وغيره كالسنوسي محمد بن علي وغيره...

2– أسانيد عيسى الثعالبي الجزائري: حوى كتاب منتخب الأسانيد لعيسى الثعالبي مجموعة من أسانيد كتب التفسير وغيرها، والذي يهم الباحث هنا أسانيد كتب التفسير خاصة، ورغم توسع الثعالبي المذكور في الأسانيد والرواية عموما إلا أنه قد اقتصر على إثبات مجموعة محدودة من كتب التفسير أخذها عن شيوخه، وهو ما

يؤكد ظاهرة التخلي عن التوسع في دراسة الفنون، وفي سماعها عن رواتها. ومن ذلك: تفسير ابن عطية رحمه الله تعالى، الكشاف للزمخشري، تفاسير الواحدي، تفسير الرازي، تفسير البيضاوي، تفسير أبي حيان، تفسير الجلالين رحمهما الله، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي رحمه الله تعالى.

وممن روى أسانيد أبي مهدي جميع من ثبت لهم الرواية عن الأمير الكبير في ثبته المشهور فقد ثبت ذلك من جهة " محمد بن محمد الأمير الصغير عن أبيه الأمير الكبير عن عليّ بن العربي السقاط عن ابن عبد السلام بناني المذكور عن أبي العباس ابن الحاج "[1] عن أبي مهدي عيسى الثعالبي، ومن ثبت له الرواية عن الفلاني (1101هـ) في الأمم في إيقاظ الهمم يروي عن أبي مهدي.[2]، وكذا أبو راس عن مرتضى الزبيدي عن الكوراني عن عيسى الثعالبي[3]، وثبت سالم البصري فهو يروي عن الثعالبي والشاوي: " يروي فيه عامة عن عيسى الثعالبي وشيخه البابلي والشمس محمد بن عليّ المكتبي الدمشقي ويحيى الشاوي المغربي."[4]، كما روى البوني عن أبي مهدي الثعالبي: ويروي الشهاب البوني عن أبيه عامة، وهو يروي عامة عن أبي الحسن عليّ الأجهوري، وعندي إجازته له عليها ختمه، وهي عامة، وعن أبي مهدي عيسى الثعالبي وغيره."[5].

وفيما يلي أسانيد التفسير من كتاب الإمداد لسالم البصري: وقد وقعت أسانيده عند جماعة من مفسري القرون المتأخرة، وحوى هو بدورة أسانيد مجموعة من كتب التفسير: تفسير معالم التنزيل للبيضاوي، تفسير الكشاف للزمخشري، تفسير الوسيط للواحدي، تفسير الفخر الرازي، تفسير ناصر الدين البيضاوي، تفسير أبي حيان، تفسير الجلالين.

وممن روى أسانيد عبد الله البصري في الإمداد: الأمير الكبير فهو يروي الإمداد " عن العلامة الأمير الكبير عن الشهابين الجوهري والملوي كلاهما عن البصري ثبته."[6].

3- أسانيد التفسير عند الفلاني من كتابه قطف الثمر (1210هـ): وفيها أيضا أسانيد مجموعة من التفاسير وقع شيء منها عند بعض المفسرين الجزائريين، وعموما عند مشايخ الوطن الجزائري. ومن ذلك: تفسير ابن عطية، معالم التنزيل للبغوي، تفسير القرطبي وهو في عشرين مجلدا وتذكرته، وتفاسير الواحدي (الثلاثة الوجيز والبسيط والوسيط)، وتفسير الرازي.(وهو في خمسة عشر مجلدا)، وتفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير البيضاوي، والتفاسير الثلاثة لأبي حيان، وتفسير ابن جزي، وتفسير الثعالبي الجزائري. وعنه قال: عبد الرحمان الثعالبي قرأته من أوله إلى آخره على الشريف سليمان بن محمد عن مولاي الشريف محمد عن أحمد المقري عن

---

[11] - فهرس الفهارس والأثبات للكتاني، المرجع نفسه. ج1/ 118.

[2] - نفس المرجع. ج 1/ 166.

[3] - المرجع السابق. ج 1/ 166.

[4] - المرجع السابق. ج 1/ 194.

[5] - المرجع السابق. ج 1/ 237.

[6] - فهرس الفهارس والأثبات ج 1/ 196.

عمه سعيد بن أحمد عن أبي زيد عبد الرحمان بن علي بسقين عن أبي العباس أحمد زروق عن مؤلفه رحمه الله تعالى.

وقد روى الشيخ الحرَّار وأجاز ما رواه من كتب الأسانيد بما فيها أسانيد التفسير للشيخ لحسن بريهمات، فيما ثبت له من " إجازة من جد أولاده العلامة السيد مصطفى بن الحاج أحمد الحرار...حررها له 1272هـ..."[1]، ومشايخ لحسن بريهمات كثيرون منهم: علي المنجلاتي، ومحمد بن إبراهيم بن موسى، وعلي بن الأمين، وأحمد بن الكاهية، ومحمد واعزيز، ومحمد صالح البخاري الرضوي، وحمودة الجزائري..." فهؤلاء مشايخي الذين تحملت عنهم العلوم العقلية والنقلية، وأجازوني بالإجازة المطلقة والمقيدة."[2]، وأضاف قائلا " أخذت عليها فهرست الشيخ الإمام... الإمداد... قطف الثمر...الأمم لإيقاظ الهمم."[3]. ومعلوم أن هذه الكتب تحوي كثيرا من أسانيد كتب العلوم ومنها التفسير.

4- أسانيد التفسير عند ابن حمادوش[4]: وهي مجموعة من التفاسير وإن لم يكن ابن حمادوش مفسرا وليس لنا نصوص تفيد أن أحدا أخذ عن ابن حمادوش هذه الأسانيد، وجملة ما وقع له من كتب التفسير: معالم التنزيل للبغوي، عن الشيخ الإمام عبد الله البصري ببيته، الكشاف للزمخشري، الوسيط للواحدي والبسيط الواحدي والوجيز للواحدي، والتفسير الكبير للرازي، أنوار التنزيل للبيضاوي، البحر المديد لأبي حيان، تفسير الجلالين للسيوطي والمحلي، الدر المنثور للسيوطي، تفسير أبي السعود.

سادسا- أسانيد التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:

أفتتح القرن الرابع عشر بشخصية بارزة في التفسير، وإنتاجها المكتوب على قلة ما وصل منه، إلا أنه مثل اتجاها جديدا في تناول السور والآيات، وأعتقد كما سأعرض له من بعد أنه كان اتجاها يحتذى وأن صفحة التفسير التقليدي كادت أن تطوى به. والذي يهم هنا هو تتبع أسانيد ابن باديس في التفسير، فهو قد اتصل من طرق متعددة عن جملة من المفسرين وغيرهم منهم:

1- أسانيد الخضر حسين في التفسير وغيره: وسيأتي ذكر أن الخضر حسين من شيوخ ابن باديس، وأن له منه إجازة تضمنت أسانيده عن شيوخه، وسيأتي ذكر ذلك كله في ترجمة الخضر حسين، ومن أهم شيوخه عمر ابن الشيخ وهو مدرس تفسير البيضاوي بجامع الزيتونة.

2- أسانيد ابن باديس عن شيخه حمدان لونيسي: وقد كان ابن باديس من تلامذة الونيسي المذكور، وقد ذكر هو أسانيده في إجازته للمشاط ونصها:" قد أجزت ابننا حسن بن محمد المشاط بحديث الأولية عن العلامة الشيخ فالح، وهو أول عن الأستاذ سيدي أبي عبد الله محمد بن علي السنوسي...وغير ذلك من العلوم في

---

[1] - تعريف الخلف، المرجع نفسه. 119/2- 124.

[2] - تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 119/2- 124.

[3] - تعريف الخلف، المرجع السابق. ج 119/2- 124.

[4] - رحلة بن حمادوش (المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- ط:01 . 1982م) 277.

المنقول والمعقول، والفروع والأصول على الشرط المشروط عندهم وأوصيه بما أوصى الله به عباده (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)، وأوصيه أن لا ينساني من دعائه في خلواته وجلواته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. تحريرا في 21 ذي الحجة عام 1337هـ."[1].

3- أسانيد ابن باديس عن شيخه محمد بخيت المطيعي[2]: وليس بين يدي الباحث أنه تتلمذ عليه؛ لقصر مدة اللقاء، وأن ذلك كان لقاء عارضا، اقتضته ظروف الرحلة إلى الحج " وكان ابن باديس قد أدى فريضة الحج سنة 1913م، ولعله كان يفكر في الهجرة، تقليدا لشيخه السنوسي، وكانت أسرة ابن باديس قد فكرت في الهجرة آخر القرن الماضي، أو كان ابن باديس متفاديا للتجنيد الإجباري الذي فرضه الفرنسيون سنة 1912م. وفي طريقه لقي بعض المشايخ في مصر ومنهم الشيخ محمد بخيت الذي منحه الإجازة، وربما بطلب منه، كما جرت العادة، ولكننا لا نملك الآن صورة الإجازة ولا لطلبها." [3].

وقد عثرت على نص يفيد أنه المطيعي المذكور كان له درس في التفسير قد يكون ابن باديس حضره، وتأثر هو وغيره من المعاصرين بطريقته في التفسير " وكان درسه في التفسير غاية في النفاسة، فيتكلم على الآية من الإعراب والبلاغة وأسباب النزول، والأحكام الشرعية فيبهر العقول، ويأتي بفرائد المعقول والمنقول، بحيث اشتهر درسه في التفسير، فتجد أكابر العلماء فيه فضلا عن غيرهم كيف لا وقد سارت إليه الركبان، وكان لا يمر بمصر عالم إلا أتاه وجلس معه واستفاد منه، منهم: الإمام المحدث سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وشيخ الجماعة الولي المشهور مولاي محمد بن الصديق الغماري، وعلامة زمانه المحدث المكي ين عزوز التونسي (الجزائري)، والمفتي الطاهر بن عاشور التونسي. للإمام محمد بخيت المطيعي تآليف يهمنا منها ما له صلة بتفسير القرآن: تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية، والمدخل المنير في مقدمة في علم التفسير." [4].

4- أسانيد ابن باديس عن شيخه الطاهر بن عاشور: وهو أيضا من شيوخ ابن باديس، وله أسانيد ذكرها أبو غدة في إمداد الفتاح، وأذكر منها ما يلي: أن الطاهر بن عاشور (1393هـ)، يروي عن جماعة منهم عمر بن أحمد بن الشيخ (1329هـ) عن كل من:

- محمد بن أحمد بن حمودة بن الخوجة التونسي الحنفي عن الشهاب الأبي عن بَيْرم الثاني عن الحريشي عن الفاسي بسنده[5].
- والبرهان إبراهيم بن عبد القادر الرياحي عن الأمير الصغير عن أبيه بسنده[6].

---

[1] - الثبت الكبير، للمشاط (دار الغرب الإسلامي- بيروت - ط: 01. 1989م) 115.

[2] - تعلم بالأزهر ودرس الشريعة تولى القضاء، كما تولى إفتاء الأحناف، له تآليف عديدة. توفي سنة 1935م.

[3] - تاريخ الجزائر الثقافي 70/7.

[4] - نثر الجواهر والدرر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، يوسف المرعشلي(دار المعرفة، لبنان، 2006م)

[5] - ثبت الأمير، الأمير المالكي، مخطوط بالنّت.

[6] - إمداد الفتاح، محمد عبد الله آل رشيد (مكتبة الشافعي، السعودية، ط:01، 1999م)/ 385.

الفصل الثاني

- المبحث الأول: ترتيب تراجم المفسرين على وفق تاريخ الوفيات.
- ترتيب التآليف في التفسير والتعريف بها.

المبحث الأول: ترتيب تراجم المفسرين على وفق تاريخ الوفيات.

– سعيد بن محمد بن محمد بن محمد التُّجِيبي العقباني التلمساني[1]. والعُقباني نسبة إلى عُقبان بالأندلس أصله منها، تُجِيبيُّ النسب. ولد سعيد العقباني عام 720هـ/1360م بتلمسان وهو من أهلها، قال الونشريسي في وفياته: " مولده بتلمسان عام عشرين وسبع مائة."[2]. والعقباني قاضٍ مفسر؛ تولى القضاء بأماكن عديدة منها بجاية ومراكش وتلمسان وغيرها. " متفنن في علوم شتى."[3]، " وصدارته في العلم مشهورة."[4]. رحل قديما ولم أقف له على تاريخ الرحلة...وأخذ عن مشايخ عديدين فقد " سمع من ابنيْ الإمام وتفقه بهما، وأخذ الأصول عن الآبلي وغيره"[5]. وقد أوردتُ أن ابني الإمام من المفسرين وقد سئلا عن التفسير وهما بالمشرق في رحلتهما المشهورة.

روى الحديث عن شيوخه إذ كانت العادة سماعه وإسماعه، ومما روى " البخاري والمدونة عن السلطان أبي عنان المريني."[6]. ولم أقف له على شيخ خاص في علم الكلام، وقد كان ذلك من الفنون الغالبة على أهل المغرب غير أن مشايخ صاحب الترجمة في الفقه قد وقع التصريح ببعضهم فقد " سمع من ابني الإمام وتفقه بهما، وأخذ الأصول عن الآبلي وغيره."[7]. ومما ورد أيضا أن العقباني المذكور " قرأ الفرائض على الحافظ السَّطِّي."[8].

وأخذ عن العقباني مجموعة من المفسرين تلمسانيين خصوصا وغيرهم كثير كـــ" أبي يحي الشريف، والإمام الحجة ابن مرزوق الحفيد، وولده الإمام العلامة قاسم العقباني، والإمام أبي الفضل بن الإمام، والإمام الفاضل أبي العباس بن زاغو وغيرهم.."[9]. وكلٌّ من هؤلاء شيوخ في التفسير ستأتي لنا ترجمة كلٍّ واحد منهم. وليس بين يدي الباحث الآن على من أخذ العقباني درس التفسير وقد كان ابن عرفة من أقرانه، وكان ابنا الإمام وابن عبد السلام التونسي والمقري الجد من شيوخ التفسير كما مرّ بعض ذلك.

---

[1] – مصادر الترجمة: البستان: 106، نيل الابتهاج 125، شجرة النور:250، تعريف الخلف 153/2، الديباج 124، الضوء اللامع 256/3، معجم المفسرين 209/1، الأعلام 101/3، معجم المؤلفين 769/1، تاريخ الجزائر العام 163/2، معجم أعلام الجزائر/ 236، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 39.

[2] ـــ تعريف الخلف للحفناوي، المرجع السابق. 162/2.

[3] ـ الديباج المذهب لابن فرحون، (دار التراث – القاهرة – بدون تاريخ) 124.

[4] ـ الديباج لابن فرحون، المصدر نفسه. 124.

[5] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه.ج 161/2.

[6] – البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، لابن مريم (المطبوعات الجامعية ـ الجزائرية ـ ط:02، 1985م) 106.

[7] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. ج161/2.

[8] ـ الديباج المذهب لابن فرحون، المصدر نفسه. 124.

[9] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. ج162/2.

ألف العقباني في فنون عديدة منها " شرح الحُوفي لا نظيرَ له."[1]. والحوفيُّ المذكور له تأليف في الفرائض لا نظير له، والظاهر أنه كان من مقررات التدريس لأجل ذلك تولاه العلماء بالشرح منهم صاحب الترجمة والسنوسي في جماعة. كما ألف في علم الكلام فـــ" شرح العقيدة البرهانية."[2]. وقد وصل هذا التأليف. كما للعُقباني " شرح على ابن الحاجب الأصلي."[3]. وهو تأليف في الأصول تبارى العلماء في تدريسه وشرحه. وهو أيضا دليل على تبحر هذا العالم في معرفة ما وصف به من التفنن في علوم الشريعة، وهي فنون لا تكتمل شخصية المفسر إلا بالتمهر فيها. وهي بعبارة أخرى من أساسيات ثقافة المفسر.

كما ألف العقباني وهو ما يهمّ البحثَ هنا في التفسير، إذ ذكر ابن صعد كما في تعريف الخلف" له تفسير سورتي الأنعام والفتح."[4]، قال الداوودي: " أتى فيهما بفوائد جليلة."[5]. وهي عبارة التنبكتي في الديباج. ولم يتصل بأيدي الباحثين هذا التفسير، ولا اطلعتُ على من نقل شيئا منه أو علق عليه. فلا يمكن الجزم بطريقة المفسر فيه، ولا بحجم التفسير.

توفي العقباني (عام 811هـــ/1408م)، فقد قال الونشريسي في وفياته: " توفي عام أحد عشر وثمانمائة."[6]. وهو تاريخ متفق عليه عند من ترجم له.

– عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن علي بن يحي الحسني أبو يحي التلمساني (826هـــ)[7]: وهو " المشهور بأبي يحي الشريف."[8]. ولد بتلمسان في رمضان عام 757هـــ/ 1356م، فهو من أهل تلمسان وأبوه من العلماء المفسرين في القرن الثامن، وقد ذكرتُ ذلك من قبل في فصل جذور حركة التفسير.

أخذ أبو يحي المذكور عن مشايخ منهم أبوه الشريف التلمساني، وسعيد العقباني المفسر السابق فـــ" حضرَ عليه في التفسير..."،[9]. ولم أقف على أنه أخذ عن ابن عرفة ولا عن غيره، وإن كان لا مانع من ذلك. " واجتهد على أخيه سيدي عبد الله فاستفاد عليه علوما جمّة، فقرأ عليه علوما كتبا كثيرة."[10].

---

[1] ـ الديباج المذهب لابن فرحون ، المصدر نفسه. 124.

[2] ـ الديباج المذهب، المصدر نفسه. 124.

[3] ـ معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، المرجع نفسه. 236.

[4] – تعريف الخلف، للحفناوي، المرجع نفسه. 162/2.

[5] – طبقات المفسرين للداوودي، المصدر السابق. 190/1.

[6] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. 162/2.

[7] – مصادر الترجمة: البستان 127، نيل الابتهاج 170، معجم أعلام الجزائر:70، تعريف الخلف 200/2. معجم المفسرين 275/1، شجرة النور 250/1، موسوعة المغرب 738/2.

[8] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. 208/2.

[9] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. 208/2.

[10] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. 208/2.

لصاحب الترجمة مشايخ كثيرون إذ " قرأ على أبيه التقصي بلفظه تفقها، وكتاب ابن الحاجب الأصلي، ومثاراتِ الغلط من تآليفه، وموطأ مالك."، فقد جمع بذلك بين الأصول والحديث ومكانهما من التفسير معروف. كما قرأ على " أبي عثمان سعيد العقباني ابن الحاجب الأصلي وإيضاح الفارسي." [1]، الأول في الأصول وهو مقرر الدراسات الأصولية يومها، غطى على غيره فكثر حفظه من الطلبة وتدريسه في المعاهد وشرحه من المشايخ. وقد مرّ أن العقباني من شرّاحه.

ومنهم شيوخه في العربية وهي وسيلة المفسر وآلته التي يستغني عنها إذ " قرأ على شيخ الشيوخ الأستاذ الصالح عبد الله بن حياتي الغرناطي جمل الزجاج ومقرب ابن عصفور." [2]، وكلاهما من كبار أهل اللغة والنحو الأول من المشرق والثاني من أهل الأندلس. وفي الحديث سمع على عادة الطلبة يومها ما كان متداولا وما اختص به من ذلك أنه " سمع من الشيخ العالم أبي القاسم بن رضوان صحيح مسلم والشفاء لعياض وأجازه." [3].

وأخذ عنه محمد بن العباس وابن زاغو[4] شيخ المفسرين بتلمسان وبالقرن التاسع عموما، " وأثنى عليه غايةً واعتمد عليه." [5]، رغم تقارب السن بينهما، و" أخذ عنه إبراهيم وابن زاغو وابن مرزوق الحفيد المفسرين وجماعة." [6]. مما يدل أنه اشتغل بالتدريس في سن مبكرة.

ووصف أبو يحي بأنه "عالم بالتفسير.."، قال محمد بن العباس: " وهو شريف العلماء وعالم الشرفاء، آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن."[7]، " ورسخ قدمه في العلم وناهيك بكلامه في أول سورة الفتح."[8]. وفي شهادة الشيخ أبي يحي المطغري ما يفيد ذلك: " حضرت مجالس العلماء شرقا وغربا فما رأيت ولا سمعت مثل أبي عبد الله وولديه... وارتقى مراقي الزلفى، ورسخ قدمه في العلوم وناهيك بكلامه في أول سورة الفتح." [9].
تولى أبو يحي الشريف التدريس بتلمسان مكان أخيه عبد الله ففي النص السابق أنه: " لما مرض أخوه عبد الله أمره بالجلوس في موضعه للإقراء فامتنع تأدبا حتى عزم عليه فساعفه سنة أربع وثمانين، وبلغ الغاية في العلم

---

[1] – البستان في معرفة أولياء تلمسان لابن مريم، المصدر السابق. 128.

[2] – البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 128.

[3] – البستان، لابن مريم. 128.

[4] – تعريف الخلف، المصدر السابق. ج 208/2.

[5] – تعريف الخلف للحفناوي. ج 208/2.

[6] – المرجع السابق 208/2.

[7] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، الطرهوني، المرجع السابق.ج 228/1.

[8] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. ج 209/2.

[9] – تعريف الخلف للحفناوي، المر جع السابق. ج 209/2.

والنهاية في المعارف الإلهية، وارتقى مراقي الزلفى، ورسخ قدمه في العلوم وناهيك بكلامه في أول سورة الفتح." [1].

ألف أبو يحي في فنون عديدة دلت على تبحره في العلم وعلى أهلية في التفسير، إذ كان المفسر شخصية موسوعية، لكثرة ما يتطلبها علم التفسير من كثرة الفنون.

والذي يهمُّ هنا ما ألفه أبو يحي في التفسير خاصة؛ فقد فسرَ سورة الفتح كما تفيده عبارة "وناهيك بكلامه في أول سورة الفتح.". والظاهر أنه يكتب ما يفسره عن كثب إذ " لما وقف عليه أخوه عبد الله كتب عليه: وقفت على ما أولتموه وفهمتُ ما أردتموه، فألفيته مبنيا على قواعد التحقيق والإيقان، مؤديا صحيح المعنى بوجه الإبداع والإتقان بعد مطالعة كلام المفسرين، ومراجعة الأفاضل المتأخرين."[2]. ويفيد هذا النص فيما يفيد أنه متبع لقواعد التفسير والمعروف من كلام السابقين لم يُغْرِب في التناول فيهجَرَ بسبب ما يقع له من الإغراب.

ومن المؤسف أنه لم يتصل بأيدي الباحثين شيءٌ من تفسير هذه السورة، وإن كان نقل الونشريسي في المعيار نصوصا من ذلك وجهت على شكل أسئلة إلى أبي يحي بغرض تفسيرها والتعقيب على كلام أصحابها نقلتها في مواضعها بغرض الوقوف على شيء من خصائص التفسير عند ذلك الإمام، وفي فترة من فترات آخر القرن الثامن وبداية التاسع.

وقد نقل أبو العباس المقري أن صاحب الترجمة قد درس التفسير بحضرة السلطان المريني بفاس بحضرة كبار الفقهاء، وفي النص زيادات أخرى لا تتعلق بالتفسير بوجه مباشر على ما يبدو أترك التعليق عليها. ومن شاء مطالعتها فهي في نفح الطيب. ونص ما قال: " وقال الحافظ ابن غازي – بعد ذكر كلام مولاي الجد – ما نصّه: وحدثني ثقة ممّن لقيت أنّه لما قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمساني وتصدى لإقراء التفسير بالبلد الجديد وأمر السلطان أبو سعيد المريني الحفيد أعيان الفقهاء بحضور مجلسه كان ممّا ألقاه إليهم مترع المقّري هذا، فبالغوا في إنكاره، ورأوا أنّه لا معدل عمّا عول عليه زعماء الفقهاء كابن رشد وأصحاب الوثائق كالمتيطي من اعتماد عمل أهل قرطبة ومن في معناهم، انتهى." [3].

وبخصوص الوفاة قال ابن مرزوق: " توفي سيدنا الشريف العلامة أبو يحي مع الفجر سادس وعشري رجب عام ستة وعشرين وثمانمائة (826هـ)"[4] رحمهم الله رحمة واسعة.

– **أحمد بن محمد المسيلي**[1]: من " أهل المسيلة."[2]. ويروى البسيلي أيضا[3]، والظاهر أن المسيلي " رحل إلى تونس."[4] في وقت مبكر غير محدد. والعائلات العلمية التي حملت نسبة المسيلي كثيرة تولت القضاء والتدريس.

---

[1]– تعريف الخلف، المر جع السابق 209/2.

[2] ـــ نيل الابتهاج للتنبكتي، المصدر السابق.ج 171.

[3] ـــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، المصدر السابق. ج1 / 557.

[4] ـــ تعريف الخلف 209/2.

أخذ المسيلي العلمَ عن جماعة منهم " الإمام ابن عرفة، وأبي الحسن البطروني، والولي ابن خلدون، وأبي مهدي عيسى الغبريني."[5]. وليس في هذا النص تحديدُ ما أخذ عن كل منهم؛ غير أن التفسير قد أخذه عن جملة: منهم محمد ابن عرفة. وقد كان مجلسُ ابن عرفة يغصُّ بكبار المفسرين كالغبريني المذكور والقصّار. وجلس البسيلي عند ابن عرفة عام 785هـ، ولا أدري كم بقي عنده، ولعله إلى سنة وفاة شيخه المذكور سنة 803هـ أو قريبا من ذلك.

ومن شيوخ البسيلي أيضا أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الأزدي التونسي شُهِرَ بابن القصار[6]. ووقع في التعريف به أنه نحوي مفسر...، والقصار المذكور من شيوخ " ابن مرزوق الحفيد وأحمد البسيلي... له حاشية على الكشاف."[7]. نسب له القرافي تحشية على الكشاف."[8]. فهو من المؤلفين في التفسير وخصوصا أن ذلك كان على عمل كبير كالكشاف. ولم يكن من السهل الاشتهار بحاشية يتعقب فيها الزمخشري؛ إذ كبار علماء الملة قد عمدوا إلى ذلك خصوصا من أهل المشرق ومنهم الطِّيبي، والتفتازاني، والإيجي في جماعة. وليس ذلك إلا لتمكن القصار من التفسير وما يتطلبه من العلوم.

ومن مشايخ البسيلي في التفسير أيضا أبو عيسى الغبريني، فقد ذكر البسيلي نفسه أن الغبريني كان هو قارئَ العُشْر في مجلس ابن عرفة: " هذا عُشْر يوم السبت، سابع شهر شعبان، منْ عام ستّةٍ وثمانينَ وسبعِمِائةٍ؛ وابْتَدَأَ قراءَةَ العشرِ والحدِيثِ مِنْ هَذَا اليَوْم، الفقيهُ أَبُو عبدِ اللَهِ بنُ مُسَافِرٍ، عِوَضاً عَنْ سَيِّدِي عِيسَى الغُبْرِيني.".

وقد صرح البسيلي بتلمذته عليه، فقد قال:"...حسبما وجدته مقَيَّدًا بخطّ شيخِنا أبي مهْدِي عِيسَى الغُبْرِيني، وساق من فوائده عند تفسيره لسورة الفلق: "ع: مما يسأل عنه هنا: لم قال (إذا وقب) و (إذا حسد)، ولم يقل من شر النفاثات إذا نفثت؟. فأجابه الفقيه عيسى الغبريني: بأنَّ الوسط الذي هو (النفاثات) لَمَّا أَنْ كان كله شرا وليس فيه من الخير شيء، لم يحتج لتقييد، ولما أن كان الطرفان يصلحان للخير والشر قُيِّدَا؛ ألا

---

[1] – مصادر الترجمة: ــ الديباج 77، نيل الابتهاج 77، توشيح الديباج 58، شجرة النور 250/1، الضوء اللامع 195/11. تعريف الخلف 73/2. معجم أعلام الجزائر نويهض 299، معجم المفسرين 71/1. التفسير والمفسرون للطرهوني 176/1.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 299.

[3] – انظر في ذلك تبصير المنتبه لابن حجر، ، المصدرنفسه. 1365/4.

[4] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. 87/2.

[5] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. 87/2.

[6] – مصادر ترجمة القصار: شجرة النور 226، معجم المؤلفين ج 117/2، نيل الابتهاج 74.

[7] – معجم المؤلفين التونسيين ج 86/4، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 37.

[8] – وقد بقيت قطعة صالحة من هذه الحاشية، في خزانة الجامع الكبير بمكناس، رقم 37، تبتدئ بشرح سورة مريم، وبداخلها بتر، أوراقها 318 ورقة النكت والتنبيهات مقدمة المحقق ج 75/1.

ترى أن غَسَقَ الليل فيه ما هو محمود ومحل لرجاء الخير وقبول الدعاء، وهو آخِرُه، لِمَا وَرَدَ فيه؛ وألا ترى أن الحسد لشكله شرا للحديث "لا حسد إلا في اثنتين"..."[1].

أخذ عن البسيلي أحمدُ بن محمد أبو العباس المعروف بابن كحيل التجاني سنة 865هـ، ولم أطلع للأخير على عمل تفسيري[2].

والمسيليُّ كما وقع في كتب التراجم" مفسر.."[3]، وقال عنه الحفناوي: " أحمد بن محمد المسيلي الشيخ العالم المفسر."[4]. وتقييده المشهور يشهد له بعلو الدرجات في التفسير، وكذا جلوسه عند ابن عرفة وتعدد مشايخه في التفسير خصوصا.

درَّس المسيلي " بالمدرسة الحَكيمية (نسبة إلى محمد بن علي اللخمي المعروف بابن حكيم)، وكان يقرِئُ بدار سقيفته كثيرا."[5]. وألف في التفسير إذ له عمل تفسيري " قيده عن شيخه ابن عرفة، وأضاف إليه زوائد من غيره، وفيه فوائد ونكت ذكر فيه بعد أن أورد أسئلة وأجوبة في بعض الآيات. " وهذه الأسئلة وأجوبتها وأمثالها وكل ما ذكرنا في كتابنا هذا مما يقع بين الطلبة في مجلس شيخنا ابن عرفة أو بينه وبينهم."[6]. فإضافات البسيلي فيه تتجاوز مجرد التقييد لما كان يجري في مجلس شيخه من التفسير.

كما أن هذا التقييد قد تعدد، إذ منه كبير وصغير وقد وقع لصاحبه:" قصة وذلك أنه لما ألفه سمع بذلك الأمير الفقيه الحسن بن السلطان أبي العباس الحفصي فراسله فيه وطلبه منه فامتنع وماطله أياما ثم أرسل إليه وأمر رسله أن لا يفارقوه حتى يسلمه لهم، فلما الشيخ صاحب الترجمة الجد في الأمر أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفع لهم الباقي فمشوا به. ثم مات ومات الأمير أيضا، وبيع التقييد تركته وسافر مشتريه إلى بلاد السودان فبقي أهل تونس لا شعور لهم به؛ فلذلك كان أصل نسخه من نسخة السودان ومن هناك انتشر. وقد كان الشيخ لما طولب به اختصر منه تقييدا صغيرا جدا وهو موجود ببلد فاس ومراكش بيد الناس وذكر في التقييد المذكور أنه أول ما حضر عند ابن عرفة عام 785هـ."[7].

ذكرت منه نسخ متعددة اطلع عليها الباحث الطرهوني في رسالته[8]، وذكر عادل نويهض أنه اطلع على " تقييد صغير في التفسير توجد منه نسخة في المغرب الأقصى في الخزانة العامة بالرباط يبلغ حجمه حوالي سدس

---

[1] – النكت والتنبيهات مقدمة المحقق. ج98/1.

[2] – معجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (دار الغرب الإسلامي بيروت ـ ط:01، 1982م) ج153/1.

[3] – معجم المؤلفين، المرجع نفسه. ج 117/2.

[4] – تعريف الخلف، المصدر السابق. ج 87/2.

[5] – معجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ، المرجع السابق. ج104/1.

[6] ـ معجم المؤلفين التونسيين، المرجع نفسه. ج104/1.

[7] ـ تعريف الخلف للحفناوي. ، المرجع نفسه. ج 87/2.

[8] ـ التفسير والمفسرون، للطرهوني، مرجع سابق. ج176/1.

التقييد الكبير، ويعتريه بعض النقص من جراء هذا الاختصار الكبير الذي وصل إلى حد إهمال بعض السور بصفة تامة، وخاصة نهايته إذ يقف في سورة الصف."[1]. وفي الضوء اللامع للسخاوي أن " أحمد البسيلي التونسي، مات سنة ثمان وأربعين."[2]. وقيل 830هـ، وهو المشهور. كما يفيده جملة من ترجموا له.

– **محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العَجيسي التلمساني**[3]: ولد ابن مرزوق عام 766هـ/1364م، " كما ذكر هو عن نفسه في " شرحه على البردة ليلة الاثنين رابع عشر ربيع الأول عام ستة وستين وسبعمائة."[4] بأرض " بتلمسان وبها أخذ عن والده وعمّه."[5]. وعائلة ابن مرزوق عائلة علمية عريقة بتلمسان، استمر وجودها من ابن مرزوق الجد إلى ابن مرزوق الحفيد إلى ابن مرزوق الكفيف (تـ901هـ) إلى ابن مرزوق حفيد الحفيد المعروف بالخطيب.

رحل ابن مرزوق الحفيد " إلى تونس وفاس ثم دخل القاهرة فلقي بها العلامة ابن خلدون، والفيروز آبادي والتُّويري صاحب النهاية وأخذ عنهم. حج سنة (تـ:790ه)ـ رفقة الإمام ابن عرفة، وحج ثانية سنة 819هـ فلقي الإمام ابنَ حجر وأخذ عنه."[6]. وهو غير اللقاء الذي أجازه ابن حجر فيه وجميع أولاده كما مرَّ.

وفي البستان لابن مريم إسهاب في تحليته بما هو أهله من نعوت العلم والتحقيق، فقد قال فيه " المجتهد الأبرع الفقيه، الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية، الأستاذ المقرئ المجود النحوي اللغوي البياني...الراعي في كل فن مرعاه الخصيب.". وأفاض في الترجمة له بما هو مقيد هنالك.

والذي يهم هنا ما في الوصف من درجة ابن مرزوق في التفسير:" إلى ما انضم إلى ذلك من معرفة التفسير ودرره، والاضطلاع بحقائق التأويل وغرره، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو لقيَه مقاتل لقال له تقدم أيها المقاتل، أو الزمخشري لعلم أنه كشاف الخفيات، ولقال لكتابه تنح لهذا الحبر عن سلوك الطريقة، أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية، أو أبو حيان لاختفى منه إن أمكنه في نهره، و لم تسل له نقطة من بحره." [7].

---

[1] – معجم المؤلفين التونسيين، المرجع السابق. ج104/1.

[2] ـــ الضوء اللامع، للسخاوي. ج1/ 430.

[3] ـــ مصادر الترجمة: البستان/ 201، نيل الابتهاج 293، الضوء اللامع 50/7، شجرة النور 253/1، فهرس الفهارس 394/1، تاريخ الجزائر العام 210/2، تعريف الخلف برجال السلف 129/1ـــ138، معجم أعلام الجزائر 291، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 43.

[4] ـــ البستان، لابن مريم، المرجع نفسه. 212.

[5] ـــ معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض: 290.

[6] ـــ معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 290.

[7] ـــ البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 203.

أخذ ابن مرزوق الحفيد زيادة عمن ذكرنا " العلم عن جماعة كالسيد الشريف العلامة أبي محمد عبد الله ابن الإمام العالم الشريف التلمساني، والإمام عالم المغرب سعيد العقباني...وبتونس عن الإمام ابن عرفة...وأجازه من الأندلس ...وأبي محمد بن جزي."[1]. وجملة هؤلاء من المفسرين ترجمنا للعقباني، وأحد ابنيْ الإمام الشريف التلمساني أبي يحي.

أخذ ابن مرزوق عن جده وقد كان معروفا بالتفسير وأخذ الجدُّ عن العلامة الصفاقسي فقد قال الجدُّ المذكور: " وسمعت من لفظه كتابَه الذي أعربَ فيه وأغرب في إعراب القرآن العظيم."[2]. وحضر الصفاقسي عند أبي حيان " واستقر إبراهيمُ الصفاقسي بالقاهرة ولازمَ شيخَ العربية أبا حيان.[3]. ومعروف تخصص كل من الصفاقسي المذكور وأبي حيان في القرآن إعرابا وتفسيرا. وأخذ الجد عن العشّاب 736هـ وهو من المفسرين وفي المعيار للونشريسي نقول في التفسير عنه.[4].

كما أخذ ابن مرزوق الحفيد التفسير " عن أبيه وعمه وجده وسعيد العقباني، وبتونس عن ابن عرفة وأبي العباس القصار."[5]، وقد مرّ أن كلا من القصار وابن عرفة والعقباني من المفسرين بل من المؤلفين في التفسير. وقد ذكرهم الحفيد وصرح بالأخذ عنهم.

ومن تلاميذ الحفيد ابن مرزوق أبو الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني، فقد قال عن نفسه: " قرأت عليه جملة من التفسير"[6]، وعنه أخذ " الشيخ الثعالبي، وعمر القلشاني، ومحمد بن العباس ... وأبي العباس يحي بن الشريف وأخيه أبي الفرج، وإبراهيم بن فائد القسنطيني...وابن مرزوق الكفيف...والحافظ التنسي، والإمام ابن زكْري."[7]. وكل هؤلاء من المفسرين لبعضهم آثار في تفسير كالجواهر الحسان للثعالبي، ولابن فائد تفسير في ثمانية أسفار على ما يأتي، ولابن زكري والسنوسي والتنسي أجوبة في التفسير أوردها الونشريسي في المعيار. بل للسنوسي تفسير لم يكمل وهو موجود أذكره في موضعه، و لم يصل من آثار التفسير عن غيرهم.

وابن مرزوق " حافظ للحديث مفسر.."[8]، وهو أيضا " الأصولي المفسر المحدث"[9]، ووصف بـ" المفسر..."[10]. بل قال غير واحد أن ابن مرزوق " أحد الأفراد العِلمية في جميع الفنون الشرعية."[1].

---

[1] ـ تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. 135/1.

[2] ـ شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف (دار الفكر للطبعاة والنشر ـ سوريا ـ بدون تاريخ) 252/1. .

[3] ـ شجرة النور، المرجع السابق 05/1.

[4] - الطرهوني، المرجع نفسه. 174/1. طبقات الداوودي، المرجع نفسه. 66/1.

[5] - فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج1/ 524.

[6] - تعريف الخلف، المرجع نفسه. 1ج/131. البستان 205.

[7] - تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج1/137- 138.

[8] - معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 290.

[9] - البستان لابن مريم، المرجع نفسه. 201.

[10] - تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. ج128/1.

وبالجملة فقد تمكن من " معرفة التفسير ودرره والاطلاع بحقائق التأويل وغرره فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو لاقاه مقاتل لقال تقدم أيها المقاتل، أو الزمخشري لعلم أنه كشاف الخفيات على الحقيقة، وقال لكتابه تنح لهذا الحبر عن سلوك تلك الطريقة أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية، أو أبو حيان لاختفى عنه إن أمكنه في نهره، و لم يسل له نقطة من بحره."[2].

وشهد لابن مرزوق غير واحد ممن عرفه – بما في ذلك تلامذته – بالتمكن التام في العلوم بما فيها التفسير فقد قال " في حقه بلدينا الشيخ أبو الفرج ابن أبي يحيى الشريف التلمساني رحمه الله تعالى هو شيخنا الإمام العالم العلم جامع أشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا راسخ القدم رافع لواء الإمامة بين الأمم ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم محيي السنة بالفعال والمقال."[3].

درّس ابن مرزوق الحفيد التفسير وغيره فـــ" وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعة ليلا ونهارا من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف."[4]، وألف ابن مرزوق في فنون العلوم الشرعية فكتب في " تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء."[5]. وفي كتب التراجم " جزء عن الكلام على (قل هو الله أحد)"[6]، وتذكر أيضا " تقييد... على سور من الكتاب العزيز."[7]، كما له الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات[8].

وذكر في المعيار أن لابن مرزوق كتابات في أبحاث" التفسير بعنوان اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة في الفقه والتفسير."[9]. وفي الدرر المكنونة نصوص في التفسير وقعة إجابات لابن مرزوق لأسئلة وجهت إليه.

وجريا على يقتضيه المقام من ذكر اكتمال ثقافة المفسر أذكر مشايخه فمنهم في العربية كثيرون فقد " لازم المحب بن هشام في العربية." [10]، وما يدلُّ على تمكنه منها أنه كان يدرس من كتبها مع التزام ختمها " المغرب وجميع كتاب سيبويه كذلك وألفية ابن مالك وأوائل شرح الإيضاح، لابن أبي الربيع، وبعض المغني لابن هشام..." [11]. وهو يفيد أنها كانت مقررات للدراسة في هذا القرن.

---

[1] – البستان لابن مريم، المرجع نفسه. 202.

[2] – تعريف الخلف للحفناوي، المرجع نفسه. 1ج/129. البستان لابن مريم، المرجع نفسه. 203.

[3] – نفح الطيب للمقري، المصدر نفسه. ج5/ 423.

[4] ـــ البستان لابن مريم، المرجع نفسه. 208.

[5] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج1/137- 138. البستان 202.

[6] – ثبت الوادي آشي، محمد بن علي الوادآشي (دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ ط:01، 1989م) 294.

[7] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 294.

[8] – فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 43.

[9] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 291.

[10] – البستان، لابن مريم، المرجع نفسه. 208.

[11] – البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 208.

وأما مشايخه في الفقه فهم كثيرون أيضا بل هم أعيان الفقهاء في زمانهم فقد " انتفع في الفقه بأبي عبد الله بن عرفة." [1]. ولكمال تحصيل ابن مرزوق الفقهي فقد جلس يدرس " في الفقه التهذيب كله تفقها، وابن الحاجب الفرعي، وبعض مختصر خليل والتلقين وثلثي الجلاب، وجملة من المتيطية..." [2]. وهي كتب المذهب المالكي في زمانه.

وأما سماعاته في الحديث فهي واسعة تضمنها إجازاته التي كتبها لغيره وأكتفي بذكر ما كان يدرسه الطلبة في الحديث ومن ذلك " صحيح البخاري بقراءته وقراءة غيره، مرارا وصحيح مسلم كذلك وسنن الترمذي وأبي داود بقراءتي والموطأ سماعا وتفقها..." [3]. فإذا أضفت إلى ذلك أنه شرح البخاري وغيره أدركت ذلك لا محالة.

وأخص هذا المفسر الكبير بالتلميح لأسانيده فقد كانت أسانيد ابن مرزوق حلقة وصل بين القرنين الثامن والتاسع، وعليها مدار أغلب أسانيد القرون اللاحقة؛ فقد " أجازه جميع من ذكرنا ــ العبارة لابن مريم ــ الإجازة العامة بما لهم من المصنفات والمرويات، وهذا فخر كبير اجتماع هؤلاء كلهم له، وناهيك منهم بجده والعراقي وابن عرفة وابن خلدون، وصاحب " القاموس "، وابن الملقن والبلقيني والعيني والبرزلي. فقل أن يجتمع لأحد مثل هؤلاء في مشيخته من مجيزيه. وتخرج به هو كذلك فحول العلماء وتدبج مع الولي أبي زيد الثعالبي." [4].

وتوفي ابن مرزوق رحمه الله " يوم الخميس عصر رابع عشر شعبان عام 842هـ/1438م، اثنين وأربعين وثمانمائة، وصلى عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة." [5]. وكان ذلك " بتلمسان." [6].

– أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المغراوي التلمساني الشهير بابن زاغو [7]: نسبة إلى قبيلة مغراوة البربرية المغربية، ولد ابن زاغو سنة 782هـ/ بتلمسان، وبها نشأ وتعلم، أخذ التفسير عن سعيد العقباني (تـ:811هـ) السابق ذكره، وعن المفسر أبي يحي ابن الشريف التلمساني (تـ:826هـ). ففي تعريف الخلف أن صاحب الترجمة أخذ " عن إمام المغرب أبي عثمان سعيد العقباني، وعن السيد العارف المفسر أبي

---

[1] – البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 208.

[2] – البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 208.

[3] –البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 208.

[4] – فهرس الفهارس والأثبات للكتاني، المرجع نفسه. ج 1/ 524.

[5] – البستان لابن مريم، المصدر السابق. 208.

[6] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 291.

[7] – مصادر الترجمة: تعريف الخلف 47/1. ثبت أبي جعفر أحمد بن علي 313، معجم المفسرين 71/1، معجم المؤلفين 272/1، نيل الابتهاج 78، معجم أعلام الجزائر 40، شجرة النور 254/1، موسوعة أعلام المغرب 750/2، الأعلام 227/1، البستان 41، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف.37.

يحي الشريف، وغيرهما..."[1]. ورحل قديما فلقي ولي الدين أبا زرعة العراقي، وكان ذلك بمصر؛ وهو ممن لقية مجموعة من الجزائريين كالثعالبي عام 819هـ، ولقي الإمام العلامة شمس الدين محمد بن الديري، والعلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن القماح الأندلسي...وغير هؤلاء كثير.

وأخذ عن " سعيد العقباني قرأ عليه...سنة 806 هـ، والإمام العلامة أبو مهدي عيسى الغبريني، وهو قارئ عشر التفسير في حلقة ابن عرفة سنة 786هـ، والإمام الحافظ المسند أبو القاسم البرزلي وهو من تلامذة ابن عرفة أيضا، والإمام العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن الإمام أبي محمد عبد الله القلْشاني من المفسرين من أهل تونس قال رحمه الله: وهؤلاء كلهم أجازوا لي الإجازة التامة المطلقة العامة في كل ما رووه، وحملوه عن أشياخهم وهذا الشيخ أجاز لشيخنا إجازةً عامة مطلقة تامة، واعتمد عليه وكتب له مرات وقفت على ذلك."[2]. كما أخذ عن يحي إيدير (تـ:877هـ) شيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (تـ:909هـ).

و لم أقف على نص فيه مشايخه في الفقه وغيره، والذي بين يدي الباحثين أنه كان يدرس " مختصر الشيخ خليل من الأقضية إلى آخره، وابن الحاجب الفرعي وبعض الأصلي."[3]. وهي الفنون والمختصرات التي كان شائعا تدريسُها في الفقه. علما بأن مختصر خليل لم يكن قد مضى على دخوله المغرب أكثر من نصف قرن.

وقد صحب ابن زاغو ولي الدين العراقي (816هـ) وسمع منه الحديث وأجازه إلا أن بين يدي الباحثين أنه كان يتولى تدريسه فقد ذكر القلصادي أنه قرأ عليه " صحيح البخاري كلّه ومن أول صحيح مسلم إلى أثناء الوصايا..." [4].

قال القلصادي وهو من تلامذته " ولازمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية للتفسير..."[5]؛ إذ كان له درس مستمر ومقرر في التفسير، وعنه أخذ " التفسير والفقه والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف."[6]. وهو نص يفيد توسعه في المعارف الشرعية. ومن تلاميذ ابن زاغو بالمشرق عبد اللطيف بن عبد الرحمن المقدسي الشافعي المعروف بابن غانم. قدم تلمسان ولقي بها جملة من الأعيان منهم الشريف أبو يحيى، وأحمد ابن زَاغُو وأبو عبد الله محمد بن مرزوق.[7].

وهو في التفسير " المتفنن.."[8]، درس التفسير كما ذكر القلصادي آنفا باليعقوبية لازمه هو وغيره، منهم من المفسرين ابن زكري وهو صاحب نعمته إذ هو الذي وجهه للعلم، واكتشف فيه النبوغ على ما سيأتي،

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. 46/1.

[2] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي، المصدر نفسه. 129.

[3] ـــ البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 42.

[4] ـــ البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 43.

[5] ـــ رحلة القلصادي، ، المصدر نفسه. 122، تعريف الخلف، المصدر نفسه. 47/1.

[6] ـــ الضوء اللامع للسخاوي، المصدر نفسه. 4 / 383.

[7] ـــ الضوء اللامع للسخاوي، المصدر نفسه. 2 / 410.

[8] ـــ تعريف الخلف للحفناوي، المصدر نفسه. 46/1.

والحافظ المفسر التنسي...ألف ابن زاغو في التفسير وهو ما يهمنا هنا " تفسير الفاتحة في غاية الحسن كثير الفوائد، ومقدمة في التفسير، والتذييل عليه في ختم التفسير."[1]. وكلها مؤلفات بين المتوسطة والصغيرة على ما يبدو و لم تتصل بأيدي الباحثين، بينما وصلنا بواسطة المعيار للونشريسي[2] جواب عن سؤال يعرف نسبيا بمنهج ذلك الإمام في التفسير، وإلى أي اتجاه يندرج الطريقة التي اتبعها.

توفي ابن زاغو عام 845هـ/ 1441م كما في جميع المصادر التي ترجمت له.

تتصل أسانيد الإمام ابن زاغو بمجموعة من أعيان الوقت شرقا وغربا منهم الحافظ ولي الدين العراقي فقد " أجاز له عامة ما رواه على اختلاف طرقه...وأحاله على أسانيده المكتوبة في استدعاء الشيخ أبي الفضل التلمساني." [3]، والعراقي ممن عرف بالتوسع في أسانيد الرواية إذ كان من المحدثين، كما أسند ابن زاغو عن الحافظ ابن حجر العسقلاني " سمع منه حديث الرحمة بسنده عن البلقيني وابن الملقن، وتسلسل له بشرطه يوم الخميس 13 صفر سنة 825 هـ بمنزله. وأجاز له مروياته ومقولاته." [4]، وهو في ذلك يشترك مع ابن حجر في هذه المزية " وتكرر كتْب ابن حجر في سنة 841هـ، ومرة أخرى سنة 826هـ بتعميم الإجازة في جميع ما له أن يجيز به من مسموع ومجاز وتأليف ونظم ونثر." [5]. ومعلوم أن من مروياته التفسيرَ الذي بالمعجم المفهرس خصوصا، وهي أمر واسع أوردها في محلها من هذا البحث. وممن أجاز ابن زاغو أيضا الحافظ شهاب الدين الكلوتاتي (835هـ/) فقد " أجاز له جميع ما يجوز له وعنه روايته. قال ومن مروياته تفسير الواحدي الأوسط، وأسباب النزول له." [6].

وتجد الإمام ابن زاغو يعمم الإجازة لتلامذته، فقد " أجاز هذا الشيخ لكل من سمع عليه أو منه حسبما وقفت عليه بخطه في إجازته لابنه ونص محل الحاجة من ذلك. وكذلك أجزت لجميع طلبتي ومن سمع مني أو سمع علي حديثا أو كتابا أن يرووا عني جميع مروياتي ومكتوباتي وجميع ما يصح عندهم عني كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهله وقد تلفظت بالإجازة لهم وعليهم في ذلك كله تقوى الله فيما استطاعوا وأنا أسال الله لي ولهم العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة." [7]. ثم استمر إلى أن قال:" وذلك في العشرين لجمادى الثانية عام أربعة وأربعين وثماني مائة 16 نوفمبر سنة 1440 انتهى."[8]؛ ولأجل ذلك اتصلت أسانيد

---

[1] ـــ تعريف الخلف للحفناوي، المصدر نفسه. 47/1.

[2] ـــ المعيار المعرب لونشريسي 335/11.

[3] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 106.

[4] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 115.

[5] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 116.

[6] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 117-118.

[7] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي، المصدر نفسه. 313.

[8] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي، المصدر نفسه. 313.

السنوسي وابن فائد ويحي ايدير ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، وابن زكري والتنسي وابن مرزوق الكفيف والخروبي من جهة ابن مرزوق زروق.

- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن الإمام، أبو الفضل التلمساني[1]: هكذا وقعت نسبته إلى تلمسان في جميع المصادر، وليس فيها تاريخ ميلاده؛ بل الذي فيها أنه " نشأ وتعلم بتلمسان."[2]. وهو من أولاد الشريف التلمساني. أخذ " عن سعيد العقباني وغيره."[3]، وهو من طبقة ابن مرزوق وابن زاغو والبسيلي وغيرهم. ارتحل أبو الفضل المذكور " في سنة عشر وثمان مائة فأقام بتونس شهرا، ثم قدم القاهرة فحجّ منها وعاد إليها، ثم سافر في اثني عشر إلى الشام فزار القدس وتزاحم عليه الناس حين علموا فضله وأجلوه."[4]. لقي الولي العراقي في جماعة.

وأبو الفضل هذا عارف بالتفسير، وفي بعض العبارات " عالم بالتفسير."[5]. درس التفسير وغيره فأخذ عنه من المفسرين الجزائريين " الحافظ التنسي، والقلصادي وابن مرزوق الكفيف، والتقي الشُّمني."[6].

وألف في التفسير إلى جانب التدريس إذ تذكر " له أبحاث في التفسير تكلم فيها مع الإمام المقرِّي في مسائله التفسيرية."[7]، قال التنبكتي عنه أنها " مفيدة...كتبتها مع ما كتبت من فوائده التفسيرية."[8]، وهي موجودة في المعيار للونشريسي، ومن قبلُ في نوازلمازونة، وقد ذكرت نماذج منها إذْ كانت تعقيبا على نصوص المقري الجد في التفسير. توفي أبو الفضل " توفي عام خمس وأربعون وثمانمائة 845هـ/1441م."[9].

تتصل أسانيد أبي الفضل التلمساني بولي الدين العراقي؛ ففي النص الذي أوردته عن ابن زاغو أن العراقي المذكور أجاز للتلمساني أن يروي عنه ما ثبت له من الشيوخ، فقد قال: " أجاز له عامة ما رواه على اختلاف طرقه... وأحاله على أسانيده المكتوبة في استدعاء الشيخ أبي الفضل التلمساني."[10].

– قاسم بن سعيد العقباني أبو الفضل (854هـ)[1]: ولد في سنة ثمان وستين وسبعمائة[2]، من أهل تلمسان وليس بين يدي الآن أنه ولد بها، فقد كان أبوه يتنقل في منصب القضاء بين تلمسان وبجاية، وتونس ومراكش.

---

[1] – مصادر الترجمة: البستان 220، تعريف الخلف 338/2، نيل الابتهاج 305، الضوء اللامع 740/10 موسوعة أعلام المغرب 751/2، معجم المفسرين 793/2، معجم أعلام الجزائر:75، شجرة النور 254/1.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 75.

[3] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. 740/10.

[4] – تعريف الخلف عن السخاوي 239/2.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 75.

[6] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. 740/10.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 75.

[8] – نيل الابتهاج للتنبكتي، المصدر نفسه. 305.

[9] – تعريف الخلف عن الونشريسي، المرجع نفسه. 239/2.

[10] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 106.

وارتحل قاسم المذكور إلى القاهرة فكتب لابن شيخنا وغيره بالإجازة في سنة ثلاثين وثمانمائة.[3]، ومقصود السخاوي صاحب النص الكلام عن شيخه ابن حجر العسقلاني، وأن العقباني أجاز ولده بما له من مرويات عن مشايخه ومنهم والده.

أخذ عن والده سعيد العقباني، وقد كان من مجالسه درس التفسير، وله فيه تأليف تقدم ذكره. وغيره من المشايخ كثير وفي والده كفاية للمستزيد، وقد " عكف على تعليم العلوم، وعطف على تدريس المعدوم منها والمعلوم."[4]، كما ذكر ذلك القلصادي عندما حل تلمسان 840هـ. وأشار إلى " مختصره في أصول الدين "[5]، ووصفه بما هو أهله من أنه " انفرد بفني المعقول والمنقول، واتحد في علمي اللسان والبيان."[6]. ومما وقف نفسه لتدريسه، من فنون العلم المختلفة ما ذكره القلصادي المذكور فقد قال عن نفسه: " قرأتُ عليه بعض مختصر ابن أبي زيد للمدونة ومختصر خليل والحكم لابن عطاء الله وشرحها لابن عباد، والحوفي بطريق الصحيح والمكسور، والمناسخات من شرح والده."[7]. ولابن مريم عبارات مجيدة في بيان فضله وعلو درجته إذ فيه أنه " العلامة المجتهد العارف المعمر."، وأردف ذلك بقوله " شيخ الإسلام علم الأعلام، العارف بالقواعد والمباني..."[8].

أخذ عن الإمام أبي الفضل العقباني جملة من شيوخ التفسير منهم الحافظ التنسي وابن زكري وابن مرزوق الكفيف في جماعة. درس العقباني التفسير ففي ترجمة القلصادي أنه حضر" على العقباني في التفسير والحديث والفقه والأصلين."[9]. وألف في التفسير إذ " له مصنف في أصول الدين وتفسير لسورتي الأنعام والفتح."[10]. والعبارة الأخيرة وردت في ترجمة والده سعيد العقباني، وهي المعروفة عند الباحثين. فوجودها عنه من الاشتباه الذي وقع للسخاوي وهو من أهل المشرق. وأهل البيت أعرف بما فيه. توفي قاسم بن سعيد العقباني 854هـ/1450م كما في جميع المصادر.

---

[1] ـ طبقات المفسرين للأدنوي 319، الضوء اللامع 181/2، نيل الابتهاج 223، إيضاح المكنون 243/2، الأعلام 176/5، البستان 147، معجم المؤلفين 242/2، ، موسوعة أعلام المغرب 720/2.

[2] – البستان، المصدر نفسه. 147.

[3] – رحلة القلصادي، المصدر السابق. 122.

[4] – رحلة القلصادي، المصدر نفسه.122.

[5] – البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 147.

[6] – البستان، المصدر نفسه. 147.

[7] – البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 147.

[8] – البستان، المصدر نفسه. 147.

[9] – الضوء اللامع للسخاوي، المصدر نفسه. ج 3/ 250.

[10] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 3/ 250.

وتتصل أسانيده بمن ذكر من مشايخه وكتب بها لغيره كما في الضوء اللامع ففيه " وقدم القاهرة فكتب لابن شيخنا وغيره بالإجازة في سنة ثلاثين وثمانمائة." [1].

– **إبراهيم بن فائد بن موسى بن سعيد أبو إسحاق الزواوي القسنطيني(857هـ)"**[2]: في تعريف الخلف " إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني."[3]. والزواوي نسبة إلى قبيلة زواوة البربرية، والقسنطيني نسبة إلى مدينة قسنطينة من شرق عاصمة بلاد الجزائر. ولد إبراهيمُ ابن فائد " في جبل جُرْجُرَ سنة ست وتسعين وسبع مائة (796هـ/1391م)"[4]. وأما عن مراحل التعليم فقد " تعلم في بجاية وتونس وقسنطينة "[5]، ورحل فـ"حج مرارا وجاور."[6]. أخذ " الفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني."[7]. كما أخذ غيرها من " الأصلين والمنطق والمعاني والبيان مع الفقه وغالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله بن مرزوق عالم المغرب لما قدم عليهم قسنطينة فأقام بها ثمانية أشهر."[8]. لقي في رحلته " أبا الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي في سنة 853هـ."[9]. كما أخذ عن " محمد بن محمد بن عيسى العفوي الزَّلديوي المغربي: أخذ عنه كإبراهيم بن فائد، قال وله تصانيف عدة في فنون منها تفسير القرآن..."[10]، كما أنه في رحلته فيما تذكر كتب التراجم " تلا لنافع على الزَّيْن بن عيَّاش بل حضر مجلس ابن الجزري في سنة ثمان وعشرين."[11]. وهو نوع من الاهتمام بتحصيل ما يتعلق بتفسير القرآن.

ومن مشايخه في العربية ما ذكر من أنه لما " رجع إلى جبال بجاية فأخذ العربية عن الأستاذ عبد العالي بن فراج."، وأخذ " المعاني والبيان عن أبي عبد الله محمد اللبسي الحكم الأندلسي ورد عليهم حاجاً." [12].

وفي نص عام أن من مشايخه في الكلام وغيره ابن مرزوق فمن جملة ما أخذ من الفنون " والأصلين والمنطق والمعاني والبيان مع الفقه وغالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله بن مرزوق عالم المغرب قدم عليهم قسنطينة فأقام بها نحو ثمانية أشهر، ولم ينفك عن الاشتغال والأشغال حتى برع في جميع هذه الفنون لا سيما

---

[1] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. 3/ 250.

[2] – مصادر الترجمة: نيل الابتهاج 52. الضوء اللامع: 116/1، شجرة النور: 226، تعريف الخلف 05/2، معجم المؤلفين 73. الأعلام 96/1، معجم أعلام الجزائر: 160، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 43.

[3] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. 09/2.

[4] – المرجع السابق 09/2.

[5] – معجم أعلام الجزائر: 160.

[6] – تعريف الخلف 09/2.

[7] – المرجع السابق 09/2.

[8] – المرجع السابق 09/2.

[9] –معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 160.

[10] – عمَّر حتى زاد على المائة، ومات بتونس في سنة اثنتين وثمانين رحمه الله. انظر الضوء اللامع ج 4: 381.

[11] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1 / 72.

[12] – المصدرالسابق ج 72/1.

الفقه."[1]. وهو ينص على مبلغ اجتهاد المشايخ في التدريس وحرصهم على الاستمرار فيه؛ إذ يختمون في الفترات الوجيزة الفنون العديد، وهي فرصة للطلبة في مداومة التحصيل.

ومن مشايخ ابن فائد في الفقه وغيره جملة مشايخ منهم في الجزائر وبعضهم بتونس وقع التصريح بهم في النص التالي؛ إذ فيه أن ابن فائد المذكور " اشتغل بها في الفقه على أبي الحسن علي بن عثمان ثم رحل إلى تونس فأخذ الفقه أيضاً وكذا المنطق عن أبي عبد الله الأبي والفقه أيضاً وكذا التفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني والفقه وحده عن يعقوب الزعبي والأصول عن عبد الواحد الفرياني."[2].

وقدكان من عادته الإكثار من الشيوخ في الفن الواحد؛ إذ إضافة إلى من سبق رحل إلى قسنطينة حيث يوجد أحد أعلامها كما في النص التالي" ثم انتقل إلى قسنطينة فقطنها وأخذ بها الأصلين والمنطق عن حافظ المذهب أبي زيد عبد الرحمن الملقب بالباز ."[3]. و لم أقف على ترجمة موسعة لهذا الأخير لأعرف إن كان من شيوخه في التفسير أيضا.

ومما يدل على نبوغ هذا الإمام في فنون عدة ما هو معلوم من تآليفه في معظم ما تلقاه على المشايخ وتلقاه بالطلب عبر الرحلات المستمرة فقد " عمل تفسيراً وشرح ألفية ابن مالك في مجلد وتلخيص المفتاح في مجلد أيضاً وسماه تلخيص التلخيص ومختصر الشيخ خليل في ثلاث مجلدات سماه تسهيل السبيل في مختصر الشيخ خليل وكذا في آخر إن كان كمل في مجلدين سماه فيض النيل."[4]. وليس بين يدي الباحثين ذكر لهذا العمل الخاص بالتفسير، ولا عثر على من نقل عنه نصا طال أو قصر.

وممن أخذ عن ابن فائد تلميذه " الشهاب بن يونس بل شاركه في أخذه عن محمد بن محمد بن عيسى الزلديوي أحد مشايخه."[5]. وابن فائد " مفسر..."[6]. وقد درّس في أماكن عديدة خصوصا بعد أن قفل راجعا إلى قسنطينة كما تقول المصادر من أنه " دخل قسنطينة فقطنها."[7]، فلم يزل دائبا على " الاشتغال والأشغال حتى برع في جميع الفنون لاسيما الفقه."[8].

---

[1] ــ المصدرالسابق 72/1.

[2] ــ المصدرالسابق 72/1.

[3] ــ المصدرالسابق 72/1.

[4] ــ المصدرالسابق 72/1.

[5] ــ الضوء اللامع 1 / 72.

[6] ــ معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 160.

[7] ــ تعريف الخلف، المصدر نفسه. 09/2.

[8] ــ المرجع السابق 09/2.

كما ألف ابن فائد في فنون عديدة والذي يهمنا هنا أنه " عمل تفسيرا"[1]، و" تفسير القرآن."[2]، وتوفي سنة سبع وخمسين وثمانمائة 857هـ/1453م."[3]. وهو من تلاميذ ابن مرزوق قد اتصلت أسانيده بأسانيد شيخه الواسعة.

– محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي (866هـ)[4]: و" المشدالي – بفتح الميم والمعجمة وتشديد اللام – نسبة لقبيلة من زواوة والبجائي نسبة إلى بجاية، على الساحل الشرقي من أرض الجزائر الزواوي البجائي " المغربي المالكي"، ويعرف في المشرق بأبي الفضل، وفي المغرب بابن أبي القَسْم وأبو القَسم يكنى أبا الفضل أيضاً."[5]. ولد المشدالي " بعد عشرين وثمانمائة 822هـ/1417م."[6].

وأما من جهة مكان الميلاد فقد " ولد في بجاية ليلة النصف من رجب سنة عشرين، وقيل إحدى أو اثنين وعشرين وثمانمائة."[7]، وتردد يشير إلى عدم التحديد في التأريخ للميلاد المذكور على أن المشدالي في هذا الشأن أكثر. ومن جهة النشأة العليمة فقد " تعلم بها – بجاية – وبتلمسان."[8]. فقد " اشتغل في الفنون على والده، ومشايخ بلده في أنواع العلوم النقلية والعقلية. واتسعت معارفه، وبرز على أقرانه بل وعلى مشايخه."[9].

ودخل تلمسان وكان قد وفد إليها في حدود 844هـ، ولقي بها ابن مرزوق فأخذ عنه " علوم الشَّرْع التفسير والحديث والفقه على أبيه."[10]. والمفسر وابن زاغو إذ أخذ عنه " التفسير والفقه والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف"[11]. وأبا الفضل التلمساني فأخذ عنه " التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة والتصوف"[12]، وجماعة غيرهم. فيدلك هذا وغيره أن تلمسان في القرن التاسع كانت تغني الطالبين عن الرحلة إلى ما سواها بما في ذلك المشرق؛ لكثرة ما بها من أعيان العلماء، وكثرة الفنون المتداولة بما في ذلك التفسير.

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 09/2.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 160.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. 09/2.

[4] – مصادر الترجمة: الضوء اللامع 180/9، نيل الابتهاج 315 ، تاريخ الجزائر العام 271/2، شجرة النور 316، معجم نويهض: 301.

[5] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 383.

[6] – نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي (مكتبة وهبة، القاهرة، ط:01، 1396هـ) ج. 1 / 160.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه.:302.

[8] – المرجع السابق الجزائر:302.

[9] – نظم العقيان في أعيان الأعيان، المصدر نفسه. ج 1 / 160.

[10] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 383.

[11] – المصدر السابق ج 4 / 383.

[12] – المصدر السابق ج 4 / 383.

وتشير بعض النصوص المشرقية التي تسنى لها معرفة المشدالي عن كثب فحظي بإعجابها، أن من محفوظات المشدالي واسعة، ومثال للتفاني في طلب العلم وبلوغ الدرجة في تحصيله حفظا في الصغر وفهما وتحصيلا بعد ذلك فقد حدثهم عن نفسه والرواية للسخاوي أنه " قال فيما أملاه على البقاعي كما زعمه أنه ابتدأ بها في حفظ القرآن وهو في الخامسة فأكمل حفظه في سنتين ونصف بل حفظ حزب سبح قبل أن يتهجى بغير إقراء أحد له وإنما هو بسماعه ممن يدرسه وتلا للسبع على أبيه والإمام الولي أبي عبد الله محمد بن أبي رفاع ولنافع فقط على الشيخين هرون المجاهد وأبي عثمان سعيد العيسوي وغيرهما وحفظ الشاطبية، ورجز الخراز في الرسم والكافية الشافية ولامية الأفعال لابن ملك في النحو والصرف وغالب التسهيل وجميع ألفيته وابن الحاجب الفرعي والرسالة وأرجوزة التلمساني في الفرائض ونحو الربع من مدونة سحنون وطوالع الأنوار في أصول الدين للبيضاوي وابن الحاجب الأصلي وجمل الخونجي والخزرجية في العروض وتلخيص ابن البنا في الحساب وتلخيص المفتاح والديوان لامرئ القيس وللنابغة الذبياني ولزهير بن أبي سلمى ولعلقمة الفحل ولطرفة بن العبد"[1].

حتى إذا جاوز واجب الحفظ على ما رأيت انتقل إلى تحصيل معاني الفنون ففي العربية " أقبل على التفهم فبحث على أبي يعقوب يوسف الريفي الصرف والعروض ثم على أبي بكر التلمساني في العربية والمنطق والأصول."، وأخذ على أبيه إذ كان من العلماء " النحو والأصلين والمعاني والبيان وعلوم الشرع التفسير والحديث والفقه.".

نص في جملة ما أخذه من العلوم عن مشايخ تلمسان خصوصا وعموما بغيرها من أرض الإسلام وهو مما أفاده السخاوي رحمه الله، إذ كان مولعا بالتوسع في التراجم فقد قال: " ثم رحل في أول سنة أربعين إلى تلمسان فبحث على محمد بن مرزوق ابن حفيد العالم الشهير وأبي القسم بن سعيد العقباني وأبي الفضل بن الإمام وأبي العباس أحمد بن زاغو وأبي عبد الله محمد بن النجار المعروف لشدة معرفته بالقياس بساطور القياس وأبي الربيع سليمان البوزيدي، وأبي يعقوب يوسف بن إسماعيل وأبي الحسن علي بن قاسم، وأبي عبد الله محمد البوري وابن أفشوش؛ فعلى الأول في التفسير والحديث والفقه والأصلين والأدب بأنواعه والمنطق والجدل والفلسفيات والطب والهندسة، وعلى الثاني الفقه وأصول الدين، وعلى الثالث التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة والتصوف، وعلى الرابع التفسير والفقه والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف، وعلى الخامس في أصول الفقه والمعاني والبيان ومما قرأه عليه مختصر ابن الحاجب الأصلي، وكان مرجع الناس بتلك البلاد في أمر المختصر فكان كما نقله البقاعي عن علي البساطي إذا عرض للشيخ إشكال في الأصول أمر بعض تلامذته أن يذكره بحضرته لعله يحله، وعلى السادس في الفقه، وكان أعلم الناس به ولكن لم يكن له إلمام بالعربية فأمر بعض تلامذته فقرأ عليه بحضرته شرح الألفية لابن عقيل فصار يعرفها "[2].

---

[1] – المصدر السابق ج 4 / 383.

[2] – المصدر السابق ج 4 / 383.

وأخذ عن المشدالي جماعة كثيرة، فقد نقل السخاوي أن ابن مرزوق وأبا الفضل التلمساني شهدا له بالعلم والنبوغ، وأنهما كانا " يأمران تلامذتهم بالقراءة عليه فأسرع إليه غالبهم فانتفعوا وكان منهم شخص يقال له أحمد بن زكري لازمه وتحقق بصحبته."[1]. وغير هؤلاء كثير ولكني نصصنا على المفسرين منهم. ثم رحل عنها ففي " سنة 845هـ/1441م دخل عنابة وقسنطينة وتونس، ثم توجه إلى المشرق عن طريق قبرص، فدخل بيروت ودمشق وطرابلس الشام وحماه، وسكن بيت المقدس مدة. وحج سنة 849هـ/1445م، وجاور، ثم دخل القاهرة "[2]. وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل فقد دخل المشدالي " القاهرة، ودرس بها فبهر العقول وأدهش الألباب."[3]، وبعد مدة من المقام بها " غادر مصر وتشتت في البلاد والقرى، وركب البحر والبر... إلى أن مات غريبا فريدا في عين تاب (بين حلب وأنطاكية)."[4].

والمشدالي " مفسر..."[5]، وقد تعرف عليه البقاعي بالقاهرة، وحضر مجلس درسه وأشاد بمقدرته على التدريس، والإحاطة بأغراض التفسير ومقاصد القرآن وحفظ لنا عنه كما ذكر ذلك السخاوي أن " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، وهو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السور، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من إشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلت ذلك تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم مفصلاً بين كل آيةٍ آية في كل سورةٍ سورة والله الهادي انتهى"[6]. بل نقل السخاوي ما يدل على مقدرته في التدريس فقد قال: " وسمعت البقاعي يقول غير مرة أنه لم يكن ينظر في دروسه التفسيرية في غير القرآن وأنه يستلقي على قفاه ويتأمل فيأتي بصواعق لا ينهض غيره لها."[7]. وتولى التدريس بعدة مدارس بعدة أماكن، ونافسه غيره في تولي التدريس ببعض المدارس" حتى انتزع له تدريس التفسير بقبة المنصورية."[8].

ولشهرة المشدالي وتمكنه في العلوم على اختلاف فنونها، وتواتر الشهادات له بذالك شرقا وغربا كثرت المنابر التي تولى التدريس فيها، ووقعت الرحلة إليه، وتعدد الآخذون عنه بما في ذلك شيوخ العلم سواء بمصر

---

[1] – الضوء اللامع ، المصدر نفسه. ج 4/ 384.

[2] ــ معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 302.

[3] ــ المرجع السابق :302.

[4] ــ المرجع السابق :302.

[5] ــ معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 302.

[6] ــ الضوء اللامع 4 / 386.

[7] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 386.

[8] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 388.

إذ منهم عبد القادر بن شعبان، فمن شيوخه " أبو الفضل المغربي في الأصلين..."[1]، وأبو بكر بن ظهيرة لقي أبا الفضل المشدالي و" سمع عليه قطعة من شرح المواقف."[2]. وحضر عنده إبراهيم بن برهان الدين المرّي " وتفسير سورة الكوثر وسورة الإخلاص والكلام على البسملة وعلى خواتيم سورة البقرة وعلى قوله تعالى (إن ربكم الله) في سورة الأعراف إلى (إن رحمة الله قريب من المحسنين، واستقر في تدريس التفسير بجامع طولون."[3]، يقصد المشدالي.

وجاء في ترجمة علي بن برد بك أنه " أخذ عن أبي الفضل المغربي في الكافية لابن ملك."[4]، في جملة من الشيوخ يهمُّ البحث المشدالي منهم. " وكذا أخذ عن أبي الفضل المغربي وانتفع في هذه العلوم وغيرها بأخيه بل جل انتفاعه به وبحث عليه في مصطلح الحديث وحج معه صحبة أبيهما في ركب الرجبية سنة ثلاث وخمسين."[5]. وكذا ورد في ترجمة محمد بن عبد الرحمان الدمياطي " من أنه " جاور ولقي في الأولى أبا الفضل المغربي فحضر عنده في الأصول قليلاً."[6]، وفي نص ختامي أنه لقي محمد بن سيف الدين الحنفي حيث ولي تدريس التفسير " بقبة المنصورية برغبة أبي الفضل المغربي."[7]. فهذه نصوص تشير إلى تدريس المشدالي التفسير خارج الوطن في أماكن كبيرة، وأسماء كبيرة أيضا فيمن تتلمذ عليه خصوصا في التفسير.

تتصل أسانيد التفسير للمشدالي بمجموع الشيوخ سواء من جهة أنهم شيوخه في التفسير كما نقلناه من قبل أو من جهة إجازتهم له كما هي الحال عند شيخه ابن زاغو فـــ" قد أجاز هذا الشيخ لكل من سمع عليه أو منه حسبما وقفت عليه بخطه في إجازته لابنه ونص محل الحاجة من ذلك. وكذلك أجزت لجميع طلبتي ومن سمع مني أو سمع علي حديثا أو كتابا أن يرووا عني جميع مروياتي ومكتوباتي وجميع ما يصح عندهم عني كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهله، وقد تلفظت بالإجازة لهم، وعليهم في ذلك كله تقوى الله فيما استطاعوا. وأنا أسال الله لي ولهم العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة... ثم استمر إلى أن قال: وذلك في العشرين لجمادى الثانية عام أربعة وأربعين وثماني مائة 16 نوفمبر سنة 1440 انتهى."[8]. وكذا أسانيده عن ابن مرزوق وأبي الفضل التلمساني وقد تقدم كل ذلك فلا معنى لإعادته.

---

[1] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 388.

[2]– الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 5 / 251.

[3] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 45/3.

[4] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 3 / 44.

[5] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 84/1.

[6]– الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 4 / 48.

[7] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 4/ 378.

[8] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي المصدر نفسه. 313

توفي المشدالي عام " ومات سنة خمس وستين وثمانمائة (865هـ/)"[1]، و لم تكن وفاته بالجزائر إذ كان قد خرج منها قبل " وركب البحر والبر...إلى أن مات غريبا فريدا في عين تاب (بين حلب وأنطاكية)."[2]. رحمه الله رحمة واسعة.

– **محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العُبادي أبو عبد الله الشهير بابن العباس التلمساني(871هـ)**[3]: من أهل تلمسان، وليس بين أيدينا ما يحدد تاريخ ولادته، ولا ما يدل على أنه رحل في طلب العلم أو تولى الوظائف في غير تلمسان؛ إذ كانت معمورة بمثل أولاد الشريف التلمساني وابن مرزوق والعقباني، وغيرهم. أخذ عن ابن مرزوق الحفيد ففي نفح الطيب أن من تلامذته " ابن العباس."[4].

ليس بين يدي الباحث ما يفيد أنه قرأ على شيوخ معينين، ولكن الذي لا شك فيه أنه درس في الفترة، والمكان اللذين يكون أقرانه قد درسوا فيها على أمثال أبي يحي الشريف وابن مرزوق الحفيد وابن زاغو وأبو الفضل التلمساني. ومن تلامذته من المفسرين كالسنوسي في جماعة وفي بعض المصادر نجد من وصفه بالمفسر، وأنه كان يلقي دروس التفسير بمجلس السلطان. وهو نص سأورده في محله عندما أتحدث عن أماكن التدريس والتي منها مجالس السلطان.

وتولى تدريس فنون كثيرة هي غالب ما كان مقررا بالمدارس والزوايا يومها، وفي مجالس السلاطين على ندرة. والنص التالي يفيد قائمة للمقررات في الفنون المتداولة المشار إليها. ففي ترجمة تلميذه عباس بن أحمد القرشي: " والنحو كالتسهيل والمغني وأصول الفقه كمختصر ابن الحاجب وأصول الدين كالإرشاد لإمام الحرمين والمنطق كالجمل للخُونجي والمعاني والبيان كالتلخيص كل ذلك عن محمد بن العباس بتلمسان بل وقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والمقامات للحريري والفصيح لثعلب ومقصورة ابن دريد والطب كالرجز لابن سينا والمنصوري والموجز عن الشريف الحسني."[5]. و لم يتصل بأيدينا أنه ألف في التفسير، بل له فتاوى في المعيار والدرر المكنونة. توفي محمد بن العباس عام 871هـ/1467م.

– **أحمد بن محمد بن حسن الشُمُنِّي القسنطيني (872هـ)**[6]: تقي الدين نسبة إلى شُمُنَّة من أرض قسنطينة هاجر أبوه إلى مصر ففي بغية الوعاة: ولد بالإسكندرية في رمضان سنة إحدى وثمانمائة (801هـ/1399م)، وقدم القاهرة مع والده، وكان من علماء المالكية؛ فأصبح ولده المذكور شافعي، ولد تقي الدين الشمني عام

---

[1] – نظم العقيان في أعيان الأعيان، المصدر السابق. ج 1 / 160.

[2] – معجم أعلام الجزائر المصدر نفسه. 302.

[3] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر:75، شجرة النور 264/1، درة الحجال 295/2. تعريف الخلف، نيل الابتهاج 118، الضوء اللامع 278/7.

[4] – نفح الطيب المصدر نفسه. 5/ 428.

[5] – الضوء اللامع المصدر نفسه. 2/ 198.

[6] – مصادر الترجمة: بغية الوعاة 375/1، الضوء اللامع 174/2، معجم المفسرين 72/1، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 37.

801هـ، وبها تعلم على والده والظاهر عن ابن حجر العسقلاني، وعن إبراهيم بن يونس الحنفي وروي عنه بالإجازة التقي الشمني."[1].

ولما رحل أبو الفضل إلى مصر على ما ذكرتُ حضر عنده جملة من مشايخ مصر وغيرها، وكان منهم الشمني المذكور ففي بعض النصوص أنه " حضر عند أبي الفضل بن الإمام التلمساني "[2]، وقد كانت الإقامة غير دائمة ومع ذلك استغل فرصة وجود هذا العلم فتتلمذ عليه. وهو من مهم في التفسير وغيره. وقد سبق أن أهل المشرق تشرفوا بحضوره وعرفوا له قدره.

ومشايخ الشمني كثيرون وغالبهم من أهل مصر والمشرق عموما، إذ كانت إقامته بمصر بعد أن رحل أبوه إليها وأقام بها هو ولده. فمنهم في العربية والفقه وغير ذلك أبوه الشمني الوالد إذ " تفقه أولاً كأبيه لمالك بأحمد الصنهاجي والبساطي وانتفع به في الأصلين والنحو والمعاني والبيان والمنطق وغيرها وكذا انتفع بالعلاء البخاري حيث سمع عليه التلويح والتوضيح في أصول فقه الحنفية والهداية وفي فقههم وشرح المفتاح في المعاني وجملة وأخذ عن النظام الصيرامي المنطق والمطول بتمامه ولازمه ملازمة تامة في العقليات وغيرها حتى في الفقه قبل تحنُّفه أخذ عنه الهداية وتحول حنفياً في سنة أربع وثلاثين بعد موته بواسطة ولده العضدي وحضر عنده فيما قبل تقسيم الكتر والهداية وغيرها حين كان صوفياً بالبرقوقية ومقيماً بها."[3]. وقد كان أبوه مالكيا ولكن ابنه تفقه على مذهب الأحناف وصار من أعيانهم[4].

وكذا مشايخه في الحديث كثيرون وقد سار به أبوه على عادة المشايخ في الاستكثار من شيوخ الرواية والسماع منها، وحضور مجالسهم فـ" قدم القاهرة مع أبيه فأسمعه على ابن الكُوَيْك والجمال الحنبلي والصدر الأبشيطي والتقي الزبيري والفُوِّي والولي العراقي والشهاب الطريني وخليل القرشي القارئ والشموس الشامي وابن البيطار والزراتيتي والنور الأنباري الكثير وأجاز له البلقيني والعراقي والهيثمي، والجمال الرشيدي والتقي الدجوي والجوهري، والحلاوي والبدر النسابة وناصر الدين بن الفرات والزين المراغي والجمال بن ظهيرة ورقية بنت يحيى وآخرون." [5]. وهؤلاء هم أعيان المحدثين في زمانهم وشيوخ الرواية في أوانهم وعليهم مدار الأسانيد.

وحضر عنده السخاوي وأخبر أنه " حدث بأكثر مروياته قرأت عليه الكثير من سنة خمسين وبعدها وحضرت كثيراً من دروسه في العضد والكشاف وغيرهما وأخذت عنه شرحه لنظم النخبة وشرح والده لمتن النخبة وخرجت له قديماً مشيخة وقف عليها شيخنا." [6]. ومن مشايخه في أصول الدين جملة يدل عليهم تآليفه

---

[1] -بغية الوعاة في طبقات النحاة، للسيوطي (المكتبة العصرية، لبنان، ب ت) ج 375/1.

[2] – الضوء اللامع المصدر نفسه. 374/1.

[3] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 374/1.

[4] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 374/1.

[5] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 374/1.

[6] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 374/1.

وتدريسه للكتب المعتمدة إذ شرح الشمني " المواقف وشرح المقاصد في أصول الدين والعضد." [1]. والكتابان من مقررات التدريس وإليهما انتهى التأليف والتحقيق في مسائل علم الكلام.

ودرس الشمني الكتب المعتمدة، والمشهور من الحواشي عليها أسوة بغيره من كبار العلماء، وحضر عنده الطبقة العليا من الطلبة بل من الشيوخ فحضروا عنده " الرضي شرح الكافية في العربية وهو غاية ما في هذا النوع من الفن المطول والمختصر في المعاني والبيان وما على ما سبق من الحواشي؛ وانفرد بتقرير جميع ذلك بدون ملاحظة كراس ولا حاشية مع استحضاره لتقرير مشايخه فيما يتوقف العلم بالمراد غالباً عليهم به." [2]. واشتهر بطول الاشتغال ومعاناة الدروس.

ومن تلاميذه أيضا إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي إمام السلطان (ولد 835هـ) ويعرف بابن الكركي... " أخذ عن الشمُنِّي التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان والمنطق وغيرها بقراءته وقراءة غيره تحقيقا ودراية."[3]، وهو نص يدل على تبحر الإمام الشمني القسنطيني في علوم الشرعية، ومنهم أحمد بن محمد الكناني الشافعي (ت895هـ) " سمع على الشمني في حاشيته على المغني بل سمع عليه في التفسير والحديث وغيرهما."[4]. ومنهم أيضا " محمد بن علي بن نُصير أبو الفضل الدمشقي " أكثر من الأخذ عن الشمني في فنون كالتفسير والأصلين والعربية والمعاني"[5]. ومنهم أيضا عبد الحق السنباطي (931هـ)، أخذ عنه " بعض البيضاوي عن الشمني."[6]، والظاهر أن المقصود تفسير البيضاوي، ومنهم أيضا محمد بن عبد المنعم الجوجري الشافعي أخذ " التفسير عن الشمني."[7]، كما أخذ عنه محمد بن الشرف المناوي " ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلوم التقي الشمني سمع عليه فيكل من الكشاف والعضد والتوضيح وشرح الشمسية." [8].

تولى التدريس في مدارس عديدة، ودرس فنونا كثيرة، فقد نقل السيوطي وهو من تلامذته أن الشمني المذكور " أقرأ التفسير والحديث والفقه والعربية والمعاني والبيان وغيرها، وانتفع به الجم الغفير، وتزاحموا عليه، وافتخروا بالأخذ عنه، مع الخير والعفة، والتواضع والشهامة وحسن الشكل والأبهة والإجماع عن بني الدنيا. أقام بالجمالية مدة، ثم ولي المشيخة والخطابة بتربة قايتباي الجركسي بقرب الجبل، ومشيخة مدرسة اللالا."[9].

---

[1] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 374/1.

[2] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 374/1

[3] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 1/ 36.

[4] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 1/ 378.

[5] – الضوء اللامعج المصدر نفسه. 4/ 190.

[6] – النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محي الدين العيدروس اليمني (دار الكتب العلمية، لبنان، ط:01، 1405هـ) 80.

[7] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 4/ 142.

[8] – الضوء اللامع المصدر نفسه. ج 5/ 326.

[9] – بغية الوعاة، للسيوطي، (المكتبة العصرية، لبنان، ب ت) ج 1/ 377.

أنشد فيه السيوطي من قصيدة طويلة[1]:

وفي الكتاب وفي آياته ظهرتْ ○○○ آياتُه حين يتلـــوها ويعـــــــــتبرُ

محقق كامل الآلات مجـــــتهدٌ ○○○ وما عسى تبلغ الأبياتُ والســـطُر

شهد له الكثير بالدرجة العالية في الفنون والتقدم في التفسير قال السيوطي" شيخنا الإمام العلامة المفسر المحدث الأصولي المتكلم النحوي البياني، إمام النحاة في زمانه، وشيخ العلماء في أوانه، أما التفسير فهو بحره المحيط وكشاف دقائقه بلفظه الوجيز الفائق على الوسيط والبسيط."[2]. وناهيك بشهادة السيوطي له، وهو من هو في التفسير وغيره.

وقد أورد له السخاوي في الضوء اللامع جملة وافرة ممن درسوا عنده وأخذوا عنه التفسير وغيره. وسأستفيد من كل ذلك لبيان سعة ثقافته هذا المفسر وعلمه، وتأهله لدرجة كبار المفسرين، مقتصرا على من أخذوا عنه التفسير. منهم:

- أحمد الزفتاوي الشافعي ففي الضوء اللامع أنه " سمع على الشمني في حاشيته على المغني بل سمع عليه في التفسير والحديث وغيرهما." [3].

- عبد الحق السنباطي حضر " بعض البيضاوي عن الشمني." [4].

- محمد بن عبد المنعم الجوجري فكان مما درس " التفسير عن الشمني." [5].

- محمد بن علي القُوصَوي ورد عند السخاوي أنه " أكثر من الأخذ عن الشمني في فنون كالتفسير والأصلين والعربية والمعاني." [6]. وهي جملة فنون كان يقوم بها الشمني.

- محمد بن محمد الطبندي، قال السخاوي: " وكذا لازم الشمني حتى أخذ عنه حاشيته على المغني وغيرها كالأصلين والتفسير والمعاني والبيان." [7].

- محمد بن محمد المحيوي وهي شخصية استكثرت من الأخذ عن الشمني ويظهر أنه لازمه كثيرا لأجل أن الفنون في النص الآتي تقتضي ذلك، ويظهر أيضا أن الشمني كان لا ينقطع عن التدريس، وأنه كان يستقر بالمدارس. فقد ذكر السخاوي أن المحيوي المشار إليه " لازم الشمني في الأصلين والتفسير والعربية والمعاني والبيان وغيرها ومما قرأ عليه التلخيص وشرحه المختصر والموقف الأول من المواقف في علم الكلام، وأماكن في شرحه للسيد والمقصد الأول من المقاصد وشرحه ومما سمعه منه نبذة من المقصد الخامس وشرحها والمعظم من

---

[1] - بغية الوعاة المصدر نفسه. ج 1/ 380.

[2] - بغية الوعاة المصدر نفسه. 375/1.

[3] - الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1 / 378.

[4] - الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 2 / 212.

[5] - الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 142.

[6] - الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 190.

[7] - الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 444.

كل من المطول، ومختصر ابن الحاجب الأصلي وشرحه للعضد، وحاشية العضد للتفتازاني ومن أول البيضاوي إلى أتأمرون الناس بالبر." [1].

ــ أبو بكر بن ظهيرة الإمام المعروف قرأ في أصول الدين عند الإمام " الشمني سمع عليه قطعة من المواقف بل ومن تفسير البيضاوي." [2].

– محمد بن الشرف المُناوي بعد سرد شيوخه قال السخاوي " ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلوم التقي الشمني سمع عليه في كل من الكشاف والعضد والتوضيح وشرح الشمسية." [3]. وهي فنون التفسير والبلاغة والنحو والمنطق على التوالي والله أعلم. ونكتفي بهذا المقدار فهو جلي في الدرجة العالية التي وصل إليها الشمني المذكور في التفسير وغيره.

والذي يتصل بالبحث هنا وهو من المقاصد ذكر ما كان له من التآليف في مختلف العلوم، التي كان يتولاها بالتدريس بعد استيفاء التحصيل " صنف شرحاً لنظم والده النخبة عمله في حياة شيخنا وحاشية على المغني لخصها من حاشية الدماميني وزاد عليها أشياء نفيسة سماها المنصف من الكلام على مغني ابن هشام وتعليقاً لطيفاً على الشفا في ضبط ألفاظه لخصه من شرح البرهان الحلبي وأتى بتتمات يسيرة فيها تحقيقات دقيقة سماه مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا وشرحاً متوسطاً للنقاية في فقه الحنفية وسمعته يتألم ممن سلخه وزاحمه فيما له فيه من التحقيقات ونحوها مما لم يسبق إليه وفهرستاً لمروياته وغير ذلك وأقرأها مراراً وتنافس الناس في تحصيل الحاشية وتوسل بعض المغاربة بسلطانهم عند من ارتحل إليه وكتبها."[4]. وبعض هذا في النحو والآخر في السيرة والنحو إلى غير ذلك.

وألف الشمني في التفسير كتاب " الأمور الناجحة في كشف أسرار الفاتحة."[5]. وقد وصل إلينا هذا التفسير وقد عرفنا به وبطريقة صاحبه فيه. توفي الشمني 872هـ/1468م. وذكر له الباحث بشير ضيف تأليفين بعنوان: البسيط والوسيط ولم يزد على ذلك. وأحال إلى بغية الوعاة للسيوطي، وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي.

وقد ورد ترجمة عبد الباسط بن خليل أنه " أجاز له الشمني." [6]، وكذا موسى ابن عمر اللقاني فقد " أجاز له شيخنا الشمني." [7]، وأيضا ممن روى " عنه بالإجازة التقي الشمني" شيخه إبراهيم بن يونس الحنفي.

---

[1] – بغية الوعاة، المصدر نفسه. ج 375/1.

[2] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 5 / 251.

[3] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 5 / 326.

[4] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 374/1.

[5] – فهرس الظاهرية. / 44.

[6] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 2 / 205.

[7] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 5 / 99.

– **عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي(875هـ)**[1]: نسبةً لمكان تقيم به قبيلة الثعالبة بأرض الجزائر، ولد الثعالبي 786هـ 1384م. قرأ ببلده ثم دخل جزائر مزْغَنَّة، وهي الجزائر العاصمة اليوم، ورحل من بعد إلى بجاية عند شيخه النقاوسي، ولقي أصحاب ابن عرفة فقال عن نفسه " وحضرتُ أيضا شيخنا الأُبِّي"، ولما مرّ ابن مرزوق بتونس وهو في طريقه إلى الحج لقيَه الثعالبي واجتمع به، وقال" أجازني هو والأبي وأذن لي في الإقراء."[2]، ورحل بعدها إلى المشرق فلقيَ وليَّ الدين العراقي وأجازه كما أخبر عن نفسه في ثبته غنيمة الواجد.

ومن مشايخه في الحديث محدث القرن الثامن والتاسع ولي الدين العراقي المعروف بأبي زرعة (816هـ)، فعن السخاوي أن الثعالبي " حج وأخذ عن الولي العراقي."[3]، سمع منه وأجازه وقد مر أنه أجاز ابن زاغو أيضا، وقد الثعالبي عن نفسه مرتبا أحوال رحلته " ثم رحلت للمشرق وسمعت البخاري بمصر على البلالي"[4]، والبلالي هو من له اختصار كتاب الإحياء المشهور. كما قال الثعالبي أيضا أنه أخذ " البخاري إلا يسيرا عن البُرْزلي، ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني يومئذ في الحديث."، ونعود للثعالبي يفصل قليلا في خبر العراقي فقال عن نفسه " وحضرت كثيرا عن شيخ المحدثين ولي الدين العراقي وأخذت عنه علوما جمة معظمها علم الحديث وفتح لي فتحا عظيما وأجازني."[5]. والبلالي والعراقي من أهل مصر.

وقد كانت عادة الشيوخ أنهم بمناسبة الرحلة للحج وغيره يقيمون في المدارس خصوصا المشهورة منها يسمع عنهم الطلبة، وقد مر أن ابن مرزوق أقام بقسنطينة حيث أخذ عنه ابن فائد في جماعة، وفي هذه المرة أقام بتونس. ويذكر الثعالبي يذلك بقوله: " ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام تسعة عشر، فأقام بها سنة فأخذت عنه كثيرا، وسمعت عليه الموطأ بقراءة الفقيه أبي حفص عمر القلشاني ابن شيخنا."[6].

وأما تآليفه في ما يتصل بالتفسير فقد وجد منصوصا عليها حتى عند السخاوي وهو من أهل المشرق، وما ذلك إلا لشهرتها، إذ قال ما نصه مشيرا إلى التفسير وغيره: " كان إماماً علامة مصنفاً اختصر تفسير ابن عطية في جزأين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين وعمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك."[7].

---

[1] ــ مصادر الترجمة: نيل الابتهاج 173، الضوء اللامع 152/4، الأعلام للزركلي 107/4. فهرس الفهارس 131/2، معجم أعلام الجزائر 90ــ 91، شجرة النور 265، تعريف الخلف 67/1، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. ...41

[2] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 65/1.

[3] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 2 / 291.

[4] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 2 / 291.

[5] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 2 / 291.

[6] – نيل الابتهاج، المصدر نفسه. ج 173.

[7] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 2 / 291.

درس الثعالبي وليس بيدي الآن على الأقل ما يثبت أنه درس التفسير، وإن كان درسُ التفسير معهودا أيامه، وختم التفسير أمرا مشهودا في زمانه؛ لكنه ألف في التفسير كتابا خالدا حاز القبول ولقي الإقبال الكثير فألف " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" في أربعة أجزاء مذيلا بمعجم لغوي لشرح غريبه.

وأصل هذا التفسير كما صرح به الثعالبي في مقدمته أنه " اختصر في ابن عطية مع زوائد وفوائد كثيرة."[1]، وقد صرح الحفناوي أن تآليف الثعالبي مفيدة " لاسيما تفسير القرآن لانتفاع الناس به."[2]. وقد تلقاه الناس فعلا بالقبول، وتناقل الناس ما وقع في شأنه من الرؤى فـــ " عن إنسان رأى رؤيا في فضل كتاب الجواهر الحسان كأن مناديا ينادي أن الله تعالى قضى أنه لا يأتي بعده مثله، وأنه تعالى جعل عليه القبول أو نحو ذلك، ثم ذكر سعيد المذكور أنه رأى لهذا التفسير ثلاثة آلاف رؤيا تقتضي خيره."[3]. كما ألف الثعالبي فيما يتعلق بالتفسير وهو من عناصره " الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز"، والظاهر أنه المعجم الذي طبع بآخر الجواهر الحسان. وذكرت المراجع أن له تأليفا ثالثا في التفسير بعنوان " تحفة الإخوان في إعراب بعض في القرآن."[4]. توفي الثعالبي بالجزائر العاصمة اليوم وقبره بها معروف، عام 875هـــ/ 1470 م.

من تلاميذ صاحب الترجمة في ما ورد في ترجمة يعقوب بن عبد الرحمان الفاسي من أنه " أخذ الحديث عن عبد الرحمن الثعالبي."[5]. وفي ترجمة علي بن عياد الفاسي أنه " سمع الحديث على عبد الرحمن الثعالبي."[6].

والذي يهم من أمر تلامذته هنا أسماء من المفسرين منهم، كـــ " محمد بن مرزوق الكفيف، والإمام السنوسي، والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي."[7]. ويعتبر الثعالبي " من كبار المفسرين..."[8]، يدل على ذلك تأليفه المشهور.

ويتصل سند الثعالبي بابن مرزوق الحفيد وولي الدين العراقي كما في ثبته غنيمة الماجد. وعن طريقه يتصل سند السنوسي والمغيلي وابن زكري والتنسي وابن مرزوق الكفيف في جماعة وعن هؤلاء يتصل سند الطبقات المتأخرة من المفسرين الجزائريين كالمقري والشاوي...مرَّ ذلك بالتفصيل في محله من مبحث اتصال الأسانيد.

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 65/1.

[2] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 67/1.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 68/1.

[4] – معجم أعلام الجزائر 91.

[5] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 5 / 168.

[6] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 3 / 96.

[7] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 66/1.

[8] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 90.

– إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمان بن يحي بن أحمد بن سليمان بن مهيب الصَّدْقاوي (882هـ/1478م)[1]: هكذا وقع عند بعض من ترجموا له " بن مهيب الصدقاوي."[2]. و لم أجد بيانا لهذه النسبة، ووقع أيضا أنه الزواوي الأصل، والبجائي نسبة إلى بجاية. ولد الصدقاوي 816هـ/1413م. والظاهر أن ذلك كان ببلدة بجاية فقد ذكر أنه " نشأ وتعلم ببجاية وإليها نسبته."[3]. رحل الصدقاوي " إلى المشرق وسكن بالمدينة المنورة، ثم انتقل إلى مكة، وأقام بها إلى أن مات."[4]. وفي نص آخر أنه " قطن المدينة أيضاً سنين ثم انقطع بمكة نحو خمس عشرة سنة حتى مات بها."[5]. وليس هنالك فيما أعلم تاريخ محدد لهذه الرحلة.

أخذ الصدقاوي المذكور عن العلامة المفسر " أبي محمد بن قاسم المشدالي في آخرين."[6]. وكان بالمشرق " يحضر دروس البرهاني بن ظهيرة."[7]. وابن ظهيرة كما هو معلوم من كبار المفسرين والمدرسين للتفسير. فقد قالوا في ترجمته: " وحضر دروس عالم الحجاز البرهان بن ظهيرة." [8].

وقد ذكر السخاوي في ترجمة الصدقاوي " كان ذا إلمام بالتفسير يستحضر من ابن عطية." [9]، وعنه نقلت عبارة " له إلمام بالتفسير."[10]. وليس بين يدي الآن من النصوص أنه درّس التفسير أو ألف فيه، ولكن شرط الكتاب أن أترجم لمن نعتته كتب التراجم بالمفسر. وقد توفي رحمه الله 882هـ/1478م وفي بعض النصوص أنه " مات سنة 882هـ، وهو ابن ستة وستين سنة."[11]. وفي نص ثالث تحديد أكثر ففيه أنه " مات بها في ضحى يوم الاثنين عاشر رمضان سنة اثنتين وثمانين وهو ابن ست وستين."[12].

– محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري الرصاع التلمساني ثم التونسي المغربي المالكي (894هـ)[13]: من أهل تلمسان ورحل به أبوه مبكرا إلى تونس وهو لا يزال صغيرا وليس بأيدينا تاريخ ميلاد محدد ولعله في بداية

---

[1] – مصادر الترجمة: الضوء اللامع 149/1، 187، معجم أعلام الجزائر: 32.

[2] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 149/1.

[3] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 32.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 32.

[5] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1/ 93.

[6] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 149/1.

[7] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 149/1.

[8] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 149/1.

[9] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 149/1.

[10] – معجم أعلام الجزائر: 32.

[11] – معجم أعلام الجزائر: 32.

[12] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1 / 93.

[13] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر:152، شجرة النور 259، البستان: 283، نيل الابتهاج 323، الضوء اللامع 287/8، الأعلام للزركلي 228/7.

القرن التاسع. وإنما عرف " بابن الرصَّاع صنعة لأحد آبائه."[1]. أخذ الرصاع المذكور عن مشايخ عديدين كـــ" أحمد وعمر القلشانيين وابن عقاب وآخرين."[2]، وهؤلاء المذكورون من أهل التفسير خصوصا عمر القلشاني وابن عقاب، فقد " ختم عليه التفسير وهو الذي عيَّنه مُعيدا بالمدرسة المنتصرية، وأبو محمد عبد الواحد الغرْيَاني وأبو العباس أحمد السَّلاَوي."[3]، والسلاوي المذكور له تقييد لتفسير ابن عرفة إذ كان من تلامذته.

درس الرصاع بالمدرسة المنتصرية، وبمسجده، ألف الرصاع في فنون عديدة، والذي يهم منها هنا التفسير فقد ذكر له في المعيار تفسير آيات في المعيار المعرب، وقد قال السخاوي في ترجمة الرصاع: " بلغني أنه شرع في تفسير وأنه اختصر شرح البخاري لشيخنا وعندي أنه انتقاء لا اختصار."[4]. كما أن له كتابا آخر بعنوان الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب. وهو تفسير للشواهد القرآنية الواردة في مغني اللبيب لابن هشام بعد أن أفردها، ورتبها على السور، وتكلم عليها في جزئين."[5].

و لم تذكر المصادر مشايخه في كل فن على التحديد، والذي ذكرته لازم ذلك وهو التصدر للإقراء في فنون عديدة، هي الفنون السائدة في زمانه، والتي كان يتصدى لتدريسها كبار المشايخ شرقا وغربا. ففي البستان أن الرصاع التلمساني انتصب " متصدرا للإفتاء والإقراء في الفقه وأصول الدين والعربية والمنطق وغيرها." [6].

ومن تآليفه "جزء في إعراب كلمة الشهادة."، وهو مما يندرج في الاهتمام بالتفسير. و" اختصر شرح البخاري"[7]، ذكره في البستان وغيره. وله في الفقه " شرح حدود ابن عرفة." [8]. وهي حدود دقيقة ومشهورة ألفها ابن عرفة التونسي، وكان الرصاع من أوائل من شرحها. وهي مطبوعة وتدل على قدرة الرصاع الفقهية. ذكر السخاوي أنه كان حيا في 894هـــ، " وبلغنا أنه في سنة أربع وتسعين على خطة."[9].

---

[1] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 251.

[2] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 251.

[3] – نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، المصدر نفسه. ج 1/ 101.

[4] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 251.

[5]– النكت والتنبيهات للبسيلي، مقدمة التحقيق. 56/1. يوجد الأول منه بمكتبة الزاوية الحمزاوية بتافيلالت، رقم 89، بخط مغربي."[5].

[6] – البستان لابن مريم، المصدر نفسه. 283.

[7] – المصدر السابق 283.

[8] – المصدر السابق 283.

[9] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 251.

– **محمد بن يوسف بن عمر السنوسي (895هـ)**[1]: نسبة إلى سنوسة قبيلة بربرية، ولد في حدود (832هـ/1428م) بأرض تلمسان وبها نشأ، وأخذ عن علمائها وغيرهم، والذي ينبغي التركيز عليه في هذا المقام المفسرون منهم: كالثعالبي وابن مرزوق الكفيف. وقد كان القرن التاسع زاخرا بمشايخ العلم في التفسير وغيره خصوصا بتلمسان. من هؤلاء أيضا وهو من المفسرين كما سبق " الشيخ الإمام، العالم العلم، الحافظ المحصل، المتقن الصالح البركة: أبو عبد الله محمد بنُ العباس بنِ محمد بنِ عيسى العبادي الشهير بابن العباس رحمه الله تعالى ورضي عنه، ونفع به. قرأ عليه الشيخ رضي الله عنه شيئا من علم الأصول..."[2].

وفي روايات القرآن على الشيخ أبي الحجاج يوسف الحسني " قرأ الشيخ رضي الله تعالى عنه عليه القرآن الكريم بالمقارئ السبعة المشهورة؛ من أول القرآن إلى آخره ختمتين وزاد من الختمة الثالثة قدرا صالحا. قال الشيخ: و لم أتحقق منتهاها، وأجازه في المقارئ السبعة، و في غيرها من سائر مروياته إجازةً مطلقة عامةً، وقد ذكر ذلك كله الشيخ رضي الله عنه في تفسيره الذي بدأه على القرآن، وذكر في سنده في هذه القراءات السبع متصلا فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا كثيرًا كثيرا.."[3]. وفي هذا النص أنه المقرئ المذكور أجازه في كل مروياته إجازة مطلقة.

والسنوسي " عالم في التفسير"، فهو ممن درس التفسير فأبدع فيه كما ذكر الملّالي " فتجده رضي الله تعالى عنه إذا شرع في تفسير آية من كتاب الله تعالى، أو تفسير حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد ما أحاط به علم الباري سبحانه يبدي فيها من بديع التأويلات، وكثرة الاحتمالات ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يوجد في كثير من المطولات."[4]. بل له في تفسيره وفي تدريس التفسير مقاصد يستقصيها، ويجعل درس التفسير وسيلته إليها فقد قال الملالي أيضا " كان رضي الله تعالى عنه لا يقرئ في علم من العلوم الظاهرة إلا خرج منها إلى علوم الآخرة، لاسيما إذا كان يقرئ علم التفسير والحديث، وما ذاك إلا لما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالى، و مراقبته له في كل لحظة، وعدم التفاته إلى شيء من زخارف الدنيا حتى كأنه يشاهد الآخرة بين يديه، فصارت قراءته للعلوم الظاهرة راجعة كلها في الحقيقة علوما باطنة."[5].

كما نجده ألف في التفسير زيادة على تدريسه بل ختم ذلك التدريس وقد ذكر الملالي أن درس الختم كان مشهوده يسعى السلطان فمن دونه لحضوره " وكذا أيضا لما عزم الشيخ رضي الله تعالى عنه على ختم تفسير كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقد كان وقف على

---

[1] – مصادر الترجمة: البستان: 237، نيل الابتهاج 52، الضوء اللامع: 116/1، شجرة النور: 266/1.تعريف الخلف 172/1، فهرس الفهارس 998/2. دوحة الناشر 89، معجم المفسرين 665/2. معجم أعلام الجزائر: 180-181، موسوعة أعلام المغرب 795/2، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 45.

[2] – معجم المعارف والشمائل السنوسية للباحث 42، نقلا عن المواهب القدوسية للملالي الباب الأول.

[3] – المواهب القدسية، المصدر نفسه. لوحة 18.

[4] – المواهب القدوسية، الباب الخامس.

[5] – المواهب القدوسية، الملالي. الباب الخامس.

سورة الإخلاص سمع بذلك وزير السلطان وأراد أن يختم التفسير وكان الشيخ أراد أن يختم سورة الإخلاص في يوم والمعوذتين في اليوم الذي بعده وسمع الوزير بذلك فأراد أن يحضر عنده في اليوم الثاني الذي يقرأ فيه الشيخ تفسير المعوذتين وهو يوم الختم."[1]. وجملة تآليف السنوسي في التفسير " تفسير سورة ص وما بعدها من السور."[2]، و" مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف "، وذكر الوادي آشي وغيره أنه اختصر "حواشي التفتازاني على الكشاف". وله أيضا " تفسير القرآن إلى قوله (أولئك هم المفلحون)"[3]، وهو موجود في المواهب القدوسية للملالي في الباب الخامس؛ فقد قال الوادي آشي عن السنوسي أنه له تفسيرا: " ابتدأه فكان ختما لتواليفه، ومقدمة بين يدي خاتمته انتهى فيه إلى قوله (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) "[4].

وفي المواهب القدوسية تفصيل لما أجمله الوادي آشي: " ومنها تفسيره العجيب للقرآن العزيز، وقد رأيت منه بخطه رضي الله تعالى عنه ثلاثة كراريس، ونصف من القالب الكبير، وقد انتهى بتفسيره هذا إلى الآية التي بعد قوله في سورة البقرة (أُوْلَـــئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[الآية: 05]، وآخر كلمة وقف عليها بخطه قوله...يدل على الاعتناء بالختم، وهو فأل حسن. وكان رضي الله عنه عزم في أواخر عمره أن ينقطع عن الناس جملة، ويتفرغ إلى هذا التفسير، وإلى الخلوة بمولاه تبارك وتعالى، فكان من أمر الله ما كان، فسبحان الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.ومنها تفسيره لسورة ص وما تحتها من السور، وقد رأيت منه كراريس بخطه رضي الله عنه، ولا أدري ما انتهى إليه من السور؛ لطول العهد به."[5].

وذكر له الباحث بشير ضيف تفسيرا لسورة الكوثر وأنه مخطوط بمكتبة تطوان بالمغرب تحت رقم: 102، فانظره في فهرسته. ويتصل سند السنوسي في التفسير بشيخه الثعالبي عن ابن مرزوق عن ابن حجر، وبشيخه محمد بن العباس عن ابن مرزوق إلى آخر ما ذكر من قبل، كما يتصل سنده بالكفيف ابن مرزوق عن والده الحفيد عن ابن حجر وغيره... توفي السنوسي رحمه الله عام (895هـ/1490م)، وهو ما كادت تتفق عليه المصادر والمراجع.

---

[1] – المواهب القدوسية، الباب الخامس.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 176.

[3] – منه نسخة بالخزانة الحسنية، ومنه نسخ بالفاتيكان وخزانة تطوان والخزانة العامة بالرباط والأسكوريال .الفهرس الشامل 508/1.

[4] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 445.

[5] – المواهب القدسية للملالي، المصدر نفسه. الباب الخامس.

– أحمد بن عبد الرحمان (أبي يحي) بن محمد بن أحمد ، أبو العباس ، ويقال أبو جعفر الحسني التلمساني (حي في 896هـ)[1]: وهو" حفيد الشريف التلمساني"[2]، ولد و" نشأ وتعلم بتلمسان."[3]، فهي بلده وبلد آبائه وأجداده، وأخذ العلم عن جملة مشايخ القرن التاسع خصوصا النصف الأخير منه كالكفيف ابن مرزوق، ومحمد ابن العباس وقاسم العقباني وغيرهم من مشايخ تلمسان. وليس بين يدي ما يحدد شيوخه بالمصادر، ولكني قاربت في ذلك.

رحل أحمد التلمساني " إلى الأندلس وولي قضاء الجماعة بها."[4]. وترجم له بعض المعاصرين فوصفه بالـ"مفسر.."[5]. وفي عبارة أخرى " المفسر الفقيه."[6]. وفيه أنه " أخذ عن الإمام الحفيد ابن مرزوق، ووقع بينهما مراجعة وبحث في مسألة التيمم يدخل في الصلاة ثم يدخل عليه رجل بالماء وكلامهما في ذلك نقله الونشريسي في معياره."[7]. كما أخذ عن " قاضي الجماعة بغرناطة أبي عبد الله محمد بن علي ابن محمد بن الأزرق... وحضر مجالس... والشهاب قاضي الجماعة بغرناطة أبي العباس أحمد بن أبي يحيى بن شرف التلمساني." [8]. انتهى. وليس بين أيدينا الآن ما يثبت أنه درس التفسير أو ألف فيه."[9].

يتصل إسناده في التفسير عن والده عبد الرحمان عن جده الشريف التلمساني، فهم من أهل التفسير وعلمائه كابرا عن كابر لهم فيه التآليف القيمة والدروس الرائقة، وقد مرّ في ترجمة بعض آبائه شيء من ذلك.

ـ محمد بن محمد التّقَاوْسي (897هـ)[10]: نسبة إلى نقاوس " من غربي قسنطينة "[11] من أرض الجزائر، ولد النقاسي بتاريخ " يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين (848هـ)."[12]. رحل النقاوسي على عادة الطلبة إلى قسنطينة بغرض التحصيل كما ذكر السخاوي، ومنها إلى تونس فأخذ بها عن جماعة الفقه وأصوله مع المنطق والعربية والمعاني . وقد كان والده من قضاة نقاوس المذكورة فهي عائلة علم عريقة في العلم والوظائف الدينية.

---

[1] – مصادر الترجمة: البستان 44، الضوء اللامع 303/243،1/2، نفح الطيب 699/2، نيل الابتهاج 80، شجرة النور 267، معجم أعلام الجزائر:66، تعريف الخلف 96/2.

[2] – معجم أعلام، المرجع نفسه. 66.

[3] – معجم أعلام، المرجع نفسه. 66.

[4] – معجم أعلام، المرجع نفسه. 66.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 66.

[6] – شجرة النور، المرجع نفسه. 267.

[7] – نيل الابتهاج، المصدر نفسه. 80.

[8] – نفح الطيب، المصدر نفسه. 2 / 699 .

[9] – معجم أعلام، المرجع نفسه. 66، الضوء اللامع، المصدر نفسه. 243/2.

[10] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر 232. الضوء اللامع 07/10.

[11] ـ الضوء اللامع 4/ 479.

[12] ـ الضوء اللامع 4/ 479.

ولما توفي أبوه كما ذكر السخاوي ارتحل إلى الديار المصرية في سنة 869هـ" فجد في الاشتغال واختص بخطيب مكة أبي الفضل رفيقاً للخطيب الوزيري." [1]، ولقي الإمام المفسر القسنطيني الأصل تقي الدين الشمني فأخذ عنه حاشيته على المغني وغيرها.

كما أن من مشايخه العلامة الكافيجي مؤلف شروط المفسر. وتفيد العبارة التالية أنه اجتهد في تحصيل التفسير فقد " لازم الأمين الأقصرائي في التفسير وغيره." [2]. والأقصرائي المذكور مشهور في التفسير، ومذكور به في كتب التراجم وغيرها. ومن مشايخ النقاوسي الإمام السخاوي تلميذ ابن حجر العسقلاني، لذلك أفاض في ترجمته زيادة على ما تذكره المصادر المغربية.

وفي غضون إقامته بالقاهرة حج النقاوسي، ثم رجع إلى بلاده واستقر بـــأرض " تونس وصار أحد عدولها ودام سنين." [3]. والنقاوسي " مفسر.." بلا ريب، ولكن شيئا من تآليفه لم تصل بأيدي الباحثين. وقد ذكر السخاوي أنه بعد رجوعه إلى تونس ولعله بالضبط إلى بلاد قسنطينة اختار أن " يتحول بعياله وجماعته قاصداً استيطان الحجاز؛ فدخل الديار المصرية فكانت إقامته بها نحو ثلاثة أشهر وركب البحر من الطور صحبةَ نائب جدة فدخل مكة في أثناء رجب." [4]، وحدث السخاوي عن لقائه به وأثنى عليه خيرا إذ وصفه بالدين والعبادة.

ومن مشايخه زيادة على من كانوا بقسنطينة في " العربية والمعاني عن أحمد النخلي ومحمد الواصلي." [5]. ومنهم في الكلام وغيره جملة إذ " أخذ عن الشمني في حاشيته وغيرها كشرح نظم أبيه للنخبة وتكرر له عنه والتقى الحصني في المنطق وغيره والشرواني في شرح الطوالع وغيره من طبيعي وإلهي ورياضي والكافياجي." [6]. وهو نص عام يفيد جملة مشايخ في جملة فنون آخرهم الكافيجي شيخ السيوطي في الفسير كما هو مثبت في كتب التراجم وله في التفسير وشروط المفسر تأليف متداول.

وكان آخر عهده ببلده على ما يظهر أواخر 897هـــ، حيث " سافر مع المدنيين إلى طيبة فقدمها في أواخر سنة سبع وتسعين وثمانمائة فدام بها. وأقرأ هناك بعض الطلبة وذكر لي أن عزمه استيطانها." [7]. وهو نص هام يدل على مقامه بأرض الحجاز بمكة أولا ثم بالمدينة المنورة آخرا لتكون مستقره ولعياله، ويفيد أيضا أنه تولى بها التدريس ولكن لعدد محدود من الطلبة كما هي عبارة السخاوي، وليس في النص أيضا مدة التدريس

---

[1] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 479.

[2] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 479.

[3] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 479.

[4] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 479.

[5] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 479.

[6] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 479.

[7] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 480.

المذكور ولا المادة موضوع الدرس. توفي النقاوسي عام 897هـ /1491م كما في جميع المصادر المطلع عليها.

– **أحمد بن زكري (899هـ/1493م)** [1]: المشار إليه بـ " الفقيه الأصولي البياني المنطقي... المفسر..."[2]، ولي في الكتب المعرفة به ذكر لتاريخ ولادته. وقد أخذ ابن زكري عن أربعة من أعيان القرن التاسع ابن زاغو وابن مرزوق وقاسم العقباني، ومحمد بن العباس وكلهم من المفسرين[3]، ويتصل سنده بهم خصوصا ابن مرزوق وابن زاغو.

وقد أورد ابن مريم ما يدل على درجة ابن زكري في التفسير وتقديم العلماء له في قراءته بالمجالس خصوصا مجلس السلطان " وروي أن علماء تلمسان توافقوا على قراءة التفسير، فقدموا سيدي محمد بن العباس يقرئ فطالع ما في التعوذ وما في البسملة والفاتحة وفسرها الشيخ ثم إن القارئ قرأ (إنا فتَحْنا لكَ فتحا مبينا) خلاف ما طالع فعسر عليه الأمر لأن الفقهاء أرادوا أن يفضحوه لأن هذه القراءة بين يدي السلطان، ثم إن سيدي أحمد وقف بين يدي الشيخ وقال له يا سيدي إن محلها من الإعراب محل خال. ثم إن الشيخ رضي الله عنه فتح له طريقه في كلّ فن فلما فتح له الطريق صار من الضحى وهو يفسر (إنّا فتَحْنا) إلى الزوال فلما فرغ الشيخ ضم سيدي أحمد بن زكري إلى صدره وهو يقول يا ولدي فتحت علي فتح الله عليك." [4].

من المعروف أن المشايخ المذكورين كانوا إضافة إلى ما ذكر من تدريس التفسير يدرسون بقية علوم الإسلام من عربية وفقه وكلام ومنطق وإلهيات. وقد نقلت نصوصا كثيرة عنهم توضح ذلك وتؤكده، إضافة إلى أن لهم فيها التآليف المشهورة وكثير منها وصل إلينا؛ ولأجل ذلك تأهل ابن زكري بدوره للتأليف إذ " له شرح عقيدة ابن الحاجب سماه بغية الطالب، ومنظومته الكبرى في علم الكلام في أكثر من ألف وخمسمائة بيت." [5].. وله أيضا في الفقه، وأصوله " وله تآليف منها تأليف في القضاء والفتيا، وشرح الورقات لإمام الحرمين." [6].

وليس بين يدي الآن ذكرٌ لتآليف ابن زكري في التفسير، ولا وجدتُ من أشار إلى أن له تأليفا فيه صَغُرَ أو كبر، غير أن الونشريسي في المعيار[7]، قد أورد له نصوصا تدل على تمكنه من التفسير، وعلى أنه كانت توجه إليه أسئلة من التفسير منها تفسير قوله تعالى (ثم أورثنا الكتابَ الذين اصْطفينا من عبادنا).

أخذ عن ابن زكري محمدُ بن مرزوق حفيد الحفيد في جماعة، وتوفي على ما هو معروف سنة 899هـ.

---

[1] – مصادر الترجمة: نيل الابتهاج 84، البستان 38، درة الحجال 90/1، طبقات الحضيكي 27/1، تعريف الخلف 38، شجرة النور 267، معجم أعلام الجزائر 159.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 159.

[3] – طبقات الحضيكي، المصدر نفسه. ج 27/1.

[4] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 480.

[5] – البستان لابن مريم، المصدر نفسه. ج 40.

[6] – البستان، المصدر نفسه. ج 40.

[7] – المعيار المعرب للونشريسي ج 333/11.

– **محمد بن عبد الجليل التنسي (899هـ/1493م)**[1]: والتنسي نسبة إلى تنس المدينة الواقعة على الساحل من غرب الجزائر، التلمساني[2]: " ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي أنه سئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال: العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي، والرياسة مع ابن زكري."[3]. وهذا النص يدل على أن إقامة التنسي كانت بتلمسان. وليس بين أيدينا ما يحدد تاريخ الميلاد، ولا مكانه غير النسبة إلى تنس، وهي نسبة يشترك فيها مع والده عبد الجليل المذكور. وإذا كانت الرحلة العلمية من ضرورات الطلب، تحصيلا للمرويات، وطلبا لأفضل الشيوخ فإن تلمسان يومها لا نراها أحوجت التنسي إلى مغادرتها وخصوصا أن بها الأعلام من مشايخه، فقد ذكرت الروايات أن التنسي المذكور قد " أخذ عن الأئمة أبي الفضل بن مرزوق، وقاسم العُقباني، وابن الإمام، والإمام الأصولي محمد النجار، والولي إبراهيم التازي، والإمام ابن العباس."[4]. وكل هؤلاء غير الإمام التازي من أهل التفسير زيادة على ما نبغوا فيه من أنواع العلوم الشرعية واللغوية...

وقد كان للتنسي مجالس في التفسير، وله فيه تلاميذ فهذا ابن العباس الصغير يقول " لازمت مجلس الفقيه العلَم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام، وحضرت إقراءه تفسيرا..." [5]. وهو نص يفيد أن مجالس درسه كان حافلا فيه إضافة إلى الفقه واللغة...درس التفسير وأن الطالب كان يجلس السنين الطويلة في مجالس التنسي لا يتركه لغيره من خارج أهل تلمسان.

ومشايخ التنسي المذكور هم في الجملة شيوخ ابن زكري، منهم ابن مرزوق وابن زاغو والمشدالي، وقد ذكر السخاوي أنه انتفع به أيما انتفاع، ومحمد بن العباس، والجلاب السابق والحباك... من أعيان القرن التاسع.

وذكر البَلَوي أنه أخذ التفسير عن التنسي عام 895هـ " سمعت على شيخنا وبركتنا وسيدنا ومولانا الكاتب لما فوقه جملة وافرة من تفسير كتاب الله العزيز من سورة الأعراف _ فاتني منها أقلها _ بما يجب لذلك من التحقيق والتحرير مما ذكره المفسرون، وما لم يذكره صاحب تفسير بل من نتائج فكره المصيب، ومتلقياته عن مشايخه الأعلام الذين ورث مقاماتهم بالفرض والتعصيب."[6]. وهو نص يفيد في أن التنسي كان يدرس التفسير بصفة مستمرة. وقال البَلَوي في شأن ابن زاغو: " وقد وقفت على إجازة هذا الفاضل لجميع طلبته."[7]. ومعلوم أن منهم التنسي وابن زكري وابن مرزوق الكفيف.

---

[1] – نيل الابتهاج/ 229، البستان 248، الضوء اللامع 120/8، فهرس الفهارس 193/1، تعريف الخلف 164/1.

[2] – تعريف الخلف الحفناوي، المصدر نفسه. ج 164/1.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه 164/1.

[4] – تعريف الخلف، الحفناوي، المرجع نفسه 164/1.

[5] – تعريف الخلف، الحفناوي، المرجع نفسه 164/1.

[6] – مصادر الترجمة: نيل الابتهاج/ 329، تعريف الخلف 165/1، ثبت الوادي آشي، ثبت الوادي آشي 319.

[7] – ثبت الوادي آشي، المصدر السابق. 425.

وليس بين يدي الآن ذكر لتآليف التنسي في التفسير، ولا وجدت من أشار إلى أن له تأليفا فيه صغر أو كبر، غير أن الونشريسي في المعيار قد أورد نصوصا تدل على تمكنه من التفسير، وعلى أنه كانت توجه إليه أسئلة من التفسير منها تفسير قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا).

وتتصل أسانيد الحافظ المفسر التنسي في التفسير بدراسته على ابن زاغو وتدريسه، وتعميم ابن زاغو للإجازة لتلامذته: " وقد أجاز هذا الشيخ لكل من سمع عليه أو منه حسبما وقفت عليه بخطه في إجازته لابنه ونص محل الحاجة من ذلك. وكذلك أجزت لجميع طلبتي ومن سمع مني أو سمع علي حديثا أو كتابا أن يرووا عني جميع مروياتي ومكتوباتي وجميع ما يصح عندهم عني كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهله وقد تلفظت بالإجازة لهم وعليهم في ذلك كله تقوى الله فيما استطاعوا وأنا أسال الله لي ولهم العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، ثم استمر إلى أن قال: وذلك في العشرين لجمادى الثانية عام أربعة وأربعين وثماني مائة 16 نوفمبر سنة 1440 انتهى."[1].

توفي الإمام التنسي بتلمسان على ما يظهر وذلك " في جمادى الأولى سنة 899هـ."[2].

وللتنسي إسناد متصل بالمفسر أبي حيان كما حكى المقري عن عمه سعيد " عن شيخه العالم أبي عبد الله التّنسي، عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التّنسي ثمّ التّلمساني الأموي، عن عالم الدنيا أبي عبد الله ابن مرزوق، عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق، عن الأثير أبي حيان بكل مروياته." [3].

وفيما يلي نص للكتاني يلخص بعض ما مر وغيره " الإمام المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد والولي أبي إسحاق إبراهيم التازي وأبي الفضل بن الإمام وقاسم العقباني وغيرهم، وصفه أحمد ابن داوود البلوي الأندلسي ببقية الحفاظ، وذكر عن البلوي المذكور أنه لما خرج من تلمسان سئل عن علمائها فقال: العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي، والرياسة مع ابن زكري. وهو صاحب " نظم الدر والعقيان في دولة بني زيان " وممن وصفه بالحافظ الونشريسي في (المعيار) وكانت وفاته سنة 899. له فهرسة نرويها بأسانيدنا إلى أبي العباس المقري وسعيد قدورة، كلاهما عن عم الأول سعيد المقري التلمساني عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل عن أبيه المذكور. "[4].

---

[1] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي، المصدر نفسه. 313.

[2] – نيل الابتهاج للتنبكتي، المرجع نفسه/ 329. الحفناوي تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 164/1.

[3] – نفح الطيب، للمقري، المصدر السابق. ج 2/ 574.

[4]– فهرس الفهارس للكتاني، المصدر نفسه. ج 267/1.

– **ابن مرزوق الكفيف** (**901هـ/1495م**): ولد ابن مرزوق الكفيف كما في نفح الطيب في" غرة ذي القعدة عام أربعة وعشرين وثمانمائة نصف ليلة الثلاثاء."[1]، ووالده ابن مرزوق الحفيد المفسر التلمساني المشهور. وقد قال الوادي آشي في ذلك: " وشيخنا رضي الله عنه يحمل عنه ذلك بحكم الإجازة العامة له...وهو يروي عن جده لأبيه السيد الخطيب نفع الله به جميع مروياته بالإجازة العامة له من صغره، ويروي عنه أيضا بواسطة أبيه وعمه، وغير واحد من شيوخه، وهو أعلى مشايخه سندا فيما نعلمه."[2].

أخذ الكفيف العلمَ عن جماعة منهم أبوه قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغير ما كتاب من تآليفه وغيرها وتفقه عليه وأجازه عموما، كما أخذ عن مفسرين آخرين منهم أبو الفضل ابن الإمام وقاسم العقباني، كما أخذ عن الثعالبي فقد كتب لابن مرزوق الكفيف بتاريخ أول رمضان عام أربعة وخمسين وثمانمائة، يقول:" وقد أجزتك أن تروي عني ما لي روايته من مسموع ومقروء ومجاز ومناول ومؤلف."[3].

ومن مشايخه أيضا المفسر محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي وكان قد ورد تلمسان خلال العشرة الرابعة من القرن التاسع. وأخذ عن قاضي الجماعة ابن عقاب وهو من أعيان المفسرين. وأخذ عن حافظ الإسلام ابن حجر العسقلاني على ما في نفح الطيب وغيره.

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضا " بتونس: الإمام الحافظ المصنف الكبير العلامة أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله القلشاني قرأ عليه شيخنا رضي الله عنه وسمع وتفقه. ومن مقروآته عليه طائفة من الإرشاد لأبي المعالي، وحضر عليه إلقاء تفسير طائفة من الكتاب العزيز أولها قوله تبارك وتعالى (ولقد ذرأنا لجهنم...) [الأعراف: 179]، ومنتهاها قوله سبحانه (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) [الأنفال: 23] بما يجب لذلك الإلقاء من بيان المعاني واستنباط الأحكام بإيراد الأسولة والانفصال عنها وغير ذلك. ولم تتفق له منه إجازة."[4]. ومنهم أيضا بتونس:" الإمام الخطيب المدرس الجهبذ الناقد أبو عبد الله بن عقاب...وسمع عليه بمجلس درسه جملة من تفسير القرآن العزيز سماع تفقه في أحكامه، وتفهم لمعانيه مع ما أفاده رضي الله عنه مما لم تحتو عليه كتب التفسير من أبكار أفكاره، وأخذه عن شيوخه بعباراته الفصيحة واستدلالاته المحكمة الصحيحة."[5]. وزيادة على ما أخذه من مقررات التدريس على هؤلاء وغيرهم فإن "كل هؤلاء أجازوه وقرأ عليهم مشافهة إلا ابن حجر فمكاتبة."[6]. وزاد في نفح الطيب" ومن شيوخه العلامة ابن العباس التلمساني وغيره."[7]. ورحل الكفيف على ما ذكر السخاوي فإنه قدم " قدم مكة سنة إحدى وستين وثمانمائة."[1].

---

[1] – نفح الطيب للمقري، المصدر نفسه. ج5/419.

[2] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 294.

[3] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه 309.

[4] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 312.

[5] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 311.

[6] – نفح الطيب، المصدر نفسه. ج 5/ 419.

[7] – نفح الطيب، المصدر نفسه. ج 5/ 419.

ومن تلامذته الكفيف وهم كثيرون فقد" أخذ عنه جماعة أئمة كالسنوسي."[2]، وعبارة الوادي آشي وهو من تلامذته أنه كانت له حلقة خاصة في التفسير فقد ذكر عن نفسه " حضرت إلقاءه تفسير بعض سورة آل عمران من كتاب الله تعالى على ما يجب في ذلك وله من التحقيق والتحرير."[3].

يروي الكفيف" عامة عن أبيه الحفيد وأبي الفضل ابن إبراهيم بن أبي زيد بن الإمام التلمساني والقاضي المعمر أبي القاسم ابن سعيد العقباني وأبي العباس أحمد بن عيسى اللجائي الفاسي وأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي الجزائري والقاضي محمد ابن محمد بن أبي إبراهيم بن عقاب الجُذَامي التونسي وأبي محمد عبد الله بن أبي الربيع الجيزي التونسي والحافظ ابن حجر، وكل هؤلاء أجازوه بالسماع، إلا ابن حجر فبإجازته لأولاد ابن مرزوق سنة 29."[4].

كما أخذ الكفيف عن ابن زاغو سماعا وقراءة وإجازة، وقد نص ابن زاغ في 20 جمادى الثانية من عام: 844هـ في إجازته على ما يلي:" وكذلك أجزت لجميع طلبتي ومن سمع مني أو سمع علي حديثا أو كتابا أن يرووا عني جميع مروياتي ومكتوباتي ، وجميع ما يصح عندهم عني..."[5].

وهذه ترجمة مفيدة تجمع ما تفرق في غيرها وزيادة عند الكتاني " محمد بن مرزوق الكفيف: هو الإمام محمد بن محمد بن أحمد ابن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني، عرف بالكفيف وصفه الونشريسي في وفياته بالفقيه الحافظ المصقع، وغيره بالمحدث المسند الراوية، وقال عنه الإمام أبو عبد الله محمد بن الإمام أبي العباس التلمساني في رحلته: " علم الأعلام حجة الإسلام آخر حفاظ المغرب.". حج سنة 861هـ، وأخذ عنه بالمشرق وترجمه السخاوي في " الضوء اللامع " وكانت وفاته سنة 901هـ. يروي عامة عن أبيه الحفيد وأبي الفضل ابن إبراهيم بن أبي زيد بن الإمام لتلمساني والقاضي المعمر أبي القاسم ابن سعيد العقباني وأبي العباس أحمد بن عيسى اللجائي الفاسي وأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي الجزائري والقاضي محمد ابن محمد بن أبي إبراهيم بن عقاب الجذامي التونسي وأبي محمد عبد الله بن أبي الربيع الجيزي التونسي والحافظ ابن حجر، وكل هؤلاء أجازوه بالسماع، إلا ابن حجر فبإجازته لأولاد ابن مرزوق سنة 826هـ، وقد ساق أبو إسحاق ابن هلال في فهرسته مضمن إجازات هؤلاء للمترجم بتواريخها وتسميته مروياتهم. نروي ما للمذكور من طريق ابن غازي عنه مكاتبة من تلمسان لفاس وخص لإجازته ومروياته ذيلاً ألحقه بفهرسته."[6].

---

[1] – نفح الطيب، المصدر نفسه. ج 5/ 419.

[2] – نفح الطيب، المصدر نفسه. ج 5/ 419.

[3] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 248.

[4] – فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 1/ 525.

[5] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 313ـ 314.

[6] – فهرس الفهارس، المرجع نفسه. ج 1 / 525- 526.

– **محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**[1]: والمغيلي هل هي نسبة إلى مغيلة القبيلة البربرية أم إلى قرية مغيلة فيه خلاف بين المؤرخين. أما تاريخ ميلاد المغيلي فهو غير محدد؛ ولكن سياق الأحداث يفيد أنه قريب من سنة 840هـ، وكان ذلك بأرض تلمسان. رحل المغيلي مبكرا إلى بجاية حيث مهر في الفنون عند البجائي، ومنها إلى جزائر مزغنة حيث أخذ عن الثعالبي المفسر المشهور، ورحل أوائل العشرة السابعة من القرن التاسع إلى توات حيث العالم القاضي يحي بن يدير تلميذ ابن مرزوق الحفيد وابن زاغو وكلاهما من أهل التفسير. وبعد واقعة حدثت له مع يهود توات دخل بلاد السودان، وجرى له فيها مع حكامها وأمرائها فتاوى ومراسلات.

من شيوخ المغيلي من المفسرين المفسر عبد الرحمان الثعالبي، ومحمد بن يوسف السنوسي في جماعة، ألف المغيلي في التفسير البدر المنير في علوم التفسير. وألف أيضا " تفسير الفاتحة "، والأول من العملين مفقود وقد ذكر الباحث بشير ضيف أنه موجود بالمكتبة الوطنية ولم يذكر له رقما، والثاني موجود أتعرض له أثناء التعريف به في محله.

ومن مشايخه يحي التدلسي تلميذ بن زاغو " وقد أجاز هذا الشيخ لكل من سمع عليه أو منه حسبما وقفت عليه بخطه في إجازته لابنه ونص محل الحاجة من ذلك. وكذلك أجزت لجميع طلبتي ومن سمع مني أو سمع علي حديثا أو كتابا أن يرووا عني جميع مروياتي ومكتوباتي وجميع ما يصح عندهم عني كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهله وقد تلفظت بالإجازة لهم وعليهم في ذلك كله تقوى الله فيما استطاعوا وأنا أسال الله لي ولهم العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ... ثم استمر إلى أن قال: وذلك في العشرين لجمادى الثانية عام أربعة وأربعين وثماني مائة 16 نوفمبر سنة 1440 انتهى."[2]. ومن أسانيده ما للثعالبي عن ابن مرزوق، والسنوسي عن الثعالبي عن ابن مرزوق وغيره كالولي العراقي...

وقد ذكرت المصادر له فهرست شيوخه ولم يتصل باليد منه شيء. توفي محمد بن عبد الكريم المغيلي سنة 909هـ. بأرض توات وقبره وزاويته مشهورة بها رحمه الله.

– **محمد بن عبد الرحمان بن أبي العيش الخزْرَجي التلمساني أبو عبد الله (911هـ)**[3]: ولد بأرض تلمسان ففي بعض المراجع أنه" ولد ونشأ بتلمسان وأخذ عن أشياخها."[4]. وليس بين يدي بعد البحث تحديد من أخذ عنهم من شيوخ تلمسان خصوصا في التفسير. رحل الخزرجي إلى المغرب الأقصى بل وصف بـ " نزيل فاس ثم القاهرة، حافظ المغرب." كما في تعريف الخلف. كان الخزرجي كما يقول الحفناوي " آية باهرة في علم

---

[1] – مصادر الترجمة: البستان 253، نيل الابتهاج 330، تعريف الخلف 166/1، فهرس الفهارس 12/2، الأعلام 84/7، شجرة النور 274، معجم نويهض:308، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 44.

[2] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي، المصدر نفسه. ج 313.

[3] – مصادر الترجمة: البستان 254، نيل الابتهاج 332، معجم المؤلفين، 109/1، وشجرة النور الزكية 274، الأعلام 216/7، معجم أعلام الجزائر 246، تعريف الخلف 232/2.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق. 246.

الكلام والتفسير والحديث...ومعجزا باهرا في الأدب."[1]. والظاهر أنه كان متفننا في العلوم وهو ما يلزم المفسر من أدوات التفسير وشروطه.

وللخزرجي تآليف في فنون عدة منها "...تفسير القرآن الكريم"[2]، كما له في المعيار المعرب نص في تفسير قوله تعالى (ثمّ أورثنا الكتابَ الذينَ اصطفينا منْ عبادنا).[3]. توفي الخزرجي على ما في مصادر الترجمة عام 911هـ/1505م.

– **علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري أبو الحسن (950هـ)**[4]: نسبة إلى مَطْغَرَة بتلمسان، رحل المطغري رحلته العلمية فـــ" انتقل إلى فاس سنة 891هـ فلازم العلامة ابن غازي 29 سنة في البحث والتحقيق، وأخذ عنه وعن ابنه أحمد. لازم المطغري ابن غازي سنين كثيرة تقارب 29 سنة من عام 891هـ، وهي السنة التي حل بها ابن غازي فاس، وسمع المطغري عنه علوما كثيرة وختم عليه كتبا عديدة، ذكرها ابن منجور في فهرسته، ومنها التفسير فقد ذكر ابن هارون المذكور: " قال: تفسير القرآن العزيز سمعناه من ألم السجدة إلى آخر القرآن ومن أوله إلى قوله (وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم) أو ما يقرب منه بمجلسه الذي بمدرسة الخسّة."[5].

أخذ المطغري عن ابن غازي بفاس عام 891هـــ" وهو قارئ دروسه في المدونة والموطأ والعمدة والتفسير وخليل والعربية والحساب والفرائض وغيرها."[6]. وهو نص علمي مفصل أحيل عليه القارئ في محله المذكور يفيد عن حياة المطغري العلمية فائدة جمة؛ إذ فيه تمكنه في مختلف الفنون من تفسير وعربية وكلام وأصول وغيرها، وفيها طول ملازمة ابن غازي وهي تدل على طول مقامه بمكناسة الزيتون حيث كان يقيم شيخه ابن غازي.

اشتغل المطغري بالتدريس وكان ذلك في حياة شيوخه فـــ" أقرأ المدونة في حياة ابن غازي."[7]، وعرفوا فضله وأخذ عنه من أهل فاس جملة منهم مَنْ أصولُه جزائرية كعبد الواحد الونشريسي، واليسيتني، والمنجور وهو في الجملة من المفسرين وممن تعاطوا دروس التفسير."[8]. وذكر من ترجم له أنه من شيوخ العلم والتفسير بل " من كبارهم، له مشاركة في علوم التفسير والعربية."[9].

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 48/1.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 246.

[3] – المعيار المعرب، المصدر نفسه. ج 334/12.

[4] – مصادر الترجمة: نيل الابتهاج 212، شجرة النور 287، معجم نويهض: 305.

[5] – فهرست ابن منجور، المصدر نفسه. ج 43.

[6] – نيل الابتهاج، المصدر نفسه. ج 212-213.

[7] – نيل الابتهاج، المصدر نفسه. ج 212.

[8] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 306.

[9] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. ج 306.

وقد ضمن ابن منجور في فهرسته ما رواه عن المطغري، إذ كان للمطغري المذكور ثبت أخذ عن ابن غازي وغيره فكان ممن " صرح بإجازته العامة له منهم سقين وعلي بن هارون المطغري."[1]. وذكر الكتاني في شأن مرويات ابن هارون أنه يروي " ما له من طريق أبي العباس المقري عن عمه سعيد بن محمد المقري التلمساني عنه. ح: ومن طريق المنجور عنه."[2]. كما يروي المطغري عن شيخه ابن غازي ثبته المشهور : " فقد أجازه فيه شيخه المذكور عام 906هـ مما قرأ هو أو قرئ بمحضره." [3]. وفصل في ثبته ذلك إذ قال " ومن كتب القراءات صدر التفسير لأبي عمرو الداني، وناولني سائره وأجازنيه حسبما في الإجازة القرآنية."[4]. كما يروي المطغري أيضا عن أبي الفضل بن إبراهيم بن الإمام و" هو الإمام العالم التلمساني، دخل الحجاز ومصر والشام وافريقية، وحمل عن الرجال ما جمعه في فهارس أرويها بالسند إلى أبي العباس المقري عن عمه سعيد عن أبي الحسن عليّ بن هارون عن ابن غازي عن أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي عنه إجازة سنة 834."[5].

– **محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، أبو عبد الله (963هـ)**[6]: الخروبي الطرابلسي نسبة إلى طرابلس الجمهورية الليبية حديثا. ولد الخروبي " في قرقارش من قرى طرابلس الغرب."[7] في تاريخ غير محدد. رحل الخروبي إلى الجزائر في وقت مبكر فنشأ وولي الخطابة بها؛ فكانت له رحلات متكررة " ففي سنة 959هـ دخل المغرب الأقصى سفيرا بين سلطان آل عثمان، وبين أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني."[8]. وهو أمر يدل على مكانته لدى خلفاء بني عثمان، وعلوّ مقامه، وتحديدا يكون قد " زار فاس ومراكش"[9].

تورد مصادر الترجمة أنه " أخذ عن الشيخ زروق وأبي عبد الله محمد الزيتوني، وعمر بن زيان المديوني."[10]، فهؤلاء وإن لم يكن منهم من اشتهر بالتفسير، إلا أنهم في الجملة من أعيان القرن العاشر، ومن مدرسي فنون المختلفة. وتورد المصادر أيضا أنه " أخذ عن الشيخ زروق."[11]، وفي بعض المصادر زيادة على من ذكرنا فيها أن الخروبي "، أخذ عن أبي عبد الله بن عبد الله الزيتوني، وعن أبي العباس أحمد بن أحمد زروق، وعن أبي

---

[1] – فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 2/ 567.

[2] – فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 2/ 1105.

[3] – فهرست ابن منجور، المصدر نفسه. 43.

[4] – فهرست ابن منجور، المصدر نفسه. 44.

[5] – فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج (1/ 161)

[6] – مصادر الترجمة: شجرة النور 284، تعريف الخلف 483/2، الأعلام للمراكشي 130/5، معجم أعلام الجزائر: 132.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 132.

[8] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 132.

[9] ــ معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 132.

[10] ــ شجرة النور، المرجع نفسه. 264.

[11] ــ تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 490/2.

حفص عمر العطاوي الراشدي، عن عبد الجليل بن محمد الراشدي، وأبي عبد الله بن مرزوق، وابن زكريا المغراوي، وأبي زيد عبد الرحمان الثعالبي..."[1]. وفي أخذه عن أبي زيد الثعالبي نظر لا شك فيه؛ لتقدم وفاة الثعالبي سنة (875هـ). والظن أن هذا النص يتحدث عن الخروي الكبير والد الخروبي أبي عبد الله فهو الذي يتناسب سنه مع من ذكر خصوصا ابن مرزوق الحفيد (842هـ). من تلامذة الخروبي تجد الشيخ عبد القادر بن أبي المحاسن المغربي الفاسي المحدث المفسر الصوفي البارع في جميع العلوم " أخذ عن أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي عن سيدي زروق وغيره...وجود بفاس القرآن على الأستاذ المقرىء أبي عبد الله محمد الخروبي." [2].

وقد أخذ أيضا الخروبي عن عمر بن زيان المديوني وهو من تلامذة ويتصل سنده بأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، عن أبي إسحاق إبراهيم التازي صاحب وهران..."[3]. وليس بين يدي من تلامذته المفسرين أحد، ولكن في العموم ذكر في جذوة الاقتباس عن الخروبي المذكور " أجاز لي عنه شيخنا أبو عبد الله محمد بن يوسف التَّرْغِي، وعبد الله محمد بن أحمد الحضري، وعاينت إجازته الشيخين معا."[4]، وذكر أيضا يتحدث عن نفسه " عاينت إجازته لشيخنا أبي عبد الله الحضري الوزروالي لما دخلها مؤرخا لها سنة تسع وخمسين وتسمعمائة."[5].

والخروبي "...مفسر، محدث.."[6]، والحديث من مصادر التفسير كما هو مقرر، إضافة إلى أنها تنسب إليه " تفسير القرآن."[7]، وتحدث عن وجوده بعض المؤرخين حيث ذكر " وحدثني بعض الجزائريين أنه رأى تفسيرا له على القرآن العظيم بجزائر مَزْغَنَّة."[8]. وهو موجود وعنوانه: رياض الأزهار وكنز الأسرار، وسأعرف به في محله، وأنقل منه نصا في طريقة تفسيره.

توفي أبو عبد الله الخروبي " بالجزائر بالوباء الذي كان بعد الستين والتسعمائة."[9]، وبالتحديد سنة 963هـ."[10].

أخذ الخروبي عن زروق وأخذ هو عن الثعالبي والمشدالي والسنوسي من المفسرين وغيرهم كثير، مع حرص زروق على الأخذ عن أهل المغرب والمشرق واتصال سنده عنهم.

---

[1] ـ تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 490/2.

[2] – خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 2 / 97.

[3] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 490/2.

[4] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 490/2.

[5] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 490/2.

[6] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 132.

[7] – معجم أعلام الجزائر: 132، شجرة النور الزكية: 284.

[8] – تعريف الخلف 490/2. الأعلام للمراكشي 129/5. وعبارته: وحدث بعض الجزائريين....

[9] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 490/2.

[10] – شجرة النور، المصدر نفسه. ج 284.

– **قاسم بن يحي بن محمد الفكون (965هـ)**[1]: وعائلة الفكون عريقة في العلم بقسنطينة، وإلى جدهم في القرن السابع يعود امتدادهم، ولكن شهرتهم بالتفسير فاز بها قاسم المذكور، وليس بين يدي حاليا غير ما ذكره عنه ولد أخيه عبد الكريم الفكون، إذ نسب إليه أنه أي " العمّ قاسم ممن فاق عصره في علم المعقول، وكان ممن تصدى للتفسير زمن مشيخة عصره، وناهيك بهم مشيخة فيهم الشيخ الوزّان، وحضره وأثنى عليه.".[2].

والوزان المذكور من شيوخه، كما أن من " شيوخه الشيخ مغوش[3]الذي طبقَ حفظُه الأرضَ، وهو أشهر من أن يذكر، ومن شيوخه أيضا الشيخ العارف الوزان."[4]. وقد كان المغوش التونسي من كبار المفسرين حلّ بالأستانة وأخذ عنه بعضُ علماء الروم التفسير، كما أن من تلامذته علي بن إسماعيل بن عماد الدين الدمشقي وهو من أهل المشرق أخذ " التفسير عن الشيخ مغوش المغربي، عن سيدي محمد السنوسي البوني الأصل."[5]. وهذا النص يفيد أن المغوش نفسه تلميذ للسنوسي البوني الأصل وليس بين يدي الآن ترجمة البوني المذكور.

ولقاسم الفكون المفسر " بعض كراريس على توضيح ابن هشام دلّ على معرفته معتمدا فيه الرضى الاستراباذي (تـ: 686هـ)، والركن وشارح اللبّ محشوا بالتعاليق الرائقة جمعها من عدة علوم وتصانيف شتى."[6]. والكتب الأخيرة في فنون البلاغة والمنطق، وغالبها حواشي واختصارات على كتب التفتازاني والعضد الإيجي كما مر.

وتذكر بعض مصادر الترجمة عن قاسم الفكون أنه " مفسر"، و" له حواش على بعض الكتب."، لا يبعد أن يكون التفسير من بينها. توفي الفكون سنة 965هـ/1558م.

وليس في وسعي الآن ذكر نصوص تحدد أسانيد الفكّون في التفسير ولا غيره، ولكن أسانيد الوزان كانت متاحة لديه، فإنه شيخه ويبعد أن لا يجيزَ الوزانُ أو يطلب هو الإجازةَ من شيخه. وأسانيد الوزان تتصل بابن مرزوق الحفيد مسند القرن التاسع وعلى أسانيده مدار الإجازات بالجزائر، وغيرها من بلاد المغرب. وقد مر شيء من ذلك في مبحث أسانيد القرن العاشر فلا نطيل بإعادته هنا.

– **علي بن يحي السّلكيني الجادِيري التلمساني (972هـ)**[7]: من أهل تلمسان " وبها نشأ وتعلم"[1]، وليس في الوسع الآن ذكر من يحتمل أنه أخذ عنهم بتلمسان غير حفيد الحفيد ابن مرزوق، وعبد الله ابن العباس، وسعيد المقري الذي أقام بتلمسان مفتيا ستين سنة.

---

[1] –مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر 255، أوراق جزائرية، منشور الهداية، المصدر نفسه. 42.

[2] – منشور الهداية، المصدر نفسه. 42.

[3] – محمد بن محمد مغوش التونسي، هاجر إلى الآستانة فالتقى بمفتيها الأستاذ أبو السعود المفسر، توفي بالقاهرة 947هـ. (المؤنس 163).

[4] – منشور الهداية للفكون، المصدر نفسه. 42.

[5] – الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، المصدر نفسه. ج 446.

[6] – ـــمنشور الهداية، المصدر نفسه. 44.

[7] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر:73، البستان: 145.

تولى السلكيني المذكور التدريس بتلمسان و" انقطع لنشر العلم وتدريسه بجامع أجادير بتلمسان حيث كان إماما وخطيبا به."[2]. عُرف الجاديري بـــأنه " نحوي فرضي"[3]، وهي عبارة تفيد تمكنه من ذلك بالتدريس أو التأليف أو الإجابة عن النوزال خصوصا عموما في الفقه وخصوصا في الفرائض. وورد أنه " خطيب عالم من فقهاء المالكية."[4]. ولم يبقَ على ما يبدو بتلمسان في حدود هذا التاريخ غير النبوغ في الخطابة، وفي بعض المراجع إنه "..عارف بالتفسير.."[5]؛ فلعل من دروسه التفسير أو تأليفه فيه.

والنص التالي يجمع ما تفرق وغيره فهو: " الفقيه الخطيب العالم العلامة المحقق المتفنن، هكذا وصفه ابن مريم في البستان، وقال: كان محققا في العلوم وأكثر التحقيق في الحساب والفرائض ومختصر ابن الحاجب الفرعي، والرسالة ومختصر خليل وعقائد السنوسي، وأحكام القرآن في الحذف والثبت والإعراب، وكان حريصا على تدريس العلم. وقال أيضا أبن مريم: إن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الأدغم السويدي أخذ عنه التفسير. وقال نويهض في معجمه: نحوي فرضي عارف بالتفسير والحساب. أخذ العلم عن شقرون بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني، شيخ القراءات، وأخذ العلم عن أستاذ القراءات المتخصص فيها أحمد بن الحاج اليبدري، وأحمد أعراب بن سهلة الراشدي، ومحمد بن العباس العبادي، وسعيد المقري، وعلي العطافي، وأحمد أبركان الزكوطي." [6]..توفي الجاديري التلمساني عام 972هـ/ 1565م.

– **الحاج سعيد (القرن العاشر)**: محمد المدعو الحاج سعيد الكفيف المانوي، أحد علماء بيت بني الحاج اليبدري الورنيدي التلمساني. كان متخصص في تدريس علم القراءات، عالما في العربية مبرزا فيها، وهو القائل: ألفية ابن مالك عندنا كخبز الشعير، هذا الذي نملي عليكم مطالعة أربعين سنة. وقال ابن مريم أيضا: " كان حافظا للمذهب مفتيا أستاذا في القراءات.". وقال في موضع ثالث في شأن تليذه زيان العطافي:" وأخذ عن سيدي الحاج اليبدري إمام القراءات والعربية وأحكام القرآن."[7].

– **حدُّو بن الحاج (القرن العاشر)**: أحمد بن الحاج سعيد المانوي، ويلقب حدو على عادة أهل المنطقة في تخفيف الأسماء. كان عالما بارزا بالمهارة في العربية وعلوم القرآن. قال ابن مريم: واصفا إياه بالتخصص والأستاذية في مختلف العلوم، ومنها العربية وأحكام القراءات، وممارسة التدريس في هذا الفرع من العلوم الإسلامية. كان فقيها عالما أستاذ في القراءات السبع يحفظ الشاطبيتين الكبرى والصغرى، عارفا بأحكام

---

[1] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 73.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 73.

[3] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 73.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 73.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 73.

[6] – البستان لابن مريم: 102-146، أعلام تلمسان 195، معجم أعلام الجزائر: 73.

[7] – البستان، لابن مريم: 145، تعريف الخلف 258/2، أعلام تلمسان 199.

القرآن، والعربية والرسالة ومختصر ابن الحاجب الفرعي، وألفية ابن مالك والحساب والفرائض، ويدرس الخراز والضبط وابن بري، والآجرومية وألفية ابن مالك والرسالة..."[1].

– **محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن الوقاد (1001هـ)**[2]: " أصله من تلمسان بها نشأ."[3]، وتعلم وليس لميلاده تاريخ معروف. ذكر في تعريف الخلف أنه أخذ عن الإمام عن التنسي؟، وهو أمر مستبعد لتقدم وفاة التنسي المذكور (899هـ) وربما كان اليسيتني الآتي ذكره في النص التالي، وأنه ختم عليه البخاري ستة عشرة مرة قراءة بحث وتحقيق." [4]. وأخذ الوقاد " عن سيدي شقرون بن الوجْدي مفتي مراكش، وعن ابن الجلال واليَسِّيتني."[5]. وجملتهم من أهل التفسير، وهم ممن لهم اتصال بعلماء تلمسان ومشايخها في القرن التاسع، كما يذكر ذلك ابن منجور في فهرسته. ولهم في الجملة أسانيد متصلة بابن مرزوق وغيره.

وابن الوقاد " عالم بالتفسير"[6]، وأقام بتلمسان ودرّس بمدارسها ومساجدها فكان ممن " تصدر لنشر العلم فنفع الله به أمة من الناس، وهو أول من أقرأ بها البخاري قراءة ضبط وإتقان، وأول من خطب فيها ببراعة اللسان."[7]. ويلاحظ أن شيوخه المذكورين من أهل المغرب الأقصى، وأنه عاد لتلمسان للتدريس، وتولى الخطابة بجامعها. وكانت وفاته بغيرها إذ توفي عام 1001هـ/1593م. " بمدينة تارودانت."[8].

ومن مشايخه في الحديث من ذكر أنه " ختم عليه البخاري ستة عشرة مرة قراءة بحث وتحقيق."[9]. وهل هو التنسي أو غيره المهم أن في مشايخه من قرأ عنه ذلك وهو كاف للاستشهاد به في المعرفة بالحديث والتي هي من ضرورات ثقافة المفسر.

– **أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد أبو العباس المقرّي التلمساني(1041هـ)**[10]: نسبة إلى مَقْرة بفتح فسكون القاف، التلمساني بها ولد نشأ وتعلم حيث أبوه وعمه

---

[1] – تعريف الخلف، للحفناوي: 258/2، معجم أعلام الجزائر، لنويهض: 72، أعلام تلمسان: 208.

[2] – **مصادر الترجمة**: لإعلام للمراكشي 147/4، تعريف الخلف 359/2، معجم أعلام الجزائر 343.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 359/2.

[4] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 359/2.

[5] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 359/2.

[6] ــ معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 343.

[7] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 359/2.

[8] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 359/2.

[9] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 359/2.

[10] – مصادر الترجمة: الأعلام لمراكشي 308/2، نفح الطيب 2/ 574، منشور الهداية 227-238، خلاصة الأثر 191/1، معجم نويهض:30، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 43.

سعيد " ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القرآن وقرأ وحصل بها على عمه الشيخ الجليل العالم أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة ومن جملة ما قرأ عليه صحيح البخاري سبع مرات."[1].

رحل المقري قديما " إلى فاس والجزائر"، وفي منشور الهداية ما يفيد أنه أقام بها مدة يدرس التفسير وهو نص سنعود إليه في محله " ثم سافر للمشرق واجتاز على تونس، فسافر إلى الحج."[2]، طاب للمقري المقام بمصر فأقام بجامعها الأزهر يدرس فحاز القبول، " ووالاه من فقهائها أبو الحسن الأجهوري." [3].

ولا تفصيل هنالك عن شيوخه بتلمسان أو غيرها غير عمه سعيد، وقضية نبوغه في الآداب تستدعي أن يكون قد تبحر في اللغة العربية في مختلف فنونها، وحصل على شيوخها ما يكفيه من ذلك. وبالرغم من أنه ألف نفح الطيب وكتاب أزهار الرياض إلا أن ذلك لم يذكر فيهما على وجه التفصيل. والذين قاموا بالترجمة له لم يغنوا عن ترجمته لنفسه رغم أنهم عرَفوه عن كثب وعرّفوه بالآية " في علم الكلام والتفسير والحديث وباهرا في الأدب والمحاضرات وله المؤلفات الشائعة منها "[4].

وأورد النص التالي فهو يفيد بعد من سمع منهم الحديث بأسانيده فقد سمع عن عمه الحديث " ومن جملة ما قرأ عليه صحيح البخاري سبع مرات وروى عنه الكتب الستة بسنده عن أبي عبد الله التنسي عن والده حافظ عصره محمد بن عبد الله التنسي عن البحر أبي عبد الله بن مرزوق عن أبي حيان عن أبي جعفر بن الزبير عن أبي الربيع عن القاضي عياض بأسانيده المذكورة في كتاب الشفا." [5].

وبدوره أسمع ما رواه عن شيوخه بالمغرب، وخصوصا بالمشرق إذ تجد في ترجمة إبراهيم الموصلي أنه" أخذ الحديث عن الشهب الثلاثة النيرة أحمد العيثاوي الشافعي وأحمد الوفائي الحنبلي وأحمد المقري المالكي." [6].

ورحل منها إلى الشام زائرا فدرس بالمسجد الأموي البخاري وغيره، وعظم ذكره، ثم " رجع إلى مصر."[7]، كما في منشور الهداية وغيره. كان المقري " آية في علم الكلام والتفسير."[8].

درس المقري التفسير كما تفيده رواية الفكون فقد " نزل بدار الجزائر على فقهائها وعلمائها، وتصدى للتدريس بها، وقرأ التفسير على ما قيل."[9]، وهو نص يفيد وجود جملة علماء بالجزائر والمقصود العاصمة اليوم،

---

[1] – خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، المصدر نفسه. ج 191/1.

[2] – منشور الهداية، المصدر نفسه. 227-238.

[3] – منشور الهداية، المصدر نفسه. 227-238.

[4] _ خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 1 / 191.

[5] _ خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 1 / 191.

[6] _ خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 1 / 14.

[7] _ منشور الهداية، المصدر نفسه. 225-226.

[8] _ خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 191/1.

[9] _ منشور الهداية، المصدر نفسه. 223.

وعبارة الفكون لا تفيد الجزم بذلك ولكن قدرة المقري لا تخفى. وقد أورد الفكون نفسه مسألة وقع استشكالها في تفسير ابن عطية ورفعت إلى المقري وأجاب عنها بما لم يرتضه الفكون المذكور."[1].

ألف المقري في التفسير إذ له كتاب إعراب القرآن، وفي بعض المصادر أنه " سمع منه المقصورة التي ألفها في سور القرآن."[2]. وتتصل أسانيد المقري في التفسير وغيره كما أفاد هو ذلك " قلت: وسندي إليه عن عمي الإمام سيدي سعيد المقري عن الشيخ أبي عبد الله التنسي عن والده الحافظ أبي عبد الله محمد التنسي المذكور عن ابن مرزوق المذكور بكل مروياته وتآليفه."[3]. وقد أورد الروداني أسانيده: " عن عمه سعيد بما ذكره الروداني وغيره."[4].

وخص بالذكر إسناده عن ابن مرزوق فقال" وإلى أبي عبد الله محمد الحفيد بن أحمد بن محمد الخطيب ابن مرزوق المثل السائر، والعلم النائر، عن شيخنا الجزائري، عن شيخه المقري، عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي [نسبة لمدينة بساحل من أعمال الجزائر]، وأبي زيد سُقَّين، عن أبي زيد الرحمن الثعالبي، وهو والتِّنسي عن الحفيد ابن مرزوق."[5]. وجملة هؤلاء من المفسرين.

وممن ذكرهم المقري أيضا وذكر سنده إليهم أبو حيان كما في نفح الطيب " قلت وتتصل رواييتي عن الإمام أبي حيان من طرق عديدة منها من عمي ولي الله العارف به شيخ الإسلام مفتي الأنام الخطيب الإمام ملحق الأحفاد بالأجداد سيدي سعيد بن أحمد المقري التلمساني عن شيخه العالم أبي عبد الله التنسي عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الأموي عن عالم الدنيا أبي عبد الله بن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق عن الأثير أبي حيان بكل مروياته."[6]. توفي المقري عام 1041هـ.

– علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري ينسب لسعد بن عبادة السجلماسي الجزائري(1057هـ)[7]: نشأ السجلماسي المذكور" بسجلماسة ثم ارتحل لفاس."[8]. وفي خلاصة الأثر سردٌ مستوفى لنسبه رحمه الله ففيه أنه " علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن يحيى بن أبي يحيى بن

---

[1] ـ انظر في ذلك منشور الهداية، المصدر نفسه. ج 227-238.

[2] ـ طبقات الحضيكي59/1، الزاوية الدلائية، 118.

[3] – نفح الطيب، المصدر نفسه. ج 5/ 428.

[4] – صلة الخلف، المرجع نفسه. ج 25/1.

[5] – صلة الخلف بموصول السلف، المصدر نفسه. 23.

[6] – نفح الطيب، المصدر نفسه. ج2/ 574.

[7] – مصادر الترجمة: خلاصة الأثر 173/3، شجرة النور 308/1، الأعلام 310/4 معجم المفسرين 370/1، تعريف الخلف 69/1.

[8] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 73/1.

أحمد بن السراج أبو الحسن الأنصاري السجلماسي الجزائري."[1]. نسبة إلى سجلماسة فقد " ولد بتافلات ونشأ بسجلماسة."[2].

ورحل منها " إلى فاس وأدرك بها جلة العلماء فأخذ عنهم بها عدة فنون وكان جل أخذه عن الأستاذ الكبير نخبة الشرف السيد أبي محمد عفيف الدين عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي، والعالم الولي بقية السلف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي الصنهاجي، وحافظ العصر أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني."[3]. وجملة هؤلاء من علماء الإسلام في التفسير وغيره، ولهم فيه التآليف الكبيرة، والتدريس المشهور. ولهم أسانيد حملوها عن أهل المشرق والمغرب، وحملها عنهم أهل المشرق والمغرب.

على أن السجلماسي قد رحل من فاس ومر كما في بعض المصادر على الجزائر تونس ومنها يكون قد " سافر إلى الحجاز بعد الأربعين فأخذ عن الغنيمي والأجهوري."[4]. وليس بين أيدينا كم بقي هنالك ولا تاريخ لتلك الرحلة ولكنها رحلة ثابتة.

من تلاميذ صاحب الترجمة " أبو مهدي الثعالبي."[5]. وفي شجرة النور الزكية سرد أكثر تفصيلا لبعض تلامذته إذ أخذ " عنه أبو مهدي عيسى الثعالبي ، ومفتي الجزائر أبو عبد الله الموهوب، ويحي الشاوي، وجماعة."[6]. وأبو مهدي هذا من المفسرين وستأتي ترجمته.

درس السجلماسي فنونا عديدة منها التفسير وهو ما يهمنا هنا، ولننقل هذا النص فهو على عمومه يفيد مقصودنا منها " ولازم دروس الإمام الشهير والصدر الكبير أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي مدة تزيد على عشر سنين... الرسم والضبط والبديع والعروض والتفسير..."[7]. وتذكر المصادر أن السجلماسي المذكور كان على درجة من التخصص في قراءة التفسير وتدريسه فقد قيل أنه " مر على الكشاف من أوله إلى آخره ثلاثين مرة منها قراءة ومنها مطالعة."[8].

ألف السجلماسي في العربية: " شرح الأجرومية."[9]، وقد كانت العادة جارية في التأليف لطلبة العلم بعض ما هو مقرر عليهم، ليكون ذلك أشبه بالمرجع، عند قلة المراجع، وبعد الحواضر العلمية. ومن مشايخه في

---

[1] – خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المصدر نفسه. ج 226/2.

[2] – خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 226/2.

[3] – خلاصة الأثر 226/2، تعريف الخلف 73/1، 76.

[4] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 73/1.

[5] – خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 226/2.

[6] – شجرة النور الزكية، المصدر نفسه. ج 308/1.

[7] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 86/1.

[8] – خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المصدر نفسه. ج 226/2.

[9] – خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 226/2.

الحديث جملة منهم " ابن أبي بكر الدلائي قرأ عليه البخاري نحو إحدى وعشرين مرة والشفا والموطأ ورسالة القشيري والتنوير والحكم." [1].

وله تآليف كثيرة في فنون عديدة غالبها نظم: " منها التفسير بلغ فيه إلى قوله تعالى ولكن البر من اتقى وكانت وفاته في أواخر شعبان سنة سبع وخمسين وألف شهيداً بالطاعون في الجزائر من الديار المغربية وسجلماسة تقدم الكلام عليها في ترجمة أحمد بن أبي مران." [2]، وفي نص خاص أن من مشايخه أبو" العباس أحمد المقري."[3].

كما أن السجلماسي ألف في التفسير أيضا إذ له " تفسير لم يكمل."[4]، تقول بعض المصادر : أن " له مؤلفات كثيرة غالبها نظم منها تفسير بلغ فيه إلى قوله تعالى (ولكن البر من اتقى)."[5]. ثم عاد السجلماسي إلى الجزائر " واستقر بها لإفادة العلم إلى أن توفي بها شهيدا بالطاعون عام 1054هـ"[6].

وتتصل أسانيد السجلماسي بالمقري عن عمه سعيد إلى ابن غازي إلى ابن مرزوق إلى ابن حجر. وسائر أسانيد المقري أسانيده كما تفيده الإجازة العامة. ويسند السجلماسي عن الغنيمي، والأجهوري والدلائي والشاوي وأسانيد هؤلاء مشهورة متضمنة لكتب التفسير لا تخلو عنها.

وممن يروي عنه أبو مهدي عيسى الثعالبي عن الأنصاري المذكور[7]، إجازة أبي عبد الله القصار لأبي بكر الدلائي: " وأجزت له...وجميع ما اشتملت عليه فهارس ابن الزبير والزين العراقي وابن حجر والشيخ زكرياء وسيدي يحيى السراج والنيسابوري وابن غازي ومشيخة ابن النجار، وأجزت له جميع مروياتي بأنواعها وجميع ما لي، وكتب محمد المذكور أول ربيع الثاني عام اثني عشر وألف، مسلماً على من يقف عليه وسائلاً دعاءه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. اهـ. بلفظها."[8].

وفي خلاصة الأثر للمحبي تردد في تاريخ وفاته فقد ذكر " وكانت وفاته في أواخر شعبان سنة 1057هـ شهيدا بالطاعون في الجزائر من الديار المغربية، وقيل أربع وخمسين." [9].

– عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر الجعفري جار الله أبو مهدي الثعالبي (1080هـ)[1]: وعند الكتاني بعض زيادة على ما هنا وبشيء من التغيير، فعنده أنه " عيسى بن محمد بن أحمد بن عامر بن عياد

---

[1] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 73/1.

[2] – خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 2 / 226.

[3] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 73/1.

[4] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 73/1.

[5] – تعريف الخلف 75/1، خلاصة الأثر 226/2.

[6] – صفوة من انتشر 135، تعريف الخلف 75/1.

[7] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 75/1.

[8] – فهرس الفهارس والأثبات، المصدر نفسه. ج 1/ 395.

[9] – خلاصة الأثر للمحبي 226/2، تعريف الخلف 73/1.

الثعالبي، قال في المنح البادية: من وطن الثعالبة قومه، وهم من عمالة الجزائر، وعشيرته ينتسبون إلى جعفر بن أبي طالب. "[2]. وفي تاج العروس أن أبا مهدي هذا " منسوب إلى موضع بالمغرب يسمى آيت ثعالب. "[3]. واضح مما ذكرنا أنه جزائري الأصل وقد صرح الكتاني بذلك فقال أنه " الجزائري أصلاً. "[4].

ولد الثعالبي عام " 1020هـ/1611م."، وأصله من واد يسر (وطن الثعالبة) بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر."، وعند المحبي المشرقي أنه " ولد بمدينة زواوة من أرض المغرب."[5]. رحل الثعالبي رحلته العلمية الأولى من مكان النشأة ومنها " انتقل إلى العاصمة."[6]. فأخذ عن مشايخها ومنهم السجلماسي السابق، ثم " رحل إلى تونس ومنها إلى المشرق فحج سنة 1062هـ، وجاور مكة، ثم دخل مصر وأخذ عن علمائها كالقاضي شهاب أحمد الخفاجي وغيره. وعاد إلى مكة ومات فيها."[7]. وفي هذا النص بعض إجمال وفي غيره أنه دخل قسنطينة ثم تونس ففي تونس " أخذ عمن بها من أجلائها كالشيخ زين العابدين وغيره."[8]. وقبلها " لما دخل إلى قسنطينة أخذ بها عن الشيخ المعمر عبد الكريم الفكون."[9].

ومن ثم رحل الثعالبي إلى مصر " وكانت رحلة المترجم من الجزائر إلى مصر في حدود 1066هـ."[10]. وهي رحلته الثانية ما دام أن النص الأول يثبت أنه حج 1062هـ، ومن رحلته الثانية إليها " رحل إلى مكة شرفها الله تعالى، وأخذ بها عن أجلائها كالقاضي تاج الدين المالكي، والإمام زين العابدين الطبري، والشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ علي بن الجمال المكيين، وأجازوه بمروياتهم."[11].

أخذ أبو مهدي عن الأنصاري ويروي عنه، عن الدلائي لازم " دروس الإمام الشهير والصدر الكبير أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي مدة تزيد على عشر سنين...الرّسم والضبط والبديع والعروض والتفسير..."[12]. ويروي " عن سعيد قدورة التفسير."[13]. كما لازم " خاتمة المحدثين الشمس البابلي،

---

[1] – مصادر الترجمة: خلاصة الأثر 240/3، وشجرة النور 311/1، تحفة المرضية 74، تعريف الخلف 77/1، فهرس الفهارس 377/1، 190/2، رحلة العيَّاشي 126/2، الأعلام 394/5.

[2] – فهرس الفهارس، المصدر نفسه. ج 2 / 806.

[3] – وأَيْت ثعالب : مَوْضِعٌ بالمَغْرِبِ وإِلَيْهِ نُسِبَ الإِمَامُ أَبُو مَهْدِيّ عِيسَى بنُ مَحَمَّدِ بنِ عَامِرٍ الثَّعَالِبِيُّ الجَعْفَرِيُّ.".

[4] – فهرس الفهارس، المرجع نفسه. ج 2 / 806.

[5] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[6] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[7] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[8] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[9] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[10] – فهرس الفهارس، المرجع نفسه. ج 2 / 808.

[11] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[12] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[13] – تعريف الخلف 75/1، معجم أعلام الجزائر 91.

وخرج له فهرسة بمروياته."[1]. وفي بعض النصوص زيادة " مِمَّنْ أَجَازَهُ البَابِلِيُّ وغَيْرُهُ وقَدْ حَدَّثَ عنه شُيُوخُ مَشَايِخِنَا."[2].

ومن مشايخ صاحب الترجمة وهو لا يزال بالجزائر السجلماسي السابق ففي بعض النصوص أنه " لازم دروس السلجماسي الأنصاري مدة تزيد على عشر سنين، وأخذ عنه البخاري، والمصطلح والشفا، وشروحه والأصلين، وعلوم العربية والتفسير والآداب والعروض، وأجازه مرات واستنابه في التدريس."[3]. وهي علوم كثيرة تؤهل صاحبها للتدريس والتأليف في التفسير وغيره. وهو ما يفسر لنا نبوغه رحنه الله.

ومن مشايخه أيضا وهو ممن عرف بالتفسير إضافة إلى الفقه وغيره الفقيه الشافعي خير الدين الرملي، وقد قيل في ترجمته: " المفسر المحدث الفقيه اللغوي الصرفي النحوي البياني، العروضي المعمر الشيخ خير الدين الرملي... وأخذ عنه من أهل الحرمين جماعة كالشيخ عيسى بن محمد الثعالبي المغربي نزيل مكة... ومن المغاربة جماعات أجلاء: كالشيخ يحيى بن محمد بن عبد الله الشاوي، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي وغيرهم... وكان رحمه الله سمحا بالإجازة ما طلبها أحد منه ورده."[4].

ومن تلامذته العياشي " وأجاز لي بجميع مروياته عن جميع أشياخه، وكتب لي ذلك بخطه، ومن أشياخه سوى من شاركته فيه سيدي أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري دفين الجزائر، ومنهم سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري، وهو يروي عن سيدي سعيد المقري وغيره. "[5]. والثعالبي المذكور " المتفنن في كل العلوم."[6]، وقال في سمط اللآلي " إمام الحرمين الشريفين، وعلم المغربين والمشرقين. جامع أشتات العلوم النقلية، ومبرز خفايا لطائف الآراء العقلية، محمي رسوم الرواية بعد ما عفت آثارها، ومشيد مبانيها بعد ما انهار منارها، وسالك مسالك أئمة السلوك، ومالك ملاك أمره في مجانبة كل مليك ومملوك."[7]. وفي بعض النصوص أنه " مر على الكشاف من أوله إلى آخره ثلاثين مرة منها قراءة ومنها مطالعة."[8]، وهي تفيد تمرسه في علم التفسير.

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[2] – تاج العروس للزبيدي، المصدر نفسه. ج 1 / 321.

[3] – مشيخة أبي المواهب الحنبلي، المصدر نفسه. ج 1 / 21.

[4] – مشيخة أبي المواهب الحنبلي، المصدر نفسه. ج 1 / 23.

[5] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[6] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[7] – سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين العصامي (دار الكتب العلمية – لبنان–ط:01، 1998م) 569/3.

[8] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

ودرس بإذن مشايخه فعن بعضهم أنه " أجازه مرات، بل أنابه عنه في مباشرة تدريس له."[1]. ودرس بالحرمين مكة والمدينة منذ قرر الإقامة بأرض الحجاز " وألقى بالحرمين عصا التّسيار، وبث هنالك ما تحمل عن أشياخه."[2]، وبعد طول مقام بهما عاد الثعالبي " للجزائر واستقر بها لإفادة العلم."[3]. لم يؤلف الثعالبي في التفسير أو أنه تذكر المصادر ولا وصلنا عنه شيء يتعلق بالتفسير على كثرة شيوخه فيه. ويتصل سنده في التفسير خصوصا وفي باقي الفنون الشرعية فقد ذكر الكتاني أن الإسناد عنه بقي متصلا بمن جاء بعده " ونتصل به مسلسلاً بالجزائريين القسمطينيين عن عبد القادر بن الأمين الجزائري عن مصطفى بن سادات القسمطيني عن المكي بن سعد البوطالبي، عن عبد الملك الراشدي عن عمه عبد القادر الراشدي عن محمد بن عليّ الجعفري عن أحمد بن قاسم البوني عن أبيه عن أبي مهدي الثعالبي المذكور بأسانيده، وهو مع نزوله عال بتسلسله وعظم مقام معظم رجاله."[4]، وايضا " ومن أهل قطره الشيخ ابن عليّ الشريف الزواوي والشيخ ابن جعدون الجزائري بأسانيدهم المذكورة في أثباتهم."[5].

ومن تلامذته الشيخ عيسى الثعالبي المذكور: " محمد بن أبي بكر الحضرمي... ومنهم الشيخ خاتمة الحفاظ أبو مهدي عيسى بن محمد ابن محمد الثعالبي الجعفري المغربي ولازمته مدة إقامته بمكة فأخذت عنه جميع العلوم المذكورة إلا الفقه فأرويه عنه بالإجازة وسمعت منه الحديث المسلسل بالأولية وسورة الصف، ومسند الصحبة وألبسني الخرقة الشريفة ولقنني الذكر وأجازني بجميع مؤلفاته ومروياته ولقنني الذكر وألبسني الخرقة وصافحني."[6].

توفي الثعالبي عام " 1080هـ/1669م."[7]، وفي عبارة العياشي أنه توفي بأرض الحجاز فقد قال في الزهر الباسم في كلام أبي سالم له " المتوفى ضحى يوم الأربعاء 24 من رجب عام ثمانين، ودفن آخر النهار بالحجون من المصلى في دكة فوق مقبرة ابن عراق. "[8].

– يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا الشاوي (1096هـ)[9]: وفي تعريف الخلف تحديد أكثر ففيه" النائلي الشاوي المليانى الجزائري المالكي..."[1]. ولد رحمه الله 1030هـ/1621م، " في

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 87/1.

[2] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1..

[4] – فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 1 / 502.

[5] – فهرس الفهارس، المرجع نفسه. ج 1 / 508.

[6] – خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 2 / 327.

[7] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

[8] – فهرس الفهارس 2 / 806، تعريف الخلف 89/1.

[9] – مصادر الترجمة: خلاصة الأثر 486/4، فهرس الفهارس 446/2، شجرة النور 316، تعريف الخلف 187/2، 16، معجم المفسرين 736/2، معجم أعلام الجزائر/ 186، موسوعة أعلام المغرب 1717/4.

مدينة الجزائر من أرض المغرب."، وبها " نشأ وتعلم."[2]. قرأ على مشايخها والذين منهم " سيدي الشيخ محمد أبهلول، والشيخ سعيد مفتي الجزائر، والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري...وأجازه شيوخه.."[3]، ومنهم أيضا " عيسى الثعالبي."[4]. وكان له بالمشرق مشايخ عدة فقد " روى عن سلطان المزاحي والشمس البابلي والنور الشبرملسي."[5]. ومن ضمن ما قراه على السجلماسي ما يفيده النص التالي " وتبعه في القراءة عليه شيخنا يحي الشاوي." [6].

رحل إلى المشرق " أقام مدة بمصر في مصر في عودته من الحج سنة أربعة وسبعين، وتصدر للإقراء بالأزهر."[7]، وهنالك على ما يبدو ثم من مصر والمقام بالأزهر " رحل إلى سورية والروم (تركيا)، فأكرمه شيخ الإسلام يحي المنقاري والصدر الأعظم وحضر مجلسا علميا بحضرة السلطان." [8]، وهنالك تولى التدريس وكان له تلاميذ ذكر بعضهم أننا " قرأنا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام..." [9]، وعاد للقاهرة فتولى التدريس في الأشرفية وغيرها."[10]. وعند تلميذه المحبي زيادة " قرأنا عليه في تركيا تفسير سورة الفاتحة من تفسير البيضاوي وأجازنا جميعا بإجازة نظمها لنا. "[11].

ومن مشايخ الشاوي خير الدين الرملي، ففي النص التالي يشترك مع الثعالبي في الأخذ عنه " المفسر المحدث الفقيه اللغوي الصرفي النحوي البياني، العروضي المعمر الشيخ خير الدين الرملي... وأخذ عنه من أهل الحرمين جماعة كالشيخ عيسى بن محمد الثعالبي المغربي نزيل مكة... ومن المغاربة جماعات أجلاء: كالشيخ يحيى بن محمد بن عبد الله الشاوي، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي وغيرهم... وكان رحمه الله سمحا بالإجازة ما طلبها أحد منه ورده." [12].

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 90/1.

[2] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 369/1.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 190/1.

[4] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 369/1.

[5] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 369/1.

[6] – مشيخة أبي المواهب الحنبلي، محمد عبد الباقي البعلي، المصدر نفسه. ج 1/ 21.

[7] – خلاصة الأثر للمحبي، المصدر نفسه. ج 370/1.

[8] – خلاصة الأثر للمحبي، المصدر نفسه. ج 370/1.

[9] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 191/1.

[10] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 370/1.

[11] – خلاصة الأثر للمحبي، المصدر نفسه. ج 370/1.

[12] – مشيخة أبي المواهب الحنبلي، المصدر نفسه. ج 1 / 23 .

ومنهم تلامذته:" شمس الدين محمد بن سلامة البصير الاسكندري المكي البليغ الماهر أخذ العلم عن ... الشيخ يحيى الشاوي وله تآليفات عديدة منها تفسير القرآن العزيز نظما في نحو عشر مجلدات."[1]. وعنه علي النوري وعبد العزيز الفراتي والصفاقسيان." [2].

وفي سلك الدرر تفصيل لجملة من تلاميذ الشاوي المشرقيين حيث قرأ عليه جماعة من دمشق وغيرها " كالعلامة السيد محمد أمين المحبي والفاضل الشيخ أبو الإسعاد بن الشيخ أيوب الخَلوتي والشيخ عبد الرحمن المجلد والسيد أبو المواهب سبط العرضي الحلبي فقرأوا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام. ومختصر المعاني مع حاشية الحفيد الخطائي والألفية وبعض شرح الدوّاني على العقائد العضدية وأجازهم جميعاً بإجازات نظمها لهم."[3].

وذكر في ترجمة الشاوي أنه "... عالم بالنحو مفسر..."، وعند الحفناوي " ... آية الله تعالى الباهرة في التفسير.. "[4]، " المفسر المحدث النحوي صاحب التصانيف."[5]. وفي ترجمة عبد السلام بن محمد الكاملي: " وحضر دروس العلامة المدقق الشيخ يحيى الشاوي المغربي."[6]، وفي ترجمة محمد العمادي " وأجاز له الشيخ يحيى الشاوي المغربي."[7]. ألف الشاوي " الحاكمة حاشية على تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية."[8]، وفي بعض النصوص وردت بصيغة لفظية ثانية " وحاشية على التفسير سماها الحاكمة." [9].

كما أن له رسالة وجيزة في الجواب عن سؤال في تفسير قوله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) [الحج: 77]، وهو مخطوط برقم: 8562، المؤلف: يحيى المغربي. وأول المخطوط: " الحمد لله الملهم للصواب والصلاة والسلام على سيدنا محمد والآل والأصحاب، وبعد: فقد كلفني بعض الإخوان من أرباب الشأن الجواب عن أسئلة سأله واضعها أن يدخلها لمن يظن به جوابها فوقع لحسن ظنّه نظره علي فأجبته لمراده دون مطالعة مواده فأقول:...". وآخره: " وجواب فرضيته مع عدم قطعية الدليل شرط في فرض العين أما فرض الكتابة فهو الواجب أو أقل من حيث أن الواجب لا يسقط وفرض الكفاية يسقط والله أعلم قال ذلك يحيى المغربي لطف الله به.".

توفي الإمام المفسر يحي الشاوي عام 1096هـ/ 1685م، رحمه الله رحمة واسعة.

---

[1] – عجائب الآثار للجبرتي، المصدر نفسه. ج 1/ 239.

[2] – الطرهوني، المصدر نفسه. ج 369/1.

[3] – سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المصدر نفسه. ج 252/1.

[4] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 190/1.

[5] – خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 1/ 404.

[6] – سلك الدرر، المصدر نفسه. ج 392/1.

[7] – سلك الدرر، المصدر نفسه. ج 73/2.

[8] – معجم/ 186، منه نسخة بالأزهرية (الفهرس الشامل 730/2).

[9] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 194/1.

– **عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي البهلول المغربي الزواوي الجزائري**[1]: لم أقف له على ترجمة، ووجدت له تفسيرا مخطوطا. منه تفسير القرآن الكريم (الربع الأخير)[2] ، وتفسير القرآن الكريم (الربع الثاني)[3]، وتفسير القرآن الكريم الربع الثالث[4].

– **عبد القادر الراشدي (أوائل العشرة الثالثة من القرن 12)**[5]: أما الراشدي فهي " نسبة الرواشد مدشر من مداشر فرْجِيوة."[6]. قال الحفناوي في حقه:" العلامة المحقق الأصولي المجتهد الكلامي، قرافي وقته، وعضد زمانه."[7]. ومشايخ الراشدي كثيرون، وليس بين يدي الآن حصرٌ لأسمائهم، كما أن تلامذته أيضا كثيرون. وفي بعض المصادر أنه كان يعقد عدة مجالس لـــ" تفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي."[8].

وفي بعض النصوص أنه فسر بعض الآيات التي يوهم ظاهرا التشبيه على طريقة السلف وهو ما جرّ عليه كثيرا من الملاحظات والانتقادات كما في تفسير قوله تعالى (لما خَلَقْتُ بيَدي)" فقال في اليدُ: إنها حقيقة، ومع ذلك إنها ليست جارحة ولا جسما، بل يستحيل ذلك لأنه يؤدي إلى الحدوث والإمكان، وقدح في التأويل لها بقدرة أو صفة زائدة يخلق الله بها الأشراف من الخلق؛ لأن التأويل محوج إلى الدليل، والخروج من الحقيقة إلى نوع من المجاز، فلم يكترث بالتأويل إذ البقاء مع الحقيقة هو الأصل، ولأن التأويل وإن كان صحيحا ففيه ابتغاء الفتنة وإنما تنتفي على التسليم في صحة التأويل، وإن كان في علم الكلام كذلك؛ لأن المصيب في العقائد واحد. فقد اتفق أهل السنة قاطبة على نفي الجارحة، وما يؤدي إلى الإمكان والحدوث والتجسيم. فمن قائل إن له يدا حقيقة، والعلم بها موكل إلى الله تعالى. فلا يستلزم هذا التجسيم الذي يستلزم ما لا يليق به جل جلاله؛ فأنى أو كيف أو متى يستلزمه. وإنما هو تحامل عليه سبب الحسد والبغض والتنافس. وإنما رموه بذلك لما علموا منه من كونه طويل اللسان عليهم بالعلم."[9].

---

[1] ــ مصادر الترجمة: لم اقف له على ترجمة لحد الآن.

[2] – مخطوط برقم: 5317، المؤلف: عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي الجزائري ..أوله: سورة يس مباركة بنور الله العظيم.

[3] – الرقم: 7122. المؤلف: عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي البهلول المغربي الزواوي الجزائري المهاجر إلى دمشق. وأول المخطوط: سورة الأعراف مكيّة مباركة بنور الله... كمل بحمد الله وحسن عونه ربع الثاني من تفسير القرآن العظيم على يد شارحه ومفسره عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي البهلول المغربي الجزائري المهاجر الى دمشق الشام الشريف.

[4] – الرقم: 5324. المؤلف: عمر بن محمد المحجوب. أوله: سورة مريم عليها السلام، مكية، حفظها الله دائما.

[5] – مصادر الترجمة: تعريف الخلف 229/2، شجرة النور 330، معجم المؤلفين ج 5 / 288، الأعلام 164/4.

[6] – تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 228/2.

[7] – المرجع نفسه. ج 228/2.

[8] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 229/2.

[9] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 229/2.

ومن تآليف الراشدي المذكور الدالة على رسوخ قدمه في العلم ما هو في فن الفقه وأصوله ككتابه الحافل " في مباحث الاجتهاد، يدل على تبحره في علمي الكلام والأصول، ادعى فيه الاجتهاد."[1]، ومنه أيضا مشاركته العلماء في الخوض في حكم نازلة الدخان، فقد ذكر في ترجمته أن " له رسالة في تحريم الدخان شحنها أولا ببيان ضاف شاف في حال الدخان، ثم جلب من الأدلة المقتضية لحرمته ما لا مزيد بعده."[2]. وفي علم الكلام والمنطق وهو من توابعها إذ كان علماء الأشعرية يستكثرون من الخوض فيه والاستدلال به على مسائل الكلام فتجد له " له حاشية محشوة بالتحقيق والإتقان على شرح السيد للمواقف العضدية."[3]، وله أيضا وفي ميدان علم الكلام " له رسالة في وزن الأعمال ضافية تعرض فيها لمباحث علم الكلام."[4].

وأسانيد الراشدي تتصل بالزبيدي شارح القاموس وغيره، ونجد " الراشدي يجيز أحمد بن محمد بن طاهر الأزدي (تـــ: 1247هـــ)"[5]. توفي رحمه الله في " أوائل العشرة الثالثة من القرن12هـــ.". وهو مخالف لتاريخ الإجازة أعلاه إلا أن التاريخ المرسوم فيها هو تاريخ وفاة الأزدي المذكور.

– أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني أبو العباس (1139هـــ)[6]: ولد عام 1063هـــ/1653 " ببونة المعروفة بعنابة في شرقي الجزائر."[7]. أخذ عن مشايخ عدة منهم جزائريون وغيرهم فمن الجزائريين أبو زكرياء " يحي بن محمد الشاوي المليانى بعد عودته من الحج وتصدره للإقراء بالأزهر..."[8]، والشاوي من كبار المفسرين كما مر قريبا، ولما " رحل إلى المشرق."[9] تلقى عن عديد ممن ذكرهم المصادر كـــ" عبد الباقي ابن يوسف الزرقاني المتوفى سنة 1099م/1688م."[10]. كما أخذ عن الروداني وهو من المفسرين كما قال المحبي في ترجمته " كان له في التفسير وأسماء الرجال وما يتعلق به يد طائلة."[11].

ومن ذكر من المشايخ جلهم فقهاء المذهب في زمانه وهم الشرّاح المشهورون لمختصر خليل وتشير المصادر أنه أخذ عن عبد الباقي الزرقاني (1099هـــ)، والأجهوري. وله من التآليف في الفقه " شرح المختصر الخليل

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 228/2.

[2] – المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 228/2.

[3] – المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 228/2.

[4] – المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 228/2.

[5] – الأعلام للمراكشي، المرجع نفسه. ج 413/2.

[6] – مصادر الترجمة: تعريف الخلف 515/2، شجرة النور: 329، فهرس الفهارس 169/1، الأعلام 199/1، معجم أعلام الجزائر: 49ـــ50، معجم المفسرين 761/2.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 49.

[8] – المرجع نفسه 49.

[9] – المرجع نفسه 49.

[10] – المرجع نفسه 49.

[11] – خلاصة الأثر 204/4.

جمع فيه زبدة الخرشي والأجهوري والتتائي، وبهرام والمواق والحطاب، والزرقاني وغيرهم، وانتهى في إلى الأذان، وسماه: فتح الإغلاق على وجوه مسائل مختصر خليل بن إسحاق. وشرح آخر أخصر من التتائي الصغير، يصاحب الفقيه حضرا وسفر."[1]. وهو ما يدل على تمكنه من فقه مالك؛ إذ كان تدريس مختصر خليل والتأليف عليه منتهى مراد المشايخ في زمانه رحمه الله...وغير ذلك كثير ضمنه كتابه التعريف بما للفقير من التأليف.

ومن تلامذته جزائريون منهم " عبد القادر الراشدي القسنطيني وغيره."[2]، وقد مر أن الراشدي من المفسرين. وقد ألف البوني في التفسير وغيره والذي يهمنا هنا هو التفسير ومن ذلك رسالة بعنوان إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن، وتأليف بعنوان تحفة الأريب بأشْرَفِ غريب اختصر فيه غريب العزيزي للقرآن."[3]. وله رسالة أيضا بعنوان إرشاد الزمر لمعاني قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر)."[4]، وأخرى " الفتح القدسي بتفسير آية الكرسي، لم يكمل."[5]، وهي في خصوص آية الكرسي. وهذا كله على ما يبدو من النثر، كما أن له في النظم تآليف تناولت موضوعات متشابهة منها نظم غريب العَزيزي في القرآن العظيم في نحو أربعة آلاف بيت."[6]، وأخرى بعنوان " نظم غريب القرآن للإمام الجليل ابن عباس."[7]، وثالثة " نظم غريب القرآن للإمام ابن جزي."[8]، وهو الذي في أول التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي الغرناطي. وهذه التآليف والرسائل هي اليوم في حكم المفقود مع قرب زمان المؤلف.

والذي عثرت عليه في الفهارس رسالة في خواص البسملة[9].

توفي البوني رحمه الله سنة 1139هـ/1726م، وفي " الذيل: وفيه ولادته سنة 1003هـ، ووفاته سنة 1103م."[10]. والظاهر أن ذلك والده محمد.

ويتصل سند البوني بما هو مذكور في رسالته بعنوان " نظم في إسناده لخمسة وعشرين تفسيرا."[11].

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 526/2.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 49.

[3] – تعريف الخلف 524/2، منه نسخة بالظاهرية. (الفهرس الشامل 754/2).

[4] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 526/2.

[5] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 528/2.

[6] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 532/2.

[7] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 533/2.

[8] – تعريف الخلف 533/2، تاريخ الجزائر العام 178/3.

[9] – رقم: 6090، للمؤلف: أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني الجزائري المتوفى سنة 1139.

[10] – معجم أعلام الجزائر 51 في الحاشية.

[11] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 532/2.

والذي بين أيدينا أنه يروي عن الروداني فقد " حلاه تلميذه الشهاب أحمد البوني بـــ " الإمام الحافظ الحجة المحدث الناقد الخ"[1]. وأسانيد هذا الأخير في صلة الخلف للورداني معروفة ومشهورة.

– **الحسين بن محمد العنابي (1150هـــ)**[2]: العنابي نسبة إلى عنابة ولاية جزائرية في الشرق منها، وهي بونة قديما، وهو من المفسرين ففي معجم أعلام الجزائر " مفسر واسع المعرفة في علوم الشريعة، سكن مدينة الجزائر وولي الإفتاء فيها أربع مرات."[3]. كما أنه " له تفسير القرآن"[4]، وقد ذكرت عدة مراجع ذلك. وقد عثرت شخصيا في مكتبة الحامّة في بعض المجاميع على صفحات من تفسيره في آخرها انتهى من تفسير جدنا حسين العنابي، والصفحات من سورة البقرة وأتعرض لها في مبحث التعريف بالتفاسير لاحقا.

ألف العنابي تآليف عديدة و" من آثاره تفسير القرآن الكريم"، ولكني لم نطلع عليه كاملا. توفي رحمه الله عام 1150هـــ/1737م.

– **عمر بن محمد بن عبد الرحمان بن يوسف الجزائري المانقلاتي**[5]: كذا وقعت النسبة وهي تسمية بربرية، ولا تذكر المصادر غير أنه كان حيا في حدود (حيا 1094هـــ). من مشايخ صاحب الترجمة الأنصاري السجلماسي فقد ذكر المانقلاتي أنه "من أجلهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته أربعة عشر سنة نهارا وليلا في غالب الأوقات أبو الحسن سيدي علي بن الواحد السجلماسي الأنصاري..."[6]. والأنصاري المذكور من المفسرين وقد مرّ أنه اشتهر بالنظم في التفسير. وهذا النص وإن تعددت الفنون التي فيه إلا أنه ليس فيه ذكر للتفسير غير أن هذه الفنون وعلومها هي آلة المفسر، وعدة من يخوض في كلام الله بالشرح والبيان.

كما أن من مشايخه سعيد قدورة فقد قال عن نفسه: " وكنت أخذت عن غيره من المشايخ من أعظمهم وأولاهم شيخ الإسلام سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري، إمام الجامع الأعظم نفع الله به ونفع بعلومه وأسكنه بحبوحة الجنان: الحديث والفقه والنحو... وهم رضي الله عنهم أخذوا ذلك عن مشايخ جلة من أعلام المغرب والمشرق قراءة وإجازة وإعلاما. "[7]. ومنه يعلم أن المانقلاتي يتصل بأسانيد الأنصاري وسعيد قدور وغالبها تتصل ابن غازي وابن مرزوق. وقد أجاز المانقلاتي ابن زاكور بقوله " وأذنت له أن يروي عني."[8]. وقد مرت أسانيد السجلماسي وسعيد قدورة فلا أطيل بتكرارها.

---

[1]– فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 1/ 426.

[2] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر 245، أوراق جزائرية: ،المجلة الإفريقية عام: 1867م، ابن العنابي لسعد الله 12. معجم المفسرين 160/1.

[3]– الطرهوني، المرجع نفسه. ج 208/1.

[4] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 208/1.

[5] – مصادر الترجمة: تعريف الخلف 308/2.

[6] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 308/2.

[7] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 307/2.

[8] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 308/2.

كان له في الأصول درس حافل ففي تعريف الخلف نقلا عن ابن زاكور " يوم ختمي جمع الجوامع عليه، وهو يوم السبت الرابع جمادى الأولى من شهور سنة أربع وتسعين وألف." [1].

– **عبد الرحمان بن عمر التنلاني (حي في 1172هـ)**: عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن معروف ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان، ولد سنة 1121هـ في بعض التقديرات[2] دون أن يحدد لذلك مصدرا علميا، ويرى باي بلعالم في الغصن الداني " أنه كان في العقد الثالث من القرن الثاني عشر للهجرة."[3]، وذلك بأرض تِنلاّن " وهي إحدى قصور تِيمِّي في الشمال الشرقي لمدينة أَدْرار من أرض الجمهورية الجزائرية."[4].

أخذ التنلاني عن مشايخ عدة أخصُّ منهم بالذكر من اشتغل بالتفسير تدريسا أو تأليفا، منهم الشيخ محمد بن أبُّ المزموري المتوفى في العقد الأخير من القرن 11هـ)، فهو من شيوخه في التفسير فقد قال عن نفسه " وحضرت دروسه في الفقه واللغة والتفسير..."[5]، ومن شيوخه الشيخ التواتي (1152هـ) وكذا من شيوخه في التفسير المسناوي والمعداني قال عنه: " وأخذت كثيرا من التفسير عن شيخ الشيوخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد المسناوي، وسمعت مواضع منه على الشيخ العلامة الفقيه المتفنن أبي علي سيدي الحسن بن رحال المعداني، والباقي إجازة." [6]. ومن شيوخ التواتي المذكور " الفقيه العلامة سيدي سعيد العميري لقيته بمدينة مكناسة الزيتون وسمعت عليه أيضا هنالك بعضا من التفسير. "[7].

وهو ما يفسر نبوغه في النحو والتفسير، وكان من شيوخه أيضا " عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري(1160هـ): " وكان رحمه الله ملازما للتدريس مدة عمره إلا ما عرض له من السفر والمرض وأنه درس في الحديث والتفسير..." [8].

ومن تلاميذ التنلاني الذين اشتهروا بالتفسير تدريسا وتأليفا محمد بن محمد العالم الزجلاوي وهو الذي ألف في التفسير وغريب القرآن فعرضه على شيخه التنلاني[9]. وللزّجلاوي المذكور " ألفية الغريب في علوم القرآن، وتشتمل على ألف بيت." [10]، وذكر هو عن نفسه " أنه لما ألف ألفية التفسير وألفية الغريب قال له شيخه أبو زيد عبد الرحمان هذه ينتفع بها كل أحد من عوام الطلبة وتلك مخصوصة بالطلبة. وذلك أن الشيخ نظم ألفيتين

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 308/2.

[2] – الغصن الداني بلعالم (طبع بمطبعة دار هومة – بدون تاريخ) /05.

[3] – الغصن الداني بلعالم، المرجع نفسه. 13

[4] – الغصن الداني،، المرجع نفسه. 03.

[5] – الرحلة العلية، المرجع نفسه. ج 99/1.

[6] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 14.

[7] – الغصن الداني للقبلاوي، المرجع نفسه. ج 14.

[8] – الغصن الداني، المرجع السابق. 22.

[9] – الرحلة العلية، بلعالم القبلاوي 128/1.

[10] – الرحلة العلية، المرجع نفسه. ج 128/1.

إحداهما في الغريب ومعرفة الوجوه والنظائر من القرآن الكريم والثانية في التفسير جردها عن الغريب بإشارة شيخه سيدي عبد الرحمان.اهـــ. "[1].

تتصل أسانيد التنلاني في التفسير خاصة بالكتب والأثبات المشهورة بإجازات متعددة من شيوخه بتوات وبالمغرب الأقصى فمنها إجازة العلامة ابن أبّ المزموري والتي ملخصها " ونطلب منه أن يمن علينا ثانيا بأن يأذن لي بأن أحدث عنه به وبجميع مؤلفاته وقصائده ومقطوعاته من هو أهل لذلك طلبا للسند الذي اختصت به هذه الأمة وإتيانا للأمر من بابه ... فكتب رحمه الله تحته ما نصه: الحمد لله وبعد فقد أذنت للشاب الفقيه الأديب اللوذعي الألمعي النجيب الصالح الخير الكوكب النير أبي زيد السيد عبد الرحمان بن عمر التواتي نفعني الله بالعلم وحمله، وجعلنا من أخيار أهله بمحض جوده وفضله، أن يحدث عني بجميع ما التمس فيه الإذن مني إجازة تامة. وكتب عبيد ربه محمد بن أب المزموري التواتي. اهـــ"[2].

وفي نص آخر للمزموري في نفس الموضوع " فأجزته إجازة مطلقة في كل ما أخذه عني وعممت له في جميع مقروآتي ومسموعاتي من تفسير وحديث ...وكتبه عبيد ربه تعالى عبد الرحمان بن إبراهيم بن عبد الرحمان خديم مولاي الحسن الشريف كان الله له وليا ونصيرا. "[3].

والإجازة الثانية لشيخه الجنتوري ونصها: " فقد أجزت للشيخ الأجل العالم الأنبل أبي زيد سيدي عبد الرحمان بن عمر شيد الله مناره ونور سريرته وجعله ممن ساد وظفر جميع ما ذكر عني بشرطه آمرا له أن يصرف همته للتفقه في دين الله إلى أن قال: اللهم لا تواخذنا بما انطوت عليه سريرتنا فأنت أعلم منا بما فيها فإنك أنت العليم الحليم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وكتبه المتيم المليم عبد الرحمان بن إبراهيم خديم الشريف كان الله له آمين."[4]. وقد ذكر القبلاوي في الغصن الداني: " قلت: وقد اشتملت هاته الإجازة على قرابة عشرين صفحة بالكتابة المعتدلة سرد فيها أسماء الكتب بأسانيدها ...مؤلفات الحافظ بن حجر، تصنيف السنوسي، تصانيف زكريا الأنصاري، تفسير البيضاوي."[5].

والإجازة الثالثة هي إجازة شيخه أحمد بن صالح وفيه بعد الديباجة وقد أجزت للشيخ " عبد الرحمان بن عمر أن يروي عني جميع مروياتي من حديث وفقه ، ونحو ومعقول ومنقول بشرط الوقوف عندما أشكل والمراجعة لما أعضل وأوصيه ونفسي بتقوى الله العظيم والمراقبة وحسبنا الله ونعم الوكيل." [6]. وقال ذكر

---

[1] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 34.

[2] – الرحلة العلية، المرجع نفسه. ج119/1.

[3] – الغصن الداني، المرجع السابق. 34.

[4] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 14.

[5] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 34.

[6] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 36.

القبلاوي بعد اطلاعه على نسخة الإجازة المذكورة " وذكر مروياته بأسانيده فيها إلى مؤلفيها وقد تضمنت إجازته...التفسير." [1].

والإجازة الرابعة لشيخه لمحمد بن علي الدرعي: " أجزت الفقيه المذكور فيما نقل عني وسمع وسطره في هذه الكراسة من جميع مروياتي ومقروآتي ومسموعاتي...تفسير الجلالين، مؤلفات السنوسي، مؤلفات ابن حجر." [2]. ومن المجيزين أيضا للتنلاني شيخه أحمد بن عبد العزيز الهلالي:" حضر مجلسه واستفاد منه استجازة فأجازه إجازة شاملة جامعة لما تفرق في غيرها من الإجازات."[3]. وهي إجازة عامة مطلقة شملت ما تفرق في غيرها من أسانيد الكتب والمرويات.

وللتنلاني المذكور تأليف في التفسير هو في الأصل اختصار لتفسير ابن السمين في إعراب القرآن، والعمل مخطوط كبير بإحدى مكتبات توات، وسأتعرض لذلك عند الحديث عن إنتاج التفسير، مع الحديث عن طريقته في الاختصار.

– **محمد بن محمد البليدي الجزائري (1176هـ)**: محمد بن محمد الحسني المغربي المالكي الشهير بالبليدي نزيل مصر، وممن نسبه إلى الجزائر نويهض. " ولد سنة ست وتسعين وألف."[4]. تعلم بالأزهر الشريف على يد جماعة من كبار علمائه إلا أنه لازم بالخصوص " محمد بن عبد الباقي الزرقاني ومحمد بن القاسم بن إسماعيل البَقْري سمع منه في سنة عشر ومائة قبل وفاته بسنة وهو أعلى ما عند المترجم من مشايخه ". بلغ البليدي درجة عالية في التحصيل، واشتغل بالعلوم الشرعية التي كانت مقررة على الأزهريين طلبة وعلماء فاشتهر " أمره بالعلم وانتفع به جماعة من محققي علماء الأزهر والشام. وكانت وفاته سنة ست وسبعين ومائة وألف ودفن بالقاهرة في تربة المجاورين وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى." [5].

لازم البليدي بعد تخرجه التدريس، فدرس في فنون عديدة ومما كان يقرأه حتى اشتهر بتدريسه وعم النفع به " تفسير البيضاوي في الجامع الأزهر ويحضر درسه أكثر من مائتي مدرس ومفيد، وكان الأستاذ ولي الله عبد الوهاب العفيفي يلازم درسه." [6].

من تلامذة صاحب الترجمة في خصوص التفسير عبد الوهاب بن عبد السلام المرزوقي" لازم السيد محمد البليدي في دروسه من ذلك تفسير البيضاوي بتمامه."[7]، ومنهم أحمد بن محمد الباقاني الشافعي (1195هـ)"

---

[1] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 36.

[2] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 36.

[3] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 26.

[4] ــ مصادر الترجمة: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر 2/ 133، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 43.

[5] ــ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل الحسيني (دارالبشائر الإسلامية، لبنان، 1988م) . 2/ 133.

[6] ــ سلك الدرر، المصدر السابق. 2/ 133.

[7] ــ سلك الدرر، المصدر نفسه. ج 1/ 303.

ولازم السيد البليدي واستكتب حاشية على البيضاوى."[1]، وعبد الرحمان الأجهوري (1198هـ)" فحضر على السيد البليدي في تفسير البيضاوى بالأزهر وبالأشرفية."[2].

ومنهم محمد بن علي الصبان الشافعي (1206هـ) أخذ " على الشيخ السيد البليدي تفسير البيضاوي."[3]، ومن تآليف الصبان المذكور " ورسالتان على البسملة صغرى وكبرى."[4]. ومنهم أيضا " محمد بن أبي السعود الشافعي، أحمد بن موسى العروسي وعلى السيد البليدي البيضاوي في الأشرفية."[5]. وكذلك من تلامذة البليدي: " عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد ابن حجازي ...لازم السيد محمد البليدي في دروسه من ذلك تفسير البيضاوي بتمامه."[6].

ومنهم أيضا " ومات الشيخ الإمام الفقيه المحدث المحقق الشيخ خليل بن محمد المغربي الأصل المالكي المصري أتى والده من المغرب فتدير مصر وولد المترجم بها، نشأ على عفة وصلاح وأقبل على تحصيل المعارف والعلوم فأدرك منها المروم، وحضر دروس الشيخ الملوي والسيد البليدي وغيرهما من فضلاء الوقت."[7]. ومنهم كذلك شمس الدين أبو عبد الله الأستاذ أبي السعود الجارحي الشافعي " حضر دروس الشيخ مصطفى العزيزي وغيره من فضلاء الوقت، وكان أماما محققاً له باع في العلوم، وكان مسكنه في باب الحديد أحد أبواب مصر... وحضر السيد البليدي في تفسير البيضاوي وكان الشيخ يعتمده في أكثر ما يقول ويعترف بفضله ويحسن الثناء عليه. توفي في شعبان سنة 1179."[8].

ألف الشيخ البليدي رحمه الله " مؤلفات منها حاشية على تفسير البيضاوي...وكانت له يد طولى في علم القراءات وله في طريق الجمع مؤلف كبير في كل آية يذكر كيفية الجمع فيها من أول القرآن العظيم إلى آخره."[9]. وهي حاشية معروفة ذكر الباحث بشير ضيف أنها في ثلاث مجلدات.

توفي البليدي رحمه الله توفي ليلة التاسع والعشرين من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف، كما في الكتب المذكورة في مصادر الترجمة.

---

[1] ــ سلك الدرر، المصدر نفسه. ج 1/ 363.

[2] ــ سلك الدرر، المصدر نفسه. ج 1/ 586.

[3] – سلك الدرر، المصدر نفسه. ج 1/ 137.

[4] – سلك الدرر، المصدر نفسه. ج 1/ 139.

[5] – سلك الدرر، المرجع نفسه. ، المصدر نفسه. ج 1/ 162.

[6] – عجائب الآثار للجبرتي، المصدر نفسه. ج. 1 / 152

[7] – عجائب الآثار، المصدر نفسه. ج 1 / 164

[8] – عجائب الآثار، المصدر نفسه. ج 1 / 166

[9] – سلك الدرر، المصدر نفسه. ج 1/ 133.

– **عبد الرحمان بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني التلمساني(1179هـ)**[1]: وقع في ترجمة المنجرى المذكور " له مشاركة في التفسير..." [2]. لم أطلع على مؤلف له في التفسير. توفي 1179هـ/1783م.

– **يوسف بن عدون بن الشيخ حمو الحاج اليزقَني أبو يعقوب بن عدون (1223هـ)**[3]: اليَزْقَنّي من بني يَزْقَنْ[4]. ولد الشيخ ابن عدون اليزقني المذكور 1158هـ/1745م. " عالم إباضي مفسر، له اشتغال بالتاريخ. من أوائل المصلحين الكبار في واد ميزاب في عصره. استخلفه الشيخ عبد العزيز الثميني في مسجد بني يزقن لما أسن وعجز.". وناهيك بالثميني المذكور وبمن يخلفه في الرتبة والعلم. وقد كان الثميني من أعلام المذهب الإباضي وتآليفه فيه معتمد الفقهاء والمتعلمين.

رحل ابن عدون إلى الحج ولما قفل راجعا أقام بالقاهرة أربع سنوات فلقي كبار علماء الوقت بالأزهر الشريف وخاض معهم في مسائل العلم، وذلك يدل على أنه دخل مصر وهو من جملة العلماء، لا على سبيل الرحلة في الطلب[5].

لليزقني تآليف تدل على مكانته في العلم، منها شرح الدعائم في الكلام، وكتاب في السيرة النبوية، وأرجوزة في بضعة آلاف بيت في أسرار الشريعة. له " حاشية على البيضاوي في التفسير..."[6]، لم يتيسر لي الاطلاع عليها. توفي رحمه الله سنة 1223هـ/1808 م.

– **يوسف بن محمد المصعبي المليكي (بعد 1187هـ)**[7]: ولد يوسف المصعبي ببلدة مليكة بميزاب، من عائلة وِيرُو عام 1079هـ/1669م. ثم سافر إلى بلاد جربة مع والده 1103هـ واستقر بها. أخذ العلم عن جملة من المشايخ منهم يحي بن سعيد الجادوي، وعمر بن علي السدويكشي والظاهر أن الأخير من مشايخه في التفسير. رحل لأجل التحصيل إلى تونس ومنها إلى مصر بالجامع الأزهر واستقر به المقام بجربة من أرض تونس. " وصار مفتي الجزيرة وكبير علمائها، ورئيس مجلس الحكم فيها. وله مجالس للتدريس بمساجدها، ولكنه كان أكثر ملازمة للجامع الكبير." [8]. تولى التدريس بمساجد جرْبة المذكورة، وخصوصا جامعها الكبير. وكان " آية الله في العلوم"، له مؤلفات يهمنا منها ما هو في التفسير من ذلك حاشية على الجلالين لا تزال

---

[1] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر: 69.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 69.

[3] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر: 69، نهضة الجزائر الحديثة 282/1، أوراق جزائرية.

[4] – من مدن ولاية غرداية بوطن الجمهورية الجزائرية.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 230.

[6] – معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 230.

[7] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الإباضية 491/2-492، أبو اليقظان ملحق السير 52/1، نهضة الجزائر 256/1، الإباضية في موكب التاريخ 199/3-201.

[8] – معجم أعلام الإباضية، المصدر نفسه. ج 491/2-492. ..

مخطوطة لم نطلع على غير ذكر عنوانها بكتب التراجم. توفي المصعبي رحمه الله ضحوة الأحد من صفر 1187هـ/1773م.

– **محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السنباوي المعروف بالأمير**[1]: جزائري الأصل من أهل مازونة وارتحلت عائلته قديما إلى صعيد مصر كما ذكر ذلك أبو راس في فتح الإله ومنته. ولد عام 1154هـ/1742م في ناحية سَنْبُو من أعمال منفلوط بمصر. من طلبته أبو راس الناصري وغيره. ألف في فنون عديدة خصوصا منها الفقه، والذي يهمنا هنا ما كتبه في التفسير وهو ثلاثة أعمال هي: تفسير سورة القدر، رسالة في البسملة، تفسير المعوذتين[2].

توفي الأمير المذكور رحمه الله سنة 1232هـ/1817م.

– **أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني أبو العباس(1230هـ)**[3]: مؤسس الطريقة التجانية ومقدمها. ولد في عين ماضي من أرض الجزائر 1150هـ/1737م، ورحل بعدها إلى فاس 1171هـ فسمع " بها شيئا من الحديث "، ويبدو أنه كان على صلة بابن حمدون المغربي المفسر الكبير المتوفى 1208هـ، إذ نجده يمدحه كما في الإعلام للمراكشي[4].

وفي بعض المراجع أنه " أقام بتلمسان مدة يدرس التفسير والحديث وغيرهما."[5]. وحل بتونس حيث أخذ عنه عالمها الشيخ إبراهيم الرياحي وهو من الطبقة العالية من مدرسي التفسير.

من مشايخ صاحب الترجمة " العلامة العارف سيدي المبروك ابن بوعافية المبروك الماضوي التجاني."[6]، ولما رحل إلى فاس " كان أول من لقي حينئذ من المشايخ الكمّل مولاي الطيب الوزاني..." [7]. ومن مشايخه أيضا والتجاني على ما يظهر مقيم بأرض المغرب الأقصى حيث " أخذ عن أبي العباس سيدي أحمد الطواش نزيل تازة ودفينها."[8].

وكانت لأبي العباس التجاني رحلات متعددة شرقا وغربا منها ما هو إلى فاس بالمغرب، " ثم انتقل من المغرب قاصدا بلد الأبيض في ناحية الصحراء حيث ضريح سيدي الشيخ، ومكث هناك خمسة أعوام مشتغلا

---

[1] – مصادر الترجمة: فتح الإله لأبي راس الناصري 133، الأعلام للزركلي 71/7.

[2] – تفسير المعوذتين، الرقم: 4488.

[3] – امصادر الترجمة: تعريف الخلف 38/2_41، لأعلام للمراكشي 128/3، معجم أعلام الجزائر

[4] – الأعلام للمراكشي، المصدر نفسه. ج 128/3.

[5] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 190/1.

[6] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 40/2.

[7] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 40/2.

[8] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 40/2.

بالقراءة والعبادة والتدريس والتلاوة."[1]. وقد كانت من عادته تدريس التفسير كما حدث له بتلمسان، وقد مضى النص على ذلك فلا أطيل بإعادة نقله هنا.

وقد اطلعت على شيء مما فسره في كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لتلميذه الشيخ علي احرازم. وحلّ بتوات من أرض الجزائر وأخرج منها فعاد إلى فاس إلى وافاه الأجل 1230هـ/1815م.

– **أبو راس الناصري (1239هـ)**[2]: كتب أبو راس الناصري الجزائري عن نفسه فوفر على الباحثين عناء الخوض في التفاصيل، فذكر أنه محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي المعروف " بأبي راس"، ولا يعرف لهذه الكنية أصل علمي. وأما " الراشدي فذلك نسبة إلى الراشدية المعروفة اليوم باسم (مُعسْكَر) بالشمال الغربي الجزائري."[3].

وقع تحديد ولادة محمد أبي راس عند الشيخ عبد الرحمان الجيلالي[4] وتبعه عليه آخرون في حدود 1150هـ/1737م. وحدد المرحوم محمد بن عبد الكريم تاريخ 1165هـ/1751م. وهو اختلاف في التحديد بفرق كبير نسبيا. وأما مكان ميلاده فهو بمكان يقع بين جبل كَرسُوط وهُونْت من أرض اليعقوبية[5]. أتقن أبو راس القرآن حفظا على من تيسر له يومها من المشايخ والطلبة، كما أتقن الرسم. فقد قال من أرخ له ومن تاريخه استفاد أنه " أخذ أولا القرآن عن والده فقرأه بروايتي ورش وقالون، وأتقن بقية رواياته فأحسن رسمه وضبطه على الشيخ منصور الضرير تلميذ سيدي أحمد بن ثابت التلمساني..."[6]. ذكر أبو راس عن نفسه أنه رحل إلى مازونة: وقد كانت " حافلة بالعلماء ولاسيما منهم حملة الشريعة أهل الفقه وعلوم الدين..."[7]. لقي في طريقه من شجعه وعاد من مازونة " إلى الراشدية (معسكر)، وهي إذ ذاك محطّ العلماء، فانقطع فيها ليأخذ عن علمائها، مثل الشيخ عبد القادر المشرفي.."[8]. وقد كان للمشرفي المذكور مجالس في التفسير.[9]، وهو

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 40/2.

[2] – مصادر الترجمة: تعريف الخلف 232/2، فهرس الفهارس 104/1، معجم المؤلفين 277/8، الأعلام 242/6، فتح الإله للمؤلف، فهرست معلمة التراث الجزائري، بشير ضيف. 43.

[3] – تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه. ج 570/3.

[4] – تاريخ الجزائر العام عبد الرحمان الجيلالي، المرجع نفسه. ج 570/3.

[5] – وهونت تتبع الآن ولاية سعيدة بلدية سيدي بوبْكر...وجبل كرسُوط مكان ولادة أبي راس هو أو جزء منه من أرض اليعقوبية كما ذكر ذلك صاحب كتاب القول الأحوط.". انظر في ذلك تفصيلا كتاب أبو راس الناصري المعسكر. الشيخ عابدين بن حنفية/ 24.

[6] – تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه. ج 570/3.

[7] – تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه. ج 570/3.

[8] – تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه. ج 571/3.

[9] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 342/2.

ما يهم دراستنا عنه الآن مما يدل على تلقي الشيخ أبي راس التفسير كابرا عن كابر وله فيه السند المتصل. وهو أيضا ما يفسر نبوغه فيه على ما يدل عليه عمله الإبريز والإكسير الذي أخذنا منه نماذج عرضناها في محلها وسنعود إليه كاملا فيما يقرب من الزمان بحول الله. وقد ذكر الشيخ الكتاني أنه يروي عن أبي راس.

تاقت نفس أبي راس إلى الرحلة على عادة النابغين من طلبة العلم وأهله وقد سجل هو بنفسه رحلته التي " ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب ومن لقي من الأعيان."[1]. وقد كانت الرحلة ولو في زمانه محط أنظار المفكرين والمصلحين لما يستفيده صاحبها من " طلب العلم واكتساب المعارف."[2]، ولقاء "الأفاضل من أهل مصر وتونس وفاس..." [3]. كما لقي الإمام الزبيدي اللغوي المشهور فقد جاء " أنه لقي فيمن لقيه وأجازه من العلماء بمصر الشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس."[4]. كما لقي العلامة الأمير صاحب التفسير لسورة العصر والمعوذتين كما ستعرفه من بعد لما ارتحل الشيخ أبو راس " إلى مصر واجتمع بأكابر علمائها مثل الشيخ...محمد الأمير."[5]. وقد ذكر له الأمير المذكور أن أصوله من مازونة و حلى العلامة الأمير الشيخ أبو راس بشيخ الإسلام وكفى بها تحلية وشهادة من أهلها العدول.

حتى إذا استقر المقام بالشيخ أبو راس، وألقى عصا التسيار اجتمع حوله الطلبة وشرع في أداء الواجب الوقت عليه من التعليم والتدريس فقال عنه من عرفه، وحكى هو عن نفسه أنه " كان لا يفتر عن الدرس طوال الأسبوع كاملا ما عدا صبيحة يوم الاثنين المقررة لديه للاستجمام والراحة..."[6]. وهو ما سهل التحصيل على يديه وتلك عادة المشايخ الراسخين يبذلون وقتهم وما بأيديهم للعلم وأهله.

ألف الشيخ أبو راس في ميادين مختلفة وحفظ الكثير من تآليفه والذي يهمنا منها: تفسير القرآن[7]. وقد ذكر هو أن عنوانه مجمع البحرين. فقد قال: " منها في التفسير وعلوم القرآن مجمع البحرين في ثلاثة مجلدات."[8]. وقد عثرت على عمل لأبي راس في التفسير عنوانه الإبريز والإكسير في علم التفسير[9]، ينتهي فيه إلى تفسير قوله تعالى من اللفظة الشريفة (فسيكفيكهم الله) من آخر الحزب الثاني من سورة البقرة.

---

[1] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. ج / 306.

[2] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 342/2.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 342/2.

[4] – تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه. ج 572/3.

[5] – تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه. ج 573/3.

[6] – تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه. ج 572/3.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. ج / 306.

[8] – فتح الإله لأبي راس، المرجع نفسه. 122.

[9] – مخطوط خاص في نسخة وحيدة بخط دقيق مقروء يقع في حدود 37 لوحة من وجهين.

توفي الشيخ أبو راس الناصري بعد حياة حافلة بالعلم وتعليمه وتأليف فيه وإفادة أهله وطالبيه، وتقلد مناصب القضاء، وتقلبات ظروف الحياة من عسر إلى يسر عام 1239هـ/1825م." ودفن بمعسكر على شاطئ النهر الفاصل بين داخل البلد وقرية بابا علي، وعليه بناء مشهور." [1].

يتصل سند الشيخ أبي راس الناصري بثبت الأمير المالكي فهو شيخه، وثبت شيخه الشرقاوي، وشارح القاموس مرتضى الزبيدي. وقد ألف أبو راس في أسانيده من هذا الأخير مؤلفا حافلا سماه: السيف المنتضى من أسانيد الشيخ مرتضى. و لم يتيسر لي العثور عليه.

والنص التالي للكتاني يعطي نظرة عامة عن وضعية أسانيد الشيخ أبي راس فقد قال: " وبكل أسف لم أجد له ذكراً في شيء من الفهارس التي بأيدينا لأهل المغرب والمشرق، نعم رأيت أبا عبد الله محمد بن العباس بن يس الفاسي في فهرسته " المواهب القدوسية " أسند أوراد الأيام السبعة التي من جمع الغزالي عن العارف أبي عمرو عثمان القادري قال: عن سيدي محمد بن محمد أبو رأس المعسكري عن سيدي محمود بن أبي زيد الكردي عن الحفني، انظرها. كما بكل أسف لم نتصل به بإسناد عمومي ولكن في نحو الفقه والتفسير بإسناد محقق. نعم نروي عن أبي اليسر المهنوي عن الأستاذ ابن السنوسي تفسير الشيخ أبي رأس، والغالب على الظن أن الأستاذ السنوسي لا يغفل استجازته عامة. كما نتصل بالشيخ سقط المشرفي المعسكري عامة. ومن المشهور في المغرب الأوسط أنه كان خصيصاً بالمترجم وراوية علمه والله أعلم. وأروي الفقه المالكي وغيره عن المعمر أبي العلاء إدريس بن القاضي أبي محمد عبد الهادي بن عبد الله عن المعمر أبي عبد الله محمد بن الخضر المهاجي عن المترجم. وأروي مختصر خليل إجازة مكاتبة من تلمسان عن الشهاب أحمد بن البشير عن الشيخ الخلوي عن أبي الحسن عليّ بن الحاج عن الشيخ بن حمادوش المحفوظي عن الشيخ أبي رأس. ح: وأخذه ابن البشير عن الشيخ محمد بن الحمياني عن الشيخ سقط المعسكري عن الشيخ أبي رأس." [2].

– **علي بن محمد الجمالي الميلي (1248هـ/1833م)**[3]: ينتسب الميلي إلى مدينة مِيْلة بالقرب من مدينة قسنطينة شرق الجمهورية الجزائرية، استوطن مصر وتوفي بها. وصفته المراجع بأنه " مفسر فقيه متكلم.". للميلي المفسر تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى (ثم أورثنا الكتابَ)، وهو عمل فريد يدل على خوضه في درس التفسير ما دام قد ألف فيه، وحول الآية تفاسير نقلها صاحب المعيار للسنوسي وابن زكري والرصاع مضت في محالها من تراجم المذكورين وغيرهم.

– **عثمان بن سعيد المستغانمي (حي في القرن 13)**[4]: من أهل القرن الثالث عشر الهجري " مفسر..."[5]، وليس بين يدي الآن ذكر لمشايخه في مختلف فنون العلم ولا ذكر لرحلاته داخل الوطن ولا خارجه. والذي

---

[1]– تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 342/2.

[2] – فهرس الفهارس للكتاني، المرجع نفسه. ج 1 / 151-152.

[3] _ هدية العارفين 773/1، الأعلام للزركلي 77/7، تاريخ الجزائر الثقافي 14/7.

[4] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر 297، معجم المفسرين 786/2.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. ج 297.

ذكره عادل نويهض أن من آثاره تفسيرَ القرآن كبير وصغير، وتحفة الأحباب، وهو العنوان الأخير متكرر مع عمل الميلي السابق.

– **محمد بن علي السنوسي الخطابي (1276هـ)**[1]: الجزائري الأصل التونسي الدار. ولد سنة 1202هـ/ 1787هـ. من مشايخه أبو راس الناصري المفسر الجزائري المعروف، ومن مشايخه أيضا الشيخ مرتضى الزبيدي وغيرهم كثير...

ألف محمد بن علي السنوسي في فنون منها التفسير وخصوصا في شروط تفسيره " نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن."[2]. كما له أيضا " شرح البسملة."[3]. توفي رحمه الله عام 1276هـ/ 1859م.

– **محمد المازري بن محمد يطو (1286هـ)**[4]: للمازري المذكور " مشاركة في علوم الحديث والتفسير..."[5]. وليس بين يدي الآن غير هذا. توفي رحمه الله 1286هـ.

– **الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار الحسني الجزائري (1983م)**[6]: ولد بالقَيْطنة من قرى وهران معسكر بالغرب الجزائري 1222هـ/1807م، " وتربى في حجر والده إلى أن بلغ سن التمييز، فحفظ الكتاب العزيز في المدرسة التي أسسها والده في القيطنة، وتلقى بها بعض العلوم. وكان والده كأسلافه من العلماء الأعلام الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام. ولما بلغ أربعة عشر سنة سار إلى وهران لاستكمال فنون العلوم."[7].

وقد بكر هو وأبوه بالرحلة إلى بلاد المشرق مرورا بمصر قاصدين الحج " وفي سنة 1241هـ/1825م سافر مع والده منها برا إلى الحجاز على طريق مصر وبعد أداء فريضة الحج قاصدا المدينة المنورة لزيارة الحضرة النبوية، ومنها توجه إلى دمشق صحبة الركب الشامي، ثم سافر إلى بغداد فزار حضرة القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره. وأخذ كل منها الإجازة بالطريقة القادرية عن الشيخ محمود القادري...ثم رجعا إلى دمشق ومنها عادا إلى الحجاز فحجا مرة ثانية ثم رجعا إلى الوطن سنة 1243هـ/1827م."[8]. وليس في هذا النص ذكر لشيوخه في العلم لا في الغرب ولا مصر والمشرق.

وقد عاود الرحلة إلى المشرق غير أنه كان في هذه المرة مهاجرا إليه على نية الاستقرار بعد أن عقد السلم مع فرنسا والذي كان من بنوده أن لا يعود إلى الجزائر وأن يختار محلا للإقامة الدائمة بغيرها، فكان المشرق

---

[1] – مصادر الترجمة: المنهل العذب 374/1، فهرس الفهارس 68/1، شجرة النور 399، معجم أعلام الجزائر: 179.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 176.

[3] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 176.

[4] – مصادر الترجمة: معجم : 280، تعريف الخلف 538/2.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 280.

[6] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر 104، مقدمة كتاب المواقف الجزء الأول. تحفة الزائر لحفيد الأمير عبد القادر.

[7] – المواقف للأمير عبد القادر، تحقيق عبد الباقي مفتاح (دار الهدى ــ الجزائر ــ ط:02، 2005م) ج06/1.

[8] – المواقف، للأمير عبد القادر، المرجع نفسه. ج 06/1.

وخصوصا البلاد الشامية هي الإقامة الجديدة للأمير. وهناك تفرغ الأمير للنشاطات العلمية والصوفية والسياسية حتى.

ترك الأمير كتبا عديدة والذي يهم هنا هو كتاب المواقف، وقد طبع مرارا، وسيأتي التعريف بها في المبحث القادم. وللأمير عبد القادر سند متصل بما اشتمل عليه إجازة الزبيدي ففي إمداد الفتاح أن الأمير يتصل في ذلك عن طريق والده محي الدين عن مرتضى الزبيدي بأسانيده." [1].

– **علي بن عبد الرحمان بن محمد الحفاف (تـ:1307هـ)**[2]: الجزائري لم نقف له على تاريخ ميلاد محدد، ونسبه إلى علماء التفسير من ترجم له بـ " الفقيه المفسر المحدث النحوي..." [3]. من مشايخه الرياحي فعن الحفناوي أن الحفاف " من تلامذة علامة القطر الإفريقي الشيخ إبراهيم الرياحي."[4].

وممن أجازهم بما له من الأسانيد ففي تعريف الخلف أن المكي بن مصطفى بن عزوز يستجيز الحفاف فيجيزه"[5]. ألف الحفاف في فنون من التفسير إذ له " الدقائق المفصلة في تحديد البسملة." [6]. توفي الحفاف رحمه الله عام1307هـ.

– **محمد بن عيسى أبو عبد الله الجزائري (1310هـ)**[7]: ولد محمد بن عيسى الجزائري عام 1243هـ /1828م، بالجزائر ففي بعض النصوص " ولد وتعلم بها – الجزائر– ثم انتقل إلى تونس وتولى رئاسة الكتابة العامة بالوزارة الكبرى، ثم خطة الإنشاء." [8]. وهذا إجمال نفصله فيما يلي. فمن مشايخه حميدة العمالي[9]، وذكروا في ترجمته أنه " أنه عارف باللغة والتفسير"[10]، وفي شجرة النور أن " رسائله تدل على أنه في طبقة عليا من الفهم والعلم..." [11].

رحل إلى تونس وتولى وانتهى به المطاف أن " استوطنها "، ولدى إقامته بها " درس بجامع الزيتونة، وتولى خطة الكتابة بالقسم الأول من الوزارة الكبرى."[12]. ثم تذكر المصادر أنه " انقطع للعلم إلى أن توفي."[1].

---

[1] – إمداد الفتاح، المرجع السابق. / 342.

[2] – مصادر الترجمة: تعريف الخلف 260/2، معجم الجزائر 121.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 244/2.

[4] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 269/2.

[5] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 272/2.

[6] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. ج 121.

[7] – مصادر الترجمة: شجرة النور 413، تعريف الخلف 528/1، معجم المؤلفين التونسيين 26/2، معجم الجزائر 112، فهرست معلمة التراث الجزائري: 44.

[8] – معجم الجزائر، المرجع نفسه. ج 112.

[9] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 329/1.

[10] – معجم الجزائر، المرجع نفسه. ج 112.

[11] – شجرة النور، المرجع نفسه. ج 413.

[12] – معجم المؤلفين التونسيين، المرجع نفسه. ج 26/2.

ألف محمد بن عيسى رسائل منها: الثريا لمن كان بعجائب القرآن حفيا، رسالة في التفسير طبعت بتونس 1307هـ، ورسالة أخرى بعنوان الماس في احتباك يعجز الجنة والناس؛ وهو تفسير لقوله تعالى (ومن يُكْرِهُنَّ فإنَّ الله من بعْد إكراهِهن غفورٌ رحيم). وقد طبعت بتونس 1306هـ/1888م.

تتصل أسانيد محمد بن عيسى بأسانيد محمد بن علي التونسي كما ذكر ذلك صاحب الترجمة في كتابه روضة النسرين، إذ فيه أنه أجازه بمجموعة من كتب التفسير ما بين تفسير منقول وتفسير بالرأي. توفي محمد بن عيسى رحمه الله 1310هـ/ 1898م.

– **محمد بن أبي القاسم أبو عبد الله الهاملي (1315هـ)**[2]: هو الشيخ " محمد بن أبي القاسم بن رجيح بن محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن منصور أبو عبد الله الشهير بالهاملي."[3]، الشريف الحسني هكذا وقع تسميته كاملة عند الحفناوي. ولد الهاملي " بالبادية قرب حاسي بحبح في الجنوب الشرقي من الجمهورية الجزائرية، عام 1239هـ/1823م. "[4]. في بيئة صحراوية بسيطة، ولأجل التحصيل " انتقل إلى جبال القبائل فأخذ عن مشايخ زاوية الطيار لمدة سنتين، ثم قصد زاوية ابن أبي داود في (زواوة) فأخذ عن مؤسسها علوم التفسير والفقه.، كما درس فنون العربية..."[5]. وهو نص يفيد أن هذه البلاد الطيبة كانت بيئة علم وصلاح، بها مدارس للعلم، ومن جهة ثانية أنه كان يجري بها تدريس الفنون، وأن درس التفسير فيها كان مستمرا ومشهورا وأن شيوخه في ذلك كانوا مقصودين لأجله.

وفي نص ثانٍ يجمع عدة أطوار من حياة الشيخ الهاملي أنه " لما حفظ القرآن قدم إلى زاوية الولي سيدي السعيد بن أبي داود بزواوة ولازم ابنَ ابنه بها العلامة الشيخ سيدي أحمد، وجدَّ واجتهد حتى برع في المذهب المالكي، وكان رضي الله عنه شديد الذكاء عجيب الفطرة، مفرط الإدراك بعيد الغور، غواصا على المعاني الدقيقة، جبل علم مناظرا محجاجا. "[6]. وهو تخصص اضطر إلى تغيير وجهة الرحلة فيه إلى زاوية أخرى ومشايخ آخرين وقع تسمية بعضهم. وأن ما أخذه الهاملي من هذه المدرسة بالخصوص كان التمكن من المذهب المالكي وهو مقصود كان متاحا بحفظ ودراسة مختصر الشيخ خليل بالخصوص.

ولأجل هذا التحصيل المزدوج ترجم له بالـ " فقيه له مشاركة في علوم الحديث والكلام والتاريخ والأخلاق والتفسير."[7]. إضافة إلى العربية فقد كانت موادها من مقررات التدريس مهما ضاقت الفنون.

---

[1] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 329/1.

[2] – مصادر الترجمة: تعريف الخلف 345/2، معجم أعلام الجزائر 335.

[3] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 335.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 335.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 335.

[6] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. 348/2.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 335.

ولما أنهى صاحب الترجمة رحلته الداخلية رجع إلى بلده الهامل وكذلك في سنة 1265هـ حيث : " ابتدأ التدريس ببلده الهامل، فأصبحت به زاهرة يانعة، وانهالت له الخلق من كل جهة لطلب العلم ، وحصل به النفع الكثير. وكان يحضر درسه في الفقه نحوٌ من ثمانين تلميذا أو أكثر، وكانت مؤمنة الطلبة في هذه السنوات من عنده. وابتدأ من التفاسير بتفسير الواحدي."[1].

وسأعود إلى هذا النص عند التعرض لمقررات درس التفسير، والتي كان منها تفسير الواحدي المذكور ولا أدري هل هو الوجيز أو الوسيط أم الكبير. توفي الهاملي المذكور عام 1315هـ/1897هـ، ببويرة الصحراء في طريق عودته من الجزائر العاصمة إلى زاويته بالهامل.

– **محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش (1332هـ)**[2]: وتضبط هكذا كلمة أطْفَيَّشْ، وهو مفسري الإباضية بل من أكبر علمائهم المعاصرين في التفسير، وأعماله في التفسير شاهدة بتمكنه في التفسير واختصاصه فيه. ولد محمد بن يوسف اطفيش عام 1236هـ/1820م. وأما مكان الولادة فقد " ولد في بني يسقن وبها نشأ وتعلم."[3].

وتذكر المصادر أنه رحل " إلى الديار المقدسة مرّتين وكان يؤلّف وهو في السفينة."[4]. وهو نص يفيد كثرة اشتغاله بالعلم والتأليف فيه. وذكر هو بعضا من مشايخه سمى أحدهم على الأقل وهو الحاج إبراهيم بن يوسف في مواضع من تفسيره منه في تفسير قوله تعالى (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ)، فقد قال: " قال شيخنا الحاج إبراهيم بن يوسف ذكره الله بالصالحات فيمن عنده : إن المعنى أصبح يضع بعنف باطن كف على ظهر أخرى ثم يضع ظهر هذه الأخرى على ظهر الأولى ثم يضع ظهر كلّ فى بطن الأخرى فيحتمل أنه فعل ذلك تحقيقا."[5]. وفي نص آخر يصرح بأنه شيخه " قال العلامة الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن وإنما سمى مولانا نفسه نورا لأنه هو الضياء المظهر للأشياء فإذا سمى ما يظهره غيره بحسب الإدراك نور فلان تسمى ما يظهر تلك الأشياء من حيز العدم إلى الوجود نورا أولى وأحرى بل هو النور."[6].

وذكر في ترجمته أنه " من أكابر العلماء بالفقه والغة والأدب والتفسير، ومن رجال النهضة الإصلاحية بالجزائر الحديثة..."[7]. له تآليف في فنون كثيرة منها التفسير وهو ما يهمنا إذ له فيه ثلاثة تفاسير:

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 348/2.

[2] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر: 19ـ20، نهضة الجزائر الحديثة 289/1، الزركلي 22/8. معجم المؤلفين 133/12. معجم المفسرين 319/2، التفسير والمفسرون 319/2، الأعلام الشرقية 150/2، بروكلمان 393/2، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر 303/1.

[3] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. ج 20.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. ج 20.

[5] – هميان الزاد إلى دار المعاد، المرجع نفسه. ج 7 / 489.

[6] – هميان الزاد إلى دار المعاد، المرجع نفسه. ج 9 / 237.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 20.

– **همیان الزاد ليوم المعاد:** مطبوع في 14 عشر جزءا قال في مقدمته: " وبعد فهذا تفسير رجل يزقني إباضي وهبي ويعتمد فيه على الله ثم على ما يظهر لفكره بعد إفراغ وسعه ولا يقلد فيه أحدا إلا إذا حكى فيه قولا أو قراءة أو حديثا أو قصة أو أثرا لسلف."[1].

– **التيسير في التفسير:** وهو مطبوع، قال في مقدمته: " أما بعد فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد إلى دار المعاد الذي ألفته في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل أنشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يمل."[2].

– **داعي العمل ليوم الأمل:** يذكر أنه " في أربعة أجزاء، فسَّر فيه من سورة الرحمان لسورة الناس."[3]، تفسير لم يكمل من سورة الرحمان إلى سورة الناس قال إبراهيم أطفيش: " لقد رأيت في التفسير من التحقيق ما لم أره في غيره."[4]. اشتغل الشيخ اطفيش بالعلم تحصيلا وتعليما وأمضى حياته في نشره إذ " عكف على التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد إلى أن وافاه الأجل في مسقط رأسه وعمره ستة وتسعون عاما."[5]. إلى أن وافاه الأجل عام 1332هـ/1914م.

– **طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني (1338هـ)**[6]: السَّمْعُوني نسبة إلى سمعون من بلاد البربر، ولد طاهر الجزائري بتاريخ 1268هـ. وتذكر المصادر أن " أصله من وغليس بالجزائر"[7]. وقد حدث لكثير من العائلات الجزائرية أن غادرت أرض الوطن لما تعرض إلى الاحتلال الفرنسي فـ" هاجر أبوه إلى سورية سنة 1264هـ، فولد هو بدمشق. وبها نشأ."[8]. وليس بين أيدينا الآن شيء عن مشايخه لكن مشايخه بالإجازة قد تمكنا من معرفة بعضهم نذكر ذلك في محله. وهو رحمه الله " من عمد الإصلاح اللغوي والديني."، رحل إلى القاهرة مرارا وتولى بها وظائف علمية وثقافية.

ومن تلامذته المشرقيين وهم كثيرون الشيخ أحمد النويلاتي (1357هـ) " لازم الشيخ طاهر الجزائري مدة طويلة قرأ عليه خلالها علوم التفسير، والحديث والبلاغة، وتأثر به وصار يهاجم الخرافات المدسوسة على الدين ويستنكر الأشياء التي تشوه نقاوته، فاتهموه بالخروج على الدين، لكنه لم يهتم لأحد. بل كان يهتم بإصلاح أحوال الدين والمجتمع."[9].

---

[1] – همیان الزاد، المرجع نفسه. ج 05/1.

[2] – تيسير التفسير، المرجع نفسه. ج 07/1.

[3] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 20.

[4] – معجم المفسرين، المرجع نفسه. ج 658/2.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 20.

[6] – مصادر الترجمة: معجم المفسرين 241/1، الأعلام 320/3، معجم أعلام الجزائر: 101ـ

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 101.

[8] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 101.

[9] – نثر الجواهر والدرر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، المرجع السابق. 216.

من تلامذته محمد المبارك الجزائري (تـــ: 1330ه)ـــ "درس الأدب والتفسير"[1]. وقد ألف طاهر الجزائري في فنون منها التفسير فله فيه كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، وقد طبع مرارا، كما ألف في التفسير ويبدوا أنه استوفاه فقد ذكرت المصادر أن من " كتبه التي لا زالت مخطوطة: تفسير القرآن في أربع مجلدات."[2]. وهو في الحقيقة حاشية على البيضاوي. كما تذكر كتب فهارس المخطوطات أنه فسر " مجموعة من الآيات. ص: 2187، 188، 189."، وفي موضوع آخر أنه " تفسير بعض الآيات من سور مختلفة. ص: 188. وقد ذكرنا مراجع هذا التفصيل في محلها من التعريف بأعمال الشيخ طاهر الجزائري فلا أطيل بتكرارها.

ووقع تفصيل بياناتها على النحو التالي:

- تفسير مجموعة من الآيات من سور مختلفة من القرآن الكريم.
- تفسير مجموعة من الآيات منقولة من الطبري والنيسابوري.
- تفسير مجموعة من الآيات من سور مختلفة.

وقد اطلع بعض الباحثين على التفسير المذكور فقال ما نصه: تفسير الشيخ طاهر الجزائري: يسر الله تعالى لي الإطلاع على هذا التفسير في مكتبة الأسد بدمشق، واسمه كما ورد في الفهرسة: التذكرة وفيها تفسير البيضاوي، يقع التفسير في أربع مجلدات كبار بخط المؤلف نفسه ومصور على بطاقات مكروفيلمية. التفسير عبارة عن حاشية على تفسير البيضاوي.يبدأ المؤلف رحمه الله تعالى بإدراج صفحات مطبوعة من تفسير البيضاوي يعلق على هوامشها بخط يده ثم يبدأ في تفسير الآيات التي تناولها البيضاوي ويطيل في تفسيرها ويكثر النقولات، وأحياناً يدرج صفحات من كتب كما هي، ينقل كلام شيخ الإسلام وكلام غيره.

المجلد الأول: يقع في 583 ورقة.

المجلد الثاني: يقع في 573 ورقة.

المجلد الثالث: يقع في 1183 ورقة.

المجلد الرابع: يقع في 457 ورقة.

مع ملاحظة أن ترتيب المجلدات في الفهرس غير صحيحة حيث أن المجلد المفهرس الأول هو في الواقع الثاني، والمجلد الثاني هو في الواقع الثالث، والمجلد الثالث هو في الواقع الأول .والمجلد الأول ذكر فيه مقدمة طويلة عن علوم القرآن وأصول التفسير وعلوم نفيسة ثم شرح في تفسيره وللأسف يكثر في سورة البقرة سواد الكربون الذي على الميكروفيلم ولعل أصل المخطوط يكون أوضح. وللمؤلف مخطوطات عديدة أخرى في التفسير ولكنها تفاسير آيات أوسور متفرقة.[3].

---

[1] - نثر الجواهر والدرر، المرجع نفسه. 1460.

[2] - معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 101، معجم المفسرين، المرجع نفسه. ج 241/1.

[3]- نص للباحث وائل حجلاوي بتاريخ 11/07/2006.

وتتصل أسانيد الشيخ طاهر الجزائري بما في كتابه عقود اللآلي في الأسانيد العوالي، وآخر من يرويه عنه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة فقد قال عن عقود اللآلي أنه " للعلامة المحدث المفسر المحقق السيد طاهر بن محمد بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الحسني الجزائري الأصل الدمشقي المولد والوفاة سنة (1268 – 1338هـ) رحمه الله تعالى. يرويه شيخ عن محمد راغب الطباخ ومحمود العطار، وأحمد بن محمد شاكر، ومحمد بن سعيد النعسان، كلهم عنه."[1]. ومن أراد الاستزادة فليعد إلى الكتاب المذكور في مواضع مختلفة منه.

– **صالح بن عمر بن داود بن صالح بن يحمد الأعلى (تـ: 1347هـ)**[2]: ولد صالح بن عمر يوم الأربعاء 20 رمضان 1287هـ/1870م، وهو جزائري الأصل وبها تعلم ثم " سافر إلى تونس – على علته – مرتين فاجتمع بعلمائها وحضر دروسهم في الزيتونة، كما حضر دروسا في الجامع الأزهر بالقاهرة عند مروره بها في طريقه إلى الحج، وحج مرتين، وكان في كل مرة يجتمع بعلماء الحجاز. أقام في الحجة الثانية عاما كاملا أمضاه في القراءة ومجالسة العلماء."[3].

من مشايخه الشيخ المفسر محمد بن يوسف اطفيش " ثم ختم مشواره بمعهد قطب الأئمة الشيخ اطفيش مرورا بالشيخ الحاج محمد بن عيسى أزبار."[4]، وهذا وإن كان نصا عاما إلا أن وقع التنصيص على أنه " درس عند القطب كتبا عالية في التفسير والحديث والفقه وغيرها."[5]. والشيخ صالح بن داود " ...مفسر..."[6].

جلس صالح بن عمر مجلسه " للتعليم والتوجيه وهو في سن مبكرة، وكان ذلك بدار بحي " لبْدُوعات" عام 1308هـ/1889م. ولما توفي شيخه أَزْبَار خلفه في معهده قبل ذهابه إلى معهد القطب في الميدان بعد رحيله. فهو من العلماء البارزين الذين أثروا في النهضة العلمية الحديثة."[7].

وكان من رجال الإصلاح عمل " على تطهير المجتمع من العادات السيئة، واجتثاث البدع والخرافات."[8]. ألف في التفسير بالخصوص " (القول الوجيز في كلام الله العزيز) في التفسير لم يكمله.(مخ)."[9]، كما أن له " رسالة في التزهيد عن الدنيا فسر فيها بعض آيات في الموضوع.(مخ)."[10]. توفي رحمه الله يوم السبت 27 ربيع الثاني 1347هـ/ 13 أكتوبر 1928م.

---

[1] – امداد الفتاح من أسانيد عبد الفتاح، المرجع السابق. 430.

[2] – مصادر الترجمة: نهضة الجزائر الحديثة:378/1، 129/2- 144، قطب الأئمة :82.

[3] – معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 229/2.

[4] – المرجع نفسه 229/2.

[5] – المرجع نفسه 229/2.

[6] – المرجع نفسه 194.

[7] – المرجع نفسه 229/2.

[8] – المرجع نفسه 229/2.

[9] – المرجع نفسه 229/2.

[10] – المرجع نفسه 229/2.

– **أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي (1353هـ)**: أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المستغانمي الشهير بالعلوي، وبابن عليوة. ولد عام 1291هـ/1874م فهو من أهل مستغانم وله زاويته المشهورة بها إلى يوم الناس هذا. ليس بين أيدينا أسماء مشايخه ويتهمه بعض علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنه كان أميا لا شيخ له. لكن ذلك من التحامل فبعد أن " زار أقطار المغرب الكبير ثم دخل المشرق وحج وزار اسطنبول."[1]؛ صار له مريدون كثرٌ. وألف تآليف منها في التفسير وهو ما يهمنا هنا. وقد اطلعت على البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، وسيأتي التعريف به، كما له لباب العلم في تفسير سورة النجم، وقد عرّفت به أيضا، كما أن له أيضا تفسيرَ سورة والعصر وقد سيأتي التعريف بها أيضا. توفي رحمه الله عام 1353هـ/1934م.

– **عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي**[2]: ولد ابن باديس عام 1308هـ/1889م. " بمدينة قسنطينة."[3]. " تعلم بمسقط رأسه ثم بتونس حيث أتم دارسته بجامع الزيتونة وتخرج بشهادة التطويع عام (1911– 1912م)."[4]. رحل ابن باديس " إلى المشرق وحج ولقي في رحلته جماعة من العلماء. وعاد سنة 1913م."[5]. وبمناسبة هذه الرحلة حج وزار لبنان وسوريا ومصر في رحلة العودة، وأجازه الشيخ بخيت بشهادة العالمية من الأزهر. كما في المرجع أعلاه.

من مشايخ ابن باديس الشيخ حمدان الونيسي، و" من شيوخه الذين درس عليهم واستفاد منهم محمد الطاهر بن عاشور المفسر صاحب التحرير والتنوير، ومحمد النخلي القيرواني، ومحمد الخضر حسين، والصالح النيفر...". ومن مشايخه بتونس لما سافر إليها سنة " (1326هـ= 1908م) وانتسب إلى جامع الزيتونة، وتلقى العلوم الإسلامية على جماعة من أكابر علمائه، أمثال العلّامة محمد النخلي القيرواني المتوفى سنة (1342هـ= 1924م)، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الذي كان له تأثير كبير في التكوين اللغوي لعبد الحميد بن باديس، والشغف بالأدب العربي، والشيخ محمد الخضر الحسين، الذي هاجر إلى مصر وتولى مشيخة الأزهر."[6].

لابن باديس رحمه الله تلاميذ كثيرون فقد فسر القرآن الكريم سنين طويلة وكتب تفسيره في مجلة الشهاب ؛ إذ كان ابن باديس رحمه الله "... من كبار رجال الإصلاح في الجزائر..."[7]. ولما عاد إلى الجزائر وقد أتم

---

[1] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 367.

[2] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر: 28ـــ29، نهضة الجزائر الحديثة 48/2. معجم المفسرين 259/1، مجلة المنهل 362/26، معجم المؤلفين 66/2، آثار عبد الحميد بن باديس لعمار طالبي مقدمة التحقيق.

[3] – معجم أعلام الجزائ، المرجع نفسه. 28.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

[6] – المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، المرجع نفسه. 148.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

تعليمه بتونس ورحلته إلى أرض الحجاز ومصر " درس بالجامع الكبير، وحاك أعداؤه المكائد ضده فرحل إلى المشرق."[1]. ومنذ تاريخ عودته " سنة 1913م أخذ على عاتقه أن "يعلم النَّشْءَ الجزائري ويعده من أجل المستقبل."[2]. وفيما يخص التفسير فقد اشتغل " بتدريس تفسير القرآن بقسنطينة خمسا وعشرين سنة، فاحتفلت الجزائر بختمه له في الثالث عشر من ربيع الثاني سنة سبع وخمسين وثلاثمائة من الهجرة." [3]. ويهمنا هنا أن نشير إلى كلمة الإبراهيمي التي ذكرناها في الفصل السابق عن طريقة تفسير ابن باديس، وكذا كلمة توفيق شاهين في تفسير ابن باديس[4].

ألف ابن باديس على أن تآليفه قليلة ووجيزة منها في التفسير مجالس التذكير في التفسير، وقد " نشرت نبذٌ منه، ثم جمع تفسيره لآيات القرآن باسم مجالس التذكير، وطبع ونشر بالجزائر، وطبعته دار الفكر باسم تفسير ابن باديس ...". [5]. كما نشر له الأستاذ أحمد بوشمال في ذكرى وفاته تفسير آيات من سورة الفرقان.[6].

للشيخ ابن باديس متصلة عن شيخه الخضر حسين، وشيخه حمدان لونيسي، وكذا عن الشيخ محمد بخيت يوم أن زار ابن باديس مصر. توفي ابن باديس رحمه الله عام 1359هـ/1940م.

– **محمد بن الخضر بن الحسين الجزائري (1377هـ)**[7]: ولد رحمه الله عام 1293هـ، " في واحة النخيل " نَفْطَة " في الجنوب التونسي."[8]. وترجع أصوله إلى الجزائر، وكان أن هاجر أبوه إلى تونس فرار من واقع الاحتلال الفرنسي. انتقل إلى تونس العاصمة "حيث جامع الزيتونة عام 1306هـ/1886م."[9]. فأخذ عن شيوخه منهم في التفسير بالخصوص العلامة عمر بن الشيخ (1329هـ) " تلقيت عن الأستاذ رحمه الله دروسا من تفسير البيضاوي."[10]، كما أخذ عن أحمد بن محمود كريم التونسي التركي الأصل له تفسير سماه: نسيم السحر في تفسير ما أعرب الأزهري من السور، وشرح على البسملة في جزء مستقل[11].

---

[1] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

[2] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

[3] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

[4] – الطرهون، المرجع نفسه. ج ي 223/1.

[5] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 223/1.

[6] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 223/1.

[7] – مصادر الترجمة: معجم المؤلفين التونسيين 126/2، موسوعة الأعمال الكاملة لرضا كامل المحامي.

[8] – موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، المحامي علي الرضا الحسيني. 11/1.

[9] – موسوعة الأعمال الكاملة، المرجع نفسه. ج 12/1.

[10] – المرجع نفسه 144/11.

[11] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 194/1.

وهنالك شخصية ثالثة إضافة إلى أن الخضر حسين أخذ عنه التفسير فقد تأثر بها وهي الشيخ سالم بوحاجب " كان من أولي النظر الواسع في شؤون الاجتماع وما تقتضيه المدنية الراقية، وكذلك كانت دروسه في علوم الشريعة مملوءة بالبحث عن أسرارها من حيث المطابقة لما تقتضيه مصالح الشعوب."[1].

بعد أن تأهل الشيخ وحصل على درجات التعليم بالزيتونة " فحصل على شهادة التطويع يوم الأحد 14 صفر الخير عام 1316هـ." [2]، وتولى التدريس به " هاجرت أسرة الإمام إلى دمشق سنة 1329هـ/1911م. ودامت رحلته أربعة أشهر وستة أيام[3]، ثم رجع إلى تونس لأمور معلومة في محلها، ليعيد بعد ذلك رحلة الاستقرار[4] من عام 1920م إلى 1958م. وهنالك تسنى له بعد أن تعرف على أعيانها في الثقافة والأدب أن ينجز." رحلته إلى ألمانيا[5] للاجتماع بالأسرى المغاربة مرة 1917م، وأخرى 1918م.

وكان له رحمه الله نظرة في طريقة تفسير القرآن يقررها في المناسبات التي يتولى فيها التفسير وهي أنه من " واجب الكاتب في التفسير أن يتجه إلى تمحيص الروايات ولا يعول إلا على ما صحت روايته، وأن يكون عارفا بعلوم اللغة العربية وفنون بلاغتها."[6].

ألقى الخضرُ حسين التفسير على شكل مقالات تفسيرية وأخرى " دروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة." [7]. إضافة إلى أن جزءا من أعماله التفسيرية هي " تفسير آيات كريمة من السور القرآنية في دروس دينية يلقيها في المساجد الكبرى".

ألف الخضر في التفسير وكان ما ألفه عبارة عن مقالات ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة."[8].، ودروس ألقاها في المساجد والنوادي في مناسبات مختلفة جمعها كامل المحامي تحت عنوان أسرار التنزيل وشملت " تفسير القسم الأكبر من سورة البقرة من الأولى حتى الآية 195. إضافة إلى سورة الفاتحة.

ونشر هذا القسم من التفسير في مجلة " لواء الإسلام" بدءا من العدد الأول الصادر في رمضان المبارك سنة 1366هـ." [9] إلى " آخر الصفحات من التفسير هي تلك التي نشرها في العدد الثاني عشر من السنة الرابعة

---

[1] – موسوعة الأعمال الكاملة، المرجع نفسه. ج 184/11.

[2] – المرجع نفسه. 13/1.

[3] – المرجع نفسه. 13/1.

[4] – المرجع نفسه. 13/1.

[5] – المرجع نفسه 13/1.

[6]– المرجع نفسه. 13/1.

[7] – موسوعة الأعمال الكاملة. 04/1.

[8] – المرجع نفسه. 04/1.

[9] – المرجع نفسه المرجع نفسه. 18/1.

لمجلة لواء الإسلام الصادر في شهر شعبان لعام 1370هـ/ الموافق شهر مايو أيار لعام 1951م "[1]. كما أنه شمل " تفسير آيات قرآنية كريمة من سور مختلفة وهي آية من سورة آل عمران، آيات من سورة الحج، آيات الصيام، ثلاث آيات من سورة الأنفال، أربع آيات من سورة يونس، خمس آيات من سورة ص."[2].

تتصل أسانيد الشيخ الخضر حسين إضافة إلى ما تلقاه من دروس التفسير مباشرة عن شيوخه، بما يرويه من إجازات وأثبات عن شيوخه المتعددين ومن ذلك عمدة الأثبات في الاتصال بالفهارس والأثبات، للعلامة المحدث المؤرخ المسند أبي عبد الله محمد المكي بن عزوز الحسني الإدريسي التونسي ثم الإستانبولي المالكي (1270هـ - 1334هـ) رحمه الله تعالى. يرويه شيخنا ـ أبو غدة ـ عن محمد الخضر حسين، ومحمد عبد الحي الكتاني، وصالح الفضيل التونسي كلهم عنه."[3]. وكذلك يروي مجموعة إجازات ابن خوجة، للعلامة الفقيه الأصولي أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد خوجة التونسي الحنفي (1245هـ - 1313هـ) رحمه الله تعالى. ويرويه شيخنا ـ عبد الفتاح أبو غدة ـ عن محمد الخضر حسين وصالح الفضيل التونسي ومحمد عبد الحي الكتاني كلهم عن محمد المكي بن عزوز عنه."[4]. ومن أراد التفصيل أكثر فليعد إلى الكتاب المذكور في مواطن متعددة منه.

توفي الخضر حسين الجزائري رحمه الله " بعد ظهر يوم الأحد 13 رجب 1377هـ/02 شباط 1958م، ودفن بناء على وصيته إلى جانب رفيقه العلامة أحمد تيمور باشا في مقبرة آل تيمور الخاصة جانب مسجد الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقاهرة."[5].

- محمد الحجوي الثعالبي (1291هـ ـ 1376هـ)[6]: " شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن العربي بن محمد بن أبي يعزى بن عبد السلام بن الحسن بن الحجوي الثعالبي الزينبي الفاسي المالكي. والحجوي والثعالبي نسبة لقبيلة بالجزائر، والجعفري نسبة إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب...أخذ عن جملة من المشايخ المغاربة، وفي سنة 1316هـ جلس للتدريس بإذن مشايخه، فدرس في الرباط ومراكش وغيرهما في البخاري، ومسلم والموطأ والشمائل ومختصر خليل المالكي، وألفية ابن مالك بشروحها خاصة المكودي، وبداية المجتهد لابن رشد والفروق للقرافي، وغير ذلك...وكان علامة محققا برع في المعقول والمنقول. تولى عدة مناصب منها وزارة العدلية."[7].

---

[1] - المرجع نفسه المرجع نفسه. 03/1.

[2] - المرجع نفسه. 03/1.

[3] - امداد الفتاح، المرجع السابق. 430.

[4] - امداد الفتاح، المرجع السابق. 447 - 448.

[5] - مصادر الترجمة: نثر الجواهر والدرر 1095.

[6] - مصادر الترجمة: نثر الجواهر والدرر 1132.

[7] - نثر الدرر 1132.

ولاشك أن هذه من أهم علوم الآلة التي تؤهل المتقدم للتفسير أن يشرع فيه فيتقنه. هذا وإن جملة مشايخه هم على هذه الشاكلة من التقدم في الحديث واللغة وآدابها. وإن هذا الذي نقلته وإن لم يرد فيه شيء بخصوص التفسير. إلا أن نصا في مكان آخر يدل على تدريسه التفسير، فقد قال وهو يتحدث عن نفسه " ولا زلت على مباشرة ما يمكنني من الدروس بالرباط فقد قرأت الفرائض الخليلية مرة بعد المرة وجملة بين البخاري بالرباط وسلا، وأعدت التفسير ثانيا بالجلالين ثم بالبيضاوي إلى آل عمران، وحظا وافرا من الربع الثالث من المختصر الخليلي بالزرقاني وحواشيه وبداية المجتهد لابن رشد الحفيد وختمت جمع الجوامع والشمائل مرارا وقاربت إتمام النصف من فروق القرافي ...وكلما رجعت إليه في رخصة من الرخص أو فرصة من الفرص أعدت قراءة التفسير بجامعه الأعظم." [1].

وتتصل أسانيد الشيخ الحجوي الثعالبي بما في كتابه العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقوى، ومختصر العروة الوثقى – ط– للعلامة الفقيه المؤرخ محمد بن الحسن بن العربي الحجوي الثعالبي الجعفري الزينبي الفلالي المالكي (1291هـ - 1376هـ) رحمه الله تعالى يرويه شيخنا أبو غدة عن محمد ياسين الفاداني ومحمد الشادلي النيفر، كلاهما عنه."[2].

– عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي (1379هـ/)[3]: ولد عمر راسم 1300هـ- 1883م " بمدينة الجزائر سنة ثلاثمائة وألف."[4]. وليس بين أيدينا الآن على من تتلمذ من مشايخ الجزائر يومها، من أمثال ابن سماية وغيره، ولكنه كان كما يصفه به المؤرخون " من الرعيل الأول في الإصلاح والكفاح..."[5]. وقد كانت الفترة فترة تغيرات كبيرة مست الجزائر يومها وكان أن وصلتها رياح الجامعة الإسلامية فعرف عمر راسم منذ " صباه بأفكاره الإصلاحية وكان من أوائل الجزائريين المعتنقين لمذهب الإمام محمد عبده المفسر."[6]. وكان هذا الأخير قد زار الجزائر 1903م، والتقى بجماعة من علماء الجزائر منهم بن سماية المذكور وغيره. وليس بين أيدينا أكثر من أن من آثاره " تفسير القرآن الكريم كتبه في سجنه."[7]. توفي عمر راسم بالجزائر 1379هـ/ 1959م.

---

[1] – الفكر السامي الحجوي الثعالبي، المرجع نفسه. 500/2.

[2] – امداد الفتاح، المرجع نفسه. 367.

[3] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الجزائر/ 244، تاريخ الصحافة العربية: 264/4 و262، الصحافة العربية نشأتها وتطورها 223، كلية الآداب الجزائرية، العدد 1964، تقويم الأخلاق: يناير 1927، حياة كفاح 52.

[4] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 267/1.

[5] – الطرهوني 267/1.

[6] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 267/1.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 244.

– **محمد العربي التباني (1390هـ)**[1]: " محمد العربي بن التباني بن الحسين بن عبد الرحمان بن يحي بن مخلوف بن أبي القاسم بن علي بن عبد الواحد العلامة المؤرخ النسابة الثقة المشارك في كل الفنون معقولها ومنقولها التباني السطيفي، الجزائري. ولد بقرية راس الوادي من أعمال سطيف سنة 1315هـ، وتلقى مبادئ العلوم بوطنه عند مشايخ من أبرزهم عبد الله بن القاضي اليعلاوي، ومكث بالزيتونة أشهرا سمع من علمائها، ثم رحل إلى المدينة المنورة فأخذ عن علمائها، منهم أحمد بن محمد خيرات الشنقيطي(1336هـ)، وأخذ عن العلامة حمدان لونيسي الجزائري فنون منها تفسير الجلالين، وألفية ابن مالك... وفي سنة 1338هـ عين مدرسا بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة نظرا لمزيد تفوقه ونبوغه، فدرس عدة فنون منها النحو، والصرف والبيان والفقه، والحديث والتفسير والفرائض... كما اشتغل بالتدريس في الحرم الشريف فدرس الحديث والتفسير والأصول والبلاغة والتاريخ الإسلامي، وختم الطلاب عنده كتبا كبارا منها: الصحيحين، وموطأ مالك، والجامع الصغير للسيوطي، وتفسير الإمام البيضاوي وتفسير الإمام النسفي، وتفسير الحافظ ابن كثير، وجمع الجوامع وسيرة ابن هشام...والإتقان في علوم القرآن للسيوطي...."[2].

تتصل أسانيد الشيخ محمد العربي التباني بما في يرويه عن شيوخه ككتاب عنوان الأسانيد. – ط– وهو كما قال أبو غدة" العلامة الإمام المفسر الفقيه المتفنن مفتي الشام السيد محمود بنمكن محمد نسيب بن حسين بن يحي الحزاوي الحسيني الدمشقي الحنفي (1236هـ – 1305هـ) رحمه الله تعالى يرويه أبو غدة عن محمد العربي التباني المكي عن يوسف النبهاني عنه."[3]. ويرويه عنه أبو غدة، ومن أراد أسانيد التباني المذكور فليراجع امداد الفتاح في ترجمة شيخه.

– **محمد بهجت بن محمد بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم العلامة اللغوي المطلع الدمشقي، الميداني الشهير بالبيطار(1311هـ/1396هـ)**[4]: ولد سنة 1311هـ في الثاني من رمضان من أسرة عريقة اشتهرت بالعلم، كان جدها هاجر إلى دمشق من بلدة البليدة بالجزائر، وسكن حي الميدان الشهير...قرأ على العلامة جمال الدين القاسمي، والعلامة السيد محمد الخضر حسين...

واشتهر في خطبه بتفسير بعض آيات من القرآن الكريم تحل بعض المشكلات الزمنية، وكثيرا ما كان يقصده بعض العلماء فضلا عن التلاميذ بقصد الاستفادة...اشتغل الشيخ بهجة البيطار باللغة العربية وبرع فيها، وصار من أفاضل علمائها في عصره، ودخل المجمع العلمي بدمشق سنة 1342هـ، ثم المجمع العلمي بالعراق 1375هـ، ثم مجمع القاهرة سنة 1380هـ، وشارك في هذه المجمعات بأبحاث علمية قيمة، وساعد على نشر العديد من الكتب..."[5]. والذي يهم التفسير هنا ما ذكر من اعتماده على تفسير الآيات القرآنية في

---

[1] – مصادر الترجمة: نثر الجواهر والدرر 1345.

[2] – نثر الجواهر والدرر، المرجع نفسه. 1345.

[3] – امداد الفتاح، المرجع نفسه. 451.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 244.

[5] – نثر الجواهر والدرر، المرجع نفسه. 1095.

الخطب الدينية ولاشك أن ذلك كان عملا مستمرا وإلا فلا فائدة في ذكره فضلا عن الإشادة به. وأيضا ما ذكر من أن له تأليفا بعنوان تفسير سورة سيدنا يوسف. إضافة إلى كونه تلميذا لعلمين من أعلام التفسير في زمانه وهما القاسمي والخضر حسين.

– **إبراهيم بن إسماعيل اليعقوبي الجزائري (1406هـ)**[1]: إبراهيم بن إسماعيل بن محمد الصديق بن محمد الحسن اليعقوبي الحسني الجزائري، ثم الدمشقي، يرجع أصل أسرته إلى الجزائر. هاجرت أسرتُه عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر، وذلك عام 1263هـ. ولد الشيخ إبراهيم اليعقوبي عام 1342هـ بدمشق وحفظ في كتاتيبها القرآن. له مشايخ عديدون هم جملة مشايخ الشام يومها. ومنهم في فترات التحصيل الأولى الشيخ محمد الهاشمي الذي كان " يصطحبه معه إلى جامع البريدي، وجامع نور الدين الشهيد والمدرسة الشامية، حيث يقيم مجالس الذكر والعلم، فحفظ عليه آنذاك " نظم عقيدة أهل السنة "، وقرأ عليه شرح الرسالة للشرنوبي والزرقاني، وبلغة السالك في الفقه المالكي...والرسالة القشيرية..." [2]. وغالب ذلك كما ترى في فقه مالك وعقيدة الإمام الأشعري. ويدل ذلك على تمسك كثير من المهاجرين بمذاهبهم الفقهية التي ورثوها أبا عن جد.

وفي نص آخر وهو ما يهم الباحث هنا أكثر ما يفيد أنه أخذ علم التفسير مبكرا عن الهاشمي المذكور، إذ " حضر عليه في الجامع الأموي وغيره شرح ابن عاشر للشيخ محمد بن يوسف عبد الكافي المسمى المرشد المعين، وتفسير ابن عجيبة، والبحر المديد، وشرح الحكم لابن عجيبة، وشرح البيقونية للزرقاني، وعوارف المعارف للسهروردي، ونوادر الأصول، والفتوحات المكية، والحكم العطائية والصحيحين." [3]. وهي فنون متعددة منها التفسير كما مر والفقه والتصوف والحديث.

وكانت الدروس العامة التي كان يلقيها مشايخ دمشق محل فائدة للطلبة لتنوع موضوعاتها، واختلاف أساليبها بما يتناسب والحضور وقضايا الوقت. " حضر الدروس العامة التي كان يقيمها في جامع السنانية الشيخ كلي الدِّقْر، والشيخ هاشم الخطيب، والشيخ محمد شاكر المصري الشهير بالحمصي، والشيخ عبد المجيد الطرابيشي، وعلى الأخير حضر في ملتقى الأبحر، ومراقي الفلاح..."[4]. وبعض ما ذكر من فنون التخصص العلمي.

ومن مشايخ صاحب الترجمة الجزائريين وإن لم يكن ذلك في التفسير كما يفيده النص التالي الشيخ محمد بن يلس(تـ:1927م) إذ لازم الشيخ اليعقوبي " دروس الشيخ أحمد بن محمد بن يلس التلمساني في داره، فقرأ عليه سبل السلام شرح بلوغ المرام، وشرح الحكم لابن عجيبة، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول، وحاشية

---

[1] – مصادر الترجمة: تاريخ علماء دمشق الحافظ 3/471-474، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر: 1695.

[2] – نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، يوسف المرعشلي (دار المعرفة – لبنان– ط:01، 2006م) / 1695.

[3] – نثر الجواهر المرجع نفسه: 1695.

[4] – المرجع السابق. 1695.

العروسي على الرسالة القشيرية، وسنن ابن ماجة...وأجازه شفهيا." [1]. وهي فنون متعددة تشمل الفقه المالكي، والحديث والتصوف.

وفي نص جامع يشير إلى شيخ بارز من شيوخ اليعقوبي درس عليه زيادة على التفسير ما هو من صميم ثقافة المفسر كما مر التنبيه عليه مرارا من العربية والفقه والحديث...وهو الشيخ صالح الفرفور (تـــ:) إذ أن اليعقوبي قد " قرأ على الشيخ محمد صالح الفرفور تفسير النسفي من أوله إلى سورة يس، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وشرح المنار لابن ملك، وشرح السراجية، وجواهر البلاغة، وأسرار البلاغة، والكامل لابن المبرد، وتدريب الراوي، والرسالة القشيرية، وحضر دروسه الصباحية في حاشية ابن عابدين، وصحيح الترمذي، والمنن الكبرى، وشرح الحكم لابن عجيبة، واليواقيت والجواهر، ونحوا من ثمانية أجزاء من عمدة القاري. كما حضر دروسه المسائية في شرح القطب الرازي على الشمسية، في المنطق، لنجم الدين الكاتبي، وحاشية العدوي على خلاصة الحساب للعاملي، وحاشية الباجوري على الجوهرة مرات، وشرح المسايرة لابن أبي الشريف. وحضر عليه بعد العصر في داره في تفسير الكشاف للزمخشري...وطلب منه الإجازة فأجازه شفهيا مرات، ووعده بكتابة إجازة خطية توفي قبل إنجازها." [2].

وبدوره اشتغل اليعقوبي بالتدريس في مدارس ومساجد عديدة بل في ثانويات شرعية " بدأ التدريس دون العشرين في جامع سنان باشا، وعين مدرسا رسميا تابعا لمديرية أوقاف دمشق في جامع درويش باشا سنة 1376هـــ، وعين قبلها سنة 1373هـــ إماما في جامع الزيتونة، ثم جامع البريدي، ثم في الجامع الأموي في المحرابين المالكي ثم الحنفي حتى عام 1390هـــ. وعين مدرسا تابعا لدار الإفتاء عام 1378هـــ. درس في جامع العثمان سبع سنوات قبل وفاته، ودرس في الثانوية الشرعية، ومعهد الفتح الإسلامي..." [3]. وكان من دروسه تفسير القرآن كما يدل على ذلك النص الذي سأذكره في تآليفه والتي منها المحاضرات في تفسير القرآن الكريم؛ وهي دروس أملاها في جامع العثمان. كما في نثر الجواهر.

وللشيخ إبراهيم اليعقوبي الجزائري أسانيد متصلة بكتب العلماء منها إجازة شيخه محمد الهاشمي " وأجازه بخطه إجازة عامة مؤرخة في 24 شوال 1379هـــ، في المعقول والنقول وأوراد الطريقة الشاذلية." [4]. وله أيضا " إجازات كثيرة غير ما ذكر، منها إجازة الشيخ عبد الكريم الصقلي، وإجازة الشيخ زين العابدين التونسي، وإجازة من الشيخ علي البودليمي." [5].

وأهم إجازة حصل عليها الشيخ إبراهيم إجازة شيخه محمد العربي العزوزي ونصها موجود في مصادر ترجمته، وهو يحوي على مجموعة أثبات مشهورة منها: ثبت العابد السندي، وثبت الشيخ صالح الفلاني، وثبت

---

[1] – نثر الجواهر، المرجع نفسه. 1695.

[2] – نثر الجواهر، المرجع نفسه. 1695.

[3] – نثر الجواهر، المرجع نفسه. 1698.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 244.

[5] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 244.

الأمير المالكي، وثبت جعفر الكتاني، وثبت المهدي الوزاني، وثبت الروداني صلة الخلف، وثبت العزوزي نفسه جامع الأثبات والمشيخة والمسانيد. كما في نثر الجواهر. رحمهم الله رحمة واسعة. توفي اليعقوبي ليلة الجمعة 26 ربيع الأول 1406هـ.

– **إبراهيم بن عمر بيوض (1401هـ)**[1]: من المفسرين الجزائريين المعاصرين لجمعية العلماء الجزائريين، انخرط في الثورة التحريرية وشهد الاستقلال الوطني. ولد سنة 1313هـ/1899م بمدينة القرارة بولاية غرداية من أرض الجزائر، وتلقى العلوم عن جملة مشايخ منهم الحاج عمر بن يحي وقد اختص به ولازمه وناب عنه في التدريس.

كان بيوض يرى " أن إصلاح الفرد والمجتمع لا يتم إلاَّ على نور كتاب الله الحكيم تلاوةً وتفسيرًا، فشرع في تفسير القرآن الكريم في مسجد القرارة الكبير بدايته." [2]. وقد امتد هذا التفسير ليشغل سنوات طويلة من عمره إذ في سنة " 1353هـ/1953م بعد أن أتم تفسير جزء عمَّ، افتتح درس تفسير القرآن الكريم من فاتحته، واختتمه يوم 25 ربيع الثاني 1400هـ/12 فيفري 1980م، وأقيم له مهرجان عظيم شهدته مختلف السلطات الإدارية والسياسية من شتى المستويات كما حضر حشد كبير من الأئمة والعلماء." [3].

وإلى جانب تدريس التفسير تولى الشيخ بيوض مهام اجتماعية، وشارك مبكرا في الحركة الإصلاحية...وكان الغالب عليه التدريس والوعظ فنجد " خلف الشيخَ إبراهيم البريكي في التدريس في دار الشيخِ عبد الله ابن إبراهيم أبو العلا فاستمر الشيخ بَيُّوض في التعلم عنده سنتين، ثم التحق بمدرسة الشيخ الحاج عمر بن يحيى وِيرُّو، وكل هؤلاء الشيوخ الثلاثة من تلاميذ القطب الشيخ اطفيش رحمه الله، واستمر في التعليم عنده وفي مدرسته إلى وفاته رحمه الله. وقد توفي الشيخ الحاج عمر ليلة سبع وعشرين من رمضان من عام: 1338هـ الموافق لـ: 1921م، وقد لازمه سبع سنوات في حضره وأسفاره وفي مدرسته متعلماً وفي بيته خادماً أميناً."[4].

– **مصطفى آل عزيز**[5]: مصطفى علي بن عزيز من مواليد الجزائر سنة 1949م، ولم أعثر بعد البحث على تفاصيل زائدة على ما أكتبه الآن؛ غير أنه استظهر القرآن الكريم ببلد الجزائر، وأتم دراسته الابتدائية والإعدادية بها. ويظهر أن ظروفا ما اضطرته إلى الإقامة بالجمهورية الليبية حيث تيسر له إتمام دراسته الثانوية، والجامعية بالجامعة الإسلامية الليبية وتخرج سنة 1972م بليسانس في الشريعة والقانون. كما يفيده آخر الجزء الأول من كتابه في التفسير.

---

[1] – مصادر الترجمة: معجم أعلام الإباضية، إبراهيم بيوض أعمالي في الثورة، الشيخ بيوض وعمله السياسي لبوحجام.

[2] – مختصر تفسير الشيخ بيوض للناصر المرموري، المرجع نفسه. 1/ 3.

[3] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 244.

[4] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 244.

[5] – خاتمة الجزء الأول من تفسير المؤلف.

وبعد تخرجه لا أعلم إن كان تولى مناصب في العمل العمومي، غير أنه " تفرغ بعدها للعمل والكتابة خاصة في التفسير القيم (الحق لما اختلف فيه من الحق) وبفضل الله تم هذا التفسير الكامل لكتاب الله من 120 جزءا صدر المجلد الأول (1-4 أجزاء)، وسوف يتم إخراجه في فترات متوالية بإذن الله." [1].

– **محمد بن عبد الكريم الجزائري (2012م)**[2]: محمد بن عبد الكريم الجزائري ولد سنة 1924م بـــقرية (زمّورة) بولاية برج بوعريريج شرق الجمهورية الجزائرية. بدأ دراسته الأولى في كتاتيب برج زمّورة على يد الشيخ العربي كشاط، كما درس على شيخه الزموري على يد بعض المتون في الفنون المتداولة يومها، ثم تلقى علوم الفلك على يد الشيخ عبد المالك الأخضري. عايش محمد عبد الكريم الحقبة الاستعمارية بكل تفاصيلها، حيث سافر إلى تونس أين مكث هناك سنة واحدة بجامع الزيتونة، ويبدو أن ظروفا اضطرته إلى العدول عن الفكرة؛ إذ سرعان ما قرر العودة إلى الجزائر، أين زاول التعليم في الطورين في التعليم الابتدائي والثانوي.

واصل محمد عبد الكريم دراسته إلى أطوارها الجامعية حيث تحصل على الماجستير ثم على الدكتوراه في الأدب العربي. بعدها سافر إلى باريس كداعية إسلامي لمدة 30 سنة.

ألّف الدكتور محمد عبد الكريم في شتى المجالات أهمها التفسير (توجيهات القرآن العظيم)، وبعد رحلة طويلة بين تونس وبيروت وتركيا وباريس استقرّ الدكتور رحمه الله أخيرا ببلده، حيث أشرف على عديد الرسائل الجامعية، لم يقعده المرض ولا ضعف البصر عن الاجتهاد والتأليف والمراجعات حتى لقي ربه صبيحة الجمعة التاسع نوفمبر 2012م بسطيف، بمسقط رأسه بزمورة.[3]. رحمه الله.

– **محمد بن إبراهيم بن سعيد سعيد كعباش (حي 2018م)**[4]: هو محمد ين إبراهيم بن بأحمد سعيد الملقب بـــ(الشيخ كعباش) من مواليد بلدية العَطْف ولاية غرداية، من الجمهورية الجزائرية. أقبل على حفظ كتاب الله في صغره، وارتحل إلى معهد القرارة عند الإمام الشيخ بيوض الحاج إبراهيم بن عمر، ثم وسع الرحلة إلى تونس الخضراء حيث درس العلوم العربية والشرعية في الجامع الزيتوني، ودرس العلوم التطبيقية في المعهد الخلدوني.

وقد تحدث هو عن نفسه فقال: " وشاءت قدرة الله أن يقيض لي ما يسر لي الأسباب إلى تحقيق ذلك، إذ أصبحت طالبا في معهد الحياة من سنة 1945 إلى سنة 1950 ثم طالبا في الجامع الزيتوني والمعهد الخلدوني من سنة 1950 إلى سنة 1954، فتحصلت على مفاتيح العلوم العربية والشرعية على أيدي علماء فطاحل أمثال المشائخ: الفاضل بن عاشور، محمد الزغواني، البشير النيفر، أحمد بن ميلاد وغيرهم ثم بين يدي الشيخ علي التريكي في علوم القراءة والتجويد على قراءة الإمام نافع روايتي ورش ونافع." [5].

---

[1] – خاتمة الجزء الأول من تفسير المؤلف.

[2] – خاتمة الجزء الأول من تفسيره توجيهات القرآن العظيم ص: 403-404.

[3] – خاتمة الجزء الأول من تفسيره توجيهات القرآن العظيم ص: 403-404.

[4]– مقدمة تفسير نفحات الرحمان، سعيد كعباش (جمعية النهضة، غرداية، الجزائر، ط:01، 2009م) ج 1/ 10.

[5]– مقدمة تفسير نفحات الرحمان، المرجع نفسه. 10.

و لم يكتف بالدراسة التقليدية في الزيتونة وغيرها بل " انتسب إلى الجامعة الجزائرية في أوائل السبعينيات فحصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي، وانخرط عضوا رسميا في حلقة العزابة الجامع العتيق بالعطف في سنة 1957م،ثم عينته الحلقة إماما ومرشدا في سنة 1970 م، وهو ما يزال بقوم بمهمته النبيلة في الإصلاح الديني والاجتماعي نصحا وإرشادا وتجلية لمعاني كتاب الله وسنة رسوله على منبر المسجد، بعد أن حدا بصفوف الأجيال على مقاعد الدراسة لما يقرب من أربعين سنة في مسيرة مهنية متواصلة لم تنقطع بفترة مرض أو نصب أو وصب، وذلك بفضل الله تعالى." [1]..

وقد أسهم الشيخ سعيد كعباش حفظه الله " بقسط وافر من التضحية والجهاد في صفوف جبهة التحرير الوطني ويتشرف بعضوية منظمة المجاهدين، وعمل بالقطاع العمومي حتى تقاعده عن العمل سنة 1990م." [2].

للمؤلف تفسير مطول يوشك أن ينتهي منه أسماه نفحات الرحمان كان في صيف 2014م في جزء عمّ منه. ومن المتوقع أنه أنهاه في السنة نفسها والله أعلم.

– محمد الهبري بم محمد بن عمر ابن محمد بلحاج المجاوي[3]: ولد يوم الأربعاء ستة ذي الحجة 1323هـ الموافق 1906/01/31م. حفظ القرآن على يد والده، وبعض إخوته، وتلقى المبادئ الأولى في العلوم الشرعية عند الشيخ مصطفى بالرابح، والتحق بمعهد الحاج الجيلالي بالعطاف – غرب بلاد الجزائر- أربع سنوات، والتحق بعدها إلى جامع القرويين بالمغرب الأقصى 1929 – 1931م. من مشايخه هناك: الشيخ عباس البناني، والشيخ القرشي، والشيخ أبو الشتاء الصنهاجي، والشيخ عبد السلام العلوي، والشيخ محمد الحاج الشهير بابن المحشّي...انتقل مباشرة بعد زواجه إلى قرية الحوت حوز تلمسان، وانتصب للتعليم والإفادة. ولما عين الاستاذ العلامة الجليل الشيخ البشير الابراهيمي بمدينة تلمسان اتصل به وأخذ يتردد على دروسه، فسمع منه دروسا قيمة في التفسير والحديث وغيرهما، وصار من المقربين إليه، بالإضافة إلى قيامه بواجب التعليم بعين الحوت..." [54].

ويفيد نفس المرجع بتصرف أن الشيخ البهري قد " انخرط في الحركة الوطنية مبكرا وصارع مضايقات السلطات الاستعمارية، وبعض أتباع الطرقية، وتعرض للاعتقال والسجن والاستنطاق مرارا، وللإقامة الجبرية أيضا والرقابة على نشاطاته التعليمية، و لم يمنعه من ذلك من المشاركة في الثورة التحريرية بحسب ما تسمح به

---

[1] – مقدمة تفسير نفحات الرحمان، المرجع نفسه.

[2] – مقدمة تفسير نفحات الرحمان، المرجع نفسه.

[3] – واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار، الهبري المجاوي، مقدمة المحقق (منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011) ج 1/ 25 – 26.

[4] – واحة الوعظ والاعتبا، المرجع نفسه. ج1/ 25 – 26.

[5] – واحة الوعظ والاعتبار، المرجع نفسه ــ ج 1/ 25 – 26.

شخصيته التعليمية والثقافية. تولى بعد الاستقلال المجيد مناصب دينية كإمامة الجامع الكبير، ومفتشا لمديرية الشؤون الدينية 1970م، ونقل منصبه إلى مدينة سعيدة.." [1].

– أبو عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القَبْلوي الشهير بالشيخ بايْ (توفي 2013م)[2]: يرجع نسبه إلى " حِمْير القبيلة العربية المشهورة باليمن.". ولد الشيخ باي 1930م في قرية ساهل من بلدية أقبلي بدائرة أولف بولاية أدرار بجنوب الجزائر. وتشير الدراسات إلى أن بلعالم تلقى المبادئ الأولى بمسقط رأسه وهي أمكنة لا تخلو عادة من التوفر على تعليم القرآن وبعض مبادئ العربية غير أننا نجده وعلى غرار كثير من الطلبة قد" انتقل إلى زاوية الشيخ أحمد بن عبد المعطي السباعي، ومكث فيها سبع سنوات قرأ فيها: الفقه المالكي وأصوله، والنحو والفرائض والحديث والتفسير..." [3]. وهي فنون متكاملة تدلّ على استقرار الحواضر العلمية بأرض توات. وفي بعض الأبحاث أنه حصل على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية من وزارة الأوقاف 1971م.

تولى الشيخ بلعالم وظيفة الخطابة بالمساجد والتدريس بها منذ السبعينات من القرن الماضي ومن ضمن ما كان يدرسه تتم الإشارة إلى أنه كان ممن " يدرس تفسير القرآن الكريم بتفسير فتح البيان لمحمد حسن خان، في خمسة أيام من الأسبوع عدا الخميس والجمعة بلغ فيه إلى سورة الواقعة وقت إعداد هذه الترجمة (1997)."[4]. وهو الكتاب المقرر للتدريس كتاب تفسير صوفي نال قبولا كبيرا بصحراء توات رغم ما ينتقد عليه من الروايات الباطلة والآثار المختلة كما سنشير إليه لاحقا.

وقد تكلم بلعالم هو عن نفسه فقد قال: " فسرنا القرآن فيها من أوله إلى آخره ووقت كتابة هذا البحث وقفنا على سورة العصر ومعتمدنا في التفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة المحقق صديق حسن خان، وفي أول القرآن أخذنا من تفسير القرآن الجامع لأحكام القرآن، ابتدأنا في التفسير من أوائل السبعينات من القرن العشرين."[5].

ألف الشيخ بلعالم تآليف كثيرة وفي فنون تقليدية متعددة ومنها في التفسير إذ شرح ألفية الغريب لبلعالم الزجلاوي وسماها: ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم (جزآن)، وهو عمل مطبوع لم يتيسر لنا الاطلاع عليه بعد. كما أن له وفي نفس الموضوع كتاب المفتاح النوراني على المدخل الرباني في الغريب القرآني.

---

[1] – واحة الوعظ والاعتبا، المرجع نفسه ـــ ج1/ 25 – 26.

[2] – الرحلة العلية، المرجع نفسه. ج 388/2.

[3] – ترجمة محمد الباي بلعالم، إعداد محمد علي الأمين الشنقيطي ضمن الرحلة العلية للباي المذكور(مطبعة دار هُومة – الجزائر– بدون تاريخ) ج 384/2.

[4] – ترجمة محمد الباي بلعالم، نفس المرجع. ج 384/2.

[5] – مصادر الترجمة: الرحلة العلية للمؤلف جزآن.

– **أبو بكر جابر الجزائري (2018م)**[1]: ولد أبو بكر جابر بقرية " لَيْوة " ببسْكرة شرق الجزائر. رحل في طلب العلم رحلته الأولى داخل الوطن " إلى العاصمة ليعمل مدرسا في إحدى المدارس الأهلية، وهناك بدأت مرحلة جديدة في حياته إذ جمع إلى عمله في التدريس مواصلة الدراسة على الشيخ الطيب العقبي من إخوان العلامة المجاهد الكبير المفسر ابن باديس، وكان للعلامة العقبي شهرته أثناء ذلك في ميادين العلم والإصلاح فلزم دروسه في التفسير طوال سنوات فكان لهذه الملازمة أثرها الكبير في شخصيته، إذ يعتبره من أفاضل مشايخه والموجه الأكبر لسلوكه في النهج الإسلامي الصحيح.."[2]. وهو بهذه الدراسة في خصوص مادة التفسير متصل السند فيه بأخذه عن أهله كابرا عن كابرٍ.

وهاجر الشيخ جابر من وطنه الجزائر بعد الاستقلال " إلى الحجاز فيما بعد فاستأنف هناك مسيرته في طلب العلم والتعليم جميعا. وقد لازم في المدينة حلقات المشايخ: عمر بري ومحمد الحافظ ومحمد الخيال ورئيس قضاتها وخطيب مسجدها النبوي الشيخ عبد العزيز بن صالح. وكان في أثناء ذلك قد سجل انتسابه إلى كلية الشريعة بالرياض ونال شهادتها العالية الليسانس سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. وحصل على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي حيث لا يزال يقوم بهذه المهمة حتى وقتنا الحالي."[3].

وتلامذته كثيرون في الجزائر وفي غيرها من سائر بلاد الدنيا ممن يقصدون البلد الحرام للدراسة، أو الإقامة، أو أداء المناسك. وذكر بعض الباحثين ما نصه: " وقد انبرى الشيخ لتدريس التفسير ضمن دروسه في المسجد النبوي التي تذاع غبّا بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية . وقد التقيت به عدة مرات وأخبرني أنه استمر في تدريس التفسير في المسجد النبوي طيلة خمس وأربعين سنة ختم خلالها القرآن أربع مرات وهو الآن في الختمة الخامسة." [4]. كما درس غيره من الموضوعات، وألف في التوحيد والسيرة وتصحيح المفاهيم والردود على أفكار رآها تستحق الرد.

له في التفسير كتاب معروف طبع مرارا وعليه حاشية: " أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وهو مطبوع في أربعة مجلدات كبار. ووضع له حاشية سماها: نهر الخير طبعت بهامشه." [5].

وقد ذكر بعض من اهتم بتحليل كتابه في التفسير على لسان الشيخ أن الدافع إلى كتبة التفسير وتدريسه على كثرة كتب التفسير أنه " نظرا لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم. تبين فيه العقيدة السلفية المنجية، والأحكام الفقهية الضرورية، مع تربية ملكة التقوى في النفوس بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء

---

[1] – مصادر الترجمة: التفسير والمفسرون بغرب إفريقيا 203/1.

[2] – الطرهوني، المرجع نفسه. ج 1/ 222.

[3] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، الطرهوني 202/1.

[4] – مصادر الترجمة: الطرهوني /212، معجم المطبوعات العربية 248/1، علماء ومفكرون عرفتهم 27/1.

[5] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا،المرجع نفسه. ج1/ 222 .

الفرائض واتقاء المحارم، مع التحمل بالأخلاق القرآنية والتحلي بالآداب الربانية."[1]. وقد لقي تفسيره قبولا كثيرا من شرائح مختلفة.

وذكر أن مراجع هذا التفسير أربعة وهي: " جامع البيان لابن جرير، وتفسير الجلالين وتفسير المراغي، وتيسير الكريم الرحمان للسعدي. ثم قال نظرا إلى أنه نظرا إلى حاجة طالب العلم إلى المزيد من المعرفة وضعت هذه الحاشية التي هي أشبه بتعليق على أيسر التفاسير وأسميتها: نهر الخير، أودعت فيها مع مراعاة الاختصار بعض ما يرغب طالب العلم في معرفته والحصول عليه من شاهد لغة أو بيان أو أثر جميل أو مستند حديث جليل أو كشف عن وجه لآية ذات وجوه، أو الوقوف على سر من أسرار القرآن، أو عجيبة من عجائب القرآن التي لا تنقضي بمرور الزمان، ولا تنتهي بتعاقب المَلَوان. وأهم من ذلك تصويب رأي أو تصحيح خطأ وقعا في التفسير مع إزالة إيهام، أو إضافة بعض الأحكام."[2]. وتوفي رحمه الله تعالى عام 2018م.

– **التواتي بن التواتي (حي 1440هـ)**[3]: ولد التواتي بن التواتي سنة 1943م بمدينة الأغواط، حفظ القرآن الكريم بالزاوية الرحمانية عند الشيخ كويسي المبروك، وتعلم بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم التحق بجيش التحرير الوطني الجزائري. وبعد الاستقلال عمل في حقل التربية والتعليم أكثر من 36 سنة، وفي مختلف الأطوار التعليمية. وهو الآن أستاذا محاضرا بجامعة عمار ثليجي بالأغواط. متحصل على شهادات متحصل على شهادة متعددة آخرها شهادة الدكتوراه في القراءات والدراسات النحوية والأحكام الشرعية.

له مؤلفات عديدة خصوصا فيما يتعلق بالقرآن وعلومه أكثرها مطبوع منها:

– القراءات القرآنية وأثارها في النحو العربي والفقه الإسلامي على جوجل الكتب.

– محاضرات في أصول النحو.

– المدارس النحوية.

– مفاهيم في علم اللسان.

– المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها.

– كتاب في التفسير " الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين" في 20 مجلدا، وهو عبارة عن دروس في التفسير ألقاها المصنف في المساجد سنين طويلة.

– الفيض القدسي في تفسير آية الكرسي: كتاب من الحجم الصغير.

– الإنسان في القرآن الكريم. بداية ونهاية.

– إرشاد العلي المنان في معرفة علم الناسخ والمنسوخ في القرآن. تحت الطبع سيظهر قريبا – إن شاء الله تعالى – وهو من أهم الكتب اللازمة لكل مفسر وواعظ وفقيه.

---

[1] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع السابق 202/1.

[2] ـ التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع نفسه. ج 203/1.

[3] – مصادر الترجمة: الموسوعة الحرة الويكيديا ترجمة التواتي بن التواتي.

– **محمد الصالح الصديق (حي في 2018م)**[1]: ولد محمد الصالح سنة 1925م، بقرية أبيزار بولاية تيزي وزو حاليا. أرسله والده إلى زاوية سيدي منصور آثْ جناد بالولاية المذمورة، حيث أتم حفظ القرآن الكريم وهو في التاسعة من عمره، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي بجبل يلولة، فتلقى هناك مبادئ اللغة العربية. ومكافأة على نجاحه، أخذه معه أبوه إلى مدينة الجزائر العاصمة حيث التقى بالشيخ عبد الحميد بن باديس. وفي سنة 1946 سافر إلى تونس لإتمام الدراسة بجامعة الزيتونة الإسلامية، وتخرج منها بشاهدة التحصيل سنة 1951م. وعند عودته إلى أرض الوطن في مطلع خمسينيات القرن العشرين، تولى التدريس في زاوية الشيخ عبد الحمن الإيلولي التي قد احتضنت الحركة الإصلاحية التي بعثها الإمام عبد الحميد بن باديس منذ الثلاثينيات. فساهم محمد الصالح الصدّيق في الحركة الإصلاحية منذ ذلك الحين بالتعليم والكتابة والنشر في الصحف. وقد كان يشرف على الشؤون الإدارية للزاوية. إنخرط فورا في العمل النضالي في مكان عمله، وعمل في إذاعة "صوت الثورة الجزائرية" التي كانت تُبث من إذاعة طرابلس وهذا حتى استقلال الجزائر. وبعد الاستقلال عين أستاذا للتعليم، وهنا قام بتأليف الكتب وبنشر المقالات في الصحف، وقدم دروسا عديدة في الإذاعة والتلفزيون الجزائري إلى أن أحيل على التقاعد. وفي أثناء مسيرته العلمية عين سنة 1981 م على رأس هيئة علمية لإحياء التراث بوزارة الشؤون الدينية، التي كان من أجل أعمالها جمع آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس. وقد أنتج وقدم برامج في الإذاعة الوطنية والتلفزيون من سنة 1968م إلى سنة 1997م. مقاصد القرآن، 1955م.

ـ البيان في علوم القرآن. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

ـ القرآن الكريم في محيط العقيدة والإيمان.

ـ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه. دار البعث، قسنطينة، 1983م، ط 1.

ـ أعلام من منطقة القبائل. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

ـ من روائع الاعجاز. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م.

[1] – مصادر الترجمة: الموسوعة الحرة، المرجع السابق.

المبحث الثاني: عرض إنتاج الجزائريين في التفسير مرتب تاريخيا.

1- التقييد الكبير للبسيلي: وهو يحمل العنوان التالي: تفسير جمعَ كلام ابن عرفة لتلميذه الشيخ البسيلي رحمهما الله آمين. قال فيه بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: " يقول عبيد الله الراجي عفوه، ومغفرته أحمد بن محمد بن أحمد البَسِيْليِّ لطف الله به وبالمسلمين بعد حمد الله كما يجب لجلاله، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله خاتم رسله، وأنبيائه، ومبلغ وحيه، وإنبائه الآتي بمعجز القرآن المتضمن للطائف، والنكت المكنونة، المشتمل على أسرار المعاني المصونة: هذا تفسير على كتاب الله المجيد، قصدت منه جمع ما تيسر حفظه، وتقييده من مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله تعالى مما كان بيديه هو أو بعض حذاق طلبة المجلس زيادة على كلام المفسرين وغيرهم، وأضفت إلى ذلك في بعض الآيات شيئًا من كتب التفسير مع ما منح به الخاطر هذا مع ممانعة ما اقتضته الحال."[1].

وفي بعض النسخ اختلاف بزيادة على ما هنا " وأضفت إلى ذلك في بعض الآيات شيئا من كتب التفسير مع ما سنح به الخاطر من الذهن الجامد والفكر الخامد وبالله سبحانه أستعين، فهو خير ميسر، وخير معين." [2].

مؤلف التقييد المذكور: أحمدُ بن محمد بن أحمد البسيلي. هكذا ورد فيما اطلعت عليه من النسخ، وعدد اللوحات 437 ق، واللوحة بقياس 180×264. ورقم المخطوط 349 بالمكتبة الوطنية الجزائرية، ومنه أيضا " في الخزانة العامة بالرباط 03 نسخ، وفي الخزانة الملكية بالرباط نسختان، ونسخة في مجلد ضخم في الزاوية الحمزية بالمغرب الأقصى، وفي المكتبة الوطنية بتونس نسخة مبتورة الأول رقم: 10792."[3]. وتاريخ نسخ المخطوط: 1074هـ. وقد قامت مجموعة من طلبة الماجستير في كلية أصول الدين بالجزائر العاصمة بالاشتراك في تحقيقه، ولا أعلم إن كان طبع بنفس التحقيق أو بإشراف آخر. وقد اطلعت على تحقيق الباحثة العالية شعراوي لسورة الأعراف منه، تقدمت بها مذكرة ماجستير 2005م - 2006م.

وقد طبع عمل مختصر لهذا التقييد بعنوان [نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد]، ألفه أبو العباس البسيلي التونسي (المتوفى 830 هـ)، وفيه نسبته إلى تونس وهي بلد الإقامة المبكرة لعائلة هذا المفسر الجزائري. وقد صرح المحقق تحت العنوان السابق بأنه: " مما اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الإمام ابن عرفة (ت 803 هـ) وزاد عليه بذيله (تكملة النُّكت لابن غازي العثماني المكناسي) المتوفى (919 هـ)". قدم له وحققه الأستاذ محمد الطبراني، وهو في ثلاثة أجزاء. وأوله: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلَّى اللَّهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وسلم تسليماً. يقول عُبيد اللَّهِ الفقيرُ إليه أحمدُ بنُ محمد البَسِيلي رحمه الله تعالى ورضي عنه بعد حَمْدِ اللَّهِ كما يجبُ لجلاله، والصلاةِ على نَبيه محمد وآلِه: "قصدتُ في هذا التقييد جمعَ نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، مما كان يمشي لنا بدرس شيخِنا أبي عبد اللَّه محمدِ بنِ عرفة -رحمه الله تعالى-

---

[1] - التقييد الكبير للبسيلي، المصدر نفسه. ج 199.

[2] - التقييد الكبير للبسيلي، المصدر نفسه. ج 199.

[3] - معجم المؤلفين التونسيين، المرجع نفسه. ج 104/1.

معَ زِيَاداتٍ وتنبيهاتٍ أضفتُها إلى ذلكَ مِنْ كَلامِ المفسرينَ وغيرهم، وبالله أسْتعين..."[1]. وآخره: " وافق الفراغ من نسخ هذا التفسير المبارك في يوم المبارك الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ثلاثين بعد الألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى السلام على يد أفقر عباد الله وأحوجهم إلى مغفرته ورضوانه محمد بن علي بن محمد الخضري الطهطاوي المالكي غفر الله له وللمسلمين."[2]. وهو عمل موجود منه نسخة إلكترونية في المكتبة الشاملة.

ولهذا التقييد حجم صغير من عمل البسيلي نفسه وله قصة أوردها التنبكتي في نيل الابتهاج " وذلك أنه لما ألفه سمع بذلك الأمير الفقيه الحسين بن السلطان أبي العباس الحفصي فراسله فيه وطلبه منه فامتنع وماطله أياما ثم أرسل إليه وأمر رسله ألا يفارقوه حتى يسلمه لهم فلما رأى الشيخ صاحب الترجمة الجد في الأمر أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف، ودفع لهم الباقي فمشوا به ثم مات ومات الأمير أيضا ، وبيع التقييد في تركته فسافر به مشتريه إلى بلاد السودان فبقي أهل تونس لا شعور لهم به فلذلك كان أصل نسخه من نسخة السودان، ومن هنالك انتشر. وقد كان الشيخ لما طولب به اختصر منه تقييدا صغيرا جدا، وهو موجود بيد الناس."[3].

2- نصوص في التفسير لأبي يحي الشريف (826هـ): انظر للتمثيل مواضع متعددة من المعيار المعرب للونشريسي ج 326/12.

3- نصوص في التفسير لابن زاغو (845ـ ه): مع شهرة ابن زاغو في التفسير وكونه شيخا لكثير من مفسري القرن التاسع إلا أنه لم يذكر عنه أنه تركا تفسيرا كاملا، ولا إنتاجا كثيرا، بل المأثور أنه ترك كما قدمت في ترجمته ختما للتفسير، لم يصل بيد الباحثين، وترك تذييلا في التفسير، وهو عنوان غامض مفقود أيضا؛ غير أن الونشريسي في المعيار نقل عنه جواب بعض الأسئلة التي وجهت إليه في تفسير آيات محددة منها:

- سؤال عن تفسير قوله تعالى (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) [يوسف: 100]. انظر الجواب عنه في المعيار المعرب. ج 326/12-328.

- سؤال حول وجه تقديم السمع على البصر في غالب التنزيل. انظر الجواب عنه في المعيار المعرب ج 325/12.

- كيف أمر صلى الله عليه وسلم بسؤال من قبله من الرسل في قوله تعالى (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) [الزخرف: 45]. انظر الجواب عنه في المعيار المعرب ج 326/12.

---

[1] - نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، للبسيلي. تحقيق: محمد الطبراني (مطبعة النجاح الجديدة - المغرب ط: 01، - 2008 م) 249/1.

[2] - نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، للبسيلي. 249/1. وانظر رسالة العالية شعراوي ص: 166.

[3] - نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المصدر نفسه. 77.

4- تفسير الثعالبي: وهو بعنوان الجواهر الحسان في تفسير القرآن من تأليف أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي. والنسخ منه متعددة وقد اطلعت منها على مخطوط أوله:" بسم الله الرَّحمن الرّحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً، يَقُولُ العبدُ الفقيرُ إِلى الله تعالى المعترف بذنبه، الراجي رحمة ربّه، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، لطف الله به في الدّارين وبسائر المؤمنين: الحمد لله ربّ العالمين، وصلوات ربّنا وسلامُه على سَيِّدِنَا محمَّد خاتَمِ النبيِّينَ، وَعَلى آله وصحبه السادة المكرمين، والحمد لله الذي منّ علينا بالإيمان، وشرّفنا بتلاوة القرآن، فأشرقت علينا بحمد الله أنواره، وبدت لذوي المعارف عند التلاوة أسراره، وفاضت على العارفين عند التدبّر والتأمّل بحاره، فسبحان من أنزل على عبده الكتاب، وجعله لأهل الفهم المتمسكين به من أعظم الأسباب (كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ)[1]. أمّا بعد، أيّها الأخ..."[2].

وآخره: " وكان الفراغُ من تأليفه في الخامسَ عَشَرَ مِنْ رَبيع الأَوَّلِ مِنْ عَامِ ثَلاَثَةٍ وثَلاَثِينَ وَثَمَانمائَةٍ وَأَنَا أَرْغَبُ إِلى كُلِّ أَخ نَظَرَ فيه أنْ يُخْلِصَ لِي وَلَهُ بِدَعْوَةٍ صالحةٍ، وهذا الكتابُ لاَ يَنْبَغِي أنْ يَخْلُوَ عنه مُتَدَيِّنٌ، ومُحِبٌّ لكلامِ رَبِّه، فإنه يَطَّلِعُ فيه على فَهْمِ القرآن أجْمَعَ في أَقْرَبِ مُدَّةٍ، وليس الخَبَرُ كَالعِيَانِ، هذا مَعَ مَا خُصَّ بِهِ تَحْقِيقِ كَلامَ الأَئِمَّةِ المحقِّقينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم نَقَلْتُهُ عَنْهُمْ بألفاظِهِمْ متحرِّياً لِلصَّوَابِ، ومِنَ اللَّهِ أَرْتَجِي حُسْنَ المَآب، وصَلَّى اللَّهُ على سَيِّدِنَا محمَّد خاتَمِ النبيِّينَ ، وَعَلى آله وصَحْبِهِ أجمعين ، وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العالمين."[3].

وقد أورد الثعالبي في أثناء تفسير كلاما عن تفسير فقال: " قلت: ولما فرغْتُ من تحرير هذا المختَصَرِ وافَقَ قدومَ شيخِنَا أبي عبد اللَّهِ محمد بن مرزوقٍ علينا في سَفْرَةٍ سافرها من تِلْمِسَانَ متوجِّهاً إلى تُونُسَ، ليصلح بَيْنَ سلطانها وبين صَاحِبِ تِلْمِسَانَ، فأوقفته على هذا الكتاب، فنظر فيه وأمعن النظر، فَسُرَّ به سروراً كثيراً ودعا لنا بخير، واللَّه الموفِّق بفَضْلِه." [4].

طبع تفسير الشيخ الثعالبي مرات عديدة ومنذ وقت مبكر بعنوان الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، تحقيق محمد الفاضلي، بالمكتبة العصرية، صيدا بلبنان، 1417هـ1997م، وطبع ثانيا تفسير القرآن، (4 أجزاء)، بمؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت / م ت.

أما عن مصادر تفسير الجواهر الحسان فقد قال الدكتور عمار طالبي وهو ممن اشتغل بتحقيقه أن الشيخ الثعالبي: " ينقل في تفسيره نصوصا عن القشيري والمحاسبي من رعايته ومن مختصرها للعز بن عبد السلام ومن كتاب سنن الصالحين لأبي الوليد الباجي، ومن التنوير لابن عطاء الله السكندري، وعن صاحب التشوف

---

[1] - سورة (ص)، الآية:29.

[2] - الجواهر الحسان اللوحة 01.

[3] - تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 4 / 293.

[4] - تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 391/3.

المغربي، وعن أبي القاسم عبد الرحمان بن يوسف اللجائي الصوفي، وأبي مدين البجائي التلمساني، وعن أبي الحسن الشاذلي وغيرهم."[1].

ومنهج المؤلف في تفسيره يقوم على جملة أمور منها: الاعتماد على السنة مهما صحت، ومثاله لا على سبيل الحصر عند تفسير قوله تعالى (طَعَامٌ من ضَرِيعٍ): " والضريعُ: قال الحسنُ وجماعةٌ: هو الزَّقُّوم، وقال ابن عباسٍ وغيرهُ: الضريعُ شَبْرَقُ النار، وقال النبي صلى الله عليه وسلم الضريعُ شَوْكٌ في النارِ، (ت): وهذا إنْ صَحَّ فلا [يُعْدَلُ] عنه، وقيل غير هذا."[2]. والعبارة الأخيرة من كلام الثعالبي، وهو تعقيب يدل على تقديمه السنة المنقولة كلما صحّت الرواية بها.

ومن منهجه أيضا النص على مواطن الإجماع في التفسير كما في قوله تعالى: (وَلَن يَجْعَلَ الله للكافرين عَلَى المؤمنين سَبِيلاً)، أيْ: يوم القيامة؛ قاله عليٌّ رضي اللَّه عنه؛ وعليه جميعُ أهْل التَّأوِيلِ، والسَّبيلُ (هنا): الحُجَّة والغَلَبَةُ. قلت: إلاَّ ابنَ العَرَبِيِّ لم يرتَض هذا التأويلَ."[3]. وكذلك في قوله {وَلَوْ جعلناه مَلَكاً لجعلناه رَجُلاً} فإن أَهْلَ التأويل مُجْمِعُونَ.". ومثال ثالث مؤكد في " قوله تعالى: { رُسُلُنَا }: يريد به؛ على ما ذكر ابنُ عباس، وجميعُ أهل التأويل: ملائكةً مقترنينَ بمَلَكِ المَوْت، يعاونونه ويَأْتَمِرُونَ له."[4].

وأكثر ما يهتم به الثعالبي في تفسيره التفسير بالثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ضربنا، أمثلة مقربة ولنختم بالنص التالي عند تفسير قوله تعالى:" (يأيها الذين ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهتديتم...) الآية: قال أبو ثعلبة الخُشَنِيُّ: سَأَلتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم عَنْ هذه الآيةِ، فَقَالَ: " ائتمروا بِالمَعْرُوفِ وانهوا عَنِ المُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتَ دُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَشُحًّا مُطَاعاً، وإعْجَابَ كُلِّ ذِيَ رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَّةِ نَفْسِكَ، وذَرْ عَوَامَّهُمْ؛ فَإِنَّ وَرَاءَكِمُ أَيَّاماً؛ أَجْرُ العَامِلِ فِيهَا كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ.". ولا يفوت الثعالبي بالمناسبة أن يعقب على هذا المسلك بقوله " هَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي لاَ نَظَرَ لأحَدٍ مَعهُ؛ لأَنَّهُ مُسْتَوْفٍ لِلصَّلاَحِ صادرٌ عن النبيِّ عليه السلام." [5].

وبمناسبة الحديث عن السنة الضعيفة يفرق الثعالبي بين البناء على الحديث الضعيف في الحلال والحرام وتقرير قواعد الإسلام، وبين مجال فضائل الأعمال ففي الأولى يوافق علماء أهل الإسلام من الاكتفاء بالثابت من السنة من صحيح وحسن، وفي الثاني يوافق رأي جملة أهل التحقيق من الاستفادة منه في فضائل الأعمال كما نجد ذلك جليا عند الكلام عند قوله " إذا قَرأَ أحدُكم { أَلَيْسَ الله بِأَحْكَمِ الحاكمين } فَلْيَقُلْ : بلى؛ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِين » ومِنْ رواية عبد اللَّه: « إذَا قرأَ أَحَدُكُمْ أَوْ سَمِعَ : (أَلَيْسَ ذَلِكَ بقادر على أَن يُحْيِيَ الموتى) [

---

[1] – مقدم المحقق عمار طالبي 1/ع.

[2] – تفسير الثعالبي ج 4/ 244.

[3] – المصدر نفسه. ج 1/ 371.

[4] – المصدر نفسه.ج 1/ 472.

[5] – تفسير الثعالبي. ج 1/ 442.

القيامة: 40] فَلْيَقُلْ: بلى » انتهى. (ت): وهذان الحديثانِ، وإنْ كَانَ قَدْ ضعَّفُهما ابنُ العربيِّ فهما مما ينبغي ذكرُهما في فضائلِ الأعمالِ، واللَّه الموفق بفضله وكرمه."[1].

والذي يهمُّ هنا وبمناسبة الكلام عن التفسير المأثور، والذي يندرج جملة تفسير الثعالبي تحت عنوانه بيان موقفه من الإسرائيليات؛ فهو يقوم على رفض ما لا دليل عليه مما لم يثبت من أخبار التاريخ كما في النص التالي في شأن ما سَمَّتْ به أمُّنا حواءُ ولدَها مما هو من أسماء إبليس فقد قال: " وروي في قصص ذلك أن الشيطان أشار على حواءَ أن تسمي هذا المولودَ عبد الحارث، وهو اسم إبليس، وقال: لها إن لم تفعلي قتلته؛ فزعموا أنهما أطاعاه حرصا على حياة المولود. فهذا هو الشرك الذي جعلا لله في التسمية فقط. وقال الطبري والسدّي في قوله (تعالى الله عما يشركون) كلام منفصل من خبر آدم وحواء يراد به مشركو العرب. "[2].

وقد يقبل الثعالبي شيئا من الإسرائيليات في بعض المواضع إذا لم يصادم مضمونها ما تقرر من حقائق الدين، فقد نسب لابن العربي الفقيه أنه قال في كتابه أحكام القرآن " قال وفي الآية دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللين لمن معه القوة وفي الإسرائيليات أن موسى عليه السلام أقام بباب فرعون سنة لا يجد من يبلغ كلامه حتى لقيه حين خرج فجرى له ما قص الله تعالى علينا من خبره وكان ذلك تسلية لمن جاء بعده من المؤمنين في سيرهم مع الظالمين. انتهى."[3].

كما قبل بعض ما نقلته كتب بني إسرائيل في شأن صفة النبي عليه الصلاة والسلام عند الكلام على قوله تعالى " (ولو كنت فظا...): وفي صفته صلى الله عليه و سلم في الكتب المنزلة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق."[4]، وزاد في موضع آخر " وفي بعض الكتب المنزلة من قول الله عز و جل أنا مرصاد الهمم أنا العالم بمجال الفكر وكسر الجفون."[5].

من المهم عند التعريف بتفسير الإمام الثعالبي أن أقف عند بعض ملامح شخصية هذا المفسر الجزائري الكبير، ذلك أن التفاسير كثيرة وما قيل في تفسير الآيات المختلفة كثير أيضا؛ وإن اختلافه كثيرا ما يكون بالتضاد بحيث لا تقبل الأقوال المذكورة في تفسيرا الآية جمعا بينها؛ فلابد من استبعاد بعضها تحت عناوين مختلفة منها مثلا أن تكون من قبيل التأويلات المتكلفة كالذي رده عند قوله تعالى:" { وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أولادكم } مخاطبة لجميعِ النَّاسِ، يجمع الآباءَ والأمهاتِ، أي: لهم اتخاذُ الظِّئْر، مع الاتفاقِ على ذلك، وأما قوله: { إِذَا سَلَّمْتُم }، فمخاطبةٌ للرجال خاصَّة إلا عَلَى أحد التأويلَيْن في قراءة مَنْ قرأ: «أُوتِيتُمْ»، وقرأ السِّتَّة من السبعةِ: «آتَيْتُمْ»؛ بالمدِّ؛ بمعنى أَعْطَيْتم، وقرأ ابن كثير: «أَتَيْتُمْ»؛ بمعنى: فعلتم؛ كما قال زُهَيْرٌ: [الطويل]

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا ... تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبائِهِمْ قَبْلُ

---

[1] – تفسير الثعالبي. ج 4/ 267.

[2] – المصدر نفسه 267/4.

[3] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 3/ 30.

[4] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 1/ 326.

[5] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 4/ 71.

فأحد التأويلين في هذه القراءة كالأول، والتأويل الثّاني لقتادَةَ ، وهو إذا سلّمتم ما آتيتم من إرادة الإسترضاع، أيْ: سلم كلُّ واحدٍ من الأبوين، ورضي، وكان ذلك عَلَى اتفاقٍ منهما، وقَصْدِ خَيْرٍ ، وإرادةِ مَعْروفٍ ، وعلى هذا الإحتمال يدخلُ النساءُ في الخطاب.(ت): وفي هذا التأويل تكلُّف."[1].

والعبارة الأخيرة للثعالبي تفيد رده لهذا القول المنقول وما تضمنه من التأويل، وهو موقف يتعين على المفسر أن يلتزمه حماية لمعاني كلام الله من التحريف، وصيانة لصحيح التفسير من عدم الظهور من بين الأقوال المتكلفة.

ومع أن الجواهر الحسان في جملته اختصار للمحرر الوجيز لابن عطية إلا أن الثعالبي لا يفوت على نفسه مسؤولية تعقب بن عطية، بدافع ما التزمه من تضمين هذا الاختصار لزيادات من غير هذا التفسير المذكور. فعند قوله تعالى قوله تعالى: { وَمِنَ الناس مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحياة الدنيا} الآية. يورد النص التالي " قال السُّدِّيُّ: نزلَتْ في الأخْنَسِ بْنِ شريقٍ: أظهر الإسلام، ثم هَرَب، فمرَّ بقومٍ من المسلمين، فأحرق لهم زرعاً، وقتل حُمُراً. قال: (ع): ما ثبت قطُّ أن الأخنس أسلم، قُلْتُ: وفي ما قاله: (ع): نَظَرٌ، ولا يلزم من عدم ثبوتِهِ عِنْده ألاَّ يثبت عنْد غيره. وقد ذكر أحمدُ بن نصرٍ الدَّاوووديُّ في تفسيره؛ أنَّ هذه الآية نزلَتْ في الأخْنَس بْنِ شريق. انتهى. وسيأتي للطبريِّ نحوه."[2].

ومن منهج الثعالبي أن اللفظ يحمل على ظاهره ما لم يقم دليل على غير هذا الظاهر نجده يقرر بمناسبة الكلام على قوله تعالى: {وَيُنَزِّلُ مِنَ السماء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ} ونقل ما قيل فيها من أن: ذلك حقيقةٌ، وقد جعل اللّه في السماء جبالاً من بَرَدٍ، وقالت فرقة: ذلك مجازٌ، وإنَّما أراد وصفَ كثرته. وهذا كما تقول: عند فلان جبال من مال وجبالٌ من العلم."، يقول الثعالبي: " وحَمْلُ اللفظ على حقيقته أولى إنْ لم يمنع من ذلك مانع." [3].

وقد يأخذ التعقُّب شكل تقييد أقوال المفسرين فعند قوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) " وقول المرءِ مَا لا يفعلُ مُوجِبٌ مَقْتَ اللَّهِ تعالى، ولذلك فرَّ كثيرٌ من العلماءِ عَنِ الوَعْظِ والتذكيرِ وآثرُوا السكوتَ."[4]. وإطلاق هذا القول مانع من القيام بالوعظ لوقوع المخالفة بحكم أوصاف البشرية، وإطلاقه يؤدي إلى تعطل أمر الوعظ يقيد الثعالبي ذلك بقوله: "(قلت): وهَذا بحسَبِ فِقْهِ الحالِ؛ إنْ وَجَدَ الإنْسانُ مَنْ يكفِيه هذه المَؤُنَةَ في وقتهِ، فَقَدْ يَسَعُه السكوتُ وإلا فَلاَ يسعُه." [5].

---

[1] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 1/ 136.

[2] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 1/ 117.

[3] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 83/3.

[4] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 85/4.

[5] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 85/4.

وقد أثنى على هذا التفسير المبارك جماعة من المؤلفين الجزائريين بالخصوص، واعتمدوه في المدارس والمجالس والمساجد ومنذ وقت مبكر، ويكفي تقريظ ابن مرزوق لصاحب هذا التفسير وقد أرسله إليه يوم أن أتم إنجازَه، وهو نص سنورده في محله، ونكتفي هنا ببعض من أشاد به ومنهم محمد بن مصطفى بن الخوجة: " قد أكملت تصحيحَ هذا الكتاب الذي هو ذخيرة العلماء وكنز الطلاب...وأيْمُ اللهِ إنه لتفسير جليل قد فصل مقاصد الذكر الحكيم أحسن تفصيل، وحوى عُباب المنقول، واشتمل على لباب المعقول، ومن غرر الفوائد بما تذعن له الفحول." [1]. كما وقد أثنى عليه أيضا شخصية أخرى معاصرة لابن خُوجة وهو محمد بن سعيد بن أحمد الزواوي ابن زكري: " هذا الكتاب وما أدراك ما هذا الكتاب كتاب يهوّنُ على النفس المصابَ، ويخلصها من الشك والارتياب. وكيف لا وهو تفسيرٌ جليل عارٍ عن شبهات الضلال والتضليل..." [2].

وممن أشاد به أيضا عبد الحليم بن سماية الجزائري فقد قال عنه أنه تفسير " حوى من نوابغ البيان أوضحَها، ومن نقل الأقوال أمتنها وأرجحَها. طوى كشحَه عما ضعُف نقلُه، وأفرغ نصحَه فيما جزل نفعُه وجلّ فصلُه. انتخلَ التفاسيرَ انتخالا وروق منها ما صفا مشربه زلالا حلالا، وضرب بما يشمّ رائحة البدعة عرض الجدار، وشخص للقارئ أخلاق الصحابة والسلف الأخيار؛ إذ هم القدوة في هذه المسالك على التحقيق..." [3].

6- تفسير الشيخ السنوسي: وهو تفسير لسورة لفاتحة وآيات من سورة البقرة: وليس لهذا المقدار من التفسير عنوان فني خاص على طريقة المفسرين القدامى لا من وضع السنوسي نفسه، ولا من وضع غيره من المؤلفين، وإنما أدرج نص الملالي في المواهب القدوسية في الباب الخامس. والمؤلف فيما ذكر الملاليُّ هو السنوسي نفسُه، ووقع هذا المقدار من التفسير في مخطوط المواهب القدوسية في الباب الخامس كما ذكرنا، وأوله: " قال رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ومن خطه نقلته ما نصه: " قد اختلف السلف والخلف في التسمية في أول هذه السورة الكريمة؛ فمنهم من جعلها آيةً منها، ومنهم من جعلها للاستفتاح خارجةً عنها، وهو الصحيح..." [4]. وورد في آخر الباب الخامس أن آخره: "... وضعّفَ الشيخُ ابن عرفة الثانيَ بأن الختْمَ أن كل حقيقة كأول تأويلات ابن عطية فيه أنه حسيٌّ فلا يصح تعلقُه بالسمع على أنه مصدر، وإنما أعيد حرفُ الجرّ في السمع للدلالة على الاعتناء بالختْم. انتهى. قلت: هذا آخر ما وجدته بخط الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وإلى هنا انتهى بالتفسير رضي الله تعالى عنه ونور مثواه وأسكنه من الفردوس أعلاه، وجزاه عنا بأفضل الجزاء، ووفقنا لاتباع طريقته بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عدد ما في علم الباري سبحانه." [5].

---

[1] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 695/4.

[2] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 697/4ـ 698.

[3] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 699/4.

[4] – اللوحة رقم 121: من المواهب القدسية للملالي.

[5] – اللوحة رقم: 121 من المواهب القدسية للملالي.

وعدد اللوحات في الباب المذكور محدودة وهي بالضبط (200) لوحة. والمخطوط متيسر ومنه نسخ متعددة، ومنه نسخة خاصة عند الباحث، وأخرى غير تامة. وقد ذكرت كتب الفهارس عددا من نسخه وخصوصا تفسير سورة الفاتحة: فقد يكون جزءا أو قطعة من تفسير القرآن الذي لم يكمله. ذكره له بروكلمان في الذيل 356/2. الجزائر 656 منه أربع نسخ في مكتبة الخزانة العامة بالرباط: 1862/2834 د- 3443 د- 3319 ك- 1074، ونسختان في مكتبة الخزانة الحسنية: 7218- 10102. ونسخة في مكتبة الخزانة العامة بتطوان739 م. ونسخة في مكتبة الخزانة الناصرية بتمكروت 1975. ونسخة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي: 3084 مصورة عن نسخة الخزانة العامة بالرباط 3443.

كما اكتفت كتبُ التراجم في تحديد وجود تفسير القرآن الكريم للسنوسي بعبارة: أنه عمل لم يكمله، وصل فيه إلى قوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) الآية الخامسة من سورة البقرة. أقول اكتفت بالإحالة على المواهب القدوسية الورقة 121، وفي نيل الابتهاج 573، وفي البستان 247، وفي معجم المطبوعات المغربية 163.

وقد طبع لأول مرة فيما نعلم ضمن المواهب القدسية للملالي للباحث الدكتور بوربيق علاّل. 2011م، نشرته عالم كتب المعرفة بمطابع بيروت في جزء واحد وفي ضمن المواهب يوجد التفسير المذكور.

7- مختصر تفسير سورة الفاتحة للسنوسي: وهو عمل غير تفسير الفاتحة السابق إذ التفسير أعلاه يوجد ضمن تفسير وصل فيه السنوسي إلى قوله تعالى (أولئك هم المفلحون) وهو عمل طويل نسبيا. أما المختصر المذكور فلا يتجاوز صفحة وقد عثرت عليه ونظرا لقصره نذكره بنصه: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: معناه الحمد كله لله وحده، لأن كل كمال قديم فهو وصفُه، وكل كمال حادث فهو جُعله. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: معناه جميع الحوادث المختلفة في أجناسها وأنواعها و أصنافها، وبه مقاديرها وصفاتها وأزمنتها وأمكنتها، وذلك الاختلاف دليل فيها على وجوب افتقارها إلى الله تبارك وتعالى، وعلى وجوب وجوبه، ووحدانيته، وكمال قدرته وإرادته، وعلمه وحياته، وذلك دليل على ما دل عليه قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كون المدح بكل كمال لله تعالى وحده، ومن كونه هو المالك للعوالم، الربّ لها، يجمع العالمين ليكون دليلا على ما قبله، لأن الجمع دال على الاختلاف في الدال على وجوب الافتقار إلى الرب تبارك وتعالى. ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: المنعم بجميع النعم الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة، ويجب بعد رب العالمين للدلالة على أنه سبحانه إنما عامل العوالم في الغالب بمقتضى الرحمة، لا بمقتضى الغضب، والإنس والجن المغضوب عليهم قليلون جدا بالنسبة إلى كثرة من رحمته من العوالم السماوية والأرضية. وفيه دليل على أن نعمة صدرت منه جل وعلا للعوالم، فهي بمقتضى الرحمة والفضل، لا بمقتضى الوجوب والاستحقاق. ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: معناه المتجرد بالحكم يوم الجزاء، وعزل بذلك اليوم جميع الحكام، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾: معناه نخصك يا مولاي بالطاعة، وكمال الذلة، والخضوع على الوجه الذي بلغه رسولك، ومصطفاك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي رحمت بفضلك على يده العالمين، وخلصتهم بأنوار بعثه من مهالك يوم الدين، ﴿ إِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴾: معناه ومنك يا مولانا نطلب العون على عبادتك التي هي عنوان النجاة من مهالك يوم الدين، ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾: معناه: لنا يا مولانا به إلى عبادتك على الطريق المستقيم الذي لا انحراف فيه إلى معصية، ولا بدعة ولا هوى، وأسألك يا مولانا أن تثبتنا حتى نلقاك.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾: معناه: طريق الذين تفضلت عليهم بالهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لا طريق يعتمدون به دينهم على طريق التقبيح والتحسين. ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾: معناه جنبنا يا مولانا طريق الذين غضبت عليهم، أن حرمتهم من الهداية مع علمهم بطريقها كاليهود، والعلماء غير العاملين.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: الذين حرموا من الهداية مع جهلهم بطريقها كالنصارى، وغيرهم من الجاهلين. انتهى بحمد الله وحسن عونه.

وبعرض هذا المختصر يمكن تبين طريقة التفسير عند السنوسي، وطريقة الاختصار والاقتصار أيضا.

وهذا المختصر معروف للسنوسي ونسبته إليه ثابتة، قام بتحقيق المختصر المذكور السيد عبد الرحمان حمادو الكتبي سنة 2008، ونال به جائز الدولة لتراث الإمام السنوسي. وتوجد منه نسخة بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر العاصمة.[1].

8- الأنوار اللائحة على الفاتحة للشمُنّي: وعنوان هذا التفسير محدد ويغلب أن يكون من وضع المؤلف نفسه: الأمور الناجحة في كشف أسرار الفاتحة. الرقم 506، وعليه اسم مؤلفه أبو العباس تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن علي الشمني القسنطيني المالكي المتوفى سنة 872 هـــ. وأوله: " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ووعد من تلاه وعمل به جزيل الثواب...أما بعد: فإن علم كتاب الله كان من أجل العلوم قدرا وأعظمها خطرا وأجملها آثارا وأحسنها دثارا وأكملها شعارا...صنفت فيه مختصرا على فاتحة الكتاب جمعته من دقائق ذوي الألباب، على وجه لا يصد اللبيب عن نظرة صاد ولا يرد الذكي عن تعلقه راد..".[2].

وآخره: "وروى المدنيون عنه: يؤمّن لقوله عليه السلام: إذا أمّن الإمام فأمّنوا ضرورة أن ظاهره يقتضي تأمين الإمام وردّ بأن معناه إذا بلغ الإمام التأمين إلا أنه أمّن وأجيب بقول ابن شهاب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: آمين. وهو وإن كان مرسلا فقد أسنده بعضهم كمل الكلام على هذه السورة الكريمة والحمد لله.ولنختم كلامنا بهذا الدعاء المأثور: اللهم يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريرة و لم يهتك الستر.."[3].

وقد كتب على النسخة بالمكتبة الظاهرية على ظهر الكتاب: نسخة من القرن العاشر الهجري كتبت بخط نسخي معتاد، رؤوس الفِقَر مكتوبة بالأحمر. على الورقة الأولى قيدُ مطالعة تاريخه ربيع الآخر سنة 995 هـــ.

---

[1]- شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر نفسه. 193.

[2]- فهرس الظاهرية 44/2.

[3] - فهرس الظاهرية 44/2.

وقيد تملك باسم يحيى بن عبد الرحيم العلواني، ثم قيد وقف الملا عثمان الكردي على طلبة العلم، مع قيود تملك ومطالعة...أصيبت النسخة بالرطوبة في مواضع كثيرة، وقد رممتّ بعض الأوراق فيها. (ق 24/ م 27* 5، 18/ س 27).[1].

9- أبحاث في التفسير للمقري الجد: وهي نصوص تفسيرية ذكرها الونشريسي في كتاب المعيار المعرب ونص السؤال: مسألة قال الإمام العلامة سيدي أبو عبد الله المقري: نظرت في قوله تعالى (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ [الإسراء: 59]) مع ما في الصحيح من قوله عليه السلام:" ما بعث من نبي قبلي إلا أوتي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا، وأرجوا أن أكون أكثرَهم تابعا يوم القيامة."[2]، ففهمت من ذلك سرّ رفع العذاب العام والمسخ وغير ذلك مما نال الأمم المتقدمة؛ وذلك أن تلك الآيات آيات اضطرار فكانت العقوبة على تكذيبها عقوبة عناد. وآية الوحي آية اعتبار فالعقوبة على ردها عقوبة إعراض وإلحاد....

وقال أيضا رحمه الله: سألني بعض الفقراء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم إذ لم يل أمرهم من يسلك بهم الجادة ولا يحملهم على الواضحة بل من يغتر في مصلحة دنياه غافلا عن عاقبته في أخراه فلا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يرعى له عهدا ولا ذمة؟ فأجبته بأن ذلك؛ لأن الملك ليس في شريعتنا، وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعا قال الله عز وجل ممتنا على بني إسرائيل (وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} [المائدة: 20])، ولم يقل ذلك في هذه الأمة بل جعل لهم خلافة قال الله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [النور: 55]) الآية، وقال لهم نبيهم ({إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} [البقرة: 247]). وقال سليمان ({رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا} [ص: 35]) الآية إلى غير ذلك فجعلهم الله تعالى أو جعل فيهم ملوكا، ولم يجعل فينا شرعا إلا الخلفاء....

وقال أيضا رحمه الله: قوله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: 9]) يدل على وجوب العمل بالراجح، وقد حكى الإجماع عليه؛ لأنه دليل على قوام بعض الطرق سواه، ثم لم يرض للعالم غير إتباع سبيله، وانتهاج طريقته. وقوله أيضا بعدها(وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) [الإسراء: 10]) دليل على جواز التبشير بمصاب العدو والفرح به، وإن كان أخرويا. وقد اختلف في جواز الدعاء عليه بالموت على الكفر؛ وقد أفتى شرف الدين الكركي بكفر من قال لرجل أماته الله على الكفر. قال لأن محبة الكفر كفر، ورددته بقول صالح ابني آدم ({إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ} [المائدة: 29]) الآية. انتهى."[3].

وقال أيضا رحمه الله لما نزل قوله تعالى ({قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ} [الأنعام: 65]) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعوذ بوجهك". (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: 65]) قال:

---

[1] - فهرس الظاهرية 44/2.

[2] - المعيار المعرب، المصدر نفسه. ج 333/12ـــ 344. :

[3] - كتاب الجامع من الدرر المكنونة ليحي المازوني، المصدر نفسه. ج 292/1.

أعوذ بوجهك."، (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: 65]) قال هذا أخفُّ. فمن ثم وربك أعلم منح هذه دون تينك على ما ثبت في الصحيح من قوله:" سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بالسّنة فأعطانيها.". وهذه والله أعلم هي العذاب من فوق." وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها."، وهي والله أعلم العذاب من تحت.". " وسألته أن لا يجعل فتنتهم بينهم فمنعنيها.". وهذه هي اللبس والإذاقة فتأمل ذلك تجد الحديث كالفاء لبائه، واستعذ بالله من جميع بلائه، ولا تحتقر شيئا من عذابه نعوذ بالله منه."..... وقد تعرضت إلى شيء من التعليق عليها في مبحث جذور حركة التفسير بالجزائر.

10- نصوص في التفسير (ثم أورثنا الكتاب) للرصّاع والسنوسي وابن زكري: ونص السؤال: وسئل أصحابنا فقهاء تلمسان أهل الفضل والإحسان عما وقع في كتاب تكملة الأبرار في تسوية الورثة للجنة بعد تخصيص اسم فرقة وهو ثلاثة في قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها) بعد قوله (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) ثم سوى بينهم في قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها) بعد جعله سبحانه جملتهم مصطفَيْن في قوله (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله)، فسم الورثة إلى الأصناف الثلاثة، والظالم لنفسه منهم وهو المسرف والجاني على نفسه بمعصية، وبقي له أصل إيمانه. والمقتصد هو المذكور في قوله تعالى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا)...فتأمل دخول الأصناف الثلاثة تحت اسم الاصطفاء والإرث...

– **جواب محمد بن يوسف السنوسي:** " فأجاب منهم صاحبنا الفقيه العالم الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي بما نصه: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله. فيما نقل أعلاه أن المؤمنين الذين أخبر مولانا تبارك وتعالى عنهم بالاصطفاء...اللهم احشرنا مع الآباء والأمهات والزوجات، والإخوة والمشايخ والذرية والأحبة في زمرة السابقين في جنات عدن في عافية، بلا محنة بجاه الشفيع المشفّع عندك، سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ذوي السبق في الدنيا والآخرة إلى كل فضل ومنة. وكتب عبد الله تعالى محمد بن يوسف السنوسي الحسني أحسن الله عاقبته بلا محنة." [1].

– **جواب الشيخ التنسي:** " وأجاب صاحبنا الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي بما نصه: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم: الذي عليه جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن هذه الآية الكريمة لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأقسامها الثلاثة، وأن المراد بالكتاب فيها هو القرآن الكريم.....فهنيئا لهم بما خصهم الله به من هذه الكرامات فليتلقوا ذلك بالكر بالقلب واللسان والجوارح. جعلنا الله من المسارعين إلى القيام بأداء حقه في ذلك. قاله وكتبه محمد بن عبد الله التنسي." [2].

---

[1] ـ المعيار المعرب، المصدر نفسه. ج 11/304-306.

[2] ـ المعيار المعرب الونشريسي، المصدر نفسه. ج 11/306-309.

– **جواب الشيخ الخزرجي:** " وأجاب صاحبنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي العيش الخزْرجي بما نصه: الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله. اعلم وفقني الله وإياك أن السؤال محتو على مطلبين: الأول: كيف يصح إطلاق الاصطفاء على الثلاثة. والثاني: هل في هذا الكلام شيء من الإرجاء أمْ لا؟ ....ولوا الإطالة لذكرنا مذاهب المرجئة وافتراقهم إلى ثمانية عشر فرقة ولا رائحة منها لمن تأمل هذا الكتاب، والله الموفق بفضله. وكتب عبد الله سبحانه وأصغر عبيده: محمد بن أبي العيش الخزرجي لطف الله به. "[1].

– **جواب الشيخ ابن زكري:** " وأجاب صاحبنا الفقيه العالم المفتي أبو العباس أحمد بن زكري بما نصه: الحمد لله قد اتفق أكثر المفسرين على أن المراد بالكتاب في الآية الكريمة القرآن المنزل على سيد المرسلين سيدنا مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.... وصل اللهم على سيدنا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك، ولسان حجتك وعروس مملكتك وإمام حضرتك وخاتم أنبيائك؛ حاء الرحمة، وميم الملك، ودال الدوام، السيد الكامل الفاتح الخاتم، عدد ما هو في علمك كائن أو قد كان، عدد ذكرك وذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكرك الغافلون صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك، لا منتهى لها دون علمك إنك على كل شيء قدير. وكتب عبيد الله أحمد بن زكري لطف الله به."[2].

– **جواب الرصاع التلمساني:** " وتقيد بعقب هذا الأجوبة المسطورة سؤال طول به مقام مفتي الحضرة التونسية الشيخ الإمام العالم العامل الصالح البركة الخاشع لله المؤلف الراوية المسند أبي عبد الله محمد بن قاسم الرصاع نصه: الحمد لله سيدي رضي الله عنكم تأملوا هذه الأجوبة من هذه السادات الكرام، الأئمة الأعلام وما تختارونه منها. وأيها أجرى على طريق العلماء؟ وما يظهر لكم من الفوائد فيها والله تعالى يسددكم ويجعل لنا في عمركم البركة بفضله. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. فأجاب مبتغيا من الله جزيل الثواب بما نصه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ونشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له شهادة ....وصل اللهم وبارك وتحنن وترحم وسلم على سيدنا ومولانا محمد صلاة نتخذها عدة في كل ضيق وشدة، وصل على أصحابه وأنصاره وأصهاره ومحبيه ومتبعيه، صلاة دائمة بدوام ملكك تغفر بها ذنوبنا وتستر بها عيوبنا وترحمنا بها وترحم والدينا (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم). "[3].

11– تفسير سورة الفاتحة للمغيلي: وحول نسبة تفسير سورة الفاتحة للشيخ المغيلي، انفرد ابن مريم في كتاب البستان بنسبة تفسير سورة الفاتحة للإمام المغيلي، وتبعه على ذلك كثير ممن جاء بعده من العلماء. ومع أن كتاب نيل الابتهاج للتنبكتي من المصادر الرئيسة لترجمة الشيخ المغيلي والتعريف به حتى ليكاد ابن مريم ينقل عنه حرفيا إلا أنه لم يذكر هذا الكتاب. وشيء يدل على أن هذا العمل قد أتمه بأرض توات أو تلمسان، وليس مما علم عنه بأرض السودان وإلا كان التنبكتي المذكور قد ألم بذكره إن لم يكن قد اطلع عليه.

---

[1] _ المعيار المعرب، نفس المصدر. ج11/309-312.

[2] _ المعيار المعرب ج11/312-316.

[3] _ المعيار المعرب، المصدر نفسه. ج 11/316-335.

والواقع أن نسبة التفسير إلى الشيخ المغيلي في أول الرسالة مما يدعم صحة تلك النسبة وإلا لم تفد المقدمات وما يذكر من أسماء المؤلفين شيئا ذا قيمة في التوثيق وهو أمر مستبعد لم يجر عليه العلم. بل الغالب أن ذلك كاف في صحة النسبة وسلامة الوثوق بها. ونجد ذلك أيضا في عمل آخر للمغيلي تقدم فيه الديباجة وما فيها من نسبة العمل إلى الشيخ المغيلي قيمة توثيقية أكيدة تحفظ للمؤلفين عموما وللمغيلي بالخصوص نسبة التبيان في شرح البيان. هذا وإن صنيع ابن مريم في إدراج تفسير سورة الفاتحة ضمن قائمة مؤلفات الإمام المغيلي وتعبيره بقوله:" تفسير الفاتحة في ورقة."[1].

مما يستأنس به على أنه قد اطلع عليها أو استند في ذلك إلى من اطلع عليها. وقد تابع ابنَ مريم على صنيعه جملة من مؤلفي التراجم منهم مثلا: أزهار البستان في طبقات الأعيان لابن عجيبة (مخطوط ورقة رقم: 253)، معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض: 308.، تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور: أبو القاسم سعد الله 121/2.

أ- **عنوان المخطوط:** ورد هذا التفسير الموجز بدون عنوان يكون قد وضعه المؤلفُ نفسه، ولا أشار إليه الناسخُ آخرَ المخطوط، غير أن المصنف ذكر في مقدمة تأليفه أنه: تفسير للفاتحة، وأن أحدا طلبه منه فقد قال: " أما بعدُ أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه. فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من تفسير فاتحة الكتاب ذكرى لأولي الألباب، فأقول والله الموفق للصواب:..."[2]. وفي خصوص المصادر المذكور فيها: كفاية المحتاج لمن ليس في الديباج:455، البستان لابن مريم: 253.

وأما البيانات: ورد مخطوطا في 17 صفحة بخط مغربي كبير جدا؛ 22 سطرا في كل سطر 10 كلمات؛ ولذلك قال في كفاية المحتاج: " تفسير الفاتحة في ورقة."[3]. يعني بالخط الدقيق، ولم يشرْ الناسخ فيه إلى اسمه. والتأليف موجودة صورة منه عند الباحث أعاره له الأستاذ الكريم بويجرة علي الشريف الساكن بسيدي بلعباس، وكان قد تحصل عليها هو بدوره من بعض القادمين من موريتانيا، وحالة المخطوط جيدة، والكتابة واضحة، وهو تامٌّ غيرَ أن الإعارة أفقدت الباحثَ لوحةً منه، والتي تبدأ ببقية حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي...، وقد اضطرني ذلك إلى نشر هذه التحفة الجزائرية في التفسير ناقصة. وربما استعدتها فيما يأتي من الزمان وعدت إلى خدمة هذا العمل الجليل، أو يوفق إلى ذلك بعض إخواننا ممن قد يتيسر له ذلك من جهة أخرى.[4].

والمخطوط كما هو واضح بعد الإطلاع عليه يتضمن تفسيرا كاملا لكنه موجز لسورة الفاتحة. نسخة المخطوط تنقصها لوحة مصورة في مكتبة الباحث، وقد أثبتُ المقدار الموجود وأشرت إلى النقص في محله، والله ينفع بما كتب ويعوض ما فقد؛ وهو المستعان. ولم يسبق لهذا العمل أن طبع فيما نعلم.

---

[1] – البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم، المصدر نفسه. 255.

[2] – تفسير الفاتحة، للمغيلي، مخطوط لوحة 01.

[3] – كفاية المحتاج للتنبكتي، المصدر نفسه. ج 201/2.

[4] – شخصية العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع نفسه. 189.

12 – رياض الأزهار وكنز الأسرار فى تفسير القرآن: والكتاب يقع في ثماني مجلدات، وهو مخطوط بالهيئة العامة للكتاب تحت رقم " 1906 " مكروفيلم وللكتاب نسختان لا ثالث لهما. الأولى: مكتوبة بخط مغربي تحت رقم " 364 "، تفسير مكتبة طلعت. الثانية: كتبها الشيخ حسن رشيد بتكليف من دار الكتب المصرية بالقاهرة ومكتوبة بخط النسخ تحت " 22362 / ب ".

وهو تفسير " جمع فيه بين الشريعة والحقيقة، فأتي فيه بعلوم الظاهر من اللغة، والنحو والتفسير والقراءات، والمعانى والفقه وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغيرها بجانب اشتماله على حقائق، ونكت علمية وإشراقات صوفية.". وقد قدم الخروبي نفسه بكلام يبين سبب تأليفه لهذا التفسير أشار على بعض الإخوان أن أضع فى التفسير تأليفا يحتوى على نكات علمية ، وحقائق وأسرار صوفية يكون تكملة لما تقدمه من التواليف وكالحاشية لما سبقه من التصانيف فاستخرت الله فى ذلك، وانشرح له الصدر، وإن لم يكن صالحا أن أسلك تلك المسالك، ثم يقول: ولما كان من تقدم من الأئمة القدماء ومن بعدهم من الشيوخ العلماء مقاصدهم مختلفة وأنحاؤهم وآراؤهم متباينة فى تفاسيرهم، فمنهم من اشتغل بالكلام على ظاهر القرآن، واقتصر على علومه الظاهرة كاللغة والنحو والقراءات، والمعانى والبيان، وفقهه وناسخه ومنسوخه وتفصيل أحكامه وبيان حلاله وحرامه، وغير ذلك من العلوم المتعلقة بظاهرة كالإمام ابن عطية، والزمخشري، وابن العربي وغيرهم ممن يكثر تعدادهم، ومنهم من تكلم على ما يتعلق بباطنه من الحقائق والأسرار كالسلمي ومن نحا نحوه، فهؤلاء وإن قصدوا الحقائق، وعثروا على اللباب لم يسلموا من الملامة، وأولئك لم يشتغلوا بذلك، لكنهم سلكوا مسلك السلامة. ونحن قصدنا فى كتابنا هذا أن نجمع بين الطرفين ليكون جامعا بين الشريعة والحقيقة، فنأتي من علوم ظاهرة بعلم التفسير، إذ هو العلم المراد لذاته ، وباقي العلوم دالة معينة ، ولنأت معه بما أمكن من الفوائد المتعلقة بـــه ، فهو يثبت التفسير الظاهر أولا ليكون الأساس الذى يبني عليه الباطن وما يبديه من حقائق وأسرار، لأن ذلك أضمن لإصابة الحق، والبعد عن الزيغ فى تفسير الكتاب العزيز."، ثم يقول: " ولنأت من علوم باطنة بالحقائق البادية من آياته وبالأسرار التى تضمنها تراكيب جمله وألفاظه ، مما سبق الغير إليها أو مما لم يعثر أحد عليها ولنقدم التفسير ليكون قاعدة لما نأتي به من الحقائق والأسرار إذ ذلك أبلغ فى نيل الغرض، وأنقي للعرض، وإن دلت الآية على تعلق أو تحلق أو تخل أنبه على ذلك بلفظ موجز.". والكتاب لم يطبع بعد في حدود اطلاع الباحث.

13- تفسير للإمام يحي الشاوي: تعددت التسميات لهذا التفسير ففي بعضها أنها بعنوان: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري[1]، وفي بعض المراجع أنها الحاكمة. وأما مضمون الكتاب فأمر متفق عليه كما بينه المؤلف نفسُه " وبعدُ الكتابُ قصدت فيه جمعَ اعتراضات الإمام ذي البيان المشتهر بأبي حيان على ابن عطية، ومحمود الزمخشري، والتكلم معه بما يظهر للقريب والبعيد."[2].

[1] – المحاكمات ليحي الشاوي، الصفحة الأولى على ظهر المخطوط.

[2] – المحاكمات، لوحة 01، الوجه أ.

وقد تعددت نسخ المخطوط والذي اطلعت عليه عدد لوحاته 316 لوحة، وليس به بيانات كثيرة غير أنه من محتويات المكتبة الأزهرية.

ومنه نسخة أخرى بها بيانات تحدد معطيات منها أن: المخطوط كامل ومسطرته 27، وبالنسبة للترقيم خصوصه 592، وعمومه 26641. وهو مصنف ضمن تفسير رافعي. ولم أطلع على أنه قد طبع. وأول المخطوط: " بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم. قال الشيخ الإمام العالم العلامة البحر الفهامة فريد دهره ووحيد عصره من نشر الله تعالى ببركاته لعلم التوحيد علما، ورزقه التدقيق فرقى على أقرانه سلما، وأظهر من جواهر مكنوناته وخبايا درره وجواهره معلما. هو الأستاذ الأعظم من الله تعالى عليه بفهم كل قاص ودان سيد أهل التحقيق يحي الشاوي لطف الله به آمين... ".

وآخر المخطوط: " وهنا انتهى ما التقطناه وتكلمنا على ما ظهر لنا مما أبدينا في منسلخ رمضان وابتدأناه من وسط شعبان لمؤلفه يحي الشاوي المغربي لسنة يؤخذ من اسمه ولقبه وصلى الله على الحبيب وآله وصحبه والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم."[1].

وورد بها اسم الناسخ: " بلغ مقابلة على أصله وهي نسخة المؤلف على يد أفقر العباد الفقير علون بن عمر عطية المالكي الجيزاوي إقليما البرطي بلدا."[2]. وطريقة الشاوي يوضحها هذا النص فهو مثلٌ لكثير من النصوص المشابهة، والتي يتدخل فيها المؤلف ليحرر محل النزاع ويعرض القول وما يخالفه ثم يختم بما يراه الصواب من التقريرات والردود: " وقال في قول الزمخشري عند قوله تعالى (لا ريب فيه) ز: لم يقدم الخبر كما في قوله (لا فيها غول) لئلا يوهم أن غير القرآن من الكتاب فيه ريب كما هو المقصود في (لا غول فيها) أي في خمر الجنة بخلاف خمر الدنيا..." ت: لم ينفرد الزمخشري بما ذكر في الخبر، وكل من رأينا كلامه من البيانيين على هذا ومن ثم كان عند ابن مالك مسوغا فلا محلَّ للرد عليه في مثل هذا."[3].

ومن منهج صاحب الكتاب أن يعرض كلام الزمخشري، ثم ابن عطية وما تعقب به أبو حيان المسائل المطروحة، ثم يعقب على الأقوال كما في النص التالي: " (فمن عُفي له من أخيه) (ز) ثبت قولهم: محا أثره إذا محاه وأزاله فلم يجعل عفي بمعنى: (فمن محي له من أخيه شيء)؟ قلت: عبارة قلقة في مكانها، والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها، وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم إذا أعضل عليه تخريج وجه مشكل من كلام الله يجري على اختراع لغة أو ادعاء على العرب ما لا نعرفه، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها."[4].

---

[1] – المحاكمات ليحي الشاوي اللوحة 316/ الوجه – ب –

[2] – المحاكمات ليحي الشاوي اللوحة 316/ الوجه – ب –

[3] – المحاكمات ليحي الشاوي اللوحة 03/ الوجه – أ –

[4] – المحاكمات، للشاوي لوحة 17 وجه 01.

وربما تعرض للرد على الاعتزال كما يعلم من قوله "... من حيث أن العقل حاكم والشرع مبين فقط، وهذا مذهبهم دمرهم الله، وكيف يسوغ لشخص..."[1]، وكذا في مثل قوله: " أما مقالة الحمصي وتفضيل الولي على النبي فنعوذ بالله منها، ولا تذكر إلا تحذيرا منها، وأما...والله الموفق"[2]. والنصّان الأخيران يثبتان ملامح شخصية الشاوي المعتد بنفسه وباختياراته.

وقد تقدم الطالب عبد القادر مغدير برسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة وهران حول جزء من كتاب المحاكمات يوجد في مجموع: 80، بتاريخ 2006م، بإشراف الدكتور بوعناني مختار. بنفس العنوان: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري ليحي الشاوي 1096هـ). وتقدم الطالب قدور قطاوي بلخضر برسالة دكتوراه، بتاريخ 2004، بنفس الكلية والجامعة. بعنوان: الدراسة النحوية في كتاب المحاكمات لأبي زكريا يحي الشاوي الجزائري، بإشراف الدكتور بوعناني مختار. توجد بمجموع 212.

14- تفسير عمر بن المحجوب الشرقاوي: لم أطلع على من ذكر للمحجوب الشرقاوي تفسيرا وخصه بعنوان معين غير أنه في كتب الفهارس يوجد ذكر للتفسير المقصود، وهو بدون عنوان، وإنما اكتفى المفهرس بعرضه على الشكل التالي:

- له تفسير القرآن الكريم (الربع الأخير): وهو مخطوط برقم: **5317**، المؤلف: عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي الجزائري ..أوله: " سورة يس مباركة بنور الله العظيم. بسم الله الرحمن الرحيم: «يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ». واتقوا الله واعلموا أن الله قد أنعم على نبيه بسورة يس، وهو اسم من أسمائه تعالى، وأقسم به لعبده، يعني وحقّ يس وكتابه القرآن الذي أنزلته على قلبك من لدن الحكيم العليم، إنك يا محمد لمن المرسلين...".

وآخر المخطوط: " ثمّ بين الله مقام الكافرين بقوله تعالى «أليس في جهنم مثوى للكاذبين المشركين المكذبين الظالمين بكل حال، وأمّا الذين جاءوا قول الحق الصادق من عند الله وعملوا بما فيه من أمر ونهي، أولئك هم المتقون الذين قالوا ربنا الله الذي لا إله إلا هو، ولا يفيد إلا إياه ولو كره المشركون. «لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ».". الزمر/ 34.

وأوصاف المخطوط: نسخة ممزقة من القرن الثالث عشر الهجري خُرِم من آخرها مقدار كبير ولا ندري مقدار الخرم، كتبت بخط مغربي معتاد، فيه أخطاء إملائية ونحويّة، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر كتب التفسير في الأوراق الأولى على وجه واحد وترك الوجه الثاني فارغا. المخطوط مصاب بالرطوبة وغلافة ممزق. (ق 49/ م 31* 5، 22/ س 18)[3].

---

[1] - المحاكمات، لوحة 64، الوجه: أ، ب.

[2] ـــ المحاكمات، لوحة 48، ب.

[3] ـــ فهرس الظاهرية 158/3.

– **تفسير القرآن الكريم (الربع الثاني)**: الرقم: 7122. المؤلف: عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي البهلول المغربي الزواوي الجزائري المهاجر إلى دمشق. وأول المخطوط: "سورة الأعراف مكيّة مباركة بنور الله. بسم الله الرحمن الرحيم: «المص، كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ» اعلم أن الله أراد أن يرسل رسولا، ونوّر قلب محمد صلى الله عليه وسلم وبصره إلى مكنون علمه سبحانه وتعالى، والمص، هذا كتاب أنزل إليك بالحق فلا يكن في صدرك وقلبك منه حرج وأنزلته إليك لتنذر به أمّتك بالحق فلا يكن في صدرك حرج وأنا دائما معك. آخره: قل إنما بشر مثلكم يوحى إليّ، إنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» ثم أخبر الله نبيه بنتيجة الكلام بعد ما حدث الناس وجادلوا بالكلام ثم قال الله: ورسوله إنما أنا بشر مثلكم ولكن يوحى إليّ من عند الله، إنما إلهكم إله واحد وهو رب العالمين، فمن كان يرجو ويطمع رضا ورحمة من لقاء ربه فليعمل عملا صالحا...".

وآخرالمخطوط:" ...كمل بحمد الله وحسن عونه ربع الثاني من تفسير القرآن العظيم على يد شارحه ومفسره عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي البهلول المغربي الجزائري المهاجر الى دمشق الشام الشريف.".

– أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط مغربيّ معتاد وهو خط المؤلف. أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر. كتبت النسخة بلغة عامية فيها أخطاء نحوية وإملائية، وقد أصابتها الرطوبة وبدأت أوراقها تتكسر نتيجة جفافها الغلاف ممزق. (ق 332/ م 24* 18/ س 13).

– **تفسير القرآن الكريم– الربع الثالث**: الرقم: 5324. المؤلف: عمر بن محمد المحجوب. أوله: " سورة مريم عليها السلام، مكية، حفظها الله دائما.". آخره: " «وَلَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ، وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً» فاطر. والحال إن الله كان دائما متصفا بالعلم والحلم على عباده ...كمل بحمد الله الربع الثالث من تفسير القرآن العظيم على يد شارحه عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي.".

وأوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط مغربي معتاد وهو خط المؤلف، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر. كتبت النسخة بلغة عامية فيها أخطاء كثيرة نحوية وإملائية. أصيبت الأوراق بالرطوبة ثم الجفاف وقد تمزقت أطرافها. (ق 284/ م 24* 18/ س 13).

15– تفسير سورة القدر للأمير المالكي: ورد في جميع النسخ التي اطلعت عليها عنوان: تفسير سورة القدر، ووقع اسم المؤلف فيما تيسر لنا من مخطوطات تفسير سورة القدر وهي ثلاث نسخ خطية: ـــ إحداهما بعنوان: هذا تفسير سورة القدر، هكذا وقع على صفحة المخطوط الأولى، وبعده وقعت تسمية المؤلف بعد نعته بما هو من أهله إذ كتب الناسخ: " لجامع شتات الفضائل وترجمان لسان الأوائل العالم النحرير سيدي محمد الأمير عفا الله عنه.". ووردت في نفس الصفحة بعض البيانات عن هذه الرسالة، بدأت بذكر أن الرسالة من تأليف الأمير محمد بن محمد كان حيا حوالي 1175هـــ.

كما وقع بيان أن المخطوط يتكون من 16 ق، 17 س 5، 21×5، 15 سم. والنسخة جيدة خطها نسخ حسن. ثم وقعت الإشارة إلى مصدر ترجمة المؤلف وذكر رسالة التفسير المشار إليها وأن ذلك موجود في معجم المؤلفين 193/11، لمرحوم رضا كحالة. وحسب فهرسة المكتبة فهي من قسم التفسير، القرآن الكريم وعلومه، وأن عدد اللوحات: 16 لوحة.

وتوجد هذه النسخة بمكتبة جامعة الرياض قسم المخطوطات. وعلى النسخة المذكورة حواش متعددة الاتجاهات يمينا وشمالا في الصفحات الأولى فقط. والسورة بالخط الأحمر.

وأما النسخة الثانية فوقع عنوانها هكذا على الصفحة الأولى " هذا تفسير سورة ليلة القدر لشيخنا خاتمة المحققين وعمدة الفقهاء والمحدثين العالم العلامة البحر الفهامة شمس الدين محمد بن محمد الأمير فسح الله في مدته ونفعنا به والمسلمين في الدنيا والآخرة بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آمين آمين." [1]. وهو خلاف ما وقع في الأولى من أنه محمد الأمير فلعله وقع الاكتفاء بنسبة أسم محمد إلى لقب الأمير دون تفصيل ذكر النسب كما في النسخة الثانية.

والنسخة أولها: " بسم الله الرحمان الرحيم وبه ثقتي الحمد لله الذي جعل لكل شيء قدرا، وأنزل القرآن رحمة وشفاء وذكرا..." [2]. وآخره: " تم وكَمُل بحمد الله وعونه في يوم الأربعاء سابع يوم خلون من شهر رمضان الذي هو من شهور 1303 هـــ ثلاث وثلاثمائة بعد الألف من هجرة من له العزُّ والشرف صلى الله عليه وسلم، وذلك على يد كاتبه الفقير معوض ابن سلامة المالكي مذهبا غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه ولكافة المسلمين أجمعين." [3]. والتاريخ المذكور لتمام النسخ لا التأليف لتقدم وفاة المؤلف الأمير المذكور كما سيبين في ترجمته لاحقا. وعدد السطور 23، عدد اللوحات 11. لون السورة بالأحمر.

- والنسخة الثالثة رمزنا لها بـــ(ج)، ووقع على صفحتها الأولى ما نصه: " هذا تفسير سورة القدر لشيخ مشايخ الإسلام خاتمة المحققين وعمدة الفقهاء والمحدثين العالم العلامة والبحر الخضم الفهامة شمس الملة والدين المحفوظ بعناية رب الملك القدير سيدي محمد الأمير فسح الله في مدته آمين آمين." [4]. وعدد اللوحات فيها: 08 لوحات، وعدد الأسطر 23 ، ولون السورة بالأحمر كما هو معهود.

---

[1] - اللوحة 01 من المخطوط رقم - ب-.

[2] - اللوحة 02 من نفس المخطوط ورقمه.

[3] - اللوحة نفسها.

[4] - اللوحة 01 من المخطوط رقم - ج-.

وقع في آخر هذه السورة: " تمت بحمد الله وعونه على يد كاتبها الفقير إلى مولاه الغني علي بن أحمد أبي ميرة الفوي[1] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين آمين آمين. وفي هذا النص بيان للناسخ، وبه تحديد تاريخ متقدم على المخطوطة الثانية إذ أنها نسخت في 24 جمادى الثانية 1215هـ."[2].

أوله: " بسم الله الرحمان الرحيم وبه ثقتي الحمد لله الذي جعل لكل شيء قدرا، وأنزل القرآن رحمة وشفاء وذكرا..."[3]، وآخره: " ونسأل الله تعالى من فضله وكرمه العفو والعافية فإنه عفو كريم يحب العفو آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين. تمت بحمد الله يوم الخميس المبارك لتسعة أيام خلت من شهر شوال 1219هـ على يد كاتبها الفقير أحمد الأبناسي...الشافعي الشاذلي تابع الحبيب النسيب السيد أحمد... أبو النجا."[4].

مصادر التفسير المؤلف متعددة وهي في الغالب المصادر التقليدية وهي القرآن في 08 مواضع، وربما تعرض للقراءات كما في قوله تعالى (أنزلناه) " يصل ابن كثير من السبعة هذه الهاء بواو الإشباع على أصله وغيره يقصرها."[5]. والسنة النبوية 04 مرات، إحداها " وما ذكرناه من أن بيت العزة في ساء الدنيا هو ما في الدر المنثور وغيره. وفي الشيخ زادة على البيضاوي أنه في السماء السابعة فلعله متعدد ثم أنه أنزل مفرقا بحسب الوقائع في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين مدة فتور الوحي..."[6]. وهي تبين طبيعة الرجوع إلى الأحاديث. وليس في التفسير تعرض للإسرائيليات.

وفي التفسير تعرض لمباحث بعضها تتصل بالعربية كمبحث خاص بالتأكيد ولا القسم ما فائدته للكافر.[7]، ومباحث تتصل بالعقائد كمبحث كلامي الجمع بين القديم والحادث في (إن الله وملائكته يصلون)[8]. ومبحث منطقي كما في لوحة 02/07.

ويعود الأمير للاستدلال بأقوال المفسرين من المتأخرين خصوصا كالخفّاجي والرازي والبيضاوي الكَرْماني، السعد والتفتازاني." وعند قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) لا يدل لأحدهما وقد تعرضنا لذلك في تفسير العلق مما كتبناه للمعوذتين."[9]. وفيه ذكر لتفسير المعوذتين للأمير نفسه. ولم أعثر على شيء منها.

---

[1] -كذا بالأصل والتي قبلها.

[2] - اللوحة 02 من المخطوط رقم - ب-.

[3] - اللوحة 08 من المخطوط رقم – ج -.

[4] - اللوحة 19 من أصل المخطوط مجلدا.

[5] - تفسير سورة القدر لوحة 07/وجه 01 .

[6] - تفسير سورة القدر لوحة 08/وجه 02.

[7] - تفسير سورة القدر لوحة 06/وجه 01.

[8] - تفسير سورة القدر، المصدر نفسه. لوحة 06/وجه 02 .

[9] - تفسير سورة القدر، المصدر نفسه. لوحة 11/وجه 02.

16- مختصر كتاب الدر الثمين للتنلاني: عنوانه مختصر السمين في إعراب القرآن، هكذا ورد في الغصن الداني للقبلاوي، والكتاب لا يزال مخطوطا و لم يتيسر لي الاطلاع عليه رغم المحاولة وأوله على ما في الغصن الداني المذكور:" الحمد رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده الذي أنزل على عبده كتابا عربيا وأمره ببيانه للناس فبينه وأتاهم بشرعة جديدة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نصروا دينه وبينوا طرقه السديدة فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغني به عن كل ما سواه عبد الرحمان بن عمر التواتي بلدا ومولدا القرشي نسبا ومحتدا، كان الله له في الدارين وليا ونصيرا ووقاه شر كل حاسد وقال إذ لم يزل تعالى سميعا بصيرا لما من الله تعالى علي بحفظ كتابه العزيز وتحصيل ما تيسر من علومه كإعرابه وغريبه وبديعه وبيانه وكان من أجل ما ألف في هذه الفنون الكتاب المسمى الدر المصون في علم الكتاب المكنون الذي ألفه الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يونس بن محمد بن مسعود بن إبراهيم النحوي الشافعي الحلبي المشهور بالسمين وكان من أكابر أصحاب اثير الدين ابي حيان لخص تأليفه هذا من تفسير شيخه المذكور ومن غيره وأكثر الاعتراض عليه في رده على الزمخشري وانتصر له وجمع فيه بين الإعراب واللغة والتصريف والبيان فجاء تأليفا حافلا في أربعة اسفار في كل سفر زهاء ثلاثين كراسة بالقالب الكبير فلما وقفت عليه شغفت به و لم يمكني تحصيله لكبر حجمه فاستعنت بالله تعالى على اختصاره ليحصل الانتفاع به ولمن أراده من المسلمين واقتصرت على الفنون الثلاثة الأول لشدة الحاجة إليها وأسقطت الرابع لقلة من يتعاطاها من طلبة العصر واقتصرت أيضا في القراءات التي استوفاها فيه متواترها وشاذّها على قراءة نافع التي رواها ورش وقالون عنه لأنها محفوظ غالب طلبة المغرب.".

وختمه اختصاره بقوله: " يقول مختصره عبد الرحمان بن عمر التواتي غفر الله تعالى من ذنوبه ما مضى وما يأتي قد من الله تعالى بتمام هذا المختصر جعله الله تعالى من الصالحة المقبولة التي أجرها يضاعف ويدخر فالحمد لله حمدا كثيرا على ذلك دائما والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث للخلق رحمة وبالحق حاكما، وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين." [1].

وكتاب السمين موجود وقد اطلعت على نسخته الإلكترونية على الأقل، والظاهر من كلام التنلاني أنه تصرف فيه كثيرا على غير ما يقتضيه قانون الاختصار لكونه استغنى فيه عن مباحث البيان، وقد برر ذلك بعدم اشتغال طلبة زمانه بالبيان القرآني... والذي أراه والله أعلم أنه لو تمم الاختصار بمباحث البيان لكان أوفى وأعم للفائدة و لم يحتكم فيه لأهل زمان معين على ما يقتضيه قانون الاختصار.

17- تفسير الطاهر الجزائري: ألف طاهر الجزائري في فنون عديدة منها التفسير فله فيه كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، وقد طبع مرارا، كما ألف في التفسير ويبدوا أنه استوفاه فقد ذكرت المصادر أن من " كتبه التي لا زالت مخطوطة: تفسير القرآن في أربع مجلدات."[2]. وهو في الحقيقة حاشية على البيضاوي. كما

---

[1] - الغصن الداني لبلعالم القبلاوي، المصدر نفسه. 54.

[2] - معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. 101، معجم المفسرين، المصدر نفسه. ج 241/1.

تذكر كتب فهارس المخطوطات أنه فسر " مجموعة من الآيات. ص: 2187، 188، 189."، وفي موضوع آخر أنه " تفسير بعض الآيات من سور مختلفة. ص: 188. وقد ذكرنا مراجع هذا التفصيل في محلها من التعريف بأعمال الشيخ طاهر الجزائري فلا أطيل بتكرارها.

ووقع تفصيل بياناتها على النحو التالي:

1ـــ تفسير مجموعة من الآيات من سور مختلفة من القرآن الكريم. الرقم: 11680.

2 ـــ تفسير مجموعة من الآيات منقولة من الطبري والنيسابوري. الرقم:11678.

تفسير مجموعة من الآيات من سور مختلفة. الرقم: 11639.

تفسير الشيخ طاهر الجزائري: يسر الله تعالى لي الإطلاع على هذا التفسير في مكتبة الأسد بدمشق، واسمه كما ورد في الفهرسة: التذكرة وفيها تفسير البيضاوي، يقع التفسير في أربع مجلدات كبار بخط المؤلف نفسه ومصور على بطاقات مكروفيلمية، التفسير عبارة عن حاشية على تفسير البيضاوي. يبدأ المؤلف رحمه الله تعالى بإدراج صفحات مطبوعة من تفسير البيضاوي يعلق على هوامشها بخط يده ثم يبدأ في تفسير الآيات التي تناولها البيضاوي ويطيل في تفسيرها ويكثر النقولات، وأحياناً يدرج صفحات من كتب كما هي، ينقل كلام شيخ الإسلام وكلام غيره.

المجلد الأول: يقع في 583 ورقة.

المجلد الثاني: يقع في 573 ورقة.

المجلد الثالث: يقع في 1183 ورقة.

المجلد الرابع: يقع في 457 ورقة.

مع ملاحظة أن ترتيب المجلدات في الفهرس غير صحيحة حيث أن المجلد المفهرس الأول هو في الواقع الثاني، والمجلد الثاني هو في الواقع الثالث، والمجلد الثالث هو في الواقع الأول .والمجلد الأول ذكر فيه مقدمة طويلة عن علوم القرآن وأصول التفسير وعلوم نفيسة ثم شرح في تفسيره وللأسف يكثر في سورة البقرة سواد الكربون الذي على الميكروفيلم ولعل أصل المخطوط يكون أوضح. وللمؤلف مخطوطات عديدة أخرى في التفسير ولكنها تفاسير آيات أوسور متفرقة.[1]

18- كتاب الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي راس الناصري: ذكر أبو راس نفسه أن له تفسيرا، وقد ذكر هو أن عنوانه مجمع البحرين. فقد قال: " منها في التفسير وعلوم القرآن مجمع البحرين في ثلاثة مجلدات."[2]. وقد عثرتُ على عمل لأبي راس في التفسير عنوانه كما هو مثبت في أول صفحة منه: الإبريز والإكسير في علم التفسير، ينتهي فيه إلى تفسير قوله تعالى من اللفظة الشريفة (فسَيكْفيكَهُم الله) من آخر

[1] - نص للباحث وائل حجلاوي بتاريخ 11/07/2006.

[2] - تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمان الجيلالي، المصدر نفسه. ج 574/3.

الحزب الثاني من سورة البقرة. وليس بين أيدينا غير نسخة واحدة. وهي نسخة وحيدة بخط دقيق مقروء يقع في حدود 37 لوحة من وجهين.

أول المخطوط:" الحمدُ لله مُلَقِّح الذهنَ العقيمَ بنتائج التفسير، ومُنقـــِّح الجسمَ السقيمَ بطبِّ الهداية والتيسير، الذي حارت العقولُ في كُنْهِ ذاته بعد العَدْوِ في مجالها فضلا عن المَسِير."، وآخر المخطوط: (وإن تولوا فإنما هم في شقاق) يعني إن أعرضوا عن الإيمان فما هم إلا في شقاق ومخالفة معكم كلٌّ في شق غير شق الآخر ﴿فسيكفيكهم الله﴾ يا محمد مشاقهم."[1]. وآخره: " ﴿وإن تولوا فإنما هم في شقاق ﴾ يعني إن أعرضوا عن الإيمان فما هم إلا في شقاق ومخالفة معكم كلٌّ في شق غير شق الآخر ﴿فسيكفيكهم الله﴾ يا محمد مشاقهم."[2].

وعن مصادر أبي راس الناصري فهي المصادر التقليدية للمفسرين المتأخرين فقد عاد إلى القرآن يوضح به المعنى في مواضع متعددة، كما عاد إلى الأحاديث 08 مواضع، وعاد إلى قول ابن عباس في مرات معدودة، وكذا ابن مسعود. ويذكر من أقوال أهل الكتاب شيئا قليلا بينما نراه يعود إلى التاريخ في كل مناسبة تتيحها الآيات. ولنقدم أمثلة متعددة على ذلك أولها عند قوله تعالى ﴿وإذ واعدنا موسى﴾ فقد قال: " ابن عمران بن يصهر بن فاهَث – بمثلثة – وبفتح الهاء وكسرها ابن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. "[3].

وفي موضع ثان عند قوله تعالى ﴿منه اثنتا عشرة عينا﴾ حيث يذكر: " من كل وجه ثلاثة أعين تسيل في جدول إلى سبع، وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا، وسعة العشر اثنا عشر ميلا. كل سبط في ميل." [4].

وبمناسبة التعرض إلى النصارى فقد ذكر في تعريفهم أن:" ﴿النصارى﴾: جمع نصراني سموا بذلك نسبة إلى ناصرة التي كان يسكن فيها عيسى من قرى الشام لما رجع من مصر مع أمه. والياء في نصراني للمبالغة. ومعناه أن هذا الدين في عير عصابة من صاحبه، فهو دين من ينصره من أتباعه؛ لأن الروم أخذت به وكانوا مجوسا، ولا عصبية بينهم وبين المسيح عليه السلام. وكان قبل رفعه عين لكل حواري قطرا يدعوهم إلى الإسلام، ولما توفي داعي الروم خلف أصحابا فسماهم الروم نصارى نسبة لقرية كما مرَّ. وآذوهم خلفا عن سلف حتى أخذ بدين عيسى قسطنطين أحد ملوكهم المعروفين بالقياصرة من بني الأصفر. وأمه هيلانة بنت مخشيان لثلاثمائة وثمانية وعشرين من رفع عيسى. فهو وأمه أول من تنصر من الروم. وهو باني القسطنطينية العظمى. وكانت قرية يقال لها برنيطة. ولما تحصن بها حمل الروم على التنصر وأسلموا، وغلب الأمم كالفِرِنْج والقِبْطِ وأكثر البربر وحملهم على ذلك، وهو في أحسن حال في دين الله إلى أن هلك رحمه الله ونفعنا به لستمائة وخمسين سنة من وفاة الإسكندر فبقوا بعده مرة على الدين القويم والمنهج المستقيم، ثم غيروا وبدلوا وضلـــُّوا وأضلـــُّوا، وبقي الاسم بلا رسم. وبذلك تعلم ما في كلام البيضاوي كانوا معه في قرية إلخ.. وكذلك الحال

---

[1] – مخطوط الإبريز اللوحة الأولى.

[2] – مخطوط الإبريز، المصدر نفسه. اللوحة 37.

[3] – مخطوط الإبريز اللوحة 37.

[4] – مخطوط الإبريز اللوحة 40.

في تعريف ﴿الصابين﴾ فهو يقرر في شأن القراءة أنه بهذا قرأ نافع والباقون بالهمز من صبأ مهموز. وهو لغة كل من خرج من دين لغيره، ثم خص بطائفة نسبوا إلى صابي بن لامك، كانوا أخذوه بالنصرانية ثم أخذوا على دين نوح ثم علم الكواكب، واستزال روحانيتها وعبدوها. وقد ألف أبو إسحاق الصابي وزير بني بويه كتابا في نسبهم ودينهم، وكذا داهر مؤرخ السريانيين. وقد بادوا وانمحى أثرهم." [1].

وكذلك عاد إلى ما ثبت عنده من علم التاريخ في تفسير قوله تعالى "﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل ﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز، وبياء وبدونها والحاصل أن فيه ثمان لغات قرئ بأربع منهن في المشهور، الأخوان وشعبة بالفتح والراء وهمزة مكسورة وياء، وشعبة بلا ياء، وابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز، وأربع في الشواذ. وميكائل به قرأ حمزة والجماعة أي بهمزة بعدها ياء، وقرأ أبو عمرو: ميكال بلا هَمْز ولا يَاء بوزن مثقال، ونافع بالهمز بلا ياء بوزن ميفعال، وفيه ثلاث قراءات أخرى شواذ. وعطف جبريل وميكايل على الملائكة من عطف الخاص على العام. قال عكرمة جبر وميك وإسراف بمعنى عبد وإيل بمعنى الله أي جبريل عبد الله، وميكايل عبد الله وإسرافيل عبد الله، لم ينصرفوا للعُجْمَةِ وللعَلَـــمِيَّة، ومن قال بالاشتقاق أو التركيب يرد؛ لأن الأعجمي لا يدخله العربي؛ ولأنه لو كان مضافا لصرف انظر القسطلاني. وفيه بعض مخالفة لما مر لنا في إسرافيل. وفي الخفاجي وهو عبراني أو سرياني أي عبد الله على الأصح، وإيل اسم الله في لغتهم أليس بمعنى عبد، وما قيل أن إيل لا يعرف من أسماء الله ليس بشيء هـــ." [2].

ولا يفتأ يفيد من التاريخ كلما وجد مناسبة فيها ذكر ملك أو مكان أو ديانة، وهو أمر مسبوق به في كتب التفسير لكن كثيرا من المفسرين كما في قوله تعالى " ﴿وما نزل على الملكين﴾ عطف على السحر، والمراد بهما واحد فالعطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه، وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة. وما رويا أنهما مثلا بَشَرَيْنِ وكتب فيهما الشهوة وتعرضا لامرأة اسمها الزهرة بفتح الهاء وتكسر تخفيفا فحملتها على المعاصي وصعدت إلى السماء بما نقلت منهما فمن أساطير اليهود. وقيل رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويؤيده قراءة كسر اللام. كانا ﴿ببابل﴾ مدينة كانت في سواد الكوفة، قال بعضهم كانا من ملوكه. أول من بناه كنعان ابن كوش بن صام، وهو أول من ملك الأرض من ولد نوح مساحته اثنا عشر فرسخا في مثلها، وقال هرشيوش مؤرخ الروم: دور سوره ثمانون ميلا وارتفاعه مائتا ذراع وعرضه خمسون، واه مائتا باب من النحاس وفي أعلاه مساكن الجند بنيت من الجانبين ودار به خندق بعيد المَهْوَى أجري فيه ماء الفرات. ولما هلك كنعان ملك ابنه نمرود وأخذ بدين الصابئة عبادة الهياكل وعبد الأصنام أيضا لما هلك وقعت البلبلة المشهورة وهي مذكورة في التوراة. قال بعضهم لا أدري معناها. وقيل إن الناس باتوا

[1] – مخطوط الإبريز اللوحة 40.

[2] – مخطوط الإبريز اللوحة 57.

على لغة واحدة فأصبحوا وقد افترقت لغاتهم. وقيل ما أنزل نفي وهو تبرئة لهما وتكذيب لليهود في هذه القصة." [1].

وفي خصوص مباحث اللغة فمن منهج أبي راس أن يحقق المعاني الإفرادية للفظة القرآنية، وكثيرا ما يعيدها إلى أصولها، ويعود إلى الشعر على قلة من ذلك، ويذكر كتاب الحماسة. وهو يعتمد على المشهور من تفاسير المتأخرين كالخفاجي وابن جزي، والسيوطي، والبيضاوي. وفي الكتاب تسمية مجملة لبعض من عاد إلى تفاسيرهم فقد قال بعد المقدمة " إلى أن صمَّم الذهنُ الفاتر، والرأيُ العاثِر على الانتظام في سلكهم العَتِيد، والإواء إلى ركنهم الشديد؛ لأقتبس من تفاسيرهم السائرةِ في الأنام مَسيرَ الشمس، ولا ينكرها إلا الذي يتخبَّطـُه الشيطانُ من المس، كالبحر والأنوار والكشاف، وابن عطية والجَلالـَيْن وكشف الكشاف." [2]. وكذا الجواهر الحسان. وعاد إلى أقوال العلماء من غير المفسرين مرات عديدة.

وليس أبو راس متبعا في كل ما نقل عن المتأخرين من الأقوال، ولا اعتمد على مفسر واحد يكون كلام أبي راس اختصارا لتفسيره، بل هو يتخير من أوالهم فيقتصر غالبا على ما اختار منها، ولا يهتم بتخطئة الأقوال المتروكة إلا قليلا بل نراه يتعقب ابن عطية مثلا بعد أن يستوفي نقل كلامه كما في تفسير قوله تعالى: " ﴿وإذا قضى أمرا﴾ أي أراد شيئا أي إيجاده ﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي فهو يكون؛ فيكون مرفوع على الاستئناف كما لسيبويه واختار الطبري عطفه على يقول، ونظر فيه ابن عطية لاقتضائه القول مع التكوين، وفي قراءة بالنصب هي لابن عامر حيث أتى إلا أن الثاني في آل عمران مرفوع اتفاقا وتبع الكسائي ابن عامر في النـَّحل وياسين فقط في جواب الأمر. وأصل القضاء إتمام الشيء قولا كقوله تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أو فعلا كقوله ﴿فقضاهن سبع سماوات ﴾، وأطلق على تعلق الإرادة الإلهية بوجود الشيء. وكن فيكون من كان التامة بمعنى احدُثْ فيحْدُثُ، وليس المراد حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به الإرادة بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف، وفيه تقرير بمعنى الإبداع وإيماء إلى حجة خامسة. وقال ابن عطية يتجه في الآية قدر أو أمضى فعلى مذهب أهل السنة قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد اهـــ. قال ابن جُزَي لا يكون قضى بمعنى قدر لأن المقدر قديم، وإذا تقتضي الحدث والاستقبال اهـــ." [3].

يعقب على كلامه بالتصحيح والتوجيه فيقول: " قلت: كلام ابن عطية صحيح في نفسه جار على مذهب أهل السنة إلا أنه غير مراد الآية لكونها في المقدور لا في القدر، وأمر على حذف مضاف أي إحداث إمضاء أمر، وكلام ابن جزي غير وارد عليه. لا يقال ما لأهل السنة لا ينفك عما للمعتزلة؛ لأنا نقول هو منفك عنه في التقدير أيْ: وإذا أراد الله تعالى إمضاء أمر كان قدره عند خلقه وإيجاده وهم لا يقولون بهذا لأن الأمر

---

[1] – مخطوط الإبريز اللوحة 60.

[2] – مخطوط الإبريز اللوحة 06.

[3] – المصدر نفسه. لوحة 67.

عندهم أخف. وقولنا وليس المراد حقيقة أمر وامتثال إلخ تأمله عما جلب ابن جزي وابن عطية هنا من كلام الأصوليين. وفي الخفاجي القضاء عند السلف إرادة الله الأزلية المتعلقة بجميع الأشياء خيرها وشرها، والقدر إيجاده إياها على ما قلناه أولا."[1].

19- المواقف للأمير عبد القادر الجزائري: العنوان: وردت لكتاب المواقف عدة عناوين على مختلف الطبعات التي ظهرت تباعا، لكنها جميعا تتفق على لفظ "المواقف"، ففي أول طبعة بدمشق عام 1967م حملت عنوان: كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد. وفي طبعة الجزائر لعام 1966م، ورد العنوان هكذا: المواقف الروحية في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف والإلقاءات السبّوحية. بينما حملت طبعة مؤسسة الأمير عبد القادر لسنة 2005م العنوان التالي: المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف. وقد علل محقق الطبعة المذكورة ذلك بقوله جوابا عن سؤال طرحه: ما هو العنوان الصحيح للكتاب؟ " الجواب يعطيه الأمير في الموقف 360 حيث يظهر أنه اختار لعنوان كتابه أولا لفظة (المواقف)، ولما وصل إلى الموقف 360 ورد عليه الإلهام بأن يزيد في العنوان، فقال: قيل لي زد في تسمية كتابك: المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف."[2].

تحقيق نسبة المواقف للأمير: كلام ابنه الأمير محمد مشيدا بمكانة والده في التصوف:" وله في فن التصوف المقام الشامخ والباع الطويل، ومواقفه الكريمة أعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف والمشاهد."[3]. وقوله ولده محمد أيضا: " وله تآليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة..."[4]. وقوله الأمير محمد أيضا: " ولم أتعرض لذكر ما له من النظم واللطائف حيث أنه قدس الله سره أثبتها في كتابه المسمى بـــ(المواقف)."[5]. وذكر صاحب الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية: " فأحببت تقييدها كالذيل لمواقفه خوف ضياعها..."[6]. وذكر الباحث جواد المرابط في كتابه " تصوف الأمير عبد القادر" نقلا عن والد عمه عبد الرحمان المرابط صديق الأمير عبد القادر يثبت فيها أن المواقف من تأليف الأمير المذكور.

والمواقف المطبوع يقع كتاب المواقف في النسخة التي اعتمدناها في جزئين، يتكون الجزء الأول من 735 صفحة، بها ترجمة الأمير ومقدمة المحقق عبد الباقي مفتاح، كما يتكون الجزء الثاني من 726 صفحة بها فهارس المواقف في الجزئين تباعا، كما أنها تحوي جردا للأحاديث النبوية والقدسية المذكورة بالكتاب، وفهرسا يحوي بعضا مما يتعلق بالسيرة الذاتية للأمير في سائر الكتاب. وقد قام بتحقيق الطبعة العتمدة الأستاذ عبد الباقي

---

[1] – المصدر نفسه. لوحة 67.

[2] – المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف. للأمير عبد القادر (دار الهدى للنشر والتوزيع – الجزائر– ط: 03، 2005م) ج25/1.

[3] – المواقف، المصدر نفسه. ج 25/1.

[4] – المواقف، المصدر نفسه. ج 25/1.

[5] – المواقف للأمير عبد القادر، المصدر نفسه. ج 25/1.

[6] – المواقف نقلا عن الحقائق الوردية عبد المجيد الخاني الدمشقي، المصدر نفسه. ج 25/1.

مفتاح، وهي طبعة مقبولة عموما، وقد خلت من التعليقات العلمية، والتحقيقات النقدية، إذ كان مذهب المحقق التسليم للأمير فيما ذكره من التوجيهات للآيات القرآنية بعيدا عما يقوم به ظاهرها. وتم طبع الكتاب عام 2005م بالجزائر كما ذكرنا سابقا.

وحول منهج المؤلف فقد حوى كتاب المواقف 372 موقفا، وآخره مرائي للأمير في بضع صفحات، ويبدأ كل موقف بآية قرآنية أو آيات ثم يشرع في تفسيرها والوقوف عندها، بما يراه ويفتح عليه من الإشارات. ولا يكاد يلتفت إلى الظاهر أو يجمع بينه وبين ما يذكره. غير أنه لا ينكر هذا الظاهر المراد من الآيات المذكورة، ولا يقدم ما يختاره بديلا عنه. وأحيانا يبدأ الموقف ببعض الأحاديث النبوية ويسلك نفس المسلك السابق.

ولا يفوت الأمير في تفسيره أن يحشر الآيات التي يرى لها تعلقا بالآية المختارة أو بالموضوع الذي تندرج تحته الآية بالإشارة، كما لا يفوته أن يستشهد على ذلك أيضا بالأحاديث النبوية. ومما هو ملاحظ كثيرا بل بني الكتاب على أساسه ذكر مقولات محي الدين بن عربي والذي يرد ذكره " خاتم الأولياء المحمديين الشيخ محي الدين رضي الله عنه"، " قول سيدنا". وهي عبارات تكرر بلا حصر في كتاب المواقف.

- مصادر التفسير: ولا يذكر الأمير لتفسيره مصادر غير أن مجمل ما يراه يعود بنصوصه إلى كلام ابن العربي عموما وكلام غيره من الصوفية الذين يوافقونه في الاتجاه، كالجيلي والرّفاعي وغيرهم. ولأجل هذا خلا كلام الأمير من تفسير الصحابة إذ كان تفسيرهم يقصد ظاهر الآيات. ويعود إلى القرآن يستأنس بآياته لتقرير المعاني التي يصرف اللفظ إليها، دون أن يكون ظاهر الآية قد دل على تلك المعاني بأحد أنواع الدلالات المعروفة. وأما بالنسبة للسنة النبوية فقد ورد في المواقف 280 حديثا، و46 حديثا.

20- همیان الزاد لاطفیش لیوم المعاد للشیخ اطفیش: هكذا وقع عنوانه وهو أمر مشهور ومتفق عليه عن أهل التراجم وغيرهم من الباحثين ومؤلفه الشيخ محمد بن يوسف اطفيش رحمه الله. لم أقف على النسخة المخطوطة، و لم أطلع على طبع تفسير همیان الزاد في غير المكتبة الشاملة، وهي نسخة كاملة اكتفي فيها بنص الكتاب من غير ذكر لمقدمة التحقيق.

ومن منهج اطفيش في تفسيره أنه يلتزم التعرض لاختلاف القراءات في الآية المقصود تفسيرها، وعلى سبيل المثال فقد ذكر الإمام ورش قريبا أكثر من 60 مرة، وذكر شيخه نافعا أكثر 350 مرة.

وعن مصادر التفسير فإضافة إلى الرجوع إلى نفس القرآن أثناء التفسير باعتبار ذلك من أصح أنواع التفسير، يعود إلى الحديث النبوي بما يزيد عن ألف حديث بين سنة قولية وفعلية واستدلال بالسيرة النبوية، بغض النظر عن درجتها العلمية. واستدل بمئات الشواهد الشعرية في مختلف المجالات من شاهد لغوي إلى شاهد أخلاقي.

- المذهب العقائدي: وأما عن مذهب صاحب التفسير فهو في العقيدة على مذهب الإباضية بلا ريب، ففي تفسير قوله تعالى{ وَيُحِبُّونَهُ } مثال على ذلك فقد قال: " يطيعونه ويقدمون أمره على هواهم، وذلك استعمال للملزوم في اللازم في الجملة، وليس الله جنساً للبشر ولا لشيء ولا صالحاً لذلك تعالى عز وجل،

فضلا عن أن يفسر الحب معه بما يعرف من حب بعضنا بعضاً، ولما نزلت الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم فيها ، فضرب على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه، لو كان الإيمان معلقاً بالثرّيّا لناله رجال أبناء فارس. فنقول منهم: عبد الرحمن ابن رستم في المغرب، إمام الحق وهو من الفرس."[1]. وهو مثال نكتفي به عن الحقائق المعروفة.

ــ ومن منهج اطفيش رحمه الله الاستدلال بأقوال المفسرين: فنراه مثلا وبعد التتبع يذكر التفسير عن عكرمة قريبا 168، وعن ابن عباس 1800 مرة، وعن ابن مسعود 542، وكذلك عن إمام المذهب جابر بن زيد 56 مرة يسند فيه جابر التفسير أحاديث عن الصحابة. وإذا انتقلنا إلى عموم المفسرين نجده يذكر وذكر الزجاج 144 مرة، والكسائي127 مرة، وابن الأنباري 17، الداودي 13 مرة، والزمخشري قريبا من 130 ذكر فيها الكشاف، والطبري 140 مرة، والرازي 25 مرة، والبيضاوي 330 مرة، والثعالبي الجزائري 55 مرة، والتفتازاني 09 مرات، والسيوطي 32 مرة في مختلف تفاسيره، والقرطبي 36 إحالة...

وأما تصنيف تفسير هميان الزاد فهو من تفاسير أهل الرأي المحمود والذي يعتمد على المنقول كلما وجد إليه سبيلا، وإلا توسع في مدلولات النص بأدوات التوسع من لغة وغيرها...

وفي خلال الفصل الثالث وفي مبحث قضايا التفسير سوف أعرض لكثير من النقول عن هذه التفاسير في قضايا مختلفة تكشف عن منهج الشيخ اطفيش رحمه الله في التفسير في العقائد، والأحكام ومباحث التصوف والمسائل الاجتماعية...

21- تيسير التفسير لاطفيش: هكذا وقع عنوانه في مختلف النسخ وعناوين الطبعات، وعند جميع الباحثين، ومؤلف هو الشيخ محمد بن يوسف اطفيش المفسر المشهور. وقد طبع الكتاب مرات عديدة، ومنذ وقت مبكر.

وعن مصادر التفسير يعود الشيخ اطفيش إلى المصادر التقليدية كما هو الشأن في مختلف تفاسيره وتفاسير المرحلة التي عاش فيها، فيعود إلى القرآن الكريم والاستدلال به في بيان وتأكيد الآيات موضوع التفسير ويقرر في تفسير قوله تعالى" (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض...)، أن: " القرآن يفسر بعضه بعضاً بخلاف تفسير التقطيع بالسير إلى الشام على الريح فإنه لا دليل عليه، ولا يتبادر."[2]، ويكرر ذلك في موضع آخر " وتفسير القرآن بالقرآن أولى."[3].

وتجده يعود إلى السنة النبوية في مواطن كثيرة نمثل لها بمثال للبيان منها: عند تفسير قوله تعالى " {وَالثَّمَرَاتِ} من الشجر والنبات والحرث بالحوائج من رحي وحر وبرد ، ونقص ماء ونحو ذلك. وخصت مع أنها من الأموال لأنها قد لا تملك كثمار الأرض التي لا يملكها أحد، وقيل، الأولاد لأنهم ثمرة آبائهم وأمهاتهم،

---

[1] – هميان الزاد إلى دار المعاد للقطب امحمد اطفيش، المصدر نفسه. ج 4 / 337.

[2] – تيسير التفسير للقطب اطفيش، المصدر نفسه. ج 432/4.

[3] – تيسير التفسير، المصدر نفسه ج 341/10.

بأن يموتوا أو يصابوا في أبدانهم، ومن الثمرات بمعنى الأولاد الحديث: إذا مات ولد العبد قال الله للملائكة، أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون، نعمن فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون، نعم، فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون، حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى، ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد، أي لأنه سببه الحمد، لكن ليس كل ما جاء في الحديث يفسر القرآن به."[1].

فهو يعود إلى المفسرين من التابعين فيذكر في شأن مجاهد مثلا عند تفسير قوله تعالى " (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسَفًا) ومجاهد بالحزن، ويقال: إذا جاء التفسير عن مجاهد كفى قوة وجمعًا." [2]. وهو من الالتزام بأن يورد ما لمجاهد كلما وجد إليه سبيلا.

ويعود كثيرا إلى مصادر اللغة كالزجاج 60 مرة، ابن الأنباري 05 مرات، والكسائي 32 مرة، ثعلب 03 مرات...ويقرر في تفسير قوله تعالى { وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ }:" ويبعد ما قيل إن الغيب الليل من لغة حمير أَي لم نحفظ، وقيل على ما يقع فيه فلعله سرق فيه، أَو دلس عليه مكرا، فاللام للتقوية أيضاً، وكون الليل محفوظاً مجازا، أَو بمعنى في، ولا داعي إِلى أَن يفسر القرآن بما لا يتبادر، ولا بغير لغة قريش."[3]، ويقرر في موضع متعددة أنه " لا يقبل في التفسير ما لم يكن على القاعدة العربية." [4]. ويعود إلى عموم المفسرين فمن باب التمثيل فقط ذكر الزمخشري 16 مرة، والطبري 65، وابن عطية 15، وابن كثير مرتين.

وإذا فسر اطفيش ما الشأن أن يكثر فيه حشر الإسرائيليات لا يفوته أن يثير هامش النقد على المروي منها تفسيرا للآية فعند قوله تعالى (وَالطُّورِ) يقول: " جبل الطور، وهو الذي كلم الله تعالى عليه موسى، ويسمى طور سيناء، وطور سينين، قرب التيه بين مصر والعقبة، ودع عنك القول بأنه جبل محيط بالدنيا ، والقول بأنه جبل من جبال الجنة، لكنه رواية عن أبي هريرة مرفوعة، غير أيها لم تصح ، والقول بأنه جنس الجبال، ولو قال به أبو حبان والكلبي ومجاهد، والقول بعض المتلقبين بأهل السنة إذا جاء التفسير عن مجاهد كفى، وأهل السنة في عرف هؤلاء هم الأشاعرة الماتردية، وما ذكرته أولا هو قول للجمهور والمشهور، ويقويه ذكر هذا اللفظ في قوله: (وطور سينين) وهو سيناء، وتفسير القرآن بالقرآن أولى."[5]. وهو نص يفيد أنه مهما روي لو ثبت عن صاحب كأبي هريرة في النص أعلاه قامت به الحجة، وأما غير ذلك فهو تفسير غير ملزم إن لم يكن مردودا بالمرة.

وتتبين شخصية المفسر من خلال بعض الانتقادات التي يوجهها إلى بعض الأصول والمرويات فعند قوله تعالى (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ): " أي القتال فيه هو أمر كبير إذا فعل عمدا، والسرية لم تقاتل عمدا، وهو حرام من لدن إبراهيم صلى الله عليه وسلم، والمذهب أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا، والذي عندي أنه شرع لنا، وأنه

---

[1] – تيسير التفسير للقطب محمد اطفيش، المصدر نفسه. ج 1 / 177.

[2] – تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 328/5.

[3] – تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 373/4.

[4] – تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 157/5.

[5] – تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 341/10.

يقدم على الاجتهاد ما لم ينافه القرآن أو الحديث. أو الإجماع بدليل راجح، ولا خلاف في أنه ليس شرعا لنا إذا صرح في ذلك بخلافه ولا يصح أن شيئاً شرع لمن قبلنا إلا إن ذكر عنهم في القرآن أو الحديث أو الإجماع، أو رواه ثقة أسلم منهم كعبد الله بن سلام."[1]. فعبارة والذي عندي يؤكد مدى اعتداده بآرائه واختياراته في التفسير وغيره.

ومثال ثان يبين الأمر أكثر فعند قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم...) " ومن الفاسد في التفسير ما قيل عن عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاسْتوى على سوقه بعليّ، وما قيل عن ابن عباس، ولا يصح عنه: أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم، عثمان (تراهم ركعاً سجداً)، علي (يبتغون فضلا من الله ورضوانا)، طلحة والزبير (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)، عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره) بأبي بكر (فاستغلظ) بعمر، (فاستوى على سوقه) بعثمان، (يعجب الزرَّاع ليغيظ بهم الكفار) بعلي (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) جميع الصحابة، وما قيل: من أن الزرع عبد المطلب شطأه محمد صلى الله عليه وسلم، فآزره بأبي بكر، فاستغلظ بعمر، فاستوى على سوقه بعثمان ليغيظ بهم الكفار بعلي، وفضل الصحابة لا ينكر."[2].

ومن قواعد التفسير عند هذا المفسر: اعتماد ظاهر النصوص القرآنية: وهو مستفاد من قوله: " لكن التفسير بغير الظاهر بلا داع بدعة لا تجوز."[3]. ومنها أيضا اعتماد عموم الألفاظ وشمولها لمختلف الأعيان والأزمان والأمكنة: وذلك كما قرره بقوله: " ولا يحسن التفسير بأشخاص كفلان وفلان، ولا بأنواع متشخصة كمن أسلم بعد الفتح، ومن أسلم قبله، ومن أسلم قبل الهجرة بل يحسن التعميم في الكل ."[4]. وهي العبارة المشهورة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومنها أيضا استبعاد ما لا دليل عليه من أقاويل المفسرين وما لا يقوم على حقائق الواقع: " وهذه أقوال لا يحسن التفسير بها، إذ لا دليل عليها، ولأنها لا تطّردُ في الناس، والأصل التعميم، ولأنها تخالف الإنذار في سائر القرآن."[5]. وكذلك استبعاد المعاني الإشارية التي يحتملها الظاهر ما دام لا دليل عليها: " وليس كل ما يجوز في المعنى يجوز أن يفسر به القرآن ولو غير ظاهر ولا له دليل."[6].

22- داعي العمل ليوم الأمل للشيخ اطفيش: وقد مر الكلام عنه قريبا، ولم يتيسر لي الآن أكثر مما مر.

---

[1] - تيسير التفسير للقطب محمد اطفيش، المصدر نفسه. ج 1 / 251.

[2] - تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 206/10.

[3] - تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 177/1.

[4] - تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 311/8.

[5] - تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 317/8.

[6] - تيسير التفسير للقطب، المصدر نفسه. ج 101/5.

23- البدر المنير مختصر تيسير التفسير (جزء عم): الكاتب: عيسى بن سلطان بن سالم الشبيبي."[1]. وأوله: " بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه. وبعد: أضع بين يدي القارئ الكريم مختصر تفسير جزء عم من كتاب (تيسير التفسير) لشيخنا العلامة الشهير قطب الأئمة محمد ابن يوسف اطفيش رحمه الله، وهو اختصار يؤدي الغرض بمشيئته جل وعلا ويغطي النقص الموجود لأمثال هذه المختصرات،خاصة لدى الناشئة وبالذات أيام الدراسة بالمراكز الصيفية، وهو مع ذلك يسعف لهم جميع القراء بسلاسة ألفاظه ووضوح معانيه وسهولة تداوله." [2].

منهج الشبيبي في الاختصار: تحدث المؤلف عن عمله وطريقته في الاختصار فقال " وقد راعيت فيه التقيد بنص عبارات القطب إلا قليلاً مما يستدعي التعديل ولا يكاد القارئ يشعر به لعدم تأثير التعديل على النص بل هو مما يزيده وضوحاً وجمالاً... ويتلوه إن شاء الله جزء تبارك وهكذا حتى سورة الفاتحة... وقد كان الأمل أن أجمع الهميان والتيسير معاً في كتاب واحد مختصر اعتمد فيه التيسير كأصل وأجعل ما يلزم من شرح ومن رأي مخالف في الهميان في الحاشية... إلا أنني ارتأيت أن أقدم الآن جزء (عم) ثم قريباً (تبارك) من التيسير للحاجة الماسة إليهما، ومن ثم أباشر تنفيذ العمل الآخر فعسى الله أن ييسر بتيسيره أمل إتمامه على هذا الرسم خدمة للعلم وتقديراً لجهود أهله. والله وحده أسأل أن يتقبل مني هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم وأن يُكفرَ به سيئاتي وأن يرفع به درجاتي وأن ينفع به كل من قرأه أو سمعه، وأن يجعل أضعاف ذلك لصاحب أصله.. إنه على كل شيء قدير."[3].

24- الرسائل والمواقف الصوفية لمحمد بن يلس: وهي اثنا عشر رسالة في التفسير، ومعنى الرسالة هنا أن سؤالا وجه للشيخ محمد بن يلس عبر البريد من أحبابه من تلمسان وهو مقيم بأرض الشام فكان يتولى رحمه الله الجواب عن الأسئلة وغيرها، وقد جمعها الأستاذ محمد عطاء الله بن يلس، وقدم لها الدكتور عبد الرزاق جعلوك وطبعت الرسائل ضمن السيرة اليلسية، وتحت مجموع الرسائل والمواقف الصوفية، في مجلد واحد ضمن تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م، وفيما يلي أورد نموذجا لبعض الأسئلة التي طلب من الشيخ تفسيرها، وتعمدت أن تكون جامعة للتفسير بالظاهر وبالإشارة أيضا. نص جواب في التفسير لمحمد بن يلس: " السؤال الرابع: قوله تعالى (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام) الجواب: أن بني إسرائيل لما دخلوا في التيه رزقوا المن واالسلوى واختار الله تعالى لهم الرزق الذي رزقهم إياه، والذي يبرز من عين المنة من غير تعب منهم ولا نصب، واختار الله لهم أن تترفع نفوسهم وتكون نفوسهم مطمئنة بقضاء الله وقدره، وأن يتركوا التدبير لصاحب التدبير؛ لكن نفوسهم الكثيفة رجعت لوجود إلف العادة والغيبة عن شهود تدبير الله تعالى إلى طلب ما كانوا يعتادونه فقالوا لموسى (ادع لنا ربك) وذلك لأنهم تركوا ما اختار الله لهم مما يليق لهم،

---

[1] - البدر المنير مختصر تيسير التفسير (جزء عم) للشبيبي، المرجع نفسه. ج 1 / 1.

[2] - البدر المنير مختصر تيسير التفسير، المرجع نفسه ج1 / 1.

[3] - البدر المنير مختصر تيسير التفسير، المرجع السابق. ج1 / 1.

لما اختاروا لأنفسهم، فقيل لهم عن طريق التوبيخ (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)، وظاهر التفسير في الآية أتستبدلون الثوم والبصل والعدس بالمن والسلوى، مع أن النوعان ليسا سواء في اللذة، ولا سقوط المشقة. وهو استفهام استنكاري. أما عند أهل التحقيق كيف يمكن للإنسان أن يستبدل مراد الله له بمراده لنفسه...وفي هذا كفاية والله أعلم بالمراد." [1].

وقد نقلت هذا النص وتصرفت فيه بالاختصار قليلا لبيان شيء من طريقته في التفسير لا غير رحمه الله.

25- البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور لابن عليوة: عنوان التفسير كما هو مدون في الطبعة وثابت في مقدمة الكتاب: البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور كما هو مبين على واجهة الطبعة الأولى بالمكتبة الدينية للطريقة العلاوية بمستغانم. والمؤلف هو الأستاذ الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي. وقد ذكر المحقق وصف النسخ التي اعتمد عليها وأنها المخطوطة الوحيدة التي اعتمدناها في هذه الطبعة تحتوي على 148 صفحة مقياسها (13×25 سم) ومعدل السطور في كل صفحة 30 سطرا، انتسخها سيدي عبد العزيز أعراب من المخطوطة الأصلية التي أملاها المؤلف الشيخ أحمد بم مصطفى العلاوي بخط كاتبه الشيخ، صالح التمسماني، وكان الفراغ من نسخها سنة 1934م.

وتحمل المخطوطة الثانية المنقولة عنها تاريخ الفراغ 1958م، وهي " السنة التي أمر فيها الشيخ سيدي الحاج المهدي رحمه الله بانتساخ المخطوط الأصلي الذي خرمته الأرضة فتآكلت بعض أوراقه. ووكل بهذه المهمة إلى سيدي عبد العزيز أعراب، وكنت أشاركه النسخ وأملي عليه في بعض الأحيان."[2]. وأوله: " بعشر أمثالها فاتضح من هذا أن الحرف بانفراده قرآن بالنظر لما اشتمل عليه من المعاني..." [3]. وآخره: " ومن ذلك ما يلقى على الأنبياء من كثرة المسائل وتكلفهم بما هو كخرق العوائد، وربما كان مثل ذلك يخلج في أفكار بعض المؤمنين بما مر على أسماعهم." [4].

يحوي الجزء الأول على 258 صفحة مكتوبة بخط اليد، وفي آخر الكتاب جدول تصويب ما وقع من الأخطاء. وقد تتبعنا ما تيسر منه فلاحظنا العلوي يعود إلى الاستئناس بالآيات عشرات المرات، والأحاديث في عشرات المواضع المختلفة المراتب في مناسبات لا تتعلق بالمباشر بتفسير الآية. وينقل السيوطي من المفسرين نادرا، ويذكر نصوص هل الكتاب في حدود 04 من نصوص الإنجيل. ويعود إلى الشعر مرات معدودة كشواهد شعرية ذات طابع صوفي أخلاقي غالبا. وينقل عن العلماء من غير المفسرين عشر مرات أيضا.

ومن منهج المؤلف رحمه الله ما قاله عنه محققه " وقد أبحر الأستاذ العلاوي في ظاهر القرآن وباطنه، وحده ومطلعه؛ فأخرج من مكنونه دررا ومن أعماقه ومطالعه جوهرا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وسماه

---

[1] – الرسائل والمواقف الصوفية، لمحمد بن يلس جمعها جعلوك عبد الرزاق(منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م) 465.

[2] – البحر المسجور، الجزء الأول، مقدمة المحقق يحي الطاهر برقة 14.

[3] – البحر المسجور، المصدر نفسه.ج 11/1.

[4] – البحر المسجور، المصدر نفسه. ج264/1.

[البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور] متدرجا في تفسيره للآية على ما يقتضيه اللفظ وظاهر المعنى؛ ثم أتبع ذلك بما يستنبط من أحكامها، ثم ما تعطيه الإشارة بلسان الخصوصية، ثم يختم بكلام أخص مما قبله تحت عنوان [لسان الروح]."[1].

وهذه المقدمة توضح بجلاء أن العلوي رحمه الله قد سلم لأهل الظاهر تفسيرهم، وأورد منه ما هو معهود عند أعيان مفسريهم ففي تفسير قوله تعالى ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يبدأ هكذا: التفسير: " قوله تعالى: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي يوم الجزاء؛ ففيه توفى كل نفس ما كسبت ولوا ذكره تعالى هذه الجملة عقب الرحمان الرحيم لما التجأت الموجودات أن تقول ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لما اغمرها من فياض الرحمانية وأنوار الرَّحيمية. ثم إن العبادة جاءت على شقين فظاهرها إياك نعبد وباطنها إياك نستعين. والظاهر يعتبر بباطنه. فالشق الأول يثبت وجود الكسب، والثاني بنفسه والنجاة فيما بين ذلك. فالآخذ بالشق الآخر يُخشى منه، والآخذ بالأول يُخشى عليه.".

ثم يعمد إلى ما يؤخذ من الأحكام على طريق الإشارة الصوفية مما لا يفيده الظاهر بصيغ المباشرة وإن كان لا يتعارض مع هذا الظاهر كما في قول العلوي تحت عنوان الإشارة: " في قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ تشعرنا بلزوم ارتباط الشريعة بالحقيقة، فالشق الأول من الآية شريعة، والشق الثاني منها حقيقة. الأول يثبت شيئا من الكسب، والثاني ينفيه. فالأول للنظر العام أقرب، والثاني عند الخواص أرغب؛ لأن الأول عمل لله، والثاني عمل بالله. فالأول عمل الأبرار؛ لأنهم قائمون لله، والثاني عمل المقربين؛ لأنهم قائمون بالله. فالأول غايته الجزاء، والثاني كفى به جزاء؛ لأن الأول علته لأداء واجب التكليف، والثاني زبدة نتائج التعريف. فالشق الأول مكابدة، والثاني مشاهدة. فهذا يتألم في عبادته والآخر يتنعم في مشاهدته ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾.

وقدمت العبادة على الاستعانة نظرا للمقام العام حيث يعتبر الفعل قبل مجريه، وأما النظر الخاص يعتبرها مؤخرة، فهو غائب عنها في شهود مجريها. فالأول يستعان بالعبادات عليه. والثاني يستعان به عليها فيكون الفاعل فيها لا غير. وفي تقديم ضمير المعبود واتصال ضمير العبودية. وتأخير العبادة في قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ما يشير العبد بقربه من الله بالأصالة مهما عرف مكانته من الله قبل وجود العبادة. فلا تكون هي العلة في تحقيق الاتصال؛ بقوله عليه الصلاة والسلام " لن يدخل الجنة بعمله.".

وقال أيضا " والمعنى أن وجود العبد أسبق من العبادة؛ فالمعرفة ثم العبادة فالمعرفة تستلزم العبادة لا العكس. وأما انتقاله تعالى من ضمير الغيبة إلى ضمير الحضور من قوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيه تعليم للمتوجه كيف ينتهي سيره من الغيبة عن الله إلى الحضور معه إلى أن تنحذف الوسائط، ويصير الخطاب بين مخاطب ومخاطب ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لا غير.".

[1]- البحر المسجور للعلوي، مقدمة المحقق.

وتحت عنوان لسان الروح يلقي من الكلام ما هو أخص من سابقه، على طريق الإشارة دائما دون أن يكون في ذلك إبطال للظاهر في أحد مدلولاته: " لسان الروح: يفنى ضمير النون من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ في ضمير ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ حتى إذا انحصرت العبادة في الاستعانة بقيت الاستعانة والمعين. فأين العبادة والعبد إن كنت ذا يقين فسره يعبده وحقيقته تشهده ما عرف الله من قال ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، ولا عبده من قال ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.".

وهذا المسلك في لتفسير يعتمد فيه العلوي على خصوص ما يراه تفسيرا للآية وطريقا في تأويلها، لا يكثر من الاستدلال له بقول فلان من المفسرين أو نقل من شيء من كتب المفسرين. وقد تقدم أنه لا يعود إلا نادرا لعلماء التفسير في الظاهر فضلا عن الإشارة والباطن لذلك يحسن أن يعبر عن طريقته من بعض من يتبعه: " وهكذا يسير في تفسيره على هذا النهج الفريد والأسلوب العجيب، لا دخل فيه لغيره من المفسرين الأقدمين والمحدثين لكتاب الله العزيز، غير أن الأستاذ عاجلته المنية، وتوقف القلم من مداد البحر المسجور عند قوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)[1] ".

26- تفسير سورة العصر: وقد اطلعت عليه في نسخة إلكترونية في النت.

27- لباب العلم في سورة النجم لابن عليوة: هكذا ورد عنوان هذا العمل التفسيري : لباب العلم في سورة والنجم، لمؤلفه أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، وقد طبع طبعة ثانية بالمطبعة العلاوية بمستغانم. قال محقق الطبعة:" أما بعد هذا كتاب (لباب العلم في سورة والنجم)، نقدمه للطبع بخط مشكولٍ، والكتاب غني عن التعريف؛ إذ كان الأستاذ العلاوي رضي الله عنه يريد وضع كتاب في تفسير القرآن الكريم على طريقة الإشارة وما يستنبط في آياته من دقائق وأسرار وحكم وآداب وقد كان حظ الأستاذ رضي الله عنه من الفهم والذوق لأسرار القرآن لا يدرك غوره، فأخذته سورة (والنجم) فاستخرج من بحرها هذه الجواهر الثمينة المكنونة الدالة على مترلته العلمية، وفهمه الثاقب لمعاني كتاب الله بأسلوب قوي غريب ومنطق عجيب."[2].

وأوله:" يقول كثير المساوي عبد ربه أحمد بن مصطفى العلاوي حمدا لمن فجر في قلوب أوليائه ينبوعا من سره المصون فأجرى على ألسنتهم من جداوله ما تقر به العيون..."[3]. وآخره: " وقد تم ما سمح الله به من هاته السطور موافقة لمن سعى فيه، زاد الله الجميع نورا على نوره... صبيحة يوم الأحد خمسة عشر من ذي القعدة سنة 1333م."[4]. وقد بين العلوي نفسه الدافع له لكتابة هذا التفسير، فقال: " وقد سألتني أيها المحب أصلح الله عاقبتنا وإياك على أن نجعل تفسيرا في القرآن الكريم على طريقة أهل الفهم الخاص والذوق السليم، فما طلبتموه غير محال لولا أن الوقت قد حان، وعلى كل حال فتصديقا لرؤياك وامتثالا لما هناك جعلت أتفكر

---

[1] – سورة البقرة: 106.

[2] – مقدمة تحقيق لباب العلم، يحي الطاهر برقة (المطبعة العلوية، الجزائر، ب ت).

[3] – لباب العلم في سورة والنجم، أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي(المطبعة العلاوية – مستغانم – الجزائر. ط:03، بدون تاريخ) 06.

[4] – لباب العلم في سورة والنجم، المصدر نفسه. ج 46.

على أي شيء من القرآن أقتصر، بعدما تبرأت من فهمي، وانسلخت عن وهمي، فأخذتني سورة (والنجم)، فجلت في بحبوحتها، وتفرست في مصونتها فظهر لي أن فيها سبحا طويلا، فقلت: حسبي الله ونعم الوكيل وبه المستعان. وإنني سميت ما جمعته بـــ(لباب العلم)."[1].

وأما عن مصادر تفسيره بالبحث عما استعان به المفسر وعاد إليه من مصادر التفسير، نجده يذكر في تفسيره مجموعات قرآنية قريبا من 24 آية، و12 حديثا نبويا، ولكن ذلك غالبا كان من قبيل التناول العام للموضوع، والاستئناس بالنصوص المذكورة، وليست نصا في تفسير الآية ببيان مجملها أو تقييد مطلقها أو تخصيص عامها مثلا. وليست تلك الأحاديث من باب بيان أسباب النزول. وبالعودة إلى ما استعان به من أقوال المفسرين نجده عاد في موضوع واحد إلى مصدرين أحدها هو تفسير روح البيان لاسماعيل حقي، والثاني تفسير التأويلات النّجمية.

ونقل المؤلف عن الإنجيل ستة نصوص في مواضع مختلفة مع إظهار التحفظ، ونقل العلوي عن العلماء في موضعين بدون تسمية، كما نقل عن الحكم لابن عطاء الله مواضع متعددة. بينما عاد إلى الشعر خصوصا الصوفي منه شواهد تصل إلى الأربعة أبيات، وغالب ذلك البيت الواحد، وهي من قبيل أشعار الوعظ والإرشاد لا اللغة والبيان.

وبحث العلوي في تفسيره مجموعة من القضايا منها، إثبات رؤية الله يوم القيامة عند أهل السنة، ورد على المعتزلة وغيرها القائلين بمنعها[2]، كما بحث انتفاع الإنسان بسعي غيره عند قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)"[3].

28- مجالس التذكير لابن باديس: عنوان هذا العلم التفسيري كما هو معلوم: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ويبدو أنه من وضع ابن باديس نفسه، واسمه الكامل عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي. وقد قال من عرفه وأشرف على التقديم لهذا الكتاب: " لم يكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير، و لم يكتب تلامذته الكثيرون شيئاً منها، وضاع على الأمة كنز علم لا يقوّم بمال، ولا يعوض بحال. ومات فمات علم التفسير وماتت طريقة "ابن باديس" في التفسير. ولكن الله تعالى أبى إلاّ أن يذيع فضله وعلمه. فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس، وكان ينشرها فواتح لأعداد مجلة "الشهاب" ويسميها "مجالس التذكير"، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له، كما أنها نموذج من أسلوبه الكتابي. هذه المجالس العامرة هي التي تصدّى الأخ الوفي السيد "أحمد بو شمال"، عضد الإمام المفسر وصفيه، وكاتبه والمؤتمن على أسراره- لتجريدها من مجلة الشهاب ونشرها كتاباً مستقلاً؛ قياماً بحق الوفاء للإمام الفقيد، وإحياء لذكراه أخرج أشرف أثر من آثاره، يستروح القراء منه نفحات منعشة من روح ذلك الرجل العظيم؛ ويقرءونه فلا

---

[1] - لباب العلم، المصدر نفسه. 06.

[2] - لباب العالم لابن عليوة، المرجع نفسه. 15-16.

[3] - لباب العلم، المرجع نفسه. 40.

يزيدهم عرفاناً بقدره، فحسبهم ما بنى وشاد، وعلم وأفاد، وما ربى للأمة من رجال كالجبال، وما بث فيها من فضائل وآداب، وما أبقى لها من تراث علمي خالد؛ لا يرثه الأخ عن الأخ، ولا الولد عن الوالد. وشكراً للأخ الوفي أحمد بو شمال على هذا العمل الذي هو عنوان الوفاء 1367هـ-1948م."[1].

طبع مجالس التذكير قديما بعناية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وطبع ضمن آثار بن باديس لعمار طالبي، كما وطبع طبعة المكتبة العلمية، ثم طبع طبعة أخيرة محققة ومفهرسة في جزئين.

ومن منهج المؤلف رحمه الله ما تحدث به هو نفسه في تفسيره وعن تفسيره فقال ما نصه: " فقد عدنا والحمد لله تعالى إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير، نقتطف أزهارها، ونجني من ثمارها، بيسرٍ من الله تعالى وتيسير على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات، بوجوه المناسبات. معتمدين في ذلك على صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون، أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون، رحمة الله عليهم أجمعين."[2]. والقراءة المعتمدة في تفسير ابن باديس رواية ورش.

وعن مصادر التفسير عند ابن باديس ما بينه هو نفسه بقوله: " وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة: تفسير ابن جرير الطبري، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب. وتفسير " الكشاف"، الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها في أفانين الكلام. وتفسير " أبي حيان الأندلسي"، الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه للقراءات. وتفسير "الرازي"، الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك. إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام."[3]. إلى أن قال: " نقول هذا؛ ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخذ ما يسمعونه منا."[4].

نجد ابن باديس وهو من المتأخرين يرجع في التفسير إلى القرآن ففي أثناء الحديث عن قوله تعالى (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا)[الإسراء:58] " وقد قضى على كل قرية بهذه العاقبة من الهلاك والعذاب الشديد في هذه الآية، وبين في غيرها سبب استحقاقها لهما فقال تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} [الكهف: 59]. {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: 117]. {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص: 59]. {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً} [الأنبياء: 11]. {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ

[1] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 21.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 41.

[3] ــ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ، المرجع نفسه. :41.

[4] ــ تفسير ابن باديس، المرجع نفسه.41.

فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا} [الطلاق: 8]. {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: 112]. فأفادت هذه الآيات أن سبب الهلاك والعذاب هو الظلم، والفساد، والعتو، والتمرد، عن أمر الله ورسله، والكفر بأنعم الله. {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: 46]."[1]. وهي مجموعة آيات من مختلف سور القرآن تقع بيانا عاما لأسباب هلاك أهل القرى، وإن بعضها نص على خصوص أسباب يقع بها ذلك الهلاك.

وفي خصوص موقفه من الإسرائيليات، يلحظ الباحث في تفسير ابن باديس عند قوله تعالى {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22)} [النمل: 22] نجده عمم الحكم في مثل هذه القصة وغيرها مما جرت عادة المفسرين بحشره بالمناسبة فقد قال تحت عنوان فرعي " تحقيق تاريخي: رويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير، مما تلقى من غير تثبت ولا تمحيص، من روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه، وروى شيئاً من ذلك الحاكم في مستدركه، وصرح الذهبي ببطلانه. ومن هذه المبالغات الباطلة أنه ملك الأرض كلها مشارقها ومغاربها، فهذه مملكة عظيمة بسبأ كانت مستقلة عنه، ومجهولة لديه، على قرب ما بين عاصمتها باليمن وعاصمته بالشام."[2].

ومن منهجه الرجوع إلى لغة العرب في تقرير معاني الألفاظ القرآنية: " فقد عدنا- والحمد لله تعالى- إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير. نقتطف أزهارها، ونجني من ثمارها، بيسرٍ من الله تعالى وتيسير. على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات، بوجوه المناسبات.

وكما فعل عند قوله تعالى " (مذموماً) مذكورا بقبح فعله وسوء صنيعه في قلة شكره لربه، وعدم استعماله لما كان أنعم عليه به في طاعته، وعدم نظره لعاقبة أمره. (مدحوراً) مبعدا في أقصى النار مطروداً من الرحمة. حرم نفسه من استثمار رحمة الله في الدنيا بالشكر عليها، فكان عدلًا أن يحرم منها في الآخرة. ونظير هذه الآية آية: (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) [الشورى:20]. عمل للدنيا فنال نصيبه منها، و لم يعمل للآخرة فلم يكن له نصيب فيها."[3].

ومن منهجه أيضا الاستدلال بأقوال المفسرين وهو ما صرح به هو نفسه: " معتمدين في ذلك على صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون، أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون، رحمة الله عليهم أجمعين."[4].

---

[1] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 125.

[2] – مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه./272.

[3] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه 50.

[4] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 41.

وأما كتب التفسير التي جعلها مرجعا لتفسيره فهو ما ذكره بالتفصيل بقوله " وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة: تفسير ابن جرير الطبري، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب. وتفسير "الكشاف" الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها في أفانين الكلام. وتفسير " أبي حيان الأندلسي"، الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه للقراءات. وتفسير " الرازي" الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك؛ إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام."[1]. وهذه في الحقيقة هي المصادر التي يعتمد عليها أهل السنة عموما وعبر فترات طويلة ، غير أن طبيعة الرجوع هي التي تختلف من جيل إلى آخر خصوصا عند ابن باديس. ونظرا لأهمية مصادر التفسير عند المفسر صرح بمقصوده من سردها في مقدمة تفسيره فقال: " نقول هذا؛ ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخذ ما يسمعونه منا."[2].

وفي محاولة لتصنيف عمل مجالس التذكير نلاحظ لابن باديس مقاصد من التفسير هي التي حددت منهجه في التناول، وطريقته في التعرض للموضوعات، ولما كان غرضه إصلاحيا فقد كان شديد الانتقاد لأسلوب المتقدمين، وهو ما أثر في فهم المسلمين لقرآنهم، وجعل التفاسير تعيش على هامش الطبقات الشعبية فقد قال مبينا كل ذلك: " أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد، وبهذا النمط السخيف من الفهم السطحي، وبهذا الأسلوب التقليدي من التفسير اللفظي- فإنه لا يفيدهم شيئاً، ولا يفيد بهم شيئاً، بل يزيدهم بعدا عن هدايته، ويزيد أعداءهم استخفافاً بهم، وإمعاناً في التكالب عليهم، والتحكم في رقابهم وأوطانهم، ولو فهمنا القرآن كما فهمه السلف، وعملنا به كما عملوا به، وحكّمناه في نفوسنا كما حكموه، وجعلنا أهواءنا ومشاربنا تابعة له، وموزونة بميزانه، لو فعلنا ذلك لكنّا به أعزة في أنفسنا وأئمة لغيرنا."[3].

ولأجل تبين مدى الجدة التي أتى بها ابن باديس في طريقة التفسير وخصوصا بين أقرانه الجزائريين ويعرف ذلك بالملاحظة فقد قال في تفسير قوله تعالى (وجعلنا آية الليل) يتحدث عن ضوء القمر: " {فَمَحَوْنَا} المحو هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح، وإزالة الآثار من الديار. فمحو " آيَةَ اللَّيْلِ" إزالة الضوء منها، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل؛ فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً، ثم أزيل ضوءه فصار مظلماً. وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس. واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر- كالأرض- كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد؛ لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية: ذلك

---

[1] - مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه.41.

[2] - مجالس التذكير، المرجع نفسه.41.

[3] - كلمة كتبها العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي قدم بها لآيات من سورة الفرقان، وهي التي جمعها المرحوم السيد أحمد بوشمال وطبعها عام 1367هـ.تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: 17. طبعة دار الكتب العلمية.

الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان!! فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم إلاّ أفراداً قليلين من علماء الفلك. وإن حمو جرمه أولاً، وزواله بالبرودة ثانياً، ما عرف إلاّ في هذا العهد الأخير. والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرناً نبي أمي، من أمة أمية، كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم؛ فلم يكن ليعلم هذا إلاّ بوحي من الله الذي خلق الخلائق وعلم حقائقها!!

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ (1)."[1].

29- في رحاب القرآن للشيخ بيوض الإباضي: وقع عنوان هذا التفسير في النسخة المطبوعة وفي كتب التراجم وعند جميع الباحثين: في رحاب القرآن، والظاهر أنه من وضع المؤلف بيوض إبراهيم بن عمر. اطلعت على الجزء التاسع للتمثيل، فوجدته يعود إلى المصادر الأساسية التي من الواجب أن يعود إليها كل مفسر، فهو إضافة إلى التفسير بالآيات القرآنية، رجع إلى قريب من 40 حديثا، و11 موضع شعر، و40 تعريفا لمفردات لغوية، و10 مواضع للتفصيل في بحوث في العقيدة والمجتمع، و60 مرجعا ومصدر للتفسير.

وعلى سبيل التمثيل أيضا فهو يتعرض إلى مجموعة قضايا يخصها ببحث مختصر يبين فكر الشيخ حولها، مما لا يتسع له التفسير المباشر للآية: بحث الصراع العقدي والإيديولوجي أساس الحروب، وأغلبها يكون بين الحق والباطل (10/ 28-47)، بحث منهج القرآن في التفكير – وهو النظر في الكون- (9/96-105)، وعجائب صنع في العنكبوت وصنعها (9/171-176)، قواعد تضمن استمرار الحياة الزوجية (10/ 141-163)، نماذج من ظهور الفساد في البر والبحر في هذا العصر: الاستعمار والاستغلال والظلم...(10/ 264-284).

أما عن منهج المؤلف بصفة إجمالية فأستعين في بيان بعض عناصره بكلام بعض من اختصره فقد قال: " وكان غرض الشيخ من التفسير تركيز الوعي الديني في النفوس وغرس عقيدة التوحيد الخالص في القلوب وتهذيب النفوس بالوعظ والتذكير، فلنستمع إليه يقول في أثناء تفسيره لسُورَة النجم: "وتفسيرنا إنما هو للاتعاظ والاعتبار، ولا ندخل إلاَّ بمقدار الضرورة الملحة في تقرير معنى كلمة لغوية أو ربما إشارة إلى إعراب أو إلى تصريف كلمة عندما تلح الحاجة، وإلاَّ فأصل التفسير المراد هو هداية الناس."[2]. والظاهر أنه لم يقصد من تفسيره أن يكون تفسير مدرسيا، فتكون الآيات ميدانا لنزاعات اللغويين، والفقهاء وأهل الكلام بل " وكانت دروسه في التفسير وعظاً بليغاً وتوعية صادقة للأفراد والمجتمعات وقد ظهر أثره والحمد لله في نفوس وأخلاق المستمعين والمستمعات، وانصهر به المجتمع في بوتقة الوحدة الإيمانية والأخوة الإسلامية.." [3].

---

[1] – مجالس التذكير، المرجع نفسه. / 47.

[2] – مختصر تفسير الشيخ بيوض (سورة مريم الكهف طه الأنبياء) للناصر المرموري، المرجع نفسه. ج1/1.

[3] – مختصر تفسير الشيخ بيوض، المرجع نفسه. ج4/1.

بل إن بعض الباحثين وهو ممن اشتغل بتفسير الشيخ بيوض كان يرى لهذه البحوث العلمية والاجتماعية ذات بعد إصلاحي حتى قال:" إني أجد في استعراضي لتفسير الشيخ مواضيع في إصلاح العقيدة والمجتمع توسع فيها وكان الأولى في نظري أن تفرد بسفرٍ خاص أو أسفار، وقد كتبت قائمة لتلك المواضيع المهمة والمفيدة أشرت فيها إلى المناسبات والآيات التي تطرق في تفسيرها إلى هذه المواضيع. ولعل الله يُهَيِّئ من تلاميذ الشيخ من يفرد لهذه المواضيع الموسعة كتابات توفي بحقها فتكون خير خدمة في توعية المجتمع المسلم." [1].

30- اختصار تفسير الشيخ بيوض: وهو عمل معاصر قام به بعض تلامذة الشيخ بيوض، ثم هو محدود من جهة أنه تناول بالاختصار سورا محدودة وهي: سورة الكهف ومريم وطه والأنبياء. وقد ذكر المؤلف متكلما عن عمله وقصده: " وبعد.. فقد سألني من لا أرد قوله أن أضع تلخيصًا لدروس شيخنا وأستاذنا الشيخ بَيُّوض رحمه الله وذلك في حياته، وبعد إتمام دروس تفسير كتاب الله في مسجد القرارة الكبير فأسعفتهم إلى ما طلبوا، واستعنت بالله العلّي الكبير وهو حسبي ونعم المعين ونعم المولى ونعم النصير؛ فرجعت إلى ما انتقش في ذاكرتي من مواظبتي على حضور دروسه وحسن استماعي وانتباهي لما يلقيه علينا من درره الغالية، مما يفتح الله عليه في تفسير كلامه العزيز، واستعنت بالأشرطة التي حفظت هذه الدروس منه، وقد ابتدأ التسجيل وذلك عند وصوله في قوله تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} (الإسراء:70). وقد كفاني مئونة السَماع من الأشرطة ابن خالتي وتلميذي الأستاذ عيسى بن مُحَمَّد الشيخ بالحاج، فأخرج الكلام المسجل إلى الكتابة فكنت ألخص من الكتابة عوض السماع، جزاه الله خيراً، وكان ذلك قبل أن يخرجه مهذَّباً على النحو الذي طبعه ونشره."[2].

وهذا النص يفيد أن الشيخ المرموري كان يحضر درس شيخه في التفسير بالمسجد المذكور، وأنه كان من أعيان الطلبة وأن الرغبة في الانتفاع بدروس شيخه قد أبديت للمروري ليختصر لهم تلك الدروس ، والظاهر أن ذلك كان قبل أن يجمع تفسير الشيخ بيوض.

وقد ابتدأت تلخيصي من أول سُورَة الكَهف واختصرته بعض الاختصار، وقد عرضت باكورة عملي على الشيخ رحمه الله،ـــ فارتضاه وقال لي: " انح هذا النحو واجتهد أعانك الله، وأول ما لخصته من تفسيره تفسير سُورَة النور، عسى الله أن يفيض عليَّ من نوره وعلى أستاذي وعلى من أعانني في هذا الأمر العظيم وعلى كل من استفاد منه وقرأه ونشره.. آمين."[3].

وتاريخ هذا الاختصار كما يذكر المؤلف الناصر بن مُحَمَّد المرموري، كان بالقرارة يوم الثلاثاء: 22 / 02 / 1416هـــ، الموافق لـــ: 20 / 07 / 1995م."[4]، وفي نهاية العلم " فهو ولينا من دونهم وهو مولانا

---

[1] – مختصر تفسير الشيخ بيوض، المرجع نفسه. ج1 /5.

[2] – مقدمة مختصر، المرجع نفسه. ج5/1.

[3] – مختصر تفسير الشيخ بيوض، للناصر المرموري ج 1 / 5.

[4] – مختصر تفسير الشيخ بيوض، المرجع نفسه. ج1 / 6.

فنعم المولى ونعم النصير، وعلى الله فليتوكل المؤمنون وإليه يلتجئ المستضعفون وبه يعتصم عباد الله المظلومون، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم. تم تفسير سُورَة الأنبياء."[1].

31- أسرار التنزيل للشيخ الخضر حسين: وعنوان هذا العمل التفسيري: أسرار التنزيل تفسير آيات قرآنية كريمة، كما هو مبين في الطبعة الأخيرة. ونسبته ثابتة إلى مؤلفه محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر. طبع هذا التفسير في جزء واحد في 420 صفحة عام 2010م، وقدم له المحقق كامل المحامي، وقال ما نصه " وبقلمه البليغ بدا رحمه الله نشر التفسير الذي وضعه في مجلة لواء الإسلام التي كانت تصدر بالقاهرة، وكان رئيسا لتحريرها، بدءا من العدد الأول الصادر بتاريخ الأول من شهر رمضان المبارك لعام 1366هـ الموافق التاسع عشر من شهر يوليو تموز 1947م. واستمر في هذا العمل الجليل حتى أثقلته السنون وقد قارب عمره الطاهر على الثمانين عاما، وتحت وطأة الشيخوخة توقف عن متابعة هذا الجهد الرائع، والإنتاج الفكري العظيم، وكانت آخر الصفحات من التفسير هي تلك التي نشرها في العدد الثاني عشر من السنة الرابعة لمجلة لواء الإسلام، والصادر في شهر شعبان لعام 1370هـ الموافق شهر مايو أيار لعام 1951م."[2].

وهذا العمل نشر تباعا في المجلة المذكورة لعدة سنوات، ولكن القدْرَ المطبوعَ فيه زيادة على ما حوته المجلةُ المذكورة، فقد قال جامع هذا التفسير:" ثم ضممنا في هذا الكتاب تفسير آيات سورة البقرة من 1 -195، والمنشور في أعداد مجلة لواء الإسلام، ودروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة." [3].

ومنهج المؤلف في تفسيره ينحصر في ضبط المفردات القرآنية وإيضاحها بأقل ما يمكن من العبارات، والتوسط في استعمال النحو والبلاغة ما لم تمس إليهما الحاجة، وهو يعتمد قراءة حفص لكون غالب تفسيره كان وهو بالمشرق. ويندر أن يسمي مصادر لتفسيره، أو يذكر مفسرا بعينه بل هو يكتفي غالبا بالمعنى الظاهر، ويوضح مقاصد الآيات بالمعاني العامة، والتي قد يكون استهدفها جمهور المفسرين كما يبدو ذلك في تفسير قوله تعالى:" (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) القردة: جمع قرد، وهو الحيوان المعروف. والخسْءُ الصغار والذلة. وقوله: (كونوا) ليس بأمر على الحقيقة؛ لأن صيرورتهم قردة ليس في استطاعتهم، وإنما المراد منه بسرعة الكون قردة أو على وصف القردة. وجمهور المفسرون على أنهم مسخوا قردة على الحقيقة. وأكثرهم على أن من مسخوا انقرضوا و لم يعقبوا نسلا. وقال مجاهد: لم تمسخ صورهم، ولكن مسخت قلوبهم، فلا تقبل وعظا، ولا تعي زجرا، فهو مثل ضربه الله لهم." [4].

---

[1] - مختصر تفسير الشيخ بيوض، المرجع نفسه. ج1 / 453.

[2] - أسرار التنزيل ضمن الأعمال الكاملة، المرجع نفسه.1/ 3 – 4.

[3] - أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 1/ 3 – 4.

[4] - أسرار التنزيل ضمن الأعمال الكاملة، المرجع نفسه. ج 1/ 3 – 4.

وهذه الطريقة التي انتهجها المؤلف كان يراها مسلكا صحيحا وآمنا يسلم المفسر كلما تبعه " فمن أراد تفسير القرآن فليتجه إلى وجوه الهداية التي أرشد إليها من نحو العقائد والعبادات والأخلاق والآداب وأحكام المعاملات ويتجه مع هذا إلى الوجوه التي كان بها معجزة خالدة."[1].

وإنما قلنا أنه يقلل من مباحث البلاغة على الشكل الذي كانت تفاسير المتأخرين تتخَمُ به، دون أن يمنعه ذلك من أن يستفيد من فنون البلاغة ما يوضح المعنى ويؤكده، كما فعل ذلك عند تفسير قوله تعالى: " (وللكافرينَ عذابٌ مُهينٌ) قال: ويصح حمل قوله تعالى (وللكافرين عذابٌ مهينٌ) على أنه وعيد لكل كافر بما يجب الإيمان به؛ فيتناول أولئك اليهود في جملة من يتناولهم من سائر الكافرين. والمهين: المذل. والمهين في الحقيقة هو الله جل شأنه. وإنما أسندت الإهانة إلى العذاب فقال (عذابٌ مهينٌ)؛ لأن الإهانة تحصل بعذابهم. ومن أساليب البيان: إسناد الأفعال إلى أسبابها، ومن دواعيه كون الفاعل الحقيقي معلوما، والإيجاز هو اللائق بالمقام." [2].

ومباحث البلاغة والنحو وكثير من المعارف ضروري أن يتمكن منها المفسر ومن قضاياها إلا أن مقادير ما يستعمله منها في التفسير وخصوصا إذا كان موجها إلى غير المتخصصين في هذه الفنون مثل من يقرؤون المجلات أو يسمعون ذلك في الإذاعات..وإن كان مشايخ الخضر كم يذكر هو عن نفسه لم يكونوا يسمحون لغير من يتأهل في هذه الفنون يباشر التفسير: " وعلماء جامعة الزيتونة لا يقرؤون تفسير القرآن إلا إذا قرؤوا علوم المعقول والمنقول حتى يدركوا بلاغة القرآن. وأذكر أنه طلب مني بعض الطلبة أن أقرأ لهم تفسير البيضاوي في جامع "حمّودة باشا" فأجبت رغبتهم وقرأت منه دروسا فأرسل إلي القاضي المالكي يدعوني إلى المحكمة فذهبت إليه فقال لي بلغني أنك تدرس التفسير فقلت: نعم فقال لي على من قرأته فقلت على شيخنا عمر بن الشيخ وشيخنا محمد النجار. فقال لي هؤلاء ما قرؤوا التفسير إلا بعد أن صاروا شيوخا كبارا... فقرأت التفسير في مسجد " أبي القاسم الجلّيزي." [3].

32- الحق لما اختلف فيه من الحق لمصطفى آل عزيز: هكذا وضع العنوان على صفحة المجلد الأول وهو الوحيد الذي اطلعنا عليه، ومؤلفه مصطفى بن علي آل عزيز، ولم أعثر له على ترجمة وافية، ولا كتب من المقدمات ما يكفي لوضوح منهج عمله التفسيري هذا ولا ما يدل على مصادر تفسيره، وقد طبع أول مرة بدار الرشاد الإسلامية – بيروت – لبنان، عام 1410هـ/1990م. يقع التفسير في ثلاثين مجلدا أي 120 جزءا قال مدير المطبعة جمال عبيدة في مقدمة الطبعة: " فيسرني أن أقدم للقارئ الكريم المجلد الأول من الكتاب

[1] – موسوعة الأعمال الكاملة للخضر حسين، المرجع نفسه. ج 126/2.

[2] – أسرار التنزيل ضمن الأعمال الكاملة، المرجع نفسه. ج 1/ 166..

[3] – الأعمال الكاملة للخضر حسين، المرجع نفسه. ج 166/11.

القيم (الحق لما اختلف فيه من الحق) للكاتب الشيخ مصطفى علي بن عزيز وهو يحوي الأجزاء الأربعة الأولى، والكتاب كما هو معلوم يقع في 120 جزءا، سائلا المولى أن ييسر لي إخراج الأجزاء الباقية قريبا جدا."[1].

ومنهج المؤلف في تفسيره كما قال " كتاب الحق لما اختلف فيه من الحق من تأويل القرآن الكريم كما يدل عليه العنوان هو تبيان وتفسير للحقائق الشرعية المستنبطة من كتاب الله سواء بواسطة السنة النبوية أو بواسطة الاجتهاد من أهل الذكر وأولي العلم قال تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وغلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، وقال تعالى (قل كفى به شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب). وأهم ما تتميز به هذه السلسلة الكاملة من تأويل كتاب الله أنها تقوم على ثلاث أصول عامة وهي:

أولا: إعطاء تأويل وتفسير عام لكتاب الله بما تيسر فإنه لا ينبغي شرعا الإحاطة بعلم الكتاب ولو اجتمع على تأويله الثقلان لشموليته قال تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)[النحل: 89]الآية. وقال تعالى في واسع علمه (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)[لقمان: 27]، وإعجاز القرآن عام في أسلوبه وبيانه وعلمه واستقامته وشموليته.

ثانيا: تأويل كثير من المتشابهات الدينية والدنيوية التي كانت سببا في اختلاف الناس إلى مذاهب وملل وطوائف قال تعالى في هذا المعنى (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ)[النحل: 64]الآية. والذي نرجو من ورائه جمع كلمة الناس بالحق على الهدى والدين والمذهب الحق مصداقا لقول الله تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) [التوبة: 33]) الآية. وقوله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: 153]، فيكون الدين والمذهب واحدا لا يتعدد ولا يتعدد مصداقا لقوله تعالى (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)[الأنبياء: 92]) الآية. والقرآن الكريم المحفوظ لفظه بإذن الله إلى يوم القيامة بصريح الآية (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[الحجر: 9]، هو المصدر الصحيح السليم اللفظ من كل التحريفات والاختلافات.

ثالثا: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وتأويله لكثر من النظريات والاكتشافات المستحدثة مصداقا لقوله تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)[فصلت: 53]الآية. والكتاب في مجمل أجزائه سلسلة شرعية وعلمية ولغوية تسلسل الآيات والسور على نور كتاب الله وسنة رسوله وسليم العقل وما أثبته العلم والتاريخ آخذين بعين الاعتبار كل الشرائع والمذاهب عامها وخاصها قديمها وحديثها دون تحمس لرأي ولا انتصار لفرقة أو طائفة وعلى الله نتوكل وبه نستعين. "[2].

وبتتبع هذا التفسير أي الجزء الأول منه وجدت صاحبه يعود كثيرا إلى آيات القرآن المختلفة بمناسبة تفسيره للآية المقررة، فتراه لا يكاد يتطرق إلى موضوع مما يتصل بالآية من قريب أو بعيد إلا ويشبعه بالآيات الواردة

---

[1] – الحق لما اختلف فيه من الحق، مصطفى آل عزيز (دار البشائر الإسلامية – بيروت – ط: 01، 1990م) 1/مقدمة الناشر.

[2]– الحق لما اختلف فيه من الحق، المرجع نفسه. ج 1/مقدمة الناشر.

في معناه مما هو من قبيل الدلالة العامة، ولكن ذلك غالبا يكون في الموضوعات الملحقة بالآية أو المفرعة عن بعض ألفاظها. دون أن يتطرق في كل ذلك إلى وجه البيان فيما حشره من آيات. فبمناسبة تفسير قوله تعالى (ومن النّاس مَن يقولُ آمنَّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يقول تحت عنوان النفاق:" النفاق شر الخلائق والمنافقون شر البرية (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا). ومن كانت فيه خصلة من النفاق فهو منافق بها حتى يتوب إلى الله منها. قال تعالى في وصف المنافقين {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [التوبة: 67] ، والنفاق عقيدة وعمل وكل منهما مكمل للآخر فإن العمل مصدق لما وقر في القلب، والنفاق ينبت في النفس ، وينموا كما ينمو النبات في الثرى حتى يبلغ أشده ويستوي وتلك درجة الكفر؛ ولذلك كان المنافقون طائفة من الكفار قال تعالى ({إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: 140]).[1]". وهكذا في سائر ما يمر عليه من الآيات بغرض التفسير.

كما قد تتبعت نصف صفحات الجزء الأول من التفسير فوجدت المؤلف وظف قريبا من 100 حديث، وفي مناسبات مختلفة، ولما كانت كثير من موضوعات التفسير تقع مقدمات لما سيفسره من الآيات، وكان استعمال الحديث في مثل هذه الموضوعات ضروريا؛ فقد كان معظم ما ذكره من الأحاديث يقع في هذا الحيز وليس بالضرورة تفسيرا للآية المحددة. ومما يلاحظ أيضا أنها أحاديث عامة من غالب ما يستعمله الوعاظ في موضوعاتهم المختلفة. وليست واردة في خصوص الآية محل التفسير مثل أحاديث " الدين النصيحة"، " الحلال بين والحرام بين..."، وحديث " كلكم راع..."، وحديث " كلكم لآدم وآدم من تراب"، إلى غير ذلك من الأحاديث كثيرة التداول. ومن جهة أخرى فقد خلت هذه الأحاديث من تخريجها وبين درجة الحديث من الصحة أو الضعف. ولعل المؤلف عول على تداولها في الدروس وعلى ألسنة أهل الشريعة.

والملاحظة الثانية أنه كثيرا ما يقول في معنى الحديث ثم يأتي به بلفظه المعروف وهو يدل على أنه لم يكن يرجع لمصادر الحديث، ولا يتأكد من ألفاظها، غير ما وعته ذاكرته، وتلك من نقاطك الضعف في هذا التفسير.

أقول هذا مع أنه كرر مرارا أن السنة مبينة للقرآن كما في قوله: " والسنة هي أول وأعظم واصح تفسير لكتاب لله. ومن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الله التفسير والتأويل للعلماء المجتهدين من الراسخين في العلم . قال الله تعالى ({وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83]. ولابد لكل مجتهد من الرجوع إلى السنة فهي مفتاح علم الكتاب مما صح وثبت منها. ولا اجتهاد إلا في الكتاب والسنة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي."، وقوله " والسنة أولى المصادر المفسرة والمبينة للكتاب وأصحها فيما صح منها رواية ودراية. ومن العلماء من أخذ الأحكام والعلوم من مصادر كثيرة ومختلفة من غير الكتاب وصحيح السنة: مثل

[1]- الحق لما اختلف فيه من الحق، المرجع نفسه. ج 113/1.

الأخبار والفلسفات وكثير من العلوم الحديثة دون الالتفات إلى حقائق ومعجزات القرآن العلمية والتاريخية وفي كل شيء. "[1].

ويكاد يخلو الجزء الذي اطلعتُ عليه من تفسير الصحابة والتابعين، فهو لا يذكر لهم قولا لا من باب الرجوع إليهم ولا الاستدلال على ما اختاره من توجيه، مع أنه ذكر سابقا أن من مصادر التفسير أوال العلماء المجتهدين كما في قوله " ومن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الله التفسير والتأويل للعلماء المجتهدين من الراسخين في العلم . قال الله تعالى ({وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83]."[2]. ولا شك أن الصحابة والتابعين من خير العلماء المجتهدين الذين توفر لديهم من أدوات فهم الكتاب الكريم الشيء الكثير.

وكذلك نراه لا يعود إلى قول عالم من العلماء قديما ولا حديثا ولو من باب الاعتراض على أقوالهم، وهو أمير يغري الكاتبين عادة إذا كانوا لا يرون لقول من سبقهم في التفسير وزنا. وهو التعليل الوحيد الذي يشرح فكرة أن جزءا كاملا ولا يبعد أن تكون كل الأجزاء كذلك من أقوال غير المؤلف وتوجيهاته سواء في اللغة أو الأحكام...

33- واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار للهبري المجاوي (1988م): وقد وقع الكتاب في جزئين تضمن مجموعُهما 122 درسا في التفسير، وقد حققه الأستاذ المختار بن عامر، وجمعه واعتنى به محمد توفيق المجاوي، وهو من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة. وقبل أن أنقل تعليق بعض من اطلع على هذا الكتاب أورد نص درس نموذجي من هذا الكتاب باختصار. من ذلك " الدرس رقم 28: يوم 25 ذي القعدة 1398هـ الموافق لـ 27 أكتوبر 1978م. يقول الله جل ذكره بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)[البقرة:49].". لا يزال الحق سبحانه يعدد نعمه على بني إسرائيل ويذكرهم بها، لعلهم يرجعون إلى الحق ويؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي خاتمة الرسالات والمهيمنة عليها. وبعد أن ذكرهم بالنعمة الكبرى، وهي أنه فضلهم على العالمين، وقرنها بالوعيد الشديد والترهيب والتهديد، ذكرهم بنعمة ثانية وهي النجاة من عدوهم آل فرعون، بعد أن كان استعبدهم وسخرهم في الأعمال الشاقة المهينة حوالي أربعة قرون. وفي نجاتهم من عدوهم نعمة أخرى ثالثة، وهي هلاك عدوهم وإغراقه في البحر وهم ينظرون بأعينهم لمهلَكهم، وفي ذلك تشفيهم من عدوهم وذهاب غيظهم. وفي هلاك عدوك أمامك بأقطع أنواع الهلاك كالغرق، وأنت تنظر إليه بعينيك سرور عظيم وفرحة كبرى ما لها نظير. وقد روى الأئمة البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة، عن ابن عباس رضي الله عنه أن نجاتهم من عدوهم وإغراقه كان يوم عاشوراء. قال ابن عباس رضي الله عنه : قدم رسول الله صلى الله

[1]- الحق لما اختلف فيه من الحق، المرجع نفسه. ج 37/1.

[2]- الحق لما اختلف فيه من الحق، المرجع نفسه. ج 37/1.

عليه وسلم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: ما هذا اليوم الذي تصومون؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله عز وجل فيه بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصومه. متفق عليه. ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: " أحق بموسى منكم"، معناه أنا أحق بشكر الله منكم على نعمة إنجاء الله لأخي موسى من عدوه. وليس المراد أنا أحق باتباع موسى، وهذا لا يتصور لاستقلال شريعته صلى الله عليه وسلم، ونسخها لجميع الشرائع قبلها. وستأتي أخبار نجاتهم أو تنجيتهم في الأعراف وطه والشعراء والقصص والجاثية مفصلة. والمراد هنا تعداد النعم عليهم وتنبيههم ليستيقظوا من غفلتهم ويتذكروا فيشكروا ويومنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم... أيها الأخوة المؤمنون إن كان القرآن الكريم أنزل للهدى والبشرى وللعبرة والذكرى، فما هو وجه العبرة والذكرى من هذه الآيات الكريمة التي تخاطب بني إسرائيل وتعدد عليهم نعم الله وتنعي عليهم[1] تمردهم على دينهم وكتابهم وأنبيائهم ــ تنبيها أن نعتبر بحالهم ونتذكر سيرتنا مع ديننا وقرآننا بسيرتهم مع أنبيائهم وكتبهم ــ وكان عمر رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) قال: مضى القوم، وإنما يعني به أنتم.ما العبرة إذا؟ إنه سبحانه... فاللهمّ لطفك يا رب بهذه البقية من أمة محمد صلى الله عليه سلم، وأجرنا من الفتنة يا مجير، إنك على كل شيء قدير. آمين." [2].

34- أيسر التفاسير وحاشيته نهر الخير للشيخ أبي بكر الجزائري: وهو كتاب مطبوع متداول، ومتاحة مطالعته لأوسع الشرائح الثقافية، وقد جمع اساس من دروس الشيخ في الحرم النبوي، وما كان يذاع في الإذاعة السعودية لسنين طويلة؛ إذ " قد انبرى الشيخ لتدريس التفسير ضمن دروسه في المسجد النبوي التي تذاع غبّا بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية . وقد التقيت به عدة مرات وأخبرني أنه استمر في تدريس التفسير في المسجد النبوي طيلة خمس وأربعين سنة ختم خلالها القرآن أربع مرات وهو الآن في الختمة الخامسة." [3]. كما درس غيره من الموضوعات، وألف في التوحيد والسيرة وتصحيح المفاهيم والردود على أفكار رآها تستحق الرد.

له في التفسير كتاب معروف طبع مرارا وعليه حاشية: " أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وهو مطبوع في أربعة مجلدات كبار. ووضع له حاشية سماها: نهر الخير طبعت بهامشه." [4].

وقد ذكر بعض من اهتم بتحليل كتابه في التفسير على لسان الشيخ أن الدافع إلى كتبة التفسير وتدريسه على كثرة كتب التفسير أنه " نظرا لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى

---

[1] – بالأصل وتنفي عنهم.

[2] – واحة الوعظ والاعتبار، المرجع نفسه. ج 189/1-191.

[3] – مصادر الترجمة: التفسير والمفسرون، الطرهوني /212، معجم المطبوعات العربية 248/1، علماء ومفكرون عرفتهم 27/1.

[4] – المفسرون بالمغرب، المرجع نفسه. 222.

المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم. تبين فيه العقيدة السلفية المنجية، والأحكام الفقهية الضرورية، مع تربية ملكة التقوى في النفوس بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم، مع التحمل بالأخلاق القرآنية والتحلي بالآداب الربانية."[1]. وقد لقي تفسيره قبولا كثيرا من شرائح مختلفة.

وذكر أن مراجع هذا التفسير أربعة وهي: " جامع البيان لابن جرير، وتفسير الجلالين وتفسير المراغي، وتيسير الكريم الرحمان للسعدي. ثم قال نظرا إلى أنه نظرا إلى حاجة طالب العلم إلى المزيد من المعرفة وضعت هذه الحاشية التي هي أشبه بتعليق على أيسر التفاسير وأسميتها: نهر الخير، أودعت فيها مع مراعاة الاختصار بعض ما يرغب طالب العلم في معرفته والحصول عليه من شاهد لغة أو بيان أو أثر جميل أو مستند حديث جليل أو كشف عن وجه لآية ذات وجوه، أو الوقوف على سر من أسرار القرآن، أو عجيبة من عجائب القرآن التي لا تنقضي بمرور الزمان، ولا تنتهي بتعاقب المَلَوان. وأهم من ذلك تصويب رأي أو تصحيح خطأ وقعا في التفسير مع إزالة إيهام، أو إضافة بعض الأحكام."[2].

35- نفحات القرآن في رياض القرآن لمحمد بن إبراهيم بن سعيد كعباش (حي في 2016م): وهو عنوان هذا التفسير كما وقع في طبعة المؤلف محمد بن إبراهيم بن باحمد سعيد الملقب بالشيخ كعباش. وهي الطبعة الأولى وقع الكتاب في 11 جزءا نشر جمعية النهضة العطف ــ الجزائر ــ طبع المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد (غرداية)، بالجمهورية الجزائرية 2003م. وخرج الأحاديث والتنسيق الفني: أ. قاسم بن عمر حاج محمد.

وهو تفسير غير كامل حوى 11 جزءا، ولم يتجاوز سورة الروم، والمفروض أنه أتمه في حدود 2015م، حيث كان بصدد تفسير جزء عم. وهو مقدار جيد لمن أراد التوسع في التفسير على طريقة عصرية تناسب شرائح واسعة من قراء الطبقة المتوسطة بالخصوص.

– **حول منهج المؤلف**: بين المؤلف شيئا من منهجه في التفسير، وتكلم عن طريقته في تفسيره بالخصوص، فقال ما نصه:" اختيار النص القرآني لكلّ حصة تفسيرية، والتي لا يتجاوز وقتها ساعة من الزمن بين المغرب والعشاء. التحقيق اللغوي لمبنى النص: شرحا لبعض الألفاظ أو الجمل، وقد أتطرق فيه لأوجه الإعراب والبلاغة. بيان أوجه القراءات للنص. البيان والتفسير لمضمونه بدءا ببيان وجه التناسب بينه وبين ما سبقه ، وقد أتعرض إلى سبب النزول باختصار، ثم من خلال البيان والتفسير أحوصل مضمون النص في جمل مختصرة لأضعها عنوانا للدرس على أن يتدرج البيان والتفسير مع آيات النص من أوله إلى آخره، وفي آخر كل سورة أنْشق تلك العناوين وإلى جانبها تلك الآيات المعنية."[3].

---

[1] – التفسير والمفسرون الطرهوني، المرجع نفسه. ج 202/1.

[2] – التفسير والفسرون للطرهوني، المرجع نفسه. ج 203/1.

[3] – مقدمة الجزء الأول من نفحات القرآن، المرجع نفسه.

والقراءة المعتمدة هي رواية ورش، ويتعرض أحيانا إلى المقارنة بغيرها. ومن جهة مصادر التفسير يستعين بالقرآن مرة لبيان المعنى من جهة نفس القرآن، وأخرى للاستئناس والإشهاد. ومن جهة السنة النبوية رجع إلى قريب من 350 حديثا، وعاد إلى الآثار 209، وكذا استفاد من الأشعار قريبا من 831 بيتا.

وتحفظ المؤلف من الإسرائيليات وحاول أن يخلي تفسيرَه منها، وما أورده منها تعقبه بالنقد وهي طريقة اختارها المحققون قديما ودأب عليها المعاصرون كلمة واحدة. ومن جهة العربية اقتصد في مباحثها فلم يتجاوز تحقيق المفردات، وبيان بعض وجوه البلاغة. ولأن المؤلف إباضي المذهب يظهر ذلك في مباحث العقيدة: وخصوصا عندما يتعرض للآيات التي تمثلا خصوصية للفرقة الإباضية كمسألة الاستواء في قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سماوات) فقد قال: " وفي المصطلحات التي ترد عند ذكر بعض شؤون الغيب سواء ما يتصل منها بصفات الله وأفعاله لا نغرق في ضروب التأويل التي تبعد النص عن مدلوله اللغوي تفاديا من الوقوع في التجسيد، كما لا نعطيه المدلول اللغوي حسب استعمالاتنا المألوفة حتى لا نقع في التشبيه والمماثلة ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ بل هناك الطريق الوسط الذي يخرجنا من الحرج بتطبيق الأساليب البيانية من ضروب المجاز والكناية، ثم نفوض الأمر إلى الله الذي يعلم تأويله. ومثل تلك المصطلحات في هذه الآية قوله تعالى (فسَوَّاهنَّ سبعَ سماوات). وقد أفاض المفسرون في بيان معنى الاستواء ونجتزئ فيه بما أوثر قوله عن الإمام مالك رحمه الله:" الاستواء معلوم والكيف مجهول." [1].

ثم أردف كعباش قائلا نقلا عن سيد قطب: " ولا مجال للخوض في معنى الاستواء إلا بأنه رمز للسيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين، كذلك لا مجال للخوض في معنى السماوات السبع المقصودة هنا وتحديد أشكالها وأبعادها، اكتفاء بالقصد الكلي من هذا النص وهو التسوية للكون، أرضه وسمائه في معرض استنكار كفر الناس بالخالق المهيمن على الكون."[2].

وكذلك في قوله تعالى (للذينَ أحسنُوا الحسْنى وزيادة) وهي الآية التي عادة يتعرض فيها المفسرون إلى جواز رؤية الله تعالى في الآخرة "وقوله تعالى (وزيادة) يعني مضاعفة الأجر لهؤلاء من فضل من ربهم كما يدل على ذلك قوله تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)[3]. ومضاعفة الأجر للحسنة الواردة قد ركز عليها القرآن في كثير من آياته ذلك المثل البليغ في سورة البقرة من قوله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ)[4]."[5].

---

[1] – نفحات الرحمان 83/1 نقلا عن سيد قطب في ظلال القرآن 128/1.

[2] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 83/1 عن في ظلال القرآن، المرجع نفسه. ج 128/1.

[3] – سورة النساء 173.

[4] – سورة البقرة 261.

[5] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 206/6.

أعرض المؤلف عن قبول تفصيل مسألة رؤية الله تعالى كما هي في كتب العقائد، ولكنه دون أن يعود في ذلك إلى نص آية مبينة أو حديث صحيح، ثم عقب كعباش على المفسرين من الفريقين بقوله: " وللمفسرين في تعيين تلك الزيادة تفاسير لا تخلو من تكلف منها ما أورده القطب رحمه الله رواية عن الإمام علي وجابر بن زيد أنها غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب ، أو أنها سحابة تمر وتقول يا أهل الجنة ما تريدون أن أمطركم؟ فكل ما شاءوا أمطرته. وقال من يعتقد برؤية الله يوم القيامة: أنها هي النظر إلى وجه الله الكريم ، ولهؤلاء أحاديث تروى في هذا الباب." [1].

وختم المؤلف التعرض لهذه المسألة بالترجيح بين القولين بما لا يخرج عن مذهبه الإباضي:" ولعل الأقرب إلى بيان منازل القربى لهؤلاء عند الله ورفعة شأنهم أن نفسر الزيادة بما هو أكبر من النعيم المادي في الجنة وهو دوام رضوان الله عليهم لقوله تعالى في سورة التوبة بعد ذكر نعيم الجنة (ورضوان من الله أكبر)[2]" [3].

والملاحظ أن المؤلف كثير الاستدلال بأقوال المفسرين: فقد ذكر هو بنفسه أسماء ما كان يرجع إليها من كتب التفسير سواء من كتب أهل السنة أو الإباضية: " وكنت أراجع بعض التفاسير لتجميع المادة كتفسير المنار، والتفسير الكبير للرازي، والكشاف للزمخشري، وتفسير ابن الكثير والقرطبي، غير أن معتمدي في التأليف والتحرير ثلاثة تفاسير حديثة هي: تيسير التفسير للشيخ القطب امحمد بن يوسف اطفيش، التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي."[4]. ولمعرفة بعض نسب هذا الرجوع ولو في جزء أول نجده عاد إلى الطبري08 مرات، وابن كثير05 مرات، تيسير التفسير09 مرات، وتفسير المنار10 مرات، والتحرير والتنوير15 مرات، وسيد قطب05 مرات، والرازي06 مرات، والقرطبي 01 مرات، الغزالي التفسير الموضوعي01 مرات، والتفسير المنير 01 مرات، والكشاف 01 مرات.

36- الدر الثمين للتواتي بن التواتي: وهو من أواخر ما اطلعت عليه من تفاسير الجزائريين، إذ كان مؤلفه لا يزال على قيد الحياة، وقد بين في المقدمة من الجزء الأول وهو المقدار الوحيد الذي اطلعت عليه حول التفسير، بعض شروط المفسر والتفسير في كلمة عامة: " وأما ما يحتاجه التفسير فأمور:

- **الأول:** علم اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ، ومدلولاتها بحسب الوضع، ولا يكفي اليسير إذ قد يكون اللفظ مشتركا وهو يعم أحد المعنيين، والمراد الآخر فمن لم يكن عالما بلغات العرب لا يحل له التفسير كما قال مجاهد، وينكل كما قاله مالك. وهذا مما لا شبهة فيه. روي عن احمد بن حنبل أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ما يعجبني.وهو ليس بنص في المنع عن بيان المدلول اللغوي للعارف كما لا يخفى.

---

[1] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 206/6.

[2] - سورة التوبة 72.

[3] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 206/6.

[4] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 1/ ذ.

– **الثاني:** معرفة الأحكام التي للكلمة العربية من جهة أفرادها وتركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو. أخرج أبو عبيدة عن الحسن أن سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها أحسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟ فقال: حسن فتعلمها فإن الرجل يتعلم الآية فيعيَ بوجهها فيهلك. وفي قصة الأسود ما يغني عن الإطالة.

– **الثالث:** علم المعاني والبيان والبديع ويعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها، وبالثالث وجوه تحسين كلام وهو الركن الأقوم واللازم الأعظم في هذا الشأن كما لا يخفى ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان.

– **الرابع:** تعيين مبهم وتبيين مجمل وسبب نزول ونسخ، ويؤخذ ذلك من علم الحديث.

– الخامس: معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه هذا وأخذوه من أصول الفقه.

– **السادس:** علم القراءات لأنه يعرف به كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات ترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض." [1].

– **وأما عن منهجه في التفسير:** فإن المؤلف الدكتور التواتي بن التواتي حفظه الله في كتابه المذكور، قد قال ما نصه: " أما منهجية الكتاب فقد سلكت فيه الجمع بين الأثر والنظر، واعتمدت على كتب التفاسير أذكر منها الطبري في تفسيره، وقد اتخذته عدة وكذا ابن كثير، أما جامع الأحكام للقرطبي والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وكذا تفسير ابن عرفة فهذه الكتب الثلاثة كانت بجانبي طيلة انقطاعي لهذه المهمة الصعبة؛ وذلك لأن أصحابها من أعلام مذهبنا، ولما لهم من علاقة بالدروس الفقهية الموازية لدرس التفسير. و لم أغفل الطبرسي في تفسير مجمع البيان، واطفيش في تفسيره تيسير التفسير، وتفسير ابن باديس أي ما تبقى من تفسيره، ورحاب القرآن للشيخ بيوض، وابن عادل صاحب لباب التفسير. وغيرها من الكتب التي تناولت هذا العلم، وقد بلغ عددها مائة وعشرين تفسيرا، ونظرت فيها آيةً آية."[2].

وأضاف في نص ثاني حول المصادر ذات الخصوصية في تفسيره، مبينا له بما ذكره: " وكذا الكتب التي تناولت إعراب القرآن، أذكر منها الدر المصون، وإعراب القرآن للزجاج، وإعراب القرآن لابن سيده، وغيرها من الكتب التي تناولت الموضوع. ولقد تتبعت القرآن الكريم آية آية، وبينت معانيَها حسب توجيهه النحوي. فكانت النتيجة هذا العمل المتواضع الذي أحتسبه عند الله تعالى، راجيا أن يكون ذخرا في ميزان الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون." [3].

وأما من جهة الطريقة المتبعة في معالجة الآيات فقد " سلكتُ في النظر في هذه التفاسير الطريقة التقريرية الوصفية، والتحليلية، وكان حقا أن أسلك طريقة التحليل لما فيها من نفع وفائدة لمن ينظر في هذه التعليقات،

---

[1] – الدر الثمين، للدكتور التواتي. المرجع السابق.1 ج/21.

[2] – الدر الثمين، للدكتور التواتي. المرجع نفسه. ج1/08-09..

[3] – الدر الثمين، للدكتور التواتي، المرجع نفسه. ج 1/08-09..

وهي الطريقة المثلى لمن يبحث في مثل هذه المجالات؛ إذ صلاح المصنفات العلمية وبيان ما يوجد في بعضها من خلل أو مزية من أعظم طرق إصلاح التعليم ؛ لأن بها يتكون التلميذ، وعليها يتخرج الأستاذ، ولكنها محفوفة بالمخاطر، ويحتاج صاحبها أن يكون ممن حوى واحتوى ما في تلك الدفاتر، إضافة إلى قوة علمية، وفطرة سليمة قوية. وتلك القوة كما يقول ابن خلدون تحصل جزئية في علم إن كانت مكتسبة من قواعد العلم، والدربة على العمل به منذ النشأة، وكلية وهي القوة الحاكمة في الفطرة – سماها الملكة العامة – وهي نادرة لأنها تعتمد أولا على قوة فطرية تهيئها الخلقة الأصلية، ثم يخدمها العلم والتحقيق." [1].

[1] – الدر الثمين، للدكتور التواتي، المرجع نفسه. ج 22/1.

الفصل الثالث

- المبحث الأول: قضايا التفسير عند المفسرين الجزائريين.
- المبحث الثاني: الاشتغال بتدريس التفسير.
- المبحث الثالث: منابر تدريس التفسير بالمدرسة الجزائرية.
- المبحث الرابع: صلات المفسرين الجزائريين بغيرهم في العالم الإسلامي.

– المبحث الأول: قضايا التفسير عند المفسرين الجزائريين.

أولا – قضايا العقيدة الإسلامية.

قدمتُ فيما سبق الأسس التي تنبني عليها كلٌّ من عقيدة أهل السنة الممثلين في الأشاعرة وعقيدة الإباضية ممن تطرقتُ إلى تفاسيرهم، وأحاول هنا أن أتبينَ إلى أي مدى كان تفسير القرآن أساسا لتقرير تلك العقائد والاستدلال عليها إما بالنص أو بالتأويل، وكيف تصرف المفسرون حيال الآيات التي يخالف ظاهرُها ما هو معروف عند الفريقين كونُه من مقررات العقيدة. وأختار مجموع موضوعات وتحتها الآيات التي تندرج تحت تلك الموضوعات، وأستعرض مسالك المفسرين عبر العصور.

1– مسائل الأسماء والصفات: إن مبحث الأسماء والصفات من أهم قضايا العقيدة، والتي وردت بخصوصها الآيات الكثيرة، ووقع بسبب فهم الآيات الاختلافاتُ الكبيرة، والتي بدورها أدت إلى تفرق الصف الإسلامي إلى الفرق المعروفة. ولست هنا بصدد التعرض لجميع الأسماء والصفات على جهة التفصيل فذلك أمر على أهميته مما لا يحتمله البحثُ، ومكان ذلك التفصيل في كتب العقيدة والكلام لا مبحث قضايا التفسير. وإنما الغرضُ التمثيل لصفةٍ صفةٍ مما يتضح به المراد، ويكون تناولُه مثالا لغيره من سائر الأسماء والصفات.

– قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: 29].

من المفروض أن تكون البداية بتقييد البسيلي إذ كان تقييدُه فاتحةَ القرن التاسع، ولكن إضافاته لم تتميز عن كلام ابن عرفة، رغم أن تقييد كلام شيخه ابن عرفة في مثل موضوعات الأسماء والصفات مع ترك التعقيب عليه مشعر بموافقة المسيلي له في الجملة، حتى أنه يمكن نسبة الكلام إلى المسيلي الناقل تماما كما ينسب التناول إلى ابن عرفة المفسر.

وتركا لهذا الاحتمال فسأبدأ بتفسير الثعالبي باعتباره من أوائل المفسرين الجزائريين في القرن التاسع، وقد تعرض في تفسيره إلى الآية أعلاه فقال ما نصه: " وقوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ): (ثُمَّ) هنا: لترتيب الأخبار، لا لترتيب الأمر في نفسه، و(اسْتَوَى): قال قومٌ: معناه: علا دون كَيْفٍ، ولا تحديدٍ. هذا اختيار الطبريِّ. والتقديرُ: علا أمرُه وقدرتُه وسلطانُه. وقال ابن كَيْسَان: معناه: قصدَ إلى السماء. (ع): أي: بخلْقه، واختراعه. والقاعدةُ في هذه الآية ونحوها منع النّقْلَة وحلولِ الحوادثِ، ويبقى استواءُ القدرةِ والسلطان."[1].

وواضح من طريقة الثعالبي في التعرض للآية الحرجُ الموجود في تجاوز ظاهر الآية من العلو، ولأجل ذلك تخلص منه مفسرّنا بإيراد اختيار من اكتفى بما يفيده ظاهر الاستواء مع نفي كيفية العلو والاستواء المذكور. ثم يقرر الشيخ الثعالبي المسلك المعتاد للأشاعرة اتجاه مثل هذه الظواهر وذلك قوله: " والقاعدةُ في هذه الآية ونحوها منع النّقْلَة وحلولِ الحوادثِ، ويبقى استواءُ القدرةِ والسلطان."، وهو ما دفعه إلى ترجيح التأويل بما يفيد دفع الظاهر وصرف المعنى إلى استواء القدرة والسلطان لا غير.

[1] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 16/1.

وإذا انتقلت إلى الشيخ أبي راس الناصري تجدْه يختصر التعرضَ إلى معنى الاستواء في الآية إلى معنى القصد دون تقييده بالخلق والاختراع فقد قال: "﴿ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ بعد خلق الأرض أيْ قصدَ ﴿ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ﴾. الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه أيْ صيَّرها وعدَّلها كما في آية أخرى ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ بدلٌ أو تفسير."[1].

وهذا الذي اقتصر عليه أبو راس نكاد نجده عند الشيخ الخضر حسين فقد فسر الاستواء إلى السماء بالعمْد إليها بمعنى القصد فقد قال: " (اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) أقبلَ وعمدَ إليها بإرادته. وتسويتها تعديلُ خلقها وتقويمه. والسماءُ لم يُرَد منها فردٌ من أفراد السماوات، وإنما أريد منها الأجرام العلوية الشاملة لجميع السماوات، فصح أن يعود عليها ضميرُ جمع الإناث في قوله (فسواهنّ) وكذلك يقول علماء العربية: إن اللفظ إذا أريد منه جنس ما وضع له أي المعنى الذي تشترك فيه أفرادُه، صار في معنى الجمع؛ لأن الجنس يتحقق في أفراد متعددة. وهذا الوجه في الاستعمال من أفصح الأساليب العربية التي تعتمد على رعاية المعاني دون التقيد بظواهر الألفاظ."[2]. وأعرض عما قيل في معنى الاستواء من تفصيل التأويلات وأصناف التكلفات. وقصد إلى ما يفيد القارئ من معاني استواء الخالق إلى الخلق مما تقتضيه مبادئ عربية القرآن.

ويلاحظ فيما سبق أن التفسير المذكور للآية محلِّ الدرس ينتمي في مجموعه إلى رأي الأشاعرة في صرف بعض مدلولات الآيات إلى غير ما يقتضيه ظاهرُها لما تقرر عندهم من أن الظاهر الذي يتعارض مع مبدأ التنزيه يجب صرفُه إلى ما يليق به تعالى من معاني الصفات بما يناسب من الدليل. غير أن بعض المفسرين الجزائريين والذين تأثروا بمبادئ المدرسة السلفية قد عادوا بالتفسير إلى عهده الأول قبل شيوع التأويل؛ لأجل ذلك نراهم يعتمدون على ما يفيده الظاهر مع ترك التعرض للكيفيات والتحديد لعدم العلم به كما فعل الشيخ أبو بكر الجزائري عند قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) فقد قال بحسْم " علا وارتفع قهرا لها فكوَّنها سبع سماوات ."[3]. وهو تطور في درس التفسير أقدم عليه المعاصرون قولا واحدا؛ بينما اكتفى الثعالبي كما رأيت بذكره في جملة أقوال على أنه اختار غيره.

وكذلك فعل الشيخ مصطفى بن علي عند تعرضه للآية إذ قال: " ومعنى الاستواء في مجموع الآية أن الله تعالى خلق الأرض وأنشأها وخلق ما عليها مما شاء من ماء ونبات وجبال في أربعة أيام سواء للسائلين، فلما أتمّ خلقَ الأرض على الصفة الشرعية المذكورة قصد المولى السماءَ وإلى جهة العلوّ. وكانت السماء قبل أن تسوى من المولى تعالى كانت دخانا في يومين."[4]. دون أن يشير أدنى إشارة إلى من سلك التأويل في بيان معنى الاستواء، وهو مقدار نراه يناسب القارئ الحديث ويختصر الطريقَ لفهم الآية، وبيان ما تقتضيه من المسلم من معاني التعظيم وتقرير بعض حقائق الغيب من أخصر طريق؛ مع ترك التعرض للمباحث الكلامية التقليدية.

---

[1] – الإبريز والإكسير، لأبي راس الناصري، المصدر نفسه. لوحة 28.

[2] – أسرار التنزيل، الخضر حسين ضمن الأعمال الكاملة، المرجع نفسه. ج 58/1.

[3] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 18.

[4] – من توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 59/2.

وكذلك فعل الشيخ محمد بن عبد الكريم حي فسر ألفاظ الآية كما يلي " الاستواء: القصد والعمد إلى الشيء."[1]. وعلق على المعنى العام بقوله: " إن الله الدائم الوجود هو الذي خلق لكم جميعا ما على وجه البسيطة، وما في بطنها ثم عمد إلى السماء فأحكم إنشاءها، وقوم اختراعها، وأتم خلقها سبعا بمحض قدرته وإرادته، وهو عليم بأدق شيء وأجله ظاهرا وباطنا، بداية ونهاية فسبحان من لا يعزب عنه ما كان وما يكون." [2]. وترك التعرض لأكثر من ذلك.

وبالانتقال إلى بعض مفسري الإباضية المحدثين نجد الأستاذ كعباش مثلا يقرر نقلا عن سيد قطب في خصوص معنى الاستواء والسماوات من أنه " لا مجال للخوض في معنى الاستواء إلا بأنه رمز للسيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين، كذلك لا مجال للخوض في معنى السماوات السبع المقصودة هنا وتحديد أشكالها وأبعادها، اكتفاءً بالقصد الكلي من هذا النص وهو التسوية للكون، أرضِه وسمائه في معرض استنكار كفر الناس بالخالق المهيمن على الكون."[3]. وهذا قريب من التأويل إذ هو شكل منه تسمح به اللغة وأساليبها بعيدا عن تقرير الظاهر من أنه العلو والارتفاع، وأيضا بعيد عن التأويل المعروف من أنه القدرة والإرادة...وهذا المسلك يختاره الأستاذ كعباش كما يبدو من النص الآتي في جميع الآيات التي يتنازع مدلولَها الظاهرُ والتأويل.

إذ تجده يقول قبل هذا بقليل على معنى القاعدة المعرفية التي تضبط تفسير ظاهر النص" وفي المصطلحات التي ترد عند ذكر بعض شؤون الغيب سواء ما يتصل منها بصفات الله وأفعاله، لا نغرق في ضروب التأويل التي تبعد النص عن مدلوله اللغوي تفاديا من الوقوع في التجسيد، كما لا نعطيه المدلول اللغوي حسب استعمالاتنا المألوفة حتى لا نقع في التشبيه والمماثلة تعالى الله عن ذلك؛ بل هناك الطريق الوسط الذي يخرجنا من الحرج بتطبيق الأساليب البيانية من ضروب المجاز والكناية، ثم نفوض الأمر إلى الله الذي يعلم تأويله. ومثل تلك المصطلحات في هذه الآية قوله تعالى (فسواهن سبع سماوات). وقد أفاض المفسرون في بيان معنى الاستواء ونجتزئ فيه بما أثرَ قولُه عن الإمام مالك رحمه الله: " الاستواءُ معلومٌ والكيفُ مجهولُ." [4]. والعبارة الأخيرة تفيد تفويضَ المعنى إلى الله تعالى والمقصود منه الكيفيات والتحديدات، وإلا فإن صرفَ الظاهر قد تمّ بوجه من أوجه الصرف عندما يؤخذ معنى الاستواء على أنه رمزٌ على كذا وكذا من المعاني مما ذكر في النص أعلاه.

2- مسألة رؤية الله تعالى في الجنة: وفي مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة ما يبين مدى اختلاف مناهج التفسير وفقا للمذهب العقدي، ففي تفسير قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى)[يونس: 26]، وهي الآية التي يُستدلُّ بتفسيرها عادة على جواز رؤية الله تعالى تجد الثعالبيَّ وهو من الأشاعرة يقرر " وقوله سبحانه: { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الحسنى وَزِيَادَةٌ }: قال الجمهور: { الحسنى }: الجنةُ، والـــ { زِيَادَةٌ }: النَّظَر إِلَى وجهِ اللَّه عزَّ وجلَّ؛

---

[1] - المصدر السابق. ج 60/2.

[2] - الحق لما اختلف فيه من الحق، المرجع نفسه. ج 390/1.

[3] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 83/1، نقلا عن سيد قطب في ظلال القرآن، المرجع نفسه. ج 128/1.

[4] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 83/1.

وفي «صحيح مسلمٍ» من حديثِ صُهَيْبٍ: " فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ."، وفي رواية: ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةِ: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الحسنى وَزِيَادَةٌ } وأخرج هذه الزيادةَ النَّسَائِيُّ عن صُهَيْبٍ، وأَخْرَجَهَا عن صُهَيْبٍ أَيضاً أَبو دَاوُدَ الطَّيَالِسي. انتهى. من «التذكرة»."[1]. ومنه يظهر جليا كيف اعتمد على نص الحديث الصحيح في تفسير لفظة (زيادة) لا على مجرد اللغة أو أقوال عن صحابي أو تابعي قد يكون مصدرها الاجتهاد. وهو اجتهاد في مقابل نص ثابت وواضح، ولا يخفى ما في تلك المقابلة. ونص الحديث للفائدة كما هو عند مسلم " عَنْ صُهَيْبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ. حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)."[2].

وعند الشيخ أبي بكر الجزائري وهو من المعاصرين ومن المنتمين إلى مذهب السلف في توجيه الآيات يقول " بعد أن ذكر تعالى في الآية السابقة أنه يدعو إلى دار السلام ذكر جزاء من أجاب الدعوة ومن لم يجبها، فقال: (للذين أحسنوا) فآمنوا وعبدوا الله بما شرع ووحدوه تعالى في عبادته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهؤلاء جزاؤهم الحسنى وهي: الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام."[3]. وهو نفس ما ذكره الثعالبي وغيره مع عدم إيراد الحديث للعلم به.

وإذا بحثنا المسألة في تفاسير الإباضيين نجدهم قديما وحديثا قد صرفوا مدلول لفظ (زيادة) إلى ما يقتضيه المدلول اللغوي من المضاعفة، وهي هنا في الأجر والكرامة. فعند الإمام هود بن محكم الهواري مثلا وهو من المتقدمين منهم: " قوله (للذين أحسنوا الحسنى) أي الجنة. (زيادة) يعني الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.". وهو تفسير بمعنى التضعيف للحسنات المعهود شرعا كما في كثير من الأحاديث، وإعراض عن الحديث المذكور سابقا. وفي تعليق محقق تفسير هود بن محكم ما نصه: " كذا في المخطوطات الأربع، ولم يرد هذا في (ز) ورقة 139، وورد مكانه " (وزيادة) النظر إلى الله عز وجل، وقد حذفه هودٌ عمدا ولا شكّ فإن الإباضية يرون أن رؤيةَ الباري مستحيلةً دنيا وآخرة."[4].

وهو يبين أن ما ذهب إليه هود بن محكم هو قول من الأقوال التي ذكرها محمد بن سلام في تفسيره الأصل. واختاره ابن محكم في الاختصار وفقا لمذهبه في إنكار الرؤية كما هو مذهب المعتزلة. وابن محكم وإن لم يكن من الفترة المحددة للدرس إلا أنه يبين جذور بعض التفسيرات المذهبية للآيات القرآنية. وكيف كانت هذه المقررات المذهبية إطارا لجميع ما سيتم من التفسير.

---

[1] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 2/ 191.

[2] – صحيح مسلم 1 / 423.

[3] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 2/ 128.

[4] – تفسير كتاب الله العزيز، المرجع نفسه. ج 190/2.

ويفيد كلام المحقق أيضا أن هود بن محكم قد " أكد هذا الحذف في تفسير قوله تعالى (لا تدركه الأبصار)."، فقد ذكر المحقق المشار إليه: "جاء في (ز)، ورقة 98: (لا تدركه الأبصار) يعني في الدنيا. ويبدو أن الشيخ هود بن محكم حذف هذه العبارة قصدا؛ لأنها قيد يفيد أن الأبصار قد تدرك المولى سبحانه وتعالى في الآخرة. وهذا مخالف لرأي الإباضية في رؤية الله فهم ينفونها في الدنيا والآخرة معا. قال الشيخ أبو عبد الله السالمي في منظومته أنوار العقول:

ورؤية الباري من المحال *** دنيا وأخرى احكم بحال حال

لأنه من لازمها التميزا *** والكيـــف والتبعيض والتحيزا.

وهذا هو مذهب الإباضية من السلف والخلف في المسألة." [1].

ومما يؤكد هذا النقل والاستدلال به وعليه أن ابن زمنيين وهو ممن اختصر تفسير ابن سلام اقتصر في الاختصار من جملة الأقوال المذكورة في الأصل على ما يوافق مذهب الأشاعرة فقد قال " {لِلَّذين أَحْسنُوا} آمنُوا {الْحسنى} الْجنَّة {وَزِيَادَة} النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ."[2].

وعند الشيخ سعيد كعباش وهو من الإباضية المعاصرين يؤكد ذلك حيث قال " وقوله تعالى (وزيادة) يعني مضاعفة الأجر لهؤلاء من فضل من ربهم كما يدل على ذلك قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله)[3]. ومضاعفة الأجر للحسنة الواردة قد ركز عليها القرآن في كثير من آياته ذلك المثل البليغ في سورة البقرة من قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء)[4]."[5]. واستدلاله بالمضاعفة الواردة في سورة البقرة من قبيل الدليل العام الذي لا يكفي لرد التفسير الخاص الذي ذكر في الحديث وعن الصحابة وأن الزيادة هي رؤية الله في الجنة.

ولم تمنعه إباضيته أن يتعقب بعض مفسري مذهبه تماما كما تعقب غيرهم من المفسرين فقد قال" وللمفسرين في تعيين تلك الزيادة تفاسير لا تخلو من تكلف منها ما أورده القطب رحمه الله رواية عن الإمام علي وجابر بن زيد أنها غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، أو أنها سحابة تمرُّ وتقول: يا أهل الجنة ما تريدون أن أمطركم؟ فكلّ ما شاءوا أمطرتْه. وقال من يعتقد برؤية الله يوم القيامة: أنها هي النظر إلى وجه الله الكريم، ولهؤلاء أحاديث تروى في هذا الباب." [6]. وهو وإن رد الآثار غير الثابتة المذكورة عند القطب إلا أنه ترَكَ التعرض لأحاديث من يثبت أن الزيادة هي الرؤية وخصوصا أنها في صحيح مسلم كما رأينا وفي غيره.

---

[1] – تفسير كتاب الله العزيز، المرجع نفسه. ج 494/1.

[2] – تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، المصدر نفسه. ج 2/ 251.

[3] – سورة النساء 173.

[4] – سورة البقرة 261.

[5] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 206/6.

[6] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 206/6.

وفيما أورده الشيخ كعباش من التفسير بعد هذا دليل على تحرجه من صرف لفظة الزيادة إلى رؤية الله وخصوصا أنه وردت بها أحاديث صحيحة فكان من رأيه أن يجمع بين التفسيرين بما يشملهما بقوله: " ولعل الأقرب إلى بيان منازل القربى لهؤلاء عند الله ورفعة شأنهم أن نفسر الزيادة بما هو أكبر من النعيم المادي في الجنة وهو دوام رضوان الله عليهم لقوله تعالى في سورة التوبة بعد ذكر نعيم الجنة (ورضوان من الله أكبر)[1]" [2].

3- مسألة عصمة الأنبياء: وحول عصمة الأنبياء وهو معتقد مقرر عند الفرق الإسلامية بما فيهم الأشاعرة والإباضية وهو الموقف الذي يهم الباحث هنا أحاول أن أتعرض إلى ما ورد في قوله تعالى (ولقد همّت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) من التفسير عند مفسري الطائفتين، لتبين للناظر كيف تعامل المفسر مع ظاهر الآيات التي توهم تصرفَ النبي على خلاف مقتضى العصمة. فنجد عند الثعالبي مثلا تفسيرا لقوله تعالى في سورة يوسف: (ولقد همَّتْ به وهمَّ بها...): " اختلف في همِّ يوسف. قال (ع): والذي أقول به في هذه الآية: أن كون يوسف عليه السلام نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية، فإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حُكْما وعلما، ويجوز عليه الهمُّ الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة... ولا يصح شيء عندي مما ذكر من حل التِّكَّة."[3]. هذا نصُّ ما اقتصر عليه الثعالبي وهو الإحالة على كلام ابن عطية. وتعقب بعض الأقوال الأخرى الواردة تفسيرا للهمّ المذكور بعدم جريانها على مقتضى ميزان العربية وأساليبها اللغوية فقال ما نصه: " وذهب قوم إلى أن الكلام تم في قوله (ولقد همت به) وأن الجواب (لولا) في قوله (لهم بها)، وأن المعنى لولا أن رأى البرهان لهمَّ بها أي فلم يهم عليه السلام. وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف."[4]. وفي تفاسير الأشاعرة أقوال أخرى أشد ضعفا أعرض عنها لعدم التحقيق فيها.

وبينما يقرر الأمير عبد القادر في المواقف مبدأ العصمة ويدافع عنه ويفسر الآية على مقتضاه من أن همّ امرأة العزيز على ظاهره من إرادة الفاحشة وقد وقع فعلا، أما همه هو عليه السلام فلم يقع مع بيان معناه وهو المطلوب؛ فقد قال: " وفي ذكر همها به وهمه بها بيان ما كانت عليه من شدة الطلب والتوصل إلى مقصودها بأي وجه كان، وما كان عليه هو عليه السلام من العفة مع رحمته بها؛ لما أصابها من العشق. وما بين تعالى ما همت به لأنه معلوم من قوله (وراودته)، ولا ما هم به هو عليه السلام؛ لأنه معلوم من قوله (قال معاذ الله)."[5]. وأنت تراه كيف كان صارما وترك أن يحوم حول المعنى من سائر المعاني الإشارية الجارية على طريقته في المواقف، لما في ذلك من الخوف أن يوهم طول الكلام ما لا يليق بالجناب النبوي الشريف.

---

[1] - سورة التوبة 72.

[2] - نفحات الرحمان، المصدر السابق. 206/6.

[3] - الجواهر الحسان، المصدر نفسه. ج 315/2-316.

[4] - الجواهر الحسان، المصدر نفسه. ج 316/2.

[5] - المواقف للأمير عبد القادر، المرجع نفسه. ج 67/2-68.

وفي نصّ لاحق يزيد صرف المعنى الظاهر عن همه عليه الصلاة والسلام، ويفسره بالشفقة عليها والرحمة لها وكل ذلك يبرره مبدأ العصمة وهو معتقد قطعي يكفي لصرف الظواهر عن مرادها القادح في عصمة الأنبياء. فقد قال ما نصه: " فمَّهتْ به بأن تلقي نفسها بين يديه وتتطارح على رجليه وتظهر ذلتها وتفارق عزها، وأما همه عليه السلام بها فهو أن يظهر لها رحمتَه بها وشفقتَه عليها، وأنه يحبها حبا إلهيا روحانيا أسمائيا... فاعرف يا أخي مقام النبوة الأسمى، وأثبت له كلّ كمال ونزّهْه عن كل ما يجلب له عيبا ووصما، واعرف الحقَّ تعرفْ أهله، فلا تقلد في هذا وأمثاله أحدا من كذبة المؤرخين وجهلة المفسرين." [1].

بينما نجد أبو بكر الجزائري وهو من المعاصرين يصرف ظاهر الآية إلى ما لم يقدم عليها دليلا وهو قوله: "(هَمّتْ به) أي لتبطش به ضربا. (وهمّ بها): أي ليدفع صولتها عليه. (برهانَ ربّه): ألهمه ربّه أن الخير في عدم ضربها." [2]. فليس في كلامه ما يشعر أنه رجع إلى نص حديث أو تفسير صحابي أو أحد من التابعين، على أن سياق الآية يأباه وهو قوله فيما بعد (فاستبقا الباب).

وإذا انتقلنا إلى مفسري الإباضية وعدنا إلى مفسرهم الأول هود محكم الهواري وجدناه يقول بصدد الآية المقصود تفسيرها: " (ولقد همت به) أي ما أرادته به على نفسها حين اضطجعت له (وهم بها) أي حل سراويله. قال (لولا أن رّأى برهانَ رَبّه) ذكروا عن الحسن أنه قال: زعموا أنه رأى يعقوب في صورته قد فرج عنه سقف البيت عاضًّا على إصبعيه وكذلك قال غيره. قال مجاهد: مثل له يعقوب فاستحى منه. وقال بعضهم: قد مثل له يعقوب قد فرّج سقف البيت مشرفا عليه؛ فصرف الله عنه، وأذهب كلّ شهوة كانت في مفاصله. وفي تفسير الكلبي إنه ملك تشبه بيعقوب."[3]. فقد صدّر بالقول الأول وهو يفيد صراحة شروعه في التعرض للفاحشة لولا صارف من الخارج هو ما ذكرته الآية، وفصلته بعض الآثار عن بعض التابعين من أهل التفسير والتي يغلب عليها أنها من الإسرائيليات. وأذكر هذا لنبني عليه ما يأتي من خط التفسير اللاحق لننظر كيف وإلى أي مدى تتحكم شخصيات التفسير في نهجه. وإنما قلنا الشخصيات لأن المقرر المذهب عن الإباضية كما هو عند أهل السنة قد حصل في كل من لوني التفسير وهو أن يوسف الصديق لم يقارف في النهاية ما يخل بعصمته. فلا حرج إذن من اختلاف التفاصيل في مقدمات الأمر ما دامت النتيجة واحدة.

فعند الشيخ اطفيش مثلا يجد الناظر منه رجوعا إلى تفسير أهل السنة في نفي الهم من أصله ما دام قد رأى برهان ربه وهو قد رآه فعلا. قال الشيخ اطفيش:" (ولقد همت به): قصدت منه المباشرة بعزم قوي، حتى أنها مدت يدها وقصدت المعانقة. ويوقف هنا، ويبدأ بقوله (وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه) فهو لم يهم بها لأنه رأى برهان ربه. ولولا للامتناع وهو نفي. كأنه قيل: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، وربه الله. ثم قال: وقيل: إن يوسف هم بها بالطبع ولا يكلف عليه لأنه ضروري فلا عقاب عليه ولا ذم، بل مدح لكونه عصى هذا الهمّ

---

[1] – المواقف، المرجع نفسه. 2/67-68.

[2] – المواقف، المرجع نفسه. ج 2/67-68.

[3] – تفسير كتاب الله العزيز، المرجع نفسه. ج 2/258-260.

لله جل وعلا. أو شارف الهمّ بها بأن يميل و لم يملْ؛ كمن صام رمضان واشتد عليه العطش، فنفسه يعجبها الشرب و لم يقصد أن يشرب. سمى ما ليس همًّا بهمٍّ للمشاكلة."[1]. ثم شرع اطفيش بعد ما قرره واختاره يعرض بقية ما قيل في طبيعة الهم، وذكر ما يبرر ذلك وينفي عنه الحرج بعد تسليم وقوع الهمّ.

وهذا الذي برره اطفيش من أن الهمَّ الطبيعي ما لم يقع لا يلحق منه إثم، هو ما اعتمده الشيخ كعباش واقتصر عليه ودافع عنه بوجوه من النظائر: " (ولقد همت به وهم بها): قلت: لا يؤاخذ الله على ما هو من مقتضى الطبيعة البشرية فيوسف بشر قبل أن يكون رسولا أو نبيا، فلا دافع لذلك الميل النفسي، وبالتالي فلا مؤاخذة عليه؛ لأن مدافعته لذلك الهم خشية لله هو محل المدح له لا العكس. ولذلك جاء في حديث الأصناف الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر الرسول منهم: الرجل تدعوه المرأة ذات منصب وجمال فيقول: إني أخاف الله رب العالمين. (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) الإشارة إلى ذلك التدبير الحكيم من الله تعالى بما تضمنته رؤية يوسف لبرهان ربه، فكان ذلك رادعا يصرفه عن السوء والفحشاء فلم تؤثر فيه دواعي الفتنة والإغراء، وكان ذلك بعون الله وفضله عليه؛ إذ سلكه في عداد الأصفياء المخلصين من عباده ومنهم بالطبع آباؤه وأجداده." [2].

وإذا حاولتَ أن تقيم طبيعة التفسير تبين لك جليا أن المعاصرين ساروا نحو واقعية أكثر من أن الهمّ حدث من يوسف عليه السلام بمقتضى بشريته، لكن تدخل الصارف الإلهي حال دون حصول ما يناقض مبدأ عصمة الأنبياء ويقدح في قطعيتها. وهو منهج يحافظ على سلامة ظواهر النصوص من تكلف التأويل، ومخالفة ميزان اللغة وطرائق البيان العربي خصوصا في القرآن الكريم. وهو يدفع الانتقادات المتوقعة في صرف الظاهر والغلو في التأويل وتكلف أوجه تفسير بديلة للآية.

4- مسائل عقدية متفرقة: أردت ههنا وتحت هذا العنوان الإشارة إلى بعض المسائل العقدية والتي يتطرق إليها مفسر دون آخر، ولو أنهم يفسرون جميعا نفس الآية فقد يكون تركيز الواحد منهم على اللغة ومباحث النحو، وقد يكون من اهتمام مفسر ثان قضايا الأحكام الشرعية، ويجنح ثالث إلى استغلال موضوع الآية عن التوسع إلى تقرير حقائق في التوحيد على وفق ما يقتضيه مذهبه الكلامي وافق غيره أم خالفهم كما تراه من صنيع الشيخ اطفيش في هذا النص عند قوله تعالى: " (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ) بضم الياء وكسر الميم، وقرأ نافع وإخوانهم يمدونهم بضم الياء وكسر الميم، وهما في القراءتين من أمد بالهمزة وهى لموافقة المجرد، وإن قلت: إذا كان من الزيادة فأين مفعوله الآخر؟ قلت محذوف تقديره ما يقوى به طغيانهم، وإن قلت: كيف ساغَ أن يقول زادهم الله ما يقوى به طغيانهم؟ قلتُ: معناه خذلهم و لم يلطف بهم. وهذه قاعدة أصحابنا رحمهم الله في التفسير، وكذا الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية خلافاً للمعتزلة، فإنهم لما تعذر عليهم إجراء الكلام على ظاهره كما تعذر علينا، لأن الزيادة في الطغيان تقوية للكفر بحسب ظاهر الكلام، تأولوه بغير الوجه الذي

[1] - تيسير التفسير، المرجع نفسه. ج 7/98-99.

[2] - نفحات الرحمان للشيخ كعباش، المرجع نفسه. ج 7/41-42..

تأولناه، وهو أنه لما كان خذلانه إياهم ومنع الألطاف عنهم سبباً في كفرهم وإصرارهم، وفى زيادة قلوبهم ريناً وظلمة، كما كان توفيقه المؤمنين سبباً في الإسلام وثباته، وفى زيادة قلوبهم انشراحاً ونوراً، أسند الزيادة في الطغيان إلى نفسه، إذ كان مسبب ذلك السبب، بكسر الباء الأولى من مسبب."[1].

وكذلك عند قوله تعالى: { وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم }، وقيل يدخل معه قبره في أقبح وجه وأسوئه، وأنتن ريح وأدنس ثوب، ويقول: من أنت؟ ما أقبحك فيقول: أنا عملك في الدنيا، وإذا خرج وجده أرضاً، ويركبه حتى يدخله النار، والصحيح أن الأعمال لا تجسم، فيحمل الحديث والقرآن على التمثيل."[2].

وبنفس الرؤية يتخذ الشيخ الخضر حسين من الحديث عن الاستخارة مناسبة لتصحيح بعض الأوهام التي تنسب إلى الدين خطأ، وتعد من الممارسات التي يضيفها التدين الشعبي " ومن الناس مَن لا يستغني بالاستخارة الشرعية فيضيف إليها استخارة منامية يقول فيها إذا كان الأمر خيرا لي في ديني ومعاشي فأرني خضرة أو بياضا أو ماء جاريا، وإن كان شرا لديني ومعاشي فأرني سوادا أو دخانا. وينبغي الاستغناء بالاستخارة الشرعية عن غيرها من جميع الاستخارات التي هي مبتدعة غير مطردة. وأذكر بهذه المناسبة استخارة السبحة فإنها بدعة لا يعول عليها في شيء خير أو شر ولا يرتكبها إلا من لعبت به نفسه، ولا يجنح لها إلا من يجهل الاستخارة الشرعية الوحيدة. ويجب على أبنائنا أن يدعوها ويطهروا سيرتهم من عملها."[3]. ومن شأن هذه الإضافات البدائية أن تغطي على حقائق الدين التي تحتفظ بنصيب غير قليل من المعقولية، وتخرجها إلى هامش الطقوس وتجاوز الأسباب، وهو من أسباب التخلف التي ابتلي بها الفكر الإسلامي قديما وحديثا.

وتجد ابن باديس مثلا في قوله تعالى (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)[الفرقان:30]، يغتنم الفرصة لتوضيح أن العقائد الإسلامية الأسلم فيها أن تبسط بأدلتها السمعية، دون ما كان سائدا من عرضها بمباحثها العقلية والتي تخرجها إلى دائرة التخصص والمتخصصين والتي كثيرا ما يكون ذلك على حساب القارئ العادي للتفسير، بل والقارئ المتوسط أيضا. فهو يقول " بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها، وقلنا: تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقّدة، وإشكالاتها المتعددة، واصطلاحاتها المحدثة، مما يصعب أمره على الطلبة فضلاً عن العامة."[4].

وقد يتخذ من تفسير آيات العقيدة مناسبة لتصحيح بعض الأوضاع العقائدية ومعالجة بعد الظواهر، ومحاربة أخرى بناء على أنها أخطاء يجب إبعادها عن حقائق الدين وهو أمر نجده أكثر وضوحا عند الإباضية فمثلا عند تفسير قوله: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ

---

[1] – همیان الزاد إلى دار المعاد اطفيش، المرجع نفسه. ج 125/1.

[2] – اطفيش المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 127/1.

[3] – أسرار التنزيل، للخضر حسين، المرجع نفسه. ج 65/2.

[4] – مجالس التذكير لابن باديس، المرجع نفسه. 173. انظر للتوسع في هذا العنصر عبد الحميد بن باديس مفسرا، حسن عبد الرحمان سلوادي. ص: 75 – 92.

الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: 41]. يقول الشيخ بيوض " ولنبين خطورة هذا المعتقد فإن كل الذين اتخذوا أولياء من دون الله إنما اتخذوهم من أجل طلب النفع ودفع الضر، وهذا ما لا يمكن أن ينكره أحدٌ." [1]. وهذا أمير متفق عليه عند من يتخذ من دون الله وليا، ولأجل ذلك احتج الخليل عليه السلام على قومه لما حكم الأصنام {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ}[الشعراء: 72، 73]). و لم يَفُتِ الشيخَ بيوضا رحمه الله أن يلاحظ على بعض الظواهر السائدة في المجتمع الجزائري عموما وفي بني مزابْ بالخصوص من أن اعتقاد النفع الضرر في غير الله من الشرك الصريح فقد قال " فالذي يذهب إلى ضريح أو قبة أو ولي...وهو يعتقد أنه ينفع أو يضر ليذبح فيه أو يقيم وليمة، أو يعلق خرقة، أو يفرغ زيتا، أو يتصدق فيه بما وجده معه، لم يفعل هذا إلا وهو يعتقد أنه ينفع أو يضر. وإلا لما جئت هذا المكان وصاحبه قد أفضى إلى ربه، ولا تعلم حاله عنده. وإذا كنت تعتقد أنه عبد صالح، وكنت تدعو له بالجنة فإن عمله قد انقطع فماذا تقصده بهذه الزيارة لولا أنك ترجو منه النفع ودفع الضر...ترى هل أمر الله بالتمسح بالأحجار وتقبيلها؟"[2]. وعند قوله تعالى (بل اتبع الذين ظلموا أهواءكم): يردف قائلا " وكانت عندنا في البلدة قبة تسمى " لالّة خضراء "، وقد قضينا عليها وأراحنا الله منها والحمد لله منذ سنوات عديدة وقد سألت أنا بنفسي شيبا وشبابا ممن كانوا يتقربون إليها: تعالوا أخبروني عن لالّة خضرة هذه التي جعلتم لها قبة في هذا المكان، تشعلون فيها الشموع... "[3].

[1] – في رحاب القرآن للشيخ بيوض، المرجع نفسه. ج 162/9.

[2] – في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج 162/9.

[3] – في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج 228/10.

ثانيا– التفسير وقضايا المجتمع الإسلامي.

عالج القرآن كثيرا من قضايا المجتمع؛ بعضها بتفصيل كقضايا الأسرة من زواج وطلاق ونفقة، وحجاب وميراث...وبعضها بالإشارة كمعاملة الجار ووصلة الأرحام، والابتعاد عن الفواحش... وقد قرر لذلك عقوباتٍ محددةً، بعضُها حدود والبعض الآخر تعزيرات يعود تقديرها إلى الحاكم. وواضح أن المفسر لا ينبغي أن يتجاوز معالجة القرآن لهذه القضايا، وعليه أن ينسج على منوالها بالتوسع والتمثيل، والاستفادة من الأفكار الحديثة النافعة وما يستجد في العلوم الاجتماعية المختلفة.

وأنا أستعرض ههنا بعض التفاسير للمتقدمين من أهل القرن التاسع إلى تفسير الأمير عبد القادر والشيخ اطفيش. والمفروض فيهما أنهما ينتميان في المنهج والمعالجة إلى طريقة المفسرين المعاصرين؛ لننظر كيف تمّت معالجة قضايا المجتمع التي عرض لها القرآن. وكيف استجاب التفسير لمقتضيات العصر، وسيكشف التحليل الدوافع الكامنة خلف الأنماط التفسيرية المنتهجة.

فعند تفسير قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد:11]، لم أجد الثعالبيّ نصا بخصوصها، وهو ممن تعرض لكل التفسير تقريبا باعتبار عمله اختصارا لتفسير ابن عطية، إذ هو تفسير كامل تعرض فيه صاحبه لتفسير جميع القرآن، ولا تعرض لذلك البسيلي وقد قيد عن ابن عرفة وهو الذي تناول أكبرَ قدر من التفسير، كما تدل عليه نسخة التفسير المتداولة. وأما غير هؤلاء من المفسرين الجزائريين فإن أعمالهم الجزئية في التفسير لا تكاد تصل الآية المذكورة.

و لم يتيسر للباحث نصوص من تفسير الشيخ طاهر الجزائري، ولكن النص التالي يوحي بطريقته في تناول التفسير على الأقل في دروسه إذا لم تكن تعليقاته وتقييداته على تفسير البيضاوي بنفس المنهج، وهو أن بعض من عرفوا بتلامذة الشيخ طاهر الجزائري وهو الشيخ أحمد النويلاتي كان قد لازم دروسه في التفسير والحديث والبلاغة وتأثر بمنهجه الإصلاحي في كل ذلك وغيره. ومنها دروسه في التفسير بالمسجد بين العشاءين وبحضور عامة الناس كما هو معهود: " ودروسه في التفسير بين العشاءين يفتتحها عادة بقراءة الآيات التي وصل التفسير إليها مبتدئا بذكر أسباب النزول، ثم يشرح معناها بلغة سهلة جدا، ثم يذكر ما فيها من القراءات ووجوه معانيها، ثم يسرد أحكامها مبينا حلالها وحرامها، ثم يشرع بتطبيق أحكامها على أحواله زمانه، منبها إلى ما ترك الناس من أوامرها، وما ارتكبوا من نواهيها، ويستطرد هنا ويذكر ما يجري عليه الناس في معاشهم من غش وخيانة واحتيال، مسهبا في التنديد مفصحا غير معرض؛ فهو يذكر ضروب الغش الذي يأتيه الخبازون والطحانون والقصابون، وسائر أرباب الصناعات، غير ناس المتظاهرين بالتقى والصلاح، المغررين بالناس ليحتالوا عليهم، ثم يعرج على الحكام وما يفعلون بالفلاحين، والعمال والفقراء واليتامى والمساكين. وكان أكثر ما ينصب إنكاره على أولئك الذين نصبوا أنفسهم منارات الهدى وورثة الأنبياء، وحماة الدين من المنافقين الذين يتملقون الحكام. ولقد قامت دروسه مقام الصحف والبلديات والمحتسبين في وقت واحد فكان لسان

الشعب الحذر وعينه اليقظى. وكان يبين في كلامه واجب العلماء، الذي هو الاختلاط بطبقات الشعب، والعمل على الإصلاح ويردد كلمة الغزالي ' ومن لم يعرف أحوال زمانه فهو جاهل.' ."[1].

وهذا النص وإن لم يكن بخصوص دروس الطاهر الجزائري فهو عمل أحد تلامذته والمتأثرين به، مع الأخذ بالتحفظ التي يمليها واقع الإقامة بغير الوطن الأصل كما تدل عليه أول العادة والاجتماع. وأضيف أن هذه الطريقة المحتملة كلنت في التدريس في المسجد أوضح منها في التأليف العلمي كما مشاهد من غلبة المعارف العلمية من عربية وغيرها على تفاسير العلماء في الجملة.

على أن الشيخ اطفيش قد تعرض في تفسيره تيسير التفسير وهو عمل كامل. ووجهة النظر عنده تنحصر في أن العبد أو الجماعة إذا كان على حال من الطاعة أو النعمة فإنها لا تزول عنه حتى يقوم هو من جانبه بتبديل حال الطاعة إلى المعصية؛ فتزول النعمة عنه " (إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ) في قومهم أو لقوم أو مع قوم من نعم الصحة، والمال والجاه والستر، ونحو ذلك { حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} من الحالة الحسنة بالمعصية، وكلّ أحد يولد على الفطرة حتى يبلغ فيكفر أَو يبقى على الخير، أَو من حال حسنة كالجود والعدل، ولو كان كافرا فإذا جارَ سُلبَ مالُه مما يستحسنه، وقد يبقيه أو يزيده مما يحب استدراجا، والشكر يبقى النعم والكفر يزيلها."[2]. بينما لم يتعرض لعكس الصورة وهو فيما لو كان على حال المعصية وزوال النعمة ما هو الواجب عليه من جانبه ليتغير حاله إلى الوضع المطلوب.

وهذه الصورة الأخيرة المشار إليها وجدتُ الشيخ اطفيش في هميان الزاد لم يتعرض إليها أيضا؛ بل إنه بعد أن ذكر شيئا مما نقلتُه في تيسير التفسير له، قد قال: " (إنَّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ) أي ما في قوم من العافية والنعمة (حتَّى يُغيروا ما بأنفسهِم) أيْ ما فيهم من الأحوال الجميلة بالمعاصي، وهذا في الموحّد ظاهر." [3]. وأن الآية إنما تصدق في المؤمن وغير المؤمن فيدخل المؤمن بترك المعصية في الطاعة لحصول الإيمان له ابتداء، وبالتالي يستحق بقاء النعمة التي هو فيها.

لكن ماذا لو سعى غيرُ المؤمن في نفس الخط بترك ما يقع له بحكم شرع العقل من تحصيل الأحوال الجميلة مما هو ملاحظ، أو هو مستمر الوقوع في المعاش عند عموم الجماعات الإنسانية. فهل تجري عليهم نفس القاعدة وتنطبق عليهم نفس السنة. فعند الشيخ اطفيش أنه لا مانع من ذلك بل يوجبه شرع العقل بلا فرق فقد قال: " وأما في غيره فوجهه أن المشرك قد تصدر عنه أحوالٌ جميلة كالعدل بين الخلق، والرحمة والصدقة، وإذا تركوها أو أكثروا الفواحش أو أعظموها كوصف الله بأنه إنما يكون من نحو حديد أو رصاص أو نحاس، وكإرادة الغدر بالنبي؛ أزيلت عنهم النعم بعد استدراجهم بها، وأن العقل داع إلى الأحوال الجميلة، فإذا غيروها

---

[1] – نثر الجواهر والدرر، المرجع نفسه. 217.

[2] – تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش، المرجع نفسه. ج 4 / 412.

[3] – هميان الزاد إلى دار المعاد للقطب امحمد اطفيش، المرجع نفسه. ج 6 / 342.

بترك إتباعها زالت عنهم النعم. وإن دين الله كالشيء الثابت فيهم، ولو لم يؤمنوا به لظهوره كالشمس، فإذا غيروه بالإعراض عنه زالت."[1].

بينما وجدتُ عند المعاصرين من المفسرين طرحا أوضح قريبا من وعي قارئ التفسير المعاصر، وإن كان لا يختلف من جهة المضمون عما ذكره اطفيش وغيره. فعند الشيخ جابر الجزائري يطالعك قوله " وقوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه ماضية فيهم وهي أنه تعالى لا يزيل نعمة أنعم بها على قوم من عافية وأمن ورخاء بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طهارة وصفاء بسبب ارتكابهم للذنوب وغشيانهم للمعاصي نتيجة الإعراض عن كتاب الله وإهمال شرعه وتعطيل حدوده والانغماس في الشهوات والضرب في سبيل الضلالات."[2]. فالعبارة الأخيرة تتجاوز في إجراء القاعدة المذكورة والسنة المستمرة مجردَ المخالفة في المعاصي الجزئية، من الأفراد بل الأمر يبلغ أقصى مداه عند تعطيل الشريعة وإهمال حدودها المقررة، وهو همٌّ حديث لم يكن المفسرُ القديم يعاني منه فهو إرث الاستعمار الحديث.

وهذا العرض الواضح لمضمون الآية والسنة الاجتماعية التي تقررها وجدته أيضا لدى المفسر سعيد كعباش لدى تعرضه للآية المذكورة، فهو بعد أن يستدعي التاريخَ، ويحيل على أحوال المجتمعات البشرية قديمها وحديثها، يمثل بواقع الأمة الإسلامية وما حصل لها إما بسبب ما جنتْ يداها من المخالفة لهدي الشرع، أو ما تسبب لها فيه الغير و لم تسْعَ إلى إصلاحه فقد قال: " (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم): لقد تضافرت النصوص الشرعية من قرآن وسنة في النهي عن الظلم والفساد، وبينت كيف تكون عاقبة ذلك وخيمة على المجتمعات البشرية، وضرب الله لذلك مثلا من الأمم الخوالي ، وهي سنة مطردة لا تتخلف في العمران البشري. والتاريخ القديم والحديث خير شاهد على ذلك، ولنا من الأمة الإسلامية في مراحل قوتها وضعفها خير دليل على اطراد هذه السنة الاجتماعية فعندما غيرت سلوكها وحادت عن منهج الله سلط الله عليها أعداءها فأضحت أوزاعا وأشتاتا لا قيمة لها في المحافل العالمية وإن كانت كثيرة العدد ؛ فهي كغثاء السيل كما تنبأ بذلك رسول الله في الحديث المشهور. وكان من حكمة الله ومشيئته أن يكون الناس بتوجهاتهم وسلوكاتهم هم سبب التغيير في أوضاعنا إيجابا وسلبا." [3].

ولا يفوتُ المفسرَ أن يلاحظ موقع " النفس" البشرية في مجرة القاعدة فالأمر يتعلق بالمجتمع البشري وهو نفوس متعددة مترابطة بل متشابكة، هي في النهاية صورة لنفس واحدة كبيرة جمعية " ومن الطريف البديع أن يعلق الله التغيير بتغيير ما في النفس؛ لأن جوهرة النفس في ذات الإنسان هي مستودع الإلهام الرباني برا وتقوى

[1] – همیان الزاد المصدر نفسه. ج 6 / 342.

[2] – أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المرجع نفسه. ج 3 / 14.

[3] – نفحات الرحمان، للشيخ كعباش، المرجع نفسه. ج 7/154-155.

أو إثما وفجورا. ثم إن هذه القاعدة الاجتماعية تخص المجموعات البشرية، ويبقى الفرد محكوما بذنوبه تارة وبذنوب غيره أخرى إذا وقف منها موقف اللامبالاة والسكوت عنها."[1].

ولأضربْ مثلا للآية التي تتكلم عن نعمة الزواج، وهو أساس اجتماعي تعرض القرآن لتفصيل كثير من أحكامه، فتجدُ مثلا هودَ بن محكم الهواري وهو من مفسري القرون الأولى لا يكاد يتجاوز المعاني الأصلية التي تفيدها ألفاظ الآية دون التفصيل لوجوه النعمة المشار إليها. فهو يقول: " قوله: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الروم: 21]، يعني أزواجكم، أي: المرأة من الرجل (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) أي : لتستأنسوا إليها (وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً) يعني محبة (وَرَحْمَةً) يعني الولد (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أي: فيؤمنون، وإنما يتفكّر المؤمن."[2].

وبعد قرون وفي القرن العشرين وفي بيئة اجتماعية متطورة نسبيا، وبمشاكل أكثر حساسية تجد الشيخ اطفيش يسهب نسبيا في تفصيل المعاني السابقة التي أشار إليها ابن محكّمُ ككون الزواج فيه مودة، ولو تباعدت الأنساب والقرابات، فهو يقول: "(ومن آياته أن خلق لَكُم من أنفسُكِم) أيها الرجال، أي أجسادكم (أزوْاجا) إناثا تتزوجونهن بخلق حواءَ لآدم من جسده، أو من أنفسكم من جنسكم، ويناسب كلا من الوجهين قوله عز وجل: (لتسْكُنوا) لتميلوا بقلوبكم، وتتبعها الجوارح (إليْها) إلى أزواجكم، لأن من خلق منك بخلقه من أبيك أنسب بان تسكن إليه، ومن خلق من جنسكم أنسب بالميل إليه بخلاف ما إن كانت الأزواج من جنس البقر مثلا، والأول أولى بالمساكنة. ورجح بعضهم الثاني.(وجَعَل بينَكُم) أيها الرجال وأزواجكم، والخطاب للكل، وقيل للرجال وحذف النساء، أي بينكم وبين الأزواج (مودَّةً ورحْمَة) بالتزاوج ولو تباعد النسب، ولو لم نلتق معها إلا في نوح، وقيل بينكم أيها الناس بين رجل وآخر، وبين امرأة وأخرى، وبين امرأة ورجل لقرابة أو إحسان أو شفقة، أو ما شاء الله تعالى."[3].

ومن عادة الشيخ أن يحققَ في الألفاظ من جهة المعاني اللغوية والشرعية، ويردّ ما لا تفيده الألفاظ ويرجحه من وجهة نظره كما فعل ذلك عند قوله:" والمودة الحبُّ والرحمة، ويقال المودة الرحمة من الله، والفَرْك من الشيطان، أي البغض بين الزوجين، ويضعف أن المودة كناية عن النكاح، والرحمة كناية عن الولد، وكون المودة بمعنى المحبة كناية عن النكاح ظاهر للزومها له. وأما كون الرحمة بمعنى الولد للزومها له فبعيد ، وكان قائله راعى ورود الرحمة في القرآن لشأن الولد، ويبعد أن المودة للشابة، والرحمة للعجوز، وان المودة للكبير من الناس، والرحمة للصغير منهم، وإنما اشتباك الرحم."[4].

وبمناسبة الحديث عن التعقيب الذي ختمت به الآية يجمل المعاني السابقة، ويزيدها تأكيدها فهو يقول: " (إنَّ في ذلك) المذكور البعيد رتبة من خلقكم من تراب، وخلق أزاوجكم من أنفسكم وإلقاء المودة والرحمة

---

[1] – نفحات الرحمان، المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 7/154-155.

[2] – هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري. ج 3 / 120.

[3] – تيسير التفسير للقطب طفيش، المرجع نفسه. ج 08/ 233.

[4] – تيسير التفسير، المصدر نفسه. ج 08/ 233.

(لآيات) عظيمة (لقَومٍ يتفكَّرون) في كل واحدة، وفى الواحدة كفاية، ومما يؤدي إليه التفكر أن خلق الأزواج والمودة والرحمة، ليس لمجرد قضاء الشهوة كالبهيمة، بل لتولد من يعرف الله، ويوحده ويعبده." [1]. لكن ذلك كلّه دون أن يشير فيه إلى واقع الزواج في زمانه ومدى وقوف الناس عند حدود الشرع، ومدى تقدير الناس لنعمة الزواج والحياة والزوجية، والأثر السلبي المترتب عن إهمال شروط المودة والسكينة.

وفي تفسير هميان الزاد للشيخ اطفيش دائما نجده يوجز ما قرره سابقا في تفسير الآية، ويتخلص من إيراد الاختلاف في المعاني المقررة وبذلك يعفي نفسه من الرد عليه وتخطئتها، كما فعل عند قوله " {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجاً) لأن حواءَ خلقتْ من ضلع آدم، والنساء بعدها من أصلاب الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس. (لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا): تميلوا إلى الأزواج وتألفوهنّ لأنهنّ من جنسكم. (وَجَعَلَ بَيْنَكُم) بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس. (مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) يتحابان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف ولا شيء أحب إلى الآخر من غير رحم بينهما إلا الزوجان، وعيش الإنسان متوقف على التعارف والتعاون وقال الحسن: المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد. (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) في عظمة الله وقدرته فيعلمون ما في ذلك من الحكم."[2].

ولأتركِ الحديثَ عن الشيخ اطفيش فتفسيرُه متقدم قليلا عن الواقع الذي عالج فيه الشيخ بيوض مثلا بعض قضايا الأسرة؛ فبمناسبة تفسير الآية السابقة يستطرد لمعالجة بعض ما يرتبط بالزواج ارتباط شديدا، وهو الأسس التي يختار الرجل المرأة بناء عليها، وأنه بنظر الشيخ بيوض يجب أن يكون الاختيار مسؤولية الشاب والوالدين؛ ليكون أكثرَ مسؤولية فهو يقول: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا)، فالشاب في هذه المرحلة يختار بعاطفته فيميل إلى المظاهر؛ إلى الجمال والزينة والبهرجة، فينجذب قلبه وتشتعل في قلبه نارُ الحبّ، فيقول أنا أحبّ بنتَ فلان أو فلان من غير أن ينظر إلى الخلال والصفات التي تطلب في المرأة، والتي لا يمكن أن ينظر إليها نظرا حكيما متدبرا كما ينظر إليها أبوه صاحبُ الخمسين أو الستين من عمره، أو أمه التي جربت ورأتْ وعاشرت..."[3]. وقارئ تفسير الشيخ بيوض وخصوصا في هذا الموضع بالذات يشعر بمدى واقعية المفسر وهو يعالج ما يتصل بالمجتمع من قضايا القرآن، وبمدى مصداقية التفسير من جهة احتوائه على التشخيص الناجع والمعالجة المناسبة.

ويتعرض الشيخ أيضا في موضع آخر إلى ما يصيب الحياة الزوجية من المصاعب، وما من شأنه أن ترتفع به المودة والرحمة المشار إليها في الآية، وما ينتج عن ذلك من تأثر الأولاد سلبا جراء القلق الدائم من التراعات المستمرة، فهو يقول: " هذه هي المشاكل التي تتخبط فيها العائلات ويزداد المشكل تعقيدا إذا كان بين

---

[1] – المواقف، للأمير عبد القادر. ج 2/67-68.

[2] – هميان الزاد إلى دار المعاد للقطب امحمد اطفيش، المرجع نفسه. ج 10/ 370.

[3] – في رحاب القرآن، للشيخ بيوض، المرجع نفسه. ج 166/10.

الزوجين أولاد إذ يتنازعهم الأبوان، وقد يتدفعانِهم فيشتتون بينهما، كما يتنازعون على النفقة والحضانة، ولا بد أن ينعكس هذا على الأبناء فتفسد أخلاقُهم وتصيبهم العُقَدُ النفسية." [1].

ولا يفوت الشيخَ بيوضا وقد عاصر البدايات الأولى للتحولات التي شهدتها الأسرة الجزائرية باعتبارها واقعا محيطا في السبعينات أن يتعرض إلى التنبيه على قداسة عقد الزواج، والدعوة إلى تسهيل أموره خصوصا بتيسير المهور وإن كان الخطاب موجها فيه إلى أهل مزاب فهو يقول: " فأنتم أيها الشباب الجالسون أمامي مقبلون على عقد الزواج المقدس فاجعلوا اعتبارا كبيرا لآراء آبائكم... الصداق عندنا محدود كما سنه لنا أوائلنا وهذه سنة حسنة وطريقة متبعة في وادي مزاب كله." [2].

وأختم الكلام عن الشيخ بيوض في هذا الموضوع بما ذكره وهو من قبيل القاعدة الاجتماعية المقررة من أن التغيير الاجتماعي خصوصا إلى الأصلح يتطلب الزمن الطويل ليحدث التغيير في جميل خلايا ومفاصل الجسم الاجتماعي، ويصيب الوعي، ومبرر التغير جميع أفراد المجتمع جميعَ عناصره على اختلاف فئاتهم وثقافاتهم؛ وبالتالي تحصل نتيجة التراكم ما هو شبيه بالموجة الاجتماعية. فقد قال الشيخ بمناسبة الكلام عن عمْرِ نوح عليه السلام في قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما)" وفي ذكر هذا العمر الطويل لنوح عليه السلام تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين آمنوا معه، والذين أصابهم القلق في السنوات الأولى، والمشركون غالبون ومتمادون في تعذيب المؤمنين، فقالوا: متى نصر الله؟ وكأن الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: كم هي المدة التي قضيتها في المجاهدة بالنسبة للمدة التي قضاها نوح عليه السلام؟ حقا إنها لمدة طويلة، وإنا لنذكرها ونعجب منها، ومن صبر سيدنا نوح عليه السلام. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نعجب من طغيان قومه وتماديهم على ضلالهم. فطوال هذه المدة لم يؤمن معه إلا قليل. ولو كان المؤمنون به واحدا في كل سنة لكان عدد المؤمنين به تسعمائة وخمسين، ولكن لم يكن. لقد كان عددهم بقدر حمولة السفينة التي صنعها بيده بإذن الله. وأكثر ما قيل في عددهم: أنهم ثمانون بين رجل وامرأة...."[3].

ولما كان المجتمع الإسلامي دائم التعرض للاعتداء الأجنبي فإن من واجب المفسر أن يتعرض لدفع ذلك، وهو يفسر الآيات التي تحض المسلمين على جهاد الكفار ودفع العدوان، وإن كان هذا لا ينفي أن يقع الحثُّ من المفسر وغيره في غير التفسير كما وقع للإمام الثعالبي في رسالته إلى علماء بجاية في صدر القرن التاسع. لكن موضع ذلك الحث والحض من التفسير لا يخفى مفعوله ومدى أهميته في قلوب المؤمنين.

وآخذ قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) مثالا، إذ قد تعرض لها الثعالبي بإيجاز حيث ذكر ما احتوت عليه الجملة الأولى من المبتدأ وخبره، ونقل عن بعض السلف قصْرَ الجهاد المذكور في الآية على إقامة السنة. وقد ارتضاه المفسر الثعالبي إذ ترك التعقيبَ عليه، فقد قال ما نصه: " (والذين

---

[1] - في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج 174/10.

[2] - في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج 172/10.

[3] - في رحاب القرآن، المصدر نفسه. ج 74/9- 75.

جاهدوا): مبتدأٌ خبرُه القسَمُ المحذوفُ، وجوابُه وهو: (لَنَهْدِيَنَّهُمْ)، انتهى. وقال الثعلبي: قال سهل بن عبد اللّه: (والذين جاهدوا) في إقامة السنة (لَنَهْدِيَنَّهُمْ) سبل الجنة؛ انتهى. واللام في قوله (لَمَعَ) لام تأكيد."[1].

هذا ما ذكره الثعالبي وهي آية مناسبة لذكر ما يستدعيه الظرف من مدافعة الاعتداء المتكرر، والذي استدعى تدخل السلطان العثماني. فماذا قال الشيخ اطفيش في تيسير التفسير وقد عاصر الاحتلال الفرنسي وهو يتوسع في ربوع وطن الجزائر، وغيره من الاستعمار في أوطان العرب والمسلمين في هذا الموضع من التفسير " {والذين جاهدوا فينا} في أمرنا من الطاعة واجتناب المعاصي، وتقوية الإسلام، والثبات على ذلك، لا يمنعهم فقر ولا معصية { لنَهَدينَّهم سُبُلنا } تمام ما دخلوه وما قصدوه، ونزيدهم، قال الله عز وجل: { والذين اهتدوا زادهم هدى } قال رسول الله عليه وسلم: « من عمل بما علم أروثه الله علم ما لم يعلم » وقيل: الذين أرادوا الجهاد فينا هديناهم إلى ما أرادوا، وزعم بعض أن المراد سبلنا إلى الجنة، وبعض إلى الموت موت الشهداء والمغفرة { وإنَّ الله لَمَع المُحسنين} المذكورين بالنصر والإعانة، فالأصل وإن الله معهم، فالظاهر ليصفهم بالإحسان المستوجب للمعية، أو المراد جنس المحسنين هؤلاء بالأولى على طريق البرهان من أحسن فمعه الله، فهو مع هؤلاء؛ لأنهم أحسنُوا والله الموفق المغني المعين، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلى العظيم."[2].

فأنت تراه تعرض لذكر الدفاع عن الإسلام والثبات عليه، وذكر قول من قال يهديهم إلى موت الشهادة... دون أن يفصل القول في أسبقية جهاد العدو على جميع أنواع الجهاد الأخرى التي تذكر عادة في زمن السلم والأمن من الأخطار.

وهذا الذي ذكره هنا موجزا زاده توضيحا في هميان الزاد بأن قال: " { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا } أي جاهدوا المشركين في سبيلنا، أو في حقنا، ولأجْلنا ولنصرة ديننا أو المراد جهادهم وجهاد المنافقين والنفس والهوى والشيطان فحذف المعمول للتعميم."[3]؛ فهو وإن صدَّر جملةَ الأقوال بجهاد المشركين، والتصدير علامة التشهير كما يقال، ويكون الاختيار الراجح عنده من جملة الأقوال التي سيوردها منها قول: " السدّي: أن الآية نزلت قبل فرض القتال فهي في جهاد النفس والهوى والشيطان وفي دين الله وطلب مرضاته وهو الصحيح الموافق لما مر أن السورة مكية وقال الحسن بن علي: هي في العبادة وقال إبراهيم بن أدهم: هي في الذين يعمَلون بما علموا وقال سهل بن عبد الله: إقامة السنة وقيل: المراد نصر الدين والرد على المبطلين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد النفس في طاعة الله وجهادها اكبر من جهاد العدو كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر »"[4].

وعند تفسير قوله تعالى من نفس الآية {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} نراه أكثر ترددا بتعديد الأقوال الواردة تفسيرا للسبل المذكورة في الآية: " طرق جنتنا وهي الأعمال الموصلة إليها وطرق الوصول إلى رضاها أو لنزيدنهم

---

[1] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 3/ 181.

[2] – تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش، المرجع نفسه. ج 498/7.

[3] – هميان الزاد للشيخ اطفيش، المرجع نفسه. ج 07/ 322.

[4] – هميان الزاد، المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 07/ 322.

هداية إلى سبيل الخير وتوفيقا بسلوكها وإصلاح النية في الأعمال وفيها قال سبحانه وتعالى: { والذين اهتدوا زادهم هدى } وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » وقد قال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل وقيل: الذين جاهدوا المشركين لنثنينهم على قتالهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وفي رواية عن أبي سليمان الداراني: الذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا. قيل: إن الذين نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم." [1].

وفي هذا الموضع بالخصوص يشير المؤلف إلى شيء من واقع المسلمين وما يصيبهم من ظلم النصارى وجرائم الاحتلال وذلك في قوله: " { وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } بالنصر والعون في الدنيا والثواب في العقبى اللهم ببركة نبيك محمد صلى الله عليه سلم وبركة السورة اخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ." [2].

هذا الذي ذكرته إنما هو من التفسير الظاهر لأحد أقطاب الإباضية، وقد رأينا كيف أن هذا الظاهر لم يتضمن إلا إشارة سريعة إلى واقع الاحتلال وما على المسلمين من واجب دفعه؛ فكيف يكون يا ترى تناولُ الأمير عبد القادر لهذه الآية وقد تضمنت الجهادَ بمفهومه العام، وهو الذي جاهد الاحتلال الفرنسي، وجمع له من خلال الزمان والمكان ما هو معروف في التاريخ، ثم طوى صفحا عن كل ذلك. وخصوصا أن الأمير ولو في غير هذا الموضع قليلُ التطرق للظاهر مع تسليمه كما هو معروف: " (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين): أي الذين بارزوا أنفسهم بالمجاهدات والرياضات (فينا) بسبب الوصول إلينا وإلى جنة معرفتنا ومشاهدتنا، (لنهدينهم) لنعرفنهم (سبلنا) الطرق الموصلة إلينا؛ فإنهم ما جاهدوا في غيره لا دنيا ولا آخرة. ثم ليعلم: أن دخول جنة المعارف والمشاهدة خلاف دخول جنة اللذائذ المحسوسة. فجنة المعارف والمشاهدة دخولها غالبا بالكسب والمجاهدة، كما قال (والذين جاهدوا فينا) أي جاهدوا أنفسهم بسببنا..." [3].

فهو على عادة الصوفية يولون مجاهدة النفس ـــ بالمجاهدات والرياضات الأولوية ـــ وهي عندهم منطلق كل جهاد تابع. وجزاء المجاهدة هي دخول جنة المعارف وهي عندهم شيء زائد على الجنة الحسية.

وإذا انتقلتُ إلى الشيخ أبي بكر الجزائري في أيسر التفاسير وهو مفسر معاصر، كان في تفسيره أكثرَ التصاقا بقضايا الواقع نسبة إلى من أسلفت ذكرَهم، فهو يقول: " { والذين جاهدوا فينا }: أي بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم، وتزكية نفوسهم، وتهذيب أخلاقهم ثم بقتال أعداء الله من أهل الكفر المحاربين للإسلام والمسلمين؛ { لنهدينهم سبلنا }: أي لنوفقنَّهم إلى معرفة ما يوصل إلى محبتنا ورضانا ونعينهم على تحصيله." [4].

وواضح أنه أخذَ في تفسير الجهاد بالمفهوم الواسع والشامل لكل أنواع الجهاد الشرعي من جهاد العلم والعمل،

---

[1] – همیان الزاد. المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 08/ 322.

[2] – همیان الزاد، المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 09/ 322.

[3] – المواقف للأمير عبد القادر، المرجع نفسه. ج 177/1.

[4] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 3/ 219.

ودفع اعتداء الكفار وحماية بيضة الإسلام. وهو مقدار لا يراه الناظر كافيا لأن قارئ التفسير المفترض أنه يجد بكثافة في بيان القرآن ما هو الواجب عليه عند تعرض أوطان المسلمين وإسلامهم إلى الاعتداء من الكفار. وربما قيل أن المفسر تتجدد له مواطن مثل هذا البيان عبر الآيات الكثيرة المشابهة وذات الموضوع الواحد.

وعند الشيخ بيوض وهو ممن عاصر الاحتلال، واكتوى بناره تراه يشير إلى ذلك دون أن يفصل فيه أو يناوله بالاسم، بناء على أنه تعرض له في مقام آخر خصوصا بعد حصول الاستقلال فقد نوّع الجهادَ الواردَ في الآية بقوله: " الجهاد في الله هو الجهاد في سبيله، جاهدوا فتنة النفس وفتنة الناس، وللنفس فتنة هي الشهوات والملذات والأهواء، وللناس فتنة هي فتنة الظلمة والجورة والمشككين بما يزيفون ويلقونه للناس قصد إضلالهم، وصدهم عن سبيل الله. والإنسان محوط بمختلف أنواع الفتن الداخلية والخارجية، وعليه أن يجاهدها، ولذلك عمم الله تعالى فقال (والذين جاهدوا فينا)، و لم يقل: جاهدوا كذا وكذا. فالذي يحمل سلاحه للدفاع عن المسلمين وبلاد المسلمين إذا وجب الجهاد، وأعلنت الحرب فهو مجاهد والذي يقاوم وسائل الإغواء التي بيتها المصلون بأفكارهم ودعاياتهم الباطلة التي لا تكاد تعد ولا تحصى، والذي يقاوم شهوات نفسه فهو مجاهد؛ بل هو الجهاد الأكبر لأنه يقاوم نفسه بين جنبيه حتى لا يستعمل الغرائز التي أودعها الله فيه إلا بالحق. وإذا كانت تلك الغرائز ضرورية لحياة الإنسان فإن الله تعالى لم يأمر بكبتها ولكن جعل لها متنفسا بالطرق الحلال، و لم يحرم الله تعالى شيئا إلا وقد أحل في مقابله شيئا، بل ما أحله أكثر مما حرمه. فكم حرم علينا من ملاذ الطعام والشراب مما احل لنا؟ حرّم علينا الميتةَ والدم ولحم الخنزير وكل مسكر ومخدر، وأحل كل ما سوى ذلك. فجهاد الغرائز لا يكون بكبتها، وإنما بصرفها إلى الحلال."[1].

وكذلك يوجد التعميم في مفهوم الجهاد الوارد في هذه الآية والآيات المشابهة مع الاكتفاء بالإشارة إلى جهاد العدو أو الظالم ونحوه عند سعيد كعباش عند قوله: " والجهاد المذكور هو الصبر والاحتمال لما تعرض إليه المؤمنون من أنواع الابتلاء قبل هجرتهم إلى المدينة كما تقدم في أول السورة هؤلاء الأخيار هؤلاء الأخيار من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن يكونُ من بعدهم على شاكلتهم في الاحتمال والاصطبار يعدهم الله بما يضمن لهم السعادة الأبدية..."[2]. وربما يكون قد تعرض إلى شيء من ذلك في باقي تفسيره، إذ كان هذا التفسير موجها إلى المسلمين جميعا، وكثير منهم تتعرض أوطانهم إلى كثير من الخطر الداهم الواقع أو المتوقع، ومن جراء ذلك ما يتهدد أرواحهم وأموالهم، وقد أقام الله الحياة البشرية على أساس من التدافع الدافع إلى حفظ ذلك كله، والذي لا يمنع البشر من أن تكون بينهم جسور حوار بديلة لكثير من وضعيات الحروب، والصراع.

وربما كان الشيخ أبو بكر جابر الجزائري من أكثر المفسرين تعرضا لبعض قضايا المجتمع المعاصر دون أن يكون ذلك بتفصيل كاف، بل بالإشارة عن طريق الأحكام الحاسمة التي يصدرها كما في مواضع منها ما ذكره

[1] - في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج 270/9.

[2] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 327/10- 328.

في تفسيره عند قوله: " قول: ذو القرنين: (أما من ظلم...الخ) يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإيجابيتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه، ومن الأسف أن يعكس هذا القول السديد والحكم الرشيد، فيصبحَ أهلُ الظلم مكرّمين لدى الحكومات، وأهلُ الإيمان والاستقامة مهانين!!"[1].

وكذلك عند حديثه عن قتل النفس فقد جعل تحديد النسل من أسبابه، وأنكر على بعض حكومات البلاد الإسلامية السعي إلى تشريعه للناس:" حرمة قتل النفس لأي سبب كان وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر."[2]. وجعل ذلك من أمر الجاهلية أمر معلوم على أن ذلك كان سلوكا لأفراد جاهليين لم ينقل أن شيوخ القبائل العربية ألزموا أفراد القبيلة به ولا نهوهم عنه فكان ذلك أقل جرما من حكومات عربية معاصرة.

وبخصوص مقام المرأة في بيتها وامتناعها عن الخروج إلا لضرورة يقرر " فضل المرأة المقصورة في بيتها وذم الولاّجة الخرّاجة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما."[3]. دون أن يكون في كلامه تعرضٌ إلى ما جدّ في حياة المرأة المسلمة من التعلم والتعليم والعمل خارج البيت، وهو أمر قد أصبح عاما يتجاوز حدود الضرورة والحاجة إلى الظاهرة غير المنضبطة التي تتطلب تقييدا بما يحفظ سير الحياة الإسلامية ويضمن مصالح الأفراد والأسر.

وعند الكلام عن حادث الإفك وما جرى على السيدة عائشة أم المؤمنين من الإفك، كما هو تعبير القرآن في سورة النور (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم) يحمل على الشيعة الذين يعيدون كلام المنافقين الذين كذبهم القرآن زمن النزول فهم يعيد توجيه الرمي بالفاحشة لهذه السيدة المؤمنة ويزعمون أن ذلك كان بالبصرة فلا يفوت الشيخ أن يقرر تكفيرهم بذلك وغيرهم " بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلق لا يحصون عدداً إذا طائفة الشيعة الروافض ما زالوا يهلكون فهيا جيلاً بعد جيل إلى اليوم إذ وَرَّثَ فيهم رؤساء الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وأمته جزءاً كبيراً سموه شيعة آل البيت تضليلاً وتغريراً فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام وأوردهم النار باسم الخوف من النار فكذبوا الله ورسوله وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة وأهانوا أباها ولوثوا شرف زوجها صلى الله عليه وسلم بنسبة زوجه إلى الفاحشة."[4].

وفي تفسير الشيخ الخضر حسين عند قوله تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة) يجعل من أسباب الفتنة في مجتمعات المسلمين على الأقل في زمانه إهمال التربية والتعليم الديني وهو ما أقعد الأمة صغارا وكبارا عن معرفة عدوها ودفاعه؛ فهو يقول:" والفتنة التي يعم وبالها مرتكبيها وغيرهم ما كان من نحو إقرار المنكر وتفرق الكلمة وإهمال التعليم الديني والقعود عن دفاع العدو. فإن شؤم عاقبة هذه المعاصي لا يخص

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 398/2.

[2] – أيسر التفاسير للجزائري، المصدر نفسه. ج438/1.

[3] – أيسر التفاسير للجزائري، المصدر نفسه. ج 188/4.

[4] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 49/3.

الذين ظلموا وهو المقرون للمنكر والعاملون لانفصام عرى الاتحاد والمهملون للتربية الدينية والقاعدون عن الجهاد تكاسلا بل يتعداهم إلى غيرهم من نحو الأطفال والمستضعفين من الرجال والنساء."[1].

وفي تفسير مصطفى العلوي يتكلم عند بيان سورة العصر شيئا مما يهم المجتمع وهو من قضاياه: فهو يقول: " ومن لم يتواص بالحق قل أن يصبر في طريق الحق، بناء على أن رأس الأعمال الصالحة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن لم ينه ويأمر يخشى عليه يوما من الأيام يصبح فيه لا ينتهي ولا يؤتمر."[2]. وما ذكره في آخر كلامه أصبح ظاهرة اجتماعية بعد أن كان قاعدة قررتها الشريعة وهي الآية التي فسرها الخضر حسين أعلاه. وأصبح المجتمع بإفراده وحكوماته يتأبى على الأمر بالمعروف وخصوصا النهي عن المنكر.

ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبيل التواصي بالحق المذكور في سور كثيرة منها سورة العصر؛ فإن من لوازمه أن يتحمل صاحبه بالصبر لا يفارقه لما يتوقعه من الرفض وردود الأفعال المعادية، قال: " ولما كانت هذه الخصال اعني قول الحق وملازمة الحق والتواصي بالحق في الغالب تجلب لصاحبها من الأذى ما تكرهه نفسه، قرنها تعالى بالتواصي بالصبر؛ فمن لم يتذرع بالصبر قل أن يثبت في مقام الدعوة إلى الله عز وجل. ويعرنا بهذا وصية لقمان لابنه فيما أخبر القرآن الكريم به حيث قال (وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور.)"[3].

غير أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان مسؤولية عامة للأفراد على اختلافهم والحكومات هو درجات كثير منها يتجاوز الفرد العادي برأي الشيخ فهو من مهامّ العالم بلسانه وبيانه وبما يكتب بخط يده؛ لأنه وارث الأنبياء وقد كان ذلك من مهامهم وما بعثوا لأجله وصبروا عليه فقد قال أيضا: " وخلاصة القول أنه يدخل في التواصي بالحق، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تقدم. ويدخل في التواصي بالصبر حمل الأذى وكف الأذى. وهاته الأخلاق الكريمة توجد في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالسجية، وفي غيرهم من بقية المرشدين رضي الله عنهم بضرب من التكلف. غير أن الكلفة تهون بقدر الخلافة النبوية" العلماء ورثة الأنبياء". فهذا متروك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،وذلك حظ الأنبياء منهم. فليتأمل المتصف بالعالمية حظه من ذلك الإرث ومقدار توجهه وإخلاصه ونصحه لله ولرسوله وللمؤمنين. فإن وجد في أخلاقه ما يثبت له نصيبا من ذلك الإرث فقد وجد فليلزم. وإلا فهو مقطوع السبب. فينبغي له أن يلتجئ لمن يربط سببه، ويحقق له وصلته قبل أن تختم أنفاسه وهو على ما هو عليه فيحشر على ما مات عليه على أنه ليس بعد هذه الدار إلا الجنة أو النار أعاذنا الله والمسلمين من سوء القرار."[4].

وفي المقطع الأخير رد للأفراد ممن لم يتأهل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يلتزم شيخا يعلم ذلك ويعينه على تحصيله. وربما حصل له شيءٌ من ذلك فإن المتأخرين من أتباع التصوف لم يعهد عنهم أمرٌ بمعروف

---

[1] – أسرار التنزيل، للخضر حسين، المرجع نفسه. ج 400/1.

[2] – أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 400/1.

[3] – مفتاح علوم السر للشيخ ابن عليوة، المرجع نفسه. /05.

[4] – مفتاح علوم السر، المصدر السابق. ، 05.

أو نهي عن منكر من شأنه أن يغير من واقعَ المجتمع كما يقوله خصومهم. بل ربما كان تدخلهم مما يعقّد الأوضاعَ الاجتماعية وعلى كل حال فالكلام لا يخلو من مبالغة؛ وأصله صحيح فهو واقع يحياه الناس.

وإذا انتقلت إلى مواضع مختلفة من كلام المفسرين دون شرط أن تتحد الآية أو المقارنة بين كلام وقع تفسيرا لموضوع الآية فمن القضايا التي تعرض لها بعض المفسرين المعاصرين كالشيخ سعيد كعباش (قضايا الجاليات الإسلامية المقيمة في دول مختلفة وتحتاج إلى نوع معالجة لقضاياها الاجتماعية والمالية وغير ذلك فعند قوله تعالى : (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) ينقل عن الشيخ ابن عاشور لأجل التمييز بين الطيب والخبيث من تلك المطعومات ما نصه: " ومناسبة هذا التحديد في المحرمات أن بعض المسلمين كانوا بأرض غربة، وقد يؤكل فيها لحم الخنزير وما أهل به لغير الله، وكان بعضهم ببلد يؤكل فيه الدم، وما أهل به لغير الله."[1]. ثم يعقب على ذلك بالكلام عن وضع مشابه معاصر، فقد قال:" قلت: ما تزال هذه الوضعية المربكة يعيشها كثير من المسلمين في ديار الغربة حتى اليوم؛ إذ تشتبه عليهم نوعية اللحوم المعروضة سيما في البلدان الملحدة، ولا يجدون مخرجا إلا بالاعتماد على أكل السمك ونحوه، حتى اضطرت الجماعات المسلمة في أوربا وأمريكا تتخذ لنفسها ذبائح خاصة على الطريقة الإسلامية."[2]. وقوله هذا يتضمن أنه لا رخصة في أكل اللحوم المحرمة مهما تبدلت الأعصار، وهو مقدار كاف من البيان يدفع شبهة الترخص في ذلك باسم الإقامة في غير بلد الإسلام لمن يريد التزام أحكام الشرع.

وفي كلام الشيخ الخضر حسين حول بعض آيات الحج بيان لبعض مقاصده على وجوه مختلفة عما كان يذكره القدماء وذلك تقريبا ما استقرر عند المفكرين المعاصرين عند الكلام على مؤتمر الحج وما عسى أن ينتفع به المسلمون اليوم خصوصا بعد أن تعرضت أوطانهم إلى أخطار متعددة ابتداء من الاستعمار إلى الفتن الداخلية وغير ذلك من معالجة مختلف قضايا المسلمين فقد قال عند قوله تعالى (الحج أشهر معلومات):" وللحج فوائد كثيرة العدد عظيمة الخطر، من أهمها: التعارف ثم التوادُدِ ثم الاتحاد ثم التعاون على إقامة المصالح العامة، ودفع الأخطار الفادحة. ولو اتجهت أنظار الشعوب الإسلامية إلى هذه الغاية الخطيرة بعناية، وعملوا لها بحكمة وحزم، لوجدوا أكبر مساعد على أن تتوافق آراؤهم وتتقارب مشاربهم وتتماثل مراميهم فيستعيدوا سيادتهم ويعيشوا في عزة وطمأنينة."[3]. وفي آخر كلامه ما يشير إلى معضلة السيادة الوطنية وما تعرضت له الأوطان الإسلامية من الاستعمار والتبعية.

وممن تطرق أيضا إلى بعض القضايا المالية ذات الطابع الاجتماعي بمناسبة تفسير قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون) الشيخ مصطفى آل عزيز فقد قال:" فإلى عهد قريب كانت العقارات والمراكب عامة لا شأن لها إلا في الزراعة والتجارة فيزكى مما أخرجت الأرض ومما كسبت المراكب قال تعالى (أنفقوا من طيبات ما كسبتم

---

[1] – التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه. ج 310/14.

[2] – نفحات الرحمان، المرجع السابق. ج456/7.

[3] – أسرار التنزيل، المرجع السابق. 418/1.

ومما أخرجنا لكم من الأرض) وأما اليوم وقد صارت العقارات والمراكب أموالا مكنوزة فتقوم العمارات والمنازل، والعقارات والمراكب بيعا وشراء وكلها أموال محفوظة مكنوزة يتصرف فيها صاحبها متى وكيف شيئا، لذلك فإن ما ينطبق على زكاة الأموال عامة ينطبق على هذه العقارات والمنقولات فيما فضل وزاد عن الحاجة ولعله الحل الأمثل والوجيه للمشكل الاقتصادي على ضوء وهدي الشريعة الإسلامية."[1]. وقصده بعبارة " كانت العقاراتُ والمراكبُ عامةً لا شأنَ لها إلا في الزراعة والتجارة " الإشارةُ إلى النظام الاشتراكي الذي كان مطبقا في الجزائر غداة الاستقلال ففيه كانت ملكية الوسائل للدولة فلا زكاة فيها وإنما تكون الزكاة في غلتها. أما وقد تحركت ملكيتها فيما بعد لصالح الأفراد فالزكاة على رأي المفسر المذكور تكون في أعيانها بتقويمها، وفي غلتها أيضا وهو اجتهاد حديث قد بكر المؤلف بتبنيه والدعوة إليه وتقديمه علاجا اقتصاديا للحاجات المادية للمجتمع الإسلامي.

ولا يفوتني هنا أن أعرج على ما ذكره الشيخ ابن باديس من الواجب الشرعي على المسلم من ضرورة اتخاذ الأسباب الشرعية لتحقيق مقاصده الدينية والدنيوية ولا ينبغي أن يتهاون الأفراد والجماعات بل الأمة كلها في استكمال الأسباب المنصوبة لبلوغ الأهداف المسطرة فقد قال " في قوله تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) [الإسراء: 19 و20].وقد أفادت الآية- حسبما تقدم- أن أسباب الحياة والعمران والتقدم فيهما مبذولة للخلق على السواء، وأن من تمسك بسبب بلغ- بإذن الله- إلى مسبَّبه، سواء أكان براً أو فاجراً، مؤمناً أو كافراً. وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مشاهد في تاريخ المسلمين قديماً وحديثاً: فقد تقدموا حتى سادوا العالم، ورفعوا علم المدنية الحقة بالعلوم والصنائع لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم. وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخسروا دنياهم، وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليهم اليوم من الذل والانحطاط. ولن يعود إليهم ما كان لهم إلاّ إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب. فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم، لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأن غيره تقدم بعدم إسلامه؛ لأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك أو الترك للأسباب. ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام، لكان- مثل سالف أيامه- سيد الأنام."[2].

وفي ضمن كلامه تصريح واضح بما عليه المسلمون في زمانه وقبله وبعده أيضا من التأخر بسبب الاستهانة بالأسباب وعدم استكمال ما يتاح منها في مختلف ميادين الحياة من دينية ودنيوية رغم أن الشرع الشريف وسلف الأمة كان حرصهم شديدا على الأخذ بذلك وتتبعه فكانوا على ما هو معروف من العزة والمكانة.

واستكمالا لما سبق مما هو كالنتيجة لما تقدم وغيره من حدوث التخلف في ميادين العلم والعمل، وضعف الدين وتنقلب الموازين في الأفراد والرؤوس الجهال... فيحدث ما يسميه ابن باديس نفسه " الانحطاط التام "،

---

[1] - الحق لما اختلف فيه من الحق لمصطفى بن علي، المرجع نفسه. ج 48/1.

[2] - تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج /59.

وذلك قوله في موضع غير بعيد: " وهذا هو طور انحطاط الأمم، الانحطاط التام، وذلك عندما يرتفع منها العلم، ويفشو الجهل، وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها، فتتخذ رؤوسا جهالاً لأمور دينها وأمور دنياها، فيقودونها بغير علم، فيَضلون ويُضلون، ويَهلكون ويُهلكون، ويفسدون ولا يصلحون. وما أكثر هذا- على أخذه في الزوال بإذن الله- في أمم الشرق والإسلام اليوم.."[1]. والعبارة الأخيرة في كلامه استدراك يفيد ما كان يراه الإمام المصلح من نهضة الشرق ويأمله ويعمل لأجله من بلوغ تلك النهضة مداها وقد قدر لمن جاء بعده أن يرى مصداق ذلك من تحرير الأوطان وشيوع التعليم، ونهضة العلم الديني، وانتشار المعارف الحديثة على أن ذلك لم يبلغ بعد الأمل المرجو من نهضة الشرق التامة، والعودة الكاملة إلى الإسلام الصحيح بسبب رواسب التاريخ، وتحديات الجغرافيا.

وهذا الذي أشار إليه الإمام من بوادر النهضة في الأمم الإسلامية زاده تفصيلا بسبب ما كان يطالعه من مقدمات صلاح الحال، وجهاد المصلحين في العلاج " رجاء وتفاؤل: إن المطلع على أحوال الأمم الإسلامية يعلم أنها قد شعرت بالداء، وأحست بالعذاب، وأخذت في العلاج، وإن ذلك، وإن كان يبدو- اليوم- قليلاً، لكنه- بما يحوطه من عناية الله، وما يبذل فيه من جهود المصلحين- سيكون بإذن الله كثيراً. وعسى أن يكون في ذلك خير لأمم الأرض أجمعين. حقق الله الآمال وسدد الأعمال، بلطف منه وتيسير، إنه نعم المولى ونعم النصير."[2].

ولأعد إلى تفسير الشيخ أبي بكر الجزائري في موضع يتعلق بالتصحيح الاجتماعي الذي يفرضه الشرع على متبعيه بالمصطلح المعروف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلام المفسرين في شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معروف ولمن شاء أن يطالعه في محله غير أن مقصودنا هنا أن تسجل ما قاله هذا المفسر عند قوله تعالى{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)؛ فقد قال ما نصه: " أمرهم في هذه الآية بأن يوجدوا من أنفسهم جماعة تدعو إلى الإسلام وذلك بعرضه على الأمم والشعوب ودعوتهم إلى الدخول فيه، كما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في ديار الإسلام وبين أهله."[3].

وهي مسألة تقصر فيها كثير من الدول الإسلامية اليوم فهي بالكاد تهتم بوضع جالياته من جهة التدين والقيام بالشعائر الإسلامية، وتقوم بعض الدول وبتسهيل عمل الدعاة في بعض مناطق إفريقيا عن طريق جمعياتها الخيرية الإسلامية. وهو أمرٌ مع أهميته غير كاف ثم هو موجه أساسا إلى الشعوب لا الحكومات.

وقد قال الشيخ ابن باديس عند قوله تعالى {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6)} [يس: 6]، مشيرا إلى ما كان عليه واقع المجتمع الجزائري قبل زمانه بقليل من الغفلة عن هداية القرآن، وما جدّ بعد ذلك

[1] - تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج 102.

[2] - تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج 127.

[3] - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المرجع نفسه. ج 1/ 357.

من الرجوع إليها بفضل التعليم، ونشر الوعي فقد قال " كان الناس منذ زمن قريب لا يسمعون ولا يسمع منهم لفظ الاهتداء بهداية القرآن العظيم، والإقتداء بهدي الرسول الكريم، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والسير بسيرة السلف الصالح، في النهوض بأعباء الدنيا والدين، وهم- إلاّ قليلاً- عن هذا غافلون. أما اليوم بعد أن نهض العلماء المصلحون بواجبهم، ونشروا دعوة الحق في قومهم، فقد أصبح ذلك معروفاً عند أكثر الناس، وفي متناول الناس بجميع طبقاتهم. وإنا لنرجو من فضل الله المزيد، ونشاهد ذلك والحمد لله كل يوم يزيد، فالحمد لله على ما علّم وألهم وبصر ويسّر، ونسأله دوام التوفيق والتسديد يا رب العالمين."[1]. ومناسبة ما قاله الشيخ لمضمون الآية فمطلق الغفلة الصادقة بغفلة المسلمين عن تفاصيل الحياة الإسلامية، وتنتهي الغفلة إلى حد غفلة الناس عن التصديق لما بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب.

وعند تفسير قوله تعالى تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]. نجد ابن باديس يحوم حول تدخل الأجانب في شؤون الدول دون أن يكون ذلك مباشرا، ولا أن يكونَ بالتنصيص على دولة بعينها، فهو يشيد بخصائص الأمم خصوصا العربية منها، وأنها لا تقبل الخضوع للأجنبي فهو يقول: " فمن الطبيعة العربية الخالصة: أنها لا تخضع للأجنبي في شيء، لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتها. ولذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف، ويحدثها كثيراً عن أمة اليهود التي لا يناديها إلاّ بيا بني إسرائيل؛ تذكيراً لها بجدّها الذي هو مناط فخرها كل ذلك لأنها أمة تحيا بالشرف والسمو والعلو. ويذكرها بالذكر وهو في لسانها الشهرة الطائرة والثناء المستفيض، يقول تعالى لنبيه وهو يعني القرآن: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (43) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف: 43، 44]. والأنبياء لم يبعثوا إلاّ في مناسب الشرف، ومنابع القوة، ومنابت العزة ليبنى المجد الطريف من الدين على المجد التليد من أحساب الأمة وأنسابها وشرفها وعزها، وما كان لها من مناقب تلتئم مع أصول الدين."[2]. وهذا الشرف الذي توصف به أمم دون غيرها وتستحقه مجتمعات بعينها عبر التاريخ يلزم هذه المجتمعات بعينها واجبات اجتماعية. وهذا كما يصدق على الجماعات فإنه يصدق أيضا على الأفراد. ولنستمع إلى ابن باديس فقد قال ما نصه: " فقوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف: 44]، ليشعرهم أن عليهم من الواجبات في مقابلة هذا الشرف الذي أعطوه ما ليس على غيرهم، ولا شك أن ثمن المجد غال!! وهذا الشرط الذي ذكره الله، وذكر به العرب هو شرط واجب الاعتبار والتنفيذ، لأن الأمة التي لا تؤدي ثمن المجد لا تحافظ عليه، ثم هي أمة لا يعتمد عليها في النهوض بنفسها ولا بغيرها. وإنما ذكرهم الله بذلك لينهضوا بالأمم على ذلك الأساس، وهو إحياء الشرف الإنساني في نفوسها، وليعاملوها على ذلك الأساس بالعدل والرحمة والتكريم. وما ذكر القرآن العرب بتكريم بني آدم وخلقهم في أحسن تقويم، إلاّ ليعاملوهم على هذه القاعدة التي وضعها الخالق. وإن أعداء البشرية اليوم وقبل

[1] - مجالس التذكير لابن باديس، المرجع نفسه. ج 298.

[2] - أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 400/1.

اليوم، يعمدون إلى قتل الشرف من النفوس، ليستذلوا من هذا النوع ما أعز الله، ويهينوا منه ما كرم الله."[1].
وهذا المقدار الذي ذكره هنا كان هو المسموح به فقط أمام الرقابة الشديدة التي كان يمارسها الاستعمار على الصحافة والتعليم، وخطب العلماء، وتصريحات العاملين في حقل الحركة الوطنية.

[1] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. / 390.

ثالثا – التفسير وقضايا الفقه والتشريع الإسلامي.

1- قضايا الفقه الإسلامي:

جانب الفقه وأحكامه واسع في القرآن الكريم وبالتالي في كتب التفسير، ودون ذلك مبادئ التشريع. وكثير من وجوه الدلالات في الآيات القرآنية كانت سببا في تكوين المذاهب الفقهية المعروفة، وأوسع من ذلك في الاجتهادات الفقهية الفردية. وأنا أختار بعض الآيات وأتعرض إلى ما قيل فيها من التفسير عند المدرستين للنظر في أسس الاتفاق أو الاختلاف في التفسير الوارد.

أ- تفسير آية الوضوء: فمثلا عند تفسير قوله تعالى (وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[المائدة/6]. تجد الثعالبي وهو مالكي المذهب، وله مؤلفات في أمهات المذهب كشرح ابن الحاجب الفقهي يكتب " وقرأ حمزة وغيره: «وَأَرْجُلِكُمْ» بالخفض، وقرأ نافع وغيره بالنَّصْب، والعاملُ: «اغسلوا»، ومن قرأ بالخفْضِ، جعل العامِلَ أقْرَبَ العامِلَيْنِ، وجمهورُ الأُمَّة من الصحابة والتابعِينَ على أنَّ الفَرْضَ في الرجْلَيْن الغَسْلُ، وأنَّ المَسْح لا يجزئ، وفي الصحيح: " وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ من النَّار."؛ إذ رأى صلى الله عليه وسلم أعقابَهُمْ تلُوحُ. قال ابن العربيِّ في «القَبَس»: ومَنْ قرأ «وَأَرْجُلِكُمْ» بالخَفْض، فإنه أراد المَسْح على الخُفَّيْن؛ وهو أحد التأويلاتِ في الآية. انتهى. وهذا هو الذي صحَّحه في «أحْكَامِهِ»."[1]. فأنت تراه كيف اتبع ما اعتمده نافع من القراءة، ورجح ذلك بالسنة المأثورة الصحيحة بل المتواترة والعمل المستمر. وهو المطلوب في تفسير آية مضمونها عملي متكرر يتيسر للصحابة الاطلاع فيه على بيان الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهذا المضمون التفسيري للآية هو نفس ما قرره الشيخ أطفيش ولو بعبارات مختلفة في همیان الزاد بصورة أوفى حيث قال:" { وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ }: بدخولهما في الغسل، فالأرجل معطوفة على الوجوه، فهي مغسولة لا ممسوحة، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور ومالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد، وهو فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ومن بعدهم. وهو أحوط، وهو قراءة نافع وابن عامر والكسائي حفص عن عاصم. هو النص في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال: « ويل للأعقاب من النار »؛ فأخبر أبو هريرة أن الرجل غسل رجليه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقره على الغسل، وما نقم عليه شيئاً إلا أنه لم يغسل عقبه، فأفاد أن غسل القدم واجبة بعقبها."[2]. وقطعا للاحتمال الذي تقدمه قراءة (وأرجلكم) بالكسر. ساق من السنة النبوية أحاديث صحيحة تبيانا للغسل المذكور والذي تفيده قراءة الجمهور.

فقد استدل بحديث " عن عمران مولى عثمان بن عفان أنه دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما، ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ

[1] – تفسير الثعالبي، المرجع نفسه. ج 1 / 397.

[2] – همیان الزاد، المرجع نفسه. ج 4/ 233.

نحو وضوئي هذا، ثم قال: « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » فتراه قال غسل رجليهن وفى رواية أنه قيل لعبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري: توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بإناء فأفرغ منه على يديه ثلاثاً، ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحدة فعل ذلك ثلاثاُ، ثم غسل يديه إلى المرفقين ثلاثاُ اليمنى، ثم اليسرى، ثم مسح رأسه إلى قفاه، ثم ردها إلى حيث بدأ، ثم غسل رجليه إلى الكعبين، فانظر قوله: غسل رجليه و لم يقل ثلاثاُ فلعله يغسلهما تارة ثلاثاُ وتارة مرة، لأنهما مظنة الإسراف في الماء، وهذا أولى من يقال أراد أنه غسلهما ثلاثا فحذف ثلاثاُ." [1].

وفي تيسير التفسير اختصار لما ذكر بعبارة وافية، حيث قال في تفسير" (وَأَرْجُلَكُمْ) عطف على وجوه أَو أَيدي فهي مغسولة كما جاءَت به السنة وعمل الصحابة، وهو قول الجمهور. وكما جاءَ الحدُّ بقوله عز وجل (إِلَى الكَعْبَيْنِ) و لم يجئْ في المسح الحدُّ، وساغ الفصل بين المتعاطفين بجملة غير معترضة، وهى (فاغسلوا) للإيماءِ إِلى تقليل صب الماءِ حتى كأَنها تمسح كالرأس لأَنها مظنة الإِسراف في الماءِ إِلى الآن..."[2]. وفي كلامه رجوع إلى الآثار الواردة في أمر عملي متكرر ومستمر في حياة الرسول وبعدها، وتجاوز لمجرد التوجيه النحوي من أنه منصوب بـــ(فاغسلوا)، أو معطوف على (برؤوسكم)؛ لما في الاقتصار على ذلك من إهمال الستة العملية والتي هي من قبيل البيان القرآني.

ونفس ما انتهى إليه المتقدمون قرره المفسرون المعاصرون من الفريقين، وهو الرجوع إلى السنة واختيار قراءة النصب. فعند أبي بكر الجزائري يقول وهو يفسر الآية "(وأرجلَكم إلى الكعبين): أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين إلا أن يكون عليها خف ساتر، فإنه يجوز المسح عليه دون حاجة إلى نزعه وغسل الرجلين، وذلك إن لبسه بعد وضوء و لم يمض على لبسه أكثر من يوم وليلة إن كان مقيماً، أو ثلاثة أيام إن كان مسافراً بهذا جاءت السنة."[3]. وإنما أطلت النقل عنه لما في آخر كلامه من التنصيص على الرجوع إلى السنة كلما صحت ووردت به الآثار الثابتة إذ هي خير بيان.

وبالعودة إلى كلام الشيخ سعيد كعباش في تفسير نفس الآية لا نرى خلافا " وتحت عنوان أوجه القراءة قال ما نصه: (وأرجلَكم) قرأه نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب بالنصب عطفا على (وأيديكم) ، وتكون جملة (وامسحوا برءوسكم معترضة بين المتعاطفين. وقرأه ابن كثير وأبو عمر وحمزة وأبو بكر عن عاصم وخلف بخفض (أرجلكم). وللعلماء تأويلات في أحكام الغسل والمسح تبعا لهذه القراءات." [4]. هذا ما ذكره الشيخ هنا وأحال على تفصيل التأويلات إلى كتب الفقه باختلاف المذاهب أو إلى الكتب التي تخصصت في أحكام القرآن كالقرطبي والجصاص وغير هؤلاء. وبعد أن تعقب صاحب تفسير المنار

[1] – همیان الزاد، المرجع نفسه. ج 4/ 233.

[2] – تيسير التفسير اطفيش، المرجع نفسه. ج 332/1.

[3] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 332.

[4] – نفحات الرحمان للشيخ كعباش، المرجع نفسه. ج 456/3.

فيما نقل عنه رجع إلى تفسير جملة آية الوضوء بالطريقة التالية: " (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) لقد ذكرنا في تفسير آية النساء لقوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) [النساء: 43] ذكرنا أن تلك الآية نزلت في غزوة المُرَيْسيع سنة ست للهجرة، وأنها هي الأصل في شرعية التيمم على الأرجح. أما غسل أعضاء الوضوء .بهذا التفصيل فكان معروفا من قبل فرضية الصلاة بمكة. يقول الإمام الطاهر بن عاشور: فالأظهر أن هذه الآية أريد منها تأكيد شرع الوضوء بنص القرآن.لأن ذلك لم يسبق نزول قرآن فيه، ولكنه كان مشروعا بالسنة. ولا شك أن الوضوء كان مشروعا من قبل، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل صلاة إلا وضوء." [1]. هذا ما قرره المفسر حول شرعية الوضوء ومتى كانت، واستظهر بقول ابن عاشور من أن الوضوء كان فرضه قبل الهجرة والآية كما هو معلوم مدنية.

وبتقدير المفسر أن مقصد الآية كان أولا إشهار هذه الشرعية بالقرآن، وثانية التنصيص على الكيفية فقد قال: " قلت: إن الآية الكريمة شرعت الوضوء واقتصرت على ذكر الأعضاء الأكثر استعمالا وتعرضا للأوساخ، وهي ما اصطلح عليه الفقهاء أنها فرائض الوضوء. وبما أن الأمر الإلهي بغسل هذه الأعضاء، ويمسح الرأس سبق شرط (إذا قمتم إلى الصلاة) فهو يقتضي على ظاهره أن الوضوء واجب عند كل صلاة، كما ذهب إليه كثير من علماء الصحابة والتابعين ورووا في ذلك أحاديث تدل على أن الرسول كان يلتزم بالوضوء لكل صلاة حتى يوم الفتح وفي غزوة خيبر حي تصلى بوضوء واحد، فقال له عمر: " يا رسول الله إنك فعلت شيئا لم تكن تفعله؟ قال: عمدا فعلته يا عمر."..." [2].

ب – آيات الطلاق:(الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) [البقرة:229].

تناولت هذه الآية حكما شرعيا من أحكام الأسرة المسلمة فيما لو تعذرت الحياة الزوجية، وساد الشقاق، واضطر الزوج فيها إلى طلاق زوجته، فالواجب أن يكون الطلاق محدودا بحد ومنتهيا إلى عدد. ليس للزوج بعده إلا أن يمسك بمعروف فلا يعود إلى الطلاق، أو يسرح بإحسان فلا يبالغ في الضرر.

وبملاحظة المعاني التي تتضمنها الآية، والمقاصد التي نهدف إليها أحاولُ أن أستعرض جملة من المفسرين بداية من القرن التاسع إلى يوم الناس هذا. فعند الإمام البسيلي مثلا وهو من أوائل مفسري القرن المذكور؛ إذ نجده بعد تحديد أن الطلاق المقصود هو الرجعي منه. والذي تفيده أحكام المذهب أيضا فقد قال " (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ.). أي: الطلاق الرجعي، ولم يقل: اثنتان أو طلقتان؛ لأن المراد: أنه يطلقها طلقة مرةً ثم أخرى مرة، والحكم عندنا في إيقاع الثنتين في مرة الكراهة، وخارج المذهب الجواز.". ولا يفوت البسيلي أن يلاحظ من جهات المعاني المراد تحصيلها أن يعقب على عبارة (أو تسريح بإحسانٍ. .) بملاحظة الفرق بين الإحسان والمعروف، وأيهما الأنسب في موضعه فقد قال: " (أو تسريح بإحسان) ولم يقل: فإمساك بإحسان، أو تسريح بمعروف،

[1] – نفحات الرحمان للشيخ كعباش، المرجع نفسه. ج 456/3.

[2] – نفحات الرحمان للشيخ كعباش، المرجع نفسه. ج 456/3.

لما كان الإحسان أخص من المعروف، وأبلغ، والإمساك مظنة الطول، فكُلِّف الإنسان فيه بالأخف وهو المعروف. والطلاق ليس كذلك فكلف فيه بالأبلغ، وهو الإحسان، قال شيخنا: كان ابن عبد السلام يعترض على الموثقين – أو يُحْكَى عن غيره – كَتْبهم هذا في الصداقات. وجوابه: أن ابن يونس ذكر أن كَتْبَه أثرٌ ورد عن ابن عمر."[1]. والعبارة الأخيرة تفيد غلبة التناول الفقهي المذهبي لكثير من أحكام القرآن المراد تفسيرها مع أن الآيات لا تفيد خصوص ما ذكر منسوبا للمذهب.

وفي نفس القرن نجد عند الإمام الثعالبي وهو بصدد تفسير الآية أكثر وضوحا، وأقرب إلى مقاصد الآية، وبيان معانيها لما استند إليه من المأثور عن الصحابة وأقوال التابعين بعد أن يعرج على إعراب الآية باقتصاد وذلك قوله: " قوله تعالى: (الطلاق مَرَّتَانِ) الآية : قال عروة بن الزُّبَيْر وغيره: نزلَتْ هذه الآية بياناً لِعَدَدِ الطلاقِ الذي للمرء فيه أنْ يرتجعَ دون تجديدِ مَهْرٍ ووليٍّ ، وقال ابن عبَّاس وغيره : المراد بالآية التعريفُ بسُنَّة الطلاقِ ، وأنَّ من طلَّق اثنتَيْنِ، فليتَّق اللَّه في الثالثَةِ ، فإما تركَهَا غيْرَ مظلومةٍ شيئاً من حقِّها، وإما أمسكها محسناً عشْرَتَها. * ع *: والآية تتضمَّن هذين المعنيين. * ص *: الطلاقُ : مبتدأٌ؛ على حذفِ مضافٍ، أي: عدد الطلاق، ومرَّتانِ: خبره. انتهى.". وهذا المقدار وإن لم يرق إلى ما آل إليه التفسير في زمن لاحق من بيان غرض الشارع من حصر الطلاق في الثلاث، وتوجيه الزوج إلى الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان من تقليل الضرر قدر الإمكان، إلا أنه بالنسبة إلى شكل التفسير في زمن الثعالبي يعتبرا طفرة في تسهيل التفسير وتقريب معانيه للدارسين، والتخلص من المباحث المقحمة بأدنى مناسبة، بل وبدون مناسبة مما يجر التفسير إلى فنون شرعية ولغوية أخرى ويدخل في إطار التخصص.

ولأجل ذلك تجده يلتفت وإن كان ذلك باختصار إلى معاني الإحسان والمعروف، أسوة بما مر للبسيلي، ولكن بأكثر تفصيل ووضوح فهو يقول: والإمساكُ بالمعروفِ: هو الارتجاعُ بعد الثانية إلى حسن العِشْرةِ، والتسْريحُ: يحتمل لفظه معنَيَيْنِ: أحدهما: تركها تتمُّ العدة من الثانية، وتكون أملكَ بنَفْسها، وهذا قولُ السُّدِّيِّ، والضَّحَّاك. والمعنَى الآخر: أن يطلقها ثالثةً، فيسرِّحها بذلك ، وهذا قولُ مجاهِدٍ، وعطاءٍ، وغيرهما، وإمْسَاك : مرتفع بالابتداءِ والخبر أمثل أو أحسن."[2].

وقد تناول الآية من المفسرين المعاصرين أبو بكر الجزائري، فبدأ بشرح المفردات على عادته، ثم بين معنى المرتين؛ فقال: " شرح الكلمات :"{ الطلاق }: الاسم من طلَّق وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت طالق أو طلقتك . { مرتان } : يطلقها ، ثم يردها ، ثم يطلقها ثم يردها . أي يملك الزوج الإرجاع في طلقتين أما إن طلق الثالثة فلا يملك ذلك ولا ترجع حتى تنكح زوجا غيره ." [3].

---

[1] – التقييد الكبير للبسيلي، المصدر نفسه. 314.

[2] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 1/ 133.

[3] – أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري، المرجع نفسه. ج 257/1.

وهو في هذا أكثر وضوحا وأقرب إلى فهم القارئ العادي ويزيد الآية توضيحا عندما يجمل معنى الآية الكريمة فيقول: " ما زال السياق في بيان أحكام الطلاق فيقرر تعالى في هذه الآية أن الطلاق الذي يملك الزوج الرجعة فيه هو طلقتان أولى، وثانية فقط، ومن هنا فمن طلق الثانية فهو بين خيارين إما أن يمسك زوجته بمعروف، أو يطلقها بإحسان فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره هذا معنى قوله تعالى:{ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف} أي بحسن العشرة وهو أداء ما للزوج من حقوق، أو تسريح أي تطليق بإحسان بأن يعطيَها باقيَ صداقها إن كان، ويمتعها بشيء من المال ولا يذكرها بسوء." [1]. وهذا الذي ذكره وإن كان يحتمل التفصيل إلا أنه يكفي المتعجل. ولا يفوت المفسر أن يبين أن الطلاق على خلاف العدد المذكور في الآية على خلاف الشريعة وليس هو من المعروف ولا الإحسان المذكورين في الآية وغيرها، وذلك قوله: من هداية الآية: حرمة الطلاق الثلاث بلفظ واحد؛ لأن الله تعالى قال الطلاق مرتان."[2].

وهذا الذي ذكرتُه يكاد يكون متفقا عليه حتى عند مفسري الإباضية؛ فعند الشيخ أطفيش وهو من المعاصرين وإن كان يسلك في تفسيره طريقةَ المتأخرين يجد الناظر نفسَ المضامين من جهة منع تجاوز العدد المذكور، وكذا مفهوم المعروف والإحسان: " والثلاث بمرة واثنتان بمرة بدعة عندنا وعند أبي حنيفة خلافا للشافعي...فدخل في المعروف حسن العشرة وأداء حقوق الزوجية وبالإحسان كون الطلاق في الطهر قبل المس وكونه واحدا أو اثنتين أو ثلاثا بتفريق وجبر قلبها بمال نفلا وإيصال الصداق وعدم تنفير الناس عنها."[3]. وقد اكتفينا بما ذكره هنا عما فسر به الآية في بقية تفاسيره خصوصا هميان الزاد لكون بقية كلامه تفصيل طويل لما اختصره هنا من التعرض للمذاهب الفقهية والردود على المخالفين.

وعند الشيخ سعيد كعباش لا يكاد يختلف التفسير كثيرا عما أسلفته، فبعبارة حديثة يقرر أن حكم الطلاق جاء " على صيغة الخبر لتقريره وتوكيده. استقبله المسلمون بإذعان من يومئذ فبعد أن أعطى الله للزوج حق الرجعة بصفة عامة حددت هذه الآية عدد الطلاق الذي يجوز فيه للرجل ارتجاع زوجته، وهو مرتان أي طلقتان اثنتان أي طلقتان اثنتان فقط وليس بعدهما إلا أمران:

أ – إمساك الزوجة بالمعروف واستيفاء حقوقها كاملة دون إضرار بها أو انتقام.

ب – تسريح لها بإحسان بأن لا يراجعها حتى تنقضي عدتها من الطلقة الثانية فإذا راجعها بعد التطليقتين فعليه أن يمسكها بمعروف أو يطلقها الثالثة بإحسان فلا يراجعها بعدُ ولا يتزوجها حتى تنكح زوجا غيره..." [4].

والعبارة الأخيرة فلا يراجعها بعدُ ولا يتزوجها حتى تنكح زوجا غيرَه، منفصلة عن معنى الإحسان بل الإحسان واجب ولو لم يرد مراجعتها بعد زوج أو زوجين بل الإحسان متعلق بالطلقة الثالثة من توفية الحقوق وجبر الخاطر...

---

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 258.

[2] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 258.

[3] – تيسير التفسير، المرجع نفسه. ج 63/2.

[4] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 64/2-65.

ولما كان الشيخ ممن يهتمُّ بالمنظور الاجتماعي لأحكام الآية وأغراضها الإصلاحية، فقد أتبعَ الأحكام بحكمها، ومقاصدها الاجتماعية خصوصا من جهة عدد الطلاق المسموح به، وكذا من جهة آثار المعروف والإحسان المأمور بهما في الآية فقال ما نصه: " والحكمة من إعطاء الفرصة مرتين هو الحدُّ من العبث الذي درج عليه الجاهليون كما تقدم. ثم إن الاقتصار على فرصة واحدة في حق المراجعة لا تفي بالغرض المطلوب في وضع الزوجين على محك التجربة عندما يفترقان لفترة العدة. وسواء كانت الدوافع للطلاق من طرف الزوج أو الزوجة، فقد يحدث الله بعدها أمرا تعود به العلاقة الزوجية إلى ما كنت عليه فيستمر البيت على هنائه واستقراره. أما إذا استمر التوتر العائلي و لم تجد تلك التجربة في المرتين الأوليين فلا مناص لكليهما من تجربة أخرى، وهي الطلقة الثالثة التي يذهب فيها كل منهما على حاله لحياة زوجية جديدة."[1].

وأضرب مثالين دالَّيْن على مراعاة المفسر للأهداف الاجتماعية التي تقصدها الآية من خلال تشريع الحكم، ففي شأن قوامة الرجل على المرأة يقول الله تعالى (الرجالُ قوَّامُون على النساء بما فضَّلَ الله بعضَهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) يقول الثعالبي وهو من مفسري القرن التاسع: " وقوله: (الرجال قَوَّامُونَ) بناء مبالَغَةٍ، وهو من القِيَامِ على الشيْءِ والاِستبدادِ بالنَّظَر فيه، وحِفْظِهِ، فقيامُ الرِّجَال على النساء هو علَى هذا الحدِّ، وتعليلُ ذلك بالفضيلة والنَّفَقةِ يقتضي أنَّ للرجالِ علَيْهِنَّ استيلاءً، قال ابنُ عَبَّاس: الرِّجَالُ أمراء على النِّسَاءِ."[2]. فهذا الذي ذكره قريب من الإلمام بمقاصد الآية لما فيه من التنصيص على التخصيص بالمزية والنفقة، وما يترتب على ذلك من الواجبات على عاتق الرجل دون أن يعفي ذلك المرأة من مسؤولياتها. وفيه اقتصاد في التنبيه على الأحكام النحوية. ولما كان من طريقة الثعالبي أن ينسب المعاني المختارة إلى العلماء بالتفسير نقل كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. و لم يفته أن يتقل تتميما للفائدة كلام ابن العربي وهو من أهل العلم بالتفسير خصوصا في الأحكام الشرعية منه فقال ما يكمل ما قبله: " قال ابنُ العَرَبِّيِّ في «أحكامه» : وللرِّجَالِ عليهنَّ درجةٌ؛ لفَضْلِ القَوَّامِيَّة، فعلَيْه أنْ يَبْذُلَ المَهْرَ والنَّفَقَةَ، وَحُسْنَ العِشْرة، وَيَحْجُبَهَا ويأمُرَهَا بطَاعَةِ اللَّه تعالَى، ويُنْهِيَ إِلَيْهَا شَعَائِرَ الإِسلامِ؛ مِنْ صلاةٍ، وصيامٍ؛ وما وَجَب عَلَى المُسْلمين، وعلَيْها الحِفْظُ لمالِهِ، والإِحسانُ إِلَى أهْلِهِ، والاِلتزامُ لأَمْرِهِ في الحجْبة وغيرها إِلاَّ بإِذنه، وقَبُولُ قولِهِ في الطَّاعات. انتهى."[3].

وهذا الذي ذكره الثعالبي فيه محاولة للخروج عما كان يدرج عليه المفسرون من التصدير بمباحث اللغة وتقليب وجوه الإعراب والإكثار من تعداد الوجوه البلاغية المتكلفة وما يجر إليه ذلك من الردود على الأقاويل المختلفة إضافة إلى الاستعراض المذهبي للأحكام والتوسع بأدنى مناسبة كما عرفت ذلك من صنيع البسيلي وهو صورة مختصرة لصنيع ابن عرفة.

---

[1] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 2/64-65.

[2] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 1/ 306.

[3] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج1/ 306.

بينما وجدت الشيخَ أبا بكر الجزائري وهو من المعاصرين يسعى إلى التوسع فيما أوجز الكلام فيه غيره من الثعالبي، ومن جاء بعده. فيقول حول وجه القوامة بما يتصل والمسؤوليات الاجتماعية الملقاة على عاتق الرجل: " وهو أن الرجل ما دام قواماً على المرأة يرعاها ويربيها ويصلحها بما أوتي من عقل أكمل من عقلها، وعلم أغزر من علمها غالباً وبُعد نظر في مبادئ الأمور ونهاياتها أبعد من نظرها يضاف إلى ذلك أنه دفع مهراً لم تدفعه، والتزم بنفقات لم تلتزم هي بشيء منها فلما وجبت له الرئاسة عليها وهي رئاسة شرعية كان له الحق أن يضربها بما لا يشين جارحة أو يكسر عضواً فيكون ضربه لها كضرب المؤدب لمن يؤدبه ويربيه وبعد تقرير هذا السلطان للزوج على زوجته أمر الله تعالى بإكرام المرأة والإحسان إليها والرفق بها لضعفها."[1]. وهذا التفصيل هو تقرير لمبدأ عام المنطلق فيه ما يعيشه الناس في كثير من المجتمعات بما في ذلك غير الإسلامية خصوصا زمن نزول الآية، ولأن هذا الاشتراط في استحقاق القوامة قد يتخلف في بعض الرجال أو حتى المجتمعات جاء في نفس الآية عناصر هذا الاستحقاق بما يفيد أن بدونها تنعدم القوامة وهو ما يثار حول الآية من حصر القوامة في الرجل وسحبها من المرأة غير أن المفسر المذكور لم يعرج على نص الشبهة مكتفيا بما قرر من الكلام العام المشروط.

واستكمالا لما في الآية من إجراءات إصلاح الخلل الطارئ على سير الحياة الزوجية يتحدث المفسر في لغة اجتماعية قريبة من القارئ العادي، وتحليل الواقع في شأن وعظ الزوجة وهجر فراشها وتأديبها مما تطرقت إليه الآية فيقول " والوعظ تذكيرها بما للزوج عليها من حق يجب أداؤه، وما يترتب على إضاعته من سخط الله تعالى وعذابه، وبما قد ينجم من إهمالها في ضربها أو طلاقها فالوعظ ترغيب بأجر الصالحات القانتات، وترهيب من عقوبة المفسدات العاصيات فإن نفع الوعظ فبها وإلا فالثانية وهي أن يهجرها الزوج في الفراش فلا يكلمها وهو نائم معها على فراش واحد وقد أعطاها ظهره فلا يكلمها ولا يجامعها، وليصبر على ذلك حتى تؤوب إلى طاعته وطاعة الله ربهما معاً وإن أصرت ولم يجد معها الهجران في الفراش ، فالثالثة وهي أن يضربها ضرباً غير مبرح لا يشين جارحة ولا يكسر عضواً."[2].

وفي مثال ثان تتناول فيه الآية التمثيل ما للمنفق في سبيل الله من مضاعفة الأجر، ووعد من لا يتبع نفقته من المتصدقين شيئا من المنّ والأذى يلحقه بالمتصدق عليه الأجر الوافر والثابت، ففي كل ذلك وغيره جاءت الآية (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) يقول الشيخ أبو بكر حول معنى الآيات: " يخبر تعالى مرغبا في الجهاد بالمال لتقدمه على الجهاد بالنفس لأن العدة أولا والرجال ثانياً، أن مثل ما ينفقه المؤمن في سبيل الله وهو هنا الجهاد، في نمائه وبركته

[1] – أيسر التفاسير للجزائري 1/ 258.

[2] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 259.

وتضاعفه، كمثل حبة برّ بذرت في أرض طيبة فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبه فأثمرت الحبة الواحدة سبعمائة حبة، وهكذا الدرهم الواحد ينفقه المؤمن في سبيل الله يضاعف إلى سبعمائة ضعف، وقد يضاعف إلى أكثر لقوله تعالى: (والله يضاف لمن يشاء والله واسع عليم).". وهذا الذي ذكره هو توضيح للآية بكلام قريب من لغة المسلم العادي والتمثيل بالدرهم زيادة في البيان. وأما قصر سبيل الله على الجهاد فليس في الآية ما يدل على هذا التخصيص إلا أن يكون ذلك مأخوذا من الحديث أو سبب النزول أو تفسير الصحابي أو التابعي و لم يذكر الشيخ هنا شيئا من ذلك وعادته ألا يفعل شيئا من ذلك إلا قليلا بل يقتصر على تقرير المعنى المنافق عليه عند عامة من طالع تفاسيرهم مما ذكره في المقدمة.

وعند تفسير قوله تعالى: (قولٌ معروفٌ) تجده يتراجعُ عن ذلك القصر على مفهوم الجهاد، ليشمل ما دون ذلك من وجوه البر كما مثَّل هو بالفقير عريًّا عن أن يكون من فقراء الجهاد أو غيرهم. وهو ما تراه مناسبا لسياق الآية فقد قال: " فإنّ الله تعالى يخبر أن الكلمة الطيبة تقال للفقير ينشرح لها صدرُه وتطيب بها نفسه خير من مال يُعطاه صدقة عليه يُهان به ويُذلُّ فيشعر بمرارة الفقر أكثر، وألم الحاجة أشد، ومغفرة وستر لحالته وعدم فضيحته أو عفو عن سوء خلقه كإلحاحه في المسألة، خير أيضاً من صدقة يفضح به ويعاتب ويشنع عليه بها."[1].

بينما تجد الأميرَ عبد القادر وهو من المتأخرين؛ بل يكاد يكون من المعاصرين بعد أن يقرر الظاهر المستفاد من الآية يجنح إلى ما يستفيده هو على لسان القوم كما هو التعبير من المعاني بطريق الإشارة كتضمين المال مدلول السر الإلهي، والمعرفة الربانية بجامع القيمة الشرعية وعلى هذا التفسير فالسفيه من لا يحسن صيانة هذه الأسرار فهو يقول: " (ولا تؤتوا السفهاءَ...) [النساء:05]: هذه الآيات تأديب وتعريف وإرشاد للمرشدين، اعلم: أن السفيه عند العامة من يبذر الأموال ويضيعها، ولا يحسن التصرف بها، فلا يضع الأموال مواضعها المستحى لها. وعند الخاصة السفيه من يبذر الأسرار الإلهية والمعارف الربانية فيذيعها في غير مواضعها، ولا يستودعها أهلها فيضيعها؛ فإن من العلوم الإلهية ما لا يجوز إفشاؤه مطلقا، بل هو سر بين الله وبين عبده إلى الموت. والمالُ مالانِ: مالٌ تميلُ إليه النفوسُ ويميلُ لها، وهو المالُ المحسوس، مالُ العامة وبه قوام النفوس فلا بقاء لها بدونه. ومال تميل إليه الأرواح ويميل إليها، وهو المال المعنوي، مال الخاصة."[2].

وتنويع المال إلى ما ذكره المفسر الأمير روعي فيه المحافظة على المعنى الظاهر، وإضافة معان زائدةٍ غيرِ مخالفة للظاهر ويحتملها التأويل بدليل لا معنى لرده والاعتراض عليه. وهذا اللون من التفسير إضافة إلى أنه كان ولا يزال محل اعتراض كبير من كثير من الدارسين فهو يتجاهل مستويات القارئ العادي واحتياجاته الأساسية من مقاصد الآية ومعانيها الاقتصادية والحقوقية.

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج1 / 134.

[2] – المواقف للأمير عبد القادر، المرجع نفسه. ج 391/1.

2- قضايا التشريع الإسلامي:

أ- اليسر في التكليف الشرعي: يحوي القرآن أحكاما شرعية في مختلف مجالات الحياة غالبها على سبيل الإجمال والأحكام الكلية، يحتوي أيضا على مبادئ تشريع هذه الأحكام مثل أحكام الضرورة، ومبدأ اليسر في التشريع، ورفع العسر عن المكلفين. ففي قوله تعالى (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليسر وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر) يقول الإمام الثعالبي: " قال مجاهد، والضَّحَّاك: اليُسْر: الفِطْر في السفر، والعسر: الصوم في السفر.ع: والوجْهُ عمومُ اللفظِ في جميع أمورِ الدين، وقد فسر ذلك قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الصحيح:" دِينُ اللَّهِ يُسْرٌ.".

وتمثيل مجاهد والضحاك صحيح وإنما ذلك في مقام الصوم، وأما في غير ذلك فيصح التمثيل بكل حكم شرعي بني على أساس التخفيف ورفع الحرج. وهو ما تفيده عبارة ابن عطية. وهذا الذي ذكره مجمع على معناه، ووقوعه في الشريعة في مجال العبادات والمعاملات معا.

وقد تساءل الثعالبي على لسان ابن الفاكهاني عن كون العسر في الآية مرفوعا، وهو واقع بالمشاهدة، فقد قال:" قلتُ : قال ابْنُ الفاكهانيِّ في «شرح الأربعينَ» للنَّوويِّ: فإن قلْتَ: قوله تعالى: (إِنَّ مَعَ العسر يُسْراً) [الشرح: 6] الآيةَ ، يدلُّ على وقوع العُسْر قطعاً، وقوله تعالى: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليسر وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر) يدلُّ على نفي العسرِ قطعاً؛ لأن ما لا يريده تعالى، لا يكون بإجماع أهل السنة. قلْتُ: العسرُ المنفيُّ غير المثبت، فالمنفيُّ: إنما هو العسر في الأحكام، لا غير، فلا تعارض. انتهى."[1].

والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختار في الفتوى والعمل ما هو اليسر كما في حديث عائشة المشهور ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا واختار أيسرهما ما لم يكن إثما. وأحاديث سؤال الحجاج عن الترتيب بين الحلق والرمي...كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: افعل ولا حرج. وزاد الثعالبي فذكر " وترجم البخاريُّ في «صحيحه» قولَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: " يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا "، وَكَانَ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ وَاليُسْرَ عَلَى النَّاسِ. ثم أسند هو ومسلمٌ عن أنس، قال: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا " وأسند البخاريُّ ومسلم عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال لأبي موسى، ومعاذٍ : " يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا "[2]. ومعنى كلامه أن العسر واقع في دنيا الناس غير أن الأحكام تسعي إلى تفاديه وإعفاء المكلف من تبعاته كمشقة الصوم في السفر، وطلب الماء للوضوء مع الخوف على النفس أو المال، أو غير ذلك من الأحكام الشرعية في القرآن والسنة. وإلا فإن العسر الذي هو المرض والسفر والخوف أمر واقع وقد يقع العسر فيه بدرجات كبيرة.

أنتقل على مسافة من الزمن لأرى كيف تناول الشيخ اطفيش قوله تعالى (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليسر وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر)، وكيف صاغ بعبارته التفسيرية هذه القاعدة التشريعية وذلك عند قوله تعالى، فقد قال: (يُرِيدُ اللهُ بِكمُ اليُسْرَ): السهولة في جميع تكاليفكم. (ولا يُرِيدُ بكُم العُسْر)، الحرج، ولذلك أباح الإفطار للمريض

---

[1] - تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 101/1.

[2] ــ تفسير الثعالبي، المصدر نفسه.101/1.

والمسافر، وحمل الآية على العموم أولى من أن يقول يريد الله بكم اليسر في الإفطار للمرض أو للسفر، ولا يريد بكم العسر بإلزام المريض والمسافر الصوم، كما قال مجاهد والضحاك: اليسر: الفطر في المرض والسفر، والعسر: الصوم فيهما، أخذ بعضهم من الآية أن الإفطار في السفر أولى، قال أبو حمزة: إن كتاب الله قد جاء بذلك، ورب الكعبة قال: الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، وعن ابن عباس: إنما أراد الله بالإفطار في السفر اليسر عليكم، فمن يسر عليه الصوم فليصم، ومن يسر عليه الإفطار فليفطر، وفى خبر آخر: ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان ذلك أحب إلى الله تعالى. وعن عائشة رضي الله عنهما أنها قالت: ما عرض لرسول الله، صلى الله عليه وسلم: أمران إلا أخذ بأيسرهما ما لم يكن إثما ، وكان أبعد الناس من الإثم ، وما غضب رسول الله لنفسه قط، وروى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم: « يسروا ولا تعسروا » وكان يحب التخفيف واليسر على الناس، وروى البخاري ومسلم بسندهما عن أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ». وروى البخاري ومسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ: « حدثنا أبو اليماني، قال حدثنا حماد بن زيد عن الأزرق ابن قيس، قال: كنا على شاطئ نهر بالأهواز قد نضب عنه الماء، فجاء أبو بزرة الأسلمي على أفرس فصلى وخلى فرسه ، فانطلق الفرس فترك صلاته وتبعها حتى أدركها فأخذها، ثم جاء فقضى صلاته، وفينا رجل له رأى وأقبل يقول انظروا إلى هذا الشيخ ترك صلاته من أجل فرس، فأقبل فقال ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن منزلي متراخ فلو صليت وتركتها لم آت أهلي إلى الليل. وذكر أنه قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم فرأى من تيسيره، ولا يخفى أن العسر المنفى في الآية العسر في التكليف بالأحكام، والمثبت في قوله {فإن مع العسر يُسْراً إن مع العسر يسراً} التضعيف بالقضاء بالمصيبة فلا منافاة. وقرئ: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) بضم السين تبعاً للياء والعين، أو هو الأصل والإسكان تخفيف عنه أكثر استعمالا منه."[1].

وحول نفس الآية علق الشيخ اطفيش بصفة موجزة، فتراه عمّمَ اليسرَ في الدين لا في خصوص الصوم" (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ) في دينه أي يشرعه، وهو مراد أبى حيان، إذ فسر الإرادة بالطلب، قال ذلك خروجا عن تبديل الإرادة فإن إرادة الله لا تتبدل، وذلك منه خروج عن مذهب الاعتزال، إذ زعمت المعتزلة أن إرادته تعالى قد يخالفها العبد وتبطل (وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) ومن ذلك أنه أباح لإفطار في المرض والسفر دائما، وخير بين الصوم والإطعام، أولا تسهيلا وتأنيسا ثم نسخ لما تدربتم فتوافر الأجر."[2]. وكاد أن يستجيب إلى داعي الرد على المعتزلة وحشر ما قيل في موضوع الإرادة من المباحث الكلامية بسبب تعلق المعتزلة بالآية. مع أن الموضوع تشريعي بحت. ينبغي إشباعه بالتمثيل، والتوسع فيما تنطبق عليه قاعدة اليسر من المسائل المستجدة وما أكثرها في زمان المؤلف فضلا عما جاء بعده من المستجدات. رحم الله الجميع رحمة واسعة.

[1] – همیان الزاد للقطب اطفيش، المرجع نفسه. ج 2 / 204.

[2] – تيسير التفسير اطفيش، المرجع نفسه. ج 1 / 214.

وفي تفسير نفس الآية يورد الشيخ أبو بكر الجزائري الأحكام المذكورة تمثيلا لليسر فقد قال: وأخبر تعالى أنه يريد بالإذن في الإفطار للمريض والمسافر اليسر بالأمة ولا يريد بها العسر فله الحمد وله المنة فقال تعالى (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[1] . ثم عمم الكلام على غير ذلك من الأحكام في غير ذلك من الأبواب بل جعل ذلك عاما في الأوامر والنواهي الإلهية وذلك قوله: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) هذه مِنَّة ذكَر بها تعالى المؤمنين حتى يشكروا الله بفعل ما أمرهم به أي لم يضيق عليكم فيما أمركم به بل وسع فجعل التوبة لكل ذنب، وجعل الكفارة لبعض الذنوب، ورخص للمسافر والمريض في قصر الصلاة والصيام، ولمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله في التيمُم."[2]. وما ذكره الشيخ وتمم الكلام به من المعاني التشريعية، والأمثلة الشرعية مما يقتضيه مفهوم اليسر من الرحمة والرفق بالعباد فيما طلب منه مما يصلح لحالهم من التدرج، والأخذ بالرفق.

وفي موضع آخر من مواضع إرادة الله اليسر بعباده في الصوم وغيره، بما هو من رفع الحرج عنهم يقول الشيخ سعيد كعباش: " والأصل في الطهارة أن تكون بالماء الطهور الطبيعي الذي لم يتغير طعمه ولا رائحته كماء البحر والعيون والآبار ومياه الأمطار، ما لم يكن هنالك عذر من فقدان الماء أو من مرض أو سفر. وقد اقتضى هذا التفصيل لفرائض الوضوء أن تعاد رخصة التيمم هنا بنفس التعبير الذي تقدم في سورة النساء لتكتمل بذلك صورة الطهارة الشرعية للمحدث في كل أحواله عزيمة أو رخصة. وقد تقدم تفصيل ذلك في تفسير آية النساء. وما أنسب هذا التعقيب لمثل هذه الأحكام التي تتطلب من المؤمن العزيمة الصادقة والصبر الدءوب للمواظبة على هذه الطهارة، فقال جل من قائل (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون). ونفي الحرج – وهو الضيق الشديد – يتمثل في هذه الرخصة التي جعلها الله بديلا عن الوضوء عندما يكون ضرر في استعمال الماء أو عند عدم وجوده أصلا؛ فلا يكون ذلك مبررا لترك الصلاة أو تأخيرها عن أوقاتها المكتوبة؛ لأن الصلاة هي الزاد الروحي للمؤمن لا ينفك عنه في وقت من الأوقات وعل أية حال من الأحوال كما لا ينفك عن طعامه وشرابه لتلبية ضرورات جسده. وبذلك يتم للمؤمن من ذلك التطهر الحسي والمعنوي لأعظم عبادة تصله بربه دون انقطاع في أية حال وفي أي زمان أو مكان..."[3]. هكذا قدم هذا المفسر الجزائري هذه القاعدة الشرعية في رفع الحرج عن المؤمنين وهم يقومون بما وجب عليهم من المطالب الشرعية، وهكذا يسر فهمها للقارئ الحديث ولشرائح واسعة دون أن يخل بما يتطلبه الموضوع من الدقة العلمية ومن نسبة الأقوال إلى أهلها، وبيان المعاني الشرعية والمقاصد الدينية من سائر التشريعات القرآنية...

---

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع السابق.1/ 82.

[2] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 21/3.

[3] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 456/3.

ب– مسألة النسخ في القرآن الكريم:

النسخ حقيقة قرآنية بينتها السنة النبوية في مجال المعاملات بالخصوص. ومع ذلك فقد أنكره بعضُ أصحاب الفرق، وتوسع في مسائله بعض الأصوليين بينما ضيق آخرون. وقد تعرض كل من مفسري الفريقين إلى الآية التي وردت في سورة البقرة وأنا أتعرض لكلام المفسرين الجزائريين سواء من أهل السنة أو الإباضية من المتقدمين والمعاصرين على حد سواء.

فعند الثعالبي مثلا نجده يقرر بناء على الآية " والنسخ جائز على الله تعالى عقلا؛ لأنه لا يلزم عنه محال، ولا تغيير صفة من صفاته تعالى، وليست الأوامر متعلقة بالإرادة، فيلزم من النسخ أن الإرادة تغيرت ولا نسخ لطرو علم بل الله تعالى يعلم إلى أي وقت ينتهي أمرُه بالحكم الأول، ويعلم نسخه له بالثاني. والبداء لا يجوز على الله، وجعلت اليهود النسخ والبداء واحدا فلم يجوزه فضلوا..." [1]. وهذا الذي ذكره هو مقرر عند الأشاعرة من الفقهاء والأصوليين والمتكلمين وتلك عبارتهم وإنما ذكر فيها الثعالبي جواب ما يذكره المنكرون من أنه يلزم من النسخ تغير الإرادة الإلهية وهو نقص تنزه عنه، كما يلوم منه أكثر من ذلك وهو البداء أن أنه يبدو له سبحانه في الحكم الثاني ما خفي عنه أولا وهو أمر مستحيل على الله تعالى وتلك صفة لا تليق به.

ولما كان الثعالبي ممن يرى النسخ فهو يعدد أنواعه بين أن يكون في التلاوة أو الحكم أو فيهما معا أو يكون من الأثقل إلى الأخف أو بالعكس أو يكون بين القرآن والسنة، فيذكر أحكام ذلك كله ويقتصر على مسألة واحدة للتمثيل يراها كافية تاركا بقية المسائل تراجع في محلها من كتب الأصول والفقه. فقد قال ما نصه:" وصور النسخ تختلف فقد ينسخ الأثقل إلى الأخف، وبالعكس، وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة، وقد ينسخ الشيء لا إلى بدل. وقد تنسخ التلاوة دون الحكم، وبالعكس. والتلاوة والحكم حكمان فجائز نسخ أحدهما دون الآخر، ونسخ القرآن بالقرآن، وينسخ خبر الواحد بالواحد. وهذا كله متفق عليه. وحذاق الأئمة على أن القرآن ينسخ بالسنة وذلك موجود في قوله عليه السلام (لا وصية لوارث)، وهو ظاهر مسائل مالك." [2].

هذا الذي ذكره هو نوع من التناول المدرسي المبني على مقررات أصولية وفقهية محلها الفقه لا خصوص تفسير القرآن وهو في ذلك تابع لغيره من المفسرين ينقل خلافهم ويقرر اتفاقهم لا يتعدى ذلك. وحسب القارئ العادي في تفسير الجواهر الحسان أن يفهم أن النسخ جائز وأنه لمصلحة اقتضتها الحكمة الإلهية.

وعند الشيخ أبي راس الناصري تجده يعرج كعادته على القراءات ويحقق الألفاظ من جهة اللغة والمعنى الشرعي ويذكر سبب النزول فقد قال: " ﴿ما ننسخ من آية﴾ نزيل[3] حكمَها أو لفظَها أو أحدَهما. قرأ ابنُ عامر بضم النون وكسر السين من أنسَخَ أي: نأمرك أو جبريل بنسخها، نزلت لما قال المشركون أو اليهود: ما ترون في محمد يأمر أصحابَه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه. والنسخ: لغة إزالة الصورة عن الشيء وإثباتها في

---

[1] – الجواهر الحسان، المصدر نفسه. ج 120/1.

[2] – الجواهر الحسان، المصدر نفسه. ج 120/1.

[3] – في الأصل نزيد....

غيره كنسخ الظل للشمس، ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو هما جميعا.".
وتوسع أبو راس في المسائل الواقعة أمثلة للنسخ فقال: "مثال نسخ قراءتها وإبقاء حكمهما 'الشيخُ والشيخة إذا زَنـــَيَا فارجُمُوهما '[1]، والحكم فقط نحو ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾، والحكم والتلاوة نحو:﴿عَشْرُ رَضَعَاتٍ[2] يحرمْن﴾.". ولكنه اقتصر على سرد الآيات دون أن يبين ما هو الناسخ لها وهو أمر قد يشكل على القارئ العادي أن يدركه ويتم به فهمه للنسخ وأمثلته

ولأجل ما يتعلق بآية النسخ من معنى البديل وطبيعة هذا البديل من اليسر والمصلحة، فهو يفسر النسيان ما هو ويستعرض القراءة المختلفة للفظ الشريف:" ﴿أو نُنْسها﴾ بلا همز من النسيان أي: نُنْسِكَها، أي: نمحوها من قلبك، وهي قراءة نافع وابن عامر والكوفيين بدليل ﴿ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾ أو بمعنى التـــَّرْك أي نتركها غير منزلة أي غير منسوخة. وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمْرو أو نـــَنـــْسَأْها بالهمز المُسَكـــَّنِ وفتح النون والسين بمعنى التأخير أي نؤخرها فلا نترل حكمها ونرفع تلاوتها، أو نؤخرها في اللوح المحفوظ، وما شرطية وجواب الشرط ﴿نأت بخير﴾ أنفع للعباد ﴿منها﴾ في السهولة أو أكثرية الثواب." [3]. فأنت ترى كيف تعرض على ما هي طريقته إلى ضبط الألفاظ والتوجيه النحوي الموجز، والدلالة على معنى الخيرية من اليسر في التكليف ومضاعفة الثواب.

وفي التعقيب بالقدرة على آية النسخ معنى لا يفوت الشيخ الناصري أن ينص عليه:" ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه. والاستفهام للتقرير." [4]. وأما من جهة حكم النسخ ومن قال به أو أنكره فهنا نجد نفس ما هو مقرر وأشرنا إليه عند الثعالبي من أن " النسخ جائز عقلا ووقع شرعا وقد خالف اليهود فأحالوه على الله مع أن شريعتهم كما نسخت ما قبلها نسخت بما بعدها. وقد استدل به المعتزلة على حدوث القرآن فإن التغيير والتفاوت من لوازمه، وأجيب بأنهما من عوارض الأمور المتعلق بها المعنى القائم بالذات."[5].

وعلى هذا المنوال سار الشيخ الخضر حسين عند تعرضه للآية بالتفسير فقد قال " النسخ في اللغة الإبطال والإزالة، يقال نسخت الشمس الظل أي أزالته. وفي عرف الشرع: بيان انتهاء الحكم بخطاب لولا هذا الخطاب لاستمر الحكم على مشروعيته بمقتضى النص الذي تقرر به أولا."[6]. وأنت ترى أن كلا من المعنيين اللغوي والشرعي في كلامه هو نفس ما هو مقرر عند غيره من أهل الأصول والمفسرين من أهل السنة غير أن

---

[1] – في المشهور بزيادة البتـــَّةَ .

[2] – في الأصل رضيعات.

[3] – الإبريز والإكسير، المصدر نفسه. ج لوحة 62.

[4] – الإبريز والإكسير لوحة 62.

[5] – الإبريز والإكسير، المصدر نفسه. لوحة 62.

[6] – أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 193/1.

تعبيره عن ذلك جاء واضحا لقصد حصول فهم معنى الآية عند عموم القراء إذ كان تفسيره موجها لأكبر شريحة منهم عبر المجلات والدروس المسجدية.

ونجد ذلك أيضا عند كلامه عن معنى الخيرية الواردة في الآية " والخيرية في قوله: (خير منها)، والمماثلة في قوله: (أو مثلها) ترجع إلى ثواب العمل بها فقد يكون ثواب العمل بالناسخة أوفر من ثواب العمل بالمنسوخة قبل نسخها، ويكون مماثلا لها. وإن كان كل واحدة من الآيتين: الناسخة والمنسوخة بالنظر إلى الوقت المقدر للعمل بها أقوم على المصلحة الأخرى." [1]. فيه نص على معنى الثواب الكثير المضاعف في الناسخ أو المصلحة الكبيرة المقدرة جلبه لها.

ولما كان النسخ قد تعرض من ينكره في القرآن وكان الكلام في الرد على المنكرين من داخل الملة أو خارجها كثيرا فقد اكتفى المؤلف على ذكر من أنكر النسخ في القرآن ونسب إليه أن ذلك معناه نسخ شرائع الأنبياء السابقين بذكر اسمه ونسبة القول له[2]، كما اكتفى عن مجموع الردود عليه بنقل الجصاص الحنفي: فارتكب هذا الرجل في الآي المنسوخة والناسخة وفي أحكامها أمورا خرج بها عن أقاويل الأمة، مع تعسف المعاني واستكراهها."[3].

وأنقل نصين لمفسر جزائر معاصر تناول قضية النسخ في تفسيره؛ الأول في بيان ألفاظ من جهة اللغة، وما يقتضيه تقليب النظر في تصريفها مع اقتصاد يحتمله المقام، فقد قال محمد بن عبد الكريم الجزائري: " ما ننسخ من آية" النسخ في اللغة هو إبطال شيء وإزالته وإقامة آخر مقامه. ومن ذلك قولهم : نسخت الشمس الظل إذا أزلته وحلت محله. والمراد بالنسخ هنا: إزالة حكم آية أو التعبد بها، وإقامة حكم أخرى حكم آية أخرى أو التعبد بها مقامها. (أو ننسها): النسيان في اللغة هو حالة ضعف الذاكرة عن وعي ما مر بها. وهو ترك حفظ الشيء عن ذهول وغفلة أو عن عمد. ويقال: أنساه الشيء إذا حمله على تركه ونسيانه بوسائل تزيله من الذاكرة. والمراد الإنساء هنا محو مبنى الآية أو معناها من الحوافظ والقلوب. (بخير منها): بأنفع ما يناسب حالة المكلفين قوة وضعفا وقدرة واستعدادا في كل زمان وفي كل مكان..." [4].

والنص الثاني حول قضية النسخ وموقعها من الحقائق الشرعية، وبحث جوازه أو منعه على ما هو متداول في كتب الأصوليين وعلماء الكلام فقد تعرض محمد بن عبد الكريم إلى النسخ من جهة مشروعيته، وأنواعه. وأنا هنا أقتصر على بحث جوازه أو منعه على ما قرره المفسر عند قوله في التوجيه الثاني: " أن النسخ جائز عقلا وثابت نقلا، فأما جوازه عقلا فكون الأمور التكليفية هي بمشيئة الله كانت وتكون، ومن أجل مصلحة خلقه كانت وتكون أيضا؛ فيجوز في حق الله تعالى أن يشاء أمرا ويكلف به خلقه في وقت يقتضيه مصلحته أو إسقاطه عنهم في وقت آخر يقتضي مصلحتهم. والله يفعل في مكله ما يشاء وما يريد. وأما ثبوته نقلا فقد

[1] – أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 193/1.

[2] – أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 193/1.

[3] – أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 193/1.

[4] – توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 161/2.

أجمع السلف والخلف على وقوعه نصا وعملا في جميع الشرائع السماوية. وقد بنوا إجماعهم على ما جاء في هذا الموضوع واضحا منصوصا عليه في كتب الله المقدسة. قال القرطبي " أنكرت طوائف من المنتمين إلى الإسلام من المتأخرين جوازه؛ وهم محجوجون بإجماع السلف والخل فعلى وقوعه في الشريعة. وأنكرته أيضا طوائف اليهود، وهم محجوجون بما جاء في توراتهم بزعمهم بأن الله تعالى قال لنوح عليه من السلام عند خروجه من السفينة: " إني قد جعلت كل دابة مأكلا لذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب، ما خلا الدم فلا تأكلوه.". ثم قد حرم على موسى عليه السلام وعلى بني إسرائيل كثيرا من الحيوان. وبما كان آدم عليه السلام يزوج الأخ من الأخت، وقد حرم ذلك موسى عليه السلام وعلى غيره، وبأن إبراهيم الخليل أمره الله بذبح ابنه، ثم قال له : لا تذبحه. وبأن موسى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد العجل، ثم أمرهم برفع السيف عنهم، وبأن نبوته غير متعبد بها قبل بعثه، ثم تعبد بها بعد ذلك، إلى غير ذلك...." [1].

وأما تفسير الآية عند مفسري الإباضية فهي عند هود بن محكم الهواري وهو من متقدميهم يختار من بين الأقوال الواردة في تفسير يحي بن سلام ما يقرر المعنى المعروف من وقوعه في القرآن، وذلك عند قوله: " قوله: { مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا } [قال بعضهم] : يُنسِها رسولَه فيرفعها. يقول: قد نُسِّيَ رسول الله بعض ما كان نزل من القرآن فلم يثبت في القرآن. وقد نسخ بعض ما أثبت في القرآن. قال: ألا تراه يقول: { سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ } [الأعلى : 6-7] أن ينسى منه." [2].

وتعرض لوجوه القراءات الواردة فيها ونقل توجيهها من جهة المعنى قال: " وبعضهم يقرأها: ما ننسخ من آية أو نَنْسَأْهَا. أي: نؤخرها فلم تثبت في القرآن. وبعضهم يقرأها: أو ننسها فنتركها ولا ننسخها. وتفسير مجاهد: ما ننسخ أي: ما نمحُ من آية أو نبدلْ حكمَها ناتِ بخير منها أو مثلها.". وفي معنى الأخيرية يقتصر على ما في الآية الناسخة من الحق والصدق والمصلحة لأهل زمانها " قوله: { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا } يقول: هذه الآية التي نسَخَت خير في زمانها هذا لأهلها، وتلك الأولى المنسوخة خير لأهلها في ذلك الزمان، وهي مثلها بعدُ في حقّها وصدقها." [3].

ويكاد ما قرره هذا المفسر المتقدم يختلف كثيرا عما ذكره الإمام اطفيش عند تفسيره للآية في تيسير التفسير فالنسخ عنده واقع، وله شواهد أوردها من القرآن والسنة وأطال في سردها خصوصا في هميان الزاد ولنذكر هذا النص من التفسير الأول ففيه يقول: "{ مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ } نرفع حكمها ولفظها، أو نرفع حكمها، ونبقى لفظها ، أو نرفع لفظها ونبقى حكمها { أَوْنُنْسِهَا } نرفعها من قلبك ، ونمحها منه ومن قلوب أصحابك فلا يدركون لفظها ولا معناها ، ولا العمل بها، وهذا قسم آخر، { فَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ } ثواباً أو سهولة في الامتثال { أَوْ مِثْلِهَآ } في ذلك ، كما قال : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ، قالوا :

---

[1] – توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 163/2.

[2] – تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري، المصدر نفسه. ج 1 / 47.

[3] – تفسير كتاب الله العزيز المصدر السابق. ج 1 / 47.

إنما أنت مفتر » . روى أن جماعة من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤوا سورة، فلم يبق لهم منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فأخبروه صلى الله عليه وسلم غدوة الليلة، فقال: رفعت تلاوتها وحكمها، ومما نسخ لفظه وحكمه: عشر رضعات معلومات يحرمن، وكثير من سورة الأحزاب، وكانت كالبقرة ، إلا أنه يحتمل بقاء بعض حكمها في سورة أخرى."[1]. غير أن فيه معنى زائدا في أنواع النسخ يتجاوز إلى إزالته من قلوب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجدون لها أثرا بالكلية ولو تلاوة، وقد ذكر له اطفيش مثالا يطالع في محله.

والملفت للانتباه ما استدل به الإمام اطفيش رحمه الله من أن " النسخ دليل على أن القرآن حادث مخلوق، ولا نثبت الكلام النفسي، فضلا عن أن يقال: التعبير من عوارض ما يتعلق به الكلام النفسي، وهي الأفعال، في الأمر والنهي، والنسب الخبرية في الخبر، وفى إثبات الكلام النفسي إثبات كون الله ظرفا ومتحيزا، وإن رجع ذلك إلى العلم لزم أن كل ما علمه قديم ، والقرآن هو هذه الألفاظ ، لا غيرها ."[2]. ونفس هذا الذي ذكره في التيسير كان قد قرره في أول تآليفه في التفسير فنجده بعد أن يقرر المعنى اللغوي المتداول للنسخ وهو الإزالة يقول: "{ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ }: نُزِل حكمَها ولفظها أو حكمها فقط أو لفظها فقط، فإن من معاني النسخ الإزالة، والآية من هذا المعنى كنسخ الليل والنهار، والنهار والليل، والظل والشمس، والشمس الظل، والشيب الشباب، فبعض القرآن منسوخ وأكثره غير منسوخ ." [3].

يردف ذلك بالتعريف الشرعي للنسخ من أن " حقيقة النسخ الشرعي بيان انتهاء التعبد بقراءة الآية ، وبالحكم المستفاد منهما أو بهما جميعا، وقال ابن الحاجب، رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه، ويخالف التخصيص بأن التخصيص يقع بشيء ثالث بين شيئين، والنسخ يقع بشيء على شيء أو بلا شيء، وبأن التخصيص يقع في غير النص وفيه، والنسخ في النص وبأن التخصيص يفيد أن العموم في المخصص بفتح الصاد انتفاء إرادته من أول مرة، والمنسوخ مراد ظاهره ومعناه إلى وقعت علمه الله علما أزليا ينتهي فيه."[4]. وفي هذا التناول الأصولي المتكرر والفصل والمتخصص يعكس بدرجة كبيرة مدى ما اصطبغ به التفسير إلى عهد قريب من المعالجة والتناول المدرس الذي يؤكد بعد التفسير عن الشرائح الواسعة من عموم قرائه، والراغبين في بيان معانيه. وليس اطفيش بدعا في ذلك بل هو آخر حلقات ذلك اللون من التفسير.

ولا يفوت الشيخَ اطفيش أن يبين من أنكر النسخ من الأفراد أو الملل أو الفرق، وأن يوجّه قولَهم، ويردّ على ما ذهبوا إليه بإيجاز، بدلائل العقل والواقع من أن النسخَ قد حدثَ فعلا في هذه الملة خصوصا، وبينها وبين سائر الملل عموما، وذلك قوله: " وزعمت طائفة من اليهود أن النسخ جائز عقلا غير وارد سمعا. وهو خطأ لصحة وروده كما مر فيرد عليهم بوروده، وعلى من أنكر جوازه عقلا وروده سمعا بما يعلم مما مر من وروده، ومن أنه بيان مدة الحكم كالإحياء بعد الإماتة، والإماتة بعد الإحياء ، والمرض بعد الصحة، والصحة بعد

---

[1] – تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش. ج 1 / 124.

[2] – تيسير التفسير للقطب المصدر نفسه. ج1 / 125.

[3] – همیان الزاد إلى دار المعاد، المرجع نفسه. ج 1 / 457.

[4] – همیان الزاد المصدر نفسه. ج1 / 457.

المرض، والفقر بعد الغنى، والغنى بعد الفقر، ونحو ذلك ، ولا بدء فى ذلك ولا تغير إرادة، لأن الله جل وعلا ما أراد المنسوخ إلا إلى وقت نسخه.". كما نجده يذكر من أنكر النسخ من المسلمين وما حمل عليه الآية وهو في نظر اطفيش محجوج لوجوه شرع في استعراضها تركناها ونحيل قارئ تفسير هميان الزاد عليها في محلها من الآية موضوع التفسير. فقد قال:" وزعم طائفة من الموحدين أنه لا نسخ في القرآن، ولكنه ناسخ لغيره وغيره نسخ بعضه بعضا، وحمل الآية على هذا المعنى، ووجه آخر حملها على النسخ من اللوح المحفوظ، ويرد على الوجه الأول أن الآية ..." [1].

ج- مبدأ التدرج في التشريع: وهو مما يندرج النسخ تحته، بل النسخ أحد وسائله، فيفرض على الأمة من التكاليف في بداية أمرها ما لا تستمر عليه من الالتزام فيتزل ما يناسب ما انتهت إليه في مسيرتها الاجتماعية، من أحوال. والمتقدمون لم يهملوا النص على هذا المبدأ التشريعي الثابت، ولا أهملوه لعدم وضوحه أو عدم أهميته بل اكتفوا بملامسته بالإشارة البعيدة التي تكشف كثيرا عن كونها نظرية تشريعية، أو قاعدة عامة في التشريع في كل طور من أطوار التربية الاجتماعية في مختلف تفاصيلها، مما يقتضي المرحلية في التطبيق. وهو الأحكام العملية والتي يغلب عليها التغير إلى الدرجة التي ينجح المجتمع في الوعي بها، والتزام مضامينها، بل والدفاع عن تلك الأحكام المقررة تدريجا.

ولهذا نرى المفسرين المتأخرين عموما بما فيه الجزائريين نبهوا بالتناول إلى هذه القاعدة والمبدأ، باعتباره مبدأ تربويا بالدرجة الأولى للأفراد والجماعات. وانظر إلى ابن باديس مثلا في النص التالي: " إن من حكمة التربية أن يبدأ من الأوامر بما تعين فطرة النفوس الإنسانية على قبوله ببداهة الفكرة أو بشعور العاطفة. وكلتا هاتين يحبب للنفس إيتاء حق القريب فابتدئ به في الأمر ليكون تقبلها له أسهل ومبادرتها للامتثال أسرع، فإذا سخت النفوس بإيتاء حق القريب ومرنت عليه اعتادت الإيتاء وصار من ملكاتها فسهل عليها إيتاء كل حق ولو كان لأبعد الناس."[2].

وتحت عنوان القرآن هدى وشفاء يضيف ابن باديس قائلا في خصوص تطبيق الحدود الشرعية الواردة في الشريعة خصوصا القرآنية منها: " قوله تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء: 82]. شفاء العقائد والأخلاق أساس الأعمال والمجتمع. هذه الأمراض لا تكاد تخلو آيات القرآن من معالجتها، وبيان ما هو شفاء لها. ولا شفاء لها إلاّ بالقرآن، والبيان النبوي راجع إلى القرآن. ومن طلب شفاءها في غير القرآن فإنه لا يزيدها إلاّ مرضا. فهذه الأمم الغربية بسجونها، ومشانقها، ومحاكمها، وقوتها، قد امتلأت بالجنايات والفظائع المنكرة التي تقشعر منها الأبدان. وهذه الممالك الإسلامية التي تقيم الحدود القرآنية كالمملكة الحجازية، والمملكة اليمانية، قد ضرب الأمن رواقه عليهما، واستقرت

[1] - هميان الزاد إلى دار المعاد، المرجع نفسه. ج 1 / 461.

[2] - تفسير ابن باديس، المرجع السابق. 79.

السكينة فيهما دون سجون ولا مشانق، مثل أولئك؛ وما ذلك إلاّ لأنهم داووا الملك بدواء القرآن فكان الشفاء التام."[1].

ولأن ابن باديس رحمه الله مؤمن بهذا المبدأ، وبصلاحيته لكل تشريع بما في ذلك التشريع الإسلامي قديما وحديثا، وهو منسجم مع توجهاته الإصلاحية، يقرر أن ذلك متبع في باب الزكاة أيضا فقد قال تحت عنوان نظرات في صرف الزكاة: " حق المسكين: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ}: قد ذكر في آية الزكاة الفقير والمسكين. والحق أنهما متغايران؟ والراجح أن الفقير من له بلغة لا تكفيه والمسكين من لا شيء له، فهو أشد حالًا من الفقير؟ ولذا لما أريد هنا ذكر أحدهما اقتصر عليه تنبيهاً بالأعلى في الفقر على الأدنى، فالمراد أهل الفقر والحاجة كلهم. وحق المساكين ما ثبت لهم من الزكاة، وكذلك ما تدعو إليه الحاجة من تعليمهم، وإيوائهم، وتجهيز موتاهم، مما تقوم به الجمعيات الخيرية في هذا العصر.. فكل هذا مما تصرف إليه الزكاة، ويجب القيام به عند عدم الزكاة أو فنائها، أو قصورها عنه. ويجب القيام به واجباً موزعاً على كل ما استطاع. فإذا لم يقم به المجتمع عاد الإثم على جميع الأفراد كل بقدر ما قصر فيما استطاع.. ثم ما إلى هذا من عموم الصدقة والإحسان."[2]. والبداية بكفاية حاجة هذا الصنف مقدمة كما هو الحال بنص القرآن لأن حاجتهم مستمرة وعاجلة، وأي نوع من أنواع الدعم الاجتماعي يجب أن يأخذ عند التطبيق الأولويات في كفاية الحاجة، تدرجا إلى غيرها مما هو أخف درجة، ،غن كان في نفسه ضروريا.

وكذلك فعل الشرع الشريف في نظر ابن باديس عند قصده حماية المجتمع من الفاحشة وتحت هذا العنوان بالذات نص المفسر أن الحماية لا تكون إلا بتدريج بأن توصد أبواب الوصول إليها، حصارا لجميع الأسباب المفضية غليها وأخذ المجتمع بتلك التفاصيل المبدئية توصلا إلى إلزامها الحد على نفس اقتراف الفاحشة ولا يصلح الناس إلا ذلك. قال ابن باديس رحمه الله: " وقد حمى الشرع الشريف العباد من هذه الفاحشة بما فرض من الحجاب الشرعي، وهو ستر الحرة ما عدا وجهها وكفيها وجميع ثيابها عند الخروج بالتجلبب، وبما حرم من تطيب المرأة، وقعقعة حليها عند الخروج، وخلوها بالأجنبي، واختلاط النساء بالرجال. فتضافر النهي والتشريع على إبعاد الخلق عن هذه الرذيلة. والمسلم المسلم، من تحرى مقتضى هذا النهي، وهذا التشريع في الترك والابتعاد."[3].

وبصورة أكثر تفصيلا مع التنبيه إلى مقصود الشرع الشريف وتحليل المقاصد والتكاليف إلى عللها الحقيقية، وهو ما يضمن الاستجابة الثقافية لمثل هذه الواجبات والالتزام بها عن وعي وقناعة، يقول ابن باديس تحت عنوان إرشاد الفرد إلى التوقي من الفاحشة:" وبين تعالى سوء عاقبة الزنا بقوله: {وَسَاءَ سَبِيلًا} أي بئس طريقاً طريقُه، طريق مؤد إلى شرور ومفاسد كثيرة في الدنيا، وعذاب عظيم في الأخرى. فهو طريق إلى هلاك

[1] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 144.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 80.

[3] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 92.

الأبدان، وفساد الأعراض، وضياع الأموال، وخراب البيوت، وانقطاع الأنساب، وفساد المجتمع وانقراضه. زيادة على ما فيه من معنى القتل للنفوس الذي تقدم في صدر الكلام. فعلى المؤمن إذا وسوس له الشيطان بهذه الرذيلة أن يتعوذ بالله منه، ويستحضر قبحها والمفاسد التي تجر إليها، والإثم الكبير الذي يعقبها، وقبل ذلك كله حرمة النهي الشرعي عنها، فيكون ذلك له- بإذن الله- وقاية منها."[1]. وهذا الذي ذكره هنا كالتحليل لما ذكره سابقا وبه يتم للقارئ العادي وعي مباشر ودقيق بمقاصد الشارع من تشريع أحكامه وأخذ الناس بالوقوف عندها لا يتعدوها.

وفي هذا الموضوع وما يتصل به من النسخ يكتب الشيخ مصطفى العلوي ما يفيد أن اختلاف الشرائع المتلاحقة، فيه مصلحة مقررة للخلق حيث يجري تثبيت بعض الشرائع بمرور الزمان لكون اعتبرها مصلحة عامة مستمرا، وتغيير أخرى لكون تحصيلها للمصلحة المقصودة ظرفيا، على خلاف ما تدعيه بعض الشرائع من نفي ذلك وهم من أشار إليهم الكاتب بقوله: " ومن كفالته تعالى بمصالح خلقه أن رتب الشرائع في سابق علمه على ما تقتضيه المصلحة العامة طبق الأزمنة والأماكن، وجعل الشرْع اللاحق حاكما على ما قبله، مصدقا لمعناه منقحا لمبناه. وبموجب ما جاءت به الشريعة الأحمدية من تحليل بعض المحرمات، وتوجيب بعض المباحات بالنظر للتوراة ونحوه فاستشكلت اليهود أمر النسخ واستبعدت معناه، وقالت: إن الله لا ينسخ شرعا قرره بنفسه..."[2].

وأما ما لا يقبل النسخ فهو أصول الأحكام والأخلاق، وثوابت العقيدة، وهو مل يشير ابن باديس إليه في هذا النص ويحث على التمسك به: " في قوله تعالى {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}[الفرقان: 30].)" وبين القرآن أصول الأحكام، وأمهات مسائل الحلال والحرام، ووجوه النظر والاعتبار، مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعام، فهجرنا، واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجرّدة بلا نظر، جافة بلا حكمة، محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفنى الأعمار قبل الوصول إليها."[3].

وأيضا وبصفة جزئية يرشد الشرع الشريف المؤمنين إلى اتخاذ هذا المبدأ قاعدة في تصرفاتهم وفي معالجتهم لقضاياهم، متدرجين بما هو أخف إلى ما هو أشد. ففي باب الخلاف الزوجي ينصح القرآن والمفسر — وهو هنا أبو بكر جابر الجزائري - تبعا لذلك بالصبر على ما يكره من الزوجة كخطوة إيجابية، بدل التعجيل بالطلاق عند وقوع البغض. وعلى هذا المناول فقس سائر ما يحتاج إلى المرحلية في التعامل معه: " (وعاشروهن بالمعروف) وان فرض أن أحدا منكم كره زوجته وهى لم تأت بفاحشة مبينة فليصبر عليها فلعل الله تعالى يجعل في بقائها في عصمته خيراً كثيرا له نتيجة الصبر عليها وتقوى الله تعالى فيها وفى غيرها ، فقد يرزق منها ولدا

[1] - تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 92.

[2] - البحر المسجور لابن عليوة، المرجع نفسه. ج 244/1.

[3] - تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 173.

ينفعه، وقد يذهب من نفسه ذلك الكره ويحل محله الحب والمودة. والمراد أن الله تعالى أرشد المؤمن أن كرِهَ زوجته أن يصبر ولا يطلق لما في ذلك من العاقبة الحسنة، لأن الطلاق بغير موجب غير صالح ولا مرغوب للشارع وكم من أمر يكرهه العبد ويصبر عليه فيجعل الله تعالى فيه الخير الكثير."[1].

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 247.

رابعا– التفسير والحقائق العلمية.

احتوى القرآن الكريم على خلاف الموجود من الكتب السابقة على كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بخلق الإنسان والكون عموما، وقد جاء ذلك متلعقا مرة ببيان صفة الخلق (ففَتَقْناهما)، وثانية ببيان أطوار خلق الإنسان (ثم جعلنا النُّطفةَ عَلقةً)، وثالثة... وقد تناول المفسرون المتأخرون والمعاصرون ذلك في سياق تفسير الآيات المتتالية ضمن مواطنها من السور، واختلفت معالجاتهم لتلك الحقائق بين مقتصر على فك معاني الآيات من جهة اللغة مراعيا معانيَ الألفاظ الأصلية، وبين متوسع قليلا ضمن ما تسمح معارف عصره، إلى أن انتهى الحال إلى المعاصرين ممن شاهدوا الاكتشافات العلمية، وتوفر لديهم بحكم المطالعة العلمية ما يكشف عن تلك الآيات اللثام لتبدوَ مدلولاتها بصبغتها التجريبية.

وأسوق على ما قدمته أمثلة تكون شواهد تقريبية يمكن البناء عليه في غيرها من الآيات وفي غيرها من التفاسير أيضا مما لم نطلع عليه غير أنه خضع لظروف عصر المفسر. فعند الثعالبي بمناسبة تفسير قوله تعالى: (ثمّ استوى إلى السماء فسواهنَّ سبعَ سماوات)[1]. قد قال:" (فسواهنَّ) قيل جعلهن سواءً، وقيل سوّى سطوحَهن بالإملاس، وقال الثعالبي: فسواهنّ أي خلقهن.انتهى. وهذه الآية تقتضي أن الأرض وما فيها خلق قبل السماء وذلك صحيح، ثم دحيت الأرض بعد خلق السماء، وبهذا تتفق معاني الآيات هذه والتي في سورة المؤمن، وفي النازعات."[2]. وأنت ترى أن التفسير قد رجع فيه إلى معاني الألفاظ من جهة اللغة بتوسع في ذلك كاستفادة (الإملاس) من لفظ التسوية، وقصر سواهن على خلقن كما عزاه إلى الثعالبي أبي منصور وهو غير مفسرنا الجزائري.

وعند أبي راس الناصري المعسكري يحتفظ بالمدلول اللغوي ويعتمد عليه وهو المطلوب، ولا يمنعه ذلك من التوسع فيما ثبت عنده من معارف عصره، كما تراه عند تفسيره لقوله تعالى:" ﴿ثم استوى﴾ بعد خلق الأرض أيْ قصد ﴿إلى السماء فسواهن﴾ الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه أيْ صيَّرها وعدَّلها، كما في آية أخرى ﴿فقضاهنَّ سبع سماوات﴾ بدل أو تفسير.". وهذا المقدار يكفي القارئ العادي خصوصا في زمان المفسر لتناسبه، ومعارفه العلمية يومها.

ولما كان من المعارف التقليدية لدى المطلعين كأبي راس وغيره تذكرُ أن الأفلاك سبعة، وأنه في الآية حدد عدد (سبع)، فقد يفهم منه خلاف المذكور في الآية؛ فوجب دفع ذلك لما فيه من التشغيب على الحقيقة القرآنية. فأورد المفسر المذكور السؤال وردّ عليه بقوله: " فإن قيل: إن أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك؟ قلتُ: فيما ذكروه شكوك، وإن صح فليس في الآية نفي الزائد، مع أنه إن ضم إليها العرش والكرسي لم يبق خلاف. تنبيه: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء قبل الأرض، وقوله ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ ظاهره

---

[1] – سورة البقرة 29.

[2] – الجواهر الحسان، المصدر نفسه. ج 59/1.

خلاف ذلك. والجواب أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك."[1]. ولأكتفِ بهذه المقدار؛ إذ كان الغرض الإشارة إلى طريقة تعاطي المفسر مع الحقائق العلمية في القرآن حسب ما تحتمله معارف زمانه، دون الشروع في تصحيح أو تعقب.

وبمناسبة تفسير قوله تعالى (أوأَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) [الأنبياء: 30]، نجد الشيخ هود بن محكم وهو من قدماء مفسري إلا أني أذكر تفسيره لبيان مدى تطور التفسير خصوصا في هذه الموضوعات العلمية فقد" قوله عز وجل (أو لم ير الذين كفروا) هذا على الخبر في تفسير الحسن (أن السماوات والأرض كانت رتقا ففتقناهما): أي كانتا ملترقتين إحداهما على الأخرى في قول الحسن، فوضع الأرض ورفع السماء. وقال الكلبي: إن السماء كانت رتقا لا يترل منها ماء ففتقها الله بالماء، وفتق الأرض بالنبات. وقال بعضهم: كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء فجعله بينهن. وقال مجاهد: كن مطبقات ففتقهن، أحسَبه قال: بالمطر. وقال مجاهد: ولم تكن السماءُ والأرض متماستين."[2]. فقد أشار من خلال ما نقله عن التابعين إلى جملة ما كان يقال عند مفسري عصره في معنى "الفَتْق" المذكور، بين معنى الفصْل بعد التماس والالتصاق، وبين معنى شق السماء بالماء وشق الأرض بالنبات بناء على مقولة أن المطر يترل من السماء.

حتى إذا انتقلتُ إلى الثعالبي وذلك بعد ستّ قرون وجدته يقرر في قوله " أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا والرتق الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح ومنه امرأة رتْقَاءُ واختلف في معنى قوله (كانتا رتقا ففتقناهما) فقالت فرقة كانت السماء ملتصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء وقالت فرقة كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرض كذلك ففتقهما الله سبعا سبْعا."[3]. فصدَّر بالمعنى الأول الذي هو الفصل بعد الالتصاق، وهذا هو نفس معنى الفتق وفيه كفاية لقارئ التفسير في الأزمنة المشار إليها.

ولما كانت طريقة الثعالبي أنه يعقب على بعض ما ينقل من التفسير، وتكون تعقيباته هي محضَ ما يختارُ من القول، أو جمعا بين ما يستحسنه من الأقوال؛ فقد ذكر قول من قال: بأن الرتق كان بالمطر... واستأنس بآية (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)[الطارق: 12] ، وحاول أن يجعل الثانية تفسيرا للأولى فقال: " وقالت فرقة السماء قبل المطر رتقٌ والأرض قبل النبات رتقٌ، ففتقهما الله تعالى بالمطر والنبات كما قال تعالى (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع) وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس بين ويناسب قوله تعالى (وجعلنا من الماء كلَّ شيْءٍ حيّ) أي من الماء الذي كان عن الفتق فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار بها. وقالت فرقة: السماء والأرض رتق بالظلمة ففتقهما الله بالضوء والرؤية على هذين القولين رؤية العين."[4]. وهذا القول الأخير هو القول الثالث في تفسير الرتق. وعلى القول الأول الرؤية قلبية إذ لم

---

[1] – الإبريز والإكسير لأبي راس الناصري، المرجع نفسه. لوحة 28.

[2] – تفسير كتاب الله العزيز، المصدر نفسه. ج 59/3.

[3] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 53/3.

[4] – تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 53/3.

يشهدها الإنسان بل شهد آثارها، والرؤية على القول الثالث بصرية لأنها متعلقة الضوء المستمر ما دامت السماوات والأرض.

وقد تناول الشيخ اطفيش رحمه الله الآية في سورة الزمر، والتي تحدد الظلمات التي تغشى الجنينَ قبل خروجه، وهي فرصة للمفسر المعاصر أن يذكّر بما قرره القرآن وما يثبته العلم الحديث، ففي اطفيش (هميان الزاد) وهو التفسير الذي بكّر به الشيخ ولا يزال بالعمر الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين، لم تكتمل فيه بعدُ معارفه الدينية فضلا عن الدنيوية يقول مبينا " { يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ } الخطاب للناس، وفيه بيان كيفية خلق الناس والأنعام، إظهارا لما فيها من عجائب القدرة؛ لكن خصهم بالخطاب لشرفهم، ولأنهم المقصودون ودليل التخصيص قوله: (أمهاتكم). وقوله: (تصرفون) أي إلى الشرك، فإن الأمهات في بني آدم وأما الدواب فيقال لها: أمات. وقيل: يقال في الجميع أمات وأمهات، وأنه لا فائدة في خطاب غير العاقل. وقد يقال خاطب الجميع ولو كانت الدواب لا يفيد خطابها تغليباً أو خلق الله العقل فيها حين الخطاب ولكن الخطاب في (تصرفون) للناس فقط { خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ} خلقكم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً عارية ثم مكسوة لحماً { فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ}. قال ابن عباس: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وعليه مجاهد. وقيل: ظلمة صلب الأب وظلمة الرحم وظلمة البطن .وقالت فرقة : ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. ذكر آيات قدرته في خلق السموات والأرض، وتكوير الليل على النهار والنهار على الليل. واتبع ذلك بذكر خلق الإنسان وأعقبه بذكر خلق الحيوان وأعقبه بذكر ما اشترك فيه هؤلاء الحيوانات من الخلق في البطن والظلمات الثلاث." [1].

والذي يهم هنا هو تحديد الظلمات الثلاث، فقد عاد في ذلك إلى قول ابن عباس ومجاهد، وعدد الأقوال ولم يذكر لأهل الطب ولا غيره قولا، وربما كان من أولئك من يندرج تحت عبارة (وقيل). وتفسير ابن عباس هو الذي ثبت عليه التفسير وتداولت نقله كثيرا وهو نتاج الواقع البسيط والله أعلم.

وأولى من هذا عند المفسر التقليدي بالخصوص هو توظيف الحقيقة (البيولوجية)في تثبيت حقائق الدين، وتقوية قلب العبد على الشعور بالنعمة وشكرها. كما فعل رحمه الله عند قوله: " وفي ذلك تنبيه على توحيد الخالق الذي لا يستحق العبادة غيره وتوهين لأمر الأصنام كما قال: { ذَالِكُمُ} الذي خلق الأشياء {اللهُ}، خبرٌ {رَبُّكُمْ} خبرٌ ثانٍ أو بدل. وذلك كما يذكر زيد بأمر عظيم فتقول تعظيماً لزيد (ذلك زيد) و(الله) بدل أو بيان وربكم خبر والله مبتدأ ثان قائم مقام الضمير تعظيماً وتربية للمهابة أو الإشارة إلى الفعل وبتقدير مضاف أي ذلك الفعل فعل الله ولا يكون الله نعتاً لاسم الإشارة لأنه ليس اسم جنس { لَهُ } لا لغيره { الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ } لا خالق ولا معبوداً بحق إلا هو { فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } أي كيف يعدل بكم وبمال عن

[1] – هميان الزاد لطفيش، المرجع نفسه. ج 31/12.

عبادته إلى عبادة غيره وعن طريق الحق بعد هذا البيان." [1]. وما ذكره ضمن ذلك من وجوه الإعراب إنما هو استجابة لمتطلبات المعالجة التقليدية عند المفسرين المتقدمين.

وإذا قارن ما تقدم بالتفسير الجديد للشيخ اطفيش رحمه الله وهو تيسير التفسير يمكننا ملاحظة ما يكون قد تغير من ذلك وعلى أي أساس قد تغير " { يخْلُقكُم } خطاب لبني آدم المخاطبين بقوله: « خلقكم » وإن جعلناه للأنعام ولبني آدم ففيه تغليب العقلاء على غيرهم في الضمير، والمخاطبين على ما استحق كلام الغيبة من أن يقال يخلقها (في بُطُون أمَّهاتِكمْ خلقا من بعْدِ خَلْقٍ) علقة بعد نطفة، ومضغة بعد علقة، وعظما بعد مضغة، ولحما وجلدا وعروقا عظم، وهذه الأطوار في بني آدم والأنعام ونحوها، ومن متعلق، بخلقا أو بيخلق، بمحذوف نعت لخلقاً {في ظلمات} لا يتعلق بيخلق، لأنه قد علق فيه في بطون وحرفا جر لمعنى واحد لا يتعلقان بعامل واحد إلا على التبعية، كما إذا جعلنا في ظلمات بدلا من {في بطون} ويجوز تعليقه بخلقا {ثلاثٍ} ظلمة البطن، والرحم والمشيمة، وقيل: ظلمة الصلب، والبطن، والرحم، في هذا المشيمة ، ولعل إلغاءها لأنها لا يلزم أن تكون ، وعلى كل حال ألغى صرد المرأة، مع أن ماءها منه، كما أن ماء الرجل من ظهره، ولعل إلغاءه لقلته . {ذَلكم} الفاعل لما ذكر {الله} المستحق لا ألوهية لفظا ومعنى، ولا يستحق الألوهية لفظا ولا معنى غيره، لأنه لا يفعل فعله، وهو خبر أو بدل أو بيان أو نعت على التأويل بالمعبود {ربُّكم} خبر ثان، أو خبر أو بدل أو نعت بمعنى المربي لكم في تلك الأطوار، وبعدها {لَه المُلْك } خبر ثان أو ثالث أو خبر {لا إله إلا هُو} خبر آخر، أو خبر والأولى أنه مستأنف {فأنَّى} كيف {تُصْرفُون} عن عبادته واعتقاد ألوهيته، مع كمال الدواعي إليهما وانتفاء الصوارف." [2]. تجد نفس المباحث بتغيير طفيف في المضمون من الإشارة إلى ماء المرأة. وأما غير ذلك من وجوه الإعراب، والتذكير بالنعمة الإلهية التي تشير إليها الآية فهو شيء يحافظ المفسر على استمراره ما دام يراه كافيا وهو كذلك.

وعند مفسر حديث كالشيخ محمد بن عبد الكريم إيجاز في تقرير هذه المعاني بما لا يتميز كثيرا عن تفسير السابقين، " (خلقا بعد خلق) نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظما ثم لحما ثم إنبات شعر، إلى غير ذلك من تقلب أحوال الجنين في بطن أمه حتى يكتمل خلقه، فيخرج طفلا. في (ظلمات ثلاث) ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة، وهي غشاء الجنين في بطن أمه، ويقال لها أيضا: الكيس، والغلاف." [3].

على أن تيسر البحوث الحديثة حول نظرية نشأة الكون وما قيل فيها وحولها من التفصيل ليس دائما أمرا ملزما للمفسر أن يذكره في معرض التفسير، فضلا أن يتبناه فهذا الشيخ أبو بكر الجزائري مع أنه من المعاصرين، وبين يديه ما وصل إليه العلم الحديث فيما يتعلق بالنظرية السديمية إلا أنه قرر ما ذكره الأوائل من أن الرتق المذكور هو الكتلة الواحدة واقتصر عليه دون التعريج على ما يذكره غيرُه من المفسرين، ولو

---

[1] – هميان الزاد لطفيش، المرجع نفسه. ج 31/12.

[2] – تيسير التفسير، المرجع نفسه. ج 137/9.

[3] – توجيهات القرآن العظيم لمحمد بن عبد الكريم، المرجع نفسه. ج 474/7.

استعراضا للأقوال فقد قال: {كانتا رتقا} : " أي كتلة واحدة منسدَّة لا انفتاح فيها. (ففتقناهما): أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين."[1]. وكأنه أراد ألا يقحمَ الآية ضمن ما لا يزال محلّ – على الأقل في نظره – جدل بين العلماء لكونه للنظرية أقرب منه إلى الحقيقة العلمية.

وهذا التردد في جعل الآية في زاوية ما يذكر أنه من قبيل الحقيقة العلمية سواء بالموافقة له أو المخالفة أمر توقف عنده كثير من الباحثين داعين إلى التثبت في الموقفين والتأكد من أن الأمور حقائق، أم أنها لا تزال نظرياتٍ قيدَ البحث والتحقيق؛ فقد قال الشيخ الخضر حسين: " وقد يورد بعض من لا يفرق بين الظنِّيات والعلميات ومن لا يمعن النظر في فهم البليغ من الكلام أشياء يزعم أنها علميات جاء القرآن على خلافها، فمن واجب المفسر أن يتصدى لإزاحة هذه الشبه، ويبين بالطريق المنطقي أن ما أورد على القرآن لا يدخل في العلميات، أو يذهب في تفسير الآية على وجه يلائم بلاغة القرآن، ولا يخالف ما قرره العلم، وأقام الدليل على أنه قطعي لا يلابسه ريب."[2] .

وبنفس المضمون وبذات الطريقة في المعالجة يتناول الشيخ أطفيش الآية في تيسير التفسير بعد أن يعرج على لفظ الرتق من جهة إفراده مع أن الآية تتكلم عن السماوات والأرض، وهل الرتق موزع على كل واحدة منهما أو أنه لهما معا نجده يقول: " (أنَّ السموات والأرض كانتا رتقاً) ثني لاعتبار أن السموات كمفرد بمعنى فريق أو طائفة، كقوله عز وجل:{ السموات والأرض وما بينهما }، وقوله عز وجل: (إن الله يمسك السموات والأرض) الخ وقول الشاعر:

إن المنيةَ والحُتوفَ كلاهما ... دون المحارم يرقبان سوادي.

وأفرد رتقاً لأنه في الأصل مصدر بمعنى الضم، فيأوَّلُ مرتوقتين بمضمومتين، أو ذاتي رتق، أو مبالغة كأنهما نفس الضم، أو كانتا شيئاً واحداً مضموماً. { ففتقناهما } إلى سبع سموات، وجعلناهن حيث كن الآن، والى سبع أرضين جعلناهن حيث هن الآن بين كل من ذلك وأخرى خمسمائة عام، سمى كل ما يكون سماء أو أرضا من ذلك المجموع، والمضموم سماء وأرضاً على مجاز الأول..."[3]. وفي كلامه رحمه الله توجيه للتعبير بالمثنى عن المجموع، والتعبير بالمفرد عن الفريق والطائفة وما في ذلك من شاهد النحو ومسوّغ البلاغة. دون أن يكون في كلامه شاهدٌ من كلام أهل الهيئة كما فعل أبو راس وهو وإياه من عصرين متقاربين، وثقافتهما تقليدية متشابهة. بعيدة عن معطيات العلم الحديث رغم أن الأخير منهما قد واكب الحركة الإصلاحية التي قادها الأفغاني في الشرق، وآثار غزو نابليون لمصر...

وإذا عدت إلى مفسر معاصر كالشيخ محمد بن عبد الكريم، وهو ذو ثقافة حديثة بل واكب هذه الثقافة من مصادرها إذ كان مقيما بباريس سنين طويلة، وتتكرر لديه الأسئلة الدينية ذات التعلق الطبي وغيره يقتصر في

---

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 470/2.

[2] – موسوعة الأعمال الكاملة للخضر حسين، 29/2.

[3] – تفسير اطفيش، المرجع نفسه. ج 202/6..

تفسير الآية المذكورة على قوله من باب تحديد الألفاظ " (رتقا) شيئا واحدا مسدودا متصلا وملتزقا بعضه ببعض. (ففتقناهما) فشققنا السماء بنزول المطر، وشققنا الأرض بظهور النبات عليها." [1]. واقتصر مرة ثانية عن بيان المعنى الإجمالي بإيجاز شديد على قوله: " أو لم يتفكر الكافرون ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا في ابتداء خلقهما شيئا واحدا ملتزقا بعضه ببعض ومسدودا فشققنا السماء بنزول المطر، وشققنا الأرض بخروج النبات فيها وظهوره على سطحها." [2]. مع اقتضاء المقام التوسع في معاني القدرة، وفق ما يقرر العلم الحديث.

ولكن الذي غابَ عند من تقدم بصفة ما، وبمقادير متفاوتة نص الشيخ سعيد كعباش على شيء منه فأشبع بذلك بعض فضول القارئ المعاصر والذي يرغب في إرفاق الحقائق القرآنية بما يدعمها خصوصا من الثوابت العلمية كانت طبية أو فلكية... فقد قال: " في معرض التدليل على بطلان الشركاء يتواصل الكلام في بيان إبداعه تعالى في خلقه، فوبخ المشركين على عدم تدبر آياته الكونية الدالة على وحدانيته وقدرته، وأن تلك الآلهة الباطلة المزعومة عاجزة عن ذلك فلا يصح أن تعبد من دون الله قال تعالى: (أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانت رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) لا شك أن القرآن كلام الخالق العزيز الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يقول في شأنه تبارك وتعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) [المائدة: 15-16]. فهو إذن كتاب هداية وإرشاد بالدرجة الأولى، وفي معرض سوق الأدلة والبراهين للتدليل على عظمة الله وقدرته، قد يشير القرآن إلى بعض الحقائق الكونية، كما ورد في هذا النص الكريم. وفي مجال العلم التجريبي ما تزال كثير من تلك الحقائق الوجودية نظريات علمية خاضعة للتركيز والثبات، أو النقض والتغيير. وفي أية حال نحن كمؤمنين نؤمن ونستيقن بما أشار إليه القرآن من تلك الحقائق وإن كان العلم لم يتوصل بعد إلى شرحها وتفسيرها كيف وقعت. ولا نحاول أبدا أن نخضع النص القرآني إلى تلك النظريات العلمية التي لا تعدو أن تكون من اجتهادات البشر قابلة للقبول أو الرفض لأنه تعالى يعلم ونحن لا نعلم." [3].

وفي محاولة لبيان مواكبة مفكري الإسلام مفسرين وغيرهم المواءمة بين حقائق القرآن ومفرزات البحوث التجريبية فتراه يقول: " فهذه النظريات الفلكية من رتق السماوات والأرض وفتقهما تدخل في هذا الإطار وحسبها أنها لا تتصادم في مفهومها الإجمالي مع آراء العلماء الفلكيين قديما وحديثا. وأما الجزئيات والتفاصيل فمتروك إلى المجهود العقلي البشري. يقول الدكتور أحمد زكي في كتابه القيم (مع الله في السماء) يقول: ما السماء؟ سؤال لا تكاد تسأله أحدا حتى تتراءى في خياله صورتان: صورة السماء وإلى جانبه صورة الأرض. فالصورتان متلازمتان، لا لأنهما متناقضتان. ولكن لأنهما متكاملتان. وعند كل مسئول من الناس تسأله أن

---

[1] - توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 522/5..

[2] - توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 522/5.

[3] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 33/9-34.

الأرض أول وللسماء المحل الثاني. ذلك لأن العيش وهو مشغلة الناس الأولى يرتبط أوثق ارتباط بالأرض ولا يكاد يرتبط بالسماء. والجواب: أن السماء هي كل هذا الوجود." [1].

وفي محاولة خاصة للمفسر أيضا تراه يستعرض وجه الجمع بين الرتق المذكور في نص الآية وبين أحدث النظريات المتوصل إليها في ذلك والتي تجتهد في إعطاء تفسير لنشأة الكون. ويستعين في ذلك بآيات أخرى يراها تفصل القضية بشكل واسع نسبيا، فهو يقول: " قلت: وفي قوله تعالى (أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانت رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) إشارة إلى تلك الظاهرة الكونية من انبثاق الكواكب السيارة ومنها الأرض عن الشمس. فالآية معطوفة على ما سبق مصدرة بالاستفهام الإنكاري عن الذين كفروا كيف أنهم لم يروا بديع صنع الله وقدرته في فتق السماوات والأرض بعد أن كانتا كتلة واحدة. مما يعبر عنه علماء الكونيات بـــ" السديم" وذلك هو معنى الرتق، أي الضم والالتحام. أما كيف وقع الفتق فيهما فلا تزال نظريات العلماء مختلفة في ذلك. وفي القرآن، نصوص أخرى ومن أعظمها دلالة على قدرة الله في الخلق والإيجاد قوله تعالى في سورة فصلت (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَفَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)[فصلت: 9-12]. فالآيتان متكاملتان في المعنى، وإن كانت آيات (فصلت) أكثر تفصيلا في بيان خلقة الأرض من انفصالها عن الكتلة الشمسية إلى برودة قشرتها الظاهرة، وتشكل الجبال الرواسي وما بينها من السبل والفجاج، ثم تمازج الأوكسجين والهيدروجين لتكوين البحار والمحيطات والأنهار، حتى أصبحت الأرض مهادا للإنسان، وموردا لأرزاقه وأقواته بالنبات والحيوان، إذ كان الماء سبب وجود الحياة." [2].

وانظر إلى الأمير عبد القادر عند تفسيره بقوله تعالى:" (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمان: 19-20]: فقد عدل عن التفسير بظاهر ما تقتضيه اللغة من المرج والالتقاء، ووجه الآية إلى معنى لا يخالف الظاهر ولكنه لا يقتضيه فقد قال: " فالبحران الشريعة والحقيقة، والبرزخ بينهما العارف، فلا تبغي الشريعة على الحقيقة، ولا الحقيقة على الشريعة. فهو دائما بين ضدين ومشاهدة نقيضين، يَنفي ويُثْبت، وينفيَ ما أثبتَ، لا يستقر به قرار ولا تطمئن به دار، متحرك ساكن، راحل قاطن فهو كطائر يطير من غصن إلى غصن، والذي طار إليه هو الذي طار منه."[3]. ولم يتيسر للأمير بحكم سبق الزمن أن

[1] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 33/9-34.

[2] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 33/9-34.

[3] - المواقف، المرجع نفسه. ج 211/1-212.

يفسرها بغير ما يذكره المعاصرون عادة وخصوصا الباحثين في إعجاز القرآن من أنهما بحران لكل مذاقه لا يبغي بعضهما على الآخر بالمخالطة وتغيير المزاج.

وتراه في مثال ثان يعدل عن الظاهر المراد مع إقراره له، وذكره مقرونا بالتمثيل له، ويسارع بالقول بأن ذلك الشفاء الذي يدل عليه الظاهر مخصوص بأدوية محددة، بينما أهل الطريق يرون عموم الشفاء فيما ورد به صاحب الشريعة، ويرون عموم النفع عائد إلى نية واعتقاد العبد ومدى يقينه في كلام الشرع فقد قال الأمير: " (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[النحل:69]: اعلم أن أقوال أهل الظاهر في هذه الآية ونحوها مما ورد عن الشارع كقوله "الحبةُ السوداءُ شفاءٌ من كل داء" معروفة وهي أن تنكير شفاء يفيد الخصوص لا العموم من جميع الأمراض لكل الأشخاص؛ لأنه نكرة في سياق الإثبات فلا تعم. وإنما ذلك شفاء لبعض الأدواء في بعض الأمزجة الخاصة. واحتجوا على ذلك أيضا بكلام الأطباء وبالتجربة. وأما أهل طريق الله: فقالوا: كل ما ورد عن الشارع فيتلقى بالقبول. وعموم النفع والشفاء في ذلك راجع إلى نية المستعمل وقوة يقينه وكمال تصديقه؛ فعلى قدر اليقين ينجح الاستعمال، ويحصل الظفر بالمراد. ولهم في ذلك وقائع غريبة وحكايات عجيبة رضي الله عنهم. ومن ضعف يقينُه أو تردد فيرجع إلى الأطباء." [1]. وهذا الكلام على عمومه يقلل من قيمة الطب التجريبي ويثني العبد عن استكمال الأسباب فيه. ولعل هذا أن سكون صادقا في طب زمانه و لم يكن العهد بالطب الحديث قد وصل مداه إلى أوطان المسلمين. وعموم الشفاء الحاصل من كلام صاحب الشريعة لا معقب عليه غير أنه لا يتوارد والطب التجريبي على محلّ واحد.

وعد إلى قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان)، فقد تعرض لتفسيرها الشيخ أحمد التجاني وكان قد سأله عنه بعض تلامذته وهو الشيخ علي حرازم بن العربي فقد قال: " وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمان 19ــ20]. الآية فأجاب رضي الله عنه بقوله: معنى البحرين بحر الألوهية وبحر الوجود المطلق وبحر الخليقة وهو الذي وقع عليه (كن)، وهو البرزخ بينهما صلى الله عليه وسلم، لولا برزخيته صلى الله عليه وسلم لاحترق بحر الخليقة كله من هيبة جلال الذات. قال سيدنا رضي الله عنه: بحر الخليقة بحرُ الأسماء والصفات، فما ترى ذرة في الكون إلا وعليها اسم أو صفة من صفات الله. وبحر الألوهية هو بحر الذات المطلقة التي لا تكيف ولا تقع العبارة عنها يلتقيان لشدة القرب الواقع بينهما. قال سبحانه وتعالى (ونحنُ أقربُ إليكم منه ولكن لا تبصرون) ولا تختلطان لا تختلط الألوهية بالخليقة، ولا الخليقة بالألوهية...فالألوهية قائمة في حدودها، والخليقة قائمة في حدودها؛ كل منهما يلتقيان ولا يختلطان للبرزخية التي بينهما لا يبغيان أعني لا يختلط أحدهما على الآخر."[2].

[1] – المواقف، المرجع نفسه. ج 2/147-148.

[2] – جواهر المعاني لابن حرازم، المصدر نفسه. ج 1/ 113ــ 114.

هذا ما ذكره الشيخ التجاني في هذا الموضع، وأنت تراه على طريقة التفسير الإشاري يتعدى الظاهرَ المراد، إذ لم يتعرض فيه المفسر إلى هذا الظاهر ولا إلى ما تقتضيه دلالة اللغة، ولكنه وظف الحقائقَ المقررة في العقائد الإسلامية من أن خصائص البشرية مفارقة للألوهية، وصرف لفظ (البحر) المذكور في الآية إلى مصطلح البحر عند الصوفية، دون أن يدل ذلك على نفي الظاهر المراد ما دام المفسر لم يصرح بذلك في كلامه ولا التزمه في تفسيره.

ونقل عن التجاني وفي نفس المصدر أن الظاهر مراد، وأنه لا يصرف عن مدلوله إلا إذا أدى ذلك إلى مستحيل، فقد قال: " وسألت شيخنا رضي الله عنه عما ذكره بعض المفسرين في حق سيدنا داود عليه السلام. وأنه تمنى بقلبه وأمر الرجل بكذا ليفعله وكذا وكذا؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: قال معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم وإنما حكى الله عنه أن الخصمين اختصما في نعجة من الغنم لا غير كما قال كما قال الله (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) إلى قوله (وأناب). ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح لا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهره يلزم منه المحال. وكلا الأمرين منتف هنا فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ولا قرينة تصرفها عن الظاهر. وإذا فهمت هذا تبين لك أن الآية على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالحي عامة المؤمنين؛ فكيف يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط." [1]. والذي نقرره هنا أن التفسير الإشاري هو من قبيل التوسع في المعاني التي أفادها الظاهر لا من قبيل إبطال ذلك الظاهر.

وكونه صلى الله عليه وسلما برزخا لم يستند فيه إلى أثر وارد، ولا تفسير عمن سلف، ولكنه كذلك في عالم المعاني لكونه يتلقى الوحي من الحضرة الإلهية فهو من هذه الجهة مفارق لبعض خواص البشرية بنيله رتبة النبوة. وهو في ذلك كغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهذا التفسير على هذا المنوال غير حاسم في ضبط المعاني؛ إذ لقائل أن يقول: أنه الرسول بذلك يكون قد اختلطت فيه من أوصاف البحرين، وهو نوع من البغي بين البحرين وهو عكس ما دلت عليه الآية. ثم هو في النهاية إيراد يصعب الانفكاك عنه والله أعلم.

وأعرج فيما يلي على ما يراه مصطفى علي وهو ممن تعرض للتفسير وتناول الأمور العلمية التي تتعلق بالآية القرآنية خصوصا في الجزء الأول المطبوع وهو مفسر وصل إلى معلومِهِ ما كاد أن يستقر من المعارف البشرية حول الكواكب والمجموعة الشمسية فقد قال " وإن كان موضوعنا ذكر السماوات السبع الشرعية وحيت أن السماوات السبع هي كواكب الجنة وأرضها ومواطنها لذلك كان لزاما علينا الإشارة إلى الجنة ومكانها وحدودها وكواكبها. وإذا كانت السماوات السبع لا تخرج ولا تزيد عن حدود المجموعة الشمسية وهي على عدد الكواكب المكتشفة في إطار المجموعة الشمسية والتي أعطي لها هذه الأسماء."[2]. وهو كلام عام لا يتعلق

[1] – جواهر المعاني، المصدر نفسه. ج 1/ 116.

[2] – الحق لما اختلف فيه من الحق، مصطفى بن علي، المرجع نفسه. ج 395/1.

بخصوص آية بعينها، وقوله " وحيث أن السماوات السبع هي كواكب الجنة وأرضها ومواطنها "، كلام لم يقدم عليه دليلا.

وفي موضوع آخر يتناول الشيخ جابر الجزائري فكرة أن العلم الحديث أصبح بإمكانه أن يعرف جنس الجنين وهو لا يزال في بطن أمّه وهو مشكل مع يذكر في المغيبات الخمس الواردة في قوله (إن الله عنده علم الساعة ويعلم ما في الأرحام)" ما ادّعى اليوم من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف ما في رحم المرأة فهذه المعرفة ليست داخلة في قوله تعالى (ويعلم ما في الأرحام) لأنها بمثابة من فتحَ البطنَ ونظرَ ما فيه فقال: هو كذا وذلك لوجود أشعة عاكسة أمّا المنفيّ عن كل حد إلا الله أن يقول المرء: إن في بطن امرأة فلان ذكراً أو أنثى ولا يقربُ منها ولا يجرّبها في ولادتها السابقة، ولا يحاول أن يعرف ما في بطنها بأيّة محاولة ."[1]. وفي كلامه وما مثل به محاولة للتخلص من الإشكال المطروح وفي مناقشة لأن ما يستعان به من وسائل العلم لا يقدح في قيمة العلم ولا المعلومة. وقد قال تعالى في موضع آخر (انفذوا لا تنفذون إلا بسلطان).

وقبل هذا نجد ابن باديس وهو من المفسرين المعاصرين كما هو معلوم وقد أدرك كثيرا من الاكتشافات العلمية ويبدو أنه كان على اطلاع على شيء منها كما يفيده نص ككلامه، وقد استفاد هو نفسه من ذلك ففي حديثه عن ضوء القمر ولا يفوته بعد الاطلاع عليه وهي معارف حديثة بيقين أن يشيد بمعجزة القرآن الذي تضمن هذه الحقائق على لسان رسوله النبي الأمي منذ أربعة عشر قرنا فهو يقول:" {فَمَحَوْنَا} المحو هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح، وإزالة الآثار من الديار. فمحو "آيَةَ اللَّيْلِ" إزالة الضوء منها، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل؛ فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً، ثم أزيل ضوءه فصار مظلماً. وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس. واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر- كالأرض- كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحَمْو والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد؛ لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية: ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان!! فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم إلاّ أفراداً قليلين من علماء الفلك. وإن حمو جرمه أولاً، وزواله بالبرودة ثانياً، ما عرف إلاّ في هذا العهد الأخير. والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرناً نبي أمي، من أمة أمية، كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم؛ فلم يكن ليعلم هذا إلاّ بوحي من الله الذي خلق الخلائق وعلم حقائقها!!
كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ (1)."[2].

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 259/3.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. / 47.

وهذا الذي استفاده من لفظ محونا هو مدلولها اللغوي مؤكدا بحقائق العلم الحديث وهو مسلك نراه سليما لأنه لا يحمل اللفظ القرآنية الشريفة غير ما تحتمله من معاني اللغة، ولا يعتمد في معارف العلم على غير ما صار حقيقة متداولة لا شك فيها. ثم إن وجه الربط بينهما ظاهر لا تكلف فيه.

وأنقل هنا كلام بعض مفسري الإباضية المعاصرين لقوله تعالى (وجعلناها آية للعالمين) فبعد أن قرر أن عود الضمير في الآية يمكن أن يكون متعددا، وهو توسعٌ في التفسير تحتمله الآية إذ قال ما نصه: " الضمير إما أن يعود إلى السفينة وهي أقرب مذكور أو يعود إلى قصة نوح كلها؛ لأنها معروفة عند جميع الأمم؛ لأن كتب التاريخ كلها تذكرها في تاريخ نسب البشر والأمم. وكل الكتب المترلة تذكر نوحا وقصة السفينة والطوفان فليس في البشر من ينكرون أنهم ينتسبون إلى نوح عليه السلام غير أحد أبنائه الثلاثة: سام وحام ويافث. والعرب ساميون." [1].

تجده ينتقل إلى مصير سفينة نوح ويذكر ما توصلت إليه الأبحاث حديثا من أنه " زعم بعضهم أنهم عثروا على سفينة نوح عليه السلام في حفرية من الحفريات، ونحن لا نستبعد ذلك، ونوح لم يكسر سفينته ولم يحرقها، وليست هناك حكمة حتى يذكر الله تعالى مصير السفينة ومآلها. يقولون إن لديهم قرائن كثيرة ندل على أن هذه السفينة هي سفينة نوح منها أنهم وجدوها في المكان الذي وصفته كتب التاريخ القديمة، وقد يمكن هذا وهم قد اكتشفوا أكثر من هذا إذْ تتحدث الأخبار عن اكتشاف جمجمة لقرد في بعض جهات مصر لم تنكسر منها سن وقدروا عمرها بحوالي 28 مليون سنة، بينما أوصلها البعض إلى 40 مليون سنة ولا يزالون مختلفين. فكم يا ترى يكون عمر الأرض؟ لقد أوصله البعض إلى مئات الملايين من السنين."[2].

وما ذكره الشيخ بيوض من التعرض لمصير السفينة إنما هو استطراد دعت إليه المعارف الحديثة التي يذكر أصحابها أنهم عثروا على السفينة المذكورة. وتصديقهم في العثور عليها، جرّ إليه تصديق الشيخ للباحثين في جملة العلوم الحديثة فيما يذكرون أنهم توصلوا إليه. وإنما يبقى التردد في الأرقام والنسب المذكورة؛ لأجل اختلاف أصحابها.

والمهم فيما نقلته من التمثيل من التفاسير المذكورة سابقا، هو الوقوف على كيفية تطرق المفسر الجزائري قديما وحديثا للآيات التي تتضمن حقائق علمية سواء ما تعلق منها بالطب أو الفلك أو التاريخ. وكيف تعامل مع ما تقرر في ظل ما تيسر من مباحث العلوم التجريبية خصوصا، وما كان متاحا لدى مفسر القرون المحددة فترة للدراسة. وقد تبين أن المفسر الجزائري من خلال الأعمال المتوفر عليها وإن لم ينسق انسياق المفسر المشرقي للاستكثار من المقارنات والمقاربات سواء بالتصديق أو تحديد الاختلاف في النتائج المحصل عليها إلا أنه لم يهمل المعالجة التفسيرية للإعجاز العلمي، كما لم يتخم التفسير بمباحثه، ورائده في ذلك الاحتياط والتحفظ

[1] – في رحاب القرآن، الشيخ بيوض، المرجع نفسه. ج 9/81-82.

[2] – في رحاب القرآن، المرجع نفسه. 9/81-82.

المنصوص عليها مشرقا ومغربا من إحراج حقائق القرآن بمقارنتها بنتائج البحث العلمي والتي كثيرا ما تكون مجرد نظريات قيد البحث لم يتم ترسيهما علميا، وإدراجها معرفيا ضمن السياق العلمي.

خامسا – التفسير والمعالجـــــة الصوفية للحقائق القرآنية.

يوجد في تراث الجزائريين في التفسير مجموعة من منتج التفسير والتي قامت على أساس صوفي، كما أن مجموعة أخرى تضمنت بحوثا صوفية. وتختلف طبيعة التصوف المشار إليه بين مجموعة وأخرى فهي عند الثعالبي والسنوسي مثلا تستوفي الظاهرَ من التفسير، وتصبغ بعض الأوامر والنواهي بصبغة روحية كما سأعرضها في النماذج المختارة، وينقل فيها المفسر كلام مشايخ الطريق كالجنيد والغزالي...ويعود من جهة المصادر إلى رسالة القشيري والإحياء للغزالي والحكَم لابن عطاء الله بشرح ابن عباد وغير ذلك.

بينما نجد عند المجموعة الثانية شكلا آخر من التفسير الصوفي بحيث يذكر إلى جانب التفسير الظاهر ما تشير إليه الآية من المباحث الفلسفية كما عند الخروبي الطرابلسي ومصطفى العلوي، بينما يقتصر الأمير عبد القادر على تناول مضمون الآية من جهة المعاني الروحية، والفلسفية التي تشير إليها الآية دون أن يكون في ذلك تجاوز على المعاني الظاهرة.

وأريد هنا قبل أن أعرض لنماذج من التفسير الصوفي في تفاسير الجزائريين أن أتطرق إلى التفسير الإشاري من جهة تعريفه وموقف العلماء منه. فهو من الجهة الأولى: تأويلُ القرآن بغير ظاهره، لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا. فهو صرفٌ للآية عما تفيده من المعاني الظاهرة، ومبرر ذلك الصرفِ وجودُ إشارة خاصة في نص الآية، وهي إشارة من جهة أخرى تظهر لقوم خاصين هو أرباب السلوك وعلماء التصوف. ثم هو من جهة أخرى لا ينافي المعنى الظاهرَ للآية بل مهما وجدت بينهما المنافاةُ وجب الجمع بين المعنى الظاهر الإشاري وهو أمر ممكن وقد حصل فعلا على رأي القائلين بالتفسير الإشاري.

كما أنه من المهم بعد التعريف السابق أن أستعرض آراء العلماء في هذا اللون من التفسير، فمنهم من أجازه وقد وجد فعلا حتى عند المفسرين الجزائريين هذا اللونُ من التفسير، وهم أشد الفئات محافظة وهروبا من البدع العلمية على الأقلّ، ومنهم من منعه وحملَ على القائلين به يحذر من تفاسيرهم عبر التاريخ. وإليك شيئا من أقوال العلماء لتعرف وجه الحق في ذلك:

ممن تطرق إلى حكم التفسير الإشاري الإمام الزركشي ففي كتابه البرهان في علوم القرآن يذكر :" كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} إن المرادَ النفسُ يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القربُ وأقربُ شيء إلى الإنسان نفسه."[1]. وهو لم ينسب هذا الرأي لقائل ولا ذكر له كتابا خاصا كمثال. وفي المثال المقدم يظهر جليا المعنى الذي اتكأ عليه المفسر بالإشارة هو معنى القرب الذي تشير إليه لفظة (يلونكم).

[1] – مناهل العرفان في علوم القرآن، المرجع نفسه. ج 2/ 79.

بينما كان ابن الصلاح في فتاويه كان أكثر وضوحا بحيث ذكر مثالا للمفسر بالإشارة، وإلى والمصدر بل قد أصدر حكما عقّب به على الحكم الغليظ الذي أصدره الإمام الواحدي المفسر الكبير المعروف. فقد قال ابن الصلاح ما نصه:" وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السُّلَمي حقائقَ في التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيرٌ فقد كفر. قال ابنُ الصلاح: وأنا أقول: الظنُّ بمن يوثق به منهم إذا قال شيئا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرا، ولا ذهب به مذهبَ الشرح للكلمة؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلكَ الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظيرٌ لما ورد به القرآن؛ فإن النظيرَ يذكر بالنظير، ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس." [1]. واعتذار ابن الصلاح إنما عن الذين وقع منهم هذا اللون من التفسير لكلام الله والمعروف انتماؤهم لأهل السنَّة، ووضوح خطهم في متابعة الكتاب والسنة، وسلامة هديهم من البدع العلمية التي تنسب إلى الباطنية؛ خصوصا المفسرين الجزائريين منهم كما أشرنا إليه سابقا.

ونظرا لخطورة تجاوز المعاني الظاهرة لكلام الله، والإحالة على معاني لها باطنية يختص بمعرفتها قوم دون قوم، فقد جعل علماء أهل السنة في عقائدهم مقرراتٍ تفيد كما قال النسفيُّ في عقائده أن " النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطل إلحاد اهـــ. قال التفتازاني في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية قال وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان."[2].

وتقرير الشارح لكلام المصنف ضروري لضبط حدود التفسير بما يضمن سلامة المعاني الظاهرة لكلام الله إذ هي عماد الشريعة، وتحفُّظه من إدراج المعاني المستفادة من نفس الظاهر بشيء من معاني الإشارة سليم أيضا لأنه يحفظ لمن سلك ذلك المسلك من أئمة الإسلام أقدَارهم، وينفي عن عقائدهم الزيغَ وعن سعيهم الخطل.

وللزرقاني المعاصر رحمه الله نصٌّ يضبط التفسير الإشاري أن يخرج إلى التفسير الباطني: " ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري، وبين تفسير الباطنية الملاحدة؛ فالصوفية لا يمنعون إرادةَ الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولا، إذ من ادعى فهمَ أسرار القرآن و لم يحْكم الظاهرَ كمن ادعى بلوغَ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غيرُ مراد أصلا، وإنما المرادُ الباطن وقصدُهم نفيَ الشريعة." [3].

---

[1] – مناهل العرفان، المرجع نفسه. ج 2/ 79.

[2] – مناهل العرفان، المرجع نفسه. ج 2/ 79.

[3] – مناهل العرفان في علوم القرآن، المرجع السابق.ج 2/ 79.

وقد تولى الدفاع عن هذا الشكل من التفسير مفسرون من داخل الخط، وهم ممن نقل عنهم نصوص كثيرة تفسر الآيات القرآنية والأحاديث بالمعاني الإشارية المستفادة من الظاهر. إذ نجد السيوطي في الإتقان عن ابن عطاء الله في لطائف المنن كلاما واضحا يفرق به بين تفسير الصوفية وتفاسير الباطنية، وطبيعة تفسير الصوفية فقد قال ما نصه: " اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم يقولون ذلك بل يقررون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما ألهمهم اهـــ."[1].

بل إن من المفسرين من لا يجعل ما يذكر عن الصوفية من قبيل التفسير بل من قبيل ما تصلح الآية أن تشهد له، فقد قال ابن عاشور أن ذلك منسوب لهم إذ قال: " أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات و لم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية."[2].

وسأختم هذا العنصر بما قاله ابن العربي المالكي في شأن التفسير الإشاري فهو يبين موقفَه؛ ففي كتاب "العواصم" لا يرى أن للقرآن باطنا غيرَ ظاهره على عكس ما تدعيه النّحلة الباطنية، وما هو مسطرٌ في " رسائل إخوان الصفا "، و لم يمنعه إجلاله لشيخه الغزالي في تصديه للرد على الباطنية والفلاسفة أن يخالفه في كثير من المناحي منها هذه الحيثية المذكورة من تجاوز المعاني الظاهرة للآيات القرآنية "وقد كان أبو حامد بدرا في ظلمة الليالي، وعقْدا في لِبَّة المعالي، حتى أوغل في التصوف، وأكثر معهم التصرف، فخرج عن الحقيقة، وحاد في أكثر أقواله عن الطريقة" اهـــ."[3].

وإن بعض المفسرين المعاصرين ليحملون في تفاسيرهم وبعنف على التصوف مرة وعلى أهله أخرى ولا يفوتون الفرصة في التشهير بأخطاء أهل الطريق، وبانحراف طريق الصوفية نفسه. ونحن نضرب أمثلة لذلك فعند الشيخ أبي بكر الجزائري وهو من خصوم الصوفية بالمحل المعروف يهمز إليهم مرة ويصرح مرات عديدة كما في النص التالي: " ويبين تعالى الحقيقة لرسوله والمؤمنين وهي أن هذه الدعوى اليهودية ما هي إلا فرية افتراها علماؤهم ليهوّنوا عليهم ارتكاب الجرائم وغشيان عظائم الذنوب، كما حصل للمسلمين في القرون المظلمة من تاريخ الإِسلام حيث أصبح مشايخ التصوف يُدَجِّلون على المريدين بأنهم سيستغفرون لهم ويغفر لهم. ثم قال

---

[1] – مناهل العرفان، المرجع نفسه. ج 2/ 79.

[2] – التحرير والتنوير، المرجع السابق. ج 1/ 32.

[3] – التحرير والتنوير، المرجع نفسه. ج 1/ 33، نقلا عن ابن عربي.

تعالى مستعظماً حالهم مهوِّلاً موقفهم: (فكيف) أي حالهم. (إذا جَمعْناهُم ليَوم لا ريبَ فيه) وهو يوم القيامة كيف تكون حالهم إنها حال يعجز الوصف عنها، (ووفيتْ كلُّ نفس ما كسبتْ) من خير أو شر وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم إن كانت لهم حسنات، ولا بالزيادة في سيآتهم وما لهم إلا السَّيئات."[1].

ويجد المطالع للتفسير عند الشيخ اطفيش رفضا لكلّ معنى من معاني التفسير بالإشارة، مما ينسب إلى الصوفية، ويظهر أن هذا الموقفَ هو عام عند مفسري الإباضية، لوجوده عند كثير من علمائهم بما فيهم المفسرون. فقد ذكرَ عند قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) بعد أورد ما ارتضاه هو من التفسير مما هو من قبيل الظاهر أن من المفسرين من قال " وقيل يتيماً درة يتيمة أي لا نظير لها أي لا نظير لك في قريش فآواك إليه وجعلك في صدفة اصطفاه؛ وهذا التفسير ومثله في القرآن مما لا يجوز." [2]. ولم يلتزم رده بشيء من أدلة البحث كما هي عادته في أقوال التفسير التي لا يرتضيها.

وفي نص ثان نجد الشيخ يعدد ما ورد عن الصوفية إذ لم ينسب ما ذكره إلى خصوص مفسريهم في معنى (والضحى والليل إذا سجى) ولا يتردد في رفضها فهو يقول: " وقد قيل إشارة لا تفسيراً (الضحى) وجهه – صلى الله عليه وسلم – و(الليل) شعره أو (الضحى) ذكور أهل بيته، (والليل) إناثهم أو (الضحى) رسالته و(الليل) زمان فتور الوحي أو (الضحى) نور علم الله الذي يعرف المستور من الغيوب و(الليل) عفوه الساتر للعيوب أو (الضحى) إقبال الإسلام و(الليل) إدباره، بدأ الدين غريباً ويعود غريباً أو (الضحى) كمال العقل و(الليل) زواله بالموت ولا يحل التفسير بشيءٍ من هؤلاءِ الإشارات."[3]. ولهوان هذه الأقوال عنده لم ينسبها لقائل بل صدرها بقيل التي هي عند كثير من أهل العلم للتضعيف، ولم يشغل نفسه كما هي عادته بردها من جهة اللغة وأصول الصنعة العلمية.

وفي نص ثالث يفسر الآية التالية بما يرتضيه ينسب إلى الصوفية قولا يراه شاذا عن صحيح التفسير ويغلظ لهم العبارة فهو يقول: " (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ) ألهمها، شبِّه الإلهام بما وضع له الإيحاء وهو الكلام الخفي، كما أخرج اللبن من بين الفرْث والدم، كذلك أخرج العسل من النحل، وزعمت الصوفية المبطلة – قبحهم الله – أن لسائر الحيوانات أنبياء ورسلا ووحيًا من الله عز وجل بالملائكة إليها، وكذا زعم بعض الحكماء أن لها نفوسًا ناطقة."[4]. وتعميم التقبيح الوارد في النص لا يختص بالتفسير الصوفي أو المفسرين منهم بل لعموم منهجهم الذي لا يراه اطفيش تعبيرا صحيحا عن حقائق الإسلام كما يأتي في نص لاحق.

وفي نص رابع بعد أن يفسر (يا أيها المدثر) بما يراه تفسيرا صحيحا للآية يذكر ما قاله الصوفية في تفسير لفظ (المدثر) ونص كلامه: " وقيل المدثر الغائب في حراء أو في ثيابه أو في صورة عن الحقيقة المحمدية أو عن أنظار الخلق فلا يعرف حقيقته إلا الله تعالى، والقولان للمتشدقين الصوفية قبحهم الله عز وجل يغيرون القرآن

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 159/1.

[2] – تيسير التفسير، المرجع السابق. ج 450/12.

[3] – تيسير التفسير، المرجع نفسه. ج 477/12.

[4] – تيسير التفسير، المرجع نفسه. ج 127/5.

عن ظواهره إلى ما هو خارج عن معناها."[1]. وهذا الغمز بالتشدق في طريقة فهم الصوفية للقرآن وما يدعونه لأنفسهم من الخصوصية في فهم القرآن وتأويله ليس آخر حد النقد عند اطفيش لكلام الصوفية بل مقدمة لتقبيح حالهم وتسفيه أقوالهم في كلام الله.

بل إن الشيخ اطفيش يجعل من أقوال التفسير عند الصوفية معيارا للخطأ في تفسير كلام الله فكل كلام للمفسرين يقرب من كلامهم وتفسير يشبه تفسيرهم فهو ضعيف؛ فقد قال عند تفسير قوله تعالى: " (هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْل) أن هذا رزقناه في الجنة هو الذي رزقنا الله في الدنيا من المعارف والطاعات، أي جزاؤها هو يتفاوت بتفاوتها في اللذة، ووجه الشبه والشرف والمزية وعلو الطبقة، فذلك كقوله جل وعلا{ ذوقوا ما كنتم تعملون} لكن هذا في الوعيد. وآية البقرة في الوعد وتفسيرها بهذا قريب من تفاسير الصوفية وبمقدار قربها منها يضعف لأن تفاسيرهم لم يأذن الشرع بها، وبها خرجوا عنه إذ اعتقدوا أنها معان نزل القرآن على إرادتها، أعاذنا الله – جل وعلا – والله أعلم."[2]. فتفاسيرهم في كلمة واحدة لم يأذن بها الله، كما عند تفسيره لقوله تعالى :" (لإلى الله تُحْشَرُون) أي تجمعون إلى محبوبكم أي إلى درء كرامتهن وهذا كلام صوفي أصلحته وذكرته، ولا يجوز تفسير الآية به ـــ تعالى كلام الله عن تفاسير الصوفية ـــ التي لا يقبلها الكلام، ولو صحت في المعنى."[3]. وهذا التعميم في رفض كلام الصوفية في التفسير ومنهم أئمة الإسلام، وكثير من معانيه صحيحة، ولا يلغي الظاهر ولا يتجاوزه إنما هو تحامل واضح لا يبرره سوى الموقف العام من التصوف وأهله والذي قد يكون مبنيا على اختلافات جزئية علمية كانت أو عملية.

وقاعدة الشيخ اطفيش في رد تفاسير الصوفية ومن ثم الحمل على سائر طريقهم العلمي والعملي نستفيدها من النص التالي " وقيل المعنى ومما خصصناهم به أنوار معرفة الله جل وعلا يفيضون ، وهذا القول والذي قبله أظنهما للصوفية أو لمن يتصوف، وليس تفسير الصوفية عندي مقبولا إذا خالف الظاهر، وكان تكلفاً أو خالف أسلوب العربية، ولا أعذر من يفسر به ولا أقبل شهادته وأتقرب إلى الله تعالى ببغضه والبراءة منه، فإنه لو كان في نفسه حقاً لكان جعله معنى للآية أو للحديث خطأ، لأنه خروج عن الظاهر وأساليب العرب الذين يتخاطبون بها وتكلف من التكلف الذي يبغضه الله."[4].

ونجد عند الشيخ بيوض وهو من المعاصرين حملا على رموز التصوف من القباب وتعظيم الوطن ففي تفسير قوله تعالى (بل اتبع الذين ظلموا أهواءكم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين) يقرن بين ضلال المشركين وأوهام القبوريين وهو جمع لا يوافق عليه وإن كان ما نص عليه من أوهام الطرقية مرفوضا: " في هذه الآية وغيرها من الآيات الصريحة من أن ضلال المشركين إنما هو آت من قبل أتباعهم للهوى، وتعلقهم بأوهام وخيالات في الأشجار والقباب والقبور، وفي الإنس والجن والملائكة، بدعوى أنها

[1] – تيسير التفسير، المرجع نفسه. ج 472/11.

[2] – هميان الزاد إلى دار المعاد، المرجع نفسه. ج 188/1.

[3] – هميان الزاد إلى دار المعاد، المرجع نفسه. ج 301/3.

[4] – هميان الزاد إلى دار المعاد، المرجع نفسه. ج 79/1.

تنفع وتضر فألهوها وعبدوها، وتقربوا إليها بقرابين حتى من بني البشر...ولا يزال الناس يقربون إلى اليوم ويقولون: هذه وعدتك يا سيدي فلان، ليطلق سراح سجين، أو يشفي مريضا أو أي شيء آخر. وينسون الله تعالى. وإذا جئت لتعظهم وترشدهم وتبين أخطاءهم وضلالهم، قالوا: إنا وجدنا آباءنا على هذا."[1].

وأنتَ تجدُ موقف الإباضية من تفسير الصوفية يندرج تحت الموقف العام لهم من الصوفية، وفي عنوان الكتاب التالي ما يؤكد ذلك " البراهين القطعية الفارقة بين الإسلام وديانة مشايخ الطرق الصوفية.". وهو عنوان صارخ وصادم لكثير من العقائد الصحيحة لأتباع الطرق الصوفية، ولأخلاقهم الإسلامية...مع وجود كثير من المنتقدات سواء كان ذلك في العقائد أو العبادات والأعمال.

وعلى خلاف مفسري الإباضية نجد مفسري أهل السنة يدرجون كلام الصوفية في كثير من المواضع من تفاسيرهم، وهذا اللون من التفسير الصوفي مختلف بين تفسير هو أشبه بالتوجيهات الأخلاقية، كما هو عند الثعالبي والسنوسي ومحمد بن علي الخروبي. والتفسير فلسفي يتجاوز الظاهر غير أنه لا يلغيه بل يتوسع في مدلول الظاهر بأحد أنواع الإشارة المتضمنة، كما هو عند الأمير عبد القادر ومصطفى العلوي، ومن قبلهم التجاني.

وأبدأ بالشيخ الثعالبي فإن منهجه وإن كان " منهجا تحقيقيا في أساسه وطابعه العام فإنه لم يخل من طابع صوفي واضح، إذ كان هو نفسه صوفيا سنيا لا يذهب مذهبَ الحلول والغوص في مذهب وحدة الوجود."[2]. فهو عند تفسير لقوله تعالى (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) [26 سورة الطور]: فهو يورد حديثا، ويثني على ذلك بنقل ما يشرح مضمونه من كلام أئمة التصوف كالغزالي وغيره: " وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إنَّ في الجَنَّةَ لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمْعَةٍ ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ ، وَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ : واللَّهِ ، لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ واللَّهِ ، لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً ".انتهى. وقد أشار الغَزَّاليُّ وغيره إلى طَرَفٍ من هذا المعنى، لَمَّا تكلَّم على رؤية العارفين للَّه سبحانه في الآخرة، قال بعد كلام: ولا يَبْعُدُ أَنْ تكونَ ألطاف الكشف والنظر في الآخرة متواليةً إلى غير نهاية ، فلا يزالُ النعيمُ واللَّذَّةُ متزايداً أبَدَ الآبادِ ، وللشيخ أبي الحسن الشاذلي هنا كلام حسن قال: لو كُشِفَ عن نور المؤمن لعبد من دون اللَّه، ولو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي لطبق السماء والأرض، فكيف بنور المؤمن المطيع؟! نقل كلامه هذا ابن عطاء اللَّه وابن عَبَّاد. انظره."[3]. ومن ذكرهم الثعالبي في هذا النص بالخصوص هم أئمة الصوفية، وقد سلّم كلامهم وهم أهل لذلك.

وفي نص آخر يعقب الثعالبي على ما ذكره من تفسير الآية بما نسبه لأئمة التصوف: " (تُ): وهذا كله تغليظٌ على المُرَائِينَ والمتصنِّعين، ولا خلاف أعلمهُ بين أربابِ القلوبِ وأئمَّةِ التصوُّفِ أن المُتَصَنِّعَ عندهم بهذه

---

[1] – في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج 227/10.

[2] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا للطرهوني، المرجع نفسه. ج 704/2.

[3] – تفسير الثعالبي، المرجع نفسه. ج 4/ 2.

الأمور مَمْقُوتٌ، وأما مَنْ غَلَبَه الحالُ لِضَعْفِهِ وقَوِيَ الوارِدُ عليه حتى أذْهَبَهُ عَنْ حِسِّه؛ فهو إن شاء اللَّهُ مِن السادةِ الأخْيارِ والأولياء الأبرار، وقَد وَقَعَ ذلك لكثير من الأخْيارِ يَطُولُ تَعْدَادُهم...ومن كلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في قواعده الصغرى قال: وقد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه، وإلجائها إياه إلى الصياح، وهو معذور في هذا. ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم في الشيء. وكذلك من اظهر شيئا من الأحوال رياء أو تسميعا فإنه ملحق بالفجار دون الأبرار."[1].

وأنقل هنا نصا لبعض الباحثين عن التفسير الصوفي عند الخروبي الطرابلسي وأكتفي بها إذ كان المراد الإشارة لا الاستيفاء التفسير الصوفي عند الخروبي: " عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى (والصافات صفاً)، يقول: قال ابن مسعود ومسروق وقتادة: أراد الملائكة التى تصف فى السماء فى عبادة الله . وعند قوله سبحانه وتعالى (فنادوا وَلاتَ حينَ مناصٍ). فقد امتلأ تفسير الخروبي بالتفسير بالمأثور والتفسير الإشارى بما أفاض الله عليه من علم ومعرفة وحكمة أو تيها. وقد استطاع أن يطبق بين التفسير بالظاهر، وبين الإشارات و لم يجنح فى تفسيره الإشاري عن الأصل الشرعي الذى أقره القرآن (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) [النساء:78].

والشيخ محمد على الخروبي رحمه الله عندما يضمن تفسيره النكات الصوفية إنما يذكرها بدون مغالاة فيها، فهو يحتاط ولا يرضي بالشطح فى كتاب الله جل جلاله، إذ هو من العلماء المحققين الإثبات وهو الواجب، إذ يتحتم على من يريد أن يستجلى الأسرار والأفهام الدقيقة من معانى القرآن الكريم، أن يتحرى فى التفسير مطابقة المفسر، وأن يتحرز فى ذلك من نقص عما يحتاج إليه فى إيضاح المعنى، أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى، وعدول طريقة، ومراعاة المعنى الحقيقي والمجازى إلى غير ذلك." [2].

ومن الإشارات الصوفية ما يقوله عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى (وإن يونس لمن المرسلين) [الصافات : 139]، تجده يقول : أيها العبد اجعل دار دنياك كبطن حوت يونس له فلا تنسي فيها ذكر مولاك لعله أن ينقذك من سجن هواك [رياض الأزهار 60/6]." [3].

وأذكر هنا ما للتجاني من ذلك فقد ذكر بعض تلامذته " وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه). فأجاب رضي الله عنه بقوله: أما في بساط الشريعة يعني ويحذركم الله نفسه بالخوف منه وعدم الأمن من مكره في جميع عطاياه من النعم، ودفع جميع المضار عنكم من النقم، وبسط ذلك عليكم على ممر الليالي والأيام. فاحذروا من مكره في ذلك الحال فإنه لا يأمن مكر الله إلا من حق عليه عذاب ذي الجلال. وأما في بساط الحقيقة ويحذركم الله نفسه يعني من البحث والاطلاع والكلب على كنه الذات؛ فإن ذلك غير لائق بكم لا تطيقون ذلك الأمر. فاحذروا من حلول نزول البلايا بكم بطلبكم ذلك الأمر وقفوا عند ما حد

---

[1] – تفسير الثعالبي، المرجع نفسه. ج 323/3.

[2] – الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي 198/4.

[3] – راجع رسالة ماجستير عن تفسير الخروبي، نور مكاوي. ص: 22، ط / 2002 ، وراجع أيضا: الشيخ الخروبي وتفسيره رياض الأزهار وكنز الأسرار: حياته ومنهجه مع تحقيق الجزءالأول من هذا التفسير، محمدحسين القدافي.

لكم من أمر الشارع صلى الله عليه وسلم. "[1]. فهو يفرق بين بساط الشريعة وما يعتمده من الظاهر، وبساط الحقيقة وما يبني عليه من الإشارة. والملاحظ أن سياق الآية لا يفيد المعنى الأخير من التحذير من البحث عن كنه الذات الإلهية إلا بتوسع كثير، ولا يظهر وجه الانتقال إليه من ظاهر الآية وسياقها.

وفي موضع آخر يتكلم التجاني عن نوعين من الأسماء ما هو داخل الكون منها وما هو خارج عنه، وأن ما هو خارج عن الكون منها غير منضبط بحد ولا تمكن الإحاطة به، وهو المجال الذي تتفاوت فيه رتب العارفين والأقطاب... كما هي عبارته " (وعلم آدم الأسماء كلها): " اعلم أن الأسماء التي علمها الله لآدم هي الأسماء التي يطلبها الكَوْن، والكلية المذكورة فيها هو إحاطته بجميع متعلقات الكون، حتى لا يشذ عليها منها شيء؛ يشهد بهذا قوله سبحانه وتعالى في كلية الأسماء حيث عرض صورة الكائنات على الملائكة وقال: (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) فدلت هذه الآية على أنها الأسماء التي يطلبها في الكون بدليل قوله أسماء هؤلاء وهي صور الأكوان. وأما الأسماء الخارجة على الكون فلا تمكن الإحاطة بها ولا نهاية لها. قال سبحانه تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه) فإن العارفين والأقطاب والنبيين والمرسلين مع فتحهم في المعرفة ينكشف لهم في كل مقدار طرفة عين من أسماء الله الباطنة أمر لا حد له ثم يبقون على هذا الحال أبدا سرمدا في طول عمر القيامة وفي طول عمر الأبد في الجنة بلا نهاية في كل مقدار طرفة عين ينكشف بهم من أسماء الله الباطنة ما لا حد له ولا غاية في طول هذه المدة. ولا نهاية لانكشاف الأسماء على طول أبد الأبد. فكيف يقال أحاط بها كلها وإنما الكلية في الأسماء التي يطلبها الكون فقط."[2].

وما ذكره أخيرا من أن معرفة الأسماء التي هي خارج الكون دائمة التجدد لدى العارف وأن ذلك ممتد إلى القيامة بل إلى الجنة وإلى الأبد بكلمة أخرى لا نراه ذكر له نصا من كتاب أو سنة بغض النظر عن صحته الشرعية؛ إذ التفسير مداره على النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين أو معاني اللغة.

وبالانتقال إلى الشيخ بن عليوة يعيد على عادة ما هو مقرر عند الصوفية من ادعاء الرمزية في الحروف والأسماء والأعداد فالحرف الواحد وخصوصا الباء من البسملة متضمن لكل القرآن فهو يقول: " فاتضح من هذا أن الحرف بانفراده قرآن بالنظر لما اشتمل عليه من المعاني، وفي رواية: لا أقول (ألـــم) حرف بل ألف حرف، واللام حرف، والميم حرف."؛ ولهذا ورد أنَّ ما في الكتاب في الفاتحة، وما في الفاتحة في بسم الله الرحمان الرحيم. وورد أيضا أن ما في البسملة في بائها، وما في الباء في النقطة التي تحتها. وقد كنت جمعت رسالة فيما يتعلق بهذا المعنى."[3]. وهو مناقش في كون مطلق الحرف في القرآن له معنى؛ إذ حروف المعاني في لسان العرب معدودة. وما ذكره من الروايات حول باء البسملة في ثبوتها كلام كثير للأئمة معروف في محله.

---

[1] – جواهر المعاني لابن حرازم، المرجع نفسه. ج 127/1.

[2] – جواهر المعاني، المرجع نفسه. ج 1/ 132.

[3] – البحر المسجور بن عليوة، المرجع نفسه. ج 11/1.

وحول علوم القرآن وما تضمنته آياته من المعارف يذكر بالمناسبة العامة أن علومه لا حد لها وأن الظاهر وما يفيده من ذلك قليل نسبة إلى ما ينكشف للناظرين إلى بواطن المعاني وما تفيده الآيات بالإشارة، فهو يقرر:" الفصل الثالث فيما يدل على أن في القرآن علوم ليست متعاطية فيما بين العموم: ولعل المتجمد على الظواهر لا يرى من كتاب الله إلا ما وصل إليه من جهة بضاعته القليلة، وقريحته الكليلة، وينكر ما وراء ذلك، ولم يعلم أن ما عرفه من ظاهر الكتاب إلا كمن عرف القشر من اللباب. ما وراء ذلك ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بشر."[1]. وليس فيما قاله قدح لما يفيده الظاهر من جهة المصداقية والكفاية لعموم المتعبدين، وما به صلاح حالهم في الجملة لكن الخاصة من الناظرين في معانيه يستفيدون من تكرار النظر عبر الزمان ما لم يفتح به على من تقدم وهو معنى أشار إليه المتقدمون ويظهر عبر التفاسير عبر القرون على الأقل من جهة حقائق الطب والفلك والتاريخ...

وليقين المفسر من اتساع بحر معارف القرآن فهو يتكلم عنها كلام الخبير بها ويعطي بالنسب مقدار المعاني المحصلة له ولغيره كما يفيده قوله بالنص: " ولا تحسبن ما رسمته هو مجموع ما فهمته بل ولا عشره، ومصداقه: القرآن لا تنقضي عجائبه." [2].

ومن قرأ هذا التفسير وغيره مما يشبهه من تفاسير الصوفية يدركُ مقدارَ ما كان يعانيه المفسر من توقع الإنكار والتخطئة من مخالفيه، وهو أمر يفتح باب الدعوى العريضة لدى المفسر نفسه إذ تراه بنصح مطالعي تفسيره بالتدرج في المطالعة واستيفاء ما رتبه من فصول " فمن أراد السلامة أن لا يشرع في هذا التفسير حتى يمر على فصوله حسب ترتيبها؛ لأنها كالسلم لتلقي أسراره، وليتذرع بحسن الظن ما أمكنه، ولا يقس ما يجد فيه على ما عنده، فإنه أبعد من التطابق؛ لأن كلام الروح يباين كلام البدن، فأكثره جاء بلسان الخصوصية الذي ليس لنا فيه كبير اكتساب إلا ما كان من قبيل التوجه والتلقي من حضرة الله." [3].

وقد بين طريقته في تناول الآيات، وأن ما يستفاد من جهة الإشارة يلي الظاهر المسلم، ثم يليه ما اختصه به المفسر عن غيره ممن خاض في معاني الآية أو تناولها من عموم المفسرين السابقين على اختلاف ألوان تفاسيرهم؛ فهو في هذا شديد الاعتداد بمواهبه، وذلك قوله: " ثم اعلم أنه ظهر لي في ترتيبه أن نذكر شيئا من التفسير الذي هو المقصود العام من كتاب الله، ثم نذكر ما يستنبط من أحكامه وهو أخص مما قبله، ثم نأتي بشيء مما توسع فيه الإشارة على مصطلح أهل الله. ثم نذكر كلاما أخص منه معبرا عنه بلسان الروح وهي أنهار أربعة تراهم قد علم كل أناس مشربهم." [4].

وأستعرض هنا ما ذكره الشيخُ العلوي تفسيرا للبسملة على الشكل الذي ارتضاه، وبالتدرج الذي سار عليه، فهو يتكلم عن سر الافتتاح بـــ(بسم الله الرحمان الرجيم) بما كلام واضح مسلم في الجملة فتحت عنوان

---

[1] – البحر المسجور، المصدر نفسه. ج 12/1.

[2] – البحر المسجور، المرجع نفسه. ج 20/1.

[3] – البحر المسجور، المرجع نفسه. ج 20/1.

[4] – البحر المسجور، المرجع نفسه. ج 30/1.

" الكلام في بسم الله الرحمان الرحيم. أقول: أن افتتاح الكتاب العزيز بالبسملة لفظا وخطا فيه ما يشعرنا بلطف الله بعباده، وإن مع إعراضهم عنه، وذلك أن التالي أو القارئ لكتاب الله مهما يرسل طرفه ويحرك لسانه إلا ويلتصق بـــ: بسم الله الرحمان الرحيم، فيكون ذاكرا للاسم متبركا به من حيث لا يشعر قصد أو لم يقصد حبًّ، أم كره بخلاف ما لو لم نؤمر برسمها لتشعبت المقاصد، واستحكمت الغفلاتُ فقد ينساها قوي الإيمان، ويتعلل المنافق بالنسيان. ولما تعينت كتابة وقراءة رفع الاحتمال.". وأيضا عند بيان مشروعيتها قبل القراءة بالخصوص ينص على معان دارجة معروفة مضامينها، وإن كانت صياغة تلك المعاني تختلف بين مفسر وآخر بل بين كاتب وآخر.. فهو يقول: " ثم إنَّ الحكمة في مشروعيتها عند كل فعل ذي بال يقضي برفع امتياز الجبابرة حتى لا يبقى جبروت لأحد على الآخر لأن الأمم غير الإسلام كانت قديما وحديثا تتبرك بذكر ملوكها وأمرائها حتى إذا أراد أحدهم أن يتناول مشروبا مثلا يتناوله باسم الملك والأمير، وبالأخص إذا كان بحضرته. ولما جاء الإسلام بالتساوي بين أفراد الإنسان وأن لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله أمر الشارع أن لا يذكر اسم عند فعل ذي بال إلا اسم الله إلا إذا كان الفعل غير مأذون فيه من جهة الشرع فجل اسم الله أن يكون ذارعة لفعله. والحكمة في ذلك لكونه تعالى لم يأذن فيه، فكأنه يقول لفاعله أنا ما شرعته لك، ولا أذنت فيه، فأنت شرعته لنفسك، فافعله باسمك لا باسمي. فمن شرع شرعا نسب إليه." [1]. والالتصاق الذي ذكره للباء عادة المفسرين أن يذكروه معنى لغويا من جملة معاني هذا الحرف، زيادة على المصاحبة والتبعيض. غير أن يضيف الالتصاق إلى الذات الإلهية على اعتبار أن اسم (الله) هو عين مسماه: " ثم إن الباء في بسم الله الرحمان الرحيم جاءت للإلصاق فهي ملتصقة بالله لأن الاسم غير فاصل بينهما؛ لكونه عين المسمى عند القوم وجمهور الأشاعرة فصار الابتداء بالله فمنه بدأ الأمر وإليه يعود." [2].

ويزيد هذا المعنى المشار إليه تفصيلا وتعميما لمضمونه، بأن " الالتصاق" المذكور يفيد أن الكون كله مشمول بهذا الالتصاق، ولما كان كلامه عن الالتصاق مشعرا بالجسمية، سارع إلى نفيها، مقررا عقيدة الأشاعرة في تنزيه الله عنها، وعن مماسة الحوادث فهو يقول تحت عنوان " الإشارة: إن التصاق الباء باسم الجلالة مع أنها ليست من أبنيته فيه ما يشعرنا بأن جميع ما في الوجود على اختلاف الحقائق وتباين الطرائق إلا وهو ملتصق بالله. ولا تفهم أنه مماس له فجل ربنا أن يماسسَه شيء من الحوادث؛ وإذن لتلاشى الحادث لعدم ثبوته مع من له وصف القدم إنما نعني به التعلق والتحقق والمعنى إنه قائم بالله لا بنفسه فوجوده مستعار من وجوده على موجده على حد ما قيل:

من لا وجود لذاته من ذاته ○○○ فوجوده لولاه عين محال." [3].

---

[1] – البحر المسجور، المرجع نفسه. ج 32/1.

[2] – البحر المسجور، المرجع نفسه. ج 32/1.

[3] – البحر المسجور ، المرجع نفسه. ج 34/1.

ويزيد باب الإشارة فتحا ليستفيد من استطالة حرف الباء في (بـــسم الله)، وهو شيء تابع لرسم القرآن، دلالة لا شك فيها على الأقل عنده من أن الملتصق بالله ـــ على المعنى المقرر ـــ من أهل الله، صاحبُ درجة على غيره، وأن قيام الباء مقام الألف المحذوفة من اسم الجلالة (بسم) هو المخصوص بمقام الخليفة لميراث النبوي، وهو ما عبر عنه بالوارث المحمدي: " وأما استطالة الباء وخروجها عن مقتضى عادتها فليس ذلك لاتصالها بالاسم الباء وخروجها عن مقتضى عادتها فليس ذلك إلا لاتصالها بالاسم، فالمتصل بالمسمى من أهل الله أولى بالارتفاع على أبناء جنسه. وأما نيابتها عن الألف المحذوفة من الاسم تشير إلى نيابة الوارث المحمدي. "[1]. وواضح أن ما قرره تحت عنوان الإشارة لا يخصه، وقد لا يسلَّم له، لضعف تعلق المعاني المشار إليه بظاهر الآية، وما تفيده مباني ألفاظ الآية من الدلالات.

وإذا كان مجموع من قدمنا يلتزمون ذكر ظاهر ما تفيده ألفاظ الآية وهم بعد تسليم هذا الظاهر يبنون عليه من جهة التوسع فيما يفيده من المعاني وإن كان ذلك التوسع يكون غير ذا علاقة واضحة كما قدمنا قريبا عند الشيخ العلوي فإن الأمير عبد القادر لا يلتزم في تفسيره ذكر ما قيل في الآية من جهة الظاهر بل هو بعد تسليمه في الجملة يهتم باستيفاء ما تشير إليه من المعاني بالمصطلح الصوفي، ففي تفسير قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم) يقول:" اليتيم هو من عرف منه أستاذه بالفراسة النورانية الاستعداد والقابلية وأنه يكون منه رجل فيما يأتي من قولهم درة يتيمة: أي ثمينة لها بالٌ وقيمة. وكلّ من ادخر له أبوه العقل الكلي كنزا في استعداده، مخبأ تحت جدار جسمه فهو يتيم. أعني فاضلٌ بالنسبة إلى ما دونه."[2]. وإذا كان هذا الكلام مسلم عند أهله بالمعنى الذي يتداولونه، وبالمصطلح الذي يتعارفونه فإنه من الصعب رد إلى الظاهر.

وفي موضع آخر أكثر وضوحا نجد الأمير عبد القادر يوغل في الإشارة ويبالغ في التوسع، وحمل الألفاظ عل المعاني البعيدة. فإذا كان الحمار في قصة لقمان معلوم الدلالة ظاهرها والكلام مسوق أصل لصوت الحمال لا لعقله، فإن حمل الحمار وما عطف عليه من الصوت على المريد يتكلم بالكلام الصوفي خصوصا في الجناب الإلهي بما لا يحسن له معنى فيتقلب ذلك عليه، وعلى شيخه لا يظهر هذا الحمل سالما من الاعتراض لضعف الإشارة المعتمد عليها. ونص كلامه عند قوله تعالى (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير): " هو المريد يتكلم بالحقائق قبل إدراكه، أو أن الكلام والنهي الوارد في الآية هو للمشايخ الذين لهم أتباع مريدون، ربما وضعوا الأسرار في غير موضعها، أذاعوها لغير أهلها... وقد شاهدنا في زماننا من المريدين من سمع بعض أسرار الألوهية وبعض الحقائق من مشايخهم فصاروا يتكلمون بها في المجالس العامة، وظهرت منهم أمور فظيعة من الجسارة والقباحة، والتهجم على الجناب الأعلى الإلهي، والتكلم بكلمات ما عرفوا لها أصلا، ولا ذاقوا لها

[1] – البحر المسجور، المرجع نفسه. ج 34/1.

[2] – المواقف، للأمير عبد القادر. المصدر السابق. ج394/1.

طعما؛ بل نظن والعلم عند الله أن مشايخهم إنما تلقفوها من الكتب أو من غيرهم، وما ذاقوا لها طعما ولا عرفوا لها حقيقة؛ إذ لو عرفوا حقيقتها لصانوها."[1].

ولبيان هذا اللون من المعالجة الصوفية للآيات الكريمة وإن كانت كثيرة وظاهرة عند الأمير عبد القادر نسجل هنا أنه ليس وهده في ذلك وأن الشيخ أحمد العلوي قد تكرر له ذلك مع فارق أنه يذكر ما يفيده ظاهر الآية. ونحن ننقل هنا مثالين عنه الأول عن المناسبة بين النجم والنفس المحمدي في تفسير قوله تعالى (والنجم إذا هوى) " فأقول: أن المقسم به كناية عن نور ثاقب، تنتهي فيه الأنوار، وتستمد منه البصائر والأبصار. ولا يصرف بهذا الاعتبار إلا النفس المحمدي والروح الأبدي، ولكل امرئ ما نوى ولكل قلب ما حوى. قال الله تعالى (والنجم إذا هوى) والمناسبة أن نقول: وجه الشبه بين النجم والنفس المحمدي وجود الاهتداء في كل منهما زيادة على النور المتحد فيهما. والمعنى أن النجم يُهتدى به بسبب هويّه وعروجه، ولولا ذلك لما اهتدى به، فصار ميله وانتقاله من لوازم الاهتداء فكذلك النفس المحمدي يهتدى به بسبب ميله عن مركزه الأسنى الذي هو التوجه والتلقي من الألوهية إلى ما لا بد منه من لوازم البشرية والأمور الاختصاصية فيكون في ذلك أسوة واهتداء للمقتدي."[2]. وهذا الذي ذكره من وجه المناسبة من المعاني المحتملة وشاهدها من المعاني العامة موجود. لكنه لا يحل محل الظاهر، ولا يدانيه، ولا يلزم من لم يسلم وجها لتفسير الآية وإن كان يسلمه من جهة شواهده العامة.

والمثال الثاني ما قاله العلوي حول معنى الهوى عند قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى) فقد قال: " فالمتبادر من الفهم أنه لا يتكلم بالقرآن عن هوى نفسه، والأعم من ذلك أنه لا يفعل فعلا ما من سائر الأفعال الظاهرة والباطنة إلا والله سبحانه وتعالى هو الفاعل به فيها(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)، ومن ذلك قوله (أبصر به وأسمع). ثم أقول أن الأحسن من تفسير الهوى أنه المحبة، وعلى هذا يحمل قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى)، أي لا يفشي ما أكنه فؤاده من أسرار المحبة التي خصص بها دون بقية البشر، وقل من يطيقها. حتى قيل في قوله تعالى (نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة)، أنها المحبة."[3]. وذا مخالف لما ذكره المفسرون من تفسير الهوى بالمعنى الظاهر الذي هو الصفة النفسية المذمومة.

وأزيد مواضع من تفسير ابن باديس ويحمل على القبوريين باعتبار تراثهم ينتمي كثير منه إلى الطرق الصوفية ومن ثم إلى خط التصوف عموما؛ فو يحملهم مسؤولية ما أصاب الأمة من الضلال الحاصل بسبب الترويج لأضرحة المشايخ وقبورهم والأضرحة المقصودة بالدعاء والنذر المنهي عنه شرعا أشد النهي. فقد قال عند قوله تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)

---

[1] – المواقف، المصدر نفسه. ج 392/1.

[2] – لباب العلم في سورة النجم، أحمد بن مصطفى العلاوي (المطبعة العلاوية – مستغانم– الجزائر. الطبعة الثالثة) ص/06.

[3] – لباب العلم العلم في سورة النجم، المرجع نفسه. ج ص/14.

[الإسراء: 56 -57]. ". تطبيق: إذا علمت هذه الأحكام، فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال: فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون. ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب، أو ظلمت بها المساجد فيدعون من فيها، ويدقون قبورهم، وينذرون لهم، ويستثيرون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعم، فكيف يتركونهم؟؟ وقد يهددونهم بقطع الزيارة، وحبس [النذور]. وتراهم هنالك في ذل وخشوع وتوجه، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم!! فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعوين، وإن لم يعتقدوها عبادة؛ إذ العبرة باعتبار الشرع، لا باعتبارهم. فيا حسرتنا على أنفسنا كيف لبسنا الدين لباساً مقلوباً، حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال."[1].

وما ذكره من مثل هذا السعي الباطل اتجاه سكان القبور كان شائعا ومتبعا بلا نكير عبر قرون طويلة، لم تمنع منه الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة والعقائد الواضحة التي قررها علماء الإسلام وحملوا فيها على صور الشرك الظاهر مما قد يصيب المجتمع المسلم. بل وجد من أشباه العلماء وأدعياء العلم من يدافع عنه مرة بالسكوت على العامة استرضاء لهم وأخرى بالحمل على المنكرين له. وتكاد التفاسير وهو ما يهمنا هنا أن تسكت عنه إلا قليلا باعتبار أنها جانبت قضايا الواقع في كثير من تفاصيله.

وليس معنى مجانبة المفسرين لمباحث التصوف التنكر لحقائقه الصحيحة، ومضامينه السليمة بل نجد معالجة للآيات الكثيرة بنبرة أخلاقية مستمدة من الإسلام موافقة في كثير من مناحيها لتوجيهات التصوف السني ومشايخه؛ فهذا ابن باديس وهو بصدد بيان ما في القرآن من الأخلاق مع التحذير من خطه الأعجمي، وأيعاده الفلسفية فهو يقول: " وبين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومساوئ الأخلاق ومضارها، وبين السبيل للتخلّي عن هذه والتحلّي بتلك، مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخيبة بتَدْسيتها فهجرنا ذلك كله، ووضعنا أوضاعا من عند أنفسنا، واصطلاحات من اختراعاتنا، خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلى الغلو والتنطُّع، وعن السنة البيضاء إلى الأحداث والبدع، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمي، والتخيل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح الإسلام، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها، ومعارضة هداية القرآن بها."[2].

وفي نفس الجيل تقريبا وبنفس النبرة في الإنكار والحمل على صور الضلال التي كان المجتمع الجزائري يغرق فيها كغيره من المجتمعات الإسلامية إلى عهد قريب نجد الشيخ اطفيش يضمن تفسيره في مواضع متعددة الحمل على الطواف بغير الكعبة وذلك عند قوله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق)، فهو يقول: " ولا يجوز

[1] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 119.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 174.

الطواف بغير الكعبة ولو بالمسجد النبوي، ولو ببيت المقدس، وأهل " يَسْجَن " يطوفون بمسجد عند شعبة يقال لها " موم "، وبمسجد فوق جبل أبي العباس، ويطوفون بهما سبعاً وتعظيما وتبركا وتضرعا، وهو بدعة محرمة، وكذا أهل " غار داية " يطوفون سبعا بمسجد، ويطوفون سبعا بسارية في ، وأظن ذلك قد ترك، ولا حجة لذلك فهو حرام، وذلك عجيب يطاف على مسجد كأنه كعبة، ولا يخافون العقاب، ومثل ذلك ما يفعله أهل المغرب الأقصى من محاكاتهم أضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام، من جعل الكسوة لها، وتحديد الحرام، على مسافة معلومة، بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم أمناً، وسوق الذبائح لها على هيئة الهدى ، واتخاذ الموسم كل عام."[1]. والشيخ بمثل هذا التعرض يكون قد لامس في تفسيره بعض قضايا المجتمع المعقدة ورد علاجها إلى الآيات القرآنية التي هو بصددها وفي ذلك من بيان الحق ما لا يخفى، وبيان حكم الله القاطع في مثل هذه الضلالات السائدة على مرأى ومسمع من المشايخ، وقد خلت غالب تفاسير القرون المحددة من هذا الصدع بالنكير على واقع الضلال الذي كان سائدا وغالبا، والتعرض له في التفسير أكثر وقعا وفاعلية من التعرض إليه في الفتاوى أو التآليف ذات الموضوعات العامة.

سادسا– التفسير وقضايا اللغة في القرآن الكريم.

للعربية بمختلف مباحثها حضور واسع في عمل المفسرين على اختلاف عصورهم، وفي مختلف اتجاهاتهم، ومهما قلَّتْ مقادير التفسير فلا تكاد تغيب مباحث المفردات، والاشتقاق والإعراب، والبلاغة... وأعمال الجزائريين في التفسير لم تشذَّ عن هذه القاعدة. فقد تطرق جملة المفسرين إلى تحديد معاني المفردة القرآنية اتحد معناها أو اختلف. بل قد وضع الإمام الثعالبي ملحقا بتفسيره حول غريب القرآن... وتناول المفسرون إعراب القرآن فردوا على الزمخشري وأبي حيان، كما فعل الشاوي خصوصا، والشيخ اطفيش...كما قاربوا بلاغة القرآن فتعقبوا الكشاف وهو عمدة الباب، زيادة على تعقبهم إياه في منحاه الاعتزالي. ولكنهم لم يلامسوا مباحث الإعجاز إلا من خلال المعالجة النظرية ذات النتائج الجاهزة من أن القرآن معجز بلفظه ومعناه، وقد تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم العرب وغيرهم، وأن إعجازه متنوع إلى علمي وتاريخي...

والذي يهم هنا هو التمثيل لجملة من المفسرين والذين تغطي أعمالهم فترات زمنية واسعة، وقد التزموا جميعا عند تفسير كل آية أن يجتهدوا في التحديد الدقيق لمدلول المفردة القرآنية سواء عن طريق التعرض لاشتقاق مختلف مادتها اللغوية، أو الاكتفاء بتحديد المعنى اللغوي بتقليد غيرهم من اللغويين أو المفسرين. وربما تعقبوا بعض هذه التحديدات بالتخطئة أو التقييد على ما سيأتي.

[1] – تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش، المرجع نفسه. ج 6 / 310.

1- تحديد مدلول مفردات القرآن: ففي تفسير قوله تعالى ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ من سورة الفاتحة تعرض الثعالبي إلى مدلول كلمة (العالمين) " والعَالَمُونَ: جمع عَالَمٍ، وهو كل موجود سوى اللَّه تعالى، يقال لجملته: عَالَمٌ، ولأجزائه من الإنس والجن وغير ذلك عَالَمٌ، عَالَمٌ، وبحسب ذلك يجمع على العَالَمِينَ، ومن حيثُ عالَمُ الزمانِ متبدِّلٌ في زمان آخر، حَسُنَ جمعها. ولفظة العالَمِ جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، وهو مأخوذ من العَلَمِ والعلامة؛ لأنه يدل على موجده؛ كذا قال الزَّجَّاج. قال أبو حَيَّان: الألف واللام في العَالَمِينَ لِلاستغراق، وهو جمعُ سلامة، مفرده عَالَمٌ، اسم جمع، وقياسه ألا يجمع، وشذَّ جمعه أيضاً جمع سلامة؛ لأنه ليس بعَلَمٍ ولا صفةٍ. (م): وذهب ابنُ مالك في «شَرْحِ التَّسْهِيلِ» إلى أن ﴿عَالَمِين﴾ اسم جمعٍ لمن يعقل، وليس جمع عالمٍ؛ لأن العَالَمَ عامٌّ، و «عالَمِينَ» خاصٌّ، قلت: وفيه نظر.انتهى."[1]. فأنت تراه بعد أن استعرض أهم ما قيل في مدلول هذه المفردة، مصحوبا بتصريفها، وسمى بعض من اختار ذلك عقب على ما نقله عن ابن مالك، وهو يدل على شخصية الثعالبي العلمية، في تبني ما قام الدليل على صحته، وإنما منعه من التفصيل النظر المذكور أن المحل محل اختصار كما هي عادته، وقد صرح بذلك مرارا.

وفي موضع آخر يستفيد الثعالبي من إجماع المفسرين حقيقة علمية تعين المفسر، وتسمح بتوسيع المدلول اللغوي للمفردة القرآنية، حيث أن إجماع المفسرين على تحديد مدلول ما للفظة قرآنية لا يمنع تعدد معانيها، وهو أمر مهم وباب في استثمار المعاني القرآنية على ما تقتضيه الشروط العلمية فقد قال حول كون السلوى بمعنى العسل: " (ص): قال ابن عطيَّة: وغلط الهُذَلِيُّ في إطلاقه السلوى على العَسَلِ؛ حيث قال: [الطويل]
وَقَاسَمَهَا باللَّهِ عَهْداً لأَنْتُمُ... أَلَذُّ مِنَ السلوى إِذَا مَا نَشُورُهَا.
(ت): قد نقل صاحبُ المختصر؛ أنه يطلق على العَسَلِ لغةً؛ فلا وجه لتغليطه؛ لأنَّ إجماع المفسِّرين لا يمنع من إطلاقِهِ لغةً بمعنى آخر في غير الآية. انتهى.."[2].

وتعرض الشمني إلى المفردتين معا من قوله تعالى (رب العالمين)، فعدد من معانيه على ما هو المعروف في كتب اللغة ، ومتداول في كتب التفسير من أنه الملك والمالك والسيد والمربي، وكذلك تتسع له مفردة (ربٍّ)، دون أن يقتصر على معنى دون آخر، فقال: الرب لغة يطلق بإزاء معان خمسة أحدها المعبود، ومنه قول الشاعر:
أربٌّ يبولُ الثُّعْلُبانُ برأسه *** لقد ضلَّ من بالتْ عليه الثعلبان.

وثانيها: الملك، ومنه قول صفيان بن أمية يوم حنين لأخيه لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن. وثالثها القائم بالأمور المصلح لما يفسد منها... ورابعها: السيد المالك كقولهم رب الدار والعبيد. وخامسها: المربي... ولا شك أن الله عز وجل يطلق عليه رب بجميع هذه المعاني كلها لكونه معبودا

[1] - الجواهر الحسان للثعالبي، المرجع نفسه. ج 1 / 01.
[2] - تفسير الثعالبي، المصدر نفسه. ج 1/ 36.

ومالكا للعالم ومربيا له وقائما بالأمور ومصلحا لما يفسد فيها. وربٌّ مصدر ربَّ يرُبُّ فهو ربٌّ كما يقول نمَّ عليه ينُمُّ فهو نمٌّ مثل برٌّ."[1].

والمفردة الثانية تراه يقرر بحسم أنه جمع مفرده عالم، فقد قال " (وأما العالمين) فلا جرم أن العالمين جمع عالم وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، والكلام فيه يتعلق بأبحاث ستة. أحدها في حقيقته لغة، وثانيها في حقيقته اصطلاحا، وثالثها في أقسامه، ورابعها في بيان الشيء الذي اشتقَّ منه، وخامسها في فائدة جمعه، وسادسها: في بيان علة جمعه بالواو والنون مع أنه اسم غير صفة."[2]. وتركت التعرض لما عنون له من المباحث اكتفاء بالإشارة إلى طريقته في ذلك، وهو قدر كاف للبيان.

وأما السنوسي فقد اختصر ما فصله شيخه الثعالبي، واكتفى بالتأكيد على أنه جمع عالم، وجُمع لاختلاف أنواعه فقد قال: " والعالَمون: جمعُ سلامة على غير قياس، مفرده عالَم، وهو كل موجود سوى الله تعالى. جمع إشارة إلى اختلاف أنواعه وأشكاله."[3]. وهو قدر كاف للتوضيح، وكذلك فعل تلميذه المغيلي فقد اختار ما استقر عليه جملة المفسرين بعد طول بحث واستعراض إذ " (العالَمون) عنده " جمعُ عالم وهو كل موجود سوى الله مأخوذ من العلم والعلامة لأنه يدل على أسماء خالقه، فيقال لجملة الكون عالم فلا يثنى ويجمع بحسب ذلك."[4].

حتى إذا تقدمت على مسافة تزيد على القرنين من الزمان طالعك الشيخ أبو راس الناصري في تفسير نفس اللفظتين الشريفتين وقد التزم الاختصار في عمله بنفس ما هو مقرر، ومعروف عند المفسرين السابقين على اختلاف في العبارة فقد ذكر ما نصه: " ﴿ربِّ العالمين﴾ أي مالِك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدوابِّ وغيرهم. كلٌّ منها يطلقُ على عالَم، يقال عالَم الإنس وعالم الجن، ونحو ذلك. وغلبَ في جمعه بالياء والنون أولي العلم على غيرهم. وهو من العلامة اسمٌ لما يُعلَّم به كالخاتم، والغالب[5]، فهو علامة على موجده سبحانه وتعالى. وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع."[6].

هذا عند من نصطلح على تسميتهم بالمتأخرين من المفسرين، وأما عند المعاصرين منهم فلم يكن من طريقتهم تشقيق المباحث، والاستكثار من الأقوال ومن ثم الاشتغال بالتعقيب عليها، بل جهد الواحد منهم أن يختار ما يراه أقرب إلى الظاهر، وما يفيد القارئ المعنى من أقرب طريق. انظر إلى الشيخ أبي بكر الجزائري في نفس المفردة الشريفة، فقرر بأن (عالمين)" جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى، كعالم الملائكة وعالم الجن

---

[1] – الأمور الناجحة في كشف اسرار الفاتحة، للشمني، المصدر نفسه. لوحة 27.

[2] – الأمور الناجحة، المصدر نفسه. ج لوحة 27.

[3] – المواهب القدوسية للملالي، الباب الخامس، المصدر نفسه.

[4] – تفسير الفاتحة للمغيلي. مخطوط خاص لوحة: 03.

[5] – كذا بالأصل.

[6] – الإبريز والإكسير، لأبي راس الناصري، المصدر نفسه. لوحة:03.

وعالم الإنس وعالم الحيوان، وعالم النبات.".[1]. مكتفيا بذلك فيه وفيما شابهه من المفردات. وهو عمل يحتمله قارئ التفسير الحديث.

هذا حيث تكون المفردة القرآنية ذات معنى إما متحد المدلول أو تتنازعه معان أخرى، تتفق أو تختلف. وأما حينما يتعلق الأمر بالحروف المقطعة التي وردت في بداية كثير من السور، والتي طال الاختلاف حول معناها فأنت تراه يجنح إلى التزام تفويض معانيها إلى الله سبحانه وتعالى، ويرى ذلك أسلم لقارئ القرآن مهما كانت درجته في العلم فقد قال عند قوله تعالى { آلم } " أحسن أوجه التفسير لمثل هذه الحروف القول بأن الله اعلم بمراده به، مع الإشارة إلى أنه أفاد فائدتين الأولى أن هذا القرآن المؤلف من مثل هذه الحروف المقطعة قد عجز العرب على تأليف مثله فدل ذلك على أنه وحي الله وتنزيله، وأن من نزل عليه نبي الله ورسوله وأن ما يحمل من تشريع هو حاجة البشرية ولا تصلح ولا تكمل ولا تسعد إلا به وعليه، والثانية أنهما لما كان المشركون يمنعون من سماع القرآن مخافة تأثيره على المستمع له جاء تعالى بمثل هذه الفواتح للعديد من سور كتابه فكانت تضطرهم إلى الاستماع إليه لأن هذه الحروف لم تكن معهودة في مخاطباتهم ."[2]. وسيجري على هذا الاختيار كثير من المفسرين المعاصرين.

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 01.

[2] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 221/3.

2- التصريف والتوجيه النحوي:

ألف كثير من العلماء في إعراب القرآن، ومن هؤلاء أبو العباس المقري، واختصر الشيخ التنلاني المصون لابن السمين، على أن كثيرا من المفسرين خصوصا المتقدمين منهم، والشيخ اطفيش من المتأخرين، ومن المعاصرين الشيخ التواتي ضمنوا تفاسيرهم التصريف والإعراب. وقد يطول ذلك عند مفسر ويختصر ذلك اختصارا عند آخر. ويدل ذلك على مدى أهمية الجانب اللغوي في التفسير، وضرورة إلمام المفسر بقواعدها.

والغرض هنا أن أمثل لذلك من مختلف التفاسير التي عثرت عليها، وأبين من خلال ذلك أن المفسرين الجزائريين أسوة بغيرهم من المفسرين، وعلى قدم البحث والتحقيق قد أسهموا في خدمة القرآن ومن ثم اللغة العربية إذ ضمنوا تفاسيرهم مقادير غير قليلة من ذلك. بل إن يحي الشاوي أقام من تفسيره ميزانا حاكم فيه ما انتهى إليه البحث اللغوي في كتب لها شأن كبير في ميدان التفسير واللغة العربية عموما وهي كتاب الكشاف، وكتب تفسير أبي حيان، والمحرر الوجيز لابن عطية. وهي كتب حجة في الأبواب التي تخصصت فيها، وأصحابها فرسان الحلبة كما يقولون.

وأبدا بالبسيلي عند قوله تعالى (الرحمان الرحيم) بعد أن استعرض كلام من سماهم في النص الذي ننقله بعدُ، وتركَ التعقيبَ على ما فيه دليلا على تبنيه لما انتهى إليه البحث فيها من تقريرات علمية، فقد قال ما نصه: " وحكى ابن الحاجب في الأصلي[1]، لما عرّف الحقيقةَ والمجاز أن ﴿الرحمان﴾ خاصّ، والمشترك إنما هو رحمانُ اليمامةِ بالإضافة. وذكر الأصوليون (الرحمان) مثالا للمجاز الذي ليست له حقيقة. قال ابن الحاجب: ولو قيل: لو استلزم المجازُ الحقيقةَ لكان بنحو الرحمان حقيقة، ولنحوها[2] كان قويا. ابن هشام المصري: الحقُّ قول الأعْلَمِ وابن مالك ﴿الرحمان﴾ ليست بصفة بل علَم. وأما قول الزمخشري: إذا قلتَ: اللهُ رحمانٌ، هل تصرف أمْ لا؟ وقول ابن الحاجب: اختلف في صرفه، فخارجٌ عن كلام العرب من وجهين: أنه لم يستعملْ صفةً، ولا مجردا من " ألْ". ويبين علَميتَه أنه في البسملة ونحوها بدلٌ لا نعتٌ، وأن ﴿الرحيم﴾ بعده نعتٌ له لا نعتٌ لاسم الله سبحانه؛ إذ لا يتقدم البدلُ على النعت. وأن السؤال الذي سأله الزمخشري وغيره: لـــمَ قُدم الرحمان مع أن عادتهم تقديم الأبلغ كقولهم: عالِم نِحْريرٌ، وجواد فيّاض غير متّجه. ومما يوضح لك أنه غير صفة مجيئه كثيرا غير تابع نحو ﴿الرحمانُ علم القرآن﴾، ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمانَ﴾، ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمان قالوا وما الرحمانُ﴾. قال: وقول الشاطبي: تبارك رحمانا رحيما ومَوْئلا، نصبَ رحمانا بإضمار أَخُصُّ أو أمدحُ، ورحيما حالٌ منه لا نعتٌ له، ولا تمييزٌ لما ذكرنا، وجعلَهما بعضُهم تميزَيْن وهو خطأ؛ لأن التمييزَ لا يتعددُ بخلاف الحال فإنها تتعددُ. وقيل إن رحمانا حالٌ، وحذف " ألْ " من رحمانا للضرورة. الفخرُ: وقيل إن عمر بن عبد العزيز خرج إلى المصلى يوم العيد فلما صلى قال: اللهم ارحمني، فإنك قلتَ: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾، فإن لم أكن منهم فأنا من الصائمين، وقلتَ ﴿والصائمين والصائمات أعد الله لهم مغفرة وأجرا

---

[1] - المختصر الأصلي كتاب لابن الحاجب مشهور في أصول الفقه.

[2] ـــ كذا بالأصل.

عظيما﴾، فإن لم أكن منهم فأنا من المؤمنين ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾، فإن لم استوجبْ ذلك فأنا شيءٌ، وقلتَ ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾، فإن لم أكن كذلك فأنا مصابٌ حيث حُرِمتُ رحمتَك، وقلتَ ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾.". والنص على طوله يكشف عن قدرة المؤلف ومنهجه في تناول القضية العلمية إذ أشرك فيها أهل اللغة والتفسير والأصول. وتعقب فيها مختلف الأقوال بعدم الاتجاه، أي السلامة العلمية في خطوات البحث. وهو يدل أيضا أن الأصوليين قد خلفوا أهل اللغة في القيام بالتحقيق اللغوي خصوصا ما بعد زمن ابن الحاجب وقد كان في القرن السابع، حتى أضحت اختياراته الأصولية يحتج بها في قضايا اللغة، والقراءات...

واهتم البسيلي رحمه الله أيضا بالتصريف كلما دعت إلى ذلك الحاجة كما فعل عند قوله تعالى (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)، فقد قال: " (يستبشرون): جعلوه مطاوع "بشَّرَ "، والمطاوع في الغالب إنما هو في الماضي مثل " كسَرْتُه فانكسَر "، و" جَبَرْته فانجَبَر." [1].

وبمناسبة التعليق على قوله تعالى (وبنعمة من اللَّه وفضل..) حاول أن يتجاوز يوجد فرقا بين (نعمة) و(فضل) إذ كانا معطوفين على بعض وذلك باجتهاده في أن " الأمر الملائم إن اعتبر من حيث ذاته فهو نعمة، ومن حيث سببه فهو فضل؛ لأن سببه من الله، ولذا قيد النعمة بقوله: (من اللَّه)، ولم يقيد الفضل. والآية صريحة في مذهب أهل السنة في قولهم: إن الثواب محض تفضل.."[2]. والعبارة الأخيرة ليست مما نحن فيه وإن كان لها تعلق وظيفي بالتفسير، في كونها حجة على معتقد لي سهنا محل الحديث عنه.

وبحث الإمام الشمني بعد الألفاظ الواقعة في تفسير الفاتحة وهو ما عثرت عليه من عمل منسوب له، فعند تفسيره للفظ الاستعاذة عرض لمفردة (الشيطان)، وبين بعد البحث مصدر اشتقاقه فقال: " وأما اشتقاقه فلا شك أنه مشتق على رأيٍ من شَطن يشطنُ إذا بعد يقال: بئرٌ شَطُونٌ أي بعيدة القعر سمي بذلك لبعده عن رحمة الله. وعلى رأي آخر من شاطَ يَشيطُ إذا هلك وسمي بذلك لهلاكه بمعصيته. ورد أولا بأن العرب تقول تشَيْطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين فلو كان من شاط لقالوا: يشيط، وثانيا: ببيت أمية بن أبي الصلت:

أيما شاطن عصاه عكاه *** ثم يلقى في الشجن وإلا بكاك.

فلو كان مشتقا من شاط لقال: أيما شاط. ووزنه فيْعَال وينصرف على الرأي الأول وفَعْلان، ولا ينصرف على الرأي الثاني."[3]. ولم ينسب قولا مما أورده إلى شخص معين مما يدل على كثرة القائلين به لكنه ذكر مستند القول الشائع واستدل له بشاهد العربية، ورده بما ورد في النص.

وكذلك فعل الشيخ أبو راس إذ التزم على طول ما مرد إلينا من تفسير أن يذكر محل الحرف أو الكلمة أو الجملة من الإعراب وكل ذلك باقتضاب شديد وترك التعرض للخلاف في ذلك إلا قليلا فعند قوله تعالى " ﴿

---

[1] – التقييد الكبير للبسيلي، المصدر نفسه. ص: 598.

[2] – التقييد الكبير للبسيلي، المصدر نفسه. ص: 598.

[3] – الأنوار اللائحة، المصدر نفسه. لوحة 02/04.

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ الواو عاطفة و﴿لَا﴾ زائدة لتوكيد النفي بدلٌ من الذين، على معنى أن المنعَم عليهم هم الذين سَلِمُوا من الغضب والضلالة. ونُكْتَةُ البدل أفادتنا أن المهتدين ليسوا بيهودَ ولا نصارى، أو صفةٌ مبينةٌ. و﴿ غَيْرِ﴾ بالجرِّ إما بدل من الذين على المعنى أو من ضمير ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾، وقُرئَ شاذا بالنصب: إما حال من ضمير ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ناصبُها ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ أو من ﴿الذين﴾ وعاملُها معنى الإضافة." [1]. وهكذا يكون قد جمع بين الإعراب والتصريف والقراءة وتحديد المعنى الغوي...فيكون بذلك قد ألم بمختلف أغراض التفسير التقليدية.

وقبل أن أمثل للمعاصرين أنبه أن الشيخ اطفيش ممن امتاز تفسيره بالتعرض للإعراب والتصريف والاشتقاق بشكل موسع ورد بإسهاب خصوصا في هميان الزاد على من خالف مختارَه من الوجوه المتعددة في إعراب الآية... وأشير هنا إلى شخصية معاصرة وهو الدكتور التواتي حفظه الله إذ كان ممن اهتم بالتطرق إلى مختلف الأغراض النمطية لمفسر القرآن. وعلى سبيل المثال في باب الاشتقاق نص أن " لفظ الجلالة (الله)، اسم مرتجل جامد، والألف واللام فيه لازمة لا للتعريف. قال الواحدي: اسم تفرد به الباري سبحانه وتعالى يجري مجرى الأسماء والأعلام، ولا يعرف له اشتقاق. قال الأقليشي: إن هذا الاسم مهما لم يكن مشتقا كان دليلا على عين الذات، دون أن ينظر فيها إلى صفة من الصفات،وليس باسم مشتق من صفة، كالعالم والحق والخالق والرازق. والألف واللام على هذا في (الله) من نفس الكلمة، كالزاي من زيد. وذهب إلى هذا جماعة واختاره الغزالي. وقال كل ما قيل في اشتقاقه فهو تعسف.

ـ وقيل مشتق من التأله وهو التعبد.

ـ وقيل من الولهان: وهو الحيرة؛ لتحير العقول في شأنه.

ـ وقيل: أصله الإله، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام، ثم وقع الإدغام وفخمت للتعظيم إلا إذا كان قبلها كسر." [2].

وبخصوص المعالجة النحوية يلتزم المفسر بإزاء كل آية التعرض إلى إعرابها، ويوجه ما قيل في ذلك مع التزام القول منسوبا إلى صاحبه، ويختار مستدلا لاختياره، كما فعل عند قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم): " و(يا) في قوله (يا أيها) حرف نداء، وزعم بعضهم أنها اسم فعل معناها، أنادي، وعلى كثرة وقوع النداء في القرآن لم يقع نداء إلا بها. وهي أعم حروف النداء، إذ ينادى بها القريب والبعيد، والمستغاث والمندوب. وأمالها بعضهم، وقد تتجرد للتنبيه فيليها المبتدأ والأمر والتمني والتعليل، والأصح أن لا ينوى بها منادى. (أي) منادى مبني على الضم، وليست الضمة فيه حركة إعراب خلافا للكَسائي والرَّياشي. وهي وصلة لنداء ما فيه الألف واللام ما لم يمكن أن ينادى توصل بنداء أي إلى ندائه. وقال ابن سيدَه أي: تأتي أي استفهام وشرط وصفة ووصلة لنداء ما فيه الألف واللام وموصولة خلافا لأحمد بن يحي، إذ أنكر مجيئها موصولة. ولا تكون

[1] – تفسير أبي راس الناصري، المصدر نفسه لوحة 03

[2] – الدر الثمين، المرجع نفسه. ج 153/1.

موصوفة خلافا للأخفش. (ها) للتنبيه أكثر استعمالها مع ضمير رفع منفصل مبتدأ مخبر عنه باسم إشارة غالبا، أو مع اسم إشارة لا لبعد. ويفصل بها بين أي في النداء وبين المرفوع بعده. وضمها فيه لغة بني مالك من بني أسد يقولون: أيه الرجل، ويا أيتها المرأة..."[1].

وأيضا عند قوله تعالى " (يا أيها الناس اعبدوا ربكم... لعلكم تتقون). فقد فصل في مدلول (لعل) من قوله تعالى (لعلكم تتقون)، واستعرض ما تحتمله من المعاني على جهة الإفراد والتركيب، مستدلا على ما يقول بنظائرها في القرآن، وبأقوال العلماء كالرضي...فقد قال " (لعل): في المشهور موضوعة للترجي وهو الطمع في حصول أمر محبوب ممكن الوقوع والاشتقاق، وهو توقع مخوف ممكن.، والظاهر التقابل فتكون مشتركة. وذكر الرضي رحمه الله وهو ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله فيدخل فيه الطمع والإشفاق. والذي يميل إليه القلب ما ذكره بعض المحققين أنها لإنشاء توقع أمر متردد بين الوقوع وعدم مع رجحان الأول:

– إما محبوب فيسمى رجاء أ أو مكروه فيسمى إشفاقا، وذلك قد يعتبر تحققه بالفعل إما من جهة المتكلم وهو الشائع؛لأن معاني الإنشاءات قائمة به.

– وإما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما. ومنه (لعلهم يتذكرون) [طه: 44]، وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز إيذانا بأن ذلك الأمر في نفسه مَئِنَّة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير أن يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع أصلا."[2].

3– الاقتصاد في تناول الجانب البلاغي:

كان من ضمن خصوصيات القرآن الكريم بلاغته في الخطاب، وتنوع أساليب آياته وموضوعاته، وقد عرف العرب ذلك من المقدمات الأولى للخطاب القرآني، وضمن السور المكية منها مهما قصرت، ومن الطوال والمفصل في العهد المدني، و لم يختلف أسلوب القرآن وهو يتحول عن مكة بلد المكذبين إلى المدينة حيث الكثرة من المؤمنين، أو المسلمين. ولأجل ذلك درج المفسرون بما فيهم الجزائريون على تناول ما يظهر من البلاغة، وما تثيره في النفوس من القبول. ونحاول أن نوجز الكلام فنبدأ بالسنوسي، فقد نقل عن الرصاع وهو من المفسرين الجزائريين نصا في تفسير قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون)، وعقب عليه بما رآه أسدَّ في القول، وأرعى لجانب بلاغة النظم، وذلك عند قوله : " ثم قال رضي الله تعالى عنه بعد كلام له في إعراب هذه الآية التي تقدم تفسيرها الآن ما نصه: قال الشيخ الرصاع: إن قيل ما سرُّ تقديم قوله ﴿ ومما رزقناهم﴾ على عامله، مع أن مقتضى الظاهر الثناء على هؤلاء السادة بحصول الإنفاق في أموالهم كما وقع الثناء عليهم من جهة أنهم أنفقوا مما رزقوا لا من غيره؟ فالجواب: أما إن قلنا أن الرزق يطلق على الحلال فقط، وهو مذهب المعتزلة فيفهِم التقديمُ إفادةَ المحافظة على الإنفاق من الحلال المحمود عاقبته، وإن قلنا بمذهب أهل السنة، وهو الحق فلا يظهر

[1] – الدر الثمين، للتواتي، المرجع نفسه. ج 1/343-344.

[2] – الدر المبين، للتواتي، المرجع نفسه. ج 1/345-346.

إلا مراعاة الفاصلة، وإن كان هذا غير مرتضى فالجواب عند المحققين. قلت: ما أجاب به من أن تقديم المعمول لرعْيِ الفواصل أجاب به أبو حيان، ولا خفاء في ضعفه؛ لأن رعي الفواصل إنما هو من المستحسنات اللفظية ولا اعتبار لها إلا بعد المحافظة على البلاغة التي هي تطبيق الفظ لما يقتضيه الحال، والحقُّ أن التقديم إنما هو لإفادة الحصر، وأن المراد بالرزق هنا الحلال فقط. أما عند المعتزلة فظاهر؛ لأن الحرام عندهم ليس برزق فإسناده عندهم إلى الله تعالى للإشعار بأنه لا يكون إلا حلالا، إذ القبائح لا تسند إلى الله تعالى بمقتضى العقل عندهم وأما عندنا فمن جهة أن الآية انصبت لمدح أوصاف المتقين وبيان ما يكون به التقوى وذلك في الإنفاق لا يصح إلا إذا كان من الحلال لاسيما عند التصريح بالاستناد إلى الله تعالى فإنه قد جرى الأدب باستناد الأفضل والأكمل إليه تعالى ففائدة إسناد الرزق إليه جل وعلا هنا مدحهم بأنهم خصوا إنفاقهم بالشيء الشريف العزيز الذي حق أن يظن به وتشد اليد عليه لشرفه وعزة وجوده وهو الحلال وذلك يستلزم مدحهم أيضا بتزاهتهم عن الظلم والحرص على أخذ ما ليس لهم كما مدحوا بتنزههم عن الشح بما هو لهم فإن من لا ينفق مطلقا إلا من الحلال من لازمه الزهد والورع ففي الآية على هذا النوع المسمى في فن البديع بالاستتباع وهو المزج بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقول أبي الطيب:

نهبت من الأعمار ما لو حويته *** لهنئت الدنـــيا بأنك خالد.

فإنه مدحه ببلوغ النهاية في الشجاعة على وجه استتبع مدحه بالعدل أو أنه سبب لصلاح الدنيا ونظامها بدليل تهنئتها بخلوده فيها لو خلد وفي الآية أيضا مدحهم بكمال شفقتهم على عباد الله تعالى وإمائه حيث أشفقوا عليهم باعتبار دينهم فأنفقوا عليهم وصانوهم من الضياع وأشفقوا...". ومهما يكن ما أبداه من اعتراض، وقدمه من توجيه، فالذي يهم هنا كون المفسر الجزائري قد التزم التطرق لمواضع البلاغة في الآيات التي هو بصدد تفسيرها، ومحاولة التعقيب على أعيان النحويين والبلاغيين تدل على عمق الحس البلاغي عن المفسر المذكور.

ومع أن الشيخ " أبو راس "، قد عمَدَ إلى الاختصار الشديد في تفسيره إلا أنه لم يخل بالإشارة إلى مواضع البلاغة من الآيات، كما فعل عند قوله: " ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ العبادة: الطاعة البالغة للنهاية في الخضوع والتعظيم والعبادة الصحيحة ما تحقق فيها أمران: الإخلاص، وموافقتها للوضع الذي رسمه الشارع . وقدم المعبود على العبادة، فقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لإفادة قصر العبادة عليه، وهو ما يقتضيه التوحيد الخالص. والمعنى: نخصك بالعبادة، ولا نتجه بها إلى غيرك."[1].

وإن ما ذكرته في الموضع السابق للشيخ أبي راس لا يدلّ على ما قدمته دلالة المنقول عن السنوسي، غير أن الوضع يختلف بالنسبة للشيخ اطفيش " ﴿ إِيَاكَ نَعبُدُ وإِيَاكَ نَسْتَعينُ ﴾: أي ما نعبد إلا إياك، وما نستعين إلا إياك، فالتقديم للحصر والاهتمام والتعظيم، وزاد إياك نستعين بأن التقديم فيه للمفاصلة أيضاً إذ لا تختم بالنون لو قال: " ونستعينك " لكن يلزم أيضاً أن يقال في إياك نعبد زيادة على ما مرَّ وهو المناسبة لـــ﴿إياك

[1] – تفسير الشيخ أبي راس، المرجع نفسه. لوحة 02.

نستعين﴾ المستحق للتقديم. وما ذكرت من أن التقديم للحصر ولما ذكر هو الحق كما اشتهر في علم البيان، وليس كما قال السبكى: إن التقديم لا يدل على الحصر، وإنه إنما يدلّ على الاختصاص الذي تفيده لام الجر، ثم لا مانع عندي أن يراد أوجه الحصر كلها في الآية. وحيث أمكن حصر القلْب وحصر التعيين وحصر الإفراد، وكأنه قيل نعبدك وحدك ونستعينك وحدك، مخالفين لمن جهل من يعبده ومن يستعينه وتردد، ولا نعبد غيرك ولا نستعينه، كما اقتصر بعض المشركين على عبادة غيرك واستعانته." [1]. وهذا النص يدل على مقدرة كبيرة على التوسع في التدليل على وجهة النظر البلاغية التي يبديها المفسر وقد يوافق أو يخال فيها غيره.

وتجد الشيخ الخضر حسين مع انه التزم الاختصار فيما تعرض له من التفسير إلا أنه اختصار لا يخل بأصل المقصود، فهو لا يفوت فرصة أن يشير إلى اللفتة البلاغية كلما أمكن. فقد قال عند قوله تعالى " (وادعوا شهداءكم من دون الله) وتسميتها شهداء مع إضافتها لهم وهي لا تعقل ولا تنطق، واردان على الطريقة المعروفة بين البلغاء، المسماة في عرفهم: طريقة التهكُّم، وهي أسلوب لطيف يثير في نفوس المخاطبين من الألم ما قد يكون سببا لتنبههم لجهلهم، وانصرافهم عن ضلالهم." [2].

وجمع ابن باديس في هذا النص بين الإشارات البلاغية، وموقعها من النظم، وربطها به عند إفراد الكلام وتركيبه كما قال عند قوله تعالى: " {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32)} [الفرقان: 32]. هذا اعتراض آخر من اعتراضاتهم الباطلة، نسوقه مع ما تقدم منها ليجاب عنه، ويبين خطؤهم فيه، كما فعل بما تقدمه. {لولا} مع المضارع للتحضيض، نحو: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ} [النمل: 46]. ومع الماضي للوم والتوبيخ، نحو {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} [النور: 13]. وهي هنا مع الماضي فتكون للوم على عدم حصول المذكور وحصول ضده. والمقصود من اللوم هنا الاعتراض على عدم نزوله جملة واحدة، ونزوله مفرقاً. فالمعترض عليه هو نزوله مفرقاً. {نزل} يأتي مرادفاً لأنزل والتضعيف أخو الهمزة، ويأتي مفيداً للتكثير فيفيد تكرر النزول وتجديده. وخرج على هذا قوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ -من الكتاب- وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [آل عمران: 3]. وأما هنا فلا يصح حمله على التكثير المفيد للتدريج، لئلا يناقض قولهم جملة واحدة، فيكون من التضعيف المرادف للهمزة. وعندي أن (نزَّل) المضاعف يردُ لكثرة الفعل ولقوته؛ فجاء لكثرته في آية آل عمران المتقدمة، وجاء لقوته في هذه الآية؛ لأن إنزال الجملة مرّة واحدة أقوى من إنزال كل جزء من الأجزاء بمفرده." [3].

وكذلك تعرض الشيخ التواتي إلى وجوه البلاغة في الآيات، وإن كان ذلك يختل فباختلاف مواضعها من الآيات ففي الجزء الأول والذي وصل فيه إلى حدود نصف الحزب الأول من القرآن لم يتعرض بوضوح لذلك، وأوضح ما وجدته قوله عند تفسير آية " (إياك نعبدُ وإياكَ نستعينُ) التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب، وتلوين

---

[1] - تفسير الشيخ اطفيش، المرجع نفسه. ج 256/4.

[2] - أسرار التنزيل للخضر حسين، المرجع نفسه. ج 47/1.

[3] - تفسير ابن باديس ، المرجع نفسه. ج 177.

للنظم من باب إلى باب، جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام، ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام؛ لمَّا أن انتقل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ أدخلَ في استجلاب النفوس واستمالة القلوب بقع من كل واحد من التكلم والخطاب، والغيبة إلى كل واحد من الآخرين."[1]. فإضافة إلى ما كشف عنه من وجه البلاغة وهو المسمى " الالتفات"، بين فائدته للمخاطب، وما يثيره في القلوب من الإقبال على الخطاب، والتأثر بمضمونه.

وأود أن أشير هنا إلى أن مستوى البلاغة قد أخذ يختلف من حيث الدرجة، وأيضا من حيث طريقة العرض، وليس ذلك إلا لأن تذوق اللغة قد اختل فشكله فهو إلى تشخيص الصورة أقرب من الدلالة على المباحث القديمة، ومفردات البلاغة النمطية. وقد بدأت هذه الخطوة ضيقة عند الخضر حسين وابن باديس كما رأينا، ثم توسعت عند الشيخ كعباش مثلا، وسأذكر بعضا من الأمثلة الموضحة لذلك كما فعل عند قوله تعالى (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) ذكر ما نصه: " إنه مشهد مروع، إذ تتشوه وجوههم في لفح النار، والوجه هو العاكس لسعادة الإنسان أو شقاوته – والعياذ بالله–، وبلوغهم صفة الكلح يدل على ما يصابون به من شدة الألم بحيث يغني منظرهم المشوه عن معرفة حالهم.

لا تسأل المرء عن خلائقه *** في وجهه شاهد من الخبر.

ومع العذاب الحسي الأليم يواجهون بالخطاب الإلهي التأنيبي، إمعانا في النكاية والخزي (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون)، لا أنكى على المجرم من التذكير بجرائمه، وإقراره بالجريمة فيه نوع من الرجاء في التخفيف في العقاب، ولكن هيهات، فقد جف القلم وطويت الصحف."[2]. وهذا هو ما عرف حديثا عن بعض الكاتبين كسيد قطب رحمه الله بالتصوير الفني، ويبدو الشيخ كعباش متأثرا بهذا الشكل العرض البلاغي، فأحسن في العرض، وأبدع في التصوير. والقارئ الحديث أكثر تقبلا لهذا النوع من العرض البلاغي.

وفي موضع آخر عند قوله تعالى (فذرهم في غمرتهم حتى حين): " الخطاب لرسول الله صلى الله، وضمير الجمع الغائب عائد إلى مشركي مكة، إذ كانوا من جملة الفرحين بما لديهم من التقاليد الضالة في تعدد آلهتهم، واختلاف توجهاتهم، بحيث هم منغمسون إلى الأذقان في غمرة من الزهو والترف، تشغلهم عن التدبر والتأمل في دعوة الإسلام، التي جاءت لتنقذهم مما هم عليه، فقد شبه الله حالتهم بمن يحيط به الماء من كل مكان، وهو يدعي القدرة على السباحة، ولكنه هالك بعد حين. ويتضمن التشبيه. ويتضمن التشبيه تهديدا شديدا تفصح عنه الآيات اللاحقة ، إذ يقول تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون)، الجملة مكملة للتهديد السابق...والاستفهام إنكاري توبيخي..."[3].

---

[1] – الدر الثمين، المرجع نفسه. ج 199/1.

[2] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 271/9-272.

[3] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 239/9-240.

4- مبحث الإعجاز القرآني:

إعجاز القرآن حقيقة واقعة دلت عليه نصوص القرآن والحديث، وواقع الحال وتناولها المؤلفون قديما وحديثا. وأدرجوا وجوهها تحت عنوان المعجزة الدالة على صدق الرسول سواء كانت من جنس اللفظ أو من جهة المعنى. فعند الباقلاني مثلا " الدليل على إثبات نبوة نبينا ما ظهر على يده من الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة، والحجج النيرة، الخارقة للعادة، والخارجة عما عليه العادة، وتركيب الطبيعة.والله سبحانه وتعالى لا يظهر المعجزات ولا ينقض العادات إلا للدلالة على صدق صاحبها، وكشف قناعه، والإقرار بنبوته والخضوع لطاعته، والانقياد لأوامره ونواهيه."[1]، وفي نص ثان في نفس الموضوع عند الشهرستاني "من المعلوم أنه ليس كل أحد يعرف حكم الباري سبحانه وتعالى وأمره فلا بد إذن من واحد يستأثر بتعريف حكمه، وأمره في عباده. وذلك الواحد يجب أن يكون مخصوصا من عند الله عز وجل بآيات خلقية يجريها الله على يده عند التحدي لما يدعيه، وتدل تلك الآيات على صدقه، نازلة منزلة التصديق بالقول، ثم إذا وجب صدقه وجب اتباعه في جميع ما يقول ويفعل."[2].

والمعجزات له عليه الصلاة والسلام كثيرة؛ بل إن إعجاز القرآن منها له وجوه متعددة: منها جانبه البياني، والعلمي...والمفسر ملزم تبعا لذلك بالإشارة إلى كل ذلك في محله، وعلى مقاديره...وربما استدعاه ذلك إلى التفصيل وإقامة البراهين. وعلى كل حال فإن ذلك قد كتب فيه الكاتبون قديما وحديثا وفي مختلف تفاسيرهم، ولهذا لم أجد للمفسرين الجزائريين غير الإيجاز والاكتفاء بالإشارة إحالة على الكتابات السابقة.

نزل القرآن الكريم على أساليب العرب في البيان، واستعمل ألفاظهم وربما أحيا شيئا من المهجور منها، ولما واجهوه بالمعارضة أمعن في تحدّيهم، وواضح أنه يجبُ على المفسِّرِ أن يبين وجوه ما أعجزهم فيه من جهة خصائص اللفظ، وخصوصية التركيب، ومن جهة صدق المعاني وجدتها. ولما كان هذا المبحث تقليديا وأكثر تداولا من كلّ من خاض في التفسير، فإن المفسرين الجزائريين على اختلاف مناحيهم في التفسير لم يسعهم أن يتجاوزوا آياته بدون تعليق، ولا مواضعه بدون إشارة وتوسع في الشرح والتوضيح.

فبمناسبة قوله تعالى (وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) تناول كثير من المفسرين بيان ذلك فمن القدامى الخروبي الطرابلسي فقد قال في مثل هذا المحل " قوله (فاتوا بسورة من مثله) الأمر على جهة التعجيز والسورة:آيات مجموعات من القرآن أقلها ثلاث آيات وجميع كتب الله المنزلة على رسله سور مفصلات، لفوائد يتضمنها التفصيل. منها ليسهل جمعها وحفظها على القاري. ومنها أن ذلك أمكن في جمع الأشكال والنظائر من الآيات بعضها إلى بعض وذلك أبلغ في بيان الأحكام إلى غير ذلك من الفوائد. ومثل الشيء شبيهه ونظيره. والضمير من مثله عائد على القرآن عند الجمهور. ومن لبيان الجنس والمثلية فيما خص به القرآن من أوجه الإعجاز التي يعجز البشر عن الإتيان ببعضها. والمقصود تعجيزهم عما أمروا به. قوله (ولن

---

[1] - التمهيد للباقلاني المرجع نفسه. ج 114.

[2] - الملل والنحل للشهرستاني (مؤسسة الحلبي، سوريا، ب ت) 38/2.

تفعلوا) نفى عنهم الإتيان بما أمروا به من أن يأتوا بسورة من مثله..." [1]. وهكذا لا يكاد السابقون يخرجون في المجمل على ما قرره الخروبي في هذا النص، ويكادون يحصرون الإعجاز في جانبه البياني، وهذا زيادة على أنه أمر أكيد لم يترك فيه الكاتبون زيادة لمستزيد خصوصا عند مؤلفينا القدامى.

وبخصوص المعاصرين من المفسرين فقد تناولوا شكل التحدي المعلن هنا ضد من كانوا في ريب من بعثته عليه السلام، وما جاء به من الحق سور القرآن، وبينوا طبيعة ذلك التحدي ومضمونه وقد اصطلح على تسمية المبحث بالإعجاز فقال الشيخ الخضر حسين مثلا الآية بالتفسير فقال: " الريبُ: الشك، والعبد يطلق بمعنى الرقيق؛ أي خلاف الحر، ويطلق على الإنسان ولو كان حرا؛ باعتبار معنى عام هو عبوديته لله، وعلى هذا الوجه أطل قفي الآية مرادا منه النبي صلى الله عليه وسلم، وفي إضافته إلى الله تعالى (عبدنا) تنبيه على شرف منزلته عنده، واختصاصه به. وفي ذكره صلوات الله عليه باسم العبودية تذكير لأمته بهذا المعنى، حتى لا يغلوا في تعظيمه إلى أن يدعوا إلهيته كما غلت بعض الفرق في تعظيم أنبيائهم أو زعمائهم، فادعوا إلهيتهم. والسورة الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص، والتي أقلها ثلاث آيات. والضمير في قوله: (من مثله) عائد على ما (نزلنا) وهو القرآن والمراد من مثل القرآن: ما يشابهه في حسن النظم، وبراعة الأسلوب، وحكمة المعنى. وهذا الوجه من الإعجاز يتحقق في كلّ سورة. وفي القرآن وجوه أخرى من الإعجاز؛ كالإخبار عن غيوب ماضية، أو غيوب مستقبلية، وكاشتماله على معان علمية دقيقة لا عهد للأميين بها." [2].

إن في هذا النص تحديد لطبيعة التحدي فهو في النظم والأسلوب وهو أمر مستمر في كل سورة مهما قصرت، وقد تزيد السور بأن تشتمل على نوع زائد من الإعجاز كأن يكون في أمر علمي تجريبي، أو تحديد تاريخي. وكل ذلك مفصل في غير هذا الموضع وعند غيره من المفسرين كما سأذكره تباعا. إذ اكتفى المؤلف بالإشارة إليه؛ لكون عمله مبنيا على الاختصار.

وفي نص عام يشمل بعمومه أنواع الإعجاز القرآني، أو بعضا منها على الأقل، فلا يزال مجال القول ذا سعة في طبيعة المعجزة القرآنية يقول الأستاذ مصطفى بن علي: " وأعطى محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن على نحو شاكلة العرب في اشتهارهم بالفصاحة والبلاغة، ولأميتهم ولنزول القرآن شفاعة على عادة كلامهم الحاضر بداهة في خطبهم وأشعارهم وحكمهم وسجعهم. واشتمل القرآن إضافة إلى التنسيق المحكم في اللغة واللفظ والمعنى والعلم، وإن كان جامعا للعلوم كلها وتبيانا وتفصيلا لكل شيء فعمَّ إعجازه كل ما سوى الله وللثقلين خاصة، وللإنس والعرب أخص. فإذا عجز هؤلاء جميعا قديمهم وحديثهم، إنسهم وجنهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن فما عليهم إلا الإذعان لأمر الله والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والإسلام له تعالى على

[1] – رياض الأزهار للخروبي المرجع نفسه. مخطوط في النت: ج 11/1، لوحة: ب.

[2] – أسرار التنزيل للخضر حسين المرجع نفسه. ج 46.

شريعة هذا القول. ومن كفر بعد ذلك فألئك هم الفاسقون. هذا عن حقيقة الإعجاز اللفظي والمعنوي للقرآن." [1].

وفي هذا الذي ذكره إجمال يحتاج إلى تفصيل، وإبهام يحتاج إلى تمثيل؛ لأجل ذلك حاول المفسر الذكور أن يركز على التفسير العلمي لبعض الآيات القرآنية، وعدد مجموعة من حقائق القرآن المعجزة إذ كان مصدرها النبي الأمي عليه الصلاة والسلام، وفي بيئة أمية، لم يكن الشرط الموضوعي يسمح بمعرفتها عند سائر أمم الدنيا فضلا عن العرب.

وذلك عند قول المؤلف السابق: " (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار... للكافرين): الإعجاز العلمي للقرآن. القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى إلى يوم القيامة بما حفظه الله معجز في لفظه ومعناه، وفي كل زمان ومكان، وللإنس والجن وللأولين والآخرين، وفي لغته وبيانه وفي علمه. وسوف نحاول الاقتصار في حديثنا هذا عن الإعجاز العلمي في بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن حقائق علمية نفسية ومعنوية، ومادية وفي شتى العلوم والمعارف، فضلا عن البيان والأسلوب والفصاحة مما لم يعهده العرب من قبل فما هو بشعر ولا نثر ولا سجع ولا خطابة."[2]. وإنما تركنا ما مثل به لأنها نفس الأمثلة المعهود ذكرها في الكتابات الإسلامية، وهي حقائق أضحى القارئ على علم بها، وهي في موضوعات فلكية وطبية، وتجريبية...

إنما أذكر النص الذي مهد به لما اختاره من أمثلة وأكتفي بالإشارة إليها ليعود من شاء أن يطالعها في محلها لكون الكتاب مطبوعا وإن كان نادرا. فقد قال تحت عنوان: الإعجاز العلمي في القرآن: " القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى إلى يوم القيامة بما حفظه الله؛ معجز في لفظه ومعناه وفي كل زمان ومكان، وللإنس والجن، للأولين والآخرين، وفي لغته وبيانه وفي علمه. وسوف نحاول الاقتصار في حديثنا هذا عن الإعجاز العلمي في بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن حقائق علمية نفسية ومعنوية ومادية في شتى العلوم والمعارف، فضلا عن البيان والأسلوب والفصاحة مما لم يعهده العرب من قبل؛ فما هو بشعر ولا نثر، ولا سجع ولا خطابة. قال الله تعالى (وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تتزيل من رب العالمين). ونظرا لكثرة المسائل العلمية في القرآن سوف نأخذ ثلاثة أمثلة منها مختصرين القول فيها إلى مواضعها، ومواضع أخرى من الآيات. والمثل الأول قوله تعالى في سورة يس (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر...يسبحون)، والمثل الثاني في قوله تعالى في سورة النحل (يخرج من بطونها...الناس). والمثل الثالث قوله تعالى من سورة البقرة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)..." [3]. وخلص المؤلف إلى أهمية حقيقة كون القرآن معجزا " وحيث ثبت..." [4].

---

[1] – الحق لما اختلف فيه من الحق المرجع نفسه. ج 325.

[2] – الحق لما اختلف فيه من الحق المرجع نفسه. ج 1/ 325.

[3] – الحق لما اختلف فيه من الحق المرجع نفسه. ج 1/ 159.

[4] – التقييد الكبير للبسيلي المصدر نفسه. 598.

وعند نفس الموضع من سورة البقرة، وتعليقا على نفس الآيات تطالع عند محمد بن عبد الكريم تعرضا على سبيل الإجمال، ما يشبه التصوير للمشهد، مشهد المعارضة والتحدي باستدعاء الشهداء والأنصار ولن يغنوا عنهم شيئا: " ومع هذا كله فإن هؤلاء الكافرين والمنافقين هم على علم بالاستنتاجات العقلية والأخبار النقلية، والظواهر الطبيعية فيما يخص وحدانية الله في ذاته وصفاته وأفعاله. وإذا استولى على مداركهم الشك في صحة القرآن المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وزعموا أنه من صنع البشر؛ فإن الله يتحداهم أن يجيئوا بسورة واحدة تشبه سوره في المبنى والمعنى. ويتحداهم أن يصيحوا بشركائهم، آلهتهم من غير الله أو حلفائهم وفصحائهم، وأن يطلبوا منهم المعونة على ذلك إن كانوا غير كاذبين في زعمهم أن القرآن ليس هو من عند الله. فإن عجزوا أن يجيئوا بذلك – وهم عاجزون عنه دائما وأبدا – فما عليهم سوى أن يخشوا عذاب النار المتأججة.." [1].

وتحت ما درج على تسميته بالتوجيهات يستطرد المؤلف، وحول نفس الآية والموضوع قائلا: " التوجيه الخامس: أن الآية الثالثة والعشرين قد أكدت صحة نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بحجة إنزال القرآن عليه، وبتحدي الكافرين والمنافقين به، وبإظهار عجزهم عن الإتيان بسورة واحدة من مثله مبنى ومعنى. التوجيه السادس: أن قوله تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا...) فيه دلالة واضحة على الإخبار بالغيب المتحقق في عجزهم الدائم عن معارضة القرآن الدائم الإعجاز..." [2]. وهذا الذي ذكره يتصل بالموضوع، ولكنه يحتاج إلى مزيد بسط عن شكل التحدي، وطبيعة المعارضة، وهل هذا التحدي خاص بالعرب زمن النبوة، والمكذبين من قريش أم هو عام في كل معارض..

وبالعودة إلى مفسر معاصر لا يزال على قيد الحياة وهو بالمناسبة دكتور في الجامعة جمع بين الثقافة التقليدية والدراسة الأكاديمية فقد تطرق إلى الإعجاز القرآني فألم بتنوع مضمونه، وترتيب درجاته، بعد أن قرر أن القرآن هو بالدرجة الأولى كتاب هداية. يقول الدكتور التواتي:" والتحدي هنا يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة؛ وذلك لورود لفظ (سورة) نكرة في سياق الشرط فتعمُّ كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين كما هو مقرر في موضعه. فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها. وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين الناس سلفا وخلفا. ومن تدبر القرآن الكريم وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية." [3].

وقد لاحظت في الجملة أنه يوجد إعراض عن التفصيل في وجوه إعجاز القرآن بما في ذلك الإعجاز البياني، واكتفاء بالإشارة إلى الحقائق والمقررة، وأكثر الإعراض هو عن الإكثر من إدراج الأمثلة العلمية الحديثة في مختلف الأبواب من طب وفلك، واجتماع...على ما عهدنا مفسري المشارقة يكثرون منه بل يخصونه

---

[1] – توجيهات القرآن العظيم المرجع نفسه. ج 1/52-53.

[2] – توجيهات القرآن العظيم المرجع نفسه. ج 1/54-55.

[3] – الدر الثمين للتواتي المرجع نفسه. ج 1/228.

بالتأليف والكتابة، والذي يظهر لي والله أعلم أن ذلك مرجعه إلى الاحتياط في تفسير كلام الله وإلا فإن الأمثلة معروفة ومقررة. وربما اختاروا عزلها بالكتابة المستقلة عن تفسير القرآن.

– المبحث الثاني: الاشتغال بتدريس التفسير.

الأصل في التفسير أنه بدأ شفهيا حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين للناس ما نزل إليهم، مرة جوابا على سؤال يطرح بخصوص آية، ومرة يأتي ذلك تعليقا على فهم لآية على غير وجهها، وأكثر ذلك كان يأتي التفسير ابتداء، في مناسبات متكررة كخطبه عليه السلام في الجمُعات والأعياد والحروب...وقد كانت سنته القولية كلها، وسيرته العملية تفسيرا كاملا لأكثر مما يحتاج إلى تفسيره. إذ كان التدوين مقتصرا على نص القرآن، وشيء من الحديث.

وفي زمن الصحابة استقر الأمر على ما هو عليه إذ حفظ الصحابة ما تعلموه من التفسير وتوسعوا بالاجتهاد فيما لم يسمعوه من التفسير النبوي مباشرة. ولا يوجد شيء مدون عنهم غير ما ينسب إلى سيدنا عبد الله بن عباس، وهو عمل وصل مبكرا إلى الأندلس مرورا بالمغرب، كما اشرنا إلى ذلك في محله. غير أنه في عهد التابعين تواصل العالمين بالتفسير منهم في درس التفسير، لكن جمعا منهم أخذ يدون ما اجتمع إليه من التفسير. وفي النص التالي لمحمد بن عبد الكريم ما يفيد شيئا من ذلك " تاريخ التفسير شفهيا وكتابيا: فعلى ضوء مصادر التفاسير السالفة البيان يتضح لنا جليا أن تفسير القرآن الكريم قد تدرج تاريخيا في مرحلتين اثنتين: مرحلة المشافهة، ومرحلة التدوين. فأما المرحلة الأولى: فقد بدأت بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن شفهيا بمجرد نزوله وبأمر من ربه. وذلك واضح جدا في قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون). وقوله تعالى (وما أنزلنا إليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) [النحل:44]. فبهاتين الآيتين وأمثالهما قد أوجب الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم تفسير ما استعصى فهمه على الناس من القرآن، وألزمه بتبيين مبهم آياته التشريعية، وإيضاح معاني ألفاظه وجمله، وتفصيل مجمله، وحل مشكله. وهذا كله قد كان منه صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة شفهيا، فاستقر في صدورهم ورسخ في أذهانهم، وتناقله بعضهم عن بعض بطريق الرواية، ثم تناقله عنهم التابعون بأمانة النقل وتثبت العلم." [1].

وقد كان أكثر إنتاج التابعين في التفسير مفقودا، لا يكاد يوجد إلا أقوالا في أجزاء التفسير في القرون الموالية كما عند الطبري بالخصوص، ولكن الدراسات الجامعية الحديثة كشفت عن كثير من الأعمال المستقلة لأصحابها من التابعين، وقد طبع كثير منها، ويعتقد أن ما لم يطبع يمثل كما كبيرا أيضا " إن جامعات كثيرة بالعالم الإسلامي، اهتمت ولا تزال بجمع تفاسير كثير من أعلام التابعين وتابعيهم نعلم ببعضها دون الآخر مع الأسف الشديد لغياب التنسيق والتواصل؛ كتفسير كعب الأحبار (32هـ)، وتفسير مسروق (63هـ)، وتفسير أبي مالك الغفاري (90هـ)، وتفسير أبي العالية الرياحي (93هـ)، وتفسير جابر بن زيد (93هـ)، وتفسير سعيد بن المسيب (94هـ)، وتفسير سعيد بن جبير (95هـ)، وتفسير إبراهيم النخعي (96هـ)، وتفسير الضحاك (100هـ)، وتفسير الحسن البصري (100هـ)، وتفسير مجاهد بن جبر (104هـ)،

[1] – توجيهات القرآن العظيم المرجع نفسه. ج 358/1.

وتفسير عكرمة (105هـ)، وتفسير طاوس بن كيسان (106هـ)، وتفسير ابن سيرين (110هـ)، وتفسير عطاء بن أبي رباح (115هـ)، وتفسير محمد بن كعب القرظي (117هـ)، وتفسير قتادة (118هـ)، وتفسير زيد بن أسلم (136هـ)، وتفسير ابن جريج (150هـ)، وتفسير عطاء الخرساني (155هـ)، وتفسير مالك بن أنس (179هـ)..." [1].

وهذا يدل على وفرة الإنتاج العلمي في التفسير ومنذ وقت مبكر بين يدي العلماء والباحثين والطلبة، وهو ما يشجع على استمرار الدرس والتحصيل. ومع هذا فلم ينقطع التفسير الشفهي بل ظل هو الأصل في الحركة العلمية، والأكثر شيوعا في الأوساط الثقافية لكون الكثرة من العلماء تجيد التفسير بالتدريس، وقد لا تتوفر على دواعي التأليف، وقد لا يصل إلى الأجيال ما تم إنتاجه من التفاسير على اتساع البلدان، وتعاقب الأزمان. بل وإنه وفي بعض الأزمنة وفي كثير من مجالس العلم هجرت كثير من مقررات التدريس من التفاسير المشهور، واقتصر على تدريس تفسير واحد مشهور، كالبيضاوي في العصور المتأخرة، وربما سبقه الكشاف والجلالين...

إن الحديث حول ظاهرة الاشتغال بالتفسير سواء تعلق الأمر بالدرس والتحصيل، أو بالتدريس والتعليم، قد كان ذلك يأخذ شكل الحلقات الخاصة للطبقة العليا من الطلاب، كما كان يحصل في المجالس العامة لجمهور المؤمنين.

أورَدَ الحفناوي في تعريف الخلف النص التالي في ترجمة أحمد بن معمر البجائي " وكان رحمه الله له مجلسان في العلم: مجلس في الحديث، ومجلس في التفسير، إلا أن التفسير يقرِئُه بعد صلاة الجمعة على المنبر؛ لكثرة الناس وازدحامهم عليه إلى يوم موته."[2]. وهذا النص يدل على أن حركة تدريس التفسير لم تزل مستمرة، وأنها كانت موجهة لجمهور المؤمنين أيضا، وهو واضح في أن درجات العَرْض كانت تأخذ في الاعتبار المستويات المتوسطة للشرائح الاجتماعية العامة.

1 – حلقات درس التفسير.

وقد استمر تقليد تدريس التفسير بداية من أحمد المسيلي، إلى سعيد العقباني، وابن زاغو، وابن مرزوق الحفيد، إلى يحي الشاوي ثم إلى الشيخ ابن باديس وإبراهيم بيوض...وكثيرا ما صاحبه منح الإجازات وختم مقررات التفسير، وسيأتي أن للعالم ابن زاغو رسالة بعنوان " ختم التفسير".

وذكر القلصادي أنه حل تلمسان وقد أشاد بها، حيث قال:" وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعبد والزهاد، وسوقُ العلم حينئذ نافقةٌ، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان المشهود لهم بالفصاحة والبيان"[3]، وأنه من بين هؤلاء الإمام ابن زاغُو (845هـ)، فقد قال عنه " ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة

[1] – بحث جهود الأئمة في خدمة تفسير القرآن الكريم، الدكتور أحمد العمراني. ص/ 585.

[2] – تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 88/2.

[3] – رحلة القلصادي المصدر نفسه. 95.

اليعقوبية للتفسير."[1]. وهذا النص يفيدنا أن درس التفسير بالمدرسة المذكورة كان عاما، يحضره كبار الطلبة إضافة إلى جمهور المؤمنين، فقد كانت خدمة التفسير متاحة للجميع في المدارس أيضا.

وممن استفاد منهم القلصادي أيضا الشيخ محمد بن النجار فقد قال بعد أن وصفه بما يستحقه من نعوت الجلال والفضل:" وحضرت عليه بعض تفسير الكتاب العزيز."[2]. وهو وواضح أيضا في أن درس التفسير كان موجودا ومستمرا وبشكل واسع. وفي الضوء اللامع عرض لهذا الأمر ـــ في شأن القلصادي دائما ـــ بشكل موسع " ثم إلى تلمسان سنة أربعين فوجد أبا الفضل المشدَّالي هناك فرافقه في الاشتغال فلازم الشيخ أحمد بن زاغو – بزاي وغين معجمتين – وقاسما العقباني – بضم المهملة وسكون القاف ثم موحدة – ومحمد بن مرزوق فدرس عليه في التفسير والحديث والفرائض والنحو وعلى العقباني في التفسير والحديث والفقه والأصلين وعلى ابن زاغو في التفسير.."[3]. وفيه زيادة على ما في الرحلة من أن أبا الفضل قاسما العقباني كان ممن يشتغل بتدريس التفسير، وأن القلصادي على تقدمه في الطلب كان يحضرُ مجلسه، وإن لم يبلغنا أن قاسما العقباني ترك في التفسير عملا.

ولو انتقلتُ إلى من اشتغل بتدريس التفسير لكان مجال القول ذا سعة بداية من سعيد العقباني إلى ابن باديس، ولنعد إلى القلصادي فقد أفاد أن ابن زاغو كان يقيم حلقات في التفسير بالمدرسة اليعقوبية فقد قال:" ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية للتفسير..."[4]. وكان ليحي الشريف ولقاسم العقباني وغير هؤلاء اشتغالٌ بالتدريس تجاوز حلقات المسجد، والمدرسة ليشمل مجالس الأمراء، فقد أورد في تعريف الخلف عن عبد القادر الراشدي أن له" تفسيرَ عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي."[5].

وهذا كان موجودا زمن الإمام السنوسي كما في المواهب القدسية، وإن كان السنوسي قد اعتذر عن حضور مجلس السلطان، فقد قال الملالي: " وكان رضي الله تعالى عنه لما شرع في التفسير بعث له السلطان رسولا طلب منه أن يطلع إليه ويقرأ التفسير بحضرته كما يطلع غيره من المدرسين فامتنع رضي الله تعالى عنه الطلوع إلى السلطان "[6]، وهو أمر حدث لمحمد بن العباس أيضا. وكل من الخبرين يدلان على أن التفسير كانت تقليدا متبعا في مجالس متنوعة من المدرسة إلى المسجد إلى مجالس السلاطين. وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا الشيخ ابن باديس والشيخ بيوض يشتغل كل منهما بالتفسير بمسجده وبمحضر من الطلبة وجمهور المؤمنين.

---

[1] – رحلة القلصادي المصدر نفسه. 104.

[2] – رحلة القلصادي المصدر نفسه. 102.

[3] – الضوء اللامع المرجع نفسه. ج 143/3.

[4] – رحلة القلصادي المصدر نفسه. 104.

[5] – تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 228/2.

[6] – معجم المعارف والشمائل السنوسية المرجع نفسه. 132.

وفي ترجمة يحي الشاوي تجد أيضا عن بعض تلامذته بالمشرق " فقرأنا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام."[1]. ويبدو أنه كان تقليدا سائدا وعملا يستحق الاهتمام والإشادة. كما نجد أيضا هذا النص هو والذي قبله يقعان خارجا عن القرن التاسع الهجري" وحضر عند الفقيه المفسر المتفنن النّوازلي أبي مروان عبد المالك البُرْجي في التفسير وغيره."[2]. غير أنهما ينتميان إلى الفترة المحددة لموضوع البحث.

2- عرض من عرفوا بتدريس التفسير.

الغرض ههنا استعراض طائفة ممن اشتهروا بتدريس التفسير بالمدارس وهو الغالب أو بالمساجد، أو بالزوايا ومجالس السلطان، وسأضيف إلى هؤلاء من درَّسوا موادَّ التفسير بالجامعات وربما الثانويات ومعاهد تكوين الأئمة، والصحف والإذاعات، وصفحات الإنترنت. وإن كانت الإضافة ههنا تتعلق بحركة التفسير لا باستحقاق درجة المفسر بالمعايير التقليدية، والتي من أهمها القدرة على التأليف العلمي.

وأشير هنا أن التدريس المذكور قد كان صلبه في الجزائر، ووجد من المفسرين الجزائريين من اشتغلوا بتدريس التفسير في المدارس والمساجد والنوادي، والصحف والإذاعات خارج الجزائر، سواء بالمشرق أو بالمغرب. ومنهم من جمع إلى تدريس التفسير تدريس فنون أخرى كالمشدالي، والتقي الشمني، ويحي الشاوي، وعيسى الثعالبي...

وأذكر هنا أيضا شخصية قبل القرن التاسع والغرض أن تدريس التفسير قد استمر ومنذ وقت مبكر، شرقا وغربا، وأن مجالس العلماء فيه كانت مشهورة، وأن المسائل التفسيرية كانت سائدة، ويتم تداول الكتب والمباحث العالية كما يفيده النصوص الآتية. وأن التفسير كان من اختصاص أعيان العلماء، حيث كانوا يقصدون بالإشكالات التفسيرية الكبرى. كما حدث لأحد ابني الإمام هنا، وللآبلي في النص المشهور في إصلاح الخلل الوارد في كتاب التفسير للفخر الرازي، وهو نص سأورده في محله، لدلالته على قدرة المفسر الجزائري يومها على متابعة الدرس التفسيري في مختلف أطواره.

وأسوق هنا نصا مفاده أن ابن الإمام تحدث عن نفسه أنه وجه إليه سؤال وهو بالمشرق حول اقتضاء الجمع بين آيتين على طريق الصنعة المنطقية بحذف الوسط إنتاج ما ليس بمراد. وليس في النص أن ابن الإمام أجاب السائل لكن فيه أنه تعقب جواب من سأل عن ذلك بعد عودته إلى بجاية فقد قال: " وقال، ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً، أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشريطتين: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) [الأنفال: 23]، فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج " ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون " وهو محال. ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن حكم؛ قال الخُوَنْجي، والإهمال بإطلاق لفظه، لو وأن في المتصلة، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان، والمهملة في قوة الجزيئة، ولا قياس على جزئيتين. فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين، أخبرته بهذا، وبما أجاب به الزمخشري وغيره، مما

[1] - تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 190/2.

[2] - تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 422/2.

يرجع إلى انتفاء أمر تكرار الوسط. فقال لي الجوابان في المعنى سواء، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط. وأخبرت بذلك شيخنا أبا عبد الله الآبلي، فقال إنما يقوم القياس على الوسط، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين، إلى ساير ما يشترط. فقلت ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلاً لمجمل ما ينبئ عله الوسط وغيره، وإلا فلا مانع لما قاله ابن الشروط تفصيلاً لمجمل ما ينبئ عليه الوسط وغيره، وإلا فلا مانع لما قاله ابن حسين. قال الآبلي؛ وأجبت بجواب السلوى، ثم رجعت إلى ما قاله الناس، لوجوب كون مهملات القرآن كلية، لأن الشرطية لا تنتج جزئية. فقلت: هذا فيما يساق منها للحجة مثل (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا). أما في مثل هذا فلا. قلت: وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولي سبب تأخر، حسبما تبين في مسألة: لو لم يطع الله. فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله."[1].

والذي يهم هنا أن قصد العالم المشرقي المذكور ابن الإمام بالسؤال يشير إلى شهرته بالقدرة على التفسير، وأن توجيه ابن الإمام السؤال إلى شيخه ببجاية أن الدرس التفسيري بها كان راقيا، إلى الدرجة التي يشير إليها رفع الإشكال، وأيضا أن تفسير الكشاف كان رائجا، وقد حل محل القبول من العلماء ومدرسي التفسير خصوصا...

ومما يذكر في شخصية النقاوسي (في حدود 740هـ) في ما وصفه به البلوي في البرنامج المشهور أنه كان ذا إحاطة بعلوم شتى منها علم التفسير، وعبارة البلوي المذكور "... إلى إحاطة بعلم التفسير والحديث."[2]. وهو وصف أدلى به ساعة حضوره مجلسه، وما تسنى له من الوقوف على دروسه فيما ذكر عموما وخصوصا في التفسير.

ومن الشخصيات التي اشتهرت بتدريس التفسير خارج الوطن كما يفيده النص الآتي الإمام منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ففيه أنه كان بدرس التفسير بالأندلس عام 753هـ حيث " قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، فلقي رحباً، وعرف قدره، فتقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهة، وحلّق للناس متكلماً على الفروع الفقهية والتفسير. وتصدر للفتيا..."[3]. ويقتضي هذا أنه مكث في التدريس زمانا يكفي لإجراء العطاء المذكور والشهرة بين العلماء وأصحاب التراجم بذلك.

ومن المعلوم أن منصورا الزواوي من تلاميذ الإمام الباهلي فقد ذكر ابن الخطيب أن له عليه مشيخة بقوله: " ومفيدنا المقدم أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بالمفسر رحمه الله."[4]. والباهلي شخصية معروفة في القراءات والتفسير وعموم علوم القرآن.

وفي تعريف الخلف نصوص عن الشريف التلمساني نبدأ بما يتعلق بأبي زيد بن الإمام وأن له مجلسا في التفسير، وكان من تلامذته وهو ما يفيده النص التالي عن الشريف التلمساني أنه " حضر يوما مجلس أبي زيد بن الإمام

---

[1] – الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر نفسه. ج 1/ 219.

[2] – تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، المصدر نفسه. 19.

[3] – الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر نفسه. ج 1/ 458.

[4] – الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر نفسه. ج 1/ 459.

في تفسير القرآن، فذكر نعيم الجنة فقال له الشريف وهو صبي: هل يقرأ فيها العلم؟ قال له: نعم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. فقال له : لو قلتَ: لا، قلتُ لك: لا لذة فيها، فعجِبَ منه الشيخ."[1].

والشريف التلمساني تقدمت ترجمته وقد " فسر القرآن خمسا وعشرين سنة بحضرة أكابر الملوك والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة، لا يتخلف منهم أحدٌ، عالما بقراءته ورواياته وفنون علومه من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ وغيرها."[2]. وهذا يعني أن درسه كان راقيا، وأنه قد وقع له تسليم الأقران والأكابر بذلك، وقد أخذ عنه هذا الفن على مدار السنين من لا يحصون كثرة من الطلبة، وجمهور المؤمنين، خصوصا وأنه كان " غالبا يقرأ المدونة بعد التفسير حتى مات."[3]. ودرس الفقه كان مقصودا وأنه الأساس في التعليم يومها.

وأما عن مقدار ما كان يفسره فقد ذكر أنه: " يقرئ في التفسير نحو ربع حزب كل يوم مع البحث، وإذا طال بحث الطلبة أمرهم بالتقييد في المسألة ثم يفصل بينهم."[4]، وهو مقدار لا يطيقه على طريقة الشريف في التوسع، والخوض في الفنون المتعلقة من لغة وبلاغة ومنطق كما كانت صيغة التفسير يومها شرقا وغربا، مع الاستشكال ودفعه.

وبخصوص القرن محل الدراسة فإن البسيلي رحمه الله كان ممن تعاطى التدريس، وليس بين يدي الآن أنه درس التفسير، ولكنه نص عام يشمل عموم المواد التعليمية المقررة يومها بالمدارس، و" كان مدرسا بالمدرسة الحكيمية (نسبة إلى محمد بن علي اللخمي المعروف بابن حكيم)، وكان يقرِئُ بدار سقيفته كثيرا."[5]. وفي إضافة فيها الرصاع " يعتبر البسيلي من فقهاء المذهب المالكي ويعده الباحثون من العلماء وقد اشتغل بالتدريس، فانتصب له بالمدرسة الحكيمية كما كان يقرئ بسقيفة داره، وهذا حسب ما ذكره تلميذه الرصاع: حضرت مجلسه بالمدرسة الحكيمية، وقرأت عليه جمل الخونجي . وكان يقرئ بسقيف داره كثيرا وتقصده الطلبة تسأله عن المسائل المشكلة."[6].

ورد في بعض النصوص أن الثعالبي كان ممن قد اشتغل بتدريس التفسير، فهو يذكر ذلك وأنه أجاز به بعض تلامذته المذكورين في النص، ولا يبعد أن تكون الإجازة عامة على ما كان معروفا. ففيه " الحمد لله سمع علي الفقيه الأنجب الفاضل أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم السنجاسني جميع هذا السفر الأول، وسمع علي من الذي

---

[1] – تعريف الخلف للحفناوي المرجع نفسه. ج 113/1.

[2] – تعريف الخلف المرجع نفسه. ج 117/1.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 118/1.

[4] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 118/1.

[5] – معجم المؤلفين التونسيين، المرجع نفسه. ج 104/1.

[6] – تفسير ابن عرفة برواية البسيلي، رسالة ماجستير العالية شعراوي (كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر ــ 2006ــ) /80. راجع فهرست الرصاع :177.

يليه إلى سورة سبأ، وأجزته أن يرويه عني، وأن يقرأه متثبتا ومتحريا، ويقف عن الخوض فيما لم يصل إليه فهمه إلى أن يقف على فهمه، وأنا بريء من التحريف."[1].

وفي نص ثان للسجناسني المذكور، وهو أحد تلامذته الذين داوموا حضور درس التفسير عنده، " فالذي ختمته عليه ورويته: الجواهر الحسان..."[2]. وهي نصوص تدل على أن الثعالبي كان يدرس التفسير وخصوصا كتابه الجواهر الحسان، وأنه كان متحفظا في الإجازة مشترطا فيها على من يجيزهم.

وفي ترجمة القلصادي أن الإمام قاسم العقباني (854هـ) كان ممن يدرس التفسير إضافة إلى علوم أخرى، وكان العقباني هذا قد بلغ رتبة الاجتهاد وإن ما يدَّعِه لنفسه. وفي الضوء اللامع عرض لمن أخذ عنهم القلصادي المذكور بشكل أوسع " ثم إلى تلمسان سنة أربعين...فلازم الشيخ أحمد بن زاغو، وقاسما العقباني، ومحمد بن مرزوق فدرس عليه في التفسير والحديث والفرائض والنحو وعلى العُقباني في التفسير والحديث والفقه والأصلين وعلى ابن زاغو في التفسير.."[3]. وفيه زيادة على ما في الرحلة من أن أبا الفضل قاسما العقباني كان ممن يشتغل بتدريس التفسير، وأن القلصادي على تقدمه في الطلب كان يحضر مجلسه، وإن لم يبلغنا أن قاسما العقباني ترك في التفسير عملا.

وممن درس التفسير أبو الفضل المغربي، ففي منشور الهداية عن ولد المشدالي أنه " تصدى للإفتاء بالمدينة المذكورة زمن الجد عبد الكريم ودرس بها، وذكر أنه تصدى للتفسير."[4]، وفي الضوء اللامع تصريح بهذا وغيره إذ درس المشدالي " علوم الشَّرْع التفسير والحديث والفقه على أبيه."[5]، ولما قدم تلمسان أخذ المشدالي عن بن مرزوق وهو المقصود بلفظ (فعلى الأول) " فعلى الأول في التفسير والحديث والفقه والأصلين."[6]، وأخذ عن أبي الفضل بن الإمام " التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة والتصوف."[7]. كما فيه أيضا أن المشدالي تتلمذ على أبي العباس أحمد بن زاغو، فأخذ عنه جملة من الفنون والتي هي: " التفسير والفقه والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف."[8]. وبدوره بعد أن تأهل للتفسير، انتصب المشدالي المذكور (865هـ/) لتدريس التفسير في أمر أجملته هنا من الضوء اللامع حيث " انتزع له تدريس التفسير بقبة المنصورية."[9]، ويقصد بانتزع له أي من غيره من مفسري أهل مصر.

---

[1] – الجواهر الحسان، المقدمة، المصدر نفسه. ج 1/ض – ط.

[2] – الجواهر الحسان المصدر السابق. ج 1/ض – ط.

[3] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 143/3.

[4] – منشور الهداية، المصدر نفسه. 56.

[5] – الضوء اللامع، المصدر السابق. 4 / 383.

[6] – الضوء اللامع للسخاوي، المصدر نفسه. ج 4 / 383.

[7] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 383.

[8] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 383.

[9] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4 / 388.

ومن أشهر مدرسي التفسير وغيره من الفنون المتعلقة به خصوصا الإمام تقي الدين الشمني، ففي ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي إمام السلطان (ولد 835هـ/) ويعرف بابن الكركي... أنه " مما أخذ عن الشمُنّي التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان والمنطق وغيرها بقراءته وقراءة غيره تحقيقا ودراية."[1]. والنص يفيد الأهلية التامة للشمني القسنطيني في تدريس جملة فنون علوم الإسلام، مع وجود غيره من أعيان العلماء، ومنهم السخاوي وما أدراك.

وفي ترجمة محمد بن علي بن علي بن محمد بن نصير – كبُكَيْر – الشمس أبو الفضل الدمشقي القوصي الأصل القاهري الشافعي، أورد السخاوي أنه " أكثر من الأخذ عن الشمني في فنون كالتفسير والأصلين والعربية والمعاني."[2]. وتكرر أخذ المشايخ عنه، وقد ذكرت في ترجمة الشمني جملة ممن أخذوا عنه فلا أطيل بتكرار ذلك. وأذكر قبل أختم أحمد بن محمد الكناني الشافعي (826هـ/895هـ)...ففي ترجمته أنه " سمع على الشمني في حاشيته على المغني بل سمع عليه في التفسير والحديث وغيرهما."[3]. وأختم بهذا النص لما فيه من ذكر مقرر التفسير في التدريس بمصر، أسوة بغيرها إذ كان تفسير البيضاوي قد لقي القبول التام وحلّ محل الكشاف، وغيره. والغرض التدليل على قيام التقي الشمني بالتدريس خصوصا مقرر التفسير، السنين الطويلة، وبحضور الطبقات العليا، إضافة إلى الدراية والرواية والتحقيق التام.

ومحمد بن يوسف السنوسي ممن درس التفسير، فأبدع فيه كما ذكر الملّالي " فتجده رضي الله تعالى عنه إذا شرع في تفسير آية من كتاب الله تعالى، أو تفسير حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد ما أحاط به علم الباري سبحانه يبدي فيها من بديع التأويلات، وكثرة الاحتمالات ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يوجد في كثير من المطولات."[4]. بل له في تفسيره وفي تدريس التفسير مقاصد يستقصيها، ويجعل درس التفسير وسيلته إليها فقد قال الملالي أيضا " كان رضي الله تعالى عنه لا يقرئ في علم من العلوم الظاهرة إلا خرج منها إلى علوم الآخرة، لاسيما إذا كان يقرئ علم التفسير والحديث، وما ذاك إلا لما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالى، و مراقبته له في كل لحظة، وعدم التفاته إلى شيء من زخارف الدنيا حتى كأنه يشاهد الآخرة بين يديه، فصارت قراءته للعلوم الظاهرة راجعة كلها في الحقيقة علوما باطنة."[5].

كما نجده ألف في التفسير زيادة على تدريسه بل ختم ذلك التدريس وقد ذكر الملالي أن درس الختم كان مشهودا، يسعى السلطان فمن دونه لحضوره " وكذا أيضا لما عزم الشيخ رضي الله تعالى عنه على ختم تفسير كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقد كان وقف على سورة الإخلاص سمع بذلك وزير السلطان وأراد أن يختم التفسير وكان الشيخ أراد أن يختم سورة الإخلاص

---

[1] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1/ 36.

[2] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 190.

[3] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1/ 378.

[4] – المواهب القدسية، الباب الثالث، المصدر نفسه.

[5] – المواهب القدسية، الملالي. الباب الثالث، المصدر نفسه.

في يوم والمعوذتين في اليوم الذي بعده وسمع الوزير بذلك فأراد أن يحضر عنده في اليوم الثاني الذي يقرأ فيه الشيخ تفسير المعوذتين وهو يوم الختم."[1]. وهي نصوص أوردتها من قبل، وأعدتها هنا لتعلقها بخصوص موضوع التدريس.

وممن تصدى للتفسير وإن كان لم يترك تأليفا في ذلك يكون قد اطلع عليه الباحثون، أو ذكره أصحاب التراجم الإمام التنسي (تـــ:899هـــ) فقد حضر درسه أبو جعفر البلوي، وحدث عن نفسه قائلا: " سمعت على شيخنا وبركتنا وسيدنا ومولانا الكاتب لما فوقه جملة وافرة من تفسير كتاب الله العزيز من سورة الأعراف فاتني منها أقلُّها بما يجب لذلك من التحقيق والتحرير، مما ذكره المفسرون، وما لم يذكره صاحبُ تفسير؛ بل من نتائج فكره المصيب، ومتلقياته عن مشايخه الأعلام الذين ورث مقاماتهم بالفرض والتعصيب. وسمعت عليه شيئا من البيوع من كتاب مسلم بقراءة ابنه سيدي أبي الفرج في أيام التفسير."[2].

وفيه الوصف بالمقدرة المعرفية، والمَلَكَة العلمية التامة. وفي آخر النص ما يفيد أن التفسير كان على وفق كتاب مقرر لم يذكر اسمه يعهد بقراءته لقارئ معين، وقد يستخلف آخر عند الغياب، كما كان معروفا.

وهناك شخصية أخرى حضرت التفسير عن التنسي، وكان من تلامذته، وأنه كان له مجالس في التفسير، وله فيه تلاميذ فهذا ابن العباس الصغير يقول " لازمت مجلس الفقيه العلَم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام، وحضرت إقراءه تفسير..."[3]. وهي مدة تكفي للختم خصوصا في المدارس وحيث يستمر الدرس في جميع أجزاء النهار ولفترات طويلة في مختلف الفصول، وأكثر من هذا إذا كان محور الدرس كتابا مقررا على الطلبة جرت العادة بالسعي إلى ختمه. وهو ما كان يحصل في جملة مقررات الدراسة بما فيها التفسير.

هذا كله في القرن التاسع وعن مدرسي التفسير فيه، وفي فاتحة القرن العاشر تظهر شخصية كبيرة قد ختم تاريخ العلم الشرعي بها، و لم يتكرر بعد ذلك من هو في مستواها، في التمكن من الفنون، والتلمذة على أعيان القرن التاسع. ينتمي ابن مرزوق الكفيف(901هـــ)[4] إلى عائلة عريقة في العلم، رواية ودراية، وقد ترجمنا له بما يتسع له مقام هذا البحث، ونخصص الكلام هنا لمجهوداته في التدريس، فقد يدرس التفسير وممن حضر مجلسه البلوي، واقتصر حضوره على ما ذكره في قوله:" وحضرت إلقاءه تفسير بعض سورة آل عمران من كتاب الله

---

[1] – المواهب القدوسية، الملالي. الباب الثالث، المصدر نفسه.

[2] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي: 319.

[3] – التنبكتي المرجع نفسه/ 329. الحفناوي، المرجع نفسه ج 164/1.

[4] – شيوخ الكفيف في التفسير: " وسمع عليه – أي ابن عتاب بتونس- بمجلس درسه جملة من تفسير القرآن العزيز سماع تفقه في أحكامه، وتفهم لمعانيه، مع ما أفاده رضي الله عنه مما لم تحتو عليه كتبُ التفسير من أبكار فكره، وأخذه عن شيوخه بعباراته الفصيحة، واستدلالاته المحكمة الصحيحة.". وحضر عليه – أبو حفص القلشاني- إلقاءه تفسير طائفة من الكتاب العزيز أولها قوله تبارك وتعلى (ولقد ذرأنا لجهنم)[الأعراف: 179]، ومنتهاها قوله سبحانه (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) الأنفال 23، بما يجب لذلك الإلقاء من بيان المعاني واستنباط الأحكام وإيراد الأسولة والانفصال عنها وغير ذلك و لم تتفق له منه إجازة.". ثبت أبي جعفر أحمد بن علي: 312.

تعلى على ما يجب في ذلك وله من التحقيق والتحرير."[1]. وهو المقدار الذي تحتمله الرحلة إذ كان البلوي المذكور حل تلمسان آخر القرن التاسع.

وفي فهرس ابن منجور ذكر لطائفة ممن أخذ عبد الواحد الونشريسي درس التفسير وغيره، منهم الشيخ اللمطي فقد حضر عبد الواحد الونشريسي التفسير:" وكان يلازم دروس شيخينا الإمامين:...والونشريسي أبي محمد عبد الواحد في فرعي بن الحاجب والتفسير وغيرهما."[2].

وممن حضره عثمان بن عبد الواحد اللمطي زيادة على عبد الواحد الونشريسي، شخصية ثانية يفيدها النص التالي: " كان ملازما لابن هارون بمدرسة العطارين، ولكرسي التفسير وابن الحاجب للونشريسي."[3]. وليس فيه ذكر ما أخذه عن ابن هارون.

وممن حضر عند عبد الواحد الونشرسي التفسير، محمد بن مجبر المساري " وختم عليه أخرى بكرسي الغداة بجامع القرويين، وكثيرا من ثالثة بذلك الكرسي، وحضر عنده منه كثيرا بغير ذلك الكرسي، كمسجد العقبة الزرقاء المتصل بداره، ومسجد رحبة الزبيب وغيرهما. ولازمه في التفسير حتى ختم، وأعاد عليه أخرى إلى أثناء سورة يوسف عليه السلام."[4]. وفيه زيادة على ما فصله أن الونشريسي المذكور كان يدأب على ختم التفسير. وهي ظاهرة إيجابية تدل على اعتناء الجزائريين بالدرس التفسيري حتى خارج الجزائر.

وفي ترجمة محمد بن علي العدي أنه لازم ابن هارون والونشريسي، وفي النص ذكر لتدريس ابن هارون للتفسير، وهو ما كنت تساءلت عنه من قبل:" ولازم أيضا دروس المفتيين المذكورين في الفقه وغيره، وتفسير الشيخ أبي القاسم بن إبراهيم بالمدرسة المصباحية مدة."[5]. وفيه أيضا أن مقرر درس التفسير كان كتاب أبي القاسم بن إبراهيم.

وتطالع الناظر في القرن العاشر شخصية لم تحظَ بالتوسع في كتُب التراجم، لكن ذكرَ في منشور الهداية أن عمَّه قاسما الفكُّون (965هـ) كان " ممن فاق عصرَه في علم المعقول، وكان ممن تصدى للتفسير زمنَ مشيخة عصره، وناهيك بهم مَشِيخةً فيهم الشيخُ الوزان، وحضره وأثنى عليه."[6]. وقد أخذ قاسم الفكون عن جملة من المشايخ منهم الوزان المذكور ومنهم شخصية عرفت بالتفسير وقرأت على مفسرين من المشرق، إذ كان من " شيوخه الشيخ مغوش[7]، الذي طبق حفظه الأرض وهو أشهر من أن يذكر، ومن شيوخه أيضا الشيخ العارف

---

[1] – ثبت أبي جعفر أحمد بن علي، المصدر نفسه. 248.

[2] – فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 36.

[3] – فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 62.

[4] – فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 65..

[5] – فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 68.

[6] – منشور الهداية، المصدر نفسه. ج 42.

[7] – محمد بن محمد التونسي هاجر إلى الآستانة فالتقى بمفتيها الأستاذ أبو السعود المفسر، توفي بالقاهرة 947هـ. المؤنس 163.

الوزان."[1]. وفي ترجمة موسى بن علي بن إسماعيل بن عماد الدين الدمشقي، كما في الكواكب السائرة للغزي، أنه أخذ " التفسير عن الشيخ مغوش المغربي، عن سيدي محمد السنوسي البوني الأصل."[2].

وإنما سقتُ هذا النص للدلالة على أهلية الشيخ مَغُوش المذكور في التفسير، وذكر مشايخه فيه. وفي بعض النصوص أنه لقيَ بالمشرق فالتقى بمفتيها الشيخ أبي السعود المفسر المشهور مؤلف إرشاد العقل السليم. وورد في ترجمة الشيخ مغوش " داخل دمشق فاجتمع به أفاضلها، وشهدوا له بالعلم، والتحقيق خصوصاً في التفسير، والعربية، والمنطق، والكلام، والعروض، والقراءات، والمعاني، والبيان وقالوا: لو يرد إلى دمشق من مستحضر كلام السعد التفتازاني، والسيد الشريف، ويقرره، وما يرد عليه، وقرأ عليه الشيخ علاء الدين بن عماد الدين الشافعي، في أوائل تفسير القاضي البيضاوي، فأفاد وأجاد إلى الغاية، حتى أذهل العقول."[3].

وذكر عبد الكريم الفكون أن الشيخ أحمد الجزائري، كان ممن " يتعاطى التفسير والفقه ويدعي الأستاذية في السبع."، وعبارة الفكون، توحي بالتعجب وعدم الإقرار للجزائري المذكور في ذلك، وقد ترجم لجملة من الأشخاص عقب على دعاويهم للعلم والفقه بالإنكار، والنقض لتلك الدعاوي. ومهما يكن من أمر الجزائري هذا وعبارة الفكون السابقة فإن التدريس بالمستوى الذي تحتمله الظروف العلمية في زمن الفكون قد وجد واستمر.

وممن درس التفسير واجتهد في إحياء سنة الطلب في تحصيله، محمد بن عبد الرحمان بن جلال (981هـ) فعند ابن منجور أنه كان يحضر التفسير على عبد المالك البرجي:" وحضر عند الفقيه النوازلي أبي مروان عبد المالك البرجي التفسير وغيره." [4].

وممن اشتهر بتفسير القرآن، وعرف بمجلسه فيه الشيخ محمد بن علي أبهلول، فقد عرفت مكانته في علوم التفسير والحديث وما شابهها. وروى الشيخ سعيد قدورة أيضا أن شيخه " قد وصل في تفسيره إلى سورة الإسراء قبل أن يقتل (1008هـ)."[5]. وهي عبارة تدل على قصد الختم في درس التفسير ما لم يحصل للمفسر ظرف قاهر.

وفي منشور الهداية وهو مصدر معاصر للقرن المذكور أن أحمد المقري كان يدرس التفسير بالعاصمة (1041هـ): " فنزل بدار الجزائر على فقهائها وعلمائها وتصدى للتدريس بها وقرأ التفسير على ما قيل في أيام إقامته."[6]. ولم يكن الفكون قد عاين المجلس بل بلغه ذلك عن غيره. وهو أمر غير مستبعد، لكون المقري من المفسرين وقد ترجمت له وله كتاب إعراب القرآن، وغير ذلك.

---

[1] – منشور الهداية، المصدر نفسه. ج 42.

[2] – الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، المصدر نفسه. ج 163/3.

[3] – الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، المصدر نفسه. ج 16/2.

[4] – فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 79.

[5] – تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور سعد الله، المرجع نفسه. ج 13/2.

[6] – الفكون، منشور الهداية، المصدر نفسه. 223.

وهناك شخصية أخرى شغلت القرن الحادي عشر بكتاباته النقدية، وفتواه بخصوص تحريم الدخان، وما كتبه مما يعتبر عملا إصلاحيا تعلق بالخطاب الديني، ومقاومة البدع...وإن أقل رتبة في الشهرة العلمية من عمه قاسم وهو الشيخ عبد الكريم الفكون الذي ذكر عن نفسه أنه كان يحضر التفسير عند محمد التواتي، والملاحظ أن ملكة العلوم قد تناقصت لهذه الأزمنة، حتى أصبحت أسماء الفنون لا تعكس محتوياتها، وهو أمر لاحظه الفكون نفسه فقد قال عن نفسه: " قرأت عليه المرادي سنة إحدى وثلاثين وألف مرارا... وحضرته للتفسير نحو العشرة أحزاب." [1]. وفي منشور الهداية وفي مواضع متعددة نقد كبير لأسماء يراها هو بدون مسميات علمية، وادعاء فنون لا طائل تحته.

وكنت قد أشرت إلى المقدرة العلمية التي تحلى بها الشيخ يحي الشاوي (1096هـ)، وما أبداه في المحاكمات من واسع العلم والمعرفة بالتفسير، وعلوم العربية. وكل ذلك كان في ترجمته، وأتعرض هنا إلى أنه كان يدرّس التفسيرَ بدمشق وبغيرها، كما يفيد بعض ذلك الناص التالي، إذ فيه " وقرأ عليه هو وجماعة من بلدته دمشق وغيرها كالعلامة السيد محمد أمين المحبي والفاضل الشيخ أبو الإسعاد بن الشيخ أيوب الخَلوتي والشيخ عبد الرحمن المجلد والسيد أبو المواهب سبط العرضي الحلبي فقرءوا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام."[2].

ويفيد سعد الله نقلا عن ابن ميمون أن أبا الحسن علي عبد الواحد السجلماسي(1057هـ)، كان ممن يدرس التفسير إضافة إلى ما مر منه أنه نظم من التفسير البدايات الأولى من سورة البقرة. وقد كان درسه عاما. وربما كان يأخذ حضور العامة في تفسيره، فيبين لهم مقاصد السور والآيات، ويقرب ذلك للناظرين. " وقد روى محمد بن ميمون أن القاضي أبا الحسن علي كان بارعا في تفسير القرآن حتى اشتهر به وتسابق الناس إلى درسه في الجامع الكبير." [3]. ومقدرة السجلماسي المذكور على التفسير كبيرة، فقد ورد في شأنه أنه " مرَّ على الكشاف من أوله إلى آخره ثلاثين مرة منها قراءة ومنها مطالعة."[4].

كما نقل سعد الله نقلا عن ميمون أن الشيخ المفتي مصطفى بن عبد الله البوني " على سبيل التفقه وأنه أجاد فيه." [5]. وواضح أن هذا كان في متناول عامة الناس نظرة لطبيعة تفسير الحسان وخلوه من المباحث التخصصية، ومكانة صاحبه الصوفية خصوصا إذا كان ذلك بمدرسته أو بالمسجد.

وممن نص ابن زاكور في رحلته أنهم كانوا يدرسون التفسير أبو عبد الله بن خليفة (1094هـ)، بل يذكر سعد الله استنادا إلى ابن زاكور دائما أنه كان يختم التفسير: " وذكر ابن زاكور في رحلته أن أبا عبد الله بن

---

[1] – منشور الهداية، عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه. 59.

[2] – سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المصدر السابق. ج252/1.

[3]– سعد الله، ، المصدر نفسه. ج 15/2-16.

[4] – خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 226/2.

[5] – سعد الله 15/2-16. نقلا عن التحفة المرضية لابن ميمون 235.

خليفة الجزائري قد ختم القرآن الكريم تدريسا."[1]. وهذا حركة التفسير كانت متاحة وأنها كانت مستمرة وتبلغ مداها خصوصا بالختم، وما يتطلبه من طول المدة.

وفي ترجمة عبد القادر الراشدي شيخ أبي راس الناصري، وشيخ اللغوي الكبير مرتضى الزبيدي، وقد أجاز الراشدي هذا الأخير وراسله بالإجازة من قسنطينة، وفي النص المقصود أن عبد القادر الراشدي القسنطيني كان يدرس التفسير، وأنه " كان يعقد مجالس للفتوى والتفسير."[2]، بل إن بعض هذه المجالس كانت بحضرة الباي، ففسر الراشدي " عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي."[3]. وهو تقليد معروف وإن كانت النصوص لا تدل على كثرته واستمراره، ربما لكون البايات عجما، وقد شغلوا بأمور السياسة والعسكر أكثر من الأمور الثقافية؛ استجابة لظروف الفتح وغيره، خصوصا في القرن الأولى لتواجدهم.

وممن نقل أنه درسوا القرآن بالمسجد وجروا على سنة العلماء الجزائريين في ذلك، واستمروا في التدريس والتفسير حتى بلغوا النهاية فيها الشيخ ابن للُّو، فقد نص سعد الله أنه ختم التفسير" القرآن الكريم في الجامع الأعظم بتلمسان."[4].

وحتى عند دخول المستعمر فضلا عن الفترة السابقة لذلك الدخول والقدوم المشئوم فقد كان سيرة المشايخ لا تنقطع في تدريس التفسير، للطلبة خصوصا، ولعموم المؤمنين، فإن الشيخ المشرفي وهو شخصية عاصرت دخول الاستعمار يحدث عن نفسه: " ففاجأنا دخول الإفرنس دمره الله الثغر الجزائري، فلم يتم لنا المراد في قراءة التفسير ومتون الصحاح، فرجعت لغريس."[5]. ويقصد بالدخول هنا دخول وهران فقد كانت كما هو معلوم من ترجمته المكان الذي سافر إليه لدارسة العلم الشرعي، وكانت هي الوجهة لجميع طلبة الغرب خصوصا، لتوفر المشايخ بها.

وبدوره وبعد التأهل لذلك جلس المشرفي يدْرس البيضاوي والخفاجي، وقد اطلعت على شخصية درست عند المشرفي التفسير خصوصا، وهي شخصية محمد بن سعد بن التلمساني، كما يفيده النص التالي من أنه " قرأ عليه شرح البخاري سنة 1245هـ/1830م، وتفسير البيضاوي وحاشية الخفاجي عليه."[6].

ولما كان بعض الجزائريين عائلات علمية وغيرها قد اختارت أن توقع على رفض وجود الاستعمار بالأقدام، فقد هاجرت شخصيات إلى المشرق و لم ينقطع اتصالها بالعلم، فعن أحمد بن محي الدين الإغريسي أنه

---

[1] – سعد الله 2/15-16. رحلة ابن زاكور، المصدر نفسه. 31.

[2] – سعد الله 2/14، الحفناوي، المصدر نفسه. ج 2/219.

[3] – سعد الله 2/14، الحفناوي، المصدر نفسه. ج 2/219.

[4] – ياقوتة النسب الوهاجة، للمشرفي، المصدر نفس- 34.

[5] – ديوان نظم، و111 ظ.

[6] – العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي – حياته وآثاره –، عبد الحق شرف. (منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف-الجزائر-2011م.) /76.

" حضر في التفسير على أخيه العلامة السيد محمد السعيد."[1]. كما في تعريف الخلف للحفناوي. وممن حضره الإغريسي هذا وفي التفسير دائما الشيخ قاسم الحلاق[2]، فقد " حضره في أوائل تفسير البيضاوي."[3].

وكذلك جلس الشيخ الخضر حسين يدرس التفسير، ويبدو أن ذلك كان عقب تخرجه من الزيتونة وحصوله على شهادتها، ففي ترجمته ما يفيد أنه تقدم لذلك، وأن الوالي استدعاه، واستفهمه يستكشف مقدرته العلمية على ذلك، وأن الخضر حسين بين له المراد، وغير مكان الدرس إلى مكان آخر كما في النص الذي أورده هنا، وأعيد إيراده في مكان آخر للحاجة. وفيه ما نصه على لسان الشيخ الخضر حسين دائما؛ وذلك أن " علماء جامعة الزيتونة لا يقرؤون تفسير القرآن إلا إذا قرؤوا علوم المعقول والمنقول، حتى يدركوا بلاغة القرآن. وأذكر أنه طلب مني بعضُ الطلبة أن أقرأ لهم تفسير البيضاوي في جامع (حمّودة باشا)، فأجبت رغبتهم وقرأت منه دروسا، فأرسل إليّ القاضي المالكي يدعوني إلى المحكمة، فذهبت إليه فقال لي: بلغني أنك تدرس التفسير. فقلت: نعم. فقال لي: على من قرأته؟ فقلت: على شيخنا عمر بن الشيخ، وشيخنا محمد النجار. فقال لي: هؤلاء ما قرؤوا التفسير إلا بعد أن صاروا شيوخا كبارا... فقرأت التفسيرَ في مسجد " أبي القاسم الجلّيزي."[4].

هذا إضافة إلى ما كان يلقيه من دروس التفسير وهو بمصر وبالمشرق العربي، في المساجد والنوادي، وفي مختلف المناسبات، وهي التي جمعت من بعد في كتابه أسرار التنزيل. وقد قال من جمعها أنه سعة إلى تحصيلها من خلال " دروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة." [5]. على فترات زمنية متطاولة رحمه الله رحمة واسعة.

وأسوة بشيخه الخضر حسين، بل بجميع مشايخه وكثير من علماء الجزائر خصوصا المفسرين منهم، فقد جلس ابن باديس بالمسجد حيث " قام بتدريس تفسير القرآن بقسنطينة خمسا وعشرين سنة، فاحتفلت الجزائر بختمه له في الثالث عشر من ربيع الثاني سنة سبع وخمسين وثلاثمائة من الهجرة."[6]. وهي مدة طويلة تدل على أمور منها: القدرة على الاستمرار في الدرس التفسيري، وأن ابن باديس بعقليته الإصلاحية كان يرى أن القرآن وتفسيره بالتالي هو محور كل حركة إصلاحية، وأن حادث الختم خصوصا على طريقة ابن باديس التي تجمع بين التدريس والتربية، والكتابة الصحفية، ومحاولة توجيه الحياة بمختل فمجالاتها بمضامين القرآن كان عملا عزيزا لم يتكرر إلا بعد الاستقلال على يد الشيخ بيوض بصورة متفاوتة الدوافع لكونها بعد الاستقلال الوطني.

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 99/2.

[2] – " قاسم الحلاق (1221هـ– 1284 هـ/1806م– 1867م) قاسم بن صالح بن إسماعيل بن بكر الدمشقي الشافعي، الشهير بالحلاق. فقيه، مفسر، محدث، ناظم، ناثر. ولد بدمشق، ونشأ، وتوفي بها.". معجم المؤلفين 103/8، تراجم مشاهير فضلاء القرن الثالث عشر. 1/32.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 99/2.

[4] – أسرار التنزيل للخضر الحسين. ج122/11.

[5] – موسوعة الأعمال الكاملة علي الرضا الحسيني، المرجع نفسه. ج 04/1.

[6] – التفسير والمفسرون بغرب إفريقيا الطرهوني، المرجع نفسه. ج 223/1.

وأنتقل في مجال التدريس إلى السادة الإباضية، فقد ساروا وعلى نفس المنوال وهو ما كان معهودا في الوطن الجزائري خصوصا وعموم بلاد الإسلام من المزاوجة بين تدريس التفسير والتأليف فيه. وقد وصل إلى أيدي الباحثين بل وعموم المطالعين للتفسير إنتاج وفير خصوصا هذا القرن، كما رأينا عند الشيخ اطفيش والشيخ بيوض... وأذكر هنا الشيخ إبراهيم القراري حفار (1954م)، وهو من أخصّ تلاميذ اطفيش وقد كان يدرس التفسير بالقرارة؛ حيث " ألقى دروسا...منها دروس في تفسير القرآن الكريم بمسجد القرارة، حضر منها الشيخ عدون أكثر من درس في تفسير سورة براءة."[1].

وحضور العلماء دروس تفسير أقرانهم من الملاحظات التي تلفت بال الناظر ، وقد رأينا ذلك عند الشريف التلمساني في مجلس السلطان، وابن مرزوق الحفيد بتونس، والإبراهيمي في درس ختم القرآن للشيخ ابن باديس، وهذا النص الأخير والدي فيه أن أحد أعيان المذهب الإباضي وهو الشيخ عدُّون كان يحضر دروسَ الشيخ إبراهيم القراري، وهي في النهاية من تواضع العلماء، ومن تأديب الطلبة في تحصيل العلم.

وإن من الذين درسوا التفسير، للعامة والخاصة الشيخ إبراهيم بن إدريسو وهو من تلامذة الشيخ اطفيش، ومدرس للتفسير، " فكان يشتغل بالتعليم من أول النهار إلى منتصفه، ومن الظهر إلى ما بعد العصر بالدروس العامة في التفسير وغيره."[2]. وليس في جميع هذه النص أن التفسير كان على وفق مقرر معين من تآليف العلماء المعهود تدريسها بالمعاهد العلمية والمدارس، الجلالين، والبيضاوي أو هو تفسير حر يعمِدُ فيه المدرس إلى مجموعة من التفاسير يختار ما يناسب الدرس، ويتوافق مع مقاصد المفسر.

وممن فسر القرآن تدريسا فأتمه الشيخ إبراهيم بيوض وهو من الإباضية المعاصرين، وقد مرت ترجمته، وكان قد انتمى إلى جمعية العلماء المسلمين، وتبنى أفكارا إصلاحية عمل على نشرها من خلال التفسير. وكان بداية هذا التفسير كما يشير إليه النص التالي: " وفي غرة محرم سنة 1353هـ/1953م - بعد أتمَّ تفسيرَ جزء عمّ - واختتمه يوم 25 ربيع الثاني 1400هـ/12 فيفري 1980م، وأقيم له مهرجان عظيم، شهدته مختلف السلطات الإدارية والسياسية من شتى المستويات، كما حضر حشد كبير من الأئمة والعلماء."[3].

وأختم المفسرين الإباضية بشخصية بالحاج بن عدون بن عمر قشّار 1996م الذي كان يدرس التفسير بالمسجد مدة سنين طويلة جاء تحديدها في النص التالي: " ولعل أبرز عمل علمي قام به يتمثل في تفسيره للقرآن الكريم في المسجد من سنة 1956م إلى 1996م، وأقيم له حفل تكريم بمناسبة ختمه يوم 20 جوان 1996م."[4]. وهو من تلامذة القطب

---

[1] - معجم أعلام الإباضية 09/2. وقد ذكر أصحاب المعجم في ترجمته أنه مكث بمعهد اطفيش خمس سنوات، وقد خصه القطب لنبوغه في غير الوقت العام للطلبة. وله **رسالة شروط المفسر** وهي رسالة مطولة. وحاشية على الدرر اللوامع في التجويد.

[2] - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 26/2.

[3] - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 20/2.

[4] - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 79/2.

وهناك لون آخر من ألوان تدريس التفسير وهو إعداد مقرر لطلبة معهد أو جامعة، ويعهد بتدريسه إلى مؤلفه أو إلى مدرس آخر، وقد كان للشيخ قشّار بلحاج " تفسير سورة يس إخراج طلبة الشريعة"[1]. و لم أطلع على هذا المقرر لمعرفة طريقة مؤلفه ومصادر التفسير.

ومن علماء صحراء بجنوب الجزائر من كان بدوره يدرس التفسير، وهو الشيخ بلعالم القبلاوي، وهو وإن لم يترك في التفسير عملا مستقلا صغيرا كان أو كبيرا إلا أنه وكما رأينا من قبل شرح ألفية الزجلاوي في غريب القرآن وهو نوع من التفسير، يناسب التأليف أكثر من التدريس، إلا أنه " ويدرس تفسير القرآن الكريم بتفسير فتح البيان لمحمد حسن خان، في خمسة أيام من الأسبوع عدا الخميس والجمعة بلغ فيه إلى سورة الواقعة وقت إعداد هذه الترجمة (1997م)."[2]. وقد تحدث هذا الشيخ الجليل رحمه الله عن نفسه بشأن ما كان يدرسه ويختم تدريسه من الفنون فقال عن تدريس التفسير: " وقد فسرنا القرآن فيها من أوله إلى آخره ووقت كتابة هذا البحث وقفنا على سورة العصر ومعتمدنا في التفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة المحقق صديق حسن خان ، وفي أول القرآن أخذنا من تفسير القرآن الجامع لأحكام القرآن ابتدأنا في التفسير من أوائل السبعينات من القرن العشرين (م)."[3]. وتاريخ هذا البحث قبل وفاته بسنين قليلة. علما أن مقاصد القرآن كتاب كبير الحجم بلغت طبعاته 10أجزاء من الحجم الكبير.

وممن لا يزالون على قيد الحياة وقد مد الله في أعمارهم الكريمة الشيخ أبو بكر الجزائري، فقد لازم منذ سنين طويلة درس تفسير القرآن إضافة إلى باقي نشاطاته؛ " وقد انبرى الشيخ لتدريس التفسير ضمن دروسه في المسجد النبوي التي تذاع بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية ."[4]. وقد حدث الشيخ الطرهوني في رسالته العلمية فقال: " وقد التقيت به عدة مرات وأخبرني أنه استمر في تدريس التفسير في المسجد النبوي طيلة خمس وأربعين سنة ختم خلالها القرآن أربع مرات وهو الآن في الختمة الخامسة."[5]. وتقدم أن ذلك جمع في كتابه أيسر التفاسير.

ومنهم أيضا الشيخ التواتي، فقد ذكر في مقدمة تفسيره أن ما أبرزه للطبع أخيرا كان ثمرة تدريس التفسير لسنين طويلة بالمسجد، فقد قال: " ولا يفوتني هنا أن أذكر بخير الشيخ العلامة أحمد قصيبة – رحمه الله تعالى – إذ أن هذا الرجل الفاضل والعالم الجليل له كل الفضل في توجيهي إلى تفسير القرآن الكريم، وذلك حين انتدبت للتدريس في مسجد النور بمدينة الأغواط المحروسة فقد قصرت دروسي على الفقه المالكي، وكان الشيخ لتواضعه دائم الحضور، وذات يوم أشار إليّ بعد أن استضافني في بيته وأكرمني أكرمه الله من فيضه،

---

[1] – معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 79/2.

[2] – ترجمة محمد الباي بلعالم، إعداد محمد علي الأمين الشنقيطي ضمن الرحلة العلية للباي المذكور(مطبعة دار هُومة – الجزائر– بدون تاريخ) (384/2).

[3] – الرحلة العلية، المرجع نفسه. ج 388/2.

[4] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع نفسه. ج 202/1.

[5] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع نفسه. ج 202/1.

ورحمه برحمته. قال لي رحمه الله: لو أنك تفاصل بين الدروس فجعلت يوما للتفسير ويوما للفقه؛ بذلك تجمع بين الأصل والفرع؛ فكان لهذا التوجيه الرشيد أثر في نفسي، وأخذت بوصيته فكان نتيجتها هذا العمل الذي احتسبه عند الله تعالى لي تأليفا لي – وله رحمه الله – توجيها."[1].

[1] – الدر الثمين للتواتي، المرجع نفسه. ج 24/1.

المبحث الثالث: منابر تدريس التفسير بالمدرسة الجزائرية.

القصد بالمنابر هنا الأماكن التي كان يوجه فيها التفسير إلى المهتمين بذلك سواء طلبة العلم منهم أو عموم المؤمنين، أو الناظرين في التفسير من غير هؤلاء، خصوصا في المجتمعات التي فيها أقلية غير مسلمة، أو باحثين أجانب مهتمين بالدراسات القرآنية. وقد كانت هذا المنابر منحصرة في أول حال في المساجد والمدارس، وكتب التفسير. وتوسعت تلك المنابر بطول الزمان، وبعد أن جدت في حياة الناس وسائط أكثر مقروئية صار عرض التفسير عن طريقها أوسع وأنفع، مثل الصحف والنوادي والجمعيات الثقافية، والإذاعة والتلفزيون...وكذلك المعاهد العلمية والجامعات، وصفحات الإنترنت... وكل ذلك وجدنا المفسرين الجزائريين والمشتغلين بتدريس التفسير حريصين على استغلاله باعتباره هذه وسائل ذات شعبية واسعة تطال مختل فشرائح المجتمع، لعرض إنتاجهم الشفهي والمكتوب عن طريقها على قارئي ومطالعي التفسير على اختلاف درجاتهم، وتبيان مستوياتهم...

1- تدريس التفسير بالمسجد: وهو المكان الأول الذي انطلق منه درس التفسير، سواء كان ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أو من جاء بعده من الصحابة والتابعين، فهو مكان الاجتماع للعبادة والتعليم وتدارس الشؤون العامة...وعلى هذا المنوال توالت القرون، وحافظ المشايخ على درس التفسير بالمسجد رغم أنه في القرون التالية أحدثتِ المدارسُ، فكانت حلقات التعليم تتم بها خصوصا، حيث يقيم الطلبة من سائر الطبقات... وقد تقدم مرارا ذكر حلقات درس المفسرين الجزائريين قبل القرن التاسع وبعده. والمهم هنا إعادة ما سبق من نصوص، وذكر نصوص جديدة لتأكيد استمرار درس التفسير بالمساجد؛ وخصوصا حيث لا توجد مدارس للتعليم، فيكون التفسير بذلك مقدما إلى عموم المؤمنين.

أ- دروس التفسير للعامة: ووقتها سائر النهار كما مر في بعض النصوص. وعلى سبيل المثال فليس بين يدي الآن ما يدل أن الثعالبي رحمه الله كان يلقي دروسه بمدرسة خاصة وإن كان ذلك لا يبعد، ولا أنه بكّر ببناء زاويته وهو لا يزال على قيد الحياة، ولكن المؤكد أنه كان له مجلس بالمسجد حيث يسمع الحاضرين دروسه في التفسير وغيره. وممن سمع منه التفسير شخصية ورد اسمها في النص التالي، وقد أجازه الشيخ الثعالبي، وذلك بقوله: " الحمد لله سمع علي الفقيه الأنجب الفاضل أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم السنجاسني جميع هذا السفر الأول، وسمع علي من الذي يليه إلى سورة سبأ، وأجزته أن يرويه عني، وأن يقرأه متثبتا ومتحريا، ويقف عن الخوض فيما لم يصل إليه فهمه إلى أن يقف على فهمه، وأنا بريء من التحريف."[1].

وفي نص ثان أن السجناسني المذكور قد طالت به المدة حتى أنه كان من خواص الشيخ الثعالبي، وأنه استمر في الجلوس عليه، وقد ذكر ذلك بقوله: " فالذي ختمته عليه ورويته: الجواهر الحسان..."[2]. ومن عادة العلماء أن يختموا مجالسهم بالإجازة وهو ما درج عليه الثعالبي مع مشايخه، ونقله هو إلى تلامذته فقد قال

---

[1] - الجواهر الحسان، المقدمة، المصدر نفسه. ج 1/ض – ط.

[2] - الجواهر الحسان المصدر السابق، المصدر نفسه. ج 1/ض – ط.

مقررا ما مضى: " الحمد لله سمع علي الفقيه الأنجب الفاضل أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم السنجاسني جميع هذا السفر الأول، وسمع علي من الذي يليه إلى سورة سبأ، وأجزته أن يرويه عني، وأن يقرأه متثبتا ومتحريا، ويقف عن الخوض فيما لم يصل إليه فهمه إلى أن يقف على فهمه، وأنا بريء من التحريف."[1].

وسبق أن نقلت عن الملالي نصوصا من المواهب القدوسية فيها نص تفسير السنوسي إلى قوله (أولئك هم المفلحون)، ونصوصا أخرى وصف الملالي فيها ختم مجلس التفسير، ورغبة السلطان في الحضور...وليس فيه أن ذلك كان بالمسجد، فاحتطت بذكر النص في عدة مواضع منها المسجد، والمدرسة والزاوية... وكذلك الأمر بالنسبة للإمام ابن مرزوق الكفيف فقد نقل الوادي آشي أنه حضر عليه مجالس في التفسير، وليس بين يدي الآن مكان ذلك الحضور...

وأما بخصوص التنسي فقد نقل الوادي آشي أن ما سمعه عليه كان من دروس التفسير كان بمجلسه بالمدرسة اليعقوبية، ونص ما قاله: "...كل ذلك بمجلسه من داخل المدرسة اليعقوبية المبنية على ضريح ولي الله تعالى سيدي إبراهيم المصمودي نفع الله به." [2].

وفي القرن العاشر وبالمغرب الأقصى كان الشيخ عبد الواحد الونشريسي يدرس التفسير، بجامع القرويين، وممن حضر عند عبد الواحد الونشرسي التفسير، محمد بن مجبر المساري " وختم عليه أخرى بكرسي الغداة بجامع القرويين، وكثيرا من ثالثة بذلك الكرسي، وحضر عنده منه كثيرا بغير ذلك الكرسي، كمسجد العقبة الزرقاء المتصل بداره، ومسجد رحبة الزبيب وغيرهما. ولازمه في التفسير حتى ختم، وأعاد عليه أخرى إلى أثناء سورة يوسف عليه السلام." [3]. فهل المقصود بالجامع هنا مكان الصلاة أو المدرسة التي سميت من بعد بجامع القرويين.

وفي تجد أيضا في ترجمة محمد بن علي العدي أنه لازم ابن هارون والونشريسي، وفي النص ذكر لتدريس ابن هارون للتفسير " ولازم أيضا دروس المفتيين المذكورين في الفقه وغيره، وتفسير الشيخ أبي القاسم بن إبراهيم بالمدرسة المصباحية مدة."[4]. ويقصد بالمفتيين هنا عبد الواحد الونشريسي، وابن هارون التلمساني.

وفي ترجمة السجلماسي، وهو من أهل القرن الحادي عشر نقلا عن ابن ميمون أن " القاضي أبا الحسن علي كان بارعا في تفسير القرآن حتى اشتهر به وتسابق الناس إلى درسه في الجامع الكبير."[5]. وهو نصل يدل زيادة على التدريس بالجامع الكبير بالعاصمة أنه كان درسا عاما يجد في عموم المصلين بغيتهم في فهم كلام الله. ولا يمكن ذلك في القرن المذكور إلا إذا كان المفسر يراعي في حضورهم التبسيط، وترك الخوض في مباحث المفسرين، أو على الأقل الاقتصاد فيها.

---

[1] – الجواهر الحسان المصدر السابق، ج 1/ض – ط.

[2] – ثبت الوادي آشي، المرجع نفسه. 320.

[3] – فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 65..

[4] – فهرس ابن منجور، المصدر نفسه. 68.

[5] – تاريخ الجزائر الثقافي، لسعد الله، المرجع نفسه. ج 2/15-16.

وفي ترجمة البليدي كما يفيده الجبرتي أنه كان يدرس التفسير، وقد ورد ذلك في مواطن عدة منها ما ذكره تاريخ وفاة الفقيه الفاضل الصالح الشيخ علي بن محمد بن نصر بن هيكل ابن جامع، وكان يحضر درس الحديث في كل جمعة على السيد البليدي."[1]. وواضح من السكوت عن المكان، وتحديده بيوم الجمعة أنه كان بالمسجد، لاحتمال أن المدارس تكون معطلة في اليوم المذكور، كما جرت به العادة من تعطيل الدروس بها يوم الخميس والجمعة. والله اعلم.

وقد نقل الأستاذ سعد الله ابن للُّو التلمساني ممن نقل عنهم أنهم درسوا القرآن بالمسجد وجروا على سنة العلماء الجزائريين في ذلك، واستمروا في التدريس والتفسير حتى بلغوا النهاية فيه، فقد نص سعد الله أنه ختم التفسير" القرآن الكريم في الجامع الأعظم بتلمسان."[2]. وهو عمل يتكرر كثيرا مما يدل على أن طائفة من علماء الوطن الجزائري أخذوا يخصون العامة بدروس التفسير، لحاجة رأوها ماسة غير ما كان سائدا من أن التفسير يكون للطبقات العليا من طلبة المدارس، ويكون تأليفا للعلماء تكون التآليف فيه ميدانا لاستعراض الإشكالات والجواب عنها.

وبالنسبة لنشاط التفسير في الفترة الاستعمارية فقد ذكر سعد الله أن الأمير عبد القادر كان يدرس الإتقان للسيوطي...، في المدرسة الجمقمقية، والشفا وصحيح مسلم، والعقائد النسفية بجامع سيدي يحي، وأنه بعد حجه فقد كان يدرس بمنزل الضيوف بداره، وختم صحيح البخاري بالمدرسة الأشرفية بدار الحديث النووية بسورية. ومن كل هذا يستفاد أن نشاطه قد شمل المساجد والمدارس المشهورة، وليس بين الآن أين درس كتاب المواقف، وبعبارة أخرى أين كانت حلقات مواقفه التي تعرضنا لها سابقا[3].

وهناك شخصية صرح سعد الله باشتغاله بتفسير القرآن وهو إبراهيم العوامر يدرس التفسير المولود 1881م وقد درس عند مشايخ من منطقة الوادي غير معروفين بالتفسير، ولكنه في تونس درس على الشيوخ: محمد النخلي ومحمد الخضر حسين وكلاهما من المفسرين. وبدوره " قام العوامر بالتدريس تطوعا في جامع النخلة بالوادي، ولا شك أن ذلك كان تحت رقابة المكتب العربي. وشملت دروسه العلوم الدينية، خصوصا التفسير، ومختصر الشيخ خليل، والعلوم اللغوية كالنحو والصرف." [4].

وبالنظر إلى جملة المفسرين المعاصرين فإنه وبالرغم من كثر الوسائط وتعددها نبيا في هذا العصر إلا أن درس التفسير بالمسجد ظل متواصلا، وخدمة متاحة لعموم المؤمنين بما فيهم الطلبة، فإن الشيخ الخضر حسين مثلا، وبعد أن تأهل للتفسير وتدريس العلوم يقرر أن " علماء جامعة الزيتونة لا يقرؤون تفسير القرآن إلا إذا قرؤوا علوم المعقول والمنقول، حتى يدركوا بلاغة القرآن. وأذكر أنه طلب مني بعضُ الطلبة أن أقرأ لهم تفسير البيضاوي في جامع (حمّودة باشا)، فأجبت رغبتهم وقرأت منه دروسا، فأرسل إليّ القاضي المالكي يدعوني إلى

[1] – عجائب الآثار، المرجع نفسه. ج 249/1.

[2] – ياقوتة النسب الوهاجة للمشرفي، المرجع نفسه. ج 45.

[3] – تاريخ الجزائر الثقافي سعد الله، المرجع نفسه. ج 45/7-47.

[4] – تاريخ الجزائر الثقافي سعد الله، المرجع نفسه. ج 506/4.

المحكمة، فذهبت إليه فقال لي: بلغني أنك تدرس التفسير. فقلت: نعم. فقال لي: على من قرأته؟ فقلت: على شيخنا عمر بن الشيخ، وشيخنا محمد النجار. فقال لي: هؤلاء ما قرؤوا التفسير إلا بعد أن صاروا شيوخا كبارا... فقرأت التفسيرَ في مسجد " أبي القاسم الجلّيزي."[1]. فهذا وإن لم يكن بتونس لا بالجزائر إلا أن المفسر جزائري كما هو معلوم.

وأيضا نجد ابن باديس بالمسجد حيث " قام بتدريس تفسير القرآن بقسنطينة خمسا وعشرين سنة، فاحتفلت الجزائر بختمه له في الثالث عشر من ربيع الثاني سنة سبع وخمسين وثلاثمائة من الهجرة."[2]. وقد أقيم لختمه هذا مهرجان كبير شهده العلماء والأعيان، وتحدثت عنه الصحف المتاحة يومها.

وعلى نهج ذلك الإمام الجليل سار الشيخ بيوض، إذ جلس لدرس التفسير السنين الطويلة، بعد أن كان ختم فتح الباري لابن حجر، " وكان بداية هذا التفسير كما يشير إليه النص التالي: " وفي غرة محرم سنة 1353هـ/1953م - بعد أتمَّ تفسيرَ جزء عمّ - واختتمه يوم 25 ربيع الثاني 1400هـ/12 فيفري 1980م، وأقيم له مهرجان عظيم، شهدته مختلف السلطات الإدارية والسياسية من شتى المستويات، كما حضر حشد كبير من الأئمة والعلماء."[3].". والظاهر أن التفسير قد بدأه بالمسجد وختمه فيه.

بل ذكر بعض الباحثين " وكان تفسيره عبارة عن دروس عامة تلقى بمسجد القرارة، أمام عامة الناس أساتذة وطلابا، مثقفين وأميين، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، وكان الوقت المخصص لهذه الدروس ما بين العصرين، يلقيها باللغة الفصحى مع شروح تداخلها اللهجة الميزابية المحلية أو اللغة العربية الدراجة؛ رغبة منه في إيصال رسالة القرآن إلى كل قلب..."[4].

وهي عادة ستتكرر لتصبح تقليد علميا، إذ تجده عند الشيخ القراري حفار: " وأذكر هنا الشيخ إبراهيم القراري حفار (1954م)، وهو من أخصّ تلاميذ اطفيش وقد كان يدرس التفسير بالقرارة؛ حيث " ألقى دروسا...منها دروس في تفسير القرآن الكريم بمسجد القرارة، حضر منها الشيخ عدون أكثر من درس في تفسير سورة براءة."[5].

وكذلك قام الشيخ قشار بتدريس التفسير بالمسجد، واستمر في ذلك رحمه الله إلى أن أتمه على عادة المشايخ. وهو وإن كانت له أعمال علمية أخرى جليلة إلا أن " أبرز عمل علمي قام به يتمثل في تفسيره

---

[1] - أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 122/11.

[2] - الطرهوني، المرجع نفسه. ج 223/1.

[3] - معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 20/2.

[4] - منهج الشيخ بيوض في عرض الإلهيات من خلال تفسيره في رحاب القرآن، صالح حمدي. ج /19.

[5] - معجم أعلام الإباضية 09/2. وقد ذكر أصحاب المعجم في ترجمته أنه مكث بمعهد اطفيش خمس سنوات، وقد خصه القطب لنبوغه في غير الوقت العام للطلبة. وله **رسالة شروط المفسر** وهي رسالة مطولة. وحاشية على الدرر اللوامع في التجويد.

للقرآن الكريم في المسجد من سنة 1956م إلى 1996م، وأقيم له حفل تكريم بمناسبة ختمه يوم 20 جوان 1996م."[1]. وهو من تلامذة القطب اطفيش رحمة الله على الجميع.

ومن لا يزالون على قيد الحياة وهم مستمرون في التفسير ومنذ وقت مبكر الشيخ جابر الجزائري، وقد ختمه على ما هو معروف مرارا، وأخرجه في تأليف وحاشية عليه، وتداوله القراء، وعم النفع به. والنص التالي يثبت قيامه بحلقات التدريس بالمسجد النبوي فقد " انبرى الشيخ لتدريس التفسير ضمن دروسه في المسجد النبوي التي تذاع بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية ."[2]. وقد حدث الشيخ الطرهوني في رسالته العلمية فقال: " وقد التقيت به عدة مرات وأخبرني أنه استمر في تدريس التفسير في المسجد النبوي طيلة خمس وأربعين سنة ختم خلالها القرآن أربع مرات وهو الآن في الختمة الخامسة." [3].

ومن أهل صحراء الجزائر الشيخ بلعالم القبلاوي، من سكان مدينة أولف، ولاية أدرار له أنشطة كثيرة، وهمة عالية رحمه الله في تدريس العلوم، وحضور الملتقيات العلمية، ومن نشاطاته المستمرة أنه " يدرس تفسير القرآن الكريم بتفسير فتح البيان لمحمد حسن خان، في خمسة أيام من الأسبوع عدا الخميس والجمعة بلغ فيه إلى سورة الواقعة وقت إعداد هذه الترجمة (1997)."[4].

ونختم هذا العنصر بالدكتور التواتي، إذ درس التفسير سنين طويلة بمسجد النور بولاية الأغواط على ما ذكر هو نفسه، وكان ذلك بحضور بعض مشايخ البلدة، وكان من رأي الأخير أن يتصدى الشيخ التواتي للتفسير، لعموم الفائدة منه. وهو ما حدث فعلا، وقد أشاد الشيخ المفسر بالنصيحة الموجهة إذ عبر عن ذلك فقال: " ولا يفوتني هنا أن أذكر بخير الشيخ العلامة أحمد قصيبة – رحمه الله تعالى – إذ أن هذا الرجل الفاضل والعالم الجليل له كل الفضل في توجيهي إلى تفسير القرآن الكريم، وذلك حين انتدبت للتدريس في مسجد النور بمدينة الأغواط المحروسة فقد قصرت دروسي على الفقه المالكي، وكان الشيخ لتواضعه دائم الحضور، وذات يوم أشار إليّ بعد أن استضافني في بيته وأكرمني أكرمه الله من فيضه، ورحمه برحمته. قال لي رحمه الله: لو أنك تفاصل بين الدروس فجعلت يوما للتفسير ويوما للفقه؛ بذلك تجمع بين الأصل والفرع؛ فكان لهذا التوجيه الرشيد أثر في نفسي، وأخذت بوصيته فكان نتيجتها هذا العمل الذي احتسبه عند الله تعالى لي تأليفا لي – وله رحمه الله – توجيها."[5].

ب – درس التفسير يوم الجمعة: ودرس الجمعة خاصية جزائرية حرصت على القيام بها جمعية العلماء المسلمين لما رأت فيه من فرصة لتعليم الوافدين للصلاة من كل طبقات الشعب يومها، وخصوصا الأميين

---

[1] – معجم أعلام الإباضية، المرجع نفسه. ج 79/2.

[2] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع نفسه. ج 202/1.

[3] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع نفسه. ج 202/1.

[4] – ترجمة محمد الباي بلعالم، إعداد محمد علي الأمين الشنقيطي ضمن الرحلة العلية للباي المذكور(مطبعة دار هُومة – الجزائر– بدون تاريخ) ج 384/2.

[5] – الدر الثمين للتواتي، المرجع نفسه. ج 24/1.

منهم، ولا يخفى ما كان عليه المجتمع من الأمية، وضعف العربية، وفيهم العربي والأمازيغي والزناتي، وأهل الطوارق ممن ليس من السهل أن يفهموا عربية الخطب المنبرية يومها، بل منهم من كان مثقفا ثقافة فرنسية لا يكاد يبين في العربية فهي فرصة لذلك كله، ولا يزال هذا التقليد مستمرا وله في عمل السلف شواهد تعرف في محلها. ويوجد هنا الشيخ الزبير وكثيرا من الأئمة شرقا وغربا...وقد كان الشيخ الزبير رحمه الله قد ختم التفسير بوهران في الثمانيات من القرن الماضي، وكان يحضره جمع غفير من المصلين على اختلاف طبقاتهم وقد بقيت بعض التسجيلات من ذلك عند بعض الخواص.

ج- التفسير في خطبة الجمعة: والخطبة منبر مناسب لتفسير آيات تكون محور للدرس، وقد كان بعض الخطباء يجعل التفسير خطبة يلقيه على نسق السجع، وبنبرات الخطيب التقليدية المعتادة في الجوامع ما قبل التسعينات خصوصا. من ذلك عمل المجاوي الهبري، وعمله مطبوع. إضافة إلى أن أعماله التفسيرية هي " تفسير آيات كريمة من السور القرآنية في دروس دينية يلقيها في المساجد الكبرى"[1].

2 – التفسير بالمدارس العلمية: تقدم تعريف المدرسة والذي يهم هنا هو الإشارة إلى أن تدريس التفسير كان يتم كثيرا بالمدارس، وذلك لوجود العلماء بها، وقرب إقامة الطلبة بها، حيث يفصل الدرس الخاص في مختلف الفنون، والذي يعتبر فيه طبقات الطلبة وفقا لمستوياتهم عن عموم الناس ممن ليسول في درجتهم في القدرة على التحصيل.

وقد ذكرنا أن الشيخ سعيد العقباني كان من مشايخ ابن مرزوق الحفيد وغيره في التفسير، وليس لدي الآن مكان الدرس، وذكرت أيضا أن الشيخ البسيلي كان يدرس بالمدرسة الحكيمية، وليس في النص الوارد بذلك أنه كان يدرس التفسير، وأما بخصوص كل من ابن مرزوق الحفيد وابن زاغو وقاسم العقباني، فقد كان ذلك يتم بالمدرسة اليعقوبية وهو ما أشار إليه القلصادي، إذ كان هو من تلقى عنهم الفنون الآتية والتي منها التفسير، وفي الضوء اللامع عرض لمن أخذ عنهم القلصادي المذكور بشكل أوسع " ثم إلى تلمسان سنة أربعين...فلازم الشيخ أحمد بن زاغو، وقاسما العقباني، ومحمد بن مرزوق فدرس عليه في التفسير والحديث والفرائض والنحو وعلى العُقباني في التفسير والحديث والفقه والأصلين وعلى ابن زاغو في التفسير.."[2]. وتقدم النص عن القلصادي أن التدريس كان بالمدرسة اليعقوبية.

وفي ترجمة المشدالي نصان يدلان على مكان التدريس أحدهما وهو لا يزال ببجاية، ومجلسه بجامعها الأعظم ففي ترجمة أبي الحسن البلوي أنه أخذ عن أبي القاسم المشدالي " وأجازه أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي."، وفي الحاشية أفاد المحقق أنه " تولى الإمامة والخطابة والإفتاء ببجاية، ودرس في جامعها."، وفي النص الثاني وهو بمصر بعد أن خرج من وطنه للمشرق حيث " انتزع له تدريس التفسير بقبة المنصورية."[3]. والشاهد

---

[1] – واحة الوعظ والاعتبار للهبري المجاوي، المرجع نفسه. ج 1/المقدمة.

[2] – الضوء اللامع، المرجع نفسه. ج 143/3.

[3] – الضوء اللامع، المرجع نفسه. ج 4 / 388.

في النصين أنه تولى التدريس مرة بالجامع وأخرى بالمدارس، وأنه أجاز غيره بمروياته عن شيوخه. ولا يبعد أن يكون التفسير من بينها لشهرته فيه كما سلف في ترجمته عند السخاوي، وإشادة البقاعي بمقدرته التامة في العلوم، وخصوصا التفسير منها.

وتقدم في ترجمة التقي الشمني أنه تولى التدريس بعدة مدارس بمصر، وأنه درس فنون عديدة، منها التفسير وما يتعلق به من البيان والنحو... وله في ذلك تآليف دالة على فضله، وأيضا أن استمر في التدريس بلا انقطاع سنين طويلة، يفسرها كثرة الآخذين عنه رحمه الله رحمة واسعة.

وأما الشيخ السنوسي فإنه ختم ذلك التدريس، وقد ذكر الملالي أن درس الختم كان مشهوده يسعى السلطان فمن دونه لحضوره " وكذا أيضا لما عزم الشيخ رضي الله تعالى عنه على ختم تفسير كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقد كان وقف على سورة الإخلاص سمع بذلك وزير السلطان وأراد أن يختم التفسير وكان الشيخ أراد أن يختم سورة الإخلاص في يوم والمعوذتين في اليوم الذي بعده وسمع الوزير بذلك فأراد أن يحضر عنده في اليوم الثاني الذي يقرأ فيه الشيخ تفسير المعوذتين وهو يوم الختم."[1]. وفي ثبت الوادي آشي أن كثيرا من دروس الشيخ السنوسي كانت في مسجده بدربة مسوفة بتلمسان. فقد قال: " لقيته رضي الله تعالى عنه ، وحضرت مجلسه الغاص بالمستفيدين من طلبة العلم، والعامة بمسجده قرب داره، بدرب مسُّوفة من داخل تلمسان أمنها الله." [2].

وأورد الجبرتي نصوصا دالة على اشتهار السيد البليدي بتدريس التفسير، حيث ذكر عنه كثيرا ممن لازموا دروسه في العلم عموما وفي تفسير البيضاوي خصوصا. منها كما في ترجمة عبد الوهاب بن عبد السلام الرزوقي المالكي " ولما توفي شيخه الصباغ لازم السيد محمد البليدي في دروسه من ذلك تفسير البيضاوي بتمامه." [3]. وفي نص آخر يفيد أنه درس علوما كثيرة لها تعلق بالتفسير وتعتبر من ثقافة المفسر كما في النص التالي: " وعلى السيد البليدي صحيح مسلم وشرح العقائد النَّسَفية للسعد التفتازاني، وتفسير البيضاوي وشرح رسالة الوضع للسمرقندي." [4]. وهذه المقررات المذكورة هي معتمد العلماء شرقا وغربا ومنذ قرون في تحصيل هذه الفنون، واشتهر السيد البليدي بالقدرة على تدريسها، رغم الوجود لأعيان العلماء بالأزهر الشريف، وغيره من مدار سالم بمصر. وفي النص التالي ورد ذكر للمدرسة التي كان يتم بها درس التفسير وغيره كما ذكرها الجبرتي في ترجمة أحمد بن محمد بن جاد الله المالكي البرهاني: " وحضرَ أشياخَ الوقت، ولازم السيد البليدي، وصار معيداً لدروسه بالأزهر والأشرفية، وانتفع بملازمته له انتفاعاً كلياً، وانتسب إليه وأجازه إجازة مطولة بخطه." [5].

---

[1] – المواهب القدوسية، الملالي الباب الخامس.

[2] – ثبت الوادي آشي، المرجع نفسه. 436.

[3] – عجائب الآثار، المرجع نفسه. ج 1/ 152.

[4] – عجائب الآثار، المرجع نفسه. ج 1/ 152.

[5] – عجائب الآثار، المرجع نفسه. ج 1/ 152.

وممن عرفوا بتدريس التفسير السنين الطويلة بالمسجد وبغيره، الشيخ محمد بن يوسف اطفيش رحمه الله، إذ اشتغل بالتفسير تدريسا وتأليفا، وقد أخذ عنه كثيرون من الطلبة ممن أصبحوا من بعد مشايخ في العلم، وفي الحركة الإصلاحية، وبعضهم أصبح من المفسرين تدريسا وتأليفا. وقد ذكرت ذلك كله في ترجمة الشيخ.

3- تدريس التفسير بالزوايا: والزوايا وإن ظهرت متأخرة نسبة إلى المساجد ومعاهد التدريس، والمدارس إلا أن كثيرا منها كان مكانا لتدريس العلوم الشرعية، وقد كان التفسير مادة مقررة في الزوايا عموما، وإن ذلك يختلف من سرد تفسير بعينه، إلى تدريس كتاب مشهور في ذلك. والمهم أن جملة من الزوايا كانت منبرا فاعلا لدرس التفسير. وأذكر هنا شخصية تفيد النصوص أنه ممن تعاطى التفسير تحصيلا وتدريسا، وقد ذكر فيها مقرر درس التفسير، والذي هو كتاب مشرقي. وهو الشيخ " محمد بن أبي القاسم بن رجيح بن محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن منصور أبو عبد الله الشهير بالهاملي."[1]، الشريف الحسني هكذا وقع تسميته كاملة عند الحفناوي. ولد الهاملي " بالبادية قرب حاسي بحبح في الجنوب الشرقي من الجمهورية الجزائرية، عام 1239هـ/1823م. "[2]. في بيئة صحراوية بسيطة، ولأجل التحصيل " انتقل إلى جبال القبائل فأخذ عن مشايخ زاوية الطيار لمدة سنتين، ثم قصد زاوية ابن أبي داود في (زواوة) فأخذ عن مؤسسها علوم التفسير والفقه.، كما درس فنون العربية..."[3]. وهو نص يفيد أن هذه البلاد الطيبة كانت بيئة علم وصلاح، بها مدارس للعلم، ومن جهة ثانية أنه كان يجري بها تدريس الفنون، وأن درس التفسير فيها كان مستمرا ومشهورا وأن شيوخه في ذلك كانوا مقصودين لأجله.

وسبق وأن ذكرت أنه تلقى علم الفقه عن مشايخه يومها، وفي أشهر مقرراته وهو مختصر الشيخ خليل؛ ولأجل هذا التحصيل المزدوج ترجم له بالـ " فقيه له مشاركة في علوم الحديث والكلام والتاريخ والأخلاق والتفسير."[4]. إضافة إلى العربية فقد كانت موادها من مقررات التدريس مهما ضاقت الفنون.

ولما أنهى صاحب الترجمة رحلته الداخلية رجع إلى بلده الهامل وكذلك في سنة 1265هـ حيث : " ابتدأ التدريس ببلده الهامل، فأصبحت به زاهرة يانعة، وانهالت له الخلق من كل جهة لطلب العلم ، وحصل به النفع الكثير. وكان يحضر درسه في الفقه نحوٌ من ثمانين تلميذا أو أكثر، وكانت مؤمنة الطلبة في هذه السنوات من عنده. وابتدأ من التفاسير بتفسير الواحدي..."[5]. والذي يفيدنا من هذا النص بالخصوص هو تسمية مقرر التفسير، وهو وإن لم يوضح أي تفاسير الواحدي هل هو التفسير الوجيز وهو محل الظن، أو الوسيط أو البسيط؟ إلا أنه يدل على انتظام درس التفسير من شيخ محصل، ومادة للدارسة، ومقرر تدريس...وقد أعاد

---

[1] - معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 335.

[2] - معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 335.

[3] - معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 335.

[4] - معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 335.

[5] - تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 348/2.

ذكر هذه المعلوم الدكتور تركي رابح فقال عن زاوية الشيخ الهامل " وأما في القسم العالي فيدرسون تفسير القرآن في كتاب تفسير الواحدي."[1]. وفيه إضافة مهمة، إذ كان التفسير مخصصا لطلبة العليا.

وتشير الدراسات إلى أن الشيخ بلعالم تلقى المبادئ الأولى بمسقط رأسه وهي أمكنة لم تخلو عادة من التوفر على تعليم القرآن وبعض مبادئ العربية غير أننا نجده وعلى غرار كثير من الطلبة قد" انتقل إلى زاوية الشيخ أحمد بن عبد المعطي السباعي، ومكث فيها سبع سنوات قرأ فيها: الفقه المالكي وأصوله، والنحو والفرائض والحديث والتفسير..."[2]. وهي فنون متكاملة تدلّ على استقرار الحواضر العلمية بأرض توات. وفي بعض الأبحاث أنه حصل على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية من وزارة الأوقاف 1971م.

4 – تدريس التفسير بمجلس السلطان: ومن المنابر القديمة التي جرى إلقاء درس التفسير بها، مجلس السلطان، وهو وإن لم يكن تقليدا مستمرا وعاما كما تفيده النصوص إلا أنه كان يتم فيه إلقاء التفسير على مستوى عال من التحصيل، إذ كان المجلس يضم أعيان العلماء في كل فن، ويجري فيه من التحقيق ما لا يحصل في غيره من الأمكان كالمسجد...

وفي نص سابق على القرن التاسع يفيد أن درس التفسير كان أمرا معهودا بوطن الجزائر، وعند بعض أمرائها مما جمع إلى السلطان تحصيل شيء من العلوم قد تقل أو تكثر، فقد أفاد الشيخ أبو يحي المطغري أنه:" لما اجتمع العلماء عند أبي عنان أمر الفقيه العالم المقري بإقراء التفسير فامتنع منه، وقال: الشريف أبو عبد الله أولى مني بذلك. فقال له السلطان: تعلم أنت علوم القرآن وأهل لتفسيره فأقرئه. قال له: إن أبا عبد الله أعلم بذلك مني فلا يسعني الإقراء بحضرته، فعجبوا من إنصافه؛ ففسر أبو عبد الله بحضرة العلماء كافة في دار السلطان، ونزل عن سرير ملكه وجلس معهم على الحصير، فأتى بما أدهش الحاضرين."[3].

ومع أن النصوص متوفرة نسبيا فيما قبل القرن التاسع، كما نجده عند ابن مرزوق الجد، والمقري الجد في النص السابق، والشريف التلمساني... إلا أن الذي ننقل النصوص فيه هو ما يخص شخصيات تنتسب إلى الفترة محل الدراسة. فمن ذلك ما يفيده النص التالي فيما يتعلق بالشيخ ابن مرزوق الحفيد، فقد حدث أبو العباس المقري " قلت وحدثني عمي الإمام سيدي سعيد المقري رحمه الله تعالى أن العلامة ابن مرزوق لما قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية طلب منه أهل تونس أن يقرأ لهم في التفسير بحضرة السلطان فأجابهم إلى ذلك وعينوا له محل البدء فطالع فيه فلما حضروا قرأ القارئ غير ذلك وهو قوله تعالى (فمثله كمثل الكلب) الآية [الأعراف 176]، وأرادوا بذلك إفحام الشيخ، والتعريض به فوجم هنيهة ثم تفجر بينابيع العلم."[4]. ولا

---

[1] – التعليم القومي والشخصية الوطنية تركي رابح. 275.

[2] – مقدمة الرحلة العلية، المرجع نفسه. ج 12/1.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 116/1.

[4] – نفح الطيب، المصدر نفسه. ج 433/5.

عجب في شخصية اشتهرت بتحصيل علوم الإسلام أن يبدر منه ما ذكره النص وغيره، إذ كتبه وشهرة ذلك بين العلماء دالة على ذلك وغيره.

وقد ذكرت في ترجم محمد بن العباس (871هـ) أنه دعي لإلقاء درس التفسير بحضرة السلطان وأن المفسر المذكور اعتذر عن ذلك وقد تلميذه أحمد بن زكري (899هـ)، الذي قام بالواجب في ذلك ولقي درسه قبولا واستحسانا، دلا على نبوغه المبكر، وهو ما يفسر شهرته بعد ذلك.

وممن أشارت كتب التراجم إلى أنه كان يلقي دروسا مستمرة بمجلس الباي الشيخ عبد القادر الراشدي (أوائل العشرة الثالثة من القرن12هـ)، وليس في النص ما يفيد عددها ولا الكتاب المقرر، فضلا أن يشار إلى موضع الانتهاء منه. والذي فيه هو فقط من أنه قام بـ" تفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي."[1] .

وأختم هذا العنصر مكتفيا بالإشارة على حسب ما وقع لي من النصوص الخاصة بكل عالم عالم، إذ كان القصد إثبات ذلك لا التفصيل. أشير هنا لشخصية العلامة الأمير المازوني الذي كان يلقي درسا أميريا في التفسير: " وفي منتصفه كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع... حصلت به الجمعية وحضر الباشا الدفتردار والمشايخ وصلوا به الجمعة وبعد انقضاء الصلاة عقد الشيخ محمد الأمير المالكي درس وظيفته وأملى إنما يعمر مساجد الله الآية والأحاديث المتعلقة بذلك وثم المجلس وخلع عليه الباشا بعد ذلك خلعة."[2]. وهي عبارة الجبرتي، وقد انفرد بذكر هذا النص.

5 – التفسير على صفحات المجلات والجرائد: أدى ظهور الصحافة عموما إلى فتح فرص إضافية لعرض دروس التفسير بالمغرب والمشرق بداخل الوطن وخارجه. وقد كان لها جمهورها المميز، وغالبه من غير المتخصصين في الدروس الشرعية. وهو أمر راعاه المفسرون وقد مر عرض أنماط منه عند جملة من المفسرين وأكتفي هنا بالإشارة إلى الأمر بإيجاز شديد جدا.

أ– مجلة الشهاب وتفسير ابن باديس: وأنقل النص التالي فهو يوثق ذلك فقد " كانت المقالة الصحفية وسيلته الأولى في كل ما كتب حتى في التفسير القرآني، وبقيت هذه المقالات مبعثرة، حتى تصدى لجمعها نفر من تلامذته ومحبيه، وكان أول من فعل ذلك أحمد بوشمال الذي نشر جزءا من تفسير ابن باديس سنة 1948م، وطبعته المطبعة الإسلامية الجزائرية، التي كانت تطبع مجلات ابن باديس وصحفه. وأعيد نشر هذا التفسير وأضيفت إليه إضافات هامة من قبل محمد الصالح رمضان، وتوفيق شاهين سنة 1964م..."[3].

ب– مجلة الهداية: ألقى الخضر حسين التدريس على شكل مقالات تفسيرية وأخرى " دروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 228/2.

[2] – عجائب الآثار للجبرتي، المصدر نفسه. ج 2/ 535.)

[3] – عبد الحميد بن باديس مفسرا، حسن عبد الرحمان سلوادي. رسالة ماجستير (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر– ط:01، 1981م) /56-57.

القاهرة."[1]. كما ألف الخضر في التفسير وكان ما ألفه عبارة عن مقالات ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة."[2].، ودروس ألقاها في المساجد والنوادي في مناسبات مختلفة جمعها كامل المحامي تحت عنوان أسرار التنزيل وشملت " تفسير القسم الأكبر من سورة البقرة من الأولى حتى الآية 195. إضافة إلى سورة الفاتحة. ونشر هذا القسم من التفسير في مجلة " لواء الإسلام" بدء من العدد الأول الصادر في رمضان المبارك سنة 1366هـ." [3]. إلى " آخر الصفحات من التفسير هي تلك التي نشرها في العدد الثاني عشر من السنة الرابعة لمجلة لواء الإسلام الصادر في شهر شعبان لعام 1370هـ/ الموافق شهر مايو أيار لعام 1951م "[4]. كما أنه شمل " تفسير آيات قرآنية كريمة من سور مختلفة وهي آية من سورة آل عمران، آيات من سورة الحج، آيات الصيام، ثلاث آيات من سورة الأنفال، أربع آيات من سورة يونس، خمس آيات من سورة ص." [5].

6 – التفسير بمنبر الإذاعة المحلية والدولية: اهتم العلماء رحمهم الله تعالى بتفسير القرآن الكريم عبر مر العصور، فمنهم من جعَله في مصنف، ومنهم من قرأه في المدارس وأملاه في المجالس، ومنهم من جَلس على كرسيه في المسجد أو الجامع وأخذ يشرحه ويكشف معانيه. وهكذا وكلَّ ما وجدوا مجالا أو فرصَة سانحَة لتفسير كلام الله تعالى استثمروها حق الاستثمار وأدوا ما عليهم من حقٍ في بيان كلام الله تعالى. ومما أنعم الله تعالى على هذه الأمة المعاصرة أن هيأ لها وسائل جديدَة لتقديم تفسير كلام الله تعالى لم تكن موجودَة من قبل ...ومنها موجات الأثير التي تعتبر مرتعًا خصبًا لتفسير القرآن الكريم ." [6].

والمقصود بالتفسير الإذاعي تقديم حصص في تفسير القرآن في مدة زمنية محددة موجه أساسا لشرائح خاصة يراعي في خطابها الوضوح والاختصار. وقد ظهر هذا الفن مع الخمسينات ولا يزال مستمرا. وعرف في المشرق العربي أساسا، ثم انتقل إلى المغرب. وأعرض فيما يلي بعض المشايخ الذين فسروا القرآن عبر الإذاعة سواء في مقرها، أو في المسجد ويجري نقله عبر الأثير[7]:

– التيسير في أحاديث التفسير، للشيخ المكي الناصري (1994م)، وكان ذلك في الستينات من القرن الماضي.

– تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الله الطيب (1424هـ)، وقد فسر القرآن كاملا للإذاعة السودانية في أم درمان، وكان ذلك بين عامي 1958م –1969م، مسبوقا بقراءة بعض القراء السودانيين.

---

[1] – موسوعة الأعمال الكاملة، المرجع نفسه. ج 04/1.

[2] – المرجع نفسه. ج04/1.

[3] – المرجع نفسه المرجع نفسه. ج18/1.

[4] – المرجع نفسه المرجع نفسه. 1ج/03.

[5] – المرجع نفسه. ج 03/1.

[6] – التفسير الإذاعي للقرآن الكريم مقال بمجلة الإمام الشاطبي، عبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر(العدد: 01، ربيع الآخر 1427هـ) ص: 133.

[7] – التفسير الإذاعي للقرآن الكريم، المقال السابق ص: 143.

– تفسير القرآن كاملا للدكتور فضل حسن عباس من الأردن، وقد فسره كاملا في الإذاعة الأردنية سنة 1971م.

– على هامش التلاوة للأستاذ الدكتور محمد السعدي فرهود من مصر، وقد فسر القرآن كاملا للإذاعة المصرية.

– التفسير الوسيط للدكتور وهبة مصطفى الزحيلي من سوريا، ولا يزال على قيد الحياة حفظه الله. وقد أذاعه البرنامج العام في الإذاعة السورية، ثم صوت الشعب. وقد دام هذا الجهد الكريم 1992م – 1998م.

وبخصوص المفسرين الجزائريين الذين تابعو الجهد في تفسير القرآن الكريم حتى ختموه في الإذاعة الوطنية أذكر الشيخ كتُّو رحمه الله في سنوات السبعينات والثمانينات حتى ختمه فيما يبدو و لم يتسر لي لحد الآن شيء من ذلك التفسير.

والشيخ أبو بكر جابر الجزائري وقد تقدم أنه كان يلقي دروس تفسيره بالمسجد النبوي وتنقلها الإذاعة الوطنية، والتفسير كامل وهو مطبوع سبق الحديث عنه.

7– درس التفسير بالنوادي العلمية: وإذا كان التفسير قد شهد تجديدا على مستوى مناهج التفسير، والموضوعات المعالجة في كتب التفسير، فإنه شهد أيضا تجديدا في منابر التفسير وأماكن إلقاء التفسير، إذ نجد بعض المفسرين قد خرجوا بالدرس التفسيري من حيز المسجد والمدرسة والزاوية، إلى الصحافة بل وإلى النوادي العلمية، حيث يستضاف المفسر لإلقاء دروس قد تطول وقد تقصر في التفسير، وينتهي ذلك غالبا بطبع عمل المفسر... ومن ذلك ما كان يلقيه الشيخ الخضر حسين من " دروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة."[1]. والنوادي المذكور كان غالبها في دمشق حيث كان مقيما وهو أمر تطرقت إليه في محله فلا أطيل بإعادة ذكره هنا.

8 – درس التفسير بالمعاهد العلمية:

أ– التفسير بمعهد الحياة بالقرارة: تجاوز تدريس التفسير المسجد، والمدرسة بتعريفها القديم، وأصبح أحد المواد الأساسية في المعاهد وهي التسميات الجديدة للمدارس الشرعية، وكتب الأساتذة للطلبة مقررات في التفسير لمختلف المراحل التعليمية. وقطعا ليس هو التفسير الذي تحدثت عنه من قبل ولا أساتذته بدرجة المفسرين المعهودين،ولكنه شكل من اشكال التفسير كانت تقدم مواده للطلبة بمناهج محددة. وعل سبيل المثال " وابتداء من عام 1940م أدخلت إصلاحات هامة على برامجه، كما زيدت سنوات الدراسة به إلى خمس سنين بدل ثلاث سنين. وصار يجمع بين التعليمين الابتدائي والثانوي. كما قسم تلامذته إلى ثلاث طبقات على النحو التالي: الطبقة الابتدائية، الطبقة الإعدادية، الطبقة الثانوية."[2]. وهو نص قدم في سياق شمول مادة التفسير للمراحل التعليمية المختلفة إسوة بغيره من المواد الشرعية الأساسية.

---

[1] – موسوعة الأعمال الكاملة، المرجع نفسه. ج 04/1.

[2] – التعليم القومي والشخصية الوطنية تركي ، المرجع نفسه. 293.

أما من ناحية الكتب الدراسية فقد اهتمت جمعية العلماء اهتماما كبيرا باختيارها، وانتقائها من أمهات كتب التراث الإسلامي والعربي قديمه، وحديثه، ففي مادة تفسير القرآن في تعليمها المسجدي اختارت الكتب المشهورة بالعمق، وشمول النظرة مثل " تفسير المنار" للشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، وتفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير روح المعاني للألوسي..." [1].

وأضيف إلى ذلك مقررات التفسير التحليلي والموضوعي بالمعاهد الدينية لتخريج الإطارات الدينية وشهادات الليسانس والماجستير إلى غير ذلك في الجامعات والمراكز الإسلامية.

[1] – التعليم القومي والشخصية الوطنية، المرجع نفسه، المرجع نفسه. 267.

– المبحث الرابع: صلات المفسرين الجزائريين بغيرهم في العالم الإسلامي.

عرفت المدرسة الجزائرية في التفسير خلال القرن التاسع نشاطا علميا وواسعا، إذ إضافة إلى النشاط داخل الوطن والمتمثل في تحصيل التفسير، وتدريسه والتأليف فيه تآليفَ استعرضتْها كتب التراجم بمختلف أشكالها، وأيضا ما لهم في ذلك من الإجازات الكثيرة العامة والخاصة. فإن رجال هذا المدرسة لم ينقطعوا عن العالم الإسلامي من حولهم، بل كانت لهم جولات في شرقه وغربه، وعرف طلبة العلم الجزائريون كثيرا من مشايخ التفسير، فجلسوا إليهم في المساجد والمدارس...وأخذوا عنهم مقررات ذلك التدريس، وتحصلوا على تآليفهم، وقاموا بدورهم بالتدريس في جوامع المشرق والمغرب ومدراسه، وعملوا على تآليف علمائه في التفسير تفاسيرَ، جاءت مرات مختصرةً، وأخرى على شاكلة الحاشية لزيادة الشرح والبيان، والاستدراك على العمل الأصل.

وزيادة على ذلك تحصلوا على أسانيدهم في التفسير، فوصلوا بذلك أسانيد المدرسة الجزائرية في التفسير إلى مصادرها الأولى. وكثيرٌ من هذا وغيره مذكور مفرقا في محالِّه، وأذكره هنا مجموعا لتتضح بذلك الصورة. وأحب أن أؤكد أن هذا التواصل لا يزال مستمرا على الأقل في التحصيل، والتدريس.

أ – الرحلة طلبا لتحصيل التفسير:

والمقصود بالتحصيل هنا رحلة طلبة العلم الجزائريين إلى خارج الوطن، لأخذ التفسير خصوصا، وغيره من العلوم عن مشايخ عصرهم، سواء بالمغرب العربي كتونس وفاس ومراكش، أو المشرق الإسلامي كمصر والحجاز والشام وبلاد الروم. وكالعادة أذكر ما هو كالتقليد السابق عن القرن التاسع لإثبات جذور هذه المسيرة العلمية، والإشارة إلى امتدادها عبر العصور. فهذا ابن مرزوق الحفيد يأخذ عن جده وقد كان معروفا بالتفسير، وأخذ الجدُّ ابن مرزوق عن العلامة الصفاقسي بتونس؛ فقد قال الجدُّ المذكور: " وسمعت من لفظه كتابَه الذي أعربَ فيه وأغرب في إعراب القرآن العظيم."[1]. وحضر الصفاقسي عند أبي حيان " واستقر إبراهيمُ الصفاقسي بالقاهرة ولازمَ شيخَ العربية أبا حيان."[2]. ومعروف تخصص كلٌّ من الصفاقسي المذكور وأبي حيان في القرآن إعرابا وتفسيرا. وأخذ الجد ابن مرزوق أيضا عن العشّاب 736هـ وهو من كبار المفسرين، وفي المعيار المعرب للونشريسي نقولٌ في التفسير عنه.[3].

ومن أهل القرن التاسع الإمام المفسر أحمد البسيلي، الذي أخذ التفسيرَ عن جماعة منهم " الإمام ابن عرفة، وأبي الحسن البطروني، والوليّ ابن خلدون، وأبي مهدي عيسى الغبريني."[4]. بل قيد المسيليُّ التفسيرَ عن ابن عرفة التونسي، فيكون بذلك قد قدم خدمة للعلم بهذا التقييد، وشارك بذلك في حفظ تفسير بان عرفة من الضياع.

---

[1] – شجرة النور الزكية لمخلوف، المرجع نفسه. ج 09/1.

[2] – شجرة النور، المرجع نفسه، المرجع نفسه. ج 05/1.

[3] – لتفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، ، المرجع نفسه. ج 174/1، طبقات الداوودي، المصدر نفسه. ج 66/1.

[4] – تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي، المرجع نفسه. ج 87/2.

وتجد أيضا ابنَ مرزوق الحفيد قد تتلمذ على المفسر ابن جزي الغرناطي، والظاهر أن ذلك كان بالأندلس، وفي النص التالي ما يفيد ذلك وغيرَه من شواهد الرحلة، والتحصيل فقد أخذ ابن مرزوق الحفيد " العلم عن جماعة كالسيد الشريف العلامة أبي محمد عبد الله ابن الإمام العالم الشريف التلمساني، والإمام عالم المغرب سعيد العقباني...وبتونس عن الإمام ابن عرفة...وأجازه من الأندلس... وأبي محمد بن جزي."[1]. ومعلوم أن جميع هؤلاء مفسرون، ولهم في التفسير تآليف، وأسانيدهم فيه موصولة، وإجازاتهم مشهورة.

وفي النص التالي زيادة ذكر لأشخاص أخذ عنهم ابن مرزوق التفسير، يهمنا منهم من هو بتونس؛ إذ أخذه " عن أبيه وعمه وجده وسعيد العقباني، وبتونس عن ابن عرفة وأبي العباس القصار."[2]. ومعروف أن القصار من المفسرين وهو من شيوخ البسيلي.

وممن رحل إلى تونس فأخذ العلم عن أحد مشايخها في التفسير ابن فائد القسنطيني، ففي بعض النصوص أنه أخذ " الفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني."[3]. والقلشاني مفسرٌ تونسي، كما أخذ ابن فائد عن " محمد بن محمد بن عيسى العفوي الزَّلديوي المغربي: أخذ عنه كإبراهيم بن فائد، قال: وله تصانيف عدة في فنون منها تفسير القرآن..."[4]، والنص لا يفيد أنه أخذ عنه التفسير، لكن الزلديوي المذكور من المفسرين. هذا عن أهل المغرب، أما أهل المشرق فلهم إليه رحلة فيما تذكر كتب التراجم عن ابن فائد أيضا " تلا لنافع على الزَّيْن بن عيَّاش بل حضر مجلس ابن الجزري في سنة ثمان وعشرين."[5]. وهو نوع من الاهتمام بتحصيل ما يتعلق بتفسير القرآن.

ومن مشايخ ابن فائد والذين لم يتكلف لهم رحلة بل استغلّ مرورَهم ببجاية أو إقامتهم بها، وهم من أهل الأندلس فأخذ عنهم التفسير، وبعضَ ما يتعلق به من العلوم أذكر منهم شخصيتين، الأولى ابن فرّاج، إذ كان من مشايخه في العربية ما ذكر من أنه لما رجع إلى جبال بجاية فأخذ العربية عن الأستاذ عبد العالي بن فراج. وأخذ ابن فائد القسنطيني " المعاني والبيان عن أبي عبد الله محمد اللبسي الحكم الأندلسي ورد عليهم حاجاً."[6].

وأختم بهذا النص الذي يعمم استفادة ابن فائد من رحلته إلى تونس على عادة كثير من طلبة في هذا القرن، إذ نجده يرحل " إلى تونس فأخذ الفقه أيضاً وكذا المنطق عن أبي عبد الله الأبي والفقه أيضاً وكذا التفسير عن

---

[1] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج135/1.

[2] – فهرس الفهارس والأثبات، للكتاني، المرجع نفسه. ج 1/ 524.

[3] – فهرس الفهارس، المرجع السابق. ج 09/2.

[4] – عمَّر حتى زاد على المائة، ومات بتونس في سنة اثنتين وثمانين رحمه الله. انظر الضوء اللامع 381/4.

[5] – الضوء اللامع للسخاوي، المرجع نفسه. ج 1 / 72.

[6] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 72/1.

القاضي أبي عبد الله القلشاني والفقه وحده عن يعقوب الزعبي والأصول عن عبد الواحد الفرياني."[1]. والفنون الزائدة على التفسير هي من ضروريات ثقافة المفسر.

ورحل الصدقاوي من تلمسان بلده قاصدا المشرق، وكان مما درسه على شيوخها التفسير؛ إذ لقي به أعلاما اشتهروا بالتدريس، بل منهم من اشتهر حتى حد الاختصاص بتدريس التفسير كالبرهان بن ظهيرة، فكان الصدقاوي " يحضر دروس البرهاني بن ظهيرة."[2] وابن ظهيرة هذا كما هو معلوم من كبار المفسرين والمدرسين للتفسير وغيره؛ بل إن هذه الشخصية العلمية حازت القبولَ التام ،كما يفيده النصُّ التالي والذي فيه " عالم الحجاز البرهان بن ظهيرة."[3].

وفي نهاية القرن التاسع تذكر الكتب شخصيةً كبيرة، هي امتداد لعائلة عريقة في العلم والتفسير أيضا، فقد رحل ابن مرزوق الكفيف إلى تونس، ومن أشياخه فيها " الإمام الحافظ المصنف الكبير العلامة أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله القلشاني قرأ عليه شيخنا رضي الله عنه وسمع وتفقه، ومن مقروآته عليه طائفة من الإرشاد لأبي المعالي، وحضر عليه إلقاء تفسير طائفة من الكتاب العزيز أولها قوله تبارك وتعالى (ولَقَدْ ذَرَأْنا لجهنَّمَ...) [الأعراف: 179]، ومنتهاها قوله سبحانه (ولو أسمعهم لتولّوا وهم مّعرضُون) [الأنفال: 23] بما يجب لذلك الإلقاء من بيان المعاني واستنباط الأحكام بإيراد الأسولة والانفصال عنها وغير ذلك. ولم تتفق له منه إجازة."[4].

ومن أشياخ الكفيف في التفسير أيضا وهو بتونس " الإمام الخطيب المدرس الجهبذ الناقد أبو عبد الله بن عقاب... وسمع عليه بمجلس درسه جملة من تفسير القرآن العزيز سماع تفقه في أحكامه، وتفهم لمعانيه مع ما أفاده رضي الله عنه مما لم تحتو عليه كتب التفسير من أبكار أفكاره، وأخذه عن شيوخه بعباراته الفصيحة واستدلالاته المحكمة الصحيحة."[5]، ولم يقع في النص تفصيل لمقدار الجملة المذكورة، ولكن الضروري قد حصل، وهو ما يسمى به الطالب آخذا عن شيخه دراسة، لا فقط إجازة.

ومن الشخصيات التلمسانية التي رحلت إلى فاس فأقامت بها الفترة الطويلة، الشيخ المطْغري؛ إذ قد قدم فاسا وبها العلامة ابن غازي. رحل المطغري رحلته العلمية " سنة 891هـ، فلازم العلامة ابن غازي 29 سنة في البحث والتحقيق، وأخذ عنه، وعن ابنه أحمد. وأخذ عنه علوما عديدة. وهو شيخه على الحقيقة، وسمع المطغري منه علوما كثيرة وختم عليه كتبا عديدة، ذكرها ابن منجور في فهرسته، ومنها التفسير. فقد ذكر ابن هارون المذكور: " قال: تفسير القرآن العزيز سمعناه من ألم السجدة إلى آخر القرآن ومن أوله إلى قوله

---

[1] – الضوء اللامع، المصدر السابق. ج 72/1.

[2] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 149/1.

[3] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 149/1.

[4] – ثبت الوادي آشي، للوادي آشي الأندلسي، المصدر نفسه. ج 312.

[5] – ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 311.

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم) أو ما يقرب منه بمجلسه الذي بمدرسة الخسّة." [1]، وسائر ما أخذه عنه مما ذكره ابن منجور هو مما يتصل بالتفسير بسبب متين كالعربية والمعاني، والفقه والكلام. وفي النص التالي تفصيل لما أجمل في غيره مما أخذه عنه المطغري رحمهم الله جميعا.

أخذ المطغري عن ابن غازي بفاس عام 891هـــــ " وهو قارئ دروسه في المدونة والموطأ والعمدة والتفسير وخليل والعربية والحساب والفرائض وغيرها. جمع عليه سبعا وحصل عنه علما جما حتى قيل له: خزانة علم لكثرة الفنون عنده. أجازه ابن غازي عام ست وتسعمائة وختم عشرين ختمة بعد السبع وغيرها، والبخاري نحو عشر ختمات، والموطأ بالباجي وغيره؛ قراءة بحث وتحقيق، وجامع الأصول لابن الأثير وترغيب للمنذري، واكتفاء أبي الربيع وقراءة الشيخ أحمد بن غازي. وانتفع عليه في هذه الكتب وفي شروحها وغريبها. وكذا السلالجية وعقيدة ابن أبي زيد وأصلي ابن الحاجب ومختصر ابن عرفة وقانون ابن العربي وجمع الجوامع، وموافقات الشاطبي والتنقيح، وفي الرسالة أربع ختمات، والمدونة والمختصر مرتين وابن الحاجب وبعض التوضيح والألفية مرارا واللامية والجرُّومية، والمغني والشاطبية الكبرى والتيسير وابن بري، ومورد الظمآن والتلخيص مع شرح السعد والبردة بشرح ابن مرزوق مرارا، وابن أبي جمرة على البخاري..." [2].

وفي القرن الثاني عشر تطالعنا شخصية اهتمت كثيرا بلقاء العلماء، ووصل أسانيد العلوم عنهم، وقد تمَّ له من ذلك ما أراد، وأمد بدوره الجيل الذي بعده بأسانيده، وما تلقاه عن شيوخه، وهو الإمام عيسى المهدي الثعالبي. وقد ترجمتْ له المصادر وأشادت به. والمهمّ هنا أن أذكر أنه " رحل إلى مكة شرفها الله تعالى، وأخذ بها عن أجلائها كالقاضي تاج الدين المالكي، والإمام زين العابدين الطبري، والشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ علي بن الجمال المكيين، وأجازوه بمروياتهم." [3]. وهؤلاء وغيرهم ممن احتواه منتخب أسانيده. هم حلقة الوصل بين أجيال القرن الحادي عشر والذي يليه، وقد لقيهم وسمع منهم، وجلس إليهم رحمه الله. ولقي غيرَهم إذ كان مقامه الطويل، وإقامته الدائمة ببلد الله الحرام قد مكنته من لقاء أعداد من الشيوخ ممن وفدوا إلى الحرم حاجين ومعتمرين.

وبخصوص الرحلة العلمية من منطقة توات بصحراء الجزائر إلى اتجاهات مختلفة منها فاس ومراكش، وبلد الله الحرام يجد الباحثُ أن عمر بن عبد الرحمان التنلاني قد رحل مرات متعددة بعضها داخل الوطن زمن التحصيل، والباقي خارجه كرحلته إلى الحج. فالرحلة الأولى كانت إلى بلاد التكرور رفقة شيخه عمر بن محمد الكنتي كما ذكر التنلاني في فهرسته، وفي الرحلة الثانية لمدينة إروان للقراءة على شيخه المذكور. والظاهر أنهما في نفس السنة كما تفيده فهرسة المؤلف.

---

[1] – فهرست ابن منجور، لابن منجور، المصدر نفسه. 43.

[2] – نيل الابتهاج للتنبكتي، المرجع نفسه. ج 212-213.

[3] – تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 86/1.

والرحلة الثالثة كانت لسجلماسة لزيارة الشيخ صالح بن محمد الغماري، وكانت بتاريخ 1168هـ. وفي خلالها زار فاسا أيضا حيث تم له لقاء شيخه أحمد بن عبد العزيز الهلالي. وكان القصد من هذه الرحلة " أن يأخذ عنه القرآن العظيم بمقرأ الإمام نافع بروايتي ورش وقالون من طريق الأزرق وأبي نشيط." [1]. وأما رحلته الأخيرة فقد كانت عام 1188هـ للحج وقد تمّ له ما أراد من نفس العام. وفصل كل ذلك في رحلته إلا أن بها كثيرا من السقط والنقص.

وفي أواخر القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر تاقتْ نفس أبي راس الناصري المعسكري إلى الرحلة على عادة النابغين من طلبة العلم وأهله، وقد سجل هو بنفسه رحلته التي " ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب ومن لقي من الأعيان." [2].

وقد كانت الرحلة ولو في زمانه محطّ أنظار المفكرين والمصلحين، لما يستفيده صاحبها من " طلب العلم واكتساب المعارف." [3]، ولقاء "الأفاضل من أهل مصر وتونس وفاس..." [4]. كما لقي الإمام الزبيدي اللغوي المشهور فقد جاء " أنه لقيَ فيمن لقيَه، وأجازه من العلماء بمصر الشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس." [5]. كما لقي العلامة الأمير صاحب التفسير لسورة القدر والمعوذتين كما هو معروف من بعدُ لما ارتحل الشيخ أبو راس " إلى مصر واجتمع بأكابر علمائها مثل الشيخ...محمد الأمير." [6].

واستمرت رحلة الأعيان والمشايخ إلى مصر والمشرق، فهذا ابن باديس رحمه الله قد رحل إلى مصر والحجاز، ولبنان...بعد أن رحل شيخه حمدان لونيسي ولقيه في رحلته. وقد كان الرحلة عهد الاحتلال تأخذ شكل الهجرة إذ غالبا ما انتهت بالإقامة الدائمة ببلاد الشام، والحجاز ومصر. وكان قبل ذلك وهو ما يهم الباحث هنا قد رحل بعد أن تعلم بمسقط رأسه إلى " بتونس حيث أتم دارسته بجامع الزيتونة وتخرج بشهادة التطويع (1911_ 1912م)." [7].

وحل أيضا الشيخ مصطفى بن عليوة إلى المشرق وتركيا، وقد ذكرت ذلك كله من قبلُ، ولا أعلم إن كانت رحلة طلب علم أو فقط رحلة سياحة واعتبار... وكذلك فعل الشيخ محمد ابن إبراهيم الطرابلسي قرقر، حيث رحل في طلب العلم خارج الوطن، وتم له " أخذ مبادئ النحو...،وحضر دروس التفسير والفرائض للشيخ نصر القُمّي مفتي طرابلس..." [8].

---

[1] – الغصن الداني بلعالم القبلاوي، المرجع نفسه. ج 60.

[2] – معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، المرجع نفسه. 306.

[3] _ تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 342/2.

[4] _ تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 342/2.

[5] _ تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمان الجيلالي، المرجع نفسه. ج 572/3.

[6] _ تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق. ج 573/3.

[7] _ معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

[8] _ معجم أعلام الإباضية، لمجموعة من الباحثين، المرجع نفسه. ج 786/2.

وأود أن أشيرُ هنا إلى استمرار الرحلة في تحصيل التفسير بالشام ومصر، خصوصا من جهة الطلبة الذين رحلوا يطلبون الإجازات في القراءات خصوصا، والعلم الشرعي عموما، منهم: الشيخ رشيد بريك الذي لقي بمصر الدكتور توفيق النحاس " الذي أجازني في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، ورواية ورش عن نافع من طريق الأصبهاني من طريقي التجريد والكفاية. كما أجازني بمروياته المتصلة بثبت الأمير، وما فيه من الصحاح من الأحاديث والعلوم النافعة، وأذن لي بتدريسها وشرحها والإجازة بها." [1]. وكذلك الأستاذ محمد بن عبد القادر عبيد يتحدث عن محمد فال بن محمد، أخذ عن جملة من المشايخ و" عن شيخنا الجليل أحمد بن الشيخ أحمد المرابط قرأت عليه نظم السنوسية لابن الطيب الفاسي، كما لازمت دروسه في تفسير كتاب الله المجيد.". والأستاذ عمار راجعي الذي درس عند الشيخ عبد الرزاق الحلبي " التفسير والنحو والإعراب." [2]. والسيد مار رقبة الشرفي عن الشيخ عبد القادر حمُّودي، فقد حدث عن نفسه فقال: "... وقرأت عليه الربع الأخير من كتاب الله تعالى."[3]، وأخذ عن الشيخ محمد راتب النابلسي" تفسير القرآن بجامع عبد الغني النابلسي، جامع العثمان الميسات." [4].

وممن رحل أيضا إلى الشام وأقام بها مدة الشيخ مقداد بن موسى بن علي فريوي، أخذ عن علمائه، وتقدم بشهادة علمية في ميدان التفسير، وكان موضوعها: تحقيق كتاب الكفاية في تفسير القرآن، للإمام أبي أحمد عبد العزيز بن أحمد الديريني، من الفاتحة إلى آخر سورة النساء. وهو موضوع رسالة الدكتوراه التي ستناقش قريبا بإذن الله، وإن كان في العمر بركة أتممناه إلى آخر القرآن بعونه تعالى." [5]. وهو جهد مشكور جزاه الله خيرا.

وأختم بالشيخ شعيب قويدر، والذي قد تكون رحلته من أواخر الرحلات إلى الشام ولاأنعلم الآن كم بقيَ به، ولكنه حدث عن نفسه فذكر أنه " وفي عام 2000م سافرت إلى الشام، حيث التحقنا بمعهد بدر الدين الحسيني بدمشق، درسنا فيه حوالي أربع سنوات، وكنا ندرس في المعهد ثلاث وعشرين مادة منها: الفقه والحديث والتفسير، والتجويد..." [6].

وكل هذه الرحلات الحديثة كانت مع بدايات الثمانينات من القرن الماضي، مع ابتداء الصحوة الإسلامية، وتجدد الرغبة في وصل ما كاد أن ينقطع من أسانيد العلم، ولقاء الشيوخ. وغالبها كان إلى بلاد الشام سوريا خصوصا. وقد استمر ذلك إلى أن تغيرت الحال فظهرت الثورة المستمرة بهذه البلاد، والله المرجو أن تستقرَّ الأحوال على ما فيه صلاح البلاد والعباد، وأن يرفع الظلم عن المظلومين...

---

[1] _ دليل الطالبين إلى معرفة القراء الجزائريين المجازين، لسالم بوحامدي. ج 53/2.

[2] _ دليل الطالبين، المرجع نفسه. ج 90/2-91.

[3] _ دليل الطالبين، المرجع السابق. 181/2.

[4] _ دليل الطالبين، المرجع نفسه. ج. 186/2.

[5] _ دليل الطالبين، المرجع نفسه. ج 196/2.

[6] _ دليل الطالبين، المرجع نفسه. ج233/2.

ب – تدريس التفسير خارج الجزائر.

كلّ الذي مرُّ إنما هو الرحلة لتحصيل التفسير، وقد مثلتُ بما ذكرتُ وليس الغرض الاستقصاء، إذ أن ذلك ليس بالوسع؛ لكثرته واتساع دائرته وكثرة الراحلين من طلبة هذه البلاد إلى مختلف البلدان. والمقصود الآن الدلالة على شكل جديد من أشكال الصلات العلمية والثقافية بين مدرسة التفسير الجزائرية وغيرها من المدارس، من جهة أن جملة من أعيان مفسريها قد كان لهم نشاط واسع بالمساجد والمدارس في مختلف البلاد والتي منها فاس ومراكش، وتونس ومصر والحجاز والشام، وبلاد الروم...

ذكرتُ من قبل في نصوص متعددة أن البسيلي كان من المفسرين، وأنه قيد تفسيرَ شيخه ابن عرفة، في كتاب بحجم كبير وآخر صغير، وأنه كان يدرس بالمدرسة الحكيمية بتونس، ولا يستبعد بل هو أمر وارد جدا أنه كان يدرس تفسير شيخه ابن عرفة إذ كان به حفيا.

وينقل السخاوي ما يدل على مقدرة المشدالي في التدريس فقد قال: " وسمعت البقاعي يقول غير مرة أنه لم يكن ينظر في دروسه التفسيرية في غير القرآن، وأنه يستلقي على قفاه ويتأمل فيأتي بصواعق لا ينهض غيره لها."[1]. وتولى التدريس بعدة مدارس بعدة أماكن، ونافسه غيرُه في تولي التدريس ببعض المدارس" حتى انتزع له تدريس التفسير بقبة المنصورية."[2]. وفي نص ختامي أنه لقي محمد بن سيف الدين الحنفي حيث وَلِيَ تدريسَ التفسير " بقبة المنصورية برغبة أبي الفضل المغربي."[3]. فهذه نصوص تشيرُ إلى تدريس المشدالي التفسيرَ خارجَ الوطن في أماكن كبيرة، وأسماء كبيرة أيضا ممن تتلمذ عليه خصوصا في التفسير.

وممن تولى التدريس تدريس التفسير بالخصوص الإمام الشمُني، فقد تولاه في مدارس عديدة، ودرّس فنون كثيرة فقد نقل السيوطي وهو من تلامذته أن الشمُني المذكور " أقرأ التفسير والحديث والفقه والعربية والمعاني والبيان وغيرها، وانتفع به الجمُّ الغفير، وتزاحموا عليه، وافتخروا بالأخذ عنه، مع الخير والعفة، والتواضع والشهامة وحسن الشكل والأبهة والإجماع عن بني الدنيا. أقام بالجمّالية مدة، ثم ولي المشيخة والخطابة بتربة قايتباي الجركسي بقرب الجبل، ومشيخة مدرسة اللالا.". والسيوطي إضافة إلى أنه من تلاميذ الشمني فهو خبير بالدرس، وبأقدار العلماء، وفضائل المدرسين. والسيوطي أصلا من المفسرين وله فيه المؤلفات الكبيرة كالدر المنثور في التفسير بالمأثور، والحواشي الكبيرة كالتي وضعها على تفسير البيضاوي.

وأستزيد من النقل عن تدريس الشمني للتفسير، ففي ترجمة ابن الكركي، وجدتُ الأخير درّس عنه فنون عديدة زيادة على التفسير، " إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي إمام السلطان (ولد 835هـ) ويعرف بابن الكركي... ومما أخذ عن الشمُنُّي التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان والمنطق

---

[1] _ دليل الطالبين، المرجع نفسه. ج 373/2.

[2] _ لضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 386/4.

[3] _ الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 388/4.

وغيرها بقراءته وقراءة غيره تحقيقا ودراية."[1]. وهي كلّها علوم تمس إليه حاجة المفسر، وورد أيضا في ترجمة " أحمد بن محمد الكناني الشافعي (826هـ/895هـ) ... وسمع على الشمني في حاشيته على المغني بل سمع عليه في التفسير والحديث وغيرهما."[2]. كما ورد أيضا في ترجمة " محمد بن علي بن علي بن محمد بن نصير – كبُكَيْر – الشمس أبو الفضل الدمشقي القوصي الأصل القاهري الشافعي. وأكثر من الأخذ عن الشمني في فنون كالتفسير والأصلين والعربية والمعاني"[3]. وهو شخصية شامية وردت على مصر. وفي هذه النصوص وفي غيرها مما تركتُ ذكرَه أن الشمني كان مقصودا في تدريس التفسير وما يتبعه من العلوم المساعدة، وأنه استمر على ذلك السنين العديدة؛ بل إنه لم ينقطع عن التفسير خصوصا بالمدارس الرسمية حتى وفاته، وأن كثيرا من أعيان القرن التاسع هم من تلامذته كما يفيده النظر في الضوء اللامع للسخاوي.

وممن درس بالمغرب الأقصى الشيخ ابن شقرون، ففي بعض التراجم أنه كان يدرس التفسير، وأن بعضهم " حضر أيضا عند الإمام مفتي المغرب سيدي شقرون بن هبة الله الوهراني التلمساني في مجالس عديدة من التفسير والفقه والنحو والكلام."[4]. وهي تقريبا العلوم الضرورية للمفسر.

وممن درس التفسير أيضا يحي الشاوي، وقد أوردت على لسان المحبي في خلاصة الأثر أنه سمع عليه في جملة من أصحابه تفسير الفاتحة من تفسير البيضاوي مع حاشية العصام عليها، مع التحقيق التام. قال المحبي: " قرأنا عليه في تركيا تفسير سورة الفاتحة من تفسير البيضاوي وأجازنا جميعا بإجازة نظمها لنا."[5]. وكذلك درس الأمير عبد القادر من خلال مجالسه كتاب المواقف وقد عرفت به، وأنه من التفسير الإشاري. وهو لون معدود في التفسير رغم كثرة الخلاف في عده من التفسير. وكان ذلك بالمسجد الأموي.

ومنهم أيضا الشيخ محمد الشريف اليعقوبي، وكان يدرس في بيته موظفا تفسير القرآن: " ثم يشرع يدرس يعظ ويرشد معتمدا على تفسير القرآن الكريم بروح صوفية."[6]. إذ كان يدْرسُ الجلالين على البيطار، بعد أن كان قرأه على بعض المشايخ كما في النص التالي من نفس المرجع " وكان يحضر على المحدث الشيخ بدر الدين الحسيني في مجلس خاص تفسير الجلالين، وأخذ منه إجازة. وهو نص يفيد أن التدريس أخذ يجنحُ إلى هجْر المطولات والاقتصار على المختصرات، كالبيضاوي، بل كتفسير الجلالين.

وكذلك كان العلامة الأمير ذو الأصول الجزائرية (مازونة)، يدرس التفسير للطبقات العليا من الطلبة خصوصا بالأزهر الشريف، بل كان يحدث أن يلقي درسا أميريا في التفسير: " وفي منتصفه كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع... حصلت به الجمعية وحضر الباشا الدفتردار والمشايخ وصلوا به الجمعة

---

[1] _ الضوء اللامع، المصدر السابق. ج 4/ 378.

[2] _ بغية الوعاة في طبقات النحاة، للسيوطي، المصدر نفسه. ج 377/1.

[3] _ الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1/ 36.

[4] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 1/ 378.

[5] – الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 4/ 190.

[6] – نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الوفراني المراكشي، المصدر نفسه. ج / 132.

وبعد انقضاء الصلاة عقد الشيخ محمد الأمير المالكي درس وظيفته وأملى (إنما يعمر مساجد الله...) الآية والأحاديث المتعلقة بذلك وثم المجلس وخلع عليه الباشا بعد ذلك خلعة." [1]. وهو النص يفيد أن خصوص ذلك الدرس كان بمسجد السيدة زينب.

وأختم بهذين النصين المعاصرين ففيهما كما هو معلوم وشاهد أن الشيخ أبا بكر الجزائري لا يزال حفظه الله يدرس التفسير بالمسجد النبوي: " وقد انبرى الشيخ لتدريس التفسير ضمن دروسه في المسجد النبوي التي تذاع غبًّا بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية ." [2]. فهو عمل مزدوج يفسر بالمسجد النبوي ويذاع على الناس لتعم الفائدة، ولعل هذا الشكل هو من أوسع الانتشار، فقد سمعه عليه مباشرة مسلمون من جنسيات مختلفة، وسمعه الناس من دو لمختلفة عبر الإذاعة إضافة إلى أن تفسير قد لقي قبولا كبيرا. وهو أمر ذكرته من قبل فلا أطيل بإعادته.

وذكر أيضا بعض الباحثين " وقد التقيت به عدة مرات وأخبرني أنه استمر في تدريس التفسير في المسجد النبوي طيلة خمس وأربعين سنة ختم خلالها القرآن أربع مرات وهو الآن في الختمة الخامسة." [3].

ومما هو من قبيل الصلات الوثيقة والمستمرة بين المدرسة الجزائرية، وغيرهما من المدارس شرقا وغربا، اعتماد مقررات المشرقية خصوصا في التدريس، وهو في أصله حالة صحية تدل على مواكبة المفسرين الجزائريين عبر العصور لحركة التفسير الإسلامية، والتي تعتمد خلاصة ما انتهى إليه الإنتاج التفسيري، وهو من جهة ثانية محاولة جادة لإضافة ما يمكن من النقد، والتمحيص، والتوسع في المباحث. والمقصود باعتماد الكتاب مقررا أن الشيخ يشرحه ويكون بين يدي الطلبة منه نسخ للقراءة وربما الحفظ. وأما المطالعة فقد كان يرجع المشايخ إلى كثير من كتب التفسير لأجل التوسع والتحقيق. وقد ذكرت مرارا بعض المفسرين الجزائريين الذين ذكروا مصادر تفاسيرهم كالسيخ أبي راس الناصري، وابن باديس...

والباحث يجد ظاهرة اعتماد المنتج التفسيري المشرقي قديما في نشاط المدرسة الجزائرية، فمنذ البدايات الأولى والتي لم تتجاوز القرن الثاني، نجد قبولا كبيرا لتفسير يحي بن سلام (200هـ) في الأوساط المغربية، وذلك أن الجميع وجد ضالته في هذا التفسير الأثري الموسع، وقام باختصاره كما سبق هود بن محكم الهواري، واتجاه في اختصاره بما يتناسب ومشربه العقائدي الإباضي، واعتمد أهل بجاية كما في عنوان الدراية تفسير بن حميد، إلى أن ظهر الكشاف للزمخشري (538هـ)، فرغم ما فيه من الاعتزال الذي اجتهد صاحبه في تضمينه مباحث التفسير إلا أن المشايخ في المدارس والمساجد وفي التآليف قد جعلوه ضالتهم، وعمدتهم. وشاع تدريسه شرقا وغربا، ولا يذكر قول للمتأخرين في التفسير إلا ويذكر مقرونا معه ما ذهب إليه الزمخشري. وقد مر في الباحث أن السجلماسي قد قرأ في القرن الحادي عشر الكشاف ثلاثين مرة...

---

[1] – خلاصة الأثر المجي، المصدر نفسه. ج 370/1.

[2] – نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، للفاداني، المصدر نفسه. 1227.

[3] _ عجائب الآثار، للجبرتي، المصدر نفسه. ج 2/ 535.

ومع كل هذا الاهتمام المتطاول الفترات إلا أننا لا أكاد أجد عملا لعالم جزائري، رغم كثرة ما عمل عليه من الشروح والحواشي، باستثناء عمل السنوسي والذي اختصر فيه حاشية التفتازاني على الكشاف. وهو عمل لم يصل بأيدي الباحثين.

وقد كان لظهور تفاسير أبي حيان قيمة علمية، وفرصة للتخفيف من ضرورات الرجوع المستمر للكشاف، وذلك لكثرة ما تعقبه به أبو حيان (745هـ) في مباحث النحو خصوصا والعربية عموما. وكذلك ظهر تفسير ابن عطية الأندلسي (542هـ) فزاد في تضييق دائرة الرجوع إلى الكشاف كيل بعير، على أن ذلك لم يعدم من قيمة الرجوع إليه لما حواه من التحقيقات التي لا نظير لها.

واعتمد علماء التفسير بالجزائر تفسير الإمام البيضاوي (685هـ)، والذي جمع محاسن ما تفرق قي غيره، وناسب وضوحه الحاجات العلمية لمختلف الطبقات الطلابية، ومع أنه قد شاع في المدارس إلا أننا لا نجد عليه حاشية لمفسر جزائري إلى بداية القرن الثاني عشر، حيث وضع الشيخ البليدي حاشية المشهورة، ولم يقع تداولها بين العلماء، وكذلك وضع الشيخ طاهر الجزائري ما يشبه الحاشية على تفسير البيضاوي. ومر أيضا أن بعض الإباضية وضع حاشية على التفسير المذكور. وكان من أواخر ما اعتمده الجزائريون من التفاسير تفسير الجلالين، والمنسوب إلى جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي. ولبعض الإباضية عليه حاشية.

ج- صلات التأليف على تفاسير أهل المشرق.

ومن أشكال الصلات الوثيقة بين المدرسة الجزائرية وسائر المدارس المشرقية والمغربية، التأليف في موضوع التفسير، وذلك أن مجموعة من أعمال المفسرين المشارقة والمغاربة كانت قد وصلت وفي وقت مبكر إلى المعاهد العلمية والمساجد، وجرى تناولها على المستوى التدريس أوالمطالعة. ولا شك أنه بعد البحث الطويل وتقليب النظر العلمي في مضامينها، تحددت المواقف بإزائها.

فقبل القرن التاسع نجد عمل هود بن محكم الهواري الذي اختصر تفسير يحي بن سلام، وكذلك ورد في ترجمة أحمد بن محمد المعافري القلعي (القرن السابع) أنه " اختصر كتاب التفسير لأبي عمر الداني اختصارا بليغا وجيزا، يدل على علمه وجودة فهمه."[1]. وليس بين أي الباحثين شيء من نصوصه.

وبحلول القرن التاسع تجد عمل البسيلي الذي قيد فيه مجالس ابن عرفة في التفسير؛ إذ " كانت له دروس في التفسير يلقيها على طلبته منذ بداية تدريسه بمدرسة التوفيق في مستهل النصف الأخير من القرن الثامن، وجمع تلامذته تفسيره الفريد التحرير والبديع في التقرير."[2].

ولم يكن عمل البسيلي بالذي تغيب فيه شخصيته، فيكون مجرد ناسخ لعمل شيخه، بل الذي هو مؤكد أنه لم يقيد جميع المجالس، ولأجل ذلك كمّل مواضع منه بغيره من تفاسير، فهو إذن " تفسير قيده عن شيخه ابن عرفة، وأضاف إليه زوائد من غيره، وفيه فوائد، ونُكَت ذكرَ فيه بعد أن أورد أسئلة وأجوبة في بعض الآيات،

[1] _ التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع نفسه. ج 202/1.

[2] _ التفسير والمفسرون المرجع السابق. ج 202/1.

" وهذه الأسئلة وأجوبتها وأمثالها وكل ما ذكرنا في كتابنا هذا مما يقع بين الطلبة في مجلس شيخنا ابن عرفة أو بينه وبينهم."[1].

وقد كتب مؤلف صاحب كشف الظنون، أنه :" أبو العباس أحمد بن عمر البسيلي الإمام الفقهي العامل الكامل الخير الشيخ الفاصل، أخذ عن ابن عرفة، له تقييد في التفسير، قيده عن ابن عرفة فيه فوائد مهمة، ونكت وله فيه قصة مذكورة في نيل الابتهاج."[2] وهو تقريبا ما فصلت الكلام فيه عند ترجمة البسيلي والتعريف بتفسيره. وأما ما ذكره بروكلمان من أنه " أحمد بن محمد البسيلي مفسر، أخذ عن ابن عرفة من تصانيفه: تفسير القرآن العظيم."[3]. فهو إجمال موهم أن البسيلي المذكور له عمل مستقل في التفسير، والذي بين يدي الباحثين هو ما قيده عن شيخه.

وكذاك عمل الثعالبي على تفسير ابن عطية مختصرا مشهورا حوى المهم من كتاب ابن عطية، وزاد عليه تحقيقات وتعقيبان رآها الثعالبي مهمة، جمعها من مصادر عديدة، وبإحالات أكيدة أشار إلى كلّ ذلك بقوله: " فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر، ما أرجوا أن يقرّ...وبالجملة فحيث أطلاق الكلام لأبي حيان."[4]. وقد شاع هذا المختصر وعمّ النفعُ به قديما، ولا تزال طبعاته تتوالى حديثا. وهو للإشارة عمل أندلسي لقي قبولا وشاع الانتفاع بع شرقا وغربا.

وممن عمل مختصرا على كتاب مشرقي، الشيخ محمد بن يوسف السنوسي فقد اختصر حاشية التفتازاني على الكشاف: " مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف."[5]. وطبيعة هذا العمل واضحة فهو ينتمي إلى الأزمنة التي شاعت فيها المباحث الكلامية والنحوية والبلاغية وأتخم التفسير بها.

وللشيخ التنلاني التواتي عمل على الدر المصون اختصرُ فيه هذا الأخير عملَ ابن السمين، وهو في إعراب النحو ومباحث المعاني...وإن كان اقتصر التنلاني على الإعراب فقط، و لم يتجاوز النفعُ به منطقة توات من صحراء الجزائر لبعد المسافة، وتوفر الأصل. كما أن لبعض الإباضيين وهو للشيخ يوسف بن محمد المصعبي المليكي أبو يعقوب (1773م) حاشية على الجلالين، و لم أطلع عليها.

ولبعض الإباضيين الشيخ إبراهيم بن بيحمان (1817م) حاشية على تفسير البيضاوي، وهو في ذلك يستجيب لحاجات علمية، لكون تفسير البيضاوي قد اشتهر وعم النفع به، واعتمده المشايخ في المساجد والمدارس، وكثرت الحواشي عليه شرقا وغربا. وكذلك يأتي عملُ الشيخ طاهر الجزائري حاشية على تفسير

---

[1] _ تعريف الخلف، المصدر نفسه. ج 80/2.

[2] _ تفسير ابن عرفة برواية البسيلي، المصدر نفسه. 64، نقلا فهرست الرصاع، المصدر نفسه. 81.

[3] – معجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، المصدر نفسه. ج 104/1.

[4] _ كشف الظنون للتهانوي، المصدر نفسه. ج 438/1-439.

[5] _ تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، المرجع نفسه. ج 249/2.

البيضاوي، وهو " من كتبه التي لا زالت مخطوطة: تفسير القرآن في أربع مجلدات." [1]. وممن عمل حاشية على تفسير البيضاوي السيد البليدي رحمه الله، وهي نتاج تدريس مستمر وطويل لتفسير البيضاوي.

وفي القرن الحادي عمل الإمام يحي الشاوي عملا علميا دقيقا، على عملين مشرقيين هما تفسير الكشاف وتفسير أبي حيان، وعمل أندلسي هو تفسير المحرر الوجيز لابن عطية. وقد أبدى فيه من التحقيقات ما هو معلوم لمن طالعه.

[1] ـ الجواهر الحسان، عبد الرحمان الثعالبي، المصدر نفسه. ج 08/1.

د- الصلات العلمية عن طريق الإجازات.

ومما أختم به هذا العنصر النقطة هو الإشارة إلى الإجازات المتبادلة بين المفسرين الجزائريين وغيرهم من العلماء والمفسرين، من ذلك الإجازات التي جمعها الثعالبي، وضمنها كتابه غنيمة الماجد، وفيهم من المصريين ولي الدين العراقي، وكثير من المشرقيين...وفي النص التالي لابن مريم " أجازه جميع من ذكرنا ــ العبارة لابن مريم ــ الإجازة العامة بما لهم من المصنفات والمرويات، وهذا فخر كبير اجتماع هؤلاء كلهم له، وناهيك منهم بجده والعراقي وابن عرفة وابن خلدون، وصاحب القاموس، وابن الملقن والبلقيني والعيني والبرزلي. فقل أن يجتمع لأحد مثل هؤلاء في مشيخته من مجيزيه. وتخرج به هو كذلك فحول العلماء وتدبج مع الولي أبي زيد الثعالبي." [1].

وكذلك أخذ العلامة المفسر ابن زاغو لما كان يدرس خارج الوطن الإمام ولي الدين العراقي (816هـ) وسمع منه الحديث، وأجازه إلا أن الذي بين أيدي الباحثين أنه كان يتولى تدريسه فقد ذكر القلصادي أنه قرأ عليه " صحيح البخاري كلّه ومن أول صحيح مسلم إلى أثناء الوصايا..." [2]. والعادة أن يتم طلب الإجازة ومنحها. وهو ما يفيده النص التالي من أن ابن زاغو أخذ الإجازة أيضا عن الحافظ شهاب الدين الكلوتاتي (835هـ) فقد " أجاز له جميع ما يجوز له وعنه روايته. قال ومن مروياته تفسير الواحدي الأوسط، وأسباب النزول له." [3].

ومن المفسرين الجزائيين الذين أجازوا غيرهم وهم خارج الوطن الإمام تقي الشمني، إذ إضافة إلى التدريس الواسع لجيل كامل من الطلبة، أجاز كثيرين لا يحصيهم العد. وقد ورد من ذلك مثلا في ترجمة عبد الباسط بن خليل (ق09هـ) أنه " أجاز له الشمني." [4]، وكذا موسى ابن عمر اللقاني فقد " أجاز له شيخنا الشمني." [5]، وأيضا ممن روى " عنه بالإجازة التقي الشمني" شيخه إبراهيم بن يونس الحنفي.

وورد في كتب التراجم أن ابن مرزوق الكفيف أنه زيادة على ما أخذه من مقررات التدريس على هؤلاء وغيرهم فإن " كل هؤلاء أجازوه وقرأ عليهم مشافهة إلا ابن حجر فمكاتبة." [6]. يقصد مجموعة من الأعيان من داخل الوطن وخارجه.

وبخصوص الشيخ المطغري فقد ضمن ابن منجور الفاسي ي فهرسته ما رواه عن المطغري، إذ كان للمطغري المذكور ثَبَتُ أخذه عن ابن غازي وغيره فكان ممن " صرح بإجازته العامة له منهم سقين وعلي بن

---

[1] ــ معجم أعلام الجزائر، المصدر نفسه. ج 176، ثبت الوادي آشي 442.

[2] ــ معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 101، معجم المفسرين، لعادل نويهض، المرجع نفسه. ج 241/1.

[3] ــ فهرس الفهارس والأثبات للكتاني، المرجع نفسه. ج 1/ 524.

[4] ــ البستان في أولياء تلمسان، لابن مريم، المصدر نفسه. ج 43.

[5] ــ ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 117-118.

[6] ــ الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 2 / 205.

هارون المطغري." [1]. وذكر الكتاني في شأن مرويات ابن هارون أنه يروي " ما له من طريق أبي العباس المقري عن عمه سعيد بن محمد المقري التلمساني عنه. ح: ومن طريق المنجور عنه." [2]. كما يروي المطغري عن شيخه ابن غازي ثبته المشهور: " فقد أجازه فيه شيخه المذكور عام 906هـ مما قرأ هو أو قرئ بمحضره." [3]. وفصل في ثبته ذلك إذ قال " ومن كتب القراءات صدر التفسير لأبي عمرو الداني، وناولني سائره وأجازنيه حسبما في الإجازة القرآنية." [4]. كما يروي المطغري أيضا عن أبي الفضل بن إبراهيم بن الإمام و" هو الإمام العالم التلمساني، دخل الحجاز ومصر والشام وافريقية، وحمل عن الرجال ما جمعه في فهارس أرويها بالسند إلى أبي العباس المقري عن عمه سعيد عن أبي الحسن عليّ بن هارون عن ابن غازي عن أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي عنه إجازة سنة 834 هـ." [5].

ولما كان الشيخ يحي الشاوي قد رحل إلى المشرق و" أقام بمدة بمصر في مصر في عودته من الحج سنة أربعة وسبعين، وتصدر للإقراء بالأزهر."، وهنالك على ما يبدو ثم من مصر والمقام بالأزهر " رحل إلى سورية والروم (تركيا)، فأكرمه شيخ الإسلام يحي المنقاري والصدر الأعظم وحضر مجلسا علميا بحضرة السلطان."، وهنالك تولى التدريس وكان له تلاميذ ذكر بعضهم أننا " قرأنا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام..." [6]، وعاد للقاهرة فتولى التدريس في الأشرفية وغيرها." [7]. وعند تلميذه المحبي زيادة " قرأنا عليه في تركيا تفسير سورة الفاتحة من تفسير البيضاوي وأجازنا جميعا بإجازة نظمها لنا. "[8]. والنص الأخير هو ما يفيدنا فائدة مباشرة لتعلقها بالإجازات.

وفي القرن الثاني عشر نجد أحمد بن قاسم البوني قد " رحل إلى المشرق." [9]، وتلقى عن عديد ممن ذكرتهم المصادر كـــ" عبد الباقي ابن يوسف الزرقاني المتوفى سنة 1099م/1688م." [10]. وله أسانيد متصلة مشهورة، كما أخذ البوني المذكور عن سليمان الروداني وهو من المفسرين، وله أسانيد مشهورة تلقاها عن كثير من علماء المشرق والمغرب، وهو من المغرب الأقصى، وقد ضمنها كتابه صلة الخلف بموصول السلف.

---

[1] ـ الضوء اللامع، المصدر نفسه. ج 5 / 99.

[2] ـ نفح الطيب من تاريخ الأندلس الرطيب، للمقري، المصدر نفسه. ج 5/ 419.

[3] ـ فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 2/ 567.

[4] ـ فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 2/ 1105.

[5] ـ فهرست ابن منجور، المصدر نفسه. 43.

[6] ـ فهرست ابن منجور، المصدر نفسه. 44.

[7] ـ فهرس الفهارس والأثبات، المرجع نفسه. ج 1/ 161.

[8] ـ تعريف الخلف، المرجع نفسه. ج 191/1.

[9] ـ الطرهوني، المرجع نفسه. ج 370/1.

[10] ـ خلاصة الأثر للمحبي، المصدر نفسه. ج 370/1.

وزيادة على ذلك كان الروداني كما قال المحبي في ترجمته " كان له في التفسير وأسماء الرجال وما يتعلق به يد طائلة." [1].

وورد في ترجمة الشيخ عبد الرحمان التنلاني أن من شيوخه في التفسير من المغرب الأقصى الإمام المسناوي والعلامة المعداني قال عن نفسه: " وأخذت كثيرا من التفسير عن شيخ الشيوخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد المسناوي، وسمعت مواضع منه على الشيخ العلامة الفقيه المتفنن أبي علي سيدي الحسن بن رحال المعداني، والباقي إجازة." [2]. وهو في هذا النص يجمع بين الدراسة والإجازة. وفي نص آخر في إجازة رابعة من شيخه لمحمد بن علي الدرعي: " أجزت الفقيه المذكور فيما نقل عني وسمع وسطره في هذه الكراسة من جميع مروياتي ومقروآتي ومسموعاتي...تفسير الجلالين، مؤلفات السنوسي، مؤلفات ابن حجر." [3]. ومن المجيزين أيضا للتنلاني شيخه أحمد بن عبد العزيز الهلالي:" حضر مجلسه واستفاد منه استجازة فأجازه إجازة شاملة جامعة لما تفرق في غيرها من الإجازات." [4]. وهي إجازة عامة مطلقة شملت ما تفرق في غيرها من أسانيد الكتب والمرويات.

وممن رحل أيضا خارج الوطن لتحصيل العلم ابن باديس، فبعد أن رحل إلى الزيتونة وتأهل للتعليم من جامع الزيتونة بها.و" رحل إلى المشرق وحج ولقي في رحلته جماعة من العلماء. وعاد سنة 1913م." [5]. وبمناسبة هذه الرحلة " حج وزار لبنان وسوريا ومصر في رحلة العودة وأجازه الشيخ بخيت بشهادة العالمية من الأزهر." [6].

وكذلك أجاز مجموعة من المفسرين الجزائريين كثيرا من أعيان العلماء شرقا وغربا، فهذا الأمير عبد القادر وهو بالمشرق العربي على عادة المشايخ يجيزهم بمختلف مروياته والتي منها التفسير كما في كتاب إمداد الفتاح: فقد اتصل سند الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله وهو من أهل الشام بمن أجاز لهم الأمير عبد القادر والخضر حسين، وحمدان لونيسي، والبشير الإبراهيمي، والأمير المالكي...حيث يروي الشيخ المذكور عن شيخه محمد بن عبد الله بن عبد الله الخاني الدمشقي الشافعي (1316هـ) عن الأمير عبد القادر. ويروي الخاني المذكور عن إبراهيم السقا عن الأمير الصغير. كما يروي أيضا عن مصطفى لمبلط عن الأمير الكبير. ويروي أيضا عن الأمير عبد القادر. [7]، ويروي أيضا عبد الفتاح أبو غدة عن شيخه الخاني عن الشيخ طاهر بن صالح الجزائري (1338هـ) ما له من الأسانيد.

---

[1] _ خلاصة الأثر، المرجع نفسه. ج 1/ 49.

[2] _ المرجع نفسه، المصدر نفسه. ج 1/ 49.

[3] _ خلاصة الأثر، المصدر نفسه. ج 204/4.

[4] – الغصن الداني، لبلعالم القبلاوي، المرجع نفسه. 14.

[5] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 36.

[6] – الغصن الداني، المرجع نفسه. 26.

[7] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

وكذلك اتصل سند الشيخ أبو غدة بأحمد الشريف بن محمد السنوسي عن والده محمد الشريف عن محمد بن علي السنوسي (جد أحمد الشريف) بأسانيده.[1]. وتتصل أسانيد الشيخ أبي غدة المذكور عن أستاذه الشيخ الخضر حسين (1377هـ)، وهو يروي عن خاله محمد المكي بن مصطفى بن عزوز التونسي الجزائري الأصل عن محمد بن الصديق عن المدني بن عزوز عن مصطفى بن عبد الرحمان عن علي بن الأمين وكلهم جزائريون بما لهم من أسانيد ذكرها في ترجمة الخضر حسين. [2].

خـــــــــاتمة.

وبهذا يظهر للناظر جليا أن المفسرين الجزائريين لم يكونوا بمعزل عمن حولهم من المفسرين وإنتاج التفسير، سواء كان ذلك بالمشرق أو المغرب، قديما أو حديثا؛ بل الذي يظهر أنهم كانوا مواكبين لما كان يتم إنتاجه بالمشرق، تجد مصداق ذلك اطلاعهم على تفسير يحي بن سلام في زمانه، وتفسير الكشاف...وواكبوا حركة الإصلاح على عهد محمد عبده ورشيد رضا واطلعوا على جهودهما في التفسير. واشتغلوا على نفس الوسائل من كتاب، ومجلة ونوادي، وتفسير عبر الإذاعة والتلفزيون...ومرت أطوار التفسير عندهم بدوري التفسير المدرسي، ودور التفسير الإصلاحي.

[1] – معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 28.

[2] – إمداد الفتاح من أسانيد الشيخ عبد الفتاح، محمد بن عبد الله آل رشيد، المرجع نفسه. 287.

المبحث السادس: التفسير عند المؤلفين الجزائريين بين الاتجاه المدرسي والإصلاحي.

1- مناهج التفسير عند المؤلفين الجزائريين.

أقصد بمناهج التفسير هنا ما يذكره المفسر من قواعد التزمها في تفسيره، وما يعقب به على طرق المفسرين غيره، سواء تعلق الأمر بمصادر التفسير أو قضاياه. وإن كتب التفسير التي اطلعت عليها وإن لم يلتزم أصحابها ذكر مناهجهم في مقدمات كتبهم إلا أن القارئ يجد شيئا من ذلك مصرحا به في ثنايا التفسير، والبعض الآخر يكتشفه من خلال طريقة المفسر، وكيف تعامل مع عناصر التفسير، أو ما اصطلح على تسميته بقواعد التفسير، وشروط المفسر.كل ذلك أذكره بإيجاز شديد إذ كان الغرض مجرد الإشارة لا الاستيفاء.

فعند مصطفى بن علي آل عزيز أن القرآن الكريم قد تعرض ومنذ وقت مبكر إلى تأويلات جانحة، ومصادرات على ظواهره المقصودة، واعتمدت في ذلك قواعد للتفسير غير ما يقتضيه البيان العربي، وما هو الواجب من الرجوع في التفسير إلى المصادر الأساسية. وقد كان الدافع إلى ذلك محاولة إعطاء الشرعية لما تم إنتاجه من أفكار وراء في الاعتقاد والسياسة، وهو ما تبلور من بعد في فرق ذات توجهات متميزة كانت في أكثر أحيانها متخالفة فيما بينها، بل ضاد بعضها بعضا. والنص التالي يفيد شيئا من ذلك: " لقد كان اختلاف المسلمين في شؤونهم الدنيوية سببا في لاختلافهم في شؤونهم الدينية...إلى أن قال: ومن هذه الأبواب والتي أهمها الاختلاف المذكور – أحداث الفتنة الكبرى- طرأ على كتاب الله تأويلات خاطئة غيرت المعاني والمقاصد الشرعية؛ سواء ما كان منها اجتهادا وعن حسن نية، أو تعصبا وانتصارا لمذاهب معينة أو من أجل تحريف الكلم عن مواضعه كما حدث في السنة. قلت: وبتلك المفاهيم الخاطئة والتأويلات الباطلة وبطول الأمد، وبالتقليد الذي أخذ به أكثر العامة ومحدودي العلم نشأت مذاهب كثيرة في الإسلام: فقهية وكلامية وعقائدية وسياسية واجتماعية. منها ما نسخ وزال بطول الزمن ومنها ما هو قائم إلى اليوم. كل طائفة تنسب الحق لنفسها وكل حزب بما لديهم فرحون. وهي اختلافات لم تكن بدعا في هذه الأمة إذ قد سبق إليها أهل الكتاب، وحذر الله ورسوله من الاستنان بهم قال الله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)، (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم)، (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة)، (فاختلف الأحزاب من بينهم). وهذا ما يفسر قولنا في تحريف القرآن من ناحية المعنى كما حرفت التوراة والإنجيل لفظا."[1]. وقد أجمل كعادته و لم يمثل كيف لتأويل خاص أن ينتج رأيا خاصا يكون أساسا لقيام فرقة كاملة قد تستمر لأزمنة طويلة، وتكون سببا لما كر من التفرق والاختلاف.

وفي موضوع آخر متصل بما نحن فيه وتحت عنوان شرط التفسير المقبول ينقل ابن باديس نصا تفسيريا عن بعض السلف ويعقب عليه بالتصويب ويعبر عن إعجابه بما أبداه هذا المفسر لموافقته الشروط الصحيحة في التفسير فقد نقل عن " الحافظ الإمام ابن العربي عن الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ الصوفية في

[1] – الحق لما اختلف فيه من الحق، مصطفى بن علي، المرجع نفسه. ج 1/155-156.

زمانه قال: «إنما قال ما لي لا أرى لأنه اعتبر حال نفسه إذ علم أنه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق، فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر فلأجله سلبها؛ فجعل يتفقد نفسه، فقال: ما لي». وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالهم. هذا في الآداب، فكيف بنا اليوم ونحن نقصر في الفرائض؟!

توجيه: مثل هذه المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الإمام الجليل من أجل علوم القرآن وذخائره. إذ هي معاني صحيحة في نفسها. ومأخوذه من التركيب القرآني أخذاً عربياً صحيحاً. ولها ما يشهد لها من أدلة الشرع. وكل ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول. ومنه فهم عمر وابن عباس- رضي الله عنهما- أجل رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- من سورة النصر."[1]. وواضح ما نص عليه ابن باديس هنا من شرط التفسير، وحصره في ثلاثة شروط هي محل اتفاق عند المفسرين الجزائريين في الجملة، وهي: صحة المعنى في نفسه، وموافقته لصحيح التركيب العربي، وشهادة الشرع بسلامته.

ويزيد الأمر توضيحا بأن من فقد هذه الشروط خصوصا صحة المعنى وموافقة مقتضى النظم القرآني فهو الذي لا يفسر به كلام الله، فقد قال: " أما ما لم تتوفر فيه الشروط المذكورة، وخصوصاً الأول والثاني؛ فهو الذي لا يجوز في تفسير كلام الله، وهو كثير في التفاسير المنسوبة لبعض الصوفية: كتفسير ابن عبد الرحمن السلمي من المتقدمين، والتفسير المنسوب لابن عربي من المتأخرين."[2].

ومع أن التجاني رحمه الله التزم أن يفسر بالإشارة المقادير التي سئل عنها من الآيات، ولم يقدم أمامها التفسير بالظاهر، إلا أن صرح بكون ذلك الظاهر مقصودا ، وأن غيره مما يحمل عليه، وهو من قبيل التوسع في الدلالة على ما أصطلح عليه القوم لا غير. وأن هذا الظاهر لا يصرف عن مدلوله إلا إذا أدى ذلك إلى مستحيل، فقد قال في شأن ما ورد عن داوود عليه في قصة الخصمين من سورة (ص)، وكان قد سئل عن ذلك فأجاب بعد نص السؤال: " وسألت شيخنا رضي الله عنه عما ذكره بعض المفسرين في حق سيدنا داود عليه السلام. وأنه تمنى بقلبه وأمر الرجل بكذا ليفعله وكذا وكذا؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: قال معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم وإنما حكى الله عنه أن الخصمين اختصما في نعجة من الغنم لا غير كما قال كما قال الله (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) إلى قوله (وأناب). ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح لا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهره يلزم منه المحال. وكلا الأمرين منتف هنا فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ولا قرينة تصرفها عن الظاهر. وإذا فهمت هذا تبين لك أن الآية على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالحي عامة المؤمنين؛ فكيف يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط." [3]. والذي أقرره هنا أن التفسير الإشاري هو من قبيل التوسع في

---

[1] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 268/1.

[2] – تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه. 267.

[3] – جواهر المعاني، المرجع نفسه. ج 1/ 116.

المعاني التي أفادها الظاهر لا من قبيل إبطال ذلك الظاهر، وذلك من خلال ما تم الاطلاع عليه من تفاسير الجزائرية والتي تضمنت التفسير الصوفي كما هو عند الخروبي وابن عليوة، أو اقتصرت عليه في التفسير كما عند الأمير عبد القادر في المواقف.

وفي شكل آخر من أنواع المنهج يرى الشيخ الخضر حسين أن المفسر ينبغي أن يضع نصب عينيه هداية القرآن في مختل فالمجالات لا يتعداها، بل يكون تفسيرها لها موضحا ومؤكدا، بالاستدلال والتمثيل؛ " فمن أراد تفسير القرآن فليتجه إلى وجوه الهداية التي أرشد إليها من نحو العقائد والعبادات والأخلاق والآداب وأحكام المعاملات ويتجه مع هذا إلى الوجوه التي كان بها معجزة خالدة."[1]. وكل ما خالف هذا من المعاني التي قد يصل إليها المفسر فهي على خلاف المنهج الصحيح؛ لما أنها تلغي الثابت من الهداية وتحل محله، الأفكار الخاصة الجزئية والتي كثيرا ما تتغير بتغير زمان المفسر وثقافته...

ومما يدل على عظم شأن التفسير، وخطورته العلمية أن تدريسه تماما كالتأليف فيه لا يكون إلا بعد أن يتأهل المفسر بالمعارف والقواعد، ويستكمل الشروط المنصوص عليها في كتب التفسير، قديما وحديثا. هذا وقد ذكر الشيخ الخضر حسين حكاية عن نفسه، فيها دلالة على شيء مما ذكرت، وذلك أن " علماء جامعة الزيتونة لا يقرؤون تفسير القرآن إلا إذا قرؤوا علوم المعقول والمنقول حتى يدركوا بلاغة القرآن. وأذكر أنه طلب مني بعض الطلبة أن أقرأ لهم تفسير البيضاوي في جامع (حمّودة باشا)، فأجبت رغبتهم وقرأت منه دروسا، فأرسل إليّ القاضي المالكي يدعوني إلى المحكمة، فذهبت إليه فقال لي: بلغني أنك تدرس التفسير. فقلت: نعم. فقال لي: على من قرأته؟ فقلت: على شيخنا عمر بن الشيخ، وشيخنا محمد النجار. فقال لي: هؤلاء ما قرؤوا التفسير إلا بعد أن صاروا شيوخا كبارا... فقرأت التفسيرَ في مسجد " أبي القاسم الجلّيزي."[2].

وبخصوص الإسرائيليات، وقد طال كلام المفسرين حولها موقعها من التفسير، بين من يمنع ومن يبيح، وبين متوسع وآخر متحفظ فيما ينقل عنهم في المواطن التي من المحتمل أنه يجمل بالمفسر أن يستكثر من نصوصها عندما من يرى الصواب في ذلك. وعند الموضع السابق من قصية الخصمين في سورة (ص) فقد " هذا ما يصح أن تفسر به هذه القصة متى نظر إلى الآيات مجردة عن النظر إلى الآثار. أما الآثار المعزوة إلى بعض السلف في تفسيرها، فمنها ما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، فيجب طرحُه، وعدم الالتفات إليه. ومنها ما هو محتمَلٌ غير بعيد. وأقربُ تأويل يستندُ إلى الآثار: أنه كان في عهد داوود عليه السلام رجل له امرأة حسنة، فطلب منه داوود أن يتنازل عنها ليتزوجها، فساق الله إليه ذينك الخصمين، وهما إما رجلان من البشر أو ملكان في صورة رجلين؛ ليأخذ من قصتهما العبرة، وينتبه إلى أن سؤال الرجل أن يتنازل عن زوجته قد جرى خلاف ما يقتضيه الزهد المناسب لمقام النبوة. وليس هذا الطلب بمحظور في شرع، وقد يخفف أمره أن داوود عليه السلام إنما سأل الرجل التنازل عن زوجته بعد أن فهم أنه لم يكن شديد التعلق بها، وقد يكون مثل هذا الطلب مما يسيغه

[1] – موسوعة الأعمال الكاملة للخضر حسين، المرجع نفسه. ج 126/2.

[2] – أسرار التنزيل، للخضر حسين، المرجع نفسه. ج 423/1..

العرف في ذلك العهد. وملخص القول: أن داوود عليه السلام لم يأت على حسب هذا الوجه من التفسير سيئة قطعا، و لم يزد على أن التفت إلى أمر دنيوي وطلبه من طريق غيره أولى منه." [1]. وهذا الذي ذكره هو الواجب اعتماده خصوصا في هذه الأزمنة التي يقل فيها التسليم للنصوص، ويكثر الاعتراض على ما لا ينسجم ومنطق الأشياء. ولو قدر أن المفسرين ومنذ وقت مبكر التزموه في الجملة لما امتلأت التفاسير شرقا وغربا بما لا يمكن أن يعرض اليوم تفسيرا لكلام الله، ولوجد فيه الخصوم والمنتقدين مادة للاعتراض.

وفي مجال الإعجاز العلمي وما ورد من الآيات هي موضوع الكلام حول هذا اللون من الإعجاز، وهو بطبيعة الحال موضوع دقيق وحساس. ومن شأن التساهل في التوسع فيه أن يخرج به المفسر حد التفسير، ويكون عمله بذلك محلا للنقد الشديد قد يأتي على أصل العمل بالإلغاء كما يقولون. ولأجل ذلك يرى الشيخ سعيد كعباش أن القاعدة في التفسير العلمي أن يتناول في إطار حقيقة أن القرآن هو بالدرجة الأولى كتاب هداية وإرشاد ليس كتابا للفيزياء، ولا الفلك ولا الطب حتى، بل ولا كتاب علوم تجريبية. وبخصوص الآيات التي تتضمن حقائق فيما ذكر من المجالات السابقة فلا مانع من الاستفادة منها، وتوجيه ذلك لصالح ترسيخ وتوسيع الهداية القرآنية. ولأجل القرآن " هو إذن كتاب هداية وإرشاد بالدرجة الأولى، وفي معرض سوق الأدلة والبراهين للتدليل على عظمة الله وقدرته، قد يشير القرآن إلى بعض الحقائق الكونية، كما ورد في هذا النص الكريم. وفي مجال العلم التجريبي ما تزال كثيرٌ من تلك الحقائق الوجودية نظريات علمية خاضعة للتركيز والثبات، أو النقض والتغيير. وفي أية حال نحن كمؤمنين نؤمن ونستيقن بما أشار إليه القرآن من تلك الحقائق وإن كان العلم لم يتوصل بعد إلى شرحها وتفسيرها كيف وقعت. ولا نحاول أبدا أن نخضع النص القرآني إلى تلك النظريات العلمية التي لا تعدو أن تكون من اجتهادات البشر قابلة للقبول أو الرفض لأنه تعالى يعلم ونحن لا نعلم." [2].

وفي عبارة موسعة ومفصلة يرسم الدكتور محمد بن عبد الكريم خطوات منهجية يراها ضرورية لكل من يريد الخوض في التفسير بالرأي، وباعتباره قد أنجز تفسيرا كاملا فهو يراها أكثر واقعية، وهي الطريقة السليمة في تبيين كلام الله، وتتضمن نقدا لمن يخالفها من المناهج والطرق في التفسير. وسأذكر هذه القواعد، مع التنبيه أن بعضها يندرج في بعض، وأن منها ما هو محل نقد. فقال قال وفي كلامه استدلال مباشر بكلام ابن كثير:" المنهج الواجب انتهاجه في التفسير بالرأي. لقد أوجب الدين الحنيف والضمير الحي والعلم المكسوب والموهوب على كل من أقدم على تفسير كلام الله أن يلتمس معاني القرآن من ثلاث مراجع أساسية بالأصالة. وهي تفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يوجد في القرآن تفسير فسر بالسنة النبوية، فإن لم يوجد في السنة تفسير فسر بأقوال الصحابة المأثورة. قال إسماعيل بن كثير: " والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: " فبم تحكم؟"، قال: بكتاب الله.

[1] – أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 430/1.

[2] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 333/1.

قال: فإن لم تجد ؟ قال: بسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره. وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله...وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم: كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين المهديين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه."[1].

وقد استفاد هو نفسه من هذا النص زمن غيره من النصوص في نفس الموضوع، وصاغ المجموع على شكل قواعد علمية رتبها بعد أن قدم لها بما يلي: " فإن خفيت على المفسر معاني القرآن الملتمسة في هذه المراجع الثلاثة، اجتهد رأيه، والتزم الاستناد إلى عدة قواعد لا يحيد عنها أبدا:

– القاعدة الأولى: مطابقة لفظ التفسير للمعنى المراد؛ من غير زيادة لا تناسب المقام ولا تليق بالموضوع، ومن غير نقصان يخل بإتمام المعنى المطلوب إيضاحه، ومن غير جنوح إلى زيغ في المعنى أو عدول عن المراد به.

– القاعدة الثانية: ذكر أسباب النزول عند الشروع في التفسير، حتى يكون السامع والقارئ على بينة من المسموع والمقروء، وعلى بصيرة من وجه المناسبة. قال الإمام السيوطي نقلا عن البرهان: " قد جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنه أيهما أولى بالبداءة؟ أيبدأ بذكر السبب أو المناسبة، لأنها المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول؟ والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب نزول كآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها). فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد. وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة.

– القاعدة الثالثة: تقديم الشرح المناسب للفظ الحقيقي أو المجازي؛ حتى يكون التفسير موافقا للمعنى المراد. ولا يفسر بالمجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة.

– القاعدة الرابعة: مراعاة تأليف الألفاظ والآيات في كلام الله؛ من حيث السابق واللاحق فيها، والمؤاخاة بينها، ومن حيث الغرض الذي من أجله قد سيق كلام الله على المنوال الذي هو إعجاز في ذاته.

– القاعدة الخامسة: مراعاة الممكن معرفته من علوم الكون، وأحوال البشر على وجه العموم، وأحوال العرب على وجه الخصوص؛ ولاسيما زمان نزول القرآن، ومراعاة سنن الله في خلقه. (ولن تجد لسنة الله تبديلا).

– القاعدة السادسة: مراعاة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه وسنته: قولا وفعلا وتقريرا. فعلى ضوء ذلك يكون التفسير مطابقا لما أراد الله.

– القاعدة السابعة: مراعاة ما يتعلق باللغة العربية إفرادا وتركيبا؛ حتى يمكن للمفسر حمل اللفظ على ما يحتمله من مقتضى لغة العرب، واستقراء الوجوه الممكنة فيه، واستنباط ما يمكن استنباطه من الآيات القرآنية في حدود القوانين الشرعية. وهذا هو التأويل الجائز لأهل العلم في كل وقت، وفي كل زامن وفي كل جيل.

[1] – توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 1/351-352.

– القاعدة الثامنة: أن لا يتوهم المفسر أن في القرآن تكرارا، فيترك لذلك تفسير ما هو مكرر في اعتقاده. قال الإمام السيوطي نقلا عن بعض العلماء: " مما يدفع توهم التكرار في عط فالمترادفين نحو (لا تبقي ولا تذر)، (صلوات من ربهم ورحمة) وأشباه ذلك، أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل به معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يحدث معنى زائدا. وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ. قال الزركشي في البرهان: " والقطع بعدم الترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الانفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد.

– القاعدة التاسعة: اجتناب الحشو في التفسير من حيث ذكر ما لا صلة له به: كذكر دلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل أصول العقائد، والإكثار من الإعراب وعلل النحو، وذكر أحاديث الفضائل القرآنية، والحكايات الإسرائيلية، وما لا يصح من أسباب النزول، وهلم جرا مما هو خارج على موضوع التفسير، والذي يؤخذ مسلما دون الاستدلال عليه بأشياء هي قوانين لعلوم أخرى مقررة في مواضعها اللائقة بها.

– القاعدة العاشرة: على المفسر أن يعمل بقانون الترجيح وذلك عند احتمال الآية أكثر من وجه لتفسيرها، وقد أوضح لنا مفهوم هذا القانون وفصل مجمله بدر الدين الزركشي بقوله: " وكل لفظ احتمل معنيين فصاعد وهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي فإن كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي وإن استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية، وفي الآخر شرعية فالحمل على الشرعية أولى إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية " كما في (وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم)، ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى. وغن اتفقا في ذلك أيضا فإن تنافي اجتماعهما و لم يكن إدارتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض بالطهر، اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه، وغن لم يظهر له شيء فهل يتخير في الحمل على أيهما شاء؟ أو يأخذ بالأغلظ حكما أو بالأخف حكما؟ أقوال. وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة إلا إن دل دليل على إرادة أحدهما."..." [1].

[1] – توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 1/354-355.

2- التفسير بين التناول المدرسي والاتجاه الإصلاحي.

أ – التفسير المدرسي في إنتاج التفسير.

من المناسب تحديد المقصود بالتفسير المدرسي، وما مدى دقة نسبته إلى مصطلح " المدرسة "، وما مفهوم المدرسة هنا تعدد أو كان واحدا. مع بيان نشأة هذا اللون من التفسير عند المفسرين الجزائريين خاصة.

– **تعريف التفسير المدرسي ونشأته:** تذكر كتب الفلسفة والمناهج تعريفات لمصطلح " المدرسي " تساعد على تحديد المنظور المعرفي للمفردة، ففي بعض المعاجم الحديثة مثلا " يطلق المدرسي على سبيل الزراية على كلّ بحث يتصف بالصورية الشديدة كالمبالغة في تقسيم المسائل وتفصيلها، وتفريعها من الأصل، والإكثار من التجريد والاستدلال اللفظي."[1]. وهذا الشكل من المعالجة والتناول للتفسير هو الغالب في القرون المشار إليها، ويبدأ نوعا ما بداية من نصوص نقلت عن أحمد بن إدريس البجائي (تـــ740هـــ) [2]، وأخرى عن المقري الجد (تـــ757هـــ)، وكذا ما في تقييد البسيلي (تـــ830هـــ) لتفسير شيخه ابن عرفة... وهو يعكس طبيعة الدرس التفسيري الذي كان يتلقاه الطالب الجزائري في مراحل التعليم العليا، والذي كان المفسر مكلفا بتدريسه في المعاهد العلمية بعد أن يكون من المفترض أنه قد تأهل هو والطالب لذلك.

وفي نص ثاني " ويطلق المدرسي أيضا على كل رجل يتصف بالعقلية المدرسية ويرغب في التقيد بالآراء التقليدية، ويخضع لسلطان القدماء، ويتقاعس عن تجديد نفسه بتجارب الحياة." [3]. وهو ما يفسر أن المفسرين على هذه الشاكلة لم يخرجوا عما قيل في جميع مباحث التفسير، وفي مختلف الآراء الواردة فيه، قصارى الأمر أن المفسر يختار قولا على قول مما هو مدون بالأسماء والتآليف. وليس ذلك مقصورا على مقررات سابقة في مجال ما بل وجد ذالك عاما في العقيدة الأشعرية أو الإباضية، وفي مذهب مالك في الفقه أو جابر بن زيد[4]، أو في اصطلاحات الصوفية الموروثة عن الجنيد[5] أو الشاذلي[6]...

– **نشأة التفسير المدرسي:** لم يجر التفسير على نمط واحد لا يختلف، بحيث يتكرر باختلاف التفاسير والمفسرين، ولا يتغير باختلاف الزمان، واتجاهات التفسير؛ بل الملاحظ أن التفسير بمرّ العصور ونتيجة ضرورات طارئة قد جد منه شكل أصبح ميدانا للتأليف، والتدريس الذي ينهج نهج الدرس العلمي في تناول آيات القرآن الكريم وسوره.

---

[1] ـ المعجم الفلسفي، المرجع نفسه. ج 359/2.

[2] ـ أحمد بن ابراهيم البجائي، من أكابر فقهاء المالكية توفي بعد (840هـــ). معجم أعلام الجزائر، المرجع نفسه. 32.

[3] ـ المعجم الفلسفي، المرجع نفسه. ج 359/2.

[4] ـ جابر بن زيد الأزدي البصري،: من فقهاء التابعين، بل من أئمة الإباضية. من أهل البصرة (93 هـــ / 712م). الأعلام للزركلي (2/ 104)

[5] ـ الجنيد بن محمد البغدادي، من كبار الصوفية ومنظريهم، ولد وتوفي ببغداد (297 هـــ). الأعلام للزركلي 2/ 141.

[6] ـ علي بن عبد الله الشاذلي المغربي، أبو الحسن: من كبار المتصوفة المغرب، رحل إلى بلاد المشرق فحجّ ودخل بالعراق. ثم سكن الإسكندرية. وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج (656 هـــ / 1258 م). الأعلام للزركلي 4/ 305.

وإذا كان التفسير قد بدأ أثريا وفي لغة ومباحث في متناول المطالعين نسبيا، فإنه وبداية من القرن الخامس أخذ ينحو إلى التخصص، أسوة بسائر علوم أهل الإسلام، وتناوله العلماء درسا علميا متخصصا للطبقات العليا من طلبة العلم، وكان درسه فرصة لاستعراض المباحث الدقيقة من سائر العلوم التي لها بالتفسير صلة، بل انتهى الأمر بالمفسرين إلى حشر ما لا صلة له بالتفسير.

وأضحى التفسير قوالب جامدة تتكرر فيها المباحث المعرفية، وكانت الحواشي ميدانا واسعا لذلك الجمود، وأصبحت ترى نفس أسماء المفسرين كالزمخشري، والبيضاوي، والإيجي والتفتازاني... وبالمغرب ابن عرفة والبسيلي، وأبي يحي الشريف وابني الإمام عيسى وعبد الرحمان... وأصبح من المتعسر على غير المتخصص أن يدرك ما يكتب في تآليف التفسير، وأيضا ما يدرس في مجالسه. وهذا لا يعني أن التفسير في المساجد بالشكل الذي يصلح لعامة المؤمنين قد انقطع، لكن التدوين اقتصر على هذا الشكل الذي أجعل له مصطلح " التفسير المدرسي".

وإذا حاولنا تتبع خط السير لهذا اللون من التفسير، نجده يتكرر عند ابن مرزوق الحفيد (تـــ842ه) في تفسير سورة الإخلاص على طريق الحكماء، كما يظنّ من عنوانه، وبعض النصوص التفسيرية عنه. وكذلك عند ابن زاغو (تـــ845هـــ)، وتعقيبات أبي الفضل التلمساني على أجوبة المقري التفسيرية، سيأتي الكلام عليها... وأيضا في بعض النصوص عن مفسرين جزائريين كما يفيده كتاب المعيار للونشريسي، وبعض النصوص التفسيرية عن أبي الفضل العقباني، وكذلك في اختصار السنوسي لحاشية التفتازاني على الكشاف...

وقد حاول الشيخ الثعالبي أن يقلل من حدة هذا الشكل من درس التفسير، في اختصاره لا تفسير ابن عطية، وما أضافه من الزيادات التفسيرية فجاء كتابه الجواهر الحسان في تفسير القرآن قريبا من مدارك القارئ العادي، وكذلك حاول المغيلي[1] في تفسير سورة الفاتحة. وتقلّل الشيخ أبو راس الناصر (1246هـــ)[2] من نمط التفسير المدرسي نسبيا فيما وصل إلينا من كتاب الإبريز، غير أن الأمر عاد بصورة واضحة في تفسير يحي الشاوي (1096هـــ) في المحاكمات بين الزمخشري وأبي حيان، وتفسير سورة العصر للأمير المالكي، والمواقف للأمير عبد القادر (1883م)، وانتهى الحال تقريبا بتفاسير الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (1332هـــ) فقد جاءت في عمومها موغلة في التخصص بما لا يترك فرصة للقارئ متوسط المدارك أن يتابع كلام المفسر، ويلم بمقاصد التفسير.

وبخلاف ذلك شهد القرن العشرين ومنذ البداية محاولات جادة وناجحة في التخلص من هذا اللون من التفسير، وخرجوا بالتفسير عن دائرة التخصص إلى الدائرة العامة بحيث يأخذ المفسر في الاعتبار المدارك المتاحة

---

[1] – محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقيه ومفسر، ومجاهد ضد يهود توات (تـــ: 909هـــ) الأعلام للزركلي: 216/6.

[2] – أبو راس الناصري فقيه ومفسر، وقاض جزائري من أهل معسكر بأرض الجزائر، رحل إلى المشرق ودرس قليلا بالأزهر. توفي (1238هـــ). الأعلام للزركلي: 18/6.

للمثقف الحديث، دون أن يفقد التفسير طابعه العلمي، ويتخلى عن قواعد التفسير المعروفة، مع بعض التخفف من شروط المفسر القديم.

- محددات التفسير المدرسي:

أ – **التخصص الدقيق:** لعل من أهم خصائص هذا اللون من التفسير بعد استعراض جملة من إنتاجه في ظروف مختلفة، وعند مفسرين متنوعين شرقا وغربا، هو التخصص العلمي الدقيق، إذ كان المفسر ذا شخصية علمية بكفاءة عالية في العربية وتوابعها، وفي الفقه بمذاهبه، وفي فنون علم الكلام وفرقه، وربما في التصوف واصطلاحاته...وهو ما يفسر لنا الكم الهائل من مباحث العلوم السابقة بأدق أنواع العرض والتحليل، وقوة تقرير الدلائل وحجج المسائل.

وفي نصوص تنتمي إلى القرن التاسع عند شخصية مرموقة في التفسير والعلم الشرعي عموما كأبي يحي الشريف (826هـ)، قد نقل الونشريسي في المعيار المعرب أنه سئل " عن وجه جعل الزمخشري (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا [النساء: 1]) معطوفا على محذوف تقديره خلَقها لا على (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) [النساء: 1]؟ فأجاب: وجهه أن قوله (وخلقَ منها زوجَها) تفسيرٌ لقوله (خلَقكم من نفس واحدة)؛ فإن خلْقَ الناس من نفس واحدة يتفكر العقلُ فيه بديهة، فجاء قوله (وخلقَ منها زوجَها) تفسير الجملة؛ فلذا جعله الزمخشري معطوفا على محذوف. وقال أبو حيان: إنما عطفه على محذوف؛ لأن مذهبه أن الواو ترتب، فلو عطفه على الظاهر لما صح له. وهذا بعيد من مراد الزمخشري."[1]. وفي النص المذكور يجري توضيح قضية نحوية تضمنتها الآية المذكورة، وعرض فيها ما قاله الزمخشري، وما أجابه به غيره إذ كانت المسألة مما تتجاذبها الأنظار، ويتعدد فيها التوجيه. وقد أجاب أبو يحي بما تراه في النص. ويلاحظ أيضا شيوع المباحث النحوية حتى أنها أخذت حيزا مهما في التعليق على الآية.

وفي النص التالي يتوجه السؤال إلى نكتة بلاغية تضمنتها الآية الكريمة، وهي سبب إسناد الفعل إلى ضمير العظمة دون إسناد الفعل المجاور إلى غير الضمير المذكور. ونص ما ذكره الونشريسي " وسئل عن قوله تعالى (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) [الصافات: 142]، وقوله سبحانه (فَنَبَذْنَاهُ [الصافات: 145]. فقيل له لم خص النبذ بالإسناد إلى ضمير العظمة دون الالتقام؟ فأجاب: بأن قال لأمرين الأول النبذ نعمة ظاهرة فناسب ذلك إسناده إلى ضمير العظمة، بخلاف الالتقام. الثاني: أن النبذ من الحوت بعد الالتقام أشد غرابة من الالتقام ابتداء، فكانت شدة الغرابة مناسبة للتخصيص بضمير العظمة."[2]. والإشكال على ما يبدو لما لم يقل "وألقمناه الحوتَ" وقال: (فنبذناه)، مع أن ظاهر الأمر أن الحوت أو البحر هو الذي نبذه. وهذه النكتة وإن كانت قريبة من القارئ المتوسط إلا أن الإكثار منها، يجعل التفسير خارج متناول القارئ العادي.

---

[1] – المعيار المعرب للونشريسي. (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، 1085م) ج 158/11-159.

[2] – المعيار المعرب، المصدر نفسه. ج 159/11.

وفي النص التالي نجد مستوى أقلّ تخصصا، فعند الشيخ ابن زاغو يتضح التناول المدرسي بشكل أقلّ حدة من خلال النصين التالين لكنه وفي كليهما، ينتمي إلى هذا النمط الدقيق من التفسير، أو قل التوجيه المنطقي لمدلول الآية. فقد ورد في المعيار أن السؤال وجه أصلا لأبي يحي، ولكنه على عادة المشايخ فإنهم يفتحون باب الجواب، ويشجعون عليه من حضر من خيار الطلبة أو الأقران. وقد كان الذي أجاب عن السؤال هنا هو ابن زاغو. ونص السؤال والجواب: " مسألة من كلام شيخنا الفقيه العالم العلَم المحقق سيدنا أحمد بن زاغ رحمه الله نصُّها بعد الحمدلة والتصْلية: أما بعد فإنه ورد على سيدنا الإمام العالم الصدر الحجة شريفِ [العلماء]وعالم الشرفاء سيدنا ومولانا أبي يحي بن سيدنا الشيخ الإمام العامل العلامة الكبير الشهير سيدنا ومولانا أبو عبد الله الشريف التلمساني أدام الله له العزَّ الأكمل، ووالاه الصنع الأجمل من بعض الفضلاء سؤالان اثنان ضمنتهما رقعةً واحدة.

أحدهما: عن الحكمة في تقديم السمع على البصر في غالب التنزيل وذلك نحو أربعين آية، وتقديم البصر على السمع في اليسير منه، وذلك نحو ثلاث آيات خاصة اثنان من آخر سورة الأعراف، وآية من سورة السجدة.

وثانيهما: في قوله تعالى (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا)[الزخرف: 45]، كيف أمر صلى الله عليه وسلم بسؤال من قبله من الرسل، وقد انقرضوا قبله بأعْصُرٍ. فهل يصح أن يكون ذلك قد وقع ليلة الإسراء انتهى؟."[1]. والسؤال كما هو ظاهر ليس من قبيل الأسئلة النحوية أو الصرفية، أو من قبيل مباحث الكلام المباشرة، بل هو سؤال وجيه وارد عن وجه الحكمة المتضمنة في الآية المباركة، وهو من صلب التفسير. وزيادة على هذا فإن الإجابة عنه من المستوى المتاح عموما، وإن كان لا تمس إليه حاجة قارئ القرآن.

ويفيد النقل تحويل السؤال إلى من حضر ففيه: " فألقى الشيخ رضي الله عنه ذلك إلى من حضر مجلسَه الكريم من تلاميذه، وأفادهم فيه من العلم ما تنشرح به الصدور، وتقر به العيون. فانتدبت أولاهم بخدمته، وأعظمهم انغماسا في بحر نعمته إلى النيابة عن قلمه الأعلى ليحوز من قداحه المحللة القدح المعلى، وليؤدي شيئا من شكر النعم، ويقوم بوظيف من واجب الخدم خارَ الله له ولطف به، فوقع في هذا المسطور بعض ما فتح الله به على الشيخ في المجلس المذكور، وعلى الله سبحانه المعتمد، ومن فضله ثم من ذي الهبة السابقة المستمد:

اعلم أن السمع والبصر نعمتان عظيمتان على الإنسان يعجز البشر عن القيام لهما بواجب الشكر، ولكلٍّ واحد منهما من المنافع ما لا يحصى، وإذا وقفا موقف المباهاة والمفاخرة والمجادلة والمناظرة تكافآ في بادئ النظر وتقاوما ما لم يترافعا إلى مجلس الحكومة ويتحاكما. وإذا تجنب سبل البغي والاعتساف وحكما بينهما حكم العدل والإنصاف قضى بالمزية والفضل للسمع على البصر؛ لأن عامة وجوه الرشد والهداية وتلقي الشرائع والكتب المترلة إنما هو بالسمع؛ ولهذا لم يبعث نبيٌّ أصمُّ، وكان في الأنبياء من ابتلي بالعمى؛ صرح بذلك الإمام الفخر حيث حكى اختلاف العلماء في التفضيل بين السمع والبصر. وبهذه المنفعة الواحدة التي ذكرناها لا يقوم لها جميع منافع البصر.

[1] – المعيار العرب، المصدر السابق. ج 12/ 326.

وإذا ثبت ذلك تبين أن تقديم السمع على البصر من تقديم الشريف على المشروف، والمهم على غير المهم. فما أتى على هذا المنهج في التنزيل فقد أتى على الأصل، وما أتى خلاف ذلك فهو موضع السؤال. ومما يشبه ذلك وينظر إليه قوله عز وجل (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى)[القصص: 62]، وفي الأخرى بتأخير (رجل) فيسبق إلى الذهن أن يسأل لم قدم (رَجُلٌ) في الأولى وأخر في الأخرى؟ وهو كلام غير محرر؛ لأن ما جاء بتقديم (رَجُلٌ) جاء على الأصل في تقديم الفاعل على غيره من معمولات الفعل فلا سؤال فيه، وإنما السؤال في التأخير لخروجه عن الأصل. والاشتغال بجوابه يخرجنا عما نحن بصدده.

ثم اعلم أن آيات الله تعالى ضربان: آيات متلوة، وآيات مجْلُوَّة، ومُدرَك الأولى السمع ومدرك الثانية البصر. والمقام ذو الآيات المتلوة يناسب السمع كقوله تعالى (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ)[طه: 11ــ12] الآية، والمقام ذو الآيات المجلوة يناسب ذكر البصر كقوله تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)[يس: 09]. وليس بواجب على الجملة أن يذكر مع كل واحد من النوعين ما يناسبه، ولكنه إن ذكر فقد يكون ذلك الخصوصية نكتة أخرى سوى مطلق المناسبة، وقد يكون لمطلق المناسبة وإن لم يذكر فواضح. وإن ذكر مع أحدهما ما يناسب الأخرى؛ فذلك لأنها بلغت من الوضوح والجلاء كأنها ترى عيانا، وفي المجلوة يذكر معها السمع؛ لأنها بلغت من التحقيق ما كان لها لسانا تنادي به للإقبال عليها وحسن الإصغاء إليها. وإن ذكر السمع والبصر من النوعين من الآيات أو مع أحدهما فواضح فما قررناه آنفا. ثم إن قدم السمع حينئذ كما في الأكثر فلا كبير سؤال فيه؛ لأنه من باب إخراج الكلام عل مقتضى الظاهر ولا التفات إلى مقدار ما ورد من ذلك والاعتبار بعدده بالغا ما بلغ وقد ينصح إلى ما أصلناه نكت ولطائف أخر في بعض المواضع تقتضي تقدم السمع أيضا.

وإن قدم السمع على البصر كما في الثلاث الآيات الواقعات في السؤال، وفي نحو ثمانية مواضع أخرى استدركناها على السائل اثنان في المائدة واثنان في هود، واثنان في الكهف وواحد في بني إسرائيل، وواحد في الشعراء على نظر فيه. وفي جملة من نحو عشر مواضع أخرى يطول ذكرها فذلك لأن المقام اقتضى مزيد اهتمام بأمر البصر على ما تأصَّل للسمع منه حتى أخرج الكلام به على خلاف مقتضى الظاهر، وللسؤال فيه: يجوز تأخر السمع زيادة في تفضيله كما إذا كان الكلام على أسلوب الترقي." [1]. وليس من الغرض هنا التعقيب على ما أجاب بها المفسر المذكور، وإنما الغرض أنه شكل من التفسير قد بدأ منذ عهد الزمخشري، وتأثر به كثير من المشارقة والمغاربة على عادة المفسرين في تقليب وجوه النظر في الدلالات للآيات الكريمة سواء من جهة البلاغة أو الفقه... وهي في كل ذلك تتطلب شيئا من الإلمام بمقادير من العلوم ووسائل النظر، وهي ما أشار إليه المجيب في قوله: " ومن قام على ما أسلفنا من المقدمات والاعتبارات وكان له من الاقتدار ما يتصرف به في هذه المناحي سهُل عليه العثور على النكت واللطائف الموجبة؛ لإخراج الكلام على مقتضى في كل مقامٍ مقام. فقد ذللنا له الطريق ودلَلْناه عل التماس الرفيق، فإن أراد مزيدا من التوفيق وفتح باب آخر من التحقيق؛ وتشوفا

[1] – المعيار للونشريسي، سؤال لابن زاغو في التفسير، المصدر نفسه. ج 12/ 326.

إلى التفصيل بالتصوير والتمثيل فرعنا له بذلك في بعض المسائل وليكون ذلك في الثلاث الواقعة في سؤال السائل وعلى الذكي أن يحذوَ على مثال ما يلقى إليه وينسج على منواله. والله المستعان."[1]. وإنما أطلت بجلب النص لعدم تيسره في غير معيار الونشريسي ولتكتمل الصورة المختارة.

ولما كان ما أجاب به ليس قاعدة نهائية لا يخرج عنها اعتبارٌ، استدرك على ما قرره من أن بعض الآيات التي توهم خلاف ما يضبط الأمر بنظر المفسر المذكور، شرع في توجيه هذا المستثنى ليحافظ على الضابط المقرر، فأجاب عنه بقوله: " أما قوله تعالى (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) [سورة الأعراف: 195] الآية؛ فالظاهر أن المقصود منها توضيعُ شأن الكفار من رتبة العقلاء إلى رتبة البهائم أولا، ثم إلى أنزل منها ثانيا. فذكر أولا القلوب؛ لأنها أسُّ الحواس وعنصر الإدراك، ثم سلب عنهم فقههم بها فساووا[2] ما هو بهذه الصفة من المخلوقات وهو الأنعام، ثم ذكر ثالثا الآذان وسلب عنها السمع المعتبر في حق العقلاء فساووا بسلبه الأنعام أيضا؛ والمعنى لهم قلوب كقلوب البهائم وأعين كأعين البهائم، وآذان كآذان البهائم. وقدم البصر على السمع؛ لأن النظر في حق الموجودات البهيمية إذ تميز معظم المنافع والمضار من أكل وشرب... وغير ذلك والله أعلم.

وأما قوله تعالى (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا)[الأعراف: 197] الآية فهو كلام في الأصنام، والهمزة للإنكار وأمْ بمعنى بل، والهمزة والإضراب فيها على جهة الترقي، وأمْ الأولى شبيهة بواو الازدواج، وكذلك الثانية، والأرجل والأيدي مزدوجة متخاوية[3]، وكذلك الأعين والآذان هما مدارك الرشد والهداية في الإنسان. ثم إن منفعة الأيدي أعظم من منفعة الأرجل؛ لأن معم[4]الحرف والمنافع التي هي مناط المعاش. إنما المترلة كما ذكرنا بالترقي فيما بين المزدوجين الأولين، والمزدوجين الأخيرين، وفيما بني كل مزدوج وأخيه. والمعنى أن المشركين جعلوا ما يعبدون من جنس ما لا نسبة له في الفضل؛ لأن جماده لا حركة له اختيارية. وعبر عن ذلك بالأرجل؛ لأن المقصود الأعظم منها حركة المشي فليس له رجل يتحرك بها فضلا عن أن تكون له يد يبطش بها. والحيوان يفضل بعضه بعضا بصفة البطش، فضلا عن أن تكون له أذن سامعة يدرك بها عامة وجوه رشده، وهدايته والله أعلم.

وأما قوله تعالى (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا) [السجدة:12]؛ فالمقصود منه والله أعلم بيان فضيحتهم بمعاينة ما كانوا ينكرون، فالمقدم للبصر؛ لأن يوم القيامة هو يوم يرون ما يوعدون. وذكر السمع معه هو والله أعلم على صحة الاستطراد والتتمة فبالأحرى يكون مؤخرا وزمنه إما في الدنيا، فتكون الجملة حالية أي أبصرنا اليوم، كما سمعنا في الدنيا التهديدات والوعيدات، وليس الخبر كالعيان. وأما في يوم القيامة أي أبصرنا العذاب، وسمعنا ما نكره من الخزي والتوبيخ والتقريع والتأنيب، وليس ما يرى من العذاب كما

---

[1] – المعيار سؤال لابن زاغو في التفسير، المصدر نفسه. ج 326/12 .

[2] – في الأصل فساؤوا.

[3] –كذا بالأصل.

[4] – كذا بالأصل. ولعلها متعلق أي آلة الحرف...

يسمع من الخزي، وقد يفتر عنهم في الخزي ولا يفتر عنهم في العذاب البتَّةَ. وههنا جواب آخر يتعلق بالسؤال الجامع لما قدم."[1].

ولما كان ما ذكره في السؤال من المعاني التي لا تدرك بغير التدقيق، ولا يحيط بها من لم يسم إلى رتبة التحقيق، وأن ذلك من المتعذر على المطلع البسيط لما يتوقف عليه من الإلمام بالعلوم خصوصا منها علم العربية، استدرك في ذلك كله بقوله: " وأما آخر ينبغي أن يتعمده العالم والمدرس في حق كثير من الناس وهو الذين لم يتحققوا بكفاية العلوم في هذه الأعصر، و لم يقوموا عليها وهي العربية والبيان والمنطق والأصول، أو تحققوا بها، ولكن قعد بهم شدة الورع والاقتداء بالسلف الماضين عن الخوض في لجَج بحار التدقيق، والتغمق في التأويل، وهو ما أشار إليه الإمام محمد بن عطية في قوله تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ)[الأنعام: 17]الآية قال: إن من الفصاحة العدول عن قانون التكليف والصنعة؛ ولذلك لم يأت بالشر في مقابلة الخير بل جيءَ بالضر مكانه، وكذلك قوله تعالى (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى)[طه:118]الآية فجيء بالجوع والعري وبابه أن يكون مع الظمأ، وقال امرؤ القيس[2]:

كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَـــــــوَاداً لِلَذَّةٍ **** وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَإِ الرَّاحَ الْكُمَيْتَ وَلَمْ أَقُــلْ **** لِخَيْلِيَ كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ. .انتهى.

وبعضه بالمعنى. وعلى هذا فقد يقال: إن تقديم السمع على البصر في مكان وتأخره في مكان آخر من فعل أحد الجائزين؟ والسؤال في مثله دوريٌّ ولا يستحق جوابا، ولا ينبغي أن يهضم هذا الجواب فإنه من العلم بمكان. وإذا ثبت علم السلف وعلم المحققين من قدماء العلماء لم تجد فيه اكتراثا لمثل هذا السؤال، وإنما تخطينا هذا الجواب إلى الجواب الأول؛ لأن أمزجة الناس وعلومهم مختلفة فربَّ شخص لا يحتاج إلى الجواب وآخر لا يغنيه. الثاني: ولكلٍّ منهما وجه يعتمد عليه وأصل يرجع إليه. فهذا ما يتعلق بالسؤال الأول والعلم عند الله عز وجل." [3]. وفيما ذكره دلالة على أن الأجوبة عن مثل هذه المطالب نسبية، وأنه حتى على فرض تمكن الطالب من العلوم، بل تضلعه فيها كما هي عبارته فإنه ومع ذلك لا يُوقف فيها على حد نهائي، ولا يتوصل في ذلك إلى جواب واحد مقنع للجميع. بل تراه كيف عاد بالعتَب على السائل، لكونه اهتم بما أعرض عنه السلف والمحققون من الاهتمام بالتساؤل عن سبب كون كذا على هذا الشكل أو ذلك، أو لماذا ورد هنا خلاف ما ورد هناك. وهو توجيه للناظر في كلام الله إلى ما ينفعه من العمل لا ما يشغله عنه.

ب – التحليل والتدليل: وبالانتقال إلى بداية القرن الثاني عشر وعلى نفس النمط أو أعقد يستمر تناول التفسير على شكل دروس تخصصية، يتم فيها استعراض آخر مباحث النحو والبيان، والمنطق والأصول... وعلى الطريقة التي انتهت إليها الصياغة العلمية في تقديم هذه الفنون. ففي تفسير الأمير المالكي للبسملة، تراه

---

[1] – المعيار المعرب، سؤال لابن زاغو، المصدر نفسه. ج 328/12.

[2] – وردت الأبيات منسوبة إلى امرئ القيس وقد شابها كثير من التحريف فأثبتناها صحيحة من ديوانه إذ الشعر رواية.

[3] – المعيار المعرب، للونشريسي. المصدر السابق. ج 326/12.

يقف طويلا عند البسملة، وهي وقفة سبقه إليها كثيرٌ من المؤلفين لكون أعمالهم جميعا جاءت مفتتحة بالبسملة. ولأجل ذلك تناولها المؤلفون حتى أحال بعضهم على بعض فيها مخافة التكرار، وهو ما قد وقع فعلا بجميع تفاصيل الاختلاف والذي لم يكن قليلا رغم قصر الآية الكريمة. " المبحث الثاني في الباء: اعلم أن الباء كبقية حروف الجر تأتي لمعاني مختلفة مفصلة في كتب النحو فيرد سؤال: هل هي من الألفاظ المشتركة لاشتراك عين بين معانيها؟ وتحقيق جوابه أن الباء مثلا لها اعتباران: الأول: اعتبارها بالنسبة لمعانيها الكلية، كالاستعانة والمعية إلخ...والثاني: بالنسبة إلى أفراد كل معنى كلي كالاستعانة بالقلم على الذبح. وهكذا وفي كل اعتبار قول يخصه القول في الاعتبار الأول. اعلم أن المعاني الوارد فيها حرف الجر إما أن تكون متبادرة من حرف آخر فيحكم أن هذا الحرف مشترك فيها وضعا كالاستعانة والسببية والتعدية الخاصة والمعية بالنظر للباء. فالباء مشتركة بين هذه الأمور قطعا. أو أنها لا يتبادر من غيرها مع كونها وردت لها في العربية والأصل الحقيقة. وأما إن كانت متبادرة من حرف آخر غيره كالابتداء والانتهاء بالنظر للباء فإن الأول متبادر من لفظ " من"، والثاني من لفظ " إلى " فهذا وقع فيه خلاف البصريين رد[1] من أصله؛ لأن مذهبهم أن المعنى إذا تبادر من حرف جارّ فهو له ولا ينوب عنه غيره فيه؛ فبان أن أحرف النصب والجر كذلك. فإن ورد ما يوهم ذلك أولوه، إما تضمين كما في قوله:

شربتُ بها البحرَ ثم ترفعتْ *** مني لججٌ خضرٌ لهن ينيحُ.

وهكذا راح المفسر يقرر القواعد ويدفع ما يرد عليها من الاستثناء، ويستشهد بشعر الشواهد، ويعود على الشاهد بالشرح، ويجمع له نظائر من القرآن...وبغض النظر عن سلامة ما يقوم به المفسر أو ما انتهى إليه آخرا من النتيجة فإن قارئ التفسير غير المتخصص قد خرج نهائيا ومن أول سطر في تفسير هذه الكلمة الشريفة وسيطول خروجه في غيرها ما دام التفسير غير موجه له تماما كان في التأليف أو في درس بالمسجد على نفس النمط والوتيرة.

وأضاف إلى ما قرره شاهدا قوله: " فلا يسلّمون الباءَ هنا بمعنى: من، بل يقولون شربت منه معنى روين، والباءُ باقية على معناها. وكما في " وأحسن " في (إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ)، فلا يسلمون الباء بمعنى إلى بل هي على معناها. وأحسن مضمن معنى لَطَفَ. وإما بتجوز كقوله تعالى (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) فالاستعارة المشهورة على مذهبهم، ومذهب جمهور الكوفيين، وبعض المتأخرين جواز نيابة حروف الجر بعضها عن بعض بلا شذوذ. قال في المغني: وهو أقل تعسفا. فعليه حرف الجر مشترك وضعا بين جميع ما ورد له. ولا ينافيه ذكر النيابة لأنهم لما رأوا هذا المعنى متبادرا من هذا الحرف أكثر من تبادره من الأخر حكموا بأن الآخر نائب. وإذا كان كل منهما يستعمل في حقيقة فمن هنا يقال إن في الآية المتقدمة على مذهبهم بمعنى على ولا تجوُّزٌ ولا شيء. فحقق هذا المقام فكثيرا ما تقع فيه الأوهام."[2]. وهذا التقديم بالشكل الوارد في النص قد يكون واضحا

---

[1] – كذا بالأصل وهي غير واضحة.

[2] – تفسير البسملة للأمير المالكي، المصدر نفسه. لوحة 07، مخطوط على النت.

لمن تخصص في دراسة هذه البحوث، ولكن غيره ممن لم تتح له هذه الفرصة لا يستطيع أن يفهم ما يقرأ بسهولة، ولا أن يتابع ما يسمع من هذا اللون من التفسير مكتوبا أو مسموعا.

وأسوق هنا نصا من هميان الزاد للشيخ محمد بن يوسف اطفيش ففي الأول منهما تفسير المؤلف لقوله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119]. فقد قال:" (يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا اتَّقوا اللهَ) فيما لا يرضاه (وكونُوا مَع الصَّادِقِينَ) قولا وعملا ووعدا ونية وتوبة، كالنبي صلى الله عليه وسلم، والمهاجرين والأنصاري، والثلاثة المخلَّفين إذْ صدقوا و لم يعتذروا بباطل، وصدقوا في توبتهم، فإن الصدق يهدى إلى البر، والكذب [يهدى] إلى الفجور. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يصلح الكذب في جدٍّ ولا هزْل، ولا أن يَعِدَ أحدُكم صبيَّه ثم لا ينجزُه. اقرءوا إن شئتم: (وكونوا مع الصادقين) فهل فيها من رخصة. وجاء بالصدق بعد قصة الثلاثة وأمرَ به تنبيها عليه، وإغراء به، إذ نفعهم وذهب بهم عن منازل المنافقين. كما يعترض في أثناء الكلام بما يجب التنبيه عليه، وقد قيل: هم الثلاثة، أي: كونوا معهم في الصدق والثبات. فوضع الظاهر موضع الضمير مدحا لهم بالصدق. وقال الكلبي: الخطابُ لمن آمن من أهل الكتاب أن يكونوا مع المهاجرين والأنصار، وفى جملتهم وصدقهم. وقيل: لمن تخلف من الطلقاء عن تبوك. وقيل: كونوا مع المهاجرين في الهجرة فهاجروا مثلهم، ويلزم على هذا أن تكون الآية قبل الفتح وهو ضعيف.

وفسر أبو بكر رضي الله عنه الصادقين بالمهاجرين، لما قالت الأنصار يوم السقيفة: منا أمير ومنكم أمير، قال: مَنِ الصادقون في قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ) [الحشر: 8])؟ الآية، قالوا: أنتم. قال: فإنه يقول: (وكونوا مع الصادقين) فأمركم أن تكونوا معنا، و لم يأمرنا أن نكون معكم، نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وفسر بعضهم مع بمن. قلت: يرده أن معنى الاسم المطابقي لا يكون كمعنى الحرف، بل يكفى في ذلك أنه إذا كان الإنسان على ما كان عليه الآخر من حال صح أن يقال: إنه معه، وقرأ ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما: (وكونوا من الصادقين)"[1].

والشاهد في هذا النص ما أورده من الاستدلال بما يتصل بالموضوع من أنواع الدليل كان رواية بعد التثبت من صحتها، أو وجها بيانيا أو إحالة على مفسر من مفسري السلف...إضافة إلى ما ارتآه المفسر بنفسه من وجوه نظر تحتملها الآية، و لم يرسل الأمر على إطلاقه بحيث يعرض معنى واحد غير مشفوع ببرهان ترجيحه. وهذا النص إنما مثلنا به للتدليل والتحليل لا للتخصص الفني إذ بإمكان القارئ العادي هنا أن يلم ببعض المعنى إذ كانت تفاسير الشيخ اطفيش ليست على وتيرة واحدة.

وقارئ تفسير الشيخ اطفيش يلاحظ تسميته بتيسير التفسير، وأنت على علم أنه إذا كان هذا هو التيسير فها هي الدرجة التي فوقه، وأن القارئ يجد نفسه مسحوبا إلى دوامة من الأقوال والتوجيهات بغض النظر عن صحتها، لا تحسم مجال القول في الآية ولا في غيرها، عند المفسر ولا عند مفسرين آخرين، فقد عاد الشيخ

[1] – تفسير هميان الزاد للقطب اطفيش، المصدر نفسه. ج 117/6.

اطفيش في تفاسير له لاحقة إلى نفس المواضع السابقة وقرر فيها هنالك خلاف ما أتعب راحلته عليه هنا. رحمهم الله ورضي عنهم وأجزل لهم عطاء السبق والصدق.

وأختم بهذا النص لمفسر معاصر وهو وإن كان يقر بظاهر التفسير ويورده في بيان الآية إلا أنه يردفه بما يسميه هو لسانُ الروح، يقول الشيخ أحمد بن عليوة في تفسير الباء من بسم الله الرحمان الرحيم: " إن الضمير الساكن المفهوم من خَفضَة الباء المؤول في بعض الألسن على ما يقتضيه السر المصون " بي كان ما يكون "، هو راجع لصفة الفعلية المعبر عنها بالقبضة النورية في ألسنة الصوفية، فهي القائلة: " لحضرة القدم والكتر المطلسم على لسان الباء للاسم الأعظم". فبي اسم الله فأنت أظهرتني كما أنا أظهرتك، فكما أنك رفعتني رفعتك، وعرفتني عرفتك وأنشد لسان حالها قائلا:

فلولاك ما كنا ولولاي لم تكن *** فكنت وكنا والحقيقة لا تدرى

فإياك نعني بالمعـــــزة والغنى *** وإياي نعني بالفقير ولا فقـــرى

فالقدير بالمقدور قادر، والبصير بالمبصور باصر. وهكذا النظائر. ولما كانت الأفعال مظهرا للأسماء والصفات دون الذات التصقت الباء بالاسم دون المسمى الذي هو الله لتكون إشارتها عائدة عليه في الإظهار. وأما الذات فهي التي أوجبت لها الإضمار؛ لأنه تعالى ظاهر بذاته ما لم يعتبر الفعل وإلا كان باطنا بذاته ظاهرا بصفاته."[1].

وبغض النظر عن رأي القارئ المعاصر والمحتاج لتفسير كلام الله تعالى سواء كان من أتباع الشيخ المؤيدين لكل ما يراه تفسيرا للقرآن، أو كان مخالفا متربصا، فإن ما ورد في النص أشبه بالرموز التي يحتاج قارئها على تقدير أنها من التفسير إلى معرفة بيان معانيها الاصطلاحية قبل أن تساق بيانا لكلام الله تعالى.

ج – تحكيم المقررات المذهبية في التفسير:

– **التزام مقررات العقائد:** ظل المفسر لقرون طويلة محكوما بمذهبه في العقيدة لا يتعداه، ويقيم له الأدلة بمناسبة التفسير وغيره. ولعله لا يجد فرصة كالتفسير لتحقيق ذلك من أقرب طريق، وإنما يتفاوت المفسرون من نفس الخط أو من طوائف مختلفة في درجة التزام القواعد الصحيحة في التفسير، والتي يحملها الظواهر المقررة، وحمل كلام الله بعضه على بعض بدل ضرب بعضه ببعض...

وأذكر الآن لمحمد بن يوسف السنوسي (895هـــ) تعليقا على نفس الشاكلة عند قوله تعالى و(الملك) و(العالمون) من تفسير سورة الفاتحة، فقد قال: " جمْع سلامة على غير قياس، مفرده عالَم، وهو كلّ موجود سوى الله تعالى. جمعَ إشارةً إلى اختلاف أنواعه وأشكاله، وحياته وألوانه، وسائر صفاته، وكثرة أفراده. ولا شك أن الثناءَ على الله تعالى بهذا الوصف العامِّ يحققُ ما دلتْ عليه جملةُ الحمد قبله من أن كلَّ كمال وتكميل

[1] – البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، لأحمد بن عليوة، المصدر نفسه. ج 20/1.

إنما هو لله تبارك وتعالى؛ لاستلزام هذا الوصفِ انفرادَه تعالى بجميع صفات الألوهية، وانفراده جلَّ وعلا باختراع جميع الحوادث التي من جملتها كلُّ نعمة، وكلُّ كمال حادث." [1].

وهذا المقدار إلى ههنا يبدو فهمه متاحا لقارئ التفسير، إذ لا يتوقف ذلك على غير قراءة ما ذكره المفسر، ولكن المفسر لم يذكر ذلك إلا مقدمة لما يأتي بعده من ربط كل ذلك بمباحث التوحيد الدقيقة، والتي كان السنوسي لا يترك مناسبة إلى ربطها بها، وأقام البرهان الكلامي على سلامة مضمونها. انظر عقب هذا إلى نص ما قال بعبارة الزمخشري في طرح السؤال ثم الجواب عنه: " فإن قلتَ: إنما يتمُّ الاستدلال بهذا الوصف على ما ذكرتَ إذا عُرفَ بالبرهان القاطع حدوثُ جميع العوالم، ووجوبِ استنادها إلى المولى تبارك وتعالى حتى يلزمَ أن يكون ربًّا لجميعها، ولا دلالة لهذا الوصف على ذلك؛ فلا يكون وحدَه برهانا تاما على ما قبله. قلتُ: بل هو برهانٌ تام في غاية التمام؛ لأنه قد أدمجَ في هذا الوصف برهانَ حدوث جميع العوالم، وذلك مأخوذٌ من كل واحد من لفْظَيِ المضاف والمضاف إليه. أمَّا لفظُ المضاف فلإشعاره بالتربية الملزومة لتغيُّر العوالم المرئيات من حال إلى حال، وكلُّ متغيَّر حادث. إذِ التغيُّرُ بالقبول أو بالحصول يستلزم ملازمةَ المتغيّر لأحوال حادثة، وملازمُ الحادث فهو حادثٌ. والعوالم أيضا لملازمتها للتغيُّرات بالحصول أو القبول كلُّها حادثة، وإذا كانت حادثةً وجبَ استنادُ جميعها للفاعل المختار؛ لاستحالة اندفاع عدمها الأصلي، واتصافِها بالوجود العَرَضيّ الجائز بلا فاعل. فقد بانَ بهذا أخذُ برهان الحدوث للعوالم كلها، ووجوب استنادِها إلى المولى تبارك وتعالى من لفظ ﴿رَبِّ﴾ المضاف."[2].

وما ذكره وإن كان لا مجال لمناقشته هنا إلا أنه ليس من صلب التفسير، فمكانه في كتب الكلام، وإنما المقصود الدلالة على شكل التفسير الذي كان متاحا في التأليف، وربما وغالب الظن حتى في التدريس في المسجد. وأما في المدارس فإن الذي ذكرته هنا والذي قبله وما يأتي بعده كان طبيعيا جدا، وهو الشكل السائد بل المطلوب في زمان المفسر على الأقل لكونه موجَّها إلى الطبقات العليا من طلبة العلم.

وأذكر ههنا نصا ليس أصيلا لمفسر جزائري ولكنه نص لشيخه وقد قيده عنه بل قيد كل تفسيره، وذلك أن البسيلي كان يعتمد تفسير شيخه ابن عرفه وقد اعتنى به وقيده مطولا وختصرا، ومن غير شك أنه سمع عنه، ووصل إلينا بعد أن نال صاحبه شهرة به. والشاهد فيه توجيه كلام ابن عرفة وارتضاه البسيلي فلم يتعقبه بما لا يخالف مذهب إمامهم الأشعري رحمه الله. ففي تفسير قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) [البقرة: 26]. " قال ابن عرفة: هذا لفٌّ ونشرٌ لأنه لما تقدم ذكر المثل وذكر (بعده) الفريقين عقبه ببيان أنَّه يضل به قوما، ويهدي به آخرين. واللَّف والنشر قسمان: موافق كقوله تعالى: (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الذين شَقُواْ فَفِي النار)[هود: 105]، ومخالف كقوله

[1] – المواهب القدوسية السنوسي الباب الخامس.

[2] – المواهب القدوسية السنوسي.الباب الخامس.

تعالى (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الذين اسودت وُجُوهُهُمْ) [آل عمران:106]. قال: وحكمة ذلك في (الجمع) الاهتمام بمقام التخويف والإنذار، فلذلك بدأ بأهل الشقاوة في الآيتين. وقال ابن عرفة: وكان بعضهم يقول: هذه الآية إذا (بنينا) على (القول) الصحيح فإن ارتباط الدليل بالمدلول عادي وهو مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، وقد نصوا على أن الحق لا يستلزم الباطل بوجه، وإنما يستلزم حقا مثله. وجاءت هذه الآية بعد ذكر ضرب المثل الذي جعله الله دليلا للمكلفين على صحة الرسالة، ثم عقبه ببيان أنه دليل (حق ثم قال: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً}، فجعل الدليل الحق مستلزما للضلال فإذا بنينا على أن ارتباط الدليل بالمدلول عادي يكون/ الحق بهذه الآية قد يستلزم الضلال كما قالوا إنه) يستلزم الحق. وغاية ما فيه أن يقال: الغالب (عليه) استلزم الحق وقد يستلزم الباطل. قال ابن عرفة: واقتضت الآية أنّ المثل الذي هدى الله به المؤمنين أضل به بقية الكافرين، وهو سبب في الشيء ونقيضه،

وهذا هو عين مذهب أهل (السنة)، لأن جميع الأشياء كائنة بإرادة الله وقدرته. وأراد الزمخشري سؤالاً (أ) قال: إن قلت: لم قال: " يضل به كثيراً " وهم قليلون قال تعالى: (وقليلٌ مِنْ عِبّادِيَ الشَّكُورُ)[سبأ: 13]، وقال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)[ص: 24]؟ قال ابن عرفة: السؤال غير وارد لأن الشكور أخص من الشاكر، والشاكر مهدي فلا يلزم من كون الشاكر قليلاً أن يكون المهدي قليلاً. قال: والآية الأخرى تقتضي نسبة العلة لمن آمن وعمل الصّالحات وهو أخص ممن اتصف بمطلق الإيمان ومطلق الاهتداء فلو قدر السؤال بقوله تعالى: (ومَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِين) [يوسف: 103]. لكان صحيحاً متوجها. قيل لابن عرفة: إنما السؤال غير وارد على مذهبنا، وأما عند الزمخشري وسائر المعتزلة فهو وارد لأن المؤمن عندهم هو الذي عمل..."[1].

وهكذا يمضي ابن عرفة يتتبع الأقوال على مقتضى قواعد الإمام الأشعري، ولا ينسى حماية القاعدة من خصوص ما يشوش عليها من خصوم صاحبها التقليديين وهم هنا المعتزلة وبالضبط الزمخشري في الكشاف. ويكفي أن يكون الكلام للزمخشري ليرده من كان أشعريا، لا يسمح بغير ذلك، ولا يتهاون فيه متهاون. ومن تتبع هذا التفسير أو غيره لاحظ ذلك وتأكد منه في مواضع عديدة بمناسبة وبدون مناسبة.

وأعود إلى الأمير المالكي (1226هـ/1811م) في تفسير البسملة بعد أن توسع فيما يتعلق بها من مباحث النحو والعربية فقد قال: " اعلم أن البسملة في الأصل مصدر كدحرجة والمصدر وهو تأثير الفاعل عن تعلق قدرته بالمفعول، فهو أمر اعتباري نسبي وهو بهذا المعنى لا ينسب إلا للفاعل الثاني الحاصل بالمصدر وهو أثر التأثير أعني الفعل الذي تقارنه القدرة كالحركات، ويقال له بهذا المعنى حدث بحدوثه عن فاعل ومفعول مطلق؛ لأنه مفعول الفاعل وقد يعبر عنه بالفعل ويسلط عليه الفعل بالمعنى الأول فيقال فعل الفعل أي أثر الأثر. وهو بهذا المعنى ينسب للفاعل من حيث وقوعه منه، وللمفعول من حيث وقوعه عليه. ثم قد يوجد أمر أخر غير هذين المعنيين كالكون ضاربا أو مضروبا، وكالألفاظ المسموعة في فعل القول. وكلها خارجة عن المعنى

[1] – تفسير ابن عرفة برواية الأبي، محمد بن عرفة الورغمي التونسي (دار الكتب العلمية –2008م) ج83/1.

المصدري والحاصل به، ويستعمل فيها المصدر مجازا كاستعماله في الفاعل كعدل بمعنى عادل. وأما المعنى المصدري والحاصل به مذهب بعض فضلاء الروم إلى أن صيغ المصدر حقيقة فيهما زاعما أنه مذهب السيد، ونقل عن حسن جلبي على المطول أنه حقيقة في المعنى المصدري مجاز في الحاصل به. والذي أفهمه أنه [قد] عكس، وهو أنه حقيقة في الحاصل بالمصدر مجاز في المعنى المصدر مرسل علاقته اللزوم من الأثر والمؤثر. وذلك أن العرب كانت تستعمل المصادر مريدة بها الحركات والسكنات التي يعقلها الفاعل. أما تعلق القدرة فلا يعرف أنه معنى المصدر إلا من دقَّقَ النظر في العلوم وما كان متبادرا في استعمال العرب بدون قرينة يحكم عليه بالحقيقة وليس هذا مما يقال: العوام كالهوام لا عبرة بهم. إذا انفرد[1]هذا فالبسملة حقيقتها إما تعلق القدرة بحركة اللسان والشفتين عند قول (بِسْمِ اللَّهِ) ونفس الحركة المذكورة على ما سبق فأطلقت على لفظ بسم الله المسموع بالأذن مجازا ما إطلاق الشيء على لازمه المسبب عنه ثم تجوزا مجازا على مجاز وأطلقوها على بسم الله الرحمان الرحيم كلها من باب تسمية العام باسم الجزء وصارت حقيقة عرفية فيه بحيث لا يفهم عرفا من البسملة عند الإطلاق إلا بسم الله الرحمان الرحيم..."[2].

وهذا التمثيل هنا مع ما قبله وما بعده مما لم يذكر مثال جيد لما آل إليه التفسير، وما أتيح لقارئ التفسير في المعاهد العلمية الكبرى كالأزهر وغيره... ولا شك أن هذا فائدته قليلة لغير المتخصص، وأما هو فعلى فرض فائدته فإنه لم ينته إلى مسلم، بل يظل الخلاف وما نقل فيه من الخلاف سائدا ووجهات النظر متقاربة. على أن هذا كان نهاية ما وصل إليه التفسير المدرسي من الإغراق في المباحث العقيمة، والمقالات الهامشية عن التفسير المحتاج إليه وما يمكن أن تعم الفائدة منه. إن هذه المقادير من التفسير توحي أن القرآن غير واضح إلى الدرجة التي يتطلب فهمه كل هذا التفصيل، وهذا الإسهاب في حشر الأقوال بأدنى مناسبة. وقد قال بعض المفسرين وكتب ذلك وهو ههنا بأرض المغرب وبعد أن اطلع على شكل من أشكال التدريس السائد أسوة بغيره مما كان سائدا بالمشرق وهو الشيخ محمد عبده عن التفسير الذي أراد أن يكتبه على جزء عم بعد تأكيد الطلب على ذلك من بعض الجهات الخيرية بلبنان تحديدا أن يسكتب تفسير تكفي مجرد القراءة لفهم ما كتب. فقد قال: " وقد بذلت جهدي أن تكون العبارة سهلة التناول خالية من الخلاف وكثرة الوجوه في الإعراب؛ بحيث لا يحتاج في فهمها إلا أن يعرف القارئ كيف يقرأ أو السامع كيف يسمع مع حسن النية وسلامة الوجدان."[3].

---

[1] – كذا بالأصل ولعله تقرر هذا...

[2] – تفسير الفاتحة لمفسرين جزائريين، مخطوط لصاحب البحث. ص: 11.

[3] – تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده.(دار الكتب – الجزائر –ط:01، 1982م) / 05.

– **التزام مقررات المذهب الفقهي:** ومن خصائص هذا التفسير التزام المفس فيه بمقررات المذهب الفقهي ولو عرض فيه للاختلاف وقام باستعراض الأدلة وتخريجها على قواعد الأصول...وذلك أن خروج المفسر عن ذلك يكاد يكون ممنوعا،لارتباط ذلك بالفتوى والقضاء وما سبق إلى المخيال الاجتماعي من المعارف الفقهية العملية خصوصا.

وأضرب هنا أمثلة للاستشهاد فقد أورد السنوسي الاختلاف الوارد في مكان البسملة من الفاتحة، فقد قال " قد اختلف السلفُ والخلفُ في التسمية في أول هذه السورة؛ فمنهم من جعلها آية منها، ومنهم من جعلها للاستفتاح خارجة عنها وهو الصحيح."[1]. والعبارة الأخيرة تفيد ترجيح المؤلف للقول بنفي أن تكون البسملة آية من الفاتحة، على أنها آية من سورة النمل كما هو مقرر في محلّه. ولم يكلف المفسر نفسه عناء الاستدلال لهذا الترجيح بل أحال المطالع لتفسيره إلى ما هو معلوم له من الخلاف في ذلك.

والمضمون التفسيري للآية (وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ)[المائدة:] عند الثعالبي هو نفس ما قرره الشيخ أطفيش ولو بعبارات مختلفة في تفاسيره وفي هميان الزاد بصورة أوفى حيث قال:" (وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ): بدخولهما في الغسل، فالأرجل معطوفة على الوجوه، فهي مغسولة لا ممسوحة، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور ومالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد، وهو فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ومن بعدهم. وهو أحوط، وهو قراءة نافع وابن عامر والكسائي حفص عن عاصم. هو النص في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال: « ويل للأعقاب من النار »؛ فأخبر أبو هريرة أن الرجل غسل رجليه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقره على الغسل، وما نقم عليه شيئاً إلا أنه لم يغسل عقبه، فأفاد أن غسل القدم واجبة بعقبها."[2]. وقطعا للاحتمال الذي تقدمه قراءة (وأرجلكم) بالكسر. ساق من السنة النبوية أحاديث صحيحة تبيانا للغسل المذكور والذي تفيده قراءة الجمهور.

فقد استدل بحديث " عن عمران مولى عثمان بن عفان أنه دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما، ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاُ، ويديه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال: « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » فتراه قال غسل رجليهن وفى رواية أنه قيل لعبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري: توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بإناء فأفرغ منه على يديه ثلاثاً، ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحدة فعل ذلك ثلاثاُ، ثم غسل يديه إلى المرفقين ثلاثاُ اليمنى، ثم اليسرى، ثم مسح رأسه إلى قفاه، ثم ردها إلى حيث بدأ، ثم غسل رجليه إلى الكعبين، فانظر قوله: غسل رجليه ولم يقل ثلاثاُ فلعله

[1] – تفسير السنوسي ضمن المواهب القدوسية، الباب الخامس.

[2] – تفسير هميان الزاد، المرجع نفسه. ج 4/ 233.

يغسلهما تارة ثلاثاُ وتارة مرة، لأنهما مظنة الإسراف في الماء، وهذا أولى من يقال أراد أنه غسلهما ثلاثا فحذف ثلاثاُ." [1].

وفي تيسير التفسير اختصار لما ذكر بعبارة وافية، حيث قال في تفسير" (وَأَرْجُلَكُمْ) عطف على وجوه أَو أَيدي فهي مغسولة كما جاءَت به السنة وعمل الصحابة، وهو قول الجمهور. وكما جاءَ الحدُّ بقوله عز وجل (إِلَى الكَعْبَيْنِ) و لم يجئْ في المسح الحدُّ، وساغ الفصل بين المتعاطفين بجملة غير معترضة، وهى (فاغسلوا) للإيماءِ إلى تقليل صب الماءِ حتى كأَنها تمسح كالرأس لأَنها مظنة الإِسراف في الماءِ إلى الآن..."[2]. وفي كلامه رجوع إلى الآثار الواردة في أمر عملي متكرر ومستمر في حياة الرسول وبعدها، وتجاوز لمجرد التوجيه النحوي من أنه منصوب بـــ(فاغسلوا)، أو معطوف على (برؤوسكم)؛ لما في الاقتصار على ذلك من إهمال الستة العملية والتي هي من قبيل البيان القرآني.

– **التزام قواعد العربية النحوية والبلاغية:** مما يشيع في التفسير المدرسي استعراض فنون النحو والبلاغة والبيان، وتقليب المفردة على بينائها الصرفي. وهذا وإن كان مفيدا وتحصل الفائدة منها لقارئ التفسير ويتمكن من تنزيل آيات القرآن الكريم شواهد للبلاغة والنحو العربي إلا أن ذلك مع تمام فائدته خصوص مع الإستغراق في الدرس اللغوي مكانه كتب البلاغة والنحو خاصة، ومذاهب النحويين والبلاغيين في ذلك مع تقرير المسائل وتحرير الدلائل، والانتصار لأقوال على حساب أخرى محررة بالبراهين والحجج...

ينقل الشيخ البسيلي (830هـــ) عند قوله تعالى (الرحمان الرحيم) بعد أن يستعرض كلام من سماهم في النص الذي ننقله بعدُ، وكونه تركَ التعقيبَ على ما فيه دليلٌ على تبنيه لما انتهى إليه البحث فيها من تقريرات علمية، فقد قال ما نصه: " وحكى ابن الحاجب في الأصلي لما عرّف الحقيقةَ والمجاز أن ﴿الرحمان﴾ خاصّ، والمشترك إنما هو رحمانُ اليمامةِ بالإضافة. وذكر الأصوليون (الرحمان) مثالا للمجاز الذي ليست له حقيقة. قال ابن الحاجب: ولو قيل: لو استلزم المجازُ الحقيقةَ لكان بنحو الرحمان حقيقة، ولنحوها كان قويا. ابن هشام المصري: الحقُّ قول الأعْلَمِ وابن مالك ﴿الرحمان﴾ ليست بصفة بل علَم. وأما قول الزمخشري: إذا قلتَ: اللهُ رحمانٌ، هل تصرف أمْ لا؟ وقول ابن الحاجب: اختلف في صرفه، فخارجٌ عن كلام العرب من وجهين: أنه لم يستعملْ صفةً، ولا مجردا من " ألْ". ويبين علَميتَه أنه في البسملة ونحوها بدلٌ لا نعتٌ، وأن ﴿الرحيم﴾ بعده نعتٌ له لا نعتٌ لاسم الله سبحانه؛ إذ لا يتقدم البدلُ على النعت. وأن السؤال الذي سأله الزمخشري وغيره: لـــمَ قُدم الرحمان مع أن عادتهم تقديم الأبلغ كقولهم: عالِم نِحْريرٌ، وجواد فيّاض غير متّجه. ومما يوضح لك أنه غير صفة مجيئه كثيرا غير تابع نحو ﴿الرحمانُ علم القرآن﴾، (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ)[الإسراء: 110]، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ) [الفرقان: 60]. قال: وقول الشاطبي: تبارك رحمانا رحيما ومَوْئلا، نصبَ رحمانا بإضمار أَخُصُّ أو أمدحُ، ورحيما حالٌ منه لا نعتٌ له، ولا تمييزٌ لما

[1] – تفسير هميان الزاد، المرجع نفسه. ج 4/ 233.

[2] – تيسير التفسير اطفيش، المرجع نفسه. ج 332/1.

ذكرنا، وجعلَهما بعضُهم تميزَيْن وهو خطأ؛ لأن التمييزَ لا يتعددُ بخلاف الحال فإنها تتعددُ. وقيل إن رحمانا حالٌ، وحذف " ألْ " من رحمانا للضرورة. الفخرُ: وقيل إن عمر بن عبد العزيز خرج إلى المصلى يوم العيد فلما صلى قال: اللهم ارحمني، فإنك قلتَ: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: 56]، فإن لم أكن منهم فأنا من الصائمين، وقلتَ (وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 35]، فإن لم أكن منهم فأنا من المؤمنين ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [الأحزاب: 43]، فإن لم استوجبْ ذلك فأنا شيءٌ، وقلتَ ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾، فإن لم أكن كذلك فأنا مصابٌ حيث حُرِمتُ رحمتَك، وقلتَ (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) [البقرة: 156-157]."[1]. فأنت ترى أنه نص متخصص جدا وأن من سماهم من العلماء، والكتب التي عزا إليها أبحاثهم، وكذا المصطلحات كلّها موجهة إلى كبار العلماء أو على الأقل إلى الطبقة العليا من طلبة المدارس العلمية، والذين أهّلتهم سائرُ الدروس في الفنون الشرعية والنقلية المحصلة لمتابعة هذا النوع من الطرح والمعالجة لمفهوم الآيات القرآنية.

فإذا انتقل الباحث إلى مفسر آخر وعلى بعد قرن يجد هذا اللون من التفسير مستمرا، والذي قد اتفقنا على تسميته بالتفسير المدرسي بسبب أنه يتوجه بالدرجة إلى طائفة من الطلبة من المفترض أنها تلقت مواد ذلك التفسير في المدارس، والتي قد انتهت بها مداركها إلى درجة من الرتبة العلمية المتخصصة، بحيث تيسرت لها جملة من فنون العلم على يد كبار مشايخ العلم في زمانه، وفي أكبر معاهد العلم أيضا. فعند يحي الشاوي الجزائري (1096هـ)[2]، وعند تفسير سورة النصر عند قوله تعالى (إذا جاء نصر) تعرض كعادته إلى ما قاله الزمخشري وأبي حيان، ويعقب على الجميع بما يختاره هو وذلك نص ما قاله في الموضوع المذكور: " ز: إذا منصوبٌ بسبِّح، وهو لما يَستقبل. والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوّة[3]. ح: كذا قال الحوفي، ولا يصح، لأن الفاء يمنع ما بعدها أن يعمل فيما قبلها؛ فيمنع الجواب أن يسلط على اسم الشرط، بل العامل في إذا الفعل الذي بعده على الصحيح المنصور في علم العربية، وإن كان المشهورُ غيرَه.[4]. ت: يشير إلى القولين في ناصب اسم الشرط هل جوبه وهو مذهب المتقدمين أو شرطه وهو للمتأخرين. ونصروه بأن الجواب قد يقترن بما يمتنع عمله معنى لنصبه واستقبال الشرط وأجاب الجمهور بأنه إن اقترن بالعامل مانع جعل الجواب مقدرا والموجود دليله. ومثاله ما تقدم ما هو الجواب معنى على الصحيح من منع تقدم الجواب. وأما الجواب عن معنى الجواب،

---

[1] – تفسير ابن عرفة، تقييد البسيلي، نسخة إلكترونية. ج188/1.

[2] – يحيى بن عيسى أبو زكريا، الشاوي من كبار العالمين بالنحو، والتفيسر، من أهل الجزائربها نشأ وتعلم، وحج سنة 1074هـ وعاد الى القاهرة فتصدر للاقراء بالأزهر الشريف، ثم رحل الى تركيا فمرّ في طريقه على دمشق ولقي الأعلام من رجالها ورجع الى القاهرة. وفي سنة 1096هـ ذهب للحج فمات وهو في السفينة، ونقل جثمانه الى القاهرة ودفن بالقرافة الكبرى. معجم أعلام الجزائر (ص: 186).

[3] – الكشاف لمحمود جار الله الزمخشري (دار الكتاب العربي، لبنان، ط:04، 1407هـ) ج 333/7.

[4] – تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي(دار الفكر، لبنان، 1420هـ) ج 33/11.

نحو: إذا أكرمتني اليوم أكرمتك أمس فهو أنه على معنى إذا اعتنيت بإكرامك إياي اليوم فاعتني بإكرامي لك أمس أي: ألحظهما ولحظتهما مستقبل. ففي الآية يكون العامل سبح محذوفا خاليا من الفاء."[1]. وواضح أن القارئ العادي ولو في هذا الموضع من السور القصار لا يستطيع أن يلم خصوصا بما ذكره المؤلف تعقيبا. وإن كان هذا لا يمنع تناوله على الطريقة التي عرض لها المؤلف، ولكن الملاحظة تكون من جهتين: الأولى أن كتب التفسير قد أتخمتْ ومنذ قرون طويلة بهذه المباحث فلا طائل من ورائها. والثانية أن ذلك كثيرا ما كان يقع بديلا عن التفسير لعموم المؤمنين ممن يطلبون فهم المعاني الأصلية لكتاب الله، وربما غلبت هذه المباحث على الدرس العام الذي يقيمه المفسر في المسجد.

- **التزام المذهب الصوفي:** لا يخلو التفسير المدرسي ههنا في الجزائر عن التناول الصوفي فقد كان ذلك مذهبا في التفسير ظهر قديما بالمشرق، واستقرت مكانته بعد أخذ ورد وجدال طويل، وخرجت مذاهبه الأصيلة من بين فرث ودم خالصة للناظرين، بها كلام المشايخ وسادة الطريق ممن تربوا على مائدة القرآن، وفهموا هدايته للإنسان، وساروا يتعلمون ذلك بالسنة ووفقها، ويعلمونها الناس وكان أن حملت تفاسيرهم آثار فهومهم فجاء التفسير مصطبغا بتلك المصطلحات والرسوم. وربما أغرق المفسر المنتمي للتصوف بمر العصور في ذلك فعسر على الناظر تبين معالم الطريق، وأضحى الأمر من باب التخصص لا غير كما حدث في غير التصوف من الفقه وعلم الكلام وموضعات البيان...

وربما التزم المفسر الظاهر يذكره في تفسيره ويلتزم به وينطلق منه بالتوسع إلى معاني واردة بالإشارة، وربما اكتفى المفسر بمعاني الإشارة بما توحي به الدلالة السليمة بنظره. ونحن نسوق من هذا وهذا غير ملتزمين بترتيب. إذ كان القصد مجرد الدلالة على الوجود بكتب التفسير المدرسي لا غير.

فالتجاني رحمه الله مع أنه التزم أن يفسر بالإشارة المقادير التي سئل عنها من الآيات، ولم يقدم أمامها التفسير بالظاهر، إلا أنه صرح بكون ذلك الظاهر مقصودا، وأن غيره مما يحمل عليه، وهو من قبيل التوسع في الدلالة على ما أصطلح عليه القوم لا غير. وأن هذا الظاهر لا يصرف عن مدلوله إلا إذا أدى ذلك إلى مستحيل، فقد قال في شأن ما ورد عن داوود عليه في قصة الخصمين من سورة (ص)، وكان قد سئل عن ذلك فأجاب بعد نص السؤال: " وسألت شيخنا رضي الله عنه عما ذكره بعض المفسرين في حق سيدنا داود عليه السلام. وأنه تمنى بقلبه وأمر الرجل بكذا ليفعله وكذا وكذا؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: قال معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم وإنما حكى الله عنه أن الخصمين اختصما في نعجة من الغنم لا غير كما قال كما قال الله (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) [ص: 23]) إلى قوله (وأنابَ). ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح لا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهره يلزم منه المحال. وكلا الأمرين منتف هنا فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ولا قرينة تصرفها عن الظاهر. وإذا فهمت هذا تبين لك أن الآية على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالحي عامة المؤمنين؛ فكيف

[1] - المحاكمات بين الزمخشري وابن عطية، ليحي الشاوي الجزائري (مخطوط: لوحة 314 الوجه الأول).

يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط."[1]. والذي أقرره هنا أن التفسير الإشاري هو من قبيل التوسع في المعاني التي أفادها الظاهر لا من قبيل إبطال ذلك الظاهر، وذلك من خلال ما تم الاطلاع عليه من تفاسير الجزائرية والتي تضمنت التفسير الصوفي كما هو عند الخروبي وابن عليوة، أو اقتصرت عليه في التفسير كما عند الأمير عبد القادر في المواقف.

وأسوق فيما يلي نصا من كتاب المواقف للأمير عبد القادر، وهو إن لم يكن مدرسيا بنفس النمط الذي سبق من النصوص أعلاه إلا أنه تفسير مدرسي بشكل مغاير لكون مباحثه عصية نوعا ما عن الفهم العادي، لما تتضمنه وتصاغ فيه من قوالب اصطلاحية دقيقة خاصة بعلم التصوف. واخترت أوضح النصوص للتدليل على غيرها كما في قوله: عند تفسيره بقوله تعالى:" (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمان: 19-20]: فقد عدلَ عن التفسير بظاهر ما تقتضيه اللغةُ من المرْج والالتقاء، ووجّه الآيةَ إلى معنى لا يخالفُ الظاهرَ، ولكته لا يقتضيه؛ فقد قال: " فالبحران الشريعة والحقيقة، والبرزخ بينهما العارف، فلا تبغي الشريعةُ على الحقيقة، ولا الحقيقةُ على الشريعة. فهو دائما بين ضدين ومشاهدة نقيضين، يَنفي ويُثْبت، وينفي ما أثبتَ، لا يستقر به قرار ولا تطمئن به دار، متحركٌ ساكن، راحلٌ قاطِن؛ فهو كطائر يطيرُ من غصن إلى غصن، والذي طار إليه هو الذي طار منه."[2]. فالألفاظ وإن كانت واضحة إلا أن المعاني المقصودة لا تبين من خلالها، ولا يتم ذلك إلا ببيان زائد من المفسر من أهل التصوف على طريقة الاصطلاح الصوفي من مفهوم الشريعة والحقيقة، والعارف، والإثبات والنفي...

وكذلك فعل عند قوله تعالى (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ) [النساء: 5]: فقد قال: " هذه الآيات تأديب وتعريف وإرشاد للمرشدين، اعلم: أن السفيه عند العامة من يبذر الأموال ويضيعها، ولا يحسن التصرف بها، فلا يضع الأموال مواضعها المستحى لها. وعند الخاصة السفيه من يبذر الأسرار الإلهية، والمعارف الربانية، فيذيعها في غير مواضعها، ولا يستودعها أهلَها فيضيعها؛ فإن من العلوم الإلهية ما لا يجوز إفشاؤه مطلقا، بل هو سرٌّ بين الله وبين عبده إلى الموت. والمالُ مالانِ: مال تميل إليه النفوسُ ويميل لها، وهو المال المحسوس، مال العامة. وبه قوام النفوس فلا بقاء لها بدونه. ومال تميل إليه الأرواح ويميل إليها، وهو المال المعنوي، مال الخاصة."[3]. وأنت ترى أن المثقف المعاصر، والمطالع العادي لا يمكن أن يتبين المقصود ما لخم يوضح له معاني الأسرار الإلهية، والمعارف الربانية، ومعنى الإفشاء... وكلّ هذا على فرض التسليم بهذا الشكل من التفسير، أو بما فيه من المصطلحات الصوفية...

[1] – جواهر المعاني لابن حرازم، المرجع نفسه. ج 1/ 116.

[2] – المواقف، للأمير عبد القادر، المرجع نفسه. ج 1/211-212.

[3] – المواقف للأمير عبد القادر، المرجع نفسه. ج 1/391.

د – منابر التفسير المدرسي:

– **دروس التفسير بالمدارس:** المدارس بوطن الجزائر تخرج عن حدّ الحصر لكثرتها، وإنما أمثل لها بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان، والتي كان يدرِّس بها الشيخ ابن زاغو التلمساني، وقد حضر لديه القلصادي (891هـ)، وذكر ذلك في رحلته فقد قال عنه الحفناوي: " فوجد الشيخ في المدرسة يقرئ الطلبة."[1]. بل إن تدريس علماء الجزائريين لتفسير القرآن قد تجاوز حدود المدارس بأرض الوطن فاشتغل مثل الإمام المشدالي (866هـ) بالتفسير "حتى انتزع له تدريس التفسير بقبة المنصورية."[2].

ومن الملاحظ أن التفسير بالمدرسة كان يتمُّ غالبا للطبقة العليا من طلاب العلم بعد أن يكونوا قد اجتازوا مراحل التحصيل في علوم الآلة بالخصوص، من نحو وبلاغة ومنطق وعلوم الشريعة عموما... وما وصل إلينا من أنواع التفسير الذي اصطلحنا على تسميته: بالتفسير المدرسي هو من هذا النوع الذي تقررُ فيه الكتب العالية ككشاف الزمخشري وحواشيه، وتفاسير أبي حيان الثلاثة، وأنوار التنزيل للبيضاوي وحواشي العَضُد عليه، والتفسير الكبير للفخر الرازي، والجلالين في أزمنة متأخرة...

– **التأليف:** والتأليف هو المصدر المستمر الذي خلد هذا الشكل من التفسير، وحمل مضمونه ومناهجه، ووصلت إلينا منه كبيرة في فترات مختلفة. وبإمكان الباحث أن يطلع تقييد البسيلي لتفسير شيخه ابن عرفة التونسي (803هـ)، مختصر الزركشي على الكشاف لمحمد بن يوسف السنوسي (895هـ)، المحاكمات للشاوي (1096هـ)، المواقف للأمير عبد القادر (1883م)...وتفاسير محمد ين يوسف اطفيش الإباضي المذهب من أهل غرداية بالجنوب الجزائري... وغير ذلك مما مر ذكره والنقل منه والتمثيل به.

– **الفتاوى والردود:** وورد التفسير عن كبار العلماء لبعض آيات مثل ما أورده من نصوص الونشريسي في المعيار عند قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب)، فقد رفع سؤال التفسير عنها إلى جملة من علماء الجزائر منهم السنوسي والتنسي (899هـ) وابن زكري (899هـ) في جماعة. وأيضا فيه نصوص ذكرتها قبل عن مراجعات وقعت بين المقري الجد وأبي الفضل التلمساني...وفي المعيار أيضا وغيره نص عن ابن مرزوق الحفيد (842هـ) في تفسير (نقيض له شيطانا فهو له قرين) امتحنه به طلبة تونس، وباغتوه بسؤال التفسير فأبدى رحمه الله وأعاد، وخاض في فنون من علم قل نظيرها.

---

[1] – تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي (مؤسسة الرسالة ـــ لبنان ـــ ط: 02، 1985) 44/1.

[2]– الضوء اللامع للسخاوي، المصدر نفسه. ج 4 / 388.

4- نماذج مختارة من التفسير المدرسي:

وأسوق قبل التعليق نصا لإمام مفسر جزائري الأصل تعقب له هذا التحليل، وفيه " فكتب الفقيه العلامة سيدي أبو الفضل ابن الإمام[1] عقب كلام المقري ما نصه: الحمد لله قوله في الآية الأولى يدل على وجوب العمل بالراجح مما يمنع، وذلك أن (يَهْدِي) يحتمل أن يكون مفسرا بـــ(يَدْعُو) على نهج ({وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت: 17])، وعلى هذا القول أن إجابة دعوته تجب؛ لأن الدعاء منه إلى التي هي أقوم بأوامر ونواه يوقف مع كان منها، وتارة يكون معنى (يَهْدِي) يرشد؛ وإرشاده من وجوه لا تحصر ولا تحصى. كما أن (التي) أيضا يحتمل أن يكون على ظاهره مقتضيا للتفضيل. ويحتمل أنْ لا. وذلك إذا لوحظ منه التوحيد إذ التشريع لم تختلف فيه؛ فلو قيل مثلا: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم على معنى أنه يرشد الناظر فيه إلى الحالة القويمة، وذلك إذا نظر فيه مؤمن من الوجه التوحيدي، وما يقول إذا نظر فيه كتابي مسلم من وجه إنبائه عن قصصهم وأخبارهم مع أبنائهم فإن قال المراد مجموع القرآن من حيث هو مجموع، وكل آياته لا كلياتها، فيبقى النظر في الإشارة لماذا هي من قوله سبحانه (إنَّ هَذَا القُرْآنَ) فتأمله." [2].

وليس المقصود الوقوف على ما وافقه عليه أبو الفضل مما خالفه فيه، ففي كلامه هذا وهذا، وإنما المقصود التنبيه على طريقة معالجة ما ترشد إليه الآية، وما تدل عليه بوجه من وجوه الدلالات المحتملة، وقد ساق لأجل ذلك آيات وأحاديثَ يدعم بها قولها. بل استشهد ببيت من الشعر على سبيل الاستئناس لا الاستشهاد اللغوي المعروف. وقد كان التعقب تاما في جميع أجزاء الجواب، وهو إلى التغليط أقرب منه إلى التعقيب.

ولك أن تقول أيضا وفي الموضع التالي ما سبق وأن قررته من شكل التعقيب الذي لا يعنى حديث من جهة الصحة أو الضعف أو قول صاحب من جهة الاستبعاد، ولا أيضا تجد فيها ردا لمعنى مقررا من جهة اللغة. بل التعقيب يختص بالجهة التي اختارها المقري اجتهادا منه وما فيه من توجيه معاني الآية كما في: " قوله في الآية الثانية وهي (وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) دليل على جواز التبشير بمصاب العدو، وهذا من حيث (وَأَنَّ الَّذِينَ) عطف على الأولى، وأن الأولى في موضع نصب (يُبَشِّرُ) فهي داخلة في جملة بشارة المؤمنين فالقرآن يبشر المؤمنين بجنة، وأن الكفار لهم عذاب أليم. وما رد به على شرف الدين لا يصح؛ لأنه لا يقال: أن إرادة هابيل إرادة محبة وشهوةـــ وإنما هو تخير في شرّين، كما تقول العرب: في الشر خيار. فالمعنى: إن قتلتني وسبق بذلك قدر فاختيار أن أكون مظلوما سينتصر الله لي في الآخرة ألا ترى قوله ({مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ} [المائدة: 28]) على معنى لا أفعل القتلَ. وقد قال الجمهور أن هابيل كان أقوى منه. ويأتي وراء هذا قوله ({إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ) على معنى لست بحريص على قتلك أريد أن تحمله أنت مع إثمك في قتلي على ما أشار إليه عليه السلام: " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه". ويأتي في كلام هابيل من التكاليف والحكمة

---

[1]- أبو الفضل بن الإمام ستأتي ترجمته قريبا.

[2] - الجامع من الدرر المكنونة للمازوني، نفس المصدر. ج292/1.

أنه جمع فيه الاستعطاف والزجر؛ لأنه إذا نفى أن يبسط إليه يديه في الوقت الذي يجب فيه البسط فذلك من أقوى الدعاوي في تعطف قابيل؛ لأن المقاومة ممانعة، والممانعة توجب الطلب في الممنوع والرغبة:

وزادني كَلَفا في الحبّ أن منعتْ ○○○ أحبّ شيء إلى الإنسان ما مُنعا.

ثم أردفَ الاستعطافَ بالتسليم الباطني حيث نفى أن يكون له نزعة من حرص ليتطلب من ذلك الوقوف على صفاء باطنه، ثم الصفاء مع المشوشات الهائلة ربما تخيل من خلاله الأخوة النسبية، ثم أردف ذلك الوعيد الهائل وهو ({فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} [المائدة: 29]) إذ لا زاجر وراء ذلك. أما قوله ({وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} [المائدة: 29]) فيحتمل أن يكون من كلامه، ويحتمل أن يكون من كلامه سبحانه. والله أعلم."[1].

وكلام الإمامين يحتمله المقام إذ كانت المعاني المشار إليها يتضمنها الظاهر، وهي واقعة بوجه من الوجوه ضمن مدلولاته، وما استدل به كل منهما هي طريقة المفسرين عموما في القرن المشار إليه، وهم متأثرون في هذا المسلك بالزمخشري إذ كان يهتم باستثارة المعاني الأصلية والهامشية. وقد أوردنا شيئا منه أعلاه فلا نطيل بإعادته.

وقال أيضا رحمه الله لما نزل قوله تعالى ({قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ} [الأنعام: 65]) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعوذ بوجهك" الحديث. (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: 65]) قال: أعوذ بوجهك."، (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: 65]) قال هذا أخفُّ. فمن ثم وربك أعلم منح هذه دون تينك على ما ثبت في الصحيح من قوله:" سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بالسّنة فأعطانيها."الحديث. وهذه والله أعلم هي العذاب من فوق." وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها."، وهي والله أعلم العذاب من تحت."، " وسألته أن لا يجعل فتنتهم بينهم فمنعنيها." الحديث. وهذه هي اللبس والإذاقة فتأمل ذلك تجد الحديث كالفاء لبائه، واستعذ بالله من جميع بلائه، ولا تحتقر شيئا من عذابه نعوذ بالله منه.". والذي يهمنا من هذا النص كيف جعل المقري الحديث كالشرح للآية، وفصل أجزاءه على فصوله، وسلمه له الإمام أبو الفضل لولا أنه استدرك عليه أن القول للسهيلي في كتاب السيرة له وهو معروف أشار إليه في النص التالي. " فكتب سيدي أبو الفضل ابن الإمام عقب كلامه هذا كلام في غاية الحسن نعم كدّر صفوه أني أحفظ مثله للسهيلي فطالعه في الروض الأُنُف فقد يكون حفظه ثم نسيه أعني نسيه على الوجه الخاص في كونه هنالك، وكونه للسهيلي؛ فلكثرة الحفظ ظهر له أنه أثاره. ويحتمل أن يكون هو المدركَ له ولا يبعد فالمنصب كبير وعلمه غزير. ولا أحرر الآن النقل كما أني لا أشك في أنه هنالك. وأتخيل أن السهيلي قرره وهو الذي نفي في كلام المقري ولما لم يغلب ذلك على ظنه بما نقصه البحث، قال: ومن ثم وربك أعلم. ولم أجد في الكتب في الوقت، وقد أرشدناك للمطالعة فيما بقي.". وقد اقتصرنا على محل الحاجة إذ كان النص والتعقيب عليه طويلين. ولا ذكر فيهما لقول صاحب ولا تابعي، كما لم يعرجا على بيان الألفاظ الشريفة في الآية إذ كانت معلومة لمطالع التفسير. فمطالع

[1] – كتاب الجامع من الدرر المكنونة، المصدر نفسه. ج 292/1.

التفسير هنا من العلماء، وأقل ذلك أن يكون من الطبقة العليا من الطلبة. وهذا اللون من التفسير هو الذي سنصطلح على تسميته بالتفسير المدرسي؛ لكونه كان يتمُّ في المدارس غالبا وبين العلماء، ويمزج كثير منه بكلام المحققين في الفنون الشرعية واللغوية المختلفة.

و- نقد التفسير المدرسي:

وإذا حاولنا تتبع خط السير لهذا اللون من التفسير، نجده يتكرر عند ابن مرزوق في تفسير سورة الإخلاص على طريق الحكماء كما يظن من عنوانه وبعض النصوص التفسيرية عنه، وكذلك عند ابن زاغو، وتعقيبات أبي الفضل التلمساني على أجوبة المقري التفسيرية، وقد تقدم الكلام عليها... وأيضا في بعض النصوص عن أبي يحي الشريف كما يفيده كتاب المعيار للونشريسي، وبعض النصوص التفسيرية عن أبي الفضل العقباني، وكذلك في اختصار السنوسي لحاشية التفتازاني على الكشاف.

وقد حاول الشيخ الثعالبي أن يقلل من حدة هذا الشكل من درس التفسير، في اختصاره لا تفسير ابن عطية، وما أضافه من الزيادات التفسيرية فجاء كتابه الجواهر الحسان قريبا من مدارك القارئ، وكذلك حاول المغيلي في تفسير سورة الفاتحة. وتقلل منه الشيخ أبو راس نسبيا، غير أن الأمر عاد بصورة واضحة في تفسير يحي الشاوي وتفسير سورة العصر للأمير المالكي، والمواقف للأمير عبد القادر، وانتهى الحال تقريبا بتفاسير الشيخ اطفيش فقد جاءت في عمومها موغلة في التخصص بما لا يترك فرصة للقارئ متوسط المدارك أن يتابع كلام المفسر، ويلم بمقاصد التفسير.

وأنقل هنا عبارة عن رجل عاصر نهايات التفسير المدرسي والبدايات الأولى للإصلاحي منه، وقال بعد خوض في التفسير وعلومه ما يلي: " نكتة حكيمة: ومثال ذلك كما قال بعض الحكماء العارفين: يوم أن بدأ الناس يحكمون قواعد التجويد ويصححون الحروف حرموا التلاوة الخاشعة للقرآن الكريم، ومن يوم أن بدأ المفسرون يشقون الشعرة في التأويل والتوجيه أصبح علم التفسير قليلا غريب الوجود."[1].

وبخلاف ذلك شهد القرن العشرين ومنذ البداية محاولات جادة وناجحة في التخلص من هذا اللون من التفسير، وخرجوا بالتفسير عن دائرة التخصص إلى الدائرة العامة بحيث يأخذ المفسر في الاعتبار المدارك المتاحة للمثقف الحديث، دون أن يفقد التفسير طابعه العلمي، ويتخلى عن بعض قواعد التفسير المعروفة، مع بعض التخفف من شروط المفسر القديم.

[1] - الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي (دار الصحوة بالقاهرة، ط:02، 1982م) /67.

ثانيا – التفسير الإصلاحي في المدرسة الجزائرية:

أقصد بالتفسير الإصلاحي ما حاوله المفسرون المعاصرون بالخصوص من محاولة تخليص التفسير من جميع ما علق به عبر القرون مما هو دخيل على التفسير من التوسع في مباحث النحو والعربية، وإغراق التفسير بمقالات الفرق الإسلامية خصوصا البادئة منها، والاختلافات الفقهية، والروايات الضعيفة والموضوع والإسرائيليات... وكذلك التوسع في مباحث الفلك والهيئة وخواص المواد... وكل هذا كان سائدا في التفسير بل كان هو التفسيرَ المعهود. إذ كان التفسير على هذه الشاكلة موجها إلى العلماء، يستعرض فيه القدرة على الاستشكال وحلّ ذلك الإشكال... وأما قضايا الواقع وما يعيشه المجتمع من التحديات، وما يحتاجه إلى تنزيل كلام الله على حسب ما يحدث للناس كالتهديد الخارجي، وتصدع الجبهة الداخلية، وكثرة الخروج على الحاكم، والتولي بالغلبة، وضعف التدين أو كثرة الصعوبات الاجتماعية...فكل ذاك كاد أن يغيب عن التفسير فكان التفسير بهذا خارجا عن التاريخ ولولا معرفة تاريخ المؤلف لما أمكن تحديد عصر التفسير، ولا مكان ذلك التفسير من بلاد الإسلام. وهو شيء لا يخفى توقف نجاعة عمل المفسر عليه، وفعالية المنتج التفسيري.

ولأجل هذا وغيره رأى كثير من المفسرين ومنذ وقت مبكر من بداية القرن العشرين ضرورة مواكبة عمل المفسر لقضايا المجتمع الأساسية، ومستجدات التاريخ. وسواء قلنا إن هذا كان ناتجا من نقد داخلي كان يساور كثير من المفسرين الجزائريين، أو هو تأثر بحركة الإصلاح المشرقية، أو نتيجة هذا الصدام العنيف الذي وقع بين المسلمين والأجنبي المحتل، فإن ذلك كله يصب في خانة تجديد التفسير، والحاجة إلى محاولات التوجيه المستمر للحياة الإسلامية على وفق منهج القرآن في العقائد والتشريع، ومعايير السلوك الاجتماعي...

وهذا أيضا ما يفسر لنا البدايات الأولى لتفاسير وجيزة توسعت من بعد حملت كثيرا من بذور الإصلاح والتجديد ولقيت رواجا كبيرا، وقبولا واسعا من شرائع اجتماعية واسعة كانت منذ قرون بمعزل عن التفسير. فظهر تفسير الخضر حسين، تفسير ابن باديس والشيخ بيوض وتفسير مصطفى آل علي، وتفسير أبي بكر جابر الجزائري... وحدثت حركة نقد علمي شديد للموروث التفسير، وتم الاقتصار على الاستفادة من مصادر التفسير الأولى بمعايير جديدة دون تحكيمها في جميع مفاصل التفسير، ولا النسج على منوالها...وظهر بالتالي الكلام عن الاحتلال الأجنبي، والتخلف الاقتصادي، وعناصر الهوية والشخصية الوطنية، ومحاربة الجهل والمرض، والوحدة الإسلامية...

أ – بذور التفسير الإصلاحي عند المفسرين الجزائريين:

وأحاول هنا أن أنقل نصوصا تدل على المحاولات المبكرة لتخفيف كاهل المفسر من رواسب التفسير المدرسي، والتخلص من سلبيات المناهج التفسيرية... والتعاطي مع القضايا المستجدة والتي من المفترض أن وجود توجيه قرآني بشأنها. وقد كانت القضايا المستجدة كثيرة خصوصا في القرن العشرين والذي قبله بقليل ساعة الصدمة التي أحدثها الاحتكاك بالحضارة الغربية، وبالعالم الصناعي الآخذ في الاتساع والنمو، وما نتج عنه من تعرض أوطان المسلمين إلى الاحتلال، وما كان يعانيه الإنسان المسلم من تحديات الضعف والتخلف. وأسوق النص التالي لأهميته: " وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ازداد وضع المسلمين العلمي سوءا؛

فالغرب يتقدم علميا وصناعيا ، والمسلمون على حالهم لا يتقدمون شيئا يذكر في ميدان العلم والصناعة. وبدأت جيوش المبشرين والمستشرقين في الزحف على العالم الإسلامي لتمهد للجيوش المسلحة لاستعمار بلاد الإسلام فكريا وعسكريا واقتصاديا وسياسيا. واحتل الأوروبيون بعض بلاد الإسلام، وعزموا على الإطاحة بدولة الخلافة في اسطنبول مهما كلفهم ذلك. في هذه الفترة بالذات بدأ المخلصون ينظرون في كتاب الله تعالى، فحسبوا أن فيه إشارات إلى أصول العلم، ولسان حالهم يقول: إن كنتم أيها الأوربيون تفوقتم علينا في العلم والصناعة، فإن كتابنا القرآن ليس سبب تأخرنا وتخلفنا، بل إنه يحوي أصول العلم. وقد كان بعض المبشرين والمستشرقين يروج لفكرة مؤداها أن تخلف المسلمين يرجع إلى تمسكهم بالقرآن."[1].

وأقسم هذا الموضوع إلى عنصرين، أولهما الإصلاح على مستوى منهج التفسير، وثانيهما الإصلاح بخصوص موضوعات التفسير. فالأول منهما وجد مبكرا بداية من تفسير الثعالبي رحمه الله، إذ أخلى تفسيره من كثير من العناصر التقليدية في التفسير، والتي كانت محل انتقاد شديد من كثير من العلماء، كالتفسير بالإسرائيليات، والأحاديث الموضوعة والضعيفة، والروايات الغريبة، والاستكثار من نتائج مباحث العلوم الدينية وغيرها مما لا يتصل بالتفسير بصفة مباشرة...وأما العنصر الثاني فلم يبدأ إلا من زمن الشيخ الخضر حسين والشيخ ابن باديس لكون قضايا التفسير المشار إليها من نتائج العصر الحديث...

ب – الإصلاح على مستوى مناهج التفسير.

ساد التفسير عبر العصور أنماط من المصادر والمناهج لم تكن محل اتفاق من جميع المفسرين فضلا عن غيرهم من علماء الملة، ومع ذلك فقد استمر اعتماد كثير منها عبر العصور وتعدد التفاسير شرقا وغربا. فقد وقع مثلا انتقاد التفسير بالإسرائيليات منذ وقت مبكر مما حدا بابن جرير الطبري مثلا يخضع ما كان معهودا منها إلى النقد والتمحيص، وهو ما تبعه فيه الداودي رحمه الله، وكنت قد أوردت نصوصا من ذلك في محلها فلا معنى للإطالة بإعادة ذكرها. وكذلك التفسير بالروايات الضعيفة وخصوصا الموضوعة. وعلى سبيل المثال فإن الثعالبي قد بين في مقدمة تفسير أنه لا يعتمد من جهة المصادر على غير ما صح من السنن والآثار. وكذلك نجده قد أخلى تفسير إلا مما لابد منه. ونص كلامه رحمه الله " فإنّي جمعتُ لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقرّ الله به عيني وعينك في الدارين فقد ضمّنته بحمد الله المهمّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطيّة، وزدتّه فوائد جمّه، من غيره من كتب الأئمّة، وثقات أعلام هذه الأمّة، حسبما رأيته أو روّيته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف. وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحقّقين، وكلّ من نقلت عنه من المفسّرين شيئا فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عوّلت، و لم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزّلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أغزوها إليه."[2]. فأنت ترى من جهة اعتماده على تفسير ابن عطية وهو تفسير حاز القبول في الأوساط العلمية، بما اشتمل عليه من التحقيق، وجودة المصادر، ومن جهة أخرى أنه نقل

[1] – اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عبد السلام المحتسب (مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن، 1982م) 261.

[2] – الجواهر الحسان، المصدر نفسه. ج 1 / 117.

نصوص كلام من اعتمد عليه في تفسيره من كلام أئمة الملة والدين. وهذا المقدار يكفي القارئ لاطمئنان صدره فيما يطالعه من تفسير كلام الله سبحانه وتعالى .

وأنتقل بالكلام إلى العصر الحديث حيث يطالعنا كلام الخضر حسين، وهو ممن تعرض للتفسير، وتعرضت إلى الكلام عن تفسير فقد رسم ومنذ الخطوات الأولى خطوطا يلزم المفسر إتباعها لتحصيل مقاصد القرآن وما اشتمل عليه من الهداية، " فمن أراد تفسير القرآن فليتجه إلى وجوه الهداية التي أرشد إليها من نحو العقائد والعبادات والأخلاق والآداب وأحكام المعاملات ويتجه مع هذا إلى الوجوه التي كان بها معجزة خالدة."[1].وهو نص حاسم في أن الأولوية في التفاسير وكلام المفسرين إنما هو لما يتضمن من أقرب طريق بيان وجوه هدايات القرآن في مختلف المجالات. وقد التزم هو نفسه في تفسيره بكثير مما ذكره هنا، وإن كان الإيجاز والاختصار قد دفعاه الاقتصاد في البيان.

وعلى منهاج شيخه الخضر حسين التزم ابن باديس بما رآه لازما للمفسر، ومتصلا بصفة مباشرة ومنهجية بالتفسير. وأنقل هنا نصوصا عنه تبين كيف استدرك هذا العقل الإصلاحي على جملة من سبقه بالتفسير من أهل المغرب خصوصا وعلى كثير من مفسري أهل القرون خصوصا المتأخرة من ذلك. وانظر إلى هذا النص كيف يقرر فيه طبيعة الهداية القرآنية، ومعايير الاهتداء إليها، وينتقد بشدة ما آلت إليه التفاسير، وما أنتجته من الفهم السقيم، والذي حجب هداية القرآن فلم تؤثر في سير الحياة الإسلامية. " وكما أتى القرآن لأول نزوله بالعجائب المعجزات في إصلاح البشر فإنه حقيق بأن يأتي بتلك المعجزات في كل زمان، إذا وجد ذلك الطراز العالي من العقول التي تفهمته، وذلك النمط السامي من الهمم التي نشرته وعممته، فإن القرآن لا يأتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلاّ إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم. أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد، وبهذا النمط السخيف من الفهم السطحي، وبهذا الأسلوب التقليدي من التفسير اللفظي، فإنه لا يفيدهم شيئاً، ولا يفيد بهم شيئاً، بل يزيدهم بعدا عن هدايته، ويزيد أعداءهم استخفافاً بهم، وإمعاناً في التكالب عليهم، والتحكم في رقابهم وأوطانهم."[2]. وبرأي ابن باديس أن الفهم السليم لهداية القرآن والقيام على تطبيق هداياته في المجتمع المسلم من شأنه أن يحل كثيرا من معضلات الاجتماعية في السياسة والاقتصاد وغير ذلك. وهو اتجاه يتفق فيه مع غيره من الإصلاحيين وله شواهد من الماضي والحاضر.

وفي تعليق لابن باديس على بعض التفسيرات السابقة لبعض الآيات يبين من خلالها طبيعة الفهم السليم، والتفسير المطلوب، ويمنع من لم تتوفر فيه مثل الشروط المنوه بها أن يتعاطى التفسير، فقد قال نقلا " الحافظ الإمام ابن العربي عن الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ الصوفية في زمانه قال: «إنما قال (ما لي لا أرى) لأنه اعتبر حال نفسه؛ إذ علم أنه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق، فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة

[1] – موسوعة الأعمال الكاملة للخضر حسين، المرجع نفسه. ج 28/2.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج 1 / 16.

وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصّر في حق الشكر فلأجله سُلبَها؛ فجعل يتفقد نفسه، فقال: ما لي». وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالهم. هذا في الآداب، فكيف بنا اليوم ونحن نقصر في الفرائض؟!". هذا نص كلام المفسر المذكور نقلا عن ابن العربي، وهو يتجه إلى الجانب التربوي من الآية والذي من شأن الالتزام به أن يثمر وضعية سلوك مقبولة، ومطلوبة شرعا، وهي المعيار الذي كان مشايخ الصوفية على الحقيقة يلتزمون به ويلزمون أنفسهم بمضمونه. بخلاف غيره من التفسير التقليدي والذي يبعد برأي ابن باديس الضمني هنا والمصرح به في غير هذا الموضوع أن ينتج نفس المطلوب لاختلاف المنطلق.

ولا يفوت ابنَ باديس لحسّه العلمي والإصلاحي أن يضمن ذلك شروط التفسير الصحيح، فهو يغتنم الفرصة في هذا الموضوع ليذكر هذا الـــ" توجيه: مثل هذه المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الإمام الجليل من أجل علوم القرآن وذخائره. إذ هي معاني صحيحة في نفسها، ومأخوذة من التركيب القرآني أخذاً عربياً صحيحاً. ولها ما يشهد لها من أدلة الشرع. وكل ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول. ومنه فهم عمر وابن عباس رضي الله عنهما أجَلِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من سورة النصر."[1]. فالمعنى الصحيح عنده هو ما يفيده النص القرآني إفرادا وتركيبا بصفة ظاهرة صحيحة، ويسندها الدليل الشرعي في غير موضعها.

وملخص الشرط الصحيح لتفسير الآية بمعنى ما من المعاني كان على وفق الظاهر أو على طريق التأويل أن يستوفي الشروط الثلاثة: وهي صحة المعنى المفسر به في نفسه، وإفادة النص القرآني له فائدة صحيحة، واستناده إلى باقي أدلة الشرع وعليه فـــ" ما لم تتوفر فيه الشروط المذكورة، وخصوصاً الأول والثاني؛ فهو الذي لا يجوز في تفسير كلام الله، وهو كثير في التفاسير المنسوبة لبعض الصوفية: كتفسير ابن عبد الرحمن السلمي من المتقدمين، والتفسير المنسوب لابن عربي من المتأخرين."[2]. وفي آخر كلامه تصريح ببعض أشكال التفاسير المتاحة قديما وحديثا والتي لا تتضمن الحد الأدنى من الشروط المقررة.

وبالانتقال إلى شخصية أخرى معاصرة في التفسير وهو مصطفى آل عزيز أشد انتقادا لعموم التفاسير قديمها وحديثها، يقرر أولا أن " القرآن هو المصدر الأول والوحيد للشريعة الإسلامية، وأما سنة الرسول صلى الله عليه سلم فهي مبينة ومفسرة وشارحة لمصدر القرآن لصريح الآيات المذكورة وغيرها؛ فالرسول خير من علم القرآن وخير من فسره وخير من عمل به. وأما ما سوى الكتاب وتبيان السنة فهو محض اجتهادات خاطئة من البعض وصائبة من البعض والله يجزي كل مجتهد حسب نيته ومقصده. وإذا كان القرآن هو المصدر الأول والوحيد للشريعة الإسلامية فقد أمر الله رسوله ومن اتبعه من المسلمين إلى يوم القيامة بتعلمه ودراسته واستنباط الأحكام والعلوم من متشابهه والعمل به." [3]. وهو نص عامٌّ وغير دقيق، إذ لا خلاف حول ما ذكره

---

[1] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج 268/1.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج 267.

[3] – الحق لما اختلف فيه من الحق، مصطفى بن علي، المرجع نفسه. ج 300/1.

في الجملة، ولكن كيف يكون تفسيرُ القرآن وما هو المنهج الصحيح في ذلك، وكيف يتم برأي المفسر للمسلمين تعلمه ودراسته واستنباط الأحكام والعلوم من متشابهه والعمل به. وما هو معيار الصواب والخطأ في اجتهادات المفسرين لكلام الله.

ولعل ما ذكره المؤلف هنا هو تمثيل للمنهج الذي سبق التساؤل عنه؛ إذ تجده يصرح في تفسير قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) الآية بتخطئة كثير ممن حاول فهم لفظ (اشتروا)، وفاتهم جميعا أو أكثرهم فهم المعنى اللغوي المراد، وهو لا يقفُ عند حدّ اللفظ المذكور، بل يتهم عموم المفسرين بالتقصير في فهم كثير من الألفاظ القرآنية على حقيقتها اللغوية. اسمع إليها مثلا في التعليق على الآية السابقة وعلى لفظ (اشتروا) المشار إليه: " بمعنى بيع الهدى واشتراء الضلالة، وذلك الشراء المتعارف عليه قديما وحديثا، لكن الحقيقة اللغوية عند العرب وهي خفيت على كثير أو بعض العرب أو المتعربين قديما وحديثا، مثلها مثل كثير من المفردات اللغوي التي لا تزال إلى اليوم تفهم على غير حقيقتها ووجهها اللغوي، سواء في الكتب الشرعية كالتفسير أو اللغوية. والواقع أن فهما كهذا يغير كثيرا من المقاصد اللغوية والشرعية وفي كتاب الله خاصة، حيث تجد في بعض التفاسير أخطاء لغوية بارزة، وتنسب إلى بعض الآراء أو الإسرائيليات أو المأثورات كما هو ثابت. ومن الأخطاء البارزة في التفاسير تفسيرات لبعض الآيات على نهج أو طريقة معينة كل حسب نهجه وطريقته. وقد تصل هذه التفسيرات درجة كبيرة من القبح سواء من جهة أو العلم أو الشرع. ويكون التفسير في اللفظ أو الشكل أو المعنى. "[1]. وما أبداء من التحفظ في آخر كلامه هو المطلوب وهو أمر واقع، وإلا فإن ما عممه من الحكم أولا ادعاء من جانبه عريض يترع الثقة من كلام المفسرين والمتشرعين، حيث فاتهم برأي المؤلف فهم كلام الله على حقيقته ولو الظاهرة من اللفظ العربي، وهم الذين أفاضوا في علم العربية، تدريسا وتأليفا...ولا أطيل بالتعقيب على ما ذكره فهو واضح.

وفي النص التالي ثلاثة أمثلة برأي المؤلف للتفسير الخاطئ، مع بيان وجه الخطأ في ذلك، وكلها موجودة في التفاسير الموروثة، وإن كان المؤلف لم يدل على مظانها من كلام المفسرين بالتحديد، وتلك عادته في ترك الرجوع إلى المصادر العلمية. ونص كلامه: " وهذه ثلاثة أمثلة لبعض التأويلات الظاهرة الخطأ لفظا ومعنى كنموذج ومثال لما بعدها. قال الله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)، (وشروه بثمن بخس)، (وإن الله لَمَع المحسنين). والآيات الثلاث في حقيقتها ظاهرة المعنى واللفظ لا تحتاج إلى تأويل أكثر. والمعنى باختصار: أن الله بعث في الأميين رسولا منهم، وأن الذين وجدوا يوسف عليه السلام باعوه بثمن زهيد لزهدهم فيه، وأن الله مع المحسنين يحبهم ويواليهم. ولكن من التفاسير لست أذكر بالضبط قائلها. وربما يذكرها المفسرون إشارة إلى قائلها. والآية الأولى قرئت هكذا (من أَنْفَسِكم)أي أن الله بعث في الأميين رسولا من أخيرهم. والثانية أولت الآية على المعنى الظاهري للشراء، وأن الشراء يعود الضمير فيه إلى المشترين أو العزيز. والثالثة قراءة أخذ بها أهل الطرق والتصوف وقرئت هكذا (لَمَعَ) بمعنى الفعل الماضي. وأمثال هذه القراءات يجب أن تزول حينا

[1] – الحق لما اختلف فيه من الحق، مصطفى بن علي، المرجع نفسه. ج 1/155-156.

من سائر التفاسير، بل وكل ما يمكن أن يشوه المقاصد الشرعية لكتاب الله وسنة رسوله، سواء من القراءات أو المذاهب العقلية أو الفقهية..." [1]. وفي كلامه توسع في التخطئة لكلام غيره من المفسرين ممن ذكر كلامهم، ولم ينسبه لقائل، بل أحال على مبهم ومجهول كما يقال. وفيه أيضا تحامل على القراءات الثابتة بدون بيان وجه علمي لرد مثل هذه القراءات المأثورة الواردة. وعلى طريقة المفسر فإن كثيرا منها، مما يجب إعدامه لأن لم يتفق وما اختاره الشيخ معنى للآيات المذكورة هنا أو غيرها في غير هذا الموضع عنده أو عند غيره. والقصد هنا الإشارة إلى ما في كلامه من المجازفة مما لا يقتضيه التفسير.

وأختم بالنص الأخير لكون أعم وأدل على طريقة المؤلف في محاكمة وتقييم وتقويم التفاسير الموجودة بين يديه خصوصا ما كان منها للمتقدمين، وما أشار إليه صحيح في الجملة وهو من معهود كلام المفكرين المسلمين، يشيرون إليه في غير موضع ليس فقط بمناسبة التفسير، " لقد كان اختلاف المسلمين في شؤونهم الدنيوية سببا في لاختلافهم في شؤونهم الدينية...إلى أن قال: ومن هذه الأبواب والتي أهمها الاختلاف المذكور – أحداث الفتنة الكبرى- طرأ على كتاب الله تأويلات خاطئة غيرت المعاني والمقاصد الشرعية سواء ما كان منها اجتهادا وعن حسن نية، أو تعصبا وانتصارا لمذاهب معينة أو من أجل تحريف الكلم عن مواضعه كما حدث في السنة. قلت: وبتلك المفاهيم الخاطئة والتأويلات الباطلة وبطول الأمد وبالتقليد الذي أخذ به أكثر العامة، ومحدودي العلم نشأتْ مذاهبُ كثيرة في الإسلام: فقهية وكلامية وعقائدية وسياسية واجتماعية. منها ما نسخ وزال بطول الزمن، ومنها ما هو قائم إلى اليوم. كل طائفة تنسب الحق لنفسها وكل حزب بما لديهم فرحون. وهي اختلافات لم تكن بدعا في هذه الأمة إذ قد سبق إليها أهل الكتاب، وحذر الله ورسوله من الاستنان بهم قال الله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)، (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم)، (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة)، (فاختلف الأحزاب من بينهم). وهذا ما يفسر قولنا في تحريف القرآن من ناحية المعنى كما حرّفت التوراة والإنجيل لفظا."[2]. وما عقّب به آخرا من أن جميع اختلاف التأويلات في فهم كلام الله هو من قبيل التحريف في المعنى الواقع في هذه الأمة غير مسلم. إذ أن التحريف المشار إليه إنما ينطبق على الصرف المقصود المتعسف لكلام الله لأغراض طائفية... وأما سائر التأويلات فقد يكون من محض الاجتهاد المطلوب في كلام الله، وقد يقوم عليه الدليل عند غير المؤلف وقد يوافقه على ذلك غيره، ولكن الخطأ والصواب في ذلك محتمل والأجر موعود به في الحالتين. وهذا الذي يفسر كثرة التفاسير في كل جيل، وتنوعها، بل واختلافها...

وبالرجوع إلى الشيخ سعيد كعباش، وهو من مفسري الإباضية، ولا يزال على قيد الحياة، وفي محاولة لتحديد منهجه في درس التفسير المسائي، يجمل معظم ما اتفق المعاصرون على اتباعه بيان هداية القرآن، دون الإخلال ببعض الخطوات التقليدية التي كان التفسير جاريا على منوالها، والتي منها تحقيق اللفظ، وبيان المعنى

[1] – الحق لما اختلف فيه من الحق، المرجع نفسه.1 ج/246-247.

[2] – الحق لما اختلف فيه من الحق، مصطفى بن علي، المرجع نفسه. ج 1/246-247.

من جهة الإعراب والبلاغة...وكل ذلك باختصار واقتصاد يناسب قارئ التفسير الحديث. وأنقل هنا نصا للمؤلف يبين فيه كل ذلك ويتكلم فيه عن طريقته في التفسير فقال أن من ذلك" اختيار النص القرآني لكل حصة تفسيرية، والتي لا يتجاوز وقتها ساعة من الزمن بين المغرب والعشاء. التحقيق اللغوي لمبنى النص: شرحا لبعض الألفاظ أو الجمل، وقد أتطرق فيه لأوجه الإعراب والبلاغة. بيان أوجه القراءات للنص. البيان والتفسير لمضمونه بدءا ببيان وجه التناسب بينه وبين ما سبقه، وقد أتعرض إلى سبب النزول باختصار، ثم من خلال البيان والتفسير أحوصل مضمون النص في جمل مختصرة لأضعها عنوانا للدرس على أن يتدرج البيان والتفسير مع آيات النص من أوله إلى آخره، وفي آخر كل سورة أنَشق تلك العناوين وإلى جانبها تلك الآيات المعنية."[1].

وقد ألم بكثير من ذلك، غير أننا لم نره صرح هنا وفي هذا النص بالذات أنه يربط معنى الآيات بخصوص قضايا اجتماعية وغيرها، وظواهر سلوكية من واقع الحياة، واهتمامات الأجيال الجديدة في محاولة لتوجيهها، وربط عجلة السير بمحتواها. وإن كان في تفسيره تعرض لشيء من ذلك ليس كالذي سبقه إليه الشيخ بيوض رحمه الله. وهو أمر تطرقت غليه بالتمثيل سابقا، وفي مواطن عدة خصوصا الجانب الاجتماعي من ذلك.

ومن أثر وضوح المنهج عند المؤلف أنه يرى أن المصطلحات الخاصة التي وردت في القرآن والتي وقع النزاع طويلا حول مدلولها مما يتصل بأمور الغيب أنه يتوسط بين الإغراق في التأويل، وبين التزام ما يفيده ظاهر اللفظ، لأنه وعبر التاريخ الثقافي أنتج الأول فرقا أمثلها طريقة الأشعرية، وأنتج النمط الثاني من تفسير مثل هذه المصطلحات فرق المشبهة والمجسمة. فقد قال المؤلف: " وفي المصطلحات التي ترد عند ذكر بعض شؤون الغيب سواء ما يتصل منها بصفات الله وأفعاله لا نغرق في ضروب التأويل التي تبعد النص عن مدلوله اللغوي تفاديا من الوقوع في التجسيد، كما لا نعطيه المدلول اللغوي حسب استعمالاتنا المألوفة حتى لا نقع في التشبيه والمماثلة – تعالى الله عن ذلك- بل هناك الطريق الوسط الذي يخرجنا من الحرج بتطبيق الأساليب البيانية من ضروب المجاز والكناية، ثم نفوض الأمر إلى الله الذي يعلم تأويله. ومثل تلك المصطلحات في هذه الآية قوله تعالى (فسواهن سبع سماوات). وقد أفاض المفسرون في بيان معنى الاستواء ونجتزئ فيه بما أوثر قوله عن الإمام مالك – رحمه الله-: " الاستواء معلوم والكيف مجهول.". وما رآه المؤلف وسطا لا يخرجه عن دائرة التأويل إذ كان التأويل في حقيقته صرف اللفظ عما يدل عليه بظاهره، ولو كان ذلك بادعاء المجاز أو الكناية...بينما التزم غيره المفسرين الجزائريين الملتزمين بالمنهج السلفي المعاصر إثبات المعنى الذي يفيده ذلك الظاهر، وتفويض الكيفية إلى الله تعالى وهو قدر زائد على ما وقف عنده الشيخ سعيد كعباش.

وعلى سبيل التمثيل لما اختاره من قاعدة في تفسير المصطلحات التي تتعلق بمضمون الغيب، ما أبداه ونقل فيه عن سيد قطب وهو من أهل السنة. فأنت تراه أردف قائلا نقلا عن سيد قطب: " ولا مجال للخوض في معنى الاستواء إلا بأنه رمز للسيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين، كذلك لا مجال للخوض في معنى السماوات السبع المقصودة هنا وتحديد أشكالها وأبعادها، اكتفاء بالقصد الكلي من هذا النص وهو التسوية

[1] – نفحات الرحمان مقدمة الجزء الأول، المرجع نفسه. الجزء الأول

للكون، أرضه وسمائه في معرض استنكار كفر الناس بالخالق المهيمن على الكون."[1]. وهذا وإن كانت تحتمله اللغة، ومدلوله سليم تشريعا وتكوينا، ومشت عليه فرق إسلامية عريقة ملأت الفكر الإسلامي بالدرس والمعالجة، إلا أنه ليس مدلولا مباشرا لظاهر النص.

وهنالك شخصية معاصرة لا تزال على قيد الحياة وصفت بالاتجاه السلفي في التفسير والعقيدة والمذهب مع المحافظة على كثير من الانتماء للأصول الجزائرية، والتي من أبرزها الشيخ أبو بكر الجزائري. وقد خطا حفظه الله في السير بالتفسير باتجاه التبسيط، وتعميم الفائدة مع التزام الطرح العلمي، والتقديم الثقافي لمضامين التفسير، أقول خطا خطوات واسعة، نال بسببها تفسيره قبولا واسعا، وعم الانتفاع بعمله في الأوساط العلمية شرقا وغربا ، وربما وقعت ترجمته إلى لغات أخرى لما له من ميزات جمعت ما تفرق في غيره. وقد بينها في مقدمة تفسيره بقوله: " هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين هي:

1- الوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل.

2- إتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات.

3- الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية.

4- اخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها. إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث.. "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

5- إغفال الخلافات التفسيرية.

6- الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا آخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية.

7- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية.

8- عدم التعرض للقراءات إلا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصرت على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادراً.

9- خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح. حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنىً غير الذي فهم من كلام ربه تعالى، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جميع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم.

10- التزمت في هذا التفسير بالخطة التي مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقاً وعملاً لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاء وحكماً، فلذا أخليته من كل ما من شأنه أن يشتت الذهن، أو يصرف عن العمل إلى القول

[1] - نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 83/1 نقلا عن سيد قطب في ظلال القرآن، المرجع نفسه. ج 128/1.

والجدل..."[1]. ولا يخفى أن في تقديم المفسر معنى واحد للآية، وإيهام أنه هو المراد الوحيد والأكيد للآية قد لا يسلم له لكون بعض الآيات تفيد معاني متعددة بدرجات متقاربة، يصعب يفها الترجيح فلا أقل من ذكر المعنيين معا. غير أن لما اختاره المؤلف فائدة عملية هي كون القارئ العادي يكفيه معنى واحد متفق مع ظاهر الآية ولو بوجه ما. ولست هنا في مقام تحليل ما ذكره من عناصر ميزات لتفسيره، ولكن إبداء ملاحظة عامة أمر ضروري.

وهناك شخصية علمية أكاديمية تعاطت التفسير سنين طويلة، وأنتجت تفسيرا طبع أخير وقد عرفنا به فيما سبق، وهو وإن كان قد توفي رحمه الله إلا أن تأخر إخراج تفسيره هو ما جعلنا نؤخر الكلام عنه من جهة الترتيب. فقد أخرج الدكتور محمد بن عبد الكريم تفسيره توجيهات القرآن العظيم في أجزاء سبعة، وجعل الجزء الأول مقدم عامة تتضمن كثيرا من علوم القرآن ومباحث التفسير وترجمة القرآن. وإن مما ذكره قواعد رآها لازمة لمن أراد تفسير القرآن وكنت قد سقتها في غير هذا المحال، وأذكرها هنا لمناسبتها للموضوع من جهة انتخاب المناهج الصحيحة في تفسير كلام الله، وأسوق نص كلامه ليتبين مراده فقد قال: " المنهج الواجب انتهاجه في التفسير بالرأي. لقد أوجب الدين الحنيف والضمير الحي والعلم المكسوب والموهوب على كل من أقدم على تفسير كلام الله أن يلتمس معاني القرآن من ثلاث مراجع أساسية بالأصالة. وهي تفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يوجد في القرآن تفسير فسر بالسنة النبوية، فإن لم يوجد في السنة تفسير فسر بأقوال الصحابة المأثورة. قال إسماعيل بن كثير: " والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: " فبم تحكم؟"، قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد ؟ قال: بسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره. وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله...وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم: كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين المهديين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه."[2].

وهذا الخطوات الأولية مسلمة خصوصا الأول والثاني عند المفسرين الجزائريين، من تقدم منهم ومن تأخر، وهناك من تحفظ في تفسير الصحابي إذا كان ذلك منه اجتهادا لا نقل عنده فيه. و لم يستكثر منه في التفسير، بل كثيرا ما استأنس بقوله مع عدم التزام نسبة القول إليه. وبرأي المؤلف أن المفسر إذا لم يجد شيئا من هذه المصادر وكثيرا ما يحدث ذلك لقلة مأثور التفسير فإنه لا مناص من الاجتهاد في تفسير الآيات، ولا مناص أيضا من التزام المفسر في اجتهاده لقواعد علمية هي عند المفسرة عشرة لا يسع مفسرا تجاوزها. وذلك واضح من

[1] - أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 6.

[2] ــ توجيهات القرآن العظيم، لمحمد بن عبد الكريم. 1/351-352.

قوله: " فإن خفيت على المفسر معاني القرآن الملتمسة في هذه المراجع الثلاثة، اجتهد رأيه، والتزم الاستناد إلى عدة قواعد لا يحيد عنها أبدا:

- القاعدة الأولى: مطابقة لفظ التفسير للمعنى المراد؛ من غير زيادة لا تناسب المقام ولا تليق بالموضوع، ومن غير نقصان يخل بإتمام المعنى المطلوب إيضاحه، ومن غير جنوح إلى زيغ في المعنى أو عدول عن المراد به.

- القاعدة الثانية: ذكر أسباب النزول عند الشروع في التفسير، حتى يكون السامع والقارئ على بينة من المسموع والمقروء، وعلى بصيرة من وجه المناسبة. قال الإمام السيوطي نقلا عن البرهان: " قد جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنه أيهما أولى بالبداءة؟ أيبدأ بذكر السبب أو المناسبة، لأنها المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول؟ والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب نزول كآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها). فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد. وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة.".

ـ القاعدة الثالثة: تقديم الشرح المناسب للفظ الحقيقي أو المجازي؛ حتى يكون التفسير موافقا للمعنى المراد. ولا يفسر بالمجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة.

ـ القاعدة الرابعة: مراعاة تأليف الألفاظ والآيات في كلام الله؛ من حيث السابق واللاحق فيها، والمؤاخاة بينها، ومن حيث الغرض الذي من أجله قد سيق كلام الله على المنوال الذي هو إعجاز في ذاته.

ـ القاعدة الخامسة: مراعاة الممكن معرفته من علوم الكون، وأحوال البشر على وجه العموم، وأحوال العرب على وجه الخصوص؛ ولاسيما زمان نزول القرآن، ومراعاة سنن الله في خلقه. (ولن تجد لسنة الله تبديلا).

ـ القاعدة السادسة: مراعاة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه وسنته: قولا وفعلا وتقريرا. فعلى ضوء ذلك يكون التفسير مطابقا لما أراد الله.

ـ القاعدة السابعة: مراعاة ما يتعلق باللغة العربية إفرادا وتركيبا؛ حتى يمكن للمفسر حمل اللفظ على ما يحتمله من مقتضى لغة العرب، واستقراء الوجوه الممكنة فيه، واستنباط ما يمكن استنباطه من الآيات القرآنية في حدود القوانين الشرعية. وهذا هو التأويل الجائز لأهل العلم في كل وقت، وفي كل زامن وفي كل جيل.

ـ القاعدة الثامنة: أن لا يتوهم المفسر أن في القرآن تكرارا، فيترك لذلك تفسير ما هو مكرر في اعتقاده. قال الإمام السيوطي نقلا عن بعض العلماء: مما يدفع توهم التكرار في عط فالمترادفين نحو (لا تبقي ولا تذر)، (صلوات من ربهم ورحمة) وأشباه ذلك، أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل به معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يحدث معنى زائدا. وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ. قال الزركشي في البرهان: " والقطع بعدم الترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الانفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد.

ـ القاعدة التاسعة: اجتناب الحشو في التفسير من حيث ذكر ما لا صلة له به: كذكر دلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل أصول العقائد، والإكثار من الإعراب وعلل النحو، وذكر أحاديث الفضائل القرآنية،

والحكايات الإسرائيلية، وما لا يصح من أسباب النزول، وهلم جرا مما هو خارج على موضوع التفسير، والذي يؤخذ مسلما دون الاستدلال عليه بأشياء هي قوانين لعلوم أخرى مقررة في مواضعها اللائقة بها.

ـ القاعدة العاشرة: على المفسر أن يعمل بقانون الترجيح وذلك عند احتمال الآية أكثر من وجه لتفسيرها، وقد أوضح لنا مفهوم هذا القانون وفصل مجمله بدر الدين الزركشي بقوله: " وكل لفظ احتمل معنيين فصاعد، وهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي فإن كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي وإن استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية، وفي الآخر شرعية فالحمل على الشرعية أولى إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية " كما في (وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم)، ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى. وغن اتفقا في ذلك أيضا فإن تنافي اجتماعهما و لم يكن إدارتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض بالطهر، اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه، وغن لم يظهر له شيء فهل يتخير في الحمل على أيهما شاء؟ أو يأخذ بالأغلظ حكما أو بالأخف حكما؟ أقوال. وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة إلا إن دل دليل على إرادة أحدهما."..."[1]. وسبق وأن ذكرت أن هذه القواعد يتضمن بعضها بعضا ويمكن أن يدرج بعضها في بعض فتكون أقل من ذلك ويمكن الزيادة عليها. والمهم هنا هو كونها قواعد سليمة معهودة في عمل المفسرين في الجملة، وتختلف مستويات التزما المفسرين بها. غير أن المؤلف رحمه الله راعى ما أمكنه منها والله أعلم.

ج – الإصلاح على مستوى موضوعات التفسير.

ما مضى كان فيما يخص محاولات الإصلاح على مستوى المناهج، وقد رأينا سويا كيف أنه حوى كثيرا من النقاط الجيدة، والاستدراكات المطلوبة، والتصحيحات العلمية لكثير من صيغ التفسير التي كانت متاحة، نظرا لما تطور عنها من محدودية الاستفادة من الهداية القرآنية...وفيما يلي أحاول تسجيل بعض نقاط الإصلاح على مستوى موضوعات التفسير. وأشير هنا إلى الموضوعات التقليدية التي كانت تسود التفسير، وهي وإن كانت ذات فائدة في الجملة إلا أن تغير العصور كثيرا ما كان معيارا للحاجات الاجتماعية والثقافية...التي كان يستهدفها المجتمع من خلال مطالعة كلام المفسرين.

ومعلوم أيضا أن العصور المتأخرة قد حمّلت التفسير كثيرا من المباحث الكلامية واللغوية، والخلافات الفقهية.. إضافة إلى شكل التفسير الإشاري، وهو أمر قد اعتبر في بعض الملاحظات النقدية زائدا على مقدار الضرورة في التفسير، وكثيرا ما وصفت بعض التفاسير بالناجحة لكونها اقتصدت من ذلك في طريقة المفسر. بل إن الحركة الإصلاحية بداية من ابن باديس ومن قبله الخضر حسين قد اقتصدت بشكل ظاهر جدا وضروري من مباحث المنطق واللغة والفقه... وقد مرّ شيء من ذلك فلا أطيل بإعادة ذكره.

[1] – توجيهات القرآن الكريم 1/354-355.

والثعالبي رحمه الله وقد أخلى تفسيره من كثرة المباحث اللغوية والكلامية والفقهية إلا ما لابد منه مما هو كالضروري لفهم الآية برأي المفسر، نجده قد ضمن تفسيره كثيرا من الأمور التربوية مما يجر إليها الحديث عن الآية، إذ كان الثعالبي نفسه من كبار المربين، والصوفية السالكين، فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [سورة الأنفال 2 ــ 4]. يخص الذكر الوارد في الآية ببعض الاهتمام لأهميته أولا، ومناسبة الموضوع لحشر كلام مشايخ الصوفية، وحاجة العبد إلى دوامه والمحافظة عليه. فقد قال ما نصه: " وقوله سبحانه: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... الآية، إِنَّمَا لفظ لا تُفَارِقُهُ الْمُبَالَغَةُ والتأكيد حيث وقع، ويصلح مع ذلك لِلْحَصْرِ، بحسب القرينة، فقوله هنا: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ظاهرها أَنَّها للمبالغة والتأكيد فقط، أي الكاملون. قال الشَّيْخُ أبو عَبْدُ اللَّه محمد بن محمد بن أحمد الأَنْصَارِيّ الساحلي المالقي في كتابه الذي أَلَّفَهُ في «السلوك» : واعلم أن الإِنْسَانَ مطلوب بطَهَارَة نفسه، وتزكيتها، وطُرُقُ التزكية وإن كَثُرَتْ، فطريق الذِّكْرِ أسرع نفعاً، وأقرب مَرَاماً، وعليه دَرَجَ أكثر مشائخ التربية، ثم قال: والذِّكْرُ ضد النسيان، والمطلوب منه عِمَارَةُ الباطن باللَّهِ تعالى في كل زمان، ومع كل حال لأن الذِّكْرَ يَدُلُّ على المذكور لا محالة، فذكره ديدنا يوجب المَحَبَّةَ له، والمعرفة به، والذكر وإن اختلف ألفاظه ومعانيه، فلكل معنًى [من] معانيه اختصاص بنوعٍ من التَّحْلِيَةِ والتخلية، والتزكية، ثم قال: والذِّكْرُ على قسمين: ذكر العامة، وذِكْرُ الخاصة. أما ذِكْرُ العامة، وهو ذِكْرُ الأجور، فهو أن يذكر العَبْدُ مَوْلاَهُ بما شاء من ذِكْرِهِ لا يقصد غير الأجور والثواب، وأما ذكر الخَاصَّة، فهو ذِكْرُ الحضور، وهو أن يذكر العَبْدُ مَوْلاَهُ بأذكار مَعْلُومَةٍ، على صفة مَخْصُوصَةٍ لِينال بذلك المَعْرِفَةَ باللَّهِ سبحانه بطهارة نَفْسِهِ من كل خُلُقٍ ذَمِيمٍ، وتحليتها بكل خُلُق كريم. انتهى." [1]. وفيما ذكره مناسبة للتوسع عند مشايخ الطريق ولكن الإشارة تكفي إذ كان التفسير أصلا مبنيا على الاقتصاد في ذكر ما يتعلق بالآية من كلام المفسرين، وأهل الطريق.

وكذلك يتخذ المؤلف من مناسبة ذكر الرزق في الآية التالية ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[سبأ: 37]. فرصة للتحذير من فتنة المال، ويعظ العبد لقطع تعلق قلبه بحبه، وشغل وقته بكثرة تحصيل الزائدة على ما به قوام ضرورات العبد. وهذا التنبيه شائع في كلام الصوفية عموما، والخطاب الديني عموما، وهو أليق بالموقف الفردي، منه بالسياسة العامة، لخطورة ما يترتب عليه من الضيق في الرزق، والوقوع في أحوال الاضطرار. وقد قال الثعالبي ما نصه: " واعلم أَنَّ المَالَ الزَّائِدَ عَلَى قَدْرِ الحَاجَةِ قَلَّ أَنْ يَسْلَمَ صَاحِبُهُ مِنَ الآفَاتِ إِلاَّ مَنْ عَصَمَه الله تَعالى، وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ [الشورى: 27] . وَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» وَغَيْرِهِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلّم أَنَّهُ قَالَ: «الأَكْثَرُونَ مَالاً هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا». وأشار ابن شهاب بين يديه وعن يمينه وَعَنْ شِمَالِهِ- وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» اهـــ. وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «رَقَائِقِهِ» قَالَ: أَخْبَرَنَا

[1] – الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المصدر نفسه. ج 3 / 113.

حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ عَن عقَيْلِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ سلمة بن أبي سلمة عبد الرحمن بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبيهِ قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم/: «إنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: لَنْ يَنْجُوَ مِنِّي الغَنِيُّ مِنْ إحدى ثَلاثٍ: إمَّا أنْ أُزَيِّنَ مَالَهُ فِي عَيْنَيْهِ فَيَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ وَإمَّا أنْ أُسَهِّلَ لَهُ سَبِيلَهُ فَيُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَإمَّا أَنْ أُحَبِّبَهُ فَيَكْسِبَهُ بِغَيْرِ حَقِّه» انتهى." [1].

وأنقل هنا شيئا عن الخضر حسين باعتبار تفسيره يقوم على الإيجاز الشديد، والاقتصاد في الكلام في كل موضع، والاقتصار على الإشارة. ومع ذلك فقد خص بعض الموضوعات المستجدة ببعض الاهتمام، وبصورة أخرى أخلى تفسيره مما لا تعلق له بالتفسير، ولا تقوم حاجة القارئ الحديث إلى مطالعته في كلام المفسرين...

فعند ابن باديس مثلا يطيل التعليق فيما كان لعاد من حضارة بمناسبة حديث القرآن عنهم، ويتعرض لبعض تفاصيل تلك الحضارة مما أجمله القرآن، ومراده أن الحضارة لم تكن حكرا يوما ما على أمة بعينها ولو كانت الأمة الإسلامية، وأن الحضارة في عمومها تراث إنساني قد ساهم الجميع في إعلاء بنيانه. فتحت عنوان: إرم ذات العماد وحضارتها يقول ابن باديس: " وفي القرآن ما هو كالتتمة لبحثنا عن حضارة العرب، وكالعلاقة لحضارة عاد بعينها، وهي حكاية عاد إرم ذات العماد. فهذا الوصف البليغ الذي تقرؤه في سورة الفجر صريح بألفاظه ومعانيه في أنه وصف لحضارة عمرانية لا نظير لها: فالعماد لا تكون إلاّ في القصور والأبنية الباذخة والمدن المخططة على نظام محكم. وقد قال تعالى وهو العالم بكل شيء إنه لم يخلق مثلها في البلاد. ومدينة هذا وصفها لا تشيدها إلاّ أمة لا نظير لها في القوة وآثار الحضارة، يتبع بعضها بعضاً في الضخامة والعظم والوصف القرآني لها، وإن سيق للاتعاظ بعاقبتهم، يدل البحث التاريخي على أنهم بلغوا في الحضارة غاية لا وراءها. وهم أمة عربية، فهذه المدينة شيدت في جزيرة العرب لا محالة. وإن الأقرب في التذكير بهم والاتعاظ بمصيرهم أن تكون الرؤية في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ} علمية؛ لأن التذكير عام لمن تتيسر له رؤية العين ولمن لم تتيسر له." [2].

ولا يفوت المفسر ذا الأفكار الإصلاحية أن يستفيد مما ورد في القرآن من فرصة الحديث عن يوجه كلامه للحاضرين من جيل العصر لأجل البحث للكشف عنها، لكونها حقيقة قرآنية يراهن ابن باديس على استمرار وجود آثارها بجزيرة العرب. فهو يقول: " ولو ائتمرت الأمم الإسلامية بأوامر القرآن، لنشأ فيها رواد يرودون الجزيرة، ويجوبون مجاهلها، ولو فعلوا لأمكن أن يعزوا على آثار هذه المدينة في أرض عاد، وهي معروفة، ويجمعوا بين الرؤية البصرية، والرؤية العلمية، وبين العلم والاتعاظ. وإننا لا نعبأ في مقام البحث العلمي بما حف هذه الحكاية من أساطير، ولا بما وقع فيه شيخ المؤرخين ابن خلدون حينما تعرض لنقض تلك الأساطير."[3].

وبخصوص موضوع آخر ذي طبيعة اجتماعية يتصل بالاهتمامات الفردية والجماعية على حد سواء، وهو موضوع رأى ابن باديس أن التوجيه القرآني بخصوصه كفيل أن يحل معضلات الاجتماعية. ولا شك أن ابن باديس كان يرى بداية التحول الاجتماعي بخصوص هذا الموضوع نظرا للاحتكاك المستمر والسديد بأنماط

---

[1] – الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المصدر نفسه. ج 4/ 376.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج 1 / 396.

[3] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج 1 / 396.

اجتماعية أخرى أوجدها المستعمر، ومن تأثر بوجوده، وتأثل خطواته. فهو يقول تحت عنوان " تفصيل الإحسان إليهما في القول والعمل وتأكيده في حالة الكبر، وعند قوله تعالى {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} . الأمر بالإحسان إليهما عام في جميع الأحوال. وخصصت حالة بلوغ أحدهما أو كليهما الكبر بالذكر، لأنها حالة الضعف وشدة الحاجة، ومظنة الملل والضجر منهما، وضيق الصدر من تصرفاتهما. فهما في هذه الحالة قد عادا في نهايتهما إلى ما كان ولدهما عليه في بدايته. وليس عنده من فطرة المحبة مثل ما عندهما. فكان بأشد الحاجة إلى التذكير بما عليه من تمام العناية بهما، ومزيد الرعاية لهما، وشدة التوقي والتحفظ من كل ما يمس بسوء جانبهما في هاته الحال على الخصوص. وإن كان ذلك واجبا عليه في كل حال على العموم. وطول بقائهما عنده في كنفه وثقل مؤونتهما عليه، وما يكون من ضرورات الكبر والمرض مما يستقذره في بيته، كل هذا قد يؤديه إلى الضجر والتبرم، فيقول ما يدل على ضجره وتبرمه. فنهي عن التفوه بأقل كلمة تدل على ذلك وهي كلمة أف بقوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} ، فأحرى وأولى ما فوقها. وهذا أمر بتحمل كل ذلك منهما، ونهي عن التضجر منهما." [1]. ومن دقيق ملاحظته رحمه الله ما أبداه من الإشارة لما يحدث كثيرا بين الأولاد ووالديهم من الحساسية في تناول الموضوعات، وكثرة ملاحظات الوالدين على أولادهم، وما يدفعهم إليه القلق والضعف من ذلك فقال منبها: " ومن ضرورة مباينتهما لولدهما في السن وفي النشأة أنهما كثيرا ما يخالفانه في آرائه وأفكاره، وقد يتناولان ما لا يحب أن تصل يدهما إليه، وقد يسألانه للمعرفة أو للحاجة، وكل هذا قد يؤديه إلى نهرهما، أي زجرهما بصياح وإغلاظ، أو إظهار للغضب في الصوت واللفظ، فنهي عن هذا..."[2].

وعند مفسر آخر أكثر نقدا للأوضاع السياسية، والعلمية، والظواهر الاجتماعية، وبأقل منهجية كما سجلت ذلك مرارا، يشير إليه مصطفى آل عزيز في غير مناسبة من تقصير المسلمين في المعارف العلمية، وخصوصا ما تضمنته التفاسير. فهو عند تناوله آية تتضمن حقائق علمية يشير إلى ما بخصوصها من الكلام، ويعقب لعد ذلك بالتخطئة على غيره كما فعل عند تفسير قوله تعالى (الذي جعل لكم الارض فراشا)" لقد كان جميعا قبيل عصر النهضة أكثرهم أو جلهم يعتقد سطحية الأرض والتصاقها بالسماء عند أطرافها، وأن النجوم مصابيح. ونقل ذلك عن كثير من الكتب القديمة بما فيها الكتب الدينية والتفاسير ونقلت أخبار وآثار في ذلك هي إلى الأساطير أقرب منها إلى الحقيقة، لا نريد ذكرها فهي مفصلة في مصادرها. وإذا كانت الكتب الدينية وخاصة ما ينسب إلى الإسرائيليات محرفة لا يعتمد عليها في كثير من الأمور فإن القرآن الكريم محفوظ لفظه بإذن الله. وكان ينبغي على المسلمين وأعني أولي الأمر منهم وأهل الذكر ألا يتبعوا ما ينسب إلى القرآن بغير علم وأن ينظروا إلى صريح اللفظ القرآني... وما كان من تأويل بغير علم أو على خطأ فهو من كسب

[1] – تفسير ابن باديس، المصدر نفسه ج1 / 69.

[2] – تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. ج 1 / 69.

القائمين على الدين وقصور منهم ينبغي تلافيه والرجوع إلى المعنى والمقصد الصحيح. ومن الأخطاء الفادحة ما تناقلته كثير من الكتب الدينية وخاصة التفاسير في شأن نشأة الكون وخلق الأرض والسماوات وما بينهما، والتاريخ القديم للإنسان خاصة ما قبل إبراهيم عليه السلام، وما ينقل عن حضارات قوم صالح وهود ونوح عليهما السلام، وأممهم وأحوالهم بغير ما ورد في القرآن."[1]. وكلامه يوهم أنه يتحدث عن تفاسير معاصرة توفرت لها حقائق العلوم التجريبية وغيرها، وجنح أصحابها إلى الخطأ في تقرير مضمون الآية، بينما هو يجر الكم على كامل التفاسير بما فيها القديمة مما يتيسر لأصحابها غير معارف محدودة، وما كان سائدا وهو وإن كان غير دقيق بالتفاصيل إلا أنه في الجملة من المعارف التي كانت متاحة وسائدة ومتداولة وسليمة نسبيا. ولو أن المفسر خص خطأ بعينه لأمكن التحقق من ذلك وتحليل مصدر الخطأ ولكنه كعادته يجمل في الإحالة، ويعمم في التخطئة وهو أمر غير دقيق اقتضى التنبيه عليه.

وفي موضوع حول بعض الظواهر الدعوية من كون الدعاة اليوم يجب أن يتوجهوا بالدعاية والدعوة للإسلام إلى سائر الأمم ممن أصبحت ظروف الحياة فيها أكثر مناسبة لذلك لشيوع الحريات الفردية، والسياسية، والتطور الفكري النابع من الانفتاح على الغير ولأجل ذلك يقول المؤلف: " هذا وإن لأكثر بلاد العالم اليوم تحضرا وتحررا قابلية للدعوة والأفكار السليمة القائمة على الحجة، والإقناع والبراهين القطعية، العقلية منها والشرعية. وأكثر ما توجد تلك الحريات العامة في تلك البلاد المتحضرة علميا واقتصاديا وفكريا. ولذلك فإن واجب العلماء والمفكرين المسلمين خاصة أن تكون دعوتهم عامة كما أن رسالة الإسلام عامة للناس جميعا. وبما أن مخاطبة أهل العقول والفكر أولى من غيرهم، فإن علينا دعوة هذه الأمم المتحضرة إلى الحق من الله بالحكمة والعقل والعمل فلعل الله يفتح آذانا صما وأعينا عميا، وقلوبا غلفا. وما ذلك على الله بعزيز، فلله الحجة البالغة ولو شاء الله لهدى الناس أجمعين." [2].

وعلى العموم فإن ما ضمنه تفسيره هذا الفاضل فيه على ما فيه خير كثير للقارئ الحديث، وانسجام كبير مع معارف الجيل، وتطلعاته لتفسير يساير هدايات القرآن للمجتمعات الحديثة، وما يظفر به القارئ غير العادي من الكلام على حقائق العلم والاجتماع في القرآن، وأحوال الأمة الإسلامية، وما آلت إليه، وما من شأنه أن يصلح ما فسد من أحوالها...

ولعل أكثر المفسرين الجزائريين الذين اتخذوا من التفسير منبرا إصلاحيا فاعلا للأوضاع الاجتماعية بالخصوص هو الشيخ إبراهيم بيوض، وزيادة على ما سبق نقله عنه في قضايا التفسير، أزيد هنا نقولا عنه في ما تطرق إليه من علاج قضايا اجتماعية وغيرها شائكة، ألح على التزام هداية القرآن بشأنها. فقد قال مثلا عند قوله تعالى (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)[سورة العنكبوت: 45] ما نصه: " فتقسيم الصلاة على اليوم يجعلك دائم الاتصال

[1] – الحق لما اختلف فيه من الحق، المرجع نفسه. ج 305/1.

[2] – الحق لما اختلف فيه من الحق، المرجع نفسه. ج 1/ 142.

بالله، لأنه لو طال الأمد لوقع النسيان، وهذا معقول، وهذا ما ندركه ونحسه؛ فالطالب عندما يعود إلى الدراسة يوم السبت بعد عطلة يوم الجمعة فإنه يجد صعوبة في مواصلة الدراسة أكثر من الأيام الأخرى التي تكون فيها متواصلة صباح مساء. وهذا ما قرره علماء التربية وعلماء النفس؛ لأن الاتصال يبقي على العلاقة الفكرية والتواصل العقلي."[1]. وهذا النص على بساطته كفيل بإيضاح مقصد الصلاة لدى القارئ العادي، والمستمع لتفسير القرآن بالمسجد من عموم المصلين، ويضمن وصول الخطاب القرآني إلى كافة شرائح المؤمنين.

وقال في موضع آخر وفي نفس الموضوع، يبين المؤلف بوضوح شديد، وتمثيل دقيق لكون الصلاة تنهى العبد عن الفحشاء والمنكر، فقد قال: " فتقسيم الصلاة على اليوم مما ينهى عن الفحشاء والمنكر، لأن المرء إما أن يكون في صلاة أو خارج منها أو ذاهب إليها، فما هي المسافة بين صلاة وصلاة؟ فإذا حاولت أيها المرء أن تقترف معصية فتذكر أن هذا العمل ينقض وضوءك، وقد تصلي بلا وضوء بسبب نظرة حرام، فالمحافظة على الوضوء نفسه من أجل الصلاة تمنع من أشياء أخرى."[2]. والعبارة الأخيرة من كون النظرة الحرام تفسد الوضوء نص خاص بفقه الإباضية لا يتعداهم.

وفي موضوع آخر يتناول الجهاد الذي قد كلف به المسلم، يبين المؤلف في إيجاز، أنواعه وما هو واجب على العبد منه، وكيف يكون الالتزام به بتغير الظروف المقتضية لكل نوع منه. وقال عند قوله (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[العنكبوت: 39.] ما نصه: " فالذي يحمل سلاحه للدفاع عن المسلمين وبلاد المسلمين إذ وجب الجهاد وأعلنت الحرب فهو مجاهد، والذي يقاوم وسائل الإغواء التي يبثها المضلون بأفكارهم ودعاياتهم الباطلة التي لا تكاد تعد ولا تحصى فهو مجاهد، والذي قاوم شهوات نفسه فهو مجاهد كذلك؛ بل هو الجهاد الأكبر لأنه يقاوم نفسه بين جنبيه حتى لا يستعمل الغرائز ضرورية لحياة الإنسان فإن الله تعالى لم يأمر بكبتها، ولكن جعل لها متنفسا بالطرق الحلال. و لم يحرم الله تعالى شيئا إلا وقد أحل في مقابله شيئا، بل ما أحله أكثر مما حرمه؛ فكم حرم علينا من ملاذ الطعام والشراب بالنسبة لما أحل؟ حرم علينا الميتة والدم والخنزير وكل مسكر ومخدر، وأحل كل ما سوى ذلك. فجهاد الغرائز لا يكون بكبتها، وإنما بصرفها إلى الحلال...."[3].

وفي موضوع أكثر طرافة ينبه المؤلف إلى الاهتمام بآثار الأوطان وما حباها الله من عجائب الخلق والمخلوقات، استفاده إشارة من قوله تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق...) ما نصه بضرب المثال: " وأغلب السياح يجوبون الأوطان في جهات الأرض المختلفة يطلعون على ما فيها من العجائب، ويكتبون عنها ما يجعلنا نتمنى السفر إليها لمشاهدتها، ونحن إذا ذهبنا إليها فإننا حقا نعجب منها ونندهش لها، ولكننا إذا عدنا إلى أوطاننا وتأملنا ما فيها من حيوان وجبال وأشجار وأنهار وبحار نجد أشياء أغرب وأعجب

---

[1] - في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج 195/09.

[2] - في رحاب القرآن، للشيخ بيوض، المرجع نفسه. ج 196/09.

[3] - في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج270/09 -271.

مما شاهدناه عند الآخرين؛ ولكن الإلف زهدنا فيما عندنا، فلم نعد نراه عجيبا ، بينما بدا هذا الذي رأيناه لأول مرة عجيبا فاندهشنا." [1].

ولا يفوت المؤلف رحمه الله أن يستعمل المثال المعهود، في بيان بعض معاني القرآني مما يتطلب مزيد إيضاح، وببيان يحتمله القارئ العادي ويفيده الإلمام بمقاصد القرآن ويزيده إيمانا بمعانيه، فأنت تراه في كثير من الأحيان يعود لضرب المثال بالمألوفات الحديثة عند قوله تعالى (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير) ما نصه: " ومن المعلوم أن المرء في أي ميدان من الميادين أنه لابد له من التعلم لإنجاز عمل ما، وبعد أن يتعلم يسهل عليه إنجازه مرارا كثيرة، حتى إنه قد ينجزه وهو غافل لتعود يديه عليه؛ فمثلا: الكاتب بالآلة الراقنة إذا أتقن الضرب وتعودت أصابعه الكتابة قد يتكلم مع شخص وأصابعه تكتب ولا تخطئ، وهذا بفضل التعود. وهكذا كلما تكررت الإعادة كلما كان الأمر أسهل. ويا ترى كم مرة أعاد الله فيها خلق الإنسان من منذ نشأته أول مرة وإلى أن تقوم الساعة؟ فأنتم ايها البشر كلكم تقرون بأن الإعادة أسهل من البداية، فكيف تحتارون وتقولون: كيف يحي الله الخلق بعد فنائه؟ (إن ذلك على الله يسير)." [2].

وبالرجوع أيضا إلى مفسر كالشيخ سعيد كعباش، تجده يجعل من مناسبة تفسير الآيات مناسبة للتطرق إلى موضوعات مختلفة كثير منها من صميم الواقع وإن كان ذلك أقل مما وجد عند مفسر إباضي آخر كالشيخ بيوض أو غيره، فهو يقول مثلا عند قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) يقرب للقارئ هذا المعنى ووجه ارتباطه بقيام الساعة: " وقد اندك ذلك السد على الكيفية التي قدرها الله، واندفق السيل العلم من أمواج يأجوج ومأجوج واختلطوا بسائر البشر في مشارق الأرض ومغاربها، فكثرت الحروب والفتن، واستحر القتل والتخريب في كل مكان، سيما وقد انكسرتِ السدودُ والحواجزُ وتلاحمت أجزاءُ المعمورةِ بوسائل المواصلات؛ فأصبح العالم كله يموجُ بعضُه في بعض حتى كادت الأرضُ تضيقُ بسكانها، وامتدتْ طموحاتُ الخلق إلى غزو الفضاء، ففي ذلك كله علامات لاقتراب الساعة، كما أفصح عنه القرآن، سيما في هذه الآية الكريمة إذ يقول تعالى على إثر ذلك (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا)[الكهف: 99 - 101])." . وهو تقريب بمعطيات حديثة لكيفية تخيل الأذهان لحدوث الساعة، وانتهاء صور الحياة...ولا يخفى أن ذلك نافع للقارئ الحديث، قد لا يجده في تفاسير القدامى، ولا حتى عند بعض المعاصرين.

وفي مناسبة تربوية يهدف المؤلف بكلامه إلى تصحيح معنى التوكل على الله، فتجده عند قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) يقول ما نصه: " مناسبة هذا الإرشاد الإلهي لرسوله هو ما تقدم في أول السورة من سؤال المشركين عن الأمور الثلاثة وقول الرسول: (سأجيبكم غدا)، و لم يقل: إن شاء الله، فلم يأته الوحي إلا بعد خمسة عشر يوما. والآيتان معترضتان أثناء القصة لما تضمنتاه من الإرشاد الحكيم

[1] - في رحاب القرآن، المرجع السابق. ج 98/09-99.

[2] - في رحاب القرآن، المرجع نفسه. ج 97/09.

لما يجب على المؤمن من تفويض الأمور كلها لله. فبعد الإجابة عن الأسئلة المطروحة إثباتا لصدق رسول الله في نبوءته ، يأتي هذا الإرشاد اللطيف تذكيرا له فيما غفل عنه من التقيد بمشيئة الله في كل ما يعد به، وهو القدوة الصالحة لأمته. فما من حركة ولا سَكَنَة في هذا الوجود ولا في حياة خلقه إلا وهي من تدبير الله ومشيئته. وليس معنى ذلك أن يبقى الإنسان مكتوف الأيدي لا يسعى ولا يتخذ الأسباب، كما يغالط كثير من الناس في معنى التوكل على الله، ولكن قوله إن شاء الله في كل سعي يدبره، أو أمر ينوي القيام به، وهو استعانة بالله وتفويض الأمر إليه. وبذلك يكون المؤمن متوازنا في مجابهة واقعه..."[1]. والموضوع يحتمل أكثر من هذا التفصيل بغرض البيان، والظواهر السلبية الموجودة عند عموم المسلمين بما فيهم المثقفين كثيرة حول هدر الأسباب الشرعية والكونية التي قامت عليها سوق الدنيا، والمصير إلى الآخرة، ولكن المؤلف اقتضب في حديثه هنا فلعله أن يكون عاد إليه في موضع آخر.

وأختم بهذا النص عن المؤلف المذكور وهو في حقيقته توجيه للدعاة، بضرورة العزم في حمل هم الدعوة، والتحلي بالصبر على ما يلاقونه في سبيلها، فهو يقول عند قوله تعالى (يا يحيَ خُذِ الكتابَ بقُوَّة): " ويتمثل ذلك في تسلم ميراث والده زكرياء، إذ يتحمل القيادة الروحية لبني إسرائيل، ومرجعيته في ذلك هو كتاب التوراة. وقد شدد الله في بعض الأحكام على بني إسرائيل جزاء تعنتهم وعنادهم، كما أنهم بدلوا وغيروا. فالمهمة إذن تحتاج إلى قوة وعزيمة في التطبيق والعمل، فليست القوة هنا بمعنى الإكراه والجبر من عند الله، بل هي العزيمة والإرادة في التنفيذ؛ لأن أحكام الله هي أوامر ونواه، وكل منها يحتاج إلى قوة وصبر في العمل أو الترك. والدعوات لا تقوم الضعاف المهازيل؛ ولذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يظهر أصحابه أمام أعدائه بمظهر القوة، ويقول: " المؤمن القوي خير وأفضل وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير."[2].

وهنالك شخصية أخرى حاولت أن تقدم هداية القرآن بمعزل عن كثرة الأقاويل في التفسير، وتطرق بإيجاز شديد إلى بعض معضلات الحياة الاجتماعية، والتي تستدعي دراسات وتحاليل معمقة، ومستمرة، لأجل تنزيل هدايات الله على تفاصيلها غير أن الشيخ أبا بكر الجزائري اكتفى فيها بالإشارة كما فعل عند قوله تعالى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بينَهُما) الآيات، فقد قال: " ما زال السياق الكريم في طلب تأديب المسلمين وتربيتهم وإعدادهم للكمال الدنيوي والأخروي ففي الآيتين (9) و(10) من هذا السياق يرشد الله تعالى المسلمين إلى كيفية علاج مشكلة النزاع المسلح بين المسلمين الذي قد يحدث في المجتمع الإسلامي بحكم الضعف الإنساني من الوقت إلى الوقت وهو مما يكاد يكون من ضروريات الحياة البشرية وعوامله كثيرة لا

[1] – نفحات الرحمان، المرجع نفسه. ج 8/181-182.

[2] – رواه مسلم كتاب القدر باب الإيمان بالقضاء والقدر. رقم: 2664.

حاجة إلى ذكرها فقال تعالى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ) أي جماعتان (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) ولو كان ذلك بين اثنين فقط (فَأَصْلِحُوا) أيها المسلمون (بَيْنَهَا) بالقضاء على أسباب الخلاف وترضية الطرفين بما هو حق وخير..."[1].

وفي موضوع اسري يتناول مشكلة الخلافات الزوجية وما نزل من القرآن بخصوصها، وما أرشد إليه من الخطوات بشأنها، لأجل حصارها، ومن ثم معالجتها قبل استفحالها، يتعرض المفسر إلى الموضوع ولا يكاد يتجاوز بيان الألفاظ القرآنية، مع كون الموضع يحتمل أكثر من ذلك. وربما كان عذره هنا أن الموضوع متوفر في الدراسات القرآنية الكثيرة بخصوصه. فهو يقول عند قوله تعالى " (وإنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا): والخوف هنا بمعنى: التوقع الأكيد بما ظهر من علامات ولاح من دلائل فيعالج الموقف قبل التأزم الشديد (فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا)، لأنهما أعرف بحال الزوجين من غيرهما وقوله تعالى: (إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً) فإنه يعني الحكمين، (يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا)، أي: إن كان قصدهما الإصلاح والجمع بين الزوجين وإزالة الشقاق والخلاف بينهما فإن الله تعالى يعينهما على مهمتهما ويبارك في مسعاهما ويكلله بالنجاح. وقوله تعالى: (إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً). ذكر تعليلاً لما واعد به تعالى من التوفيق بين الحكمين، إذ لو لم يكن عليماً خبيراً ما عرف نيات الحكمين وما يجري في صدورهما من إرادة الإصلاح أو الإفساد."[2].

وأختم هذا العنصر باستعراض نقلين لمفسر عايش أحوال المجتمع وقضاياه داخل وخارج الوطن، وحاول أن يجعل من التفسير منبرا لعلاج بعض تلك القضايا، ولكنه فعل ذلك مع شيء من الاقتصاد الشديد في الموضوعات، وأيضا في مقادير المعالجة وطرقها. وذلك أن الشيخ محمد بن عبد الكريم، رغم أنه عالج كثيرا من القضايا المعاصرة خارج التفسير، إلا أنه في التفسير أوجز كثيرا واكتفى كثيرا بالإشارة عن مباشرة الموضوعات. فأنت تجده مثلا يقدم دفاعا عن تعدد زوجات الرسول، وذلك عند تفسيره قوله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى...) فيقول ما نصه: " أن مقاصد تعدد الزوجات بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم كانت ولا تزال نبيلة، وخدمة جليلة للدين الإسلامي، ولما لشمل المجتمعات الإسلامية زمانا ومكانا. وذلك في رأي كلّ منصف يمعن النظر، ويجيل الفكر في شخصيته صلى الله عليه وسلم وسيرته النقية، وحياته النموذجية، سواء كانت هذه الخدمة من الوجهة التشريعية، أم التعليمية، أم الاجتماعية، أم السياسية، أم من الوجهة الإنسانية، على العموم والإطلاق، من حيث الرأفة والرحمة، بأمهات المؤمنين، وذويهن الأصهار. ولعل أعداء الإسلام والمسلمين لا يسعهم إلا أن يخجلوا عندما يقرؤون عبارة الأستاذ العقاد، حيث قال في كتابه عبقرية محمد: " قال لنا أحد المستشرقين: إن تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية. قلنا له: إنك لا تصف السيدَ المسيح بأنه قاصرُ الجنسية، لأنه لم يتزوج قط، فلا ينبغي أن تصف محمدا بأنه مفرط الجنسية؛ لأنه جمع بين تسع

[1] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 5 / 128.

[2] – أيسر التفاسير للجزائري، المرجع نفسه. ج 1 / 475.

نساء..."[1]. وهذا الذي اكتفى بذكره هنا هو ما رآه المفسر مناسبا لمقام التفسير، وأما التفصيل فمحله الكتب والبحوث المفردة؛ وهي كثيرة.

ومما تطرق إليه المفسر أيضا، ويعتبر من القضايا الهامة، والتي يكثر حولها الاستفسار خصوصا أثناء إقامته بأرض المهجر، ما تطرق إليه من أحكام ذبائح أهل الكتاب: فقد قال عند قوله تعالى (اليوم أل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب...) ما نصه: " وبناء على ما تضمنه هذا العرض المتواضع يمكن لي أن أقسم اللحوم الموجودة بفرنسا إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: مذبوح على أيدي المسلمين، فهذا حلال أكله، وهو اقل من قليل في أسواق اللحم.

النوع الثاني: مذبوح على أيدي اليهود، فهذا حلال أكله مع الكراهة، إن وجد غيره من الأكل الحلال، فإن لم يوجد انتفت الكراهة.

النوع الثالث: مذبوح أو مقتول بأية طريقة من طرق القتل على أيدي الإفرنج على وجه العموم، سواء كانوا من جنس فرنجي أو غيره؛ فهذا النوع من اللحم محرم أكله على المسلمين بإجماع، وذلك لثلاثة أسباب:

أولهما: أن الإفرنج المباشرين لذبح الحيوانات وصعقها في المسالخ والمجازر قد نبذوا دينهم، وأصبحوا ملحدين، لا يؤمنون بوجود الله، ولا بكتبه ولا برسله، ولهذا لا يعتبرون من أهل الكتاب الذين أحل الله ذبائحهم لمسلمين.

ثانيهما: أنهم لا يستحضرون نية الذكاة عند الذبح والصعق، وقد سبق أن ذكرنا أن النية شرط في الذكاة، حتى عند ابن العربي المتساهل في كيفية ذكاة أهل الكتاب.

ثالثها: أنهم قد أهملوا صفة التذكية التي جاء بها الأنبياء، والمرسلون وعوضوها بخنق الحيوان أو شنقه أو صعقه بالآلات الحديثة، أو قتله بمحتوى مسدس خاص وهلم جرا... فهذه الأسباب الثلاثة قد جعلت ذبائح الإفرنج في حكم الميتة المحرمة على المسلمين، الذين أبوا إلا أن يستجيبوا لنداء نبيهم الكريم عندما ناداهم بقوله: " يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، يا رب. ومطعمه حرام ومشربه حرام وقد غذي بالحرام؛ فأنى يستجاب له". رواه مسلم عن أبي هريرة." [2].

ويلاحظ أن ما ذكره من التفصيل لا تشتمل عليه الآية جميعا التي هو بصدد تفسيره، وإنما هو نتائج جاهزة لبحوث متعددة وقعت له ولغيره خارج التفسير، استقاها من النصوص الحديثية، وشيء من كلام الفقهاء، وبعض الاحتياطات التي تقتضيه مراسم الديانة من الاحتياط، وشيء من الورع...

---

[1] ــ توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 229/3.

[2] ــ توجيهات القرآن العظيم، المرجع نفسه. ج 458/3-459.

الخاتمة

النتائج المتوصل إليها:

بعد استعراض قائمة طويلة من المفسرين، جمع كثير منهم سيا المتقدمين منهم شروط المفسر وأهلية التفسير، غطوا بإنتاجهم القرون المتتالية، وكانوا بجهات الوطن الأربع ، وبعد عرض قرائح هؤلاء المفسرين، واستعراض الأسانيد المتعددة والمتنوعة ومقرارت هذه المدرسة من تفاسير مشرقية ومغربية، وبعد أن تعرضنا لجهود علمائنا المستمرة في ترسيخ تقاليد درس التفسير سواء لخواص طبقات طلبة العلم أو الجمهور العريض من رواد المساجد والزوايا... تبين بعد هذا وغيره ما يلي:

1 ـ وجود مدرسة تفسير جزائرية أصيلة ومنذ وقت مبكر، على الأقل بمفهومها الأكاديمي حيث وجدت لها أماكن للدراسة ومشايخ مؤهلين، ومقررات تدريس مشرقية ومغربية، وجمهور عريض يتجاوز النخبة من طلبة العلم. كما لها إنتاج غني من التفسير.

2 ـ ـ اشتهار هذه المدرسة بأعلام جزائريين مقتدرين، كان كثير منهم من ذوي الثقافات الموسوعية، قد جمعوا في كثير من الأحيان مؤهلات التفسير من إحاطة بالثقافة الشرعية المتخصصة في الحديث والفقه...إلى قدرة في مجال علوم الآلة من لغة وبلاغة ونحو...بل لهم في كل ذلك تآليف تجاوزت حدود زمانهم وأماكنهم، وصارت مصادر معرفية على أكثر من صعيد.

3 ـ تعدد اتجاهات المدرسة الجزائرية واستمرار تنوع مناهجها من سنية وأخرى إباضية، ومن تفاسير أقرب إلى المأثور، وأخرى تنتهج الرأي القريب من المأثور. كما أنها تعرضت لنفس النمطية التي جرت عليها التفاسير بالمشرق حيث غلب على مجملها الشكل المدرسي الذي يعمد إلى الاستكثار من اللغة من نحو وبيان، ومناقشات كلامية مطولة، وتعرض لمسائل فقهية مذهبية كثيرا ما كان التفسير ميدانا لترجيح بعضها على بعض سواء داخل المذهب أو خارجه مما يوجد في مذاهب أخرى فقهية. كما أنه في كثير من إنتاجه حمل باستمرار صبغة صوفية تحولت في كثير من الأحيان إلى تفسير جديد إشاري ملحق بتفسير الظاهر الذي هو الأساس.

4 ـ خضوع حركة التطور فيها إلى نفس المؤثرات المحيطة من غلبة التقليد، وصيغة الحواشي والإختصارات...وفي المجال المعرفي إلى مواكبة لحركات الإصلاح سواء فيما يخص التفسير باستبعاد العناصر الدخيلة على التفسير، والتي يفترض أن يجري معالجتها في أماكنها الأنسب لها من لغة وفقه وكلام، أو الإلحاح على المفسر ليتم التعاطي مع القضايا المستجدة وعلى أكثر من صعيد وطني في مواجهة موجات الاحتلال وأولويات التحرر، أو القضايا الاجتماعية والاقتصادية، ومحاربة التقليد والغزو الفكري.

5 ـ وفرة إنتاجها بين قديم وحديث، من تفاسير كاملة وأخرى جزئية، إلى أعمال أصيلة لمؤلفين جزائريين أو إضافات لجهود مشرقية أو مغربية سابقة. وهذه الوفرة تنوعت إلى إنتاج مكتوب وأخر مذاع في الإذاعة بالخصوص وثالث مسموع في الدروس والحلقات بالمساجد والزوايا والنوادي...

6 ـ حاجة هذا الكم الكبير والمتنوع إلى الخدمة بالتحقيق والنشر عبر الوسائل التقليدية والحديثة وتسهيل الحصول عليه للأجيال؛ لما في ذلك من حماية للوحدة الفكرية، ودعم لعناصر المرجعية الوطنية، في أهم أسسها

وهو تفسير كلام الله، والتعرف على المتاهج المتبعة، واختيار الأنسب منها، والأقوم لنشره والتعريف به، والرجوع إليه.

7 _ الاستفادة من محاولات التقارب بين جناحي هذه المدرسة من سنية وإباضية، وتشجيع محاولات تبادل النصوص، وأنماط التفسير، وتوحيد مصادر التفسير، وتقريب وجهات النظر في تفسير الآيات عموما، وآيات موضوعات الاختلاف سواء في العقيدة أو الفقه، وصياغة ذلك كله في تفسير موحد يراعي الخصوصيات في أضيق دوائرها.

9 - دعوة القائمين على المساجد، وكبار الكفاءات العلمية إلى مواصلة جهود التفسير، الصوتية والمكتوبة في الجامع والجامعة، وعبر وسائل التواصل التقليدية والحديثة... والإشادة بالمنهج الوسط الذي سارت عليه المدرسة الجزائرية في التفسير إذ لم تجنح كثيرا للمأثور الضعيف، ولا التأويلات الباطنية... ولا حملت تعصبا وعصبية...وأغلت الباب أمام دخول الفرق والنحل المختلفة مما كان كثيرا بالمشرق.

10 _ استكمال هذا البحث والتوسع فيه لإحصاء أكبر ما يمكن من أعيان المفسرين، والبحث على إنتاج التفسير في المكتبات العامة والخاصة مما لم يستطع الباحث أن يصل إليه...وباب البحث مفتوح ومجاله واسع، والكلمة الأخيرة فيه لم تقل بعد.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا.

فهرس الآيات القرآنية:

- (يجعلون أصابعهم في آذانهم)[سورة البقرة:19].....34
- (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: 29].....218
- (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء)[سورة البقرة:59].....37
- (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) [البقرة:89].....58
- (وما أنزل على الملكين)[البقرة:102].....191
- (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى)[البقرة: 159].....40
- (إنّ في خَلْق السَّماوات والأرض واخْتلاف اللّيْل والنَّهار)[البقرة: 164].....31
- (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) [البقرة:187].....27
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [البقرة: 204].....58
- (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) [البقرة: 222].....58
- (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ)[البقرة: 214].....25
- (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) [البقرة: 206].....58
- (الطَّلاقُ مَرَّتان فإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان) [البقرة:229].....245
- (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) [البقرة:238].....298
- (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)[سورة البقرة:247].....38
- (أنى يَكُونُ لَهُ الملك عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بالملك مِنْهُ)[سورة البقرة:247].....38
- (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [البقرة: 260].....58
- (وجَنَّة عَرْضُها السَّمَاواتُ والارضُ)[سورة آل عمران: 133].....45
- (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك)[النساء: 60].....30
- (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ) [المائدة: 29].....68
- (وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[المائدة: 06].....243
- (فَبَآؤُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ)[البقر: 90].....24
- (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)[المائدة: 41].....43
- (ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم)[المائدة: 94]..... 24
- (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ [الأنعام: 65].....69
- (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) [الأنعام:82].....23
- (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) [الأنعام: 153].....28
- (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا) [الأنعام: 158].....59

- (أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) [الأنعام: 158].....59
- (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)[الأنعام: 159].....59
- (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) [الأعراف: 57].....26
- (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)[الأعراف: 198].....25
- (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)[سورة الأنفال:29.].....26
- (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) [يونس: 10].....58
- (للذين أحسنوا الحسنى)[يونس: 26].....213
- (أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبصارَ)[يونس:31].....25
- (ألا إنّ أولياءَ الله) [يونس:63].....41
- (ولقد همّتْ به وهمَّ بها لولا أن رأى برهانَ ربّه)[سورة يوسف:24].....42
- (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) [يوسف: 100].....170
- (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) [الرعد: 10].....67
- (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد:11].....227
- (قُلْ هُوَ رَبِّي)[سورة الرعد 30].....56
- (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: 9].....68
- (وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) [الإسراء: 10].....178
- (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن)[الإسراء: 34-35].....26
- (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ [الإسراء: 59].....67
- (وجَعَلَنِي مُباركًا)[سورة مريم:31].....20
- (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) [مريم: 52].....29
- (واتخذوا مِن دُونِ الله ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً) [مريم: 81].....25
- (أوأَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) [الأنبياء: 30].....262
- (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)[الفرقان:30].....225
- (والذينَ لا يَدعون مع الله إلها آخر)[الفرقان:68].....30
- (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) [النمل: 22].....37
- (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة النمل: 44].....48
- (وهوَ اللهُ الذي لا إلهَ إلا هوَ له الحمدُ في الأولى والآخرة)[القصص: 70].....27
- (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) [العنكبوت: 41].....225
- (آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) [العنكبوت: 46].....38

- (وله الحمد في السماوات وفي الارض) [الروم: 18].....27
- (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [سبأ: 1].....240
- (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) [فاطر: 9].....27
- (مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ)[فاطر:10].....24
- (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ)[فاطر: 14].....26
- (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)[فاطر: 32].....28
- (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة)[سورة ص: 23].....38
- (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [سورة ص: 29].....48
- (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) [سورة ص: 38].....29
- (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ)[فصلت:12].....191
- (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) [فصلت: 17].....364
- (وهو الذي يقبلُ التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات) [الشورى:25].....27
- (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) [الزخرف: 45].....170
- (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ)[الزخرف: 43].....240
- (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) [الزخرف: 44].....241
- (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[الدخان: 58].....291
- (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة) [الأحقاف:15].....319
- (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) [محمد:31].....24
- (ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى)[سورة النجم: 11].....31
- (ولقد رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) [النجم:13].....27
- (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ)[الواقعة: 68].....27
- (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)[سورة الطلاق:02].....20
- (أَلَيْسَ ذَلِكَ بقادر على أَن يُحْيِيَ الموتى) [القيامة: 40].....172

فهرس الأحاديث النبوية والآثار:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال: " كلهم في الجنة."..... 28
- أيّ سماء تُظلني وأي أرض تقلّني إذا قلتُ في كتاب الله عز وجل برأيي..... 32
- أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة..... 28
- أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ الْمُسْلِمُ صَلاَةُ الْمَكْتُوبَةِ..... 28
- أن جبريل عليه السلام أردفَ موسى حتى سمع صريرَ القلم والتوراة تكتبُ له..... 29
- أن التوراة كتبت قبل آدم بأربعين عاماً..... 29
- أن تدعو لله ندا وقد خلقك..... 30
- إن الإنسان يفنى كله ولا يبقى منه إلا عجم الذنب، أو عجب الذنب..... 30
- اتقوا النساء في المحيض؛ فإن الجذام يكون من أولاد المحيض..... 58
- إذا همّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة..... 40
- إنَّ في الجَنَّةَ لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمْعَةٍ..... 277
- بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرجٌ..... 36
- حديث المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى عن عدي بن حاتم مرفوعا 24
- خذوا عني مناسككم..... 17
- خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنا حِلَقا. الأثر عن جابر بن سمرة..... 56
- دِينُ اللَّهِ يُسْرٌ..... 249
- رأيت ربي بعيني وبقلبي..... 31
- زعم أن ناسا دخلوا الإسلام مقدمَ نبي الله..... 32
- صلّوا كما رأيتموني أصلي..... 56
- فإن خير الحديث كتاب الله ... وكل بدعة ضلالة."..... 30
- فقضى لليهودي فنزلت فيهما هذه الآية..... 31
- كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن. الأثر عن ابن مسعود..... 34
- لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها..... 29
- لما أهبط الله آدم إلى الأرض طاف بالبيت سبعا..... 31
- لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة تحمل كل واحدة منهن بفارس..... 29

- لا يلزم الوفاء بعهد الظالم؛ فإذا عقد عليه في ظلم فانقضه. الأثر عن ابن عباس.....35
- لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم.....38
- ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن إلا آيًا علَّمه إياهنّ جبريل.....17
- من عمل بما علم أروثه الله علم ما لم يعلم.....232
- من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين.....242
- نحن الأولون الآخرون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة.....28
- نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلق.....28
- نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يوم القيامة يقال أين الأمة الأمية ونبيها؟.....28
- نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم).....31
- وكل محدثة بدعة، وكل بدعة في النار.....30
- ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.....32
- والذي لا إله غيره ما آمنَ أحد أفضلُ من إيمان بغيب. الأثر عن ابن مسعود.....32
- وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ من النَّار.....32
- يا رسول الله إنك فعلت شيئا لم تكن تفعله؟ قال: عمدا فعلته يا عمر.....244

فهرس الأعلام.

- أحمد بن جعفر الداودي: 57، 58، 194، 371.
- ابن يانس: 57.
- ابن خلدون: 02، 48، 52، 87، 90.
- أحمد بن زكري: 76، 115، 180، 322.
- (البجائي) أحمد بن إدريس: 62، 63.
- ابن مرزوق الجد: 10، 66.
- ابن مرزوق الحفيد: 74، 76، 84، 87، 90، 102،108، 117،123، 299، 319.
- البسيلي: 12، 32، 36، 87، 94، 168، 216، 226، 243، 287، 319، 390.
- ابن مرزوق الكفيف: 74، 89، 94، 117، 118، 306.
- البليدي، محمد: 140، 315، 319، 334، 336.
- البوني، أحمد بن علي بن يوسف: 62.
- ابن باديس، عبد الحميد: 80، 154، 199، 316.
- التنلاني، عبد الرحمان: 71، 138، 186.
- البوني، أحمد بن قاسم البوني: 76، 79، 132، 131، 136.
- التجاني، أحمد بن محمد بن المختار: 144.
- التلمساني أبو الفضل: 66، 94، 102،
- التلمساني، الشريف: 65، 66، 85
- التلمساني، عبد الرحمان بن إدريس: 142.
- التلمساني محمد بن العباس: 10، 85، 90، 102، 112، 124، 302.
- التواتي بن التواتي: 37، 32، 36، 138، 166، 186، 212، 321.
- التلمساني، يحي بن أبي الشريف، 89، 90، 94، 102، 112،113، 302، 312.
- التنسي محمد عبد الجليل: 76، 90، 115، 177، 315.
- التونسي ابن عرفة: 36، 41، 62، 90، 109، 167، 174، 214، 226، 326.
- الثعالبي، عبد الرحمان: 05، 10، 24، 37، 57، 75، 90، 107، 170.
- الجزائري، طاهر: 151، 152، 185.
- الجزائري، الأمير عبد القادر: 29، 41، 147، 190.
- الجزائري، أبو بكر جابر: 09، 34، 38، 165، 209.
- الخروبي الطرابلسي: 76، 121، 180.

- الخضر حسين: 06، 11، 26، 80، 155، 204، 223، 309.
- الرصاع: 109، 110، 178، 290، 303،
- السجلماسي، علي عبد الواحد: 78، 127، 132، 137.
- سعيد كعباش: 27، 42، 163. 210، 222، 234.
- سعيد العقباني، 2، 84، 85، 86، 90، 93، 96، 100، 301، 302.
- السنباوي، محمد الأمير: 73، 78، 79، 143، 183.
- السنوسي، محمد بن علي: 144
- السنوسي محمد بن يوسف: 75، 110، 168، 305.
- الشاوي، يحي:78، 108، 128، 132، 180، 284، 301، 308.
- الشرقاوي، عمر بن محجوب: 134، 182، 183.
- الشمني، أحمد بن محمد القسنطيني: 95، 103، 177، 286، 302.
- الصدقاوي، ابراهيم بن محمد: 108، 327.
- عبد الرحمان بن رستم: 54، 55، 57.
- العقباني أبو الفضل قاسم: 84، 112، 114، 115، 117، 304.
- عكرمة: 07، 18، 19، 53، 54، 190، 194، 196، 300
- عمر بيوض: 161، 202، 299...
- العنابي، حسين : 137.
- الفكون، قاسم: 76، 122، 126،130، 307.
- القبلاوي، بلعالم: 140، 311، 317.
- القسنطيني ابن فائد: 02، 90، 96، 327.
- القصار: 87، 90، 129، 327.
- مالك بن أنس: 20، 300.
- المازري، محمد بن يطو: 147.
- المستغانمي أحمد بن عليوة: 09، 31، 35، 154، 196.
- المستغانمي، عثمان بن سعيد: 147.
- المشدالي، أبو الفضل: 64، 98، 102، 300.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم: 76، 119، 178.
- المقري، أبو عبد الله: 61، 66، 68، 69.
- المقري أبو العباس: 86، 287، 322.

- المليكي، يوسف بن مصعب: 133.
- محمد بن يوسف اطفيش: 30، 35، 150، 151، 153، 191.
- مصطفى آل علي: 162، 206.
- الناصري، أبو راس: 73، 78، 143، 144، 187.
- محمد بن عبد الكريم: 27، 31، 35، 41، 144، 162.
- هود بن محكم الهواري: 06، 21، 55، 220، 229، 255، 262، 335.
- الورجلاني: 60.
- الونشريسي، أحمد أبو العباس: 68، 176، 177، 178...
- اليزقني، يوسف بن عدون: 142، 143.

فهرس المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم ــ رواية ورش، وحفص.

_ كتب السنة وعلوم الحديث:

- **صحيح البخاري،** محمد بن إسماعيل البخاري (دار الفكر ــ سوريا ــ طبعة مصورة عن الأوفست. 1981م).
- **صحيح مسلم،** محمد بن الحجاج (دار الفكر ــ سوريا ــ طبعة مصورة عن الأوفست. 1981م).

_ **معرفة علوم الحديث،** للحاكم النيسابوري (دار الآفاق الحديثة ــ بيروت ــ ط:01، 1980م)

- **توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار،** للصنعاني (- دار الكتب العلمية – بيروت _ ط:02. 1986م)

1_ المخطوطات والنسخ الإلكترونية:

_ **رياض الأزهار وكنز الأسرار،** للخروبي الطرابلسي، مخطوط في الإنترنت.

_ **المواهب القدوسية في المناقب السنوسية.** مخطوط خاص، وقد طبع الكتاب مؤخرا.

_ **تفسير الفاتحة** لمحمد بن عبد الكريم المغيلي. مخطوط خاص.

_ **تفسير الفاتحة وآيات من سورة البقرة،** لمحمد بن يوسف السنوسي. مخطوط خاص.

_ **تفسير سورة القدر** للأمير المالكي، مكتبة المصطفى الإلكترونية.

_ **تفسير آية الكلالة** للأمير المالكي. مكتبة المصطفى الإلكترونية.

_ **كتاب الإبريز والإكسير في علم التفسير،** لأبي راس الناصري المعسكري. مخطوط خاص للشيخ أبي أحمد بلقرد.

_ **نصوص من تفسير حسين العنابي.** مخطوطة بمكتبة الحامة ضمن مجموع رقم:.

_ **المحاكمات** ليحي الشاوي، مخطوط بالإنترنت.

_ **التقييد الكبير** للبسيلي.(نسخة ألكترونية بالمكتبة الشاملة.)

_ **تفسير ابن عرفة،** لمحمد ابن عرفة (نسخة إلكترونية بالمكتبة الشاملة الإصدار الأول 2010)

_ **مفتاح علوم السرّ في تفسير سورة العصر،** الشيخ أحمد بن عليوة.

_ **الموسوعة الحرة الويكيديا** بالإنترنت.

2 _ الكتب المطبوعة.

أ _ كتب التفسير:

- **تفسير ابن عرفة برواية البسيلي،** رسالة ماجستير العالية شعراوي (كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر ــ 2006م).
- نصوص من تفسير أبي الفضل التلمساني ضمن المعيار المعرب. ج 11
- نصوص من تفسير أحمد بن زاغو ضمن المعيار المعرب. ج 11
- نصوص من تفسير السنوسي ضمن المعيار المعرب. ج 11
- نصوص من تفسير ابن زكري الشريف ضمن المعيار المعرب. ج 11
- نصوص من تفسير التنسي الشريف ضمن المعيار المعرب. ج 11
- نصوص من تفسير ابن مرزوق ضمن المعيار المعرب. ج 11

- نصوص من تفسير الرصاع ضمن المعيار المعرب. ج 11
- نصوص من تفسير الخزرجي ضمن المعيار المعرب. ج 11
– **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، لعبد الرحمان الثعالبي (المؤسسة الوطنية للكتاب ــ الجزائر ــ ط:02. 1982م)
– **تفسير سورة الفاتحة للمغيلي**، ضمن كتاب شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، الدكتور علال بوربيق (مؤسسة البلاغ ــ الجزائر ــ 2013م)
_ **تفسير التجاني ضمن كتاب جواهر المعاني**، لابن حرازم (المكتبة العصرية ــ صيدا لبنان ــ ط: 01. 2002م.)
_ **المواقف** للأمير عبد القادر، تحقيق: عبد الباقي مفتاح (دار الهدى الجزائر _ ى2005م)
_ **تيسير تفسير**، للشيخ اطفيش (نسخة إلكترونية ــ المكتبة الشاملة ــ الإصدار الأول 2010م)
_ **هميان الزاد إلى دار المعاد**، للشيخ اطفيش (وزارة التراث القومي ــ سلطنة عمان ، بدون تاريخ)
_ **لباب العلم في تفسير سورة** ، لابن عليوة (المطبعة العلوية _ الجزائر _ بدون تاريخ)
– **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، لعبد الحميد بن باديس (دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط:01. 1995م)
_ **البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور**، لمصطفى بن عليوة (المطبعة العلاوية _ مستغانم _ الجزائر. ط:01. بدون تاريخ)
_ **لباب العلم في تفسير سورة** ، لابن عليوة (المطبعة العلوية _ الجزائر _ بدون تاريخ)
_ **في رحاب القرآن**، للشيخ بيوض. تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بلحاج (المطبعة العربية، غرداية _ الجزائر _ 2001م)
_ **أيسر التفاسير**، لأبي بكر جابر الجزائري (مكتبة العلوم والحكم ــ المدينة المنورة ــ ط: 04. 2002م)
_ **نفحات الرحمان**، للشيخ سعيد كعباش. (جمعية النهضة ــ غرداية الجزائر ــ ط: 01. 2006م)
_ **توجيهات القرآن الكريم**، محمد بن عبد الكريم (مؤسسة للنشر والتوزيع _ 2011_ الجزائر.)
_ **الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين**، التواتي بن التواتي (مطبعة رويغي الأغواط _ الجزائر _ ط: 01، 2011م.)
_ **الحق لما اختلف فيه من الحق**، مصطفى بن علي آل عزيز (دار الرشاد الإسلامية ــ لبنان ــ ط:01. 1990م)

ب _ كتب التاريخ والتراجم:

_ **تاريخ الجزائري الثقافي**، الدكتور بلقاسم سعد الله (دار البصائر للنشر والتوزيع ــ الجزائر ــ ط:06، 2009م).
_ **الجزائر في التاريخ**، محمد الطاهر عدواني (المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- ط:01، 1984م).
_ **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، أحمد بن أبي الضياف.
_ **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** لابن قنفد القسنطيني، لابن قنفد.
_ **كتاب الجزائر**، أحمد توفيق المدني (دار الكتب البليدة ــ الجزائر ــ ط:02، 1963م).
_**الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى** (دار الكتاب، الدار البيضاء ــ المغرب ــ 1954م)
_ **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، المرحوم رابح بونار (دار النشر والتوزيع ــ الجزائر ــ ط:01، 1982م)
_ **تاريخ الجزائر العام**، عبد الرحمان الجيلالي (ديوان المطبوعات الجامعية ــ الجزائر ــ ط:07، 1994م)

_ **تعريف الخلف برجال السلف**، أبو القاسم الحفناوي (مؤسسة الرسالة ــ لبنان ــ ط: 02، 1985)
_ **معجم أعلام الإباضية** (دار الغرب الإسلامي بيروت ــ لبنان ــ ط: 02، 2000م).
_ **التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**،... (دار ابن الجوزي ــ المملكة العربية السعودية ــ ط:01، 2006م)
– **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقري (دار إصدار ــ بيروت ــ ط:01، 1968م)
– **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، لابن مرزوق الجد (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ الجزائر ــ 1981م)
_ **نيل الابتهاج**، بتطريز الديباج، للتنبكتي (منشورات كلية الدعوة الإسلامية ــ ليبيا ــ 1989م).
_ **المواهب القدوسية في المناقب السنوسية**، للملالي (مخطوط خاص)
_ **موسوعة الأعمال الكاملة** علي الرضا الحسيني (دار النوادر ــ سوريا ــ ط: 01، 2010م)
_ **لسان العرب** لابن منظور (دار المعارف ــ مصر ــ 1986م)
_ **القاموس المحيط**، للفيروزابادي (دار بولاق ــ مصر ــ طبعة مصورة 1985م)
_ **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمرتضى الزبيدي (مصورة عن المطبعة الخيرة ــ مصر ــ 1985م)
_ **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي (مطبعة حجازي بالقاهرة، 1948م).
– **مقدمة في أصول التفسير**، لابن تيمية (المكتبة السلفية ــ القاهرة ــ ط:05. بــ تــ).
– **التحرير والتنوير**، للطاهر بن عاشور (الدار التونسية للنشر ــ تونس ــ ط: 01. 1982م)
– **البيان والتحصيل**، لابن رشد الجد (دار الغرب الاسلامي ــ بيروت ــ ط: 01. 1985م)
– **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي (دار الغد العربي ــ مصر ــ ط:02. 1986م)
– **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي (دار الفكر ــ سوريا ــ ط: 03. 1980م)
_ **المعيار المعرب للونشريسي** (دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ ط:02. 1982م)
_ **مختصر معجم المعارف والشمائل السنوسية**، بلحاج جلول. مخطوط.
_ **المقدمة، ابن خلدون** (دار الشعب ــ القاهرة ــ 1969م)
_ **مجموع فتاوى**، أحمد ابن تيمية (دار الحديث ــ القاهرة ــ 2006م)
_ **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**...، لأبي بكر عبد الله المالكي (دار الغرب الإسلامي ــ بيروت لبنان ــ ط:01. 1983م).
– **طبقات علماء إفريقيا**، لأبي العرب (الدار التونسية للنشر ــ تونس ــ ط:02. 1965م)
– **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، لابن عذارى المراكشي (الدار العربية للكتاب ــ بيروت لبنان ــ ط:03. 1983م)
_ **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، رابح بونار (المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:1 ــ 1985)
_ **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، لعبد الرحمان الدباغ (المكتبة العتيقة – تونس– 1968م)
_ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان (دار صادر – بيروت– ط: 1978م)

_ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان**، لأبي محمد بن عبد الله اليافعي (دار صادر – بيروت . 1954م)

_ **ترتيب المدارك** ، للقاضي عياض، (دار صادر ـــ بيروت ـــ 1967م)

_ **اللمعة المرضية من أشعة الإباضية**، نور الدين السالمي (درا إحياء التراث العماني ـــ سلطة عمان – 1401هـــ)

_ **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض (مؤسسة نويهض الثقافية – بيروت– ط:02، 1980م)

_ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن عماد الحنبلي (مؤسسة الرسالة – سوريا– ط:02، 1985م)

– **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لابن الخطيب (طبع بمصر ـــ 1974م)

_ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر العسقلاني (صورت عن طبعة الهند – مصر– 1966م)

_ **رحلة بن حمادوش، ابن حمادوش** (المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ ط:01 . 1982م)

_ **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، لابن فرحون المالكي، (دار التراث ـ القاهرة ـ بدون تاريخ)

_ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، لابن مريم (المطبوعات الجامعية ـ الجزائرية ـ ط:02، 1985م)

– **معجم المؤلفين التونسيين**، محمد محفوظ (دار الغرب الإسلامي بيروت ـ ط:01، 1982م)

_ **شجرة النور الزكية**، لمحمد مخلوف (دار الفكر للطبعاة والنشر ـ سوريا ـ بدون تاريخ)

– **النكت والتنبيهات**، للبسيلي في مكتبة الزاوية الحمزاوية بتافيلالت، رقم 89.

_ **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (دار صادر ـــ بيروت ـــ)**

_ **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، عبد الملك بن حسين المكي (دار الكتب العلمية ـــ لبنان ـــ بـــ ت)

_ **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل الحسيني (دار البشائر الحسينية ـــــ لبنان ـــ بـــ ت)**

_ **الغصن الداني**، بلعالم القبلاوي (طبع بمطبعة دار هومة – بدون تاريخ)

_ **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، عبد الرحمان الجبرتي (دار الجيل ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ)

_ **المواقف** للأمير عبد القادر، تحقيق عبد الباقي مفتاح (دار الهدى ـــ الجزائر ـــ ط:02، 2005م) 06/1.

_ **نثر الجواهر والدرر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر**، يوسف المرعشلي (دار المعرفة ـــ بيروت لبنان ـــ 2006م).

– **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، محمد بن الحسن الحجوي (دار الكتب العلمية ـــ لبنان ـــ 1995م)

– **واحة الوعظ والاعتبارمن كلام العزيز الغفار**، الهبري المجاوي ـــ مقدمة المحقق ـــ

– **الرحلة العلية**، بلعالم القبلاوي (مطبعة دار هُومة – الجزائر– بدون تاريخ)

– **نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد**، للبسيلي. تحقيق: محمد الطبراني (مطبعة النجاح الجديدة – المغرب ط: 01، – 2008 م)

_ **كتاب الجامع من الدرر المكنونة**. ليحي المازوني. مخطوط المكتبة الوطنية.

_ **تفسير سورة القدر**، الأمير المالكي (مخطوط، بموقع مكتبة المصطفى.).

– **المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف**، للأمير عبد القادر (دار الهدى للنشر والتوزيع – الجزائر– ط: 03، 2000)

– **البدر المنير مختصر تيسير التفسير – جزء عم** ــ، للشبيبي (ضمن المكتبة الشاملة الإباضية. الإصدار الأول 2011م).

– **الرسائل والمواقف الصوفية**، لمحمد بن يلس جمعها جعلوك عبد الرزاق ().

– **البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور**،تحقيق يحي الطاهر برقة (المطبعة العلاوية – مستغانم – الجزائر. ط:03، بدون تاريخ).

– **لباب العلم في سورة والنجم**، أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي(المطبعة العلاوية – مستغانم – الجزائر. ط:03، بدون تاريخ).

– **الحق لما اختلف فيه من الحق**، مصطفى آل عزيز (دار البشائر الإسلامية – بيروت – ط: 01، 1990م)

ـ **الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين**، للدكتور التواتي. ().

– **رياض الأزهار** للخروبي الطرابلسي، مخطوط في الإنترنت.

ـ **بحث جهود الأئمة في خدمة تفسير القرآن الكريم**، الدكتور أحمد العمراني.

– **رحلة القلصادي**، أبو الحسن علي القلصادي (891هـ). تـ: محمد أبو الأجفان (الشركة التونسية للتوزيع ــ تونس ــ ط:01، 1978م).

ـ **معجم المعارف والشمائل السنوسية**، بلحاج جلول. مخطوط خاص.

ـ **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، خالد بن عيسى البلوي (نسخة إلكترونية.).

ـ **ياقوتة النسب الوهاجة**، للعربي المشرفي.(مخطوط لدى الدكتور عبد الحق شرف).

ـ **العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ــ حياته وآثاره**، عبد الحق شرف. (منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف–الجزائر–2011م.).

ـ **دليل الطالبين إلى معرفة القراء الجزائريين المجازين**، سالم بوحامدي (دار الإمام مالك ــ الجزائر ــ ط:01، 2013م).

ـ **طبقات المفسرين**، عبد الرحمان السيوطي (منشورات موقع مكتبة المصطفى).

ـ **المقري صاحب نفح الطيب**، محمد عبد الغني حسن (منشورة بالإنترنت بدون بيانات).

ج ـ كتب ومراجع عامة.

ـ **دائرة المعارف الإسلامية** (دار الفكر، لبنان، 1985م، ط:01).

ـ **المعجم الفلسفي**، جميل صليبا (دار الكتاب اللبناني ـ لبنان ـ 1982)

ـ **المعجم الوسيط** (مطابع دار المعارف ـ مصر ـ 1981م)

– **التمهيد**، تحقيق ماكارتي (المكتبة المشرقية ـ لبنان ـ 1957م) للباقلاني.

– **الملل والنحل**، للشهرستاني، تـ: محمد سيد كيلاني (مصطفى بابي الحلبي ـ مصر ـ 1967م)

ـ **التفسير ورجاله**، الفاضل بن عاشور (مجمع البحوث الإسلامية ـ مصرـ عام: 1970).

ـ **التفسير والمفسرون**، الدكتور محمد حسين الذهبي (دار الكتب الحديثة ـ مصر ـ ط:02، 1976م).

ـ **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**، القرضاوي (دار الشروق ـــ سوريا ـ ط:04. 2005م)

– **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، محمد ابو شهبة (دار الجيل – لبنان – ط: 01 ، 1992.)
– **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، محمد ابو شهبة (دار الجيل – لبنان – ط: 01 ، 1992.)
_ **المفسرون الجزائريون عبد القرون**، محمد المختار اسكندر (طبعة جزائرية بدون مكان ولا زمان)

د _ الرسائل الجامعية والأبحاث العلمية:

_ **منهج الشيخ محمد بن اطفيش في تفسيره تيسير التفسير**، محمد مصطفى درويش الخواجا. رسالة ماجستير (منشور في الإنترنت).
_ **منهج الشيخ محمد بن هو محكم الهواري في تفسيره**، سامي محمود محمد أحمد (منشورة بالإنترنت)
_**تفسير محمد الخضر حسين لآي القرآن، وملامح الإصلاح فيه**، بن ديمية الجيلالي(رسالة ماجستير منشورة بالإنترنت).
_ **اتجاهات التفسير في العصر الراهن**، عبد المجيد عبد السلام (منشورات مكتبة النهضة الإسلامية ـــ الأردن ـــ ط:03 ، 1983م).
- **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، تركي رابح (المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع ـــ الجزائر ـــ ط:01 ـــ 1975م).
_ **عبد الحميد بن باديس مفسرا**، حسن عبد الرحمان سلوادي. رسالة ماجستير (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ـــ ط:01، 1981م)
_ **التفسير الإذاعي للقرآن الكريم** ـــ مقال بمجلة الإمام الشاطبي، عبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر(العدد: 01، ربيع الآخر 142)
_ **مناهل العرفان في علوم القرآن** (دار إحياء الكتب العربية ـــ مصر ـــ بدون تاريخ).

كتب الفهارس والأسانيد:

- **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، الباحث بشير ضيف (منشورات شالة ـــ الجزائر ـــ ط:02، 2007م).
– **قيمة الإسناد**، قاسم علي سعد (دار البشائر الإسلامية – بيروت – ط: 02، 2010)
– **كفاية المستفيد لما علا من الأسانيد**، محمد بن عبد الله الترمسي (دار البشائر الإسلامية – بيروت – بدون تاريخ.)
– **الثبت الكبير**، للمشاط (دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت _ ط: 01. 1989م)
– **ثبت الوادي آشي**، محمد بن علي الوادآشي (دار الغرب الإسلامي _ بيروت_ ط:01، 1989م)
– **إمداد الفتاح في أسانيد الشيخ عبد الفتاح**. تحقيق: محمد عبد الله آل رشيد (مكتبة الشافعي – السعودية – ط: 01، 1999م).
– **صلة الخلف بموصول السلف**، سليمان الروداني (دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت ـــ ط:01، 1994م)

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: **الجزائر، الجغرافيا السياسية.**

المبحث الثاني: مفهوم المدرسة.

أ – المدرسة في مدلولها اللغوي:

ب – المدرسي في مدلولها الاصطلاحي:

المبحث الثالث: تعريف **التفسير، ونشأته، ومصادره.**

أولا– تعريف التفسير:

أ – التفسير في اللغة:

ب – التفسير اصطلاحا:

ثانيا – نشأة التفسير في الدراسات الإسلامية.

– الحاجة إلى تفسير القرآن:

ثالثا – مصادر التفسير.

أ– تفسير القرآن بالقرآن.

ب – تفسير القرآن بالسنة النبوية:

ج– تفسير الصحابة للقرآن:

د– الرجوع إلى أهل الكتاب في التفسير:

ه– تفسير التابعين وقيمته العلمية.

و– أقوال وكتب المفسرين.

ي– المصادر الحديثة في التفسير:

المبحث الأول: جذور حركة التفسير بالمغرب الأوسط.

المبحث الثاني: أسانيد مدرسة التفسير بالجزائر.

المبحث الثاني: وصل أسانيد التفسير بالمدرسة الجزائرية.

أ – القيمة العلمية للأسانيد.

ب– تعريف الإجازة والفهرس والثبت:

1 – تعريف الإجازة:

2 – تعريف الثبت:

3 – تعريف الفهرس:

ج – ترتيب الأسانيد على وفق القرون الهجرية.

أولا أسانيد القرن التاسع الهجري:
1- أسانيد كتب ابن مرزوق في التفسير عن ابن حجر:
2- أسانيد عبد الرحمان الثعالبي (875هـ):
ثانيا – أسانيد التفسير في القرن العاشر:
ثالثا- أسانيد التفسير في القرن الحادي عشر:
رابعا – أسانيد القرن الثاني عشر:
خامسا – أسانيد القرن الثالث عشر:
1 – ثبت الأمير المالكي:
2- أسانيد عيسى الثعالبي الجزائري:
3- أسانيد التفسير عند الفلاني من كتابه قطف الثمر
4- أسانيد التفسير عند ابن حمادوش
سادسا- أسانيد التفسير في القرن الرابع عشر الهجري:
1- أسانيد الخضر حسين في التفسير وغيره:
2- أسانيد ابن باديس عن شيخه حمدان لونيسي
3- أسانيد ابن باديس عن شيخه محمد بخيت المطيعي
الفصل الثاني:
- المبحث الأول: ترتيب تراجم المفسرين على وفق تاريخ الوفيات.
- المبحث الثاني: عرض إنتاج الجزائريين في التفسير مرتب تاريخيا.
الفصل الثالث:
- المبحث الأول: قضايا التفسير عند المفسرين الجزائريين.
أولا – قضايا العقيدة الإسلامية.
1- مسائل الأسماء والصفات:
2 – مسألة رؤية الله تعالى في الجنة:
3- مسألة عصمة الأنبياء:
4- مسائل عقدية متفرقة:
ثانيا- التفسير وقضايا المجتمع الإسلامي.
ثالثا – التفسير وقضايا الفقه والتشريع الإسلامي.
1- قضايا الفقه الإسلامي:

أ- آية الوضوء:

ب - آيات الطلاق:(الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) [البقرة:229].

2- قضايا التشريع الإسلامي:

أ- اليسر في التكليف الشرعي.

ب – مسألة النسخ في القرآن الكريم:

ج- مبدأ التدرج في التشريع:

رابعا- التفسير والحقائق العلمية.

خامسا – التفسير والمعالجـــــة الصوفية للحقائق القرآنية.

سادسا- التفسير وقضايا اللغة في القرآن الكريم.

1- تحديد مدلول مفردات القرآن:

2- التصريف والتوجيه النحوي:

3- الاقتصاد في تناول الجانب البلاغي.

4- مبحث الإعجاز القرآني:

- المبحث الثاني: الاشتغال بتدريس التفسير.

1 - حلقات درس التفسير.

2- عرض من عرفوا بتدريس التفسير.

- المبحث الثالث: منابر تدريس التفسير بالمدرسة الجزائرية.

1- تدريس التفسير بالمسجد:

أ- دروس التفسير للعامة:

ب - درس التفسير يوم الجمعة:

ج- التفسير في خطبة الجمعة:

2 - التفسير بالمدارس العلمية:

3- تدريس التفسير بالزوايا:

4 - تدريس التفسير بمجلس السلطان:

5 – التفسير على صفحات المجلات والجرائد:

6 - التفسير بمنبر الإذاعة المحلية والدولية:

7- درس التفسير بالنوادي العلمية:

8 - درس التفسير بالمعاهد العلمية:

– المبحث الرابع: صلات المفسرين الجزائريين بغيرهم في العالم الإسلامي.
أ – الرحلة طلبا لتحصيل التفسير:
ب – تدريس التفسير خارج الجزائر.
ج– صلات التأليف على تفاسير أهل المشرق.
د– الصلات العلمية عن طريق الإجازات.
المبحث السادس: التفسير عند المؤلفين الجزائريين بين الاتجاه المدرسي والإصلاحي.
1– مناهج التفسير عند المؤلفين الجزائريين.
2– التفسير بين التناول المدرسي والاتجاه الإصلاحي.
أ – التفسير المدرسي في إنتاج التفسير.
– تعريف التفسير المدرسي ونشأته:
ب – محددات التفسير المدرسي:
ج – تحكيم المقررات المذهبية في التفسير:
د – منابر التفسير المدرسي:
ه– نماذج مختارة من التفسير المدرسي:
و– نقد التفسير المدرسي:
ثانيا – التفسير الإصلاحي في المدرسة الجزائرية:
أ – بذور التفسير الإصلاحي عند المفسرين الجزائريين:
ب – الإصلاح على مستوى مناهج التفسير.
ج – الإصلاح على مستوى موضوعات التفسير.
الخاتمة
فهرس الآيات القرآنية
فهرست الأحاديث النبوية
فهرست الموضوعات

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية
شعبة العلوم الإسلامية

ملخص رسالة دكتوراه بعنوان:

مدرسة التفسير
بالجزائر منذ القرن التاسع الهجري

دراسة حول أعلام التفسير واتجاهاتهم عند أهل السنة والإباضية.

إعداد الطالب:
بلحاج جلول

إشراف الأستاذ الدكتور:
ماحي قندوز

السنة الجامعية: 1439هـ – 1440هـ الموافق 2018 م – 2019م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

ظل تفسير القرآن الكريم حاجة دينية، تستجيب لتطلعات المؤمنين لفهم كلام الله تعالى، وتدبر آياته (ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)، وهو أيضا حاجة علمية لكون القرآن الكريم وقع محورا للعلوم الشرعية من عقائد وأحكام...وما توقف فهمُه عليها من علوم اللغة والبيان... وقد تولى مهمة تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عملا بقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)، ولقد قال ابن خلدون في ذلك: فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يبينُ المجمَلَ، ويميزَ الناسخَ من المنسوخ، ويعرِّفه أصحابَه، فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه.

ثم تولى الصحابة رضي الله تعالى عنهم من بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بيانَ ما احتاج الناس إلى ظهور معناه، سواء تعلق الأمر باللغة ومفرداتها، أو تعلق بذكر سبب نزول الآيات أو غير ذلك من أنواع التفسير وبيان الأحكام. وقد قدم إلى المغرب العربي مع جيش الفتح الإسلامي جملة من الصحابة الكرام على ما في رياض النفوس للمالكي؛ ففيه أن الخليفة عثمان بن عفان استشار أصحابَ رسولِ الله في غزو إفريقية فأجابوه إلى ذلك فـ" خطب الناسَ وندَبَهم إلى الغزو إلى إفريقية، فخرج جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عباس... وعبد الرحمان بن أبي بكر، وعبد الرحمان بن صبيحة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأخواه...، وعبد الله بن عمرو بن العاص....وغيرهم من قبائل شتى. خرج جميعهم مع عبد الله بن أبي السَّرْح العامري سنة سبع وعشرين من الهجرة.".

وقد قام عقبة بن نافع رحمه الله ببناء عدة مساجد بالمغربين الأقصى والأوسط، والتي كانت بلا شك مراكز تعليمية، وترك صاحبَه شاكرًا في بعض مدن المغرب الأوسط لتعليم البربر الإسلام...، ثم جاء من بعده حسَّانُ بن النعمان الذي خصص ثلاثة عشر فقيها من التابعين، ليعلم البربرَ العربيةَ والفقه ومبادئ الإسلام. وهذا النقل الأخير عام شامل لكل بربر المغرب الأوسط وغيرهم. كما هو عام وشامل من جهة أن التعليم المقصود قد حوى التفسير وغيره.

والذي أعتقده أن هذه الحركة المباركة لتعليم القرآن، وبيان مقاصده بقيادة الصحابة قد مثلت أرضيةً طيبة في تأسيس عمل التفسير، وخصوصا أن المذاهب لم تكن قد ظهرت بعدُ، سواء منها العقدية أو الفقهية؛ بل كان القرآن هو محورَ كل تصور، ومرجع كل حركة.

وقد كان البربر الذين دخلوا هذا الدين من ضمن هذا الجيش، كما كان أهل البلاد كذلك، ولا عجب أن يتمّ تداول كل ذلك بلغة العرب التي وقع بها بيان القرآن وإعجازه. وأن ذلك كان بصفة

مكثفة عبر دروس مستمرة وواسعة فسرت لنا تمكنَ العربية من قلوب الجيل الأول من أهل البلاد المفتوحة.

هذا وإن البربر بما لهم من لسان مختلِف قد جعل عملَ التفسير في بداياته يتم على مرحلتين: مرة بترجمة كلمات القرآن إلى لسان البربر، وأخرى بتفسير معاني الآيات للمسلمين الجدُد؛ فكان هذا إذا ثبتَ أشبهَ بالترجمة التفسيرية. وإنه ومنذ ذلك الزمان تتابع عملُ التفسير رواية له واشتغالا به؛ فكان هذا المطلب من أهم المطالب الدينية؛ لتعلقه أولا بالقرآن، ثم لشدة الحاجة إليه لما عرفه المغربُ من بعدُ من اختلاف وظهور للفرق، وسعي كل فرقة للانتظام تحت مظلة القرآن عن طريق تأويل نصوصه.

فانطلقت حركة التفسير بذلك تواكب العلوم الشرعية، وغيرها من علوم الآلة، سواء كان \لك بالتدريس بالمساجد والمدارس، أو بالتأليف العلمي...وقد سبق إلى المغرب عموما مفسرون من أمثال عكرمة الإفريقي، ويحي بن سلام في جماعة واشتغل الناس بمروياتهم وبتفاسيرهم وعمل النساخ على نشرها، والمفسرون على تدريسها . فظهر بذلك فن التفسير مع الاطلاع على تآليف أهل المشرق والأندلس فيه. وإلى يوم الناس هذا والعمل مستمر، والتدريس جار، مع توفر وسائل النشر، واتساع الجمهور.

أهمية الموضوع

لاشك أن تحصيل العلوم الشرعية كان ولا يزال واجبا دينيا لم يتأخر عنه أهل هذا القطر المجيد، وإن مما صعب على مؤرخ الحركة الثقافية عموما هو عسر تحديد الشخصية الجزائرية للعالِم في بدايات الفتح الأولى بل في القرون الثلاثة الأولى بالخصوص؛ لاتصال جغرافيا المغرب، وقلة التدوين لتراجم علمائه وأعيانه بتحديد أمكنة النشأة وتاريخ الوفاة. ولعل من بعض أسباب ذلك لا جميعه هو ما أشار إليه ابن خلدون في المقدمة من أن أهل المغرب لا اعتناء لهم بالتأريخ لأنفسهم؛ اللهم إلا أن يكون ذلك بوجود بعض المحددات مثل: الأوراسي أو التيهرتي أو التلمساني... حتى أنه في كتب التراجم المشرقية وإلى فترة متأخرة يكتفون بالنسبة إلى المغربي عن التحديد المطلوب، كما في الضوء اللامع للسخاوي، أو الكواكب السائرة للغزي...ونظرا لندرة تداول تراث الجزائريين بالخصوص والمغاربة عموما في التاريخ الحديث فإنه ليخيل للناظر أن التفسير إنتاج مشرقي بحت وأنه لا خصوصية للمغاربة فيه. وهو شيء إضافة إلى عدم تطابقه مع الواقع، مضر بالتاريخ الثقافي، ومناف للحقيقة العلمية، وبالمرجعية الوطنية حيث يستبعد من عناصرها أهم مطلوب وهو التفسير.

فتأتي هذه الدراسة تستكمل شيئا من واجب تسليط الضوء، وقانون البحث على فترة مهمة بداية من القرن التاسع الآهل بالعلم والعلماء، والتفسير والمفسرين، والذي كان نتائج تراكم معرفي هائل في

التفسير، وكان من المفروض أن يكون بدوره قاعدة انطلاق زاخرة لإنتاج التفسير فيما تلاحق من الزمان، وامتد من المكان.

وكانت نيتي قد توجهت إلى التأريخ لحركة التفسير والمفسرين الجزائريين بداية من الفتح الإسلامي، ولكن الموضوع قبل بالشكل الذي انتهى إليه الآن من الاقتصار على القرن التاسع فما بعده إلى يوم الناس وفي ذلك القدر كفاية. فشرعت في إحصاء المفسرين وتدوين تراجمهم وتراجم أشياخهم وتلامذتهم المفسرين، وإنتاج قرائحهم، مع ملاحظة الأسانيد شيء من قضايا التفسير قديما وحديثا.

إشكالية البحث

قرأت كما قرأ غيري للشيخ إبراهيم الإبراهيمي مقولته بمناسبة ختم ابن باديس لتفسير القرآن أنه لم يختم التفسير بأرض الجزائر منذ الشريف التلمساني (871هـ)، فأطلق رحمه الله ولم يقيد مقصوده هل هو ختم التدريس أم ختم التأليف. وهو أمر يثير التساؤل عن مدى دقة هذا الحكم، وهل فعلا تعسر على الجزائريين التأليف في التفسير أو تدريسه، وهم الذين كادوا أن يستوعبوا الفنون تدريسا وتأليفا.

– والسؤال هل للجزائريين اشتغال بالتفسير على تعدد الفرق وتوالي القرون واختلاف الأمكنة، وما هي تآليفهم وأين مصادر وجودها، وما طبع منها؟

– وهل هي على نمط واحد أم اختلفت اختلاف أنماط التفسير من مأثور، وتفسير بالرأي...؟

– وما هو منهجها في ذلك علما أنه وجد إلى جانب أهل السنة، جماعات من الإخوة الإباضية على تعاقب الأزمان...؟

– وهل تأثرت بالحركات الإصلاحية التي اجتاحت الوطن العربي خصوصا، بعد أن ساد التفسير المدرسي، حلقات الدروس وبطون الكتب، أم تجاوبت مع قضايا المجتمع، واهتمامات العصر كلما كان ذلك أمرا ضروريا، ومطلبا معرفيا ذا طبيعة ملحة لا تعفي المفسر من تجاهله..؟

– وما هي الصلات المعرفية بين مدرسة التفسير الجزائرية وغيرها من مدارس مغربية بما فيها الأندلسية، والمدارس المشرقية قديما وحديثا؟

– وهل ختم المفسرون الجزائريون القرآن تدريسا وتأليفا، وما مقدار ذلك، وهل توجد وثائق تثبت أو تنفي ذلك؟

أسباب اختيار الموضوع:

– الرغبة المتأصلة والمستمرة في مطالعة تاريخ الجزائر خصوصا الثقافي منه، والوقوف على منجازات الأفراد والجماعات في خدمة العلم والثقافة، ومدى إسهام كل ذلك في استقرار الدول والكيانات الاجتماعية واضطرابها.

– الولع بمطالعة تراجم الرجال من علماء وأدباء ومتشرعة في طلب العلم ونشره، وما تركوه من تراث ضخم أغنوا به ذاكرة الأجيال، وعمروا الحواضر العلمية، وما رسموه من خط أصيل في خدمة العلم وأهله، والبحث المستمر لأجل الكشف حتى الثمالة عن تراثهم، وامتدادهم في حياتنا الثقافية...

– المباهاة بذلك كله لأهل المشرق وإثبات أن هذا المغرب لم يتأخر عن خدمة العلم والحضارة كلما اقتضت الضرورة ذلك، وكلما واتت ظروف العمران، بل ولو كانت الظروف معاكسة، مما يفتح الباب للجهود الشخصية، والمبادرات الضيقة.

– التأريخ لحركة التفسير الأصيلة ههنا بالجزائر، ومواكبتها لتطورات الوتيرة الثقافية بما يشمل العلم الشرعي، وما أغنت به الواقع من معطى امتداد المرجعية، والاستمرار في التحديث.

أهداف الموضوع:

ـ إحصاء جملة وافية غير نهائية من المفسرين الجزائريين داخل وخارج الوطن، والوقوف على أحوالهم ومؤهلاتهم والعلمية، وإسهاماتهم في الحركة الثقافية...

ـ بذل نهاية الممكن في الجرد الواسع لإنتاج التفسير بوطن الجزائر، ومحاولة الوقوف على المطبوع منه والمخطوط، وتقييد عناوين المفقود منه.

– وصل أسانيد المدرسة الجزائرية في التفسير إسوة بغيرها من المدارس، وبغير التفسير من العلوم الشرعية، والبيانية.

– الكشف عن مناهج المفسرين الجزائريين في التفسير، وعرض عناصر المنهج، لأجل ملاحظة كيف انعكس كل ذلك على شكل التفسير، وأسهم في طريقة صياغته.

– المساهمة في إثراء المكتبة الوطنية، والساحة الثقافية بعرض موسع وجرد ولو كان غير نهائي لقائمة من المفسرين والتفاسير الجزائرية...

دراسات السابقين:

وهذا البحث كا لا يخفى مسبوق بجهود كريمة أسهمت في خدمة هذا الموضوع كل من زاويته التي اختارها، ومن موقعه الذي يتحرك منه؛ ليجمع هذا البحث حسنات ما تفرق في غيره ويزيد عليها مباحث متعددة، ومن زوايا مختلفة؛ ويسعى بذلك لأن يكون أكثر تخصصا من غيره في تناول هذا الموضوع ومعالجة قضاياه...

ـ **التفسير والمفسرون بغرب إفريقيا**: رسالة دكتوره للباحث محمد بن رزق بن طرهوني نشر دار بن الجوزي 1426هـ/ 2005م، وهي جهد جيد ومشكور، ومحاولة جادة في إحصاء المفسرين المغاربة والدلالة على مواضع تآليفهم من مخطوط ومطبوع. ومع ذلك فهي عامة في تفاسير المغاربة، مما جعل عددا لا بأس به من المفسرين الجزائريين بالإضافة إلى إنتاجهم التفسيري يغيب في هذه الدراسة الجادة والجيدة من ذلك: تفسير الفاتحة للسنوسي والمغيلي، وتفسير أبي راس، والخروبي الطرابلسي، ومصطفى آل عزيز، وسعيد كعباش، والتواتي بن التواتي، ومحمد عبد الكريم، الحسين العنابي...إضافة إلى سقوط تراجم مثل: التنسي، وابن زكري، وابن هلال، والهبري المجاوي...

زيادة على أن الدراسة المقدمة أضافت مباحث جذور حركة التفسير بالجزائر خصوصا، مع الإشارة إلى نصوص نموذجية اقتبستها من المعيار المعرب للونشريسي، والجواهر الحسان للثعالبي...، وأيضا من مبحث أسانيد المدرسة الجزائرية، وصلات هذه المدرسة بغيرها من المدارس المشرقية والمغربية، مع الإيجاز في تناول قضايا أساسية من شأن التفسير أن يتناولها.

وتضمن ما قدمته من دراسة استعراض لحركة تدريس التفسير داخل وخارج الوطن، إضافة إلى أنه عند تقديم المشروع لم أكن قد اطلعت بعد على هذه الدراسة الجيدة.

– **معجم المفسرين**: للمرحوم عادل نويهض، وقد استعرض فيه إحصاء واسعا وعريضا للمفسرين عبر العصور ومن بينهم الجزائريون، غير أنه لم يستوف بالإشارة إلى مواطن إنتاجهم من مخطوط ومطبوع وفاته من المعاصرين عدد كثير، ولم يتناول قضايا تفسير، ولا مباحث إسناد، ولا تعرض للتأريخ لتفسير القرآن قديما وحديثا بالجزائر. وهو عمل جيد ودقيق وهو على اختصاره مصدر مهم.

– **التفسير والمفسرون**: وهو للشيخ مختار اسكندر، وهو جزائري الأصل، ومن المفترض أن يأتي عمله في أربعة أجزاء غير أنه لم يصدر إلا الجزء الأول في حدود ما أعلم. حاول فيه صاحبه مشكورا استعراض شخصيات جزائرية عرفت واشتهرت بالتفسير، دون الاهتمام بعرض نماذج من إنتاج التفسير، ولا التعرض لقضاياه، ولا أسانيد المفسرين في ذلك، وقد كان مكونا مهما من مكونات مدرسة التفسير. ومع ذلك فقد أحصى في الجزء الأول عددا لابأس به وله فضل السبق وهو مشكور على ذلك ومأجور

صعوبات البحث:

ولا بد أن أشير هنا إلى بعض ما اعترض الباحث من صعوبات عند بداية بحثه بالخصوص، وقد كان كثير من تفاسير الجزائريين حبيس المكتبات الخاصة، ولم يكن بالإنترنت يومها أعمال كثير من المفسرين كتفسير

الفاتحة للمغيلي، والسنوسي، وأبي راس، وحسين العنابي، ومصطفى آل عزيز، وحاشية البليدي، وتفسير الشيخ طاهر الجزائري، والخروبي الطرابلسي...ومع ذلك فقد بذلت جهدا كان من الممكن أن يكون واسعا في الحصول على ما ذكر وغيره لتحقيق ما تم إنجازه. ولله الحمد.

المنهج المتبع:

ركزت في هذا البحث على عنصر العرْض والوصف أولا، ثم القيام بالتحليل بشكل وجيز لما تم انتهاجه من طرائق التفسير، وما تناوله المفسرون من قضايا التفسير، واكتفيت غالبا بالعرض؛ إذ كانت النصوص المقدمة نفسُها توحي بكثير من التفاصيل والنتائج.

أضيف هنا أنني ترددت كثيرا في تحديد المعيار الفني لشخصية المفسر. هل هو من له إنتاج كامل أو جزئي، أصيل أو مسبوق؟ وهل المفسر هو من تترجم له الكتب بذلك ولو لم يذكر له تأليف، ولم يعثر له على نصوص تفيد أنه اشتغل بتدريس التفسير. وأيضا هل تدريس التفسير كاف لاعتبار المدرس مفسرا؟ وكيف تصنف جهود المتأخرين في تفسير السورة والسورتين؟...

واستقر اختياري أخير على المعيار التالي:

- أن يكون له تفسير مخطوط أو مطبوع ولو مفقودا.
- أن يترجم له العلماء بالمفسر.
- أن يشتهر بتدريس التفسير.

أوجزت في ترجمة المفسر بالاقتصار على من عرف من شيوخه باتفسير، تدرسيا أو تأليفا، وكذا على تلامذته بنفس الشرط، تخلصا من التطويل بالتراجم، علما بأن التفسير وشخصية المفسر تقتضي تحصيلا وافرا لمقادير كافية من مختلف العلوم، وأهلية تكاد تصل درجة التخصص في علوم الآلة وغيرها، ومتابعة لمختلف علوم الوقت كما هو مشاهد في التآليف المعاصرة.

أعطيت الأولوية للمصادر والمراجع الجزائرية كلما كان ذلك ممكنا، ثم المغربية، ثم المشرقية تأكيدا للصبغة الجزائرية لهذا الموضوع من جهة المخطوطات والمطبوعات والقضايا، وكتب الأسانيد والتراجم والطبقات، للدلالة على وجود إنتاج وفير خضع لتأريخ وطني في مهماته وكثير من تفاصيله.

الخطة المتبعة في البحث:

تناولت دراسة موضوع مدرسة التفسير بالجزائر منذ القرن التاسع الهجري واتجاهات التفسير وقضاياه عند أهل السنة والإباضية في فصل تمهيدي وفصلين اثنين على الطريقة التالية:

الفصل التمهيدي: خصصت المبحث الأول منه لضبط بعض المفاهيم والتي منها الجغرافية السياسية للجزائر في القرن التاسع الهجري، وأصل التسمية وكيف حلت محل التسمية القديمة " المغرب

الأوسط"، وأجبت عن إشكال أن بعض المفسرين خصوصا من الشرق الجزائري كانوا في فترات طويلة تحت حكم السلطان الحفصي، كما تطرقت لمفهوم المدرسة سواء المعرفي منه وأنه اتجاه نظري أو المفهوم الأكاديمي الذي يعني وجود أمكنة محددة للدراسة ومشايخ وطلبة ومقررات علمية...كما تطرقت لمفهو التفسير من جهة التعريف به والحاجة إليه ومصادره ومثلت لمصادره المختلفة من تفاسير الجزائريين.

وأما المبحث الثاني فخصصته لوصل أسانيد المدرسة الجزائرية فس التفسير بمصادرها الأولى شرقا وغربا، إذ كانت الإجازات والفهارس والأثبات تقليدا معمولا به من قبل القرن التاسع الهجري وإلى يوم الناس هذا، وحاولت أن أصل به إلى هذا الزمان. فوجدت نسبة كبيرة من الأسانيد دارت على ابن مرزوق الحفيد المتوفى (842هـ)، وقد توفرت له أسانيد ابن حجر العسقلاني المصري (852هـ)، وقد وصلت أسانيد التفسير إلى زمان ابن باديس وتلامته في القرن الرابع الهجري.

الفصل الأول: أعلام وإنتاج مدرسة التفسير بالجزائر

أما المبحث الأول منه فقد استعرضت فيه أسماء أعلام التفسير مرتبة تاريخيا بداية من سعيد العقباني (811هـ)، إذ كان من أوائل المفسرين الجزائريين وفاة في فاتحة القرن التاسع كما تشير إليه سنة الوفاة أعلاه، والبسيلي وإن كان قد قيد تفسيره أواخر القرن الثامن عن ابن عرفة إلا أنه متأخر الوفاة (830هـ)، وتنتهي قائمة المفسرين الجزائريين بالدكتور الشيخ التواتي بن التواتي إذ اكن لا يزال على قيد الحياة حفظه الله عام 2019م. وقد ركزت في ترجمة المفسر على مشايخه وتلامذته وإنتاجه في التفسير ولك أتوسع إلى غير ذلك خوف ازدياد حجم الكتاب، فقد كان غالبهم معروف الترجمة في الكتب قديما وحديثا. ومعيار المفسر هو ما أشرت إليه أعلاه، وقد توسعت قليلا في بعض من أطلقت عليهم مفسرين.

وفي المبحث الثاني استعرضت إنتاج التفسير عند المفسرين المذكورين بنفس الترتيب السابق، وأوجزت العبارة حيث يكون التفسير مطبوعا متدولا، وحاولت أن أعرف بالمخطوط أو المطبوع غير المتداول.

الفصل الثاني: قضايا ومنابره واتجاهات التفسير...

وقد تضمنت هذه التفاسير على اختلاف أنواعها من جهة المنهج والزمان والمكان قضايا متعددة بعضها تشريعي وبعضها اجتماعي، والثالث حول بعض قضايا اللغة في تفاسير الجزائريين وكل ذلك بالإيجاز الشديد وأحيانا شديدا جدا اكتفاء بالإشارة عن طول العبارة، وإحالة على دراسات سابقة معاصرة ولاحقة.

كما تناولت تحت عنوان قضايا التفسير المعالجة الصوفية لبعض الحقائق القرآني لكون كثير من التفسير جاء صوفيا أو مفسروه صوفية...، كما تناولت بالدراسة منابر التفسير بالمدرسة الجزائرية، وصلات المفسرين الجزائريين بغيرهم في العالم الإسلامي، والتفسير المدرسي والإصلاحي.

وختمت الموضوع بمجموعة نتائج توصل إليها الباحث.

النتائج المتوصل إليها:

بعد استعراض قائمة طويلة من المفسرين، جمع كثير منهم سيا المتقدمين منهم شروط المفسر وأهلية التفسير، غطوا بإنتاجهم القرون المتتالية، وكانوا بجهات الوطن الأربع ، وبعد عرض قرائح هؤلاء المفسرين، واستعراض الأسانيد المتعددة والمتنوعة ومقررات هذه المدرسة من تفاسير مشرقية ومغربية، وبعد أن تعرضنا لجهود علمائنا المستمرة في ترسيخ تقاليد درس التفسير سواء لخواص طبقات طلبة العلم أو الجمهور العريض من رواد المساجد والزوايا... تبين بعد هذا وغيره ما يلي:

1 _ وجود مدرسة تفسير جزائرية أصيلة ومنذ وقت مبكر، على الأقل بمفهومها الأكاديمي حيث وجدت لها أماكن للدراسة ومشايخ مؤهلين، ومقررات تدريس مشرقية ومغربية، وجمهور عريض يتجاوز النخبة من طلبة العلم. كما لها إنتاج غني من التفسير.

2 _ . اشتهار هذه المدرسة بأعلام جزائريين مقتدرين، كان كثير منهم من ذوي الثقافات الموسوعية، قد جمعوا في كثير من الأحيان مؤهلات التفسير من إحاطة بالثقافة الشرعية المتخصصة في الحديث والفقه...إلى قدرة في مجال علوم الآلة من لغة وبلاغة ونحو...بل لهم في كل ذلك تآليف تجاوزت حدود زمانهم وأماكنهم، وصارت مصادر معرفية على أكثر من صعيد.

3 _ تعدد اتجاهات المدرسة الجزائرية واستمرار تنوع مناهجها من سنية وأخرى إباضية، ومن تفاسير أقرب إلى المأثور، وأخرى تنتهج الرأي القريب من المأثور. كما أنها تعرضت لنفس النمطية التي جرت عليها التفاسير بالمشرق حيث غلب على مجملها الشكل المدرسي الذي يعمد إلى الاستكثار من اللغة من نحو وبيان، ومناقشات كلامية مطولة، وتعرض لمسائل فقهية مذهبية كثيرا ما كان التفسير ميدانا لترجيح بعضها على بعض سواء داخل المذهب أو خارجه مما يوجد في مذاهب أخرى فقهية. كما أنه في كثير من إنتاجه حمل باستمرار صبغة صوفية تحولت في كثير من الأحيان إلى تفسير جديد إشاري ملحق بتفسير الظاهر الذي هو الأساس.

4 _ خضوع حركة التطور فيها إلى نفس المؤثرات المحيطة من غلبة التقليد، وصيغة الحواشي والإختصارات...وفي المجال المعرفي إلى مواكبة لحركات الإصلاح سواء فيما يخص التفسير باستبعاد العناصر الدخيلة على التفسير، والتي يفترض أن يجري معالجتها في أماكنها الأنسب لها من لغة وفقه وكلام، أو الإلحاح على المفسر ليتم التعاطي مع القضايا المستجدة وعلى أكثر من صعيد وطني في

مواجهة موجات الاحتلال وأولويات التحرر، أو القضايا الاجتماعية والاقتصادية، ومحاربة التقليد والغزو الفكري.

5 _ وفرة إنتاجها بين قديم وحديث، من تفاسير كاملة وأحرى جزئية، إلى أعمال أصيلة لمؤلفين جزائريين أو إضافات لجهود مشرقية أو مغربية سابقة. وهذه الوفرة تنوعت إلى إنتاج مكتوب وأخر مذاع في الإذاعة بالخصوص وثالث مسموع في الدروس والحلقات بالمساجد والزوايا والنوادي...

6 _ حاجة هذا الكم الكبير والمتنوع إلى الخدمة بالتحقيق والنشر عبر الوسائل التقليدية والحديثة وتسهيل الحصول عليه للأجيال؛ لما في ذلك من حماية للوحدة الفكرية، ودعم لعناصر المرجعية الوطنية، في أهم أسسها وهو تفسير كلام الله، والتعرف على المتاهج المتبعة، واختيار الأنسب منها، والأقوم لنشره والتعريف به، والرجوع إليه.

7 _ الاستفادة من محاولات التقارب بين جناحي هذه المدرسة من سنية وإباضية، وتشجيع محاولات تبادل النصوص، وأنماط التفسير، وتوحيد مصادر التفسير، وتقريب وجهات النظر في تفسير الآيات عموما، وآيات موضوعات الاختلاف سواء في العقيدة أو الفقه، وصياغة ذلك كله في تفسير موحد يراعي الخصوصيات في أضيق دوائرها.

9 – دعوة القائمين على المساجد، وكبار الكفاءات العلمية إلى مواصلة جهود التفسير، الصوتية والمكتوبة في الجامع والجامعة، وعبر وسائل التواصل التقليدية والحديثة... والإشادة بالمنهج الوسط الذي سارت عليه المدرسة الجزائرية في التفسير إذ لم تجنح كثيرا للمأثور الضعيف، ولا التأويلات الباطنية... ولا حملت تعصبا وعصبية...وأغلت الباب أمام دخول الفرق والنحل المختلفة مما كان كثيرا بالمشرق.

10 _ استكمال هذا البحث والتوسع فيه لإحصاء أكبر ما يمكن من أعيان المفسرين، والبحث على إنتاج التفسير في المكتبات العامة والخاصة مما لم يستطع الباحث أن يصل إليه...وباب البحث مفتوح ومجاله واسع، والكلمة الأخيرة فيه لم تقل بعد.

وفي الختام لا يفوتني أن أذكر وأشكر من أعانني على نشر المقال وخصوصا الأخ الحبيب الدكتور براهمي الطاهر، فلطالما استحثني على إنجاز الرسالة في وقتها، وكان السبب الأكيد في السعي لطبع المقال الأول، والحصول على الوعد بطبع المقال الثاني.

أسأل الله التوفيق لما فيه الخير، والسداد والهداية لسبيله القويم.

الملخص:

إن مدرسة التفسير في الجزائر أصيلة في انتمائها، متنوعة في اتجاهاتها من سنية وإباضية، مدرسية وإصلاحية، تنطلق من الأثر الثابت، وتنتهي في كثير من الأحيان إلى التعاطي مع قضايا العصر المتجددة، لها أعلامها الشامخة، مقرراتها المحررة، ومناهجها العلمية، ومنابرها المتعددة، وإنتاجها الوفير، وأسانيدها الثابتة المصدر؛ لتشترك في النهاية مع غيرها من مدراس التفسير في العالم الإسلامي شرقا وغربا في الكثير المتنوع والمنفتح على الجديد.

الكلمات المفتاحية: التفسير، المدرسة، الجزائر، المجتمع.

L'école d'interprétation en Algérie est d'appartenance authentique, variée dans sa direction, allant du sunnite à l'ibadi, en passant par l'école et la réforme, et finissant souvent par traiter des questions de l'époque moderne, avec ses drapeaux distingués, ses décisions et ses programmes scientifiques, Bumper, et ses sources fixes, à partager éventuellement avec d'autres écoles d'interprétation du monde islamique est et ouest dans un contexte diversifié et ouvert sur la nouvelle.

Mots–clés: interprétation, école, Algérie, société.

The school of interpretation in Algeria is authentic in its belonging, varied in its direction from Sunni and Ibadi, school and reform, starting from the fixed impact, and ends often to deal with the issues of the modern era, with its distinguished flags, its decisions and its scientific curricula, Bumper, and its fixed source sources; to eventually share with other schools of interpretation in the Islamic world east and west in a diverse and open lot on the new.

Keywords: interpretation, school, Algeria, society.

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية
مجلة علمية عالمية محكمة
Jordan Journal of Islamic Studies
An International Refereed Reasearch Journal

المملكة الأردنية الهاشمية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمية

جامعة آل البيت
عمادة البحث العلمي

الرقم : ٣٢٧/ع.ق/٢٠١٨/ ٥٧٠

التاريخ : ٢٠ شعبان ١٤٣٩ هـ

الموافق : ٠٦ أيار ٢٠١٨ م

الباحث بلحاج جلول المحترم

وزارة الشؤون الدينية والاوقاف – الجزائر

الايميل : tbrahmi13@gmail.com

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ؛

فيسرني إبلاغكم أن هيئة تحرير **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية** قررت قبـول نشر بحثكم الموسوم بـــ :

" **المعالجة الصوفية للحقائق القرآنية عند المفسرين الجزائريين** "

بعد أن تم تحكيمه وفقاً لقواعد التحكيم العلمي السري المعمول به في **المجلة**.

وسيتم نشره في عدد قادم من أعداد **المجلة** إن شاء الله .

متمنياً لكم التوفيق،،

رئيس هيئة تحرير

المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية

أ. د. أحمد ياسين القرالة

تصدر بدعم من صندوق دعم البحث العلمي في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، عمان - الأردن ومقرها في جامعة آل البيت، المفرق - الأردن
Published by Suppot From Scientific Research Fund, Ministry of Higher Education & Scientific Research, Amman - Jordan Based at Al-al-Bayet University, Mafraq , Jordan

هاتف : (٠٠٩٦٢ ٢ ٦٢٩٧٠٠٠) ـ فرعي ٢٥٢٤ فاكس : (٠٠٩٦٢ ٢ ٦٢٩٧٠٦٧) ص.ب (١٣٠١١١) المفرق ٢٥١١٣
Tel. (962-2) 6297000 Ext.2524 , Fax. (962-2) 6297067 , P.O.Box , 130111 , Mafraq 25113
E-mail:jorjis@aabu.edu.jo

المعالجة الصوفية

للحقائق القرآنية عند المفسرين الجزائريين.

بلحاج جلول – جامعة تلمسان – الجزائر –

المستخلص: يعنى هذا البحثُ أساسا بعرض طريقة تناول بعض المفسرين الجزائريين قديما وحديثا لجملة من الحقائق القرآنية من جهة كونهم من أعلام الصوفية في زمانهم أو كونِ عملهم قد تضمن نصوصا أو صبغة أو مصطلحات تنتمي إلى خطّ التصوف؛ الذي ظل سائدا قرونا طويلة ههنا عموما بالمغرب وخصوصا بالجزائر. ولأجل هذا وغيره أتعرض لمن اختار شكلا من أشكال معالجة الآية أي بيان تنزيل حقائقها على طريقة التفسير الصوفي، كيف تعامل مع ظاهر التفسير أو المأثور الوارد فيه. هل توسع في مدلوله أو تجاوز ذلك إلى إحلال غيرِه محلَّه. ومن جهة أخرى هل جمع بين الظاهر والتأويل في تدوين التفسير أم اكتفى بذكر المعاني الإشارية بعد تسليم الظاهر.

وهو هنا أعمّ من أن يكون إشاريا لكون مقادير منه ليست أكثرَ من لغة صوفية، وأخرى أخلاقا إسلامية وجدتْ أكثر ما تكون في كلام وتآليف الصوفية، ومن ذلك ما هو إشاريٌ بحتٌ وقع ذكرُه مجردا عن التفسير بالظاهر. وأيضا أتعرض لمن أنكرَ هذا الشكلَ من التفسير؛ بل شطَبَ على خطّ التصوف نفسِه. دون أن أترك ما ينبغي ذكرُه من التدليل والتعليل للموقفين، وترجيح ما أراه راجحا من جهة منطق المعرفة أو الأمر الواقع.

الكلمات المفتاحية: التفسير، التصوف، الظاهر، التوسع، التأويل، القرآن، المدلول، المعاني.

Traduction:

Sufi Treatment Of the Qur'anic facts in the Algerian interpreters.

Learned: This research essentially means the way in which some of the Algerian interpreters have recently been approached for a sentence of Qur'anic facts from the point of being a Sufi flag in their time or the fact that their work has included texts, dye or terminology belonging to the line of mysticism, which has prevailed for centuries, generally here in Morocco and especially A in Algeria. For this and others, I am exposed to those who have opted for some form of the treatment of the verse, a statement to be downloaded on the Sufi interpretation method, how to deal with the apparent interpretation or the adage contained therein. Does it extend or exceed its meaning to replace it with another? On the other hand, it is a combination of the apparent and the interpretation of the codification or merely the indicative meanings after the apparent handover.

It is more general to be indicative of the fact that it is not more than a Sufi language, and other Islamic morals that are most often found in the words and authorship of Sufism, which is a purely ashkari that has just been mentioned as an abstract explanation. I would also be exposed to those who denied this form of interpretation; it was written off on the same line of mysticism. Without having to leave what is to be said of the pampering and the reasoning of the two positions, and the weight of what I see as a sense of knowledge or fait accompli.

Keywords: interpretation, Sufism, appearance, expansion, interpretation, Quran, meaning, meanings.

المقدمة

إن تفسير القرآن إضافة إلى أنه حاجة دينيةٌ لعموم المؤمنين يقتضيها حسنُ التدبر وسلامة التطبيق والاقتداء، فهو حاجة معرفية لكون القرآن الكريم وقع محورا لكثير من المعارف الشرعية واللغوية... وقد اجتهد المفسرون في بيان القرآن بعد الذي ثبتَ عندهم من جواز ذلك بشروطه، واتساعِ مجال القول في ذلك البيان إذ كان ما وقع من التفسير عن النبي عليه السلام محدودا، تضمنت الصحيحَ منه وغيرَه كتبُ السنن والصحاح.

هذا وإن أشكال ذلك البيان قد تعددت بتوالي العصور، واختلاف مشارب المفسرين العلمية والتربوية. والذي يهمّ الباحثَ هنا هو ما وجد من تفاسير متصوفة أو نصوص صوفية في ضمن تفسير الآيات والسور؛ بل إن بعضها رافق التفسير بالظاهر إلى نهايته كما هو عند الخروبي الطرابلسي، وبعضها الآخر اكتُفِي به عن ذكر ظاهر التفسير كما في عمل الأمير عبد القادر على ما يأتي بيانه بإذن الله.

موضوع البحث

ولما كنتُ قد وجدت هذا الشكلَ من التفسير قد عُرف في أعمال كثير من المفسرين الجزائريين ممن تفاسيرهم معتمدَةٌ لدى قارئ التفسير عموما، وكنت قد وجدت تناول حقائق الآية القرآنية أي طريقةَ عرضها وصبغها أو تضمين بيانها بعضَ اصطلاحات التصوف. وأن ذلك يكون على أشكال مختلفة منها مجرد استعمال اللغة الصوفية، أو إرداف التفسير بالظاهر ببعض المعاني الإشارية مما له بهذا الظاهر وجه مناسبة، أو مجرد التركيز على الأخلاق الإسلامية التي يتوسع فيها عادة في كتب التصوف، وأيضا ترك الظاهر مع التسليم به إلى المعاني الإشارية التي قد يحتاج في إدارك مناسبتها لظاهر الآية إلى شكل من التدقيق وإعمال الفكر بتعبير القدماء. وكلّ هذا وجد في تفاسير امتدت من القرن التاسع الهجري إلى القرن الخامس عشر منه.

مشكلة البحث

وتنحصر مشكلة البحث في محاولة معرفة بعض مواضع هذا الشكل من التفسير بعد عرض جواز التفسير به، ومعرفة بعض أعلامه من الجزائريين، وعلاقته بالتفسير الذي يقتضيه الظاهر، وما موقف مفسري الإباضية منه، وهم ينتمون إلى الجزائر ومدرستها في التفسير.

أسئلة البحث:

أحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن جملة من الأسئلة منها: ما موقف المفسرين الجزائريين من التصوف والتفسير الصوفي، وما هي أشكال ذلك التفسير؟ وما موقفه من ظاهر ما تفيده الآيات الكريمة؟ وما مناسبة الخروج عما يقتضيه ظاهر اللفظ الشريف؟ ومن من المفسري الجزائريين قد أنكر ذلك اللون منه وسبب ذلك؟ وكيف تعامل أيضا مع مأثور التفسير الوارد بالمحل المراد بيانه؟

أهداف البحث:

1 – بيان عمل جملة من الأعلام الجزائريين في التفسير عموما والتفسير الصوفي منه.

2 – بيان وجود إنتاج في التفسير على طريقة الإشارة ومكان ذلك في منتَج التفسير .

3 – بيان موقف المفسرين بطريق الإشارة من ظاهر اللفظ الشريف للآيات والمأثور الوارد بخصوصها.

4 – بيان مناسبة العدول عن ظاهر اللفظ إلى الإشارة.

مصطلحات البحث

ظاهر التفسير، ومأثور التفسير، المعاني الصوفية، التفسير الإشاري.

منهج إجراءات البحث

ومنهج البحث هنا هو عرض نماذج مختلفة عند كل مفسر مع تحليل وجه المناسبة بين ما يقتضيه ظاهر الآيات وما تم ذكره مما تشير إليه الآيات وهل ذلك من قبيل التوسع في التطبيق أو التفسير باللازم أو كون ذلك تجاوزا للظاهر إن وجد. كما ألتزم التحليل والتعليل بتوسط متجنبا قدر الإمكان وضع نتائج مسبقة لا تجري على نسق البحث العلمي.

خطة البحث

مقدمة تتركز أساسا حول الموقف قديما وحديثا من التفسير الإشاري، والاستدلال للقائلين به، وأيضا من لم يعتبر كلام الصوفية أصلا ذا دخل في التفسير وغيره؛ بل رفض التصوف جملة واحدة وأغلظ القول لمنهجه ونتائجه، بل وأهله كما هو عند جملة المفسرين من مذهب الإباضية.

صلب الموضوع:

أستعرض فيه بداية من فترة الثعالبي وهو من أوائل من وصل تفسيره من الجزائريين مدونا، وإلى أبي بكر الجزائري وهو من أواخر المفسرين فيهم. مع بيان وجه مناسبة المعنى الإشاري لظاهرالتفسير، وبيان موقف المفسرين الجزائريين عموما من التفسير بالظاهر والمأثور.

الخاتمة:

أسجل فيها جملة من نتائج البحث والتي تعكس طبيعة ذلك التفسير وحدوده وقيوده، وعقلية المفسر الجزائري لبيان أثر البيئة الثقافية في تكوين شخصية وذهنية المفسر.

مقدمـة.

يوجد في تفسير القرآن الكريم ألوان شتى من البيان فمرّة يكون ذلك بالمأثور وما يدل عليه ظاهر النص الشريف، ويكون أخرى بالتوسع فيما جاء به المأثور ومدلول الظاهر، ويكون ثالثا بتجاوز المأثور والظاهر معا. فمن الأول مثلا تفسير قوله (غير المغضوب عليهم والضالين)[سورة الفاتحة: 07] باليهود والنصارى، ومن الثاني التوسع في مدلول الغضب والضلال ليشمل من انطبق عليه ذلك ولو كان من الأمة المحمدية، وكتفسير بعض أئمة التصوف (أن تذبحوا بقرة)[سورة البقرة:67] البقرة بالنفس، وما هو مطلوب من التشديد والمخالفة عليها. ومن الثالث ما في تفاسير الباطنية من البرهان على رجعة الأئمة آخر الزمان والتمكين من أعدائهم تحريفا لقوله تعالى (الذينَ إنْ مكنّاهم في الارض أقامُوا الصلاة) [سورة الحج:41]، وقوله (ربَّنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)[سورة غافر: 11]، مما هو من قبيل أساطير الأولين.

والذي يهمّ الباحثَ هنا بخصوص المفسرين الجزائريين هو ما ينتمي إلى الشكل الثاني، فقد وجد في تراثهم مجموعاتٌ من منتَج التفسير، منه ما قام على أساسٍ أن تُتبَع فيه الآياتُ بإشارات التصوف، ومنه ما تضمن بحوثا لموضوعات صوفية. وتختلف طبيعة المعالجة المشار إليها بين مجموعة وأخرى، فهي عند الثعالبي والسنوسي مثلا تستوفي الظاهرَ من التفسير، وتَصبغ بعض الأوامر والنواهي بصبغة روحية كما سأعرضها في النماذج المختارة. حيث يكتفي المفسر فيها غالبا بنقل كلام مشايخ الطريق كالجنيد والغزالي...ويعود من جهة المصادر إلى مثل رسالة القشيري، والإحياء للغزالي والحكَم ولطائف المنن لابن عطاء الله بشرح ابن عبّاد وغير ذلك...

بينما نجد عند المجموعة الثانية شكلا آخر يذكر فيه إلى جانب التفسير الظاهر ما تشير إليه الآية من المباحث الصوفية ذات الطبع العملي أو التأمل الفلسفي كما هو عند الخروبي الطرابلسي في الأول، ومصطفى العلوي في الثاني، وهو أكثر ما يكون عند الأمير عبد القادر في **المواقف** حيث تجدُه يقتصرُ على تناول مضمون الآية من جهة المعاني الروحية والفلسفية دون أن يكون في ذلك تعرضٌ للظاهر ولا مناقضةٌ لمعانيه.

صلب البحث:

أولا: التفسير الإشاري:

أ – تعريف التفسير الإشاري: وأريد هنا وقبل أن أعرض لنماذج من التفسير الصوفي في تفاسير الجزائريين، أن أتطرقَ إلى التفسير الإشاري من جهة تعريفه وموقف العلماء منه. فقد عُرف هذا الفن من التفسير في وقت مبكر في التراث الإسلامي، ولم تستقر بشأنه الآراء، فهو من جهة التعريف هو: **تأويلُ القرآن بغير ظاهره؛ لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمعُ بينها وبين الظاهر والمراد أيضا.**

وأقتصر على هذا التعريف لوضوحه وكفايته لما أنا بصدده. فالتفسير الإشاري على هذا إذن هو صرفٌ للآية عما تفيده من المعاني الظاهرة، وإن مبرر ذلك الصرفِ هو وجودُ إشارة خاصة في نص الآية، ولا تظهر تلك الإشارة من جهة أخرى لغير قوم خاصّين نعتهم أنهم " من أرباب السلوك وعلماء التصوف."، ثم هو من جهة أخرى صرفٌ لا يستلزم دائما منافاةَ المعنى الظاهرَ للآية؛ بل مهما بدتْ بينهما المنافاةُ وجبَ الجمع بين المعنى الظاهر والإشاري. وهو أمرٌ ممكن وقد حصل فعلا على رأي من يقول بالتفسير الإشاري.

ب – آراء العلماء في التفسير الإشاري: كما أنه من المهمّ بعد التعريف السابق أن أستعرضَ بإيجاز آراء العلماء في هذا اللون من التفسير، إذ كان منهم من أجازه ومن ذلك ما وجد فعلا حتى في إنتاج المفسرين الجزائريين، علما أنهم من أشدَّ الفئات محافظةً من الوقوع في البدع العلْمية على الأقلّ، ومنهم من منعه وحملَ على القائلين به يحذرُ من تفاسيرهم عبر التاريخ. وإليك ايها القارئ العزيز شيئا من أقوال العلماء مسندة إلى مصادرها لتعرف وجه الصواب في ذلك:

– كلام بدر الدين الزركشي: ممن تطرق إلى حكم التفسير الإشاري بدر الدين الزركشي[1]، ففي كتابه **البرهان في علوم القرآن** ما يفيد أنّ "كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل: إنه ليس بتفسير، وإنما هو معانٍ ومَواجيد يجدونها عند التلاوة، كقول بعضهم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ)[سورة التوبة: 123] إن المرادَ النفسُ. يريدون أن علّة الأمر بقتال من يَلينا هي القربُ، وأقربُ شيءٍ إلى الإنسان نفسُه."[2]. وكما تراه فهو لم ينسبْ هذا الرأيَ لقائل، ولا ذكرَ له كتابا خاصا كمثال، وليس ذلك إلا لكثرة الذاهبين إليه.

وفي المثال المقدّم يظهر جليا المعنى الذي اتكأ عليه المفسرُ بالإشارة وهو معنى القرب الذي تشير إليه لفظة (يَلُونَكم) في الآية الكريمة. وجعله مناسبة كافية لصرف الآية عن ظاهرها المتبادر إلى غيرها مما يحتاج إلى توجيه وربما إلى تكلف التوجيه كما ههنا.

– كلام ابن الصلاح: بينما نرى ابنَ الصلاح[3]في فتاويه أكثر وضوحا، بحيث ذكرَ مثالا للمفسِّر بالإشارة، ونصّ على المصدر؛ بل أنت تراه قد أصدر حكما عقّب به على الحكم الغليظ الذي أصدره الإمامُ الواحدي المفسّر الكبير المعروف. فقد قال ابن الصلاح ما نصّه:" وجدتُ عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسّر، أنه قال: صنَّف أبو عبد الرحمن السُّلَمي[4](حقائق في التفسير)، فإن كان قد اعتقدَ أن ذلك تفسيرٌ فقد كفرَ. قال ابنُ الصلاح: وأنا أقول: الظنُّ بمن يوثقُ به منهم إذا قال شيئا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرا، ولا ذهب به مذهبَ الشرح للكلمة؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلكَ الباطنية[5]؛ وإنما ذلك منهم تنظيرٌ لما ورد به القرآن؛ فإن النظيرَ يُذكرُ بالنظير. ومع ذلك فياليتَهم لم يتساهلوا بمثل ذلك؛ لما فيه من الإبهام والالتباس."[6].

---

[1] – الزركشي:محمد بن بهادربن عبدالله الزركشي من كبار فقهاء الشافعية واصولي ومحدث، أخذ عن جمال الدين الإسنوي والسراج البلقيني، والعماد بن كثير وناهيك بهؤلاء...له تصانيف عديدة له حاشية على البخاري اختصارها السنوسي الجزائري، وله البحر المحيط في أصول الفقه، وشرح على جمع الجوامع... وله البرهان في علوم القرآن طبع مرات عديدة وهو ما يهمنا هنا. ولد 745هـ، وتوفي 749هـ. له تراجم وافية في كتب التراجم. انظر كبقات الأصوليين 209/2.

[2] _ مناهل العرفان في علوم القرآن 2/ 79.

[3] – ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمان صلاح الدين الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، انتقل من بلده شهرزور إلى الموصل ثم إلى بيت المقدس سكن دمشق حيث توفي بها من كبار علماء الحديث والفقهاء له شرح الوسيط في فقه الشافعية، وله أدب المفتي والمستفتي، وله طبقات الشافعية، واشتهر بعلوم الحديث اختصر فيه ما تقدم ووقع اعتماده بالتدريس والشرح والنظم والاختصار. راجع تراجم أعلام موسوعة الفقه الإسلامي 264/1.

[4] – السلمي: محمد بن حسين بن محمد السلمي، من كبار متقدمي الصوفية والمتكلمين. له تصانيف فيها جملة من الأحاديث الموضوعة. وقال الذهبي أيضا عن تفسيره: ألف حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية، نسأل الله العافية. توفي 412هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي 247/17-255.

[5] – **الباطنية:** فرقة تحكم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا. ولهم اسماء كثيرة فيسمون الباطنية، والقرامطة والمزدكية والتعليمية والإسماعيلية. وقد قدماء الباطنية كلامهم ببعض كلام الفلاسفة...المعجم الفلسفي، عبد الرحمان مرحبا، دار الكتاب العربي، لبنان، 1982م، (ط01) 196/1.

[6] _ مناهل العرفان، المرجع نفسه. 2/ 79.

وهذا النص الدقيق فيما يبدو للباحث يشير إلى الخلاف العنيف في شأن ما عُرف من التفسير بالإشاري، وكيف أن المتقدمين لم يتسامحوا بخصوصه، إذ كان حديثَ عهد بالظهور كما يظهر من تسمية بعض الذاهبين إليه وهو هنا أبو عبد الرحمان السلمي، وعبارة الواحدي تعكس ذلك الرفض الشديد. والواحدي هنا يمثل خطا متوقعا في الشطب على هذا اللون.

وفي هذا النص أيضا وهو ما سأركز على التنبيه إليه مرارا فيما يأتي أن ذلك المسلك في صرف ظاهر الآية **إنما ينطلق من وجه مناسبة** قد يبديها المفسر، أو يوجه غيرُه كلامَه بها كما فعل ابن الصلاح هنا بكلام السلّمي المذكور.

واعتذار ابن الصلاح رحمه الله إنما هو عن الذين وقع منهم هذا اللونُ من التفسير لكلام الله والمعروفِ انتماؤهم لأهل السنَّة، ووضوحُ خطهم في متابعة الكتاب ومأثور التفسير، وسلامة هديهم من البدع العلمية التي تنسب إلى الباطنية؛ ولا أدقّ تمثيلا لهؤلاء، وأحرى بالنسبة إليهم كالمفسرين الجزائريين كما ستراه لاحقا. وأيضا ما وجده ملائما من التناظر بين ظاهر اللفظ في (يلُونكم من الكفار) مثلا، ونفسِ الإنسان التي تلِيه إذ كانت بين جَنبيه. وليس من القصد هنا التعقيب وإنما مجرد العرْض.

ونظرا لخطورة تجاوز المعاني الظاهرة لكلام الله، والإحالة على معانٍ له باطنية يختص بمعرفتها قومٌ دون قوم على فرض صحتها، فقد جعل علماءُ أهل السنة في عقائدهم مقرراتٍ تفيد كما قال النسفيُّ في عقائده[7] أن " النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطل إلحادٌ.". اهـ. قال التفتازاني في شرحه[8]: " سميت الملاحدةُ باطنيةً؛ لادعائهم أن النصوصَ ليست على ظاهرها بل لها معان لا يعرفُها إلا المعلّم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية. قال: وأما ما يذهبُ إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيقُ بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان." [9].

وانظر كيف عمل توالي العصور على تلطيف الحكم على التفسير بالإشارة، والاكتفاء بتقييده بشروطه العلمية، والتحذير من إطلاق القول به؛ إذ كان ذلك دين الباطنية وديدنَهم في الخروج من الشريعة وإبطال تكاليفها، وإسلام نصوص الوحي إلى عبث البيان.

وتقرير التفتازاني الشارح لكلام النسفي المصنف ضروري لضبط حدود هذا الشكل من التفسير بما يضمن سلامة التفسير بالمعاني الظاهرة لكلام الله تعالى من المخالفة عليها؛ إذ كانت هي عمادَ الشريعة والدين. وتحفُّظه من إطلاق التخطئة لمحاولة إدراج المعاني المستفادة من الإشارة بجانب شيءٍ من معاني الظاهر سليمٌ وضروري أيضا؛ لأنه يحفظ لمن سلك ذلك المسلكَ من أئمة الإسلام أقدَارهم، وينفي عن عقائدهم الزيغَ وعن سعيهم الخطَل. ثم هو من جهة أخرى يحفظ حسناتِ هذا المسلك ومستحسنِ نتائجه مما يمكن أن يكون معانيَ متوقعة بل واقعة قد يستفاد منها في بيان كلام الله، إذ كان التفسير إنما هو بيان كلام الله تعالى على قدر الطاقة البشرية.

– كلام أبي بكر ابن العربي: وسأختم هذا العنصر بما قاله ابن العربي المالكي[10]، في شأن التفسير الإشاري فهو يبين موقفَه منه؛ ففي كتابه **العواصم من القواصم** لا تراه يرى أن للقرآن باطنا غيرَ ظاهره على عكس ما تدعيه النّحلة الباطنية، وما هو مسطرٌ في " رسائل إخوان الصفا"، ولم يمنعه إجلالُه لشيخه الغزالي في تصديه للرد على الباطنية والفلاسفة أن يخالفَه في كثير من المناحي منها هذه الحيثية

---

[7] - عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات (ت 710هـ) عبد الله بن أحمد بن محمود النّسفي، أبو البركات، من المفسرين المشهورين ومن كبار فقهاء الحنفية والأصوليين، والعلماء العاملين، أصله من نسف مكان بلاد ما وراء النهر . أخذ عن أعلام كثيرين وروى الحديث. كان ينتصرُ للصوفية من أهل وحدة الوجود. انظره في الدرر الكامنة: 167/6.

[8] - هو سعد الدين التفتازاني الفقيه الحنفي والعالم المشهور، ولد بقرية **تفتازان** بخراسان (سنة 722 هـ) أخذ عن عضد الدين الإيجي المتوفى (سنة 756 هـ)، وتخرج عليه في علم الكلام والأصول والمنطق والبلاغة وتخصص فيها، وناهيك به. له تآليف في التفسير والبلاغة والعقائد. (توفي 791هـ). الدرر الكامنة لابن حجر 350/4.

[9] _ مناهل العرفان 2/ 79.

[10] – محمد بن عبد الله بن أبي بكر الإشبيلي المعروف بابن العربي، فقيه مالكي. رحل إلى المشرق وألف وناظر. له كتب نافعة في الفقه والأصول وله في التفسير أحكام القرآن كبير ومختصر، وله عارضة الأحوذي في شرح الترمذي مطبوع، كما في المسالك في شرح موطأ مالك، وله العواصم من القواصم وهو ما يهمنا النقل عنه هنا. من شيوخه أبو حامد الغزالي، وقد تعقبه في أمور. توفي بمراكش من أرض المغرب 543هـ. ودفن بفاس. طبقات المفسرين 167/2-171.

المذكورة من تجاوز المعاني الظاهرة للآيات القرآنية. و" قد كان أبو حامد بدرا في ظلمة الليالي، وعقْدا في لِبَّة المعالي، حتى أوغل في التصوف، وأكثر معهم التصرف، فخرج عن الحقيقة، وحاد في أكثر أقواله عن الطريقة." اهـ[11].

وقد تولى الدفاع عن هذا الشكل من التفسير مفسرون من داخل الخط، وهم ممن نُقل عنهم نصوص كثيرة تفسّر الآيات القرآنية والأحاديث بالمعاني الإشارية المستفادة من الظاهر. إذ نجد السيوطي في الإتقان ينقل عن ابن عطاء الله في كتابه **لطائف المنن** كلاما واضحا يفرّق به بين طبيعة تفسير الصوفية وتفاسير الباطنية، فقد قال ما نصّه: " اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالةً للظاهر عن ظاهره؛ ولكن ظاهر الآية مفهومٌ منه ما جاءت الآية لهُ ودلّت عليه في عُرف اللسان؛ ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبَه. وقد جاء في الحديث: لكلّ آية ظهرٌ وبطْن؛ فلا يصدنّك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالةٌ لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالةً لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا؛ وهم لايقولون ذلك بل يقررون الظواهرَ على ظواهرها مرادا بها موضوعاتُها، ويفهمون عن الله ما ألهمَهم. اهـ." [12].

فكلام ابن عطاء الله يتضمن تعريف التفسير بالإشارة أولا وأنها مما يحتمله اللفظ الشريف الموحى به، ويتضمن أن ذلك هو الفارق بين كلامهم وكلام الباطنية القائلين بأن المعنى الباطن ليس للآية الحديث معنى سواه. فالأول مقيد ببيان الوضع اللغوي واحتمال مدلوله، والثاني مطلق عن ذلك ساع في النقض عليه.

_ تقييد تفسير الصوفية عند ابن جزي[13]: ذكر الخروبي قولا لابن جزي يتعلق بتفسير الصوفية وغيرهم عند تفسير قوله تعالى (فاذكروني أذكركم)[سورة البقرة:152] نورد تفسير الخروبي أولا فقد قال: " قوله (فاذكروني أذكركم) قال سعيد بن المسيب معنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب. وفي تفسير أحمد بن نصر الداودي: وعن ابن جبير اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن. انتهى.". وساق الشاهد فقال:" قال ابن جزي رحمه الله تعالى: قد أكثر المفسرون لاسيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معان مخصوصة ولا دليل على التخصيص."[14]. ولم يتعقبه الخروبي بغير ما ذكر بعد هذا مباشرة لموافقته له في الحدّ المعلوم في تفسير النصوص عموما وأولاها القرآن الكريم والحديث.

بل إن من المفسرين من لا يجعل ما يذكرُ عن الصوفية من قبيل التفسير بل من قبيل ما تصلحُ الآية أن تشهد له، فقد قال ابن عاشور[15]أن ذلك منسوبٌ لهم إذ قال: " أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه، فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدّعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سمّوها إشارات ولم يسمُّوها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية." [16].

---

[11] _ التحرير والتنوير 1/ 35 نقلا عن ابن عربي.

[12] _ مناهل العرفان 2/ 79.

[13] – ابن جزي: محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي أبو القاسم، من الفقهاء والأصوليين والمفسرين. ألف تآليف مفيدة موجزة فيها كثير من حسن التصنيف والتحقيق منها: القوانين الفقهية، وتقريب الوصول في الأصول، والتسهيل لعلوم التنزيل في التفسير وكلها طبعت مرارا ووقع اعتمادها وعم النفع بها. توفي رحمه الله شهيدا 741هـ. انظر طبقات المفسرين 09/1.

[14] _ الخروبي، رياض الأزهار مخطوط لوحة 33 ظهر. وانظر ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، الدرا العربية للكتاب، لبنان ب ت، ص:63.

[15] – ابن عاشور: محمد الطاهر الطاهر بن عاشور التونسي درس بتونس ووالده من العلماء المصنفين، ودرس بالزيتونة سنين طويلة وتولى خطة القضاء والإفتاء وتقلد مشيخة الإسلام وشيخا للجامع الأعظم. اشتغل ابن عاشور بالإصلاحي الإجتماعي فحاضر وناظر وزار المشرق العربي وأوربا، وعمل عضوا بالمجمع اللغوي بمصر ودمشق، وألف وصنف من ذلك تفسيره الكبير الخطير التحرير والتنوير طبع مرارا، وكتبت حوله وحول تفسيره رسائل وأبحاث. توفي 1393هـ. معجم المفسرين لعادل نويهض 541/2.

[16] _ التحرير والتنوير، المرجع السابق. 1/ 32.

– كلام عبد العظيم الزرقاني من المعاصرين[17]: وممن خاض في التفسير وتعرض للاتجاهات الواقعة فيه الزرقاني في مناهل العرفان. نورد منه النصُّ التالي ففيه ما يضبط التفسيرَ الإشاري أن يخرج إلى التفسير الباطني، فقد قال: " ومن هنا يُعلم الفرقُ بين تفسير الصوفية المسمّى بالتفسير الإشاري، وبين تفسير الباطنية الملاحدة؛ فالصوفية لا يمنَعون إرادةَ الظاهر بل يحضُّون عليه ويقولون لا بد منه أولا. إذ من ادعى فهمَ أسرار القرآن، ولم يحْكِم الظاهرَ كمن ادعى بلوغَ سطح البيت قبل أن يجاوزَ الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غيرُ مراد أصلا، وإنما المرادُ الباطن وقصدُهم نفيَ الشريعة." [18].

وإن بعض المفسرين المعاصرين ليحْملون في تفاسيرهم وبعنف على التصوف مرّة وعلى أهله أخرى، ولا يفوّتون الفرصةَ في التشهير بأخطاء أهل الطريق، وبانحراف طريق الصوفية نفسه. ونحن نضربُ لك أمثلة لذلك فعند الشيخ أبي بكر الجزائري[19]، وهو في خصومة الصوفية بالمحلّ المعروف، يهمزُ إليهم مرةً ويصرح مرّات عديدة كما في النص التالي: " ويبين تعالى الحقيقة لرسوله والمؤمنين وهي أن هذه الدعوى اليهودية ما هي إلا فِرية افتراها علماؤهم؛ ليهونوا عليهم ارتكاب الجرائم، وغشيان عظائم الذنوب، كما حصل للمسلمين في القرون المظلمة من تاريخ الإسلام حيث أصبح مشايخ التصوف يُدَجِّلون على المريدين بأنهم سيستغفرون لهم ويغفر لهم. ثم قال تعالى مستعظماً حالهم مهوِّلاً موقفهم: (فكيف) أي حالهم. (إذا جمعناهم ليوم لا ريبَ فيه)[سورة آل عمران: 24] وهو يوم القيامة كيف تكون حالهم إنها حال يعجز الوصف عنها، (ووفّيتْ كلُّ نفس ما كسبتْ)[سورة آل عمران: 25] من خير أو شر، وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم إن كانت لهم حسنات، ولا بالزيادة في سيآتهم وما لهم إلا السَّيئات." [20]. فهو إذ يغلطهم فيما لهم من مذاهب القول لا عجب أن يرميَهم بالتشنيع والتبديع إذ راموا تفسير القرآن على ما لهم من طريقة، وما يختارونه من التعبير.

ويجد المطالع للتفسير عند الشيخ محمد بن اطفيش[21]رفضا لكلّ معنى من معاني التفسير بالإشارة، مما ينسب إلى الصوفية، ويظهر أن هذا الموقفَ هو عامّ عند مفسري الإباضية؛ لوجوده عند كثير من علمائهم بما فيهم المفسرون فيما اطلعنا عليه. فقد ذكرَ عند قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى)[سورة الضحى:] بعد أن أورد ما ارتضاه هو من التفسير مما هو من قبيل الظاهر أن من المفسرين من قال " وقيل (يتيماً): درة يتيمة أي لا نظير لها أي لا نظيرَ لك في قريش، فآواك إليه وجعلك في صدفة اصطفاه؛ وهذا التفسير ومثله في القرآن مما لا يجوز." [22]. ولم يلتزم في رده بشيء من أدلة البحث كما هي عادته في أقوال التفسير التي لا يرتضيها.

وفي نص ثان نجد الشيخ يعدّد ما ورد عن الصوفية إذ لم ينسب ما ذكره إلى خصوص مفسريهم في معنى (والضحى والليل إذا سجى)[سورة الضحى: 01]، ولا يتردد في رفضها فهو يقول: " وقد قيل إشارة لا تفسيراً (الضحى) وجهه صلى الله عليه وسلم،

---

[17] – محمد بن عبدالعظيم الزرقاني من كبار علماء الأزهر الشريف في القرن الماضي. تخرج من كلية أصول الدين وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. له تآليف نافعة منها في الحديث وغيره. والذي يهمنا النقل منه هنا كتاب: مناهل العرفان في علوم القرآن وقد خصص فيه للتفسير بابا نافعا. كثر به التنفاع في الدراسات الحديثة. قامت حول كتابه هذا دراسات عديدة. توفي 1367هـ. انظر في ترجمته الأعلام للزركلي 210/6.

[18] _ مناهل العرفان في علوم القرآن، المرجع السابق. 2/ 79.

[19] – أبو بكر جابر الجزائري: قرأ على الشيخ الطيب العقبي رفيق ابن باديس، وكلاهما من المصلحين، وهاجر إلى الحجاز في السبعينات من القرن الماضي فدرس عند عمر بري ومحمد الحافظ ومحمد الخيال ورئيس قضاتها وخطيب مسجدها النبوي الشيخ عبد العزيز بن صالح. واشتغل بعدها بالتدريس بالمسجد النبوي. له تآليف منها ما هو في التفسير وهو كتاب معروف طبع مرارا وعليه حاشية وعنوانه: " أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وهو مطبوع في أربعة مجلدات كبار. ووضع له حاشية سماها: نهر الخير طبعت بهامشه." [19]. وقد لقي تفسيره قبولا كثيرا من شرائح مختلفة. وألقى دروسا في التفسير في الإذاعة بالمسجد النبوي. توفي عام **2016**م. معجم المطبوعات العربية 248/1، علماء ومفكرون عرفتهم 27/1.

[20] _ أيسر التفاسير للجزائري159/1.

[21] – محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطْفَيَّشْ، من كبار مفسري الإباضية وفقهائهم المعاصرين ومن رجال النهضة الإصلاحية بالجزائر الحديثة... له تآليف في فنون كثيرة منها الفقه والتفسير وهو ما يهمنا إذ له فيه ثلاثة تفاسير: **هميان الزاد ليوم المعاد في ستة أجزاء**: في التفسير مطبوع في 14 عشر جزءا، والتيسير في التفسير في 07 أجزاء: وهو مطبوع في سبعة أجزاء. وتفسير ثالث بعنوان **داعي العمل ليوم الأمل** لم يكمل من سورة الرحمان إلى سورة الناس. وافاه الأجل عام 1332هـ/1914م. معجم أعلام الجزائر: 101– 102.

[22] _ تيسير التفسير، المصدر السابق. 450/12

و(الليل) شعرُه أو (الضحى) ذكورُ أهل بيته، (والليل) إناثهم أو (الضحى) رسالتُه و(الليل) زمانُ فتور الوحي، أو (الضحى) نورُ علم الله الذي يعرف المستور من الغيوب، و(الليل) عفوُه الساترُ للعيوب، أو (الضحى) إقبالُ الإسلام و(الليل) إدباره، بدأ الدين غريباً ويعود غريباً، أو (الضحى) كمالُ العقل و(الليل) زواله بالموت ولا يحلّ التفسير بشيءٍ من هؤلاءِ الإشارات."[23]. ولهوان هذه الأقوال عنده لم ينسبها لقائل بل صدرها بقيل التي هي عند كثير من أهل العلم للتضعيف، ولم يشغل نفسَه كما هي عادته بردها من جهة اللغة وأصول الصنعة العلمية.

وفي نص ثالث يفسر الآية التالية بما يرتضيه، وينسب إلى الصوفية قولا يراه شاذا عن صحيح التفسير ويُغلظ لهم العبارة فهو يقول: " (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ)[سورة النحل:68] ألهمها، شبِّه الإلهام بما وضع له الإيحاء وهو الكلام الخفي، كما أخرج اللبن من بين الفرْث والدم، كذلك أخرج العسل من النحل، وزعمت الصوفية المبطلة – قبحهم الله – أن لسائر الحيوانات أنبياءَ ورسلا ووحيًا من الله عز وجل بالملائكة إليها، وكذا زعم بعض الحكماء أن لها نفوسًا ناطقة."[24]. وتعميم التقبيح الوارد في النص لا يختص بالتفسير الصوفي أو المفسرين منهم بل لعموم منهجهم الذي لا يراه اطفيّش تعبيرا صحيحا عن حقائق القرآن كما يأتي في نص لاحق.

وفي نص رابع بعد أن يفسر (يا أيها المدثر)[سورة المدثر: 01] بما يراه تفسيرا صحيحا للآية يذكر ما قاله الصوفية في تفسير لفظ (المدثر) ونص كلامه: " وقيل (المدثر) الغائب في حراء أو في ثيابه أو في صورة عن الحقيقة المحمدية أو عن أنظار الخلق فلا يعرف حقيقته إلا الله تعالى، والقولان للمتشدقين الصوفية قبحهم الله عز وجل يغيّرون القرآن عن ظواهره إلى ما هو خارج عن معناها."[25]. وهذا الغمز بالتشدق في طريقة فهم الصوفية للقرآن، وما يدّعونه لأنفسهم من الخصوصية في فهم القرآن وتأويله ليس آخرَ حدّ النقد عند اطفيش لكلام الصوفية بل مقدمة لتقبيح حالهم وتسفيه أقوالهم في كلام الله.

بل إن الشيخ اطفيش رحمه الله يجعل من أقوال التفسير عند الصوفية معيارا للخطأ في تفسير كلام الله، فكل كلام للمفسرين يقرب من كلامهم وتفسير يشبه تفسيرَهم فهو ضعيف؛ فقد قال عند تفسير قوله تعالى: " (هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْل)[البقرة:25] أن هذا رزقناه في الجنة هو الذي رزقنا الله في الدنيا من المعارف والطاعات، أي جزاؤها هو يتفاوت بتفاوتها في اللذة، ووجه الشبه والشرف والمزية وعلّو الطبقة، فذلك كقوله جلّ وعلا (ذوقوا ما كنتم تعملون)[سورة العنكبوت: 55]؛ لكن هذا في الوعيد وآية البقرة في الوعد. وتفسيرها بهذا قريب من تفاسير الصوفية وبمقدار قربها منها يضعف لأن تفاسيرهم لم يأذن الشرع بها، وبها خرجوا عنه إذ اعتقدوا أنها معان نزل القرآن على إرادتها، أعاذنا الله – جل وعلا – والله أعلم."[26]. فتفاسيرهم في كلمة واحدة لم يأذن بها الله. وكرر ذلك كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى :" (لإلى الله تُحْشَرُون)[سورة آل عمران: 158] أي تجمعُون إلى محبوبكم أي إلى دار كرامته. وهذا كلام صوفي أصلحته وذكرته، ولا يجوز تفسير الآية به؛ تعالى كلام الله عن تفاسير الصوفية التي لا يقبلها الكلام، ولو صحّت في المعنى."[27]. وهذا التعميم في رفض كلام الصوفية في التفسير ومنهم أئمة الإسلام، وكثير من معانيه صحيحة، لا تلغي الظاهرَ ولا تتجاوزه؛ إنما هو تحامل واضح لا يبرره سوى الموقفُ العام من التصوف وأهله، والذي قد يكون مبنيا على اختلافات – مهما كثرت – جزئيةٍ علمية كانت أو عملية.

وقاعدة الشيخ اطفيش في ردّ تفاسير الصوفية ومن ثم الحملُ على سائر طريقهم العلمي والعملي نستفيدها من النص التالي " وقيل المعنى ومما خصصناهم به أنوار معرفة الله جلّ وعلا يفيضون، وهذا القول والذي قبله أظنهما للصوفية أو لمن يتصوف، وليس تفسير الصوفية عندي مقبولا إذا خالف الظاهر، وكان تكلفاً أو خالف أسلوب العربية، ولا أعذرُ من يفسر به، ولا أقبل شهادته وأتقرب إلى الله

---

[23] _ تيسيرالتفسير 477/12.

[24] _ تيسيرالتفسير 127/5.

[25] _ تيسيرالتفسير 472/11.

[26] _ همیان الزاد إلى دار المعاد 188/1.

[27] _ همیان الزاد إلى دار المعاد 301/3.

تعالى ببغضه والبراءة منه، فإنه لو كان في نفسه حقاً لكان جعله معنى للآية أو للحديث خطأ، لأنه خروج عن الظاهر وأساليب العرب الذين يتخاطبون بها وتكلّف من التكلّف الذي يبغضه الله."[28].

ونجد عند الشيخ بيوض[29]وهو من الإباظية المعاصرين الجزائريين حملا على رموز التصوف من القباب وتعظيم الوثن ففي تفسير قوله تعالى (بل اتبعَ الذين ظلموا أهواءَهم بغير علم فمن يّهدي من أضلّ الله وما لهم من ناصرين)[سورة الروم:29]؛ يفسر للناظر ذلك الموقف العام من رفض تراث التصوف جملة بما فيه التفسير احتياط من أن يؤدي قبول شيء منه إلى أخطاء في العقيدة نفسها. فهو يتخذ من تفسير آيات العقيدة مناسبة لتصحيح بعض الأوضاع العقائدية ومعالجة بعد الظواهر، ومحاربة أخرى بناء على أنها أخطاء يجب إبعادها عن حقائق الدين وهو أمر نجده أكثر وضوحا عند الإباضية فمثلا عند تفسير قوله: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: 41]. يقول الشيخ بيوض " ولنبين خطورة هذا المعتقد فإن كل الذين اتخذوا أولياء من دون الله إنما اتخذوهم من أجل طلب النفع ودفع الضر، وهذا ما لا يمكن أن ينكره أحدٌ." [30]. وهذا أمر متفق عليه عند من يتخذ من دون الله وليا، ولأجل ذلك احتج الخليل عليه السلام على قومه لما حكم الأصنام (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ)[الشعراء: 73]).

ولم يَفُتِ الشيخَ بيوضا رحمه الله في دروس التفسير أن يلاحظ على بعض الظواهر السائدة في المجتمع الجزائري عموما وفي بني مزابْ بالخصوص من أن اعتقاد النفع الضرر في غير الله من الشرك الصريح فقد قال " فالذي يذهب إلى ضريح أو قبة أو ولي...وهو يعتقد أنه ينفع أو يضر ليذبح فيه أو يقيم وليمة، أو يعلق خرقة، أو يفرغ زيتا، أو يتصدق فيه بما وجده معه، لم يفعل هذا إلا وهو يعتقد أنه ينفع أو يضر. وإلا لما جئتَ هذا المكان وصاحبه قد أفضى إلى ربه، ولا تعلم حاله عنده. وإذا كنت تعتقد أنه عبد صالح، وكنت تدعو له بالجنة فإن عمله قد انقطع فماذا تقصده بهذه الزيارة لولا أنك ترجو منه النفع ودفع الضر...ترى هل أمر الله بالتمسح بالأحجار وتقبيلها؟"[31]. ولا شك أن كثيرا من الصوفية لا يمانعون من ذلك فوجب رد قولهم جملة وتفصيلا.

وعند قوله تعالى (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم)[سورة الروم 29]: يُردِف قائلا " وكانت عندنا في البلدة قبّة تسمى " **لالَّة خضراء** "، وقد قضينا عليها وأراحنا الله منها والحمد لله منذ سنوات عديدة، وقد سألتُ أنا بنفسي شِيبا وشبابا ممن كانوا يتقربون إليها: تعالوا أخبروني عن لالّة خضرة هذه التي جعلتم لها قبة في هذا المكان، تشعلون فيها الشموع..."[32].

وعلى خلاف مفسري الإباضية نجد مفسري أهل السنة يدرجون كلامَ الصوفية في كثير من المواضع من تفاسيرهم. وهذا اللون من التفسير الصوفي مختلف بين تفسيرٍ هو أشبهُ ما يكون بالتوجيهات الأخلاقية، كما هو عند الثعالبي والسنوسي والخروبي إلى حد ما، وتفسير فلسفي يضيف إلى الظاهر ما لا يُلغيه؛ بل يتوسع في مدلول الظاهر بأحد أنواع الإشارة المتضمنة، كما هو عند الأمير عبد القادر في المواقف، ومصطفى العلوي في البحر المسجور...، ومن قبلهم أحمد التجاني.

ـ تأخر ظهور التفسير الصوفي في تفاسير الجزائريين: تأخر ظهورُ التناول الصوفي للآيات القرآنية بمقدار تأخر ظهورِ خطّ التصوف نفسِه، والذي يهمّ الباحثَ هنا هو ما يتعلق بخصوص المفسرين الجزائريين مما وجد في تراثهم كمجموعات من منتَج التفسير؛ ذلك أنّ منه ما قد قام على أساس أن يُتبع بيانُ وتفسير الآيات القرآنية بإشارات التصوف، ومنه ما تضمن بحوثا لموضوعات صوفية عولجت في التفسير

---

[28] ـ همیان الزاد إلى دار المعاد 79/1.

[29] – ولد إبراهيم بن عمر بيوض بمدينة القرارة بولاية غرداية من أرض الجزائر، وتلقى العلوم الشرعية عن جملة مشايخ منهم الحاج عمر بن يحي، وقد اختص به ولازمه وناب عنه في التدريس. كان بيوض يرى " أن إصلاح الفرد والمجتمع لا يتم إلاّ على نور كتاب الله الحكيم تلاوةً وتفسيرًا، فشرع في تفسير القرآن الكريم في مسجد القرارة الكبير بدايته." [29]. وقد امتد هذا التفسير ليشغل سنوات طويلة من عمره، وجمع تلامذته تفسيره من خلال تسجيل دروسه اليومية بالمسجد، وطبع غير كامل بعنوان: **في رحاب القرآن**. وقد توفي 1982م. معجم أعلام الجزائر 244.

[30] . في رحاب القرآن، الشيخ بيوض 162/9.

[31] . في رحاب القرآن، المصدر نفسه. 162/9.

[32] – في رحاب القرآن 228/10.

نفسه. وتختلف طبيعة المعالجة المشار إليها بين مجموعة وأخرى، فهي عند الثعالبي والسنوسي مثلا تستوفي الظاهرَ من التفسير، وتصبغ بعض الأوامر والنواهي بصبغة روحية. بينما نجد عند المجموعة الثانية شكلا آخر يُذكر فيه إلى جانب التفسير الظاهر ما تشير إليه الآيةُ من المباحث الصوفية ذات الطابع العملي أو التأمل الفلسفي كما هو عند الخروبي الطرابلسي و**كتاب المواقف**. وإذا كان مجموع منْ قدمتُ يلتزمون ذكرَ ظاهرِ ما تفيده ألفاظُ الآية وهم – بعد تسليم هذا الظاهر– إنما ينونَ عليه من جهة التوسع فيما يفيده من المعاني. وإن كان ذلك التوسع يكون أحيانا غيرَ ذي علاقة واضحة كما يوجد في كلام الشيخ العلوي، فإنّ الأمير عبد القادر لا يلتزم في تفسيره ذكر ما قيل في الآية من جهة الظاهر بل هو بعد تسليمه في الجملة، يهتمّ باستيفاء ما تشير إليه من المعاني بالمصطلح الصوفي...

_ التفسير الصوفي عند الثعالبي (875هـ): وأبدأ بالشيخ الثعالبي[33] فإن منهجه وإن كان " منهجا تحقيقيا في أساسه وطابِعه العام فإنه لم يخلُ من طابع صوفي واضح، إذ كان هو نفسُه صوفيا سنيا لا يذهب مذهبَ الحلول والغوص في مذهب وحدة الوجود."[34].

وأمثل للثعالبي خصوصا على صور عدة منها ما يَحكي فيه عند تفسير الآيات أقوالَ بعضِ مشايخ التصوف قد يسميهم وربما ترك التسمية إلى نعتِ السلوك كقوله: بعض الصالحين. وأحيانا ينقل من مصادر معتمدة في التصوف كالإحياء وغيره... فهو عند تفسيره لقوله تعالى (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) [26 سورة الطور]: يورد حديثا، ويثني على ذلك بنقل ما يشرح مضمونه من كلام أئمة التصوف كالغزالي وغيره: " وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: " إنَّ في الجَنَّةَ لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمْعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، وَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: واللَّهِ، لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ واللَّهِ، لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً. "انتهى. وقد أشار الغَزَّاليُّ وغيره إلى طَرَفٍ من هذا المعنى، لَمَّا تكلَّم على رؤية العارفين للَّه سبحانه في الآخرة، قال بعد كلام: ولا يَبْعُدُ أَنْ تكونَ ألطاف الكشف والنظر في الآخرة متواليةً إلى غير نهاية، فلا يزالُ النعيمُ واللَّذَّةُ متزايداً أبَدَ الآبادِ، وللشيخ أبي الحسن الشاذلي[35] هنا كلام حسنٌ قال: لو كُشِفَ عن نور المؤمن لعُبد من دون اللَّه، ولو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي لطبق السماء والأرض، فكيف بنور المؤمن المطيع؟! نقل كلامه هذا ابن عطاء اللَّه وابن عَبَّاد[36].انظره."[37]. ومن ذكرهم الثعالبي في هذا النص بالخصوص هم أئمّة الصوفية، وقد سلّم كلامَهم وهم أهل لذلك، تدعمه عموم أدلة ثواب التوحيد والعبادة.

وفي نص آخر يعقّب الثعالبيّ على ما ذكره من تفسير الآية بما نسبه لأئمة التصوف: " (تُ): وهذا كلّه تغليظٌ على المرَائِينَ والمتصنِّعين، ولا خلاف أعلمهُ بين أربابِ القلوبِ وأئمَّةِ التصوُّفِ أن المتَصَنِّعَ عندهم بهذه الأمور مَمْقُوتٌ، وأما مَنْ غَلَبَه الحالُ لِضَعْفِهِ وقَوِيَ الوارِدُ عليه حتى أذْهَبَهُ عَنْ حِسِّه؛ فهو إن شاء اللَّهُ مِن السادةِ الأخْيارِ والأولياء الأبرار، وقَد وَقَعَ ذلك لكثير من الأخْيارِ يَطُولُ تَعْدَادُهم...ومن كلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في قواعده الصغرى قال: وقد يصيحُ بعضُهم لغلبة الحال عليه، وإلجائها إياه إلى الصياح، وهو معذورٌ في

---

[33] – عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي الجزائري المغربي المالكي، (توفي 875هـ)، من كبار العلماء والمفسرين، ومن أعلام الصوفية السنية له زاوية مشهورة بالجزائر العاصمة. له تفسير الجواهر الحسان في التفسير اختصر فيه المحرر الوجيز لابن عطية وزاد عليه زيادات كثيرة، ولقي تفسيره شهرة كبيرة، وله في الفقه شرح المدونة، وشرح ابن الحاجب مخطوطان، وغير ذلك كثير. أخذ عن ولي الدين العراقي وابن مرزوق ورحل إلى المشرق بداية القرن التاسع الهجري... انظر شجرة النور الزكية (ص/265)، والضوء اللامع للسخاوي (152/4).

[34] _ التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، للطرهوني. 704/2.

[35] – أبو الحسن الشاذلي: علي بن عبد الله أبو الحسن الشاذلي المغربي، شيخ الطريقة الشاذلية المعروفة والتي هي أصل كثير من الطرق الصوفية بالمغرب الإسلامي خصوصا. أخذ عن العارف عبد السلام بن مشيش من أعلام صوفية زمانه، وعلى يديه تربى. وأظهر أبو الحسن الشاذلي التصوف بتونس، ومنها رحل إلى الأسكندرية. من أهم أتباعه أبو العباس المرسي المشهور. توفي الشاذلي متوجها إلى مكة 656هـ. ترجم له الذهبي في العبر 112/2.

[36] – ابن عباد الرندي من اهل رَنْدَة بها ولد من أرض الأندلس 733هـ، من أتباع الطريقة الشاذلية ومن مشايخها، رحل إلى طنجا وراكش، ثم إلى تلمسان وخطب بفاس وبها توفي 792هـ. له تآليفُ منها: الرسائل الكبرى في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات، وله شرحٌ على حكم ابن عطاء الله مشهور بعنوان: غيثُ المواهب العلية بشرح الحكم العطائية، وله شرح أسماء الله الحسنى، كما له نظم سماه: بغية المريد، نظم به الحكم العطائية. الأعلام 345/1.

[37] _ تفسير الثعالبي 4/ 2.

هذا. ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم في شيء. وكذلك من أظهر شيئا من الأحوال رياءً أو تسميعا فإنه ملحَق بالفجّار دون الأبرار."[38]. وواضح صلة هذا بموضوعات التصوف وكلام الصوفية وحالهم.

ومن ذلك ايضا ما قد قاله عند تفسير قوله تعالى (ليسوا سواء)[سورة آل عمران: 173] بعد أن تكلّم على قيام الليل وأنه لا يكون كذلك إلا إذا كان من كلّ الأمة كلَّ الليل : وهكذا كان صدرُ هذه الأمة، وعَرف الناس القيامَ في أول الثلث الآخر من الليل، أو قبله بشيء، وحينئذ كان يقوم الأكثر. والقيام طولَ الليل قليل، وقد كان في الصالحين من يفعله." [39]. وقال في موضع آخر من تفسير هذه الآية " وذكر بعضُ الناس قال: " ودخلتُ مع بعض الصالحين في مركب. فقلتُ له: ما تقول أصلحك اللهُ في الصوم في السفر؟ فقال لي: إنها المبادرةُ يا ابنَ الأخ. قال المحدثُ: فجاءني والله بجواب ليس من أجوبه الفقهاء." [40]. يقصد والله أعلم أنه وإن كان الفطر في السفر رخصة بتعبير الفقهاء إلا أن العزم والمبادرة إلى الخيرات قبل حصول الفوات يقتضي صومَه ولو مع قيام داعي رخصة الإفطار. والشاهد هو النقل عن من صفتهم أنهم صالحين وأرباب مجاهدات وأحوال لا تتبع رخص وإن كانت شرعية وهو أمر يلزمون به أنفسهم لا غير.

وأحيانا يكون ذكرُ الكلام عاما فيه نفَسُ كلام الصوفية، والثعالبي منهم عند قوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو)[سورة الأنعام: 32] ومثاله: " هذا ابتداءُ خبرٍ عن حال الدنيا، والمعنى أنها إذا كانت فانية لا طائلَ لها أشبهت اللهوَ واللعبَ الذي لا طائل له إذا تقتضّى. وهذه الآية تقتضي الردّ على قولهم (إن هي إلا حياتُنا الدنيا) [سورة المومنون:37] وهو المقصود هنا. قال عبد الحق في **العاقبة**: اعلم رحمك الله أن حبّ الدنيا هو سبب طول الأمل، والإكبابَ عليها يمنع من الفكرةَ في الخروج عنها، والجهل بغوائلها يحمل على الإرادة لها والازدياد منها؛ لأن من أحبّ شيئا أحبّ الكونَ معه، ومن كان مشغوفا بالدنيا محبا لها قد خدعتُه بزخرفها وأمالتْه برونقها، كيف يحبّ مفارقَتها أو يحبُّ مزايلتها؟ هذا أمر لم تجر العادةُ له، ولا حدثنا عنه. بل نجد من كان على هذه الصفة أعمى عن طريق الخير، أصمّ عن داعي الرشد أفِنَ الرأي سيّءَ النظر، ضعيفَ الإيمان. لم تترك له الدنيا ما يسمعُ به، ولا ما يرى. إنما دينه وشغله وحديثه دنياه، لها ينظر ولها يسمع، قدملأت عينَه وقلبه. ثم قال: واعلم أن أهل القبور إنما يندمون على ما يتركون، ويفرحون بما يقدّمون؛ فما عليه أهل القبور يندمون، أهل الدنيا عليه يقتتلون." [41] انتهى. وهو قليل مما يسمح به التوسع في مدلول الآية وكون الدنيا لعبا ولهوا.

وشبيه هذا ما نقله تحت تفسير قوله تعالى (فليستجيبوا لي)[سورة البقرة: 186] قال ابنُ عطاء الله في **لطائف المنن**: وإذا أراد الله أن يعطيَ عبدا شيئا وهبه الإضطرارَ إليه فيه فيطلبَه بالاضطرار فيُعطى. وإذا أراد الله أن يمنع عبدا أمرا منعه الإضطرار إليه فيه ثم منعَه إياه؛ فلا يُخاف عليك أن تضطرّ وتطلبَ فلا تُعطى، بل يخاف عليك أن تحرَم الاضطرارَ فتحرم الطلبَ أو تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاءَ." انتهى. ووجه تعلق ما ذكره بالدعاء الوارد طلبه في الآية واضح فهو منه بعد تمام تقليب حال الداعي.

وأختم بعد هذا بهذا النص عن الغزالي في الإحياء أورده المفسر عند قوله تعالى (كذلك يبين اللهُ لكم الآياتِ لعلّكم تتفكرون)[سورة البقرة: 219] بعد أن استوفى المأثور عن ابن عباس. قال الغزالي: العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فإنها مصيرُه ومستقرّه. فيكون له في كلّ ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة، فإن نظر إلى سوادا ذكر ظلمة اللّحد، وإن نظر إلى صورة مروّعة تذكرا منكرا ونكيرا والزبانية، وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور، وإن رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة، وإن سمع كلمة ردٍّ أو قبول تذكر ما ينكشف له من آخر أمره بعد الحساب من ردّ أو قبول. وما أجدر أن يكون هذا هو الغالبَ على قلب العاقل، لا يصرفه عنه إلا مهماتُ الدنيا. فإذا نَسبَ مدةَ مقامه في الدنيا إلى مدة مقامه في الآخرة استحقرَ الدنيا إن لم يكن أغْفِل قلبه وأعمِيت بصيرتُه."[42]انتهى.

وانظر ما نقله الثعالبي مما هو من قبيل الطُّرَف في التفسير وغيره عند قوله تعالى (كلّما دخل عليها زكرياء المحرابَ وجد عندها رزقا)[سورة آل عمران:37] نقلا عن ابن أبي جمرة بعد عرض مأثور التفسير: وقد قال العلماء في معنى قوله عز وجل (إنّ الله يرزقُ من

---

[38] _ تفسير الثعالبي:323/3.

[39] _ تفسير الثعالبي:360/1.

[40] _ تفسير الثعالبي:360/1.

[41] _ تفسير الثعالبي:617/1. نقلا عن كتاب العاقبة لعبد الحق الإشبيلي.

[42] _ تفسير الثعالبي:205/1.

يشاءُ بغير حساب)[سورة آل عمران: 37]: إنه الفُتوح إذا كان على وجهه.[43]" انتهى. وهو توسع في تفسير مدلول الرزق بحسب المشيئة لا بخصوص سعيِ العبد وكدّه، وواضح شمول معنى ذلك لخصوص هذا وغيره.

_ التفسير الصوفي عند السنوسي (995هـ): إن توجه السَّنوسيّ الصوفي ليس بدّعا بين أقرانه وأهل زمانه العلماءِ منهم وغيرهم؛ ولأجل ذلك لا يفوتُه خصوصا وهو يفسر أن يستفيد المعانيَ الصوفيةَ من ذلك، عن طريق ربط الألفاظ القرآنية بمعانيها الروحية المتضمنة لها، كقوله مثلا عند تفسير (بسم الله الرحمان الرحيم) " وفي ذلك ما يشدُّ عضُدَ الإخلاص وحسن النية المطلوبة في الأعمال سيما عند ابتدائها، فإنه إذا استحضر العبدُ البسملةَ أن جلائل النّعم ودقائقَها بيد الربّ تبارك وتعالى لم يُعامِلْ بعمله سواه جلّ وعلا، ولم يطلب الجزاءَ إلا منه تبارك وتعالى؛ بل إذا تأمل فوق ذلك عرف أن من رحمته تعالى توفيقَ عبده الضعيف العاجز للشروع في ذلك العمل إذ لا خالقَ سواه تبارك وتعالى، فيستحيي العبد عند ذلك أن يذكر نفسَه في ذلك العمل فضلا عن غيره من سائر الممكنات، فيفنى بذكر منَّةِ الربّ تبارك وتعالى في توفيقه لذلك العمل عن طلب الجزاء عليه من المولى جل وعلا فضلا عن غيره."[44]. وهذا القدر كما ترى أخي القارئ توسعٌ في مدلول الظاهر لا مخالفةَ فيه. وفيه ما قرأتَه من استعمال **الحال والفناء** وغيره مما هو من خصوص كلام الصوفية.

وأيضا عند قوله تعالى (إياك نعبدُ وإياك نستعين)[سورة الفاتحة:] بعد ذكر الدين وأنه لله تعالى: " أرشدهم سبحانه هنا بفضله إلى ما يتقربون به إليه، وينالون به النجاةَ والنعيم السرمديَّ لديه في يوم الدين، وهو التوجه إليه تبارك وتعالى وحده بالعبادة، وهي امتثال الأوامر والنواهي على سبيل كمال الذلّ والخضوع. ولما كان العبادُ – مغمورين بالعجز والجهل وكثرة الملل وغلبة الهوى – هدفا لما لا يحصى من الموانع والقواطع أرشد سبحانه بمحض فضله إلى ما يتحصن به العبادُ من ذلك وهو الاستعانة به جلّ وعلا واستمطار الهداية منه تبارك وتعالى."[45]. وهو كلام طيب يوافق مقصود الآية.

وفيما يلي نصٌّ آخر وهو على طوله يتضمن بعضَ كلام الصوفية، وما يتداولونه من معانٍ يستعان بها في فهم الآية، وتُقرَن بظاهر التفسير بل هي من دواعيه، وتفصيلٌ لمراميه عن طريق استحضار معان أخرى مستفادةٍ من آيات مختلفة ونصوص شرعية مماثلة: " ويوم الدين كلّ واحد يومُ موته، إذ من مات قامتْ قيامته، ولعلّ هذا اليوم قد آن نزولُه وإن تأخر، فهو قريب جدا فطاشت عقولهم عند هذا التأمل وتضعضعت أركانهم ونزَف منهم الدم ، ورفضوا التعلقَ بما لا حاصل له من الشهوات الفانية، وبحثوا على ما يستعدون لهذا اليوم قبل نزوله وتحيروا في ذلك فإذا هم قد قرِعَ أسماعَهم إثر ذلك قولُه تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فعرفوا أنه لا نجاةَ من هول ذلك اليوم ولا سعادة فيه إلا بالتعلّق بأذيال المولى العظيم تبارك وتعالى والاستعانة به، وطلبِ الهداية منه جلّ وعلا على الدوام؛ فبحثوا على معرفة تكاليفه ووجوه عبادته تعالى التي أوصلها إلينا على لسان رسوله الصادق المصدوق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، فوجدوا فيها الواجبَ والمندوب والمحرم والمكروه والمباح فنبذوا المحرّم والمكروه، إذ العبادة في تركهما لا في فعلهما، وكذا رفضوا المباح الموصِل إليهما إذ للسبب حكم المسبَّب، وتعلقوا بالواجب والمندوب إذ فيهما عبادة المولى العظيم. ثم نظروا المباح المأمونَ فتركوا منه ما لا يَعني ولا يضطرُّ إليه؛ لعدم العبادة فيه وعدم توقف العبادة عليه، وفي تعاطيه مشغلة عن تعاطي أسباب الفلاح والنجاح في مجازاتِ العمر القصيرة، وتمسكوا منه بالضروري الذي يستعان به على عبادة المولى تبارك وتعالى؛ ناوين على تعاطيه التقوي على العبادة لا غير. وكلما حصل لهم من خير لم يروا المنّة فيها إلا للمولى العظيم إذ لا استعانة إلا به، ولا هداية إلا منه جلّ وعلا فصبورا على هذا الأمر الشريف قليلا في هذه اللحظة اليسيرة من العمر، وفازوا كثيرا وسَعِدوا إثرَ الموت سعادةً لا منتهى له."[46]. وأكتفي هنا بهذا التمثيل المحدود تحت هذا العنصر ومن أراد الاستزادة فليطالعْها في محالّها من تفسيره.

---

[43] _ تفسير الثعالبي:313/1.

[44] – محمد الملال التلمساني (920هـ) المواهب القدوسية مخطوط لوحة 199 وجه 01، تفسير السنوسي.

[45] – المواهب القدوسية، المصدر نفسه.

[46] – المواهب القدوسية، المصدر نفسه.

ـ **التفسير الصوفي عند الخروبي (963هـ)**: وأنقل هنا نصا لبعض الباحثين عن التفسير الصوفي عند الخروبي الطرابلسي[47]، إذ كان المراد الإشارة لا استيفاء التفسير الصوفي عند الخروبي، فالواجب عنده أن المفسرَ " يتحرى في التفسير مطابقة المفسّر، وأن يتحرّزَ في ذلك من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى، أو زيادة لا تليقُ بالغرض، ومن كون المفسّر فيه زيغٌ عن المعنى، وعدولٌ عن طريقه، ومراعاةِ المعنى الحقيقي والمجازي إلى غير ذلك[48]. ومن الإشارات الصوفية ما يقوله عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى (وإنّ يونسَ لمن المرسلين) [الصافات: 139]، تجده يقول: أيها العبدُ اجعل دارَ دنياك كبطن حوتِ يونسَ له، فلا تنسى فيها ذكرَ مولاك لعلّه أن ينقذَك من سجن هواك."[49]. وهذه من القيود التي تشير إلى المنهج المتبع في هذا الشكل من التفسير، وهو يُجمل ما أشرنا ونشير إليه مرارا. والعبارة ورد ذكرها على لسان السيوطي، وورد تطبيقها عند الخروبي فيما نحن بصدده من التمثيل له من كتابه.

وأضيف ما يلي من تفسير الخروبي عند قوله تعالى (نزلَ به الروحُ الأمينُ على قلبك لتكون من المنذرين)[سورة الشعراء:194]، فقد قال ما نصّه: " قلتُ: وإنما خُصَّ القلبُ بالذكر لأنه خُصّ بالتنزيل، وإنما خُصّ به لأنه خزانة الحق تعالى فهو حاوي الأسرار ومنبعُ العلوم والأنوار، ومعدنُ الحقائق اللطيفة والأسرار الشريفة، ومحلُّ التجلّي العظيم ومهبطُ النور الأتم الكريم، وهو المِلك المطاع والقطبُ الذي إليه منتهى سَمْتُ الارتفاع، وعليه مدار العوالم الإنسانية والأكوان النورانية. وهو غيبٌ والمنزول من الغيب، فالمناسبة أوجبتْ له التخصيصَ بأن يكون مهبطا للعلوم. وكيف لا وهو محلُّ تجلّي الحي القيوم؛ أورثه العلم بالمتجلي فكان هو العالم بالله والعامل له، والسائر إليه، والمشاهد إليه، والمقرّب منه، والمكاشِف لما عنده."[50]. وفي هذا النص زيادة على ما فيه من معهود كلام الصوفية ومخصوص كلامهم: العوالم والأنوار والأسرار والتجلي والسير والمشاهدة والمكاشفة...

وربما ذكر المفسر تقسيماتٍ وأنواعا اقتضاها تمايزُ فنون العلم، وهي مما يدخل تحت مدلول الألفاظ الشريفة بالقصد الثاني أي لوازم ذلك المعنى، وما يؤدي إليه في أحوال مختلفة للعباد. فعند تفسيره لقوله تعالى (فاذكروني أذكركم) ذكر الخروبي قولا لابن جزي يتعلق بتفسير الصوفية نصه: قال ابنُ جزي رحمه الله تعالى: قد أكثر المفسرون لاسيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانٍ مخصوصةٌ ولا دليل على التخصيص. ولم يتعقب الخروبي بغير ما ذكر بعد هذا مباشرة لموافقته له في الحدّ المعلوم في تفسير النصوص عموما وأولاها القرآن الكريم، وذلك قوله: " والذكر أنواع فما ذكر العبدُ ربه بنوع من أنواع الذكر إلا ذكره ربُّه به، فإذا وحّد العبدُ ربه به تعالى وحده ربُّه سبحانه، وإذا عظّمه عظمه، وإذا نزّهه نزهه، وإذا حمده حمدَه، وإذا شكره شكرَه. وهكذا في جميع أنواع الذكر. وفي مقابلة الذكر بالذكر في قولهه تعالى (اذكروني أذكركم) **إشارة إلى هذا المعنى**. وعلامة تحقق العبد في **مقام** الذكر المجازَى عليه بذكر ربه وقُوفه عند الأمر والنهي. وعلامة ذكر الله حصول ثمرات الذكر له، وثمرات الذكر ونتائجه تختلف باختلاف أقسامه وأنواعه. فأقسامه ثلاثة: توحيدُ الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال. فثمرة توحيد الأفعال تعلقُ القلب بالله واستلذاذُ الطاعات والميل للعبادات، ورؤية كلّ فعل لله حسنا. ونتيجة هذه الثمرة إجابة داعي الحقّ بموافقة العلم والسنة، وقيام الباطن بأنواع العبادات بموافقة الظاهر والصبر الجامع لأنواعه، وصيانة النفس بترك ما لا بأس به، وسكون النفس بهدم الطباع لواردات الحق تلذذا للأمر واستئناسا للحكم، وطلب الحرية الحاملة على التعلق بالمعارف الإحسانية، والأدب مع الملك المعبود وإصاخة الروح لأوامر الله انقيادا وتسليما. وعلامة حصول هذه النتائج: إيثار الآخرة على الدنيا ومواطأة القلب على الذكر مع الأنفاس، والتشمير عن ساق الجد، واحتقار الأعمال في جنب عظيم الأمر والنهي. ومن ثمرات توحيد

---

[47] – الخروبي الطرابلسي: أبو عبد محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، نسبة إلى طرابلس بالجمهورية الليبية. أقام بالجزائر وله رحلات متكررة إلى إلى المغرب الأقصى بعثه سلطان الجزائر يومئذ بها. أخذ عن أحمد زروق في جملة مشايخ. له تآليف غالبها في التصوف. منها شفاء الألم في شرح الحكم له الحكم والشرح...وله تفسير كبير يجمع فيه بين الظاهر وكلام الصوفية وقد عثر عليه مؤخرا سماه: رياض الأزهار وكنز الأسرار، وهو ما يهمنا النقل عنه هنا. توفي أبو عبد الله الخروبي " بالجزائر بالوباء الذي كان بعد الستين والتسعمائة."[47]، وبالتحديد سنة 963هـ. تعريف الخلف 490/2. الأعلام للمراكشي 129/5.

[48] ـ الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي 198/4.

[49] ـ راجع رسالة ماجستير عن تفسير الخروبي، نور مكاوي. ص:22، وراجع أيضا: الشيخ الخروبي وتفسيره: رياض الأزهار وكنز الأسرار: حياته ومنهجه مع تحقيق الجزءالأول من هذا التفسير، محمدحسين القذافي.

[50] – محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (963هـ)، **رياض الأزهار وكنز الأسرار**، مخطوط لوحة 24 وجه 02.

الصفات التخلي عن كلّ ذميم والتحلّي بكلّ خلق حميد كريم. ومن نتائج ثمراته معاملة عبيد الله بما عاملهم به ربهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم. ومن ثمرات توحيد الذات تعامي الروح عن ملاحظة الأغيار وعدم الركون للأكدار.... وأما ثمراته ونتائجه بحسب أنواعه فذكرُ الاستغفار ثمرته تركُ المخالفات ظاهرا وباطنا سرا وعلانية. ونتيجة الحزن على ما فاتَ في جنب الله تعالى من امتثال أوامره واجتناب نواهيه..." [51]إلى آخر كلامه رحمه الله. وأنت ترى أن هذا التوسع دليله ما جمع للكثير مما ورد في الشريعة من مقاصد الذكر وأوحال الذاكرين، وفيه أيضا ذكر المقام، والصبر والحزن، وأنواع التوحيد وكيف يتخلق العبد بها سلوكا ونتيجة.

ـ التفسير الصوفي عند التجاني (1815م): وأذكر هنا ما للتجاني[52]من ذلك فقد ذكر بعضُ تلامذته" وسألتُه رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى (ويحذركم الله نفسَه) [سورة آل عمران:28]. فأجاب رضي الله عنه بقوله: أما في بساط الشريعة يعني (ويحذركم الله نفسه) بالخوف منه وعدم الأمن من مكره في جميع عطاياه من النعم، ودفع جميع المضارّ عنكم من النقم، وبسَط ذلك عليكم على ممرّ الليالي والأيام. فاحذروا من مكره في ذلك الحال فإنه لا يأمنُ مكرَ الله إلا من حقّ عليه عذاب ذي الجلال. وأما في بساط الحقيقة (ويحذركم الله نفسه) يعني من البحث والاطلاع والكلَب على كنه الذات؛ فإن ذلك غيرُ لائق بكم لا تطيقون ذلك الأمر. فاحذروا من حلول نزول البلايا بكم بطلبكم ذلك الأمر وقِفُوا عند ما حدّ لكم من أمر الشارع صلى الله عليه وسلم."[53]. فهو يفرق بين بساط الشريعة وما يعتمده من الظاهر، وبساط الحقيقة وما يبني عليه من الإشارة. والملاحظ أن سياق الآية لا يفيد المعنى الأخير من التحذير من البحث عن كنه الذات الإلهية إلا بتوسع كثير، ولا يظهر وجه الانتقال إليه من ظاهر الآية وسياقها. والتفريق بين البساطين مخصوص بالصوفية كما هو معلوم.

وفي موضع آخر يتكلم التجاني عن نوعين من الأسماء ما هو داخل الكون منها وما هو خارج عنه، وأن ما هو خارجٌ عن الكون منها غير منضبط بحدّ ولا تمكن الإحاطةُ به، وهو المجال الذي تتفاوت فيه رتبُ العارفين والأقطاب... كما هي عبارته عند الآية (وعلّم آدمَ الأسماء كلَّها)[سورة البقرة: 31] " اعلم أن الأسماء التي علمها الله لآدم هي الأسماء التي يطلبها الكَوْن، والكلية المذكورة فيها هو إحاطته بجميع متعلقات الكون، حتى لا يشذَّ عليها منها شيءٌ؛ يشهد بهذا قوله سبحانه وتعالى في كلّية الأسماء حيث عرض صورة الكائنات على الملائكة وقال: (أنبئوني بأسماءِ هؤلاء إن كنتم صادقين) فدلّت هذه الآيةُ على أنها الأسماء التي يطلبها في الكون بدليل قوله (أسماء هؤلاء) وهي صور الأكوان. وأما الأسماءُ الخارجة على الكون فلا تمكن الإحاطة بها ولا نهايةَ لها. قال سبحانه تعالى (ولا يحيطون بشيءٍ من علمه)[سورة البقرة:255]، فإن العارفين والأقطاب والنبيين والمرسلين مع فتحهم في المعرفة ينكشف لهم في كلّ مقدار طَرفة عين من أسماء الله الباطنة أمرٌ لا حدّ له ثم يبقون على هذا الحال أبدا سرمدا في طول عمر القيامة، وفي طول عمر الأبد في الجنة بلا نهاية في كلّ مقدار طرفة عين ينكشف بهم من أسماء الله الباطنة ما لا حدّ له ولا غاية في طول هذه المدة. ولا نهاية لانكشاف الأسماء على طول أبد الأبد؛ فكيف يقالُ أحاط بها كلها وإنما الكلية في الأسماء التي يطلبها الكون فقط."[54]. وفي كلام زيادة على ما هو واضح الأقطاب والعرفين، والكشف، والفتح.

وما ذكره أخيرا من أن معرفة الأسماء التي هي خارج الكون دائمة التجدد لدى العارف، وأن ذلك ممتد إلى القيامة بل إلى الجنة وإلى الأبد بكلمة أخرى لا يسلّمه من لا يسلّمُ لهم خصوصية الذوق، وسلامة القصد. فهو لم يذكر له نصا من كتاب أو سنة بغض النظر عن

---

[51] ـ الخروبي، رياض الأزهار، لوحة 33 ظهر و34 وجه.

[52] – أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني أبو العباس، مؤسس الطريقة التجانية ومقدّمها. ولد بالجزائر ورحل بعدها إلى فاس حيث سمع من ابن حمدون المغربي، وأقام بتلمسان مدة يدرس التفسير والحديث وغيرهما، وحلّ بتونس حيث أخذ عن إبراهيم الرياحي. من مشايخه المبروك ابن بوعافية الماضوي التجاني، ومولاي الطيب الوزاني، وأخذ عن أبي العباس أحمد الطواش المغربي.. حلّ بتوات من أرض الجزائر وأخرج منها فعاد إلى فاس وبها وافاه الأجل 1230هـ/1815م. ذكر من ترجم له تفسير آيات محدودة جمع فيها بين الظاهر وكلام الصوفية منه أخذتُ ما تقدم من النصوص. تعريف الخلف لأبي القاسم الحفناوي 232/2.

[53] ـ ابن حرازم (1214هـ)، **جواهر المعاني في مناقب أحمد التجاني**، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2002م (ط1)، 127/1.

[54] ـ جواهر المعاني 1/ 132.

صحته الشرعية؛ إذ التفسير مداره على النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين أو معاني اللغة، أو لحق بها من قريب.

_ التفسير الصوفي عند ابن عليوة (1934م): وبالانتقال إلى الشيخ بن عليوة[55]، وهو مفسر معاصر يؤكد على عادة ما هو مقرر عند الصوفية من العودة كلّ مرة إلى ادعاء الرمزية في الحروف والأسماء والأعداد؛ فالحرف الواحد وخصوصا **الباء** من البسملة متضمن لكل القرآن فهو يقول: " فاتضح من هذا أن الحرف بانفراده قرآنٌ بالنظر لما اشتمل عليه من المعاني، وفي رواية: لا أقول (ألم) حرف بل ألف حرف، واللام حرف، والميم حرف."؛ ولهذا ورد أنَّ ما في الكتاب في الفاتحة، وما في الفاتحة في بسم الله الرحمان الرحيم. وورد أيضا أن ما في البسملة في بائها، وما في الباء في النقطة التي تحتَها. وقد كنت جمعتُ رسالةً فيما يتعلق بهذا المعنى."[56]. وهو مناقش في كون مطلق الحرف في القرآن له معنى؛ إذ حروف المعاني في لسان العرب معدودة، وما ذكره من الروايات حول باء البسملة في ثبوتها كلام كثير للأئمة معروف في محلّه. ومع ذلك فهذا من التفسير الصوفي ممن مقامه الديني في الجملة معروف.

وحول علوم القرآن وما تضمنته آياته من المعارف يذكر بالمناسبة العامة أن علومه لا حدّ لها، وأن الظاهرَ وما يفيده من ذلك قليلٌ نسبةً إلى ما ينكشف للناظرين إلى بواطن المعاني وما تفيده الآيات بالإشارة، فهو يقرر:" الفصل الثالث: فيما يدلُّ على أن في القرآن علوما ليست متعاطية فيما بين العموم: ولعلّ المتجمد على الظواهر لا يرى من كتاب الله إلا ما وصل إليه من جهة بضاعته القليلة، وقريحته الكليلة، وينكر ما وراء ذلك. ولم يعلم أن ما عرفه من ظاهر الكتاب إلا كمن عرف القِشرَ من اللباب. وما وراء ذلك ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلب بشر."[57]. وليس فيما قاله قدح لما يفيده الظاهر من جهة المصداقية والكفاية لعموم المتعبدين، وما به صلاح حالهم في الجملة؛ لكن الخاصة من الناظرين في معانيه يستفيدون من تكرار النظر عبر الزمان ما لم يفتح به على غيرهم ممن تقدم. وهو معنى أشار إليه المتقدمون، ويظهر عبر التفاسير عبر القرون على الأقل من جهة حقائق الطب والفلك والتاريخ...

وليقين المفسر من اتساع بحر معارف القرآن فهو يتكلم عنها كلام الخبير بها، ويعطي بالنّسبِ مقدارَ المعاني المحصلة له ولغيره كما يفيده قوله بالنص:" ولا تحسبنّ ما رسمته هو مجموع ما فهمتُه بل ولا عُشرُه، ومصداقه: القرآنُ لا تنقضي عجائبه." [58].

ومن قرأ هذا التفسيرَ وغيره مما يشبهه من تفاسير الصوفية يدركُ مقدارَ ما كان يعانيه المفسرُ من توقع الإنكار والتخطئة من مخالفيه، وهو أمر يفتح باب الدعوى العريضة لدى المفسر نفسه، إذ تراه ينصح مطالعي تفسيره بالتدرج في المطالعة واستيفاء ما رتبه من فصول" فمن أراد السلامة أن لا يشرع في هذا التفسير حتى يمرّ على فصوله حسب ترتيبها؛ لأنها كالسلم لتلقي أسراره، وليتذرعْ بحسن الظن ما أمكنه، ولا يقسْ ما يجد فيه على ما عنده، فإنه أبعدُ من التطابق؛ لأن كلام الروح يباين كلام البدن، فأكثره جاء بلسان الخصوصية الذي ليس لنا فيه كبيرُ اكتساب إلا ما كان من قبيل التوجه والتلقي من حضرة الله."[59].

وقد بين طريقتَه في تناول الآيات، وأن ما يستفاد من جهة الإشارة يلي الظاهرَ المسلَّم، ثم يليه ما اختص به المفسر عن غيره ممن خاض في معاني الآية، أو تناولها من عموم المفسرين السابقين على اختلاف ألوان تفاسيرهم؛ فهو في هذا شديد الاعتداد بمواهبه، وذلك قوله: " ثم اعلم أنه ظهر لي في ترتيبه أن نذكر شيئا من التفسير الذي هو المقصود العامّ من كتاب الله، ثم نذكر ما يستنبط من أحكامه

---

[55]– أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المستغانمي الشهير بالعلوي، وبابن عليوة من أهل مستغانم من أرض الجزائر، وله بها زاويته المشهورة بها إلى يوم الناس هذا. ليس بين أيدينا أسماء مشايخه ويتهمه بعض علماء جمعية علماء المسلمين الجزائريين أنها كان أميا لا شيخ له. " زار أقطار المغرب الكبير ثم دخل المشرق وحج وزار اسطنبول.". له مريدون كثيرون. ألف تآليف منها في التفسير وهو ما يهمنا هنا. وقد اطلعت على **البحرُ المسجور في تفسير القرآن بمحض النور**، كما له **لبابُ العلم في تفسير سورة النجم**، وله أيضا **تفسير سورة والعصر**. توفي رحمه الله عام 1934م. معجم أعلام الجزائر 367.

[56] _ أحمد بن مصطفى بن عليوة (1934م) البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، المكتبة العلوية، الجزائر، بدون تاريخ، ط01، ص 11/1.

[57] _ البحر المسجور، المصدر نفسه. 12/1.

[58] _ البحر المسجور 20/1.

[59] _ البحر المسجور 20/1.

وهو أخص مما قبله، ثم نأتي بشيء مما توسع فيه الإشارة على مصطلح أهل الله، ثم نذكر كلاما أخصَّ منه معبرا عنه بلسان الروح وهي أنهار أربعة تراهم قد علم كلّ أناس مشربهم." [60].

وأستعرض هنا ما ذكره الشيخُ العلوي تفسيرا للبسملة على الشكل الذي ارتضاه، وبالتدرج الذي سارَ عليه، فهو يتكلم عن سر الافتتاح بـ(بسم الله الرحمان الرحيم) بكلام واضح مسلّم في الجملة؛ فتحتَ عنوان " الكلام في بسم الله الرحمان الرحيم. أقول: أن افتتاح الكتاب العزيز بالبسملة لفظا وخطا فيه ما يشعرنا بلطف الله بعباده، وإنْ مع إعراضهم عنه، وذلك أن التالي أو القارئ لكتاب الله مهما يرسل طرفه ويحرك لسانه إلا ويلتصق بـ: بسم الله الرحمان الرحيم، فيكون ذاكرا للاسم متبركا به من حيث لا يشعر قصدَ أو لم يقصدْ حبَّ، أم كرِه بخلاف ما لو لم نؤمر برسمها لتشعبت المقاصد، واستحكمت الغفلاتُ فقد ينساها قويّ الإيمان، ويتعلل المنافق بالنسيان. ولما تعينت كتابةً وقراءة رفع الاحتمال." [61].

وأيضا عند بيان مشروعيتها قبل القراءة بالخصوص ينص على معان دارجة معروفة مضامينُها، وإن كانت صياغة تلك المعاني تختلف بين مفسر وآخر بل بين كاتب وآخر.. فهو يقول: " ثم إنَّ الحكمة في مشروعيتها عند كلّ فعل ذي بال يقضي برفع امتياز الجبابرة حتى لا يبقى جبروت لأحد على الآخر؛ لأن الأمم غير الإسلام كانت قديما وحديثا تتبرك بذكر ملوكها وأمرائها حتى إذا أراد أحدهم أن يتناول مشروبا مثلا يتناوله باسم الملك والأمير، وبالأخص إذا كان بحضرته. ولما جاء الإسلام بالتساوي بين أفراد الإنسان وأنْ لا فضلَ لأحد على أحد إلا بتقوى الله أمر الشارع أن لا يذكر اسم عند فعلٍ ذي بال إلا اسمُ الله إلا إذا كان الفعل غير مأذون فيه من جهة الشرع فجل اسم الله أن يكون ذارِعة لفعله. والحكمة في ذلك لكونه تعالى لم يأذن فيه، فكأنه يقول لفاعله: أنا ما شرعتُه لك، ولا أذنتُ فيه، فأنت شرعتَه لنفسك، فافعله باسمك لا باسمي. فمن شرع شرعا نسُب إليه.". والالتصاق الذي ذكره للباء عادة المفسرين أن يذكروه معنى لغويا من جملة معاني هذا الحرف، زيادة على المصاحبة والتبعيض. غير أن يضيف الالتصاق إلى الذات الإلهية على اعتبار أن اسم (الله) هو عين مسماه: " ثم إن الباء في بسم الله الرحمان الرحيم جاءت للإلصاق فهي ملتصقة بالله لأن الاسم غيرُ فاصل بينهما؛ لكونه عين المسمى عند القوم وجمهور الأشاعرة فصار الابتداء بالله فمنه بدأ الأمر وإليه يعود." [62].

ويزيد هذا المعنى المشار إليه تفصيلا وتعميما لمضمونه، بأن "الالتصاق" المذكور يفيد أن الكون كلّه مشمول بهذا الالتصاق، ولما كان كلامه عن الالتصاق مشعرا بالجسمية، سارع إلى نفيها، مقررا عقيدة الأشاعرة في تنزيه الله عنها، وعن مماسّة الحوادث فهو يقول تحت عنوان " الإشارة: إن التصاق الباء باسم الجلالة مع أنها ليست من أبنيته؛ فيه ما يشعرنا بأن جميع ما في الوجود على اختلاف الحقائق وتباين الطرائق إلا وهو ملتصق بالله. ولا تفهم أنه مماسّ له فجلّ ربنا أن يماسِسَه شيء من الحوادث؛ وإذن لتلاشى الحادث لعدم ثبوته مع من له وصف القدم إنما نعني به التعلق والتحقق والمعنى إنه قائم بالله لا بنفسه، فوجوده مستعار من جوده على موجده على حدّ ما قيل: منْ لا وجودَ لذاته من ذاته ○○○ فوجودُه لولاه عينُ محال."[63].

ويزيد بابَ الإشارة فتحا ليستفيد من استطالة حرف الباء في (بسم الله)، وهو شيء تابعٌ لرسم القرآن، دلالة لا شك فيها على الأقل عنده من أن الملتصق بالله – على المعنى المقرر – من أهل الله، صاحبُ درجة على غيره، وأن قيام الباء مقام الألف المحذوفة من اسم الجلالة (بسم) هو المخصوص بمقام الخليفة لميراث النبوي، وهو ما عبر عنه بالوارث المحمدي: " وأما استطالة الباء وخروجها عن مقتضى عادتها فليس ذلك لاتصالها بالاسم الباء وخروجِها عن مقتضى عادتها، فليس ذلك إلا لاتصالها بالاسم، فالمتصلُ بالمسمى من أهل الله أولى بالارتفاع على أبناء جنسه. وأما نيابتُها عن الألف المحذوفة من الاسم تُشير إلى نيابة الوارث المحمدي." [64]. وواضح أن ما

---

[60] _ البحر المسجور 30/1.

[61] _ البحر المسجور 32/1.

[62] _ البحر المسجور 32/1.

[63] _ البحر المسجور 34/1.

[64] _ البحر المسجور 34/1.

قرره تحت عنوان الإشارة لا يخصه، وقد لا يسلَّم له، لضعف تعلق المعاني المشار إليه بظاهر الآية، وما تفيده مباني ألفاظ الآية من الدلالات.

_ التفسير الصوفي عند عبد القادر الجزائري الأمير (1883م): وإذا كان مجموع من قدمتُ يلتزمون ذكرَ ظاهر ما تفيده ألفاظ الآية وهم بعد تسليم هذا الظاهر يبنون عليه من جهة التوسع فيما يفيده من المعاني – وإن كان ذلك التوسع يكون غير ذي علاقة واضحة كما قدمنا قريبا عند الشيخ العلوي – فإن الأمير عبد القادر[65]، لا يلتزم في تفسيره ذكر ما قيل في الآية من جهة الظاهر بل هو بعد تسليمه في الجملة يهتمّ باستيفاء ما تشير إليه من المعاني بالمصطلح الصوفي، ففي تفسير قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالَهم)[سورة النساء: 02] يقول:" اليتيمُ هو من عرف منه أستاذُه بالفراسة النورانية الاستعدادَ والقابلية، وأنه يكون منه رجلٌ فيما يأتي من قولهم: درّة يتيمة: أي ثمينة لها بالٌ وقيمة. وكلّ من ادخر له أبوه العقلَ الكليّ كنزا في استعداده، مخبأً تحت جدار جسمه فهو يتيم. أعني فاضلٌ بالنسبة إلى ما دونه."[66]. وإذا كان هذا الكلام مسلم عند أهله بالمعنى الذي يتداولونه، وبالمصطلح الذي يتعارفونه فإنه من الصعب ردّه إلى الظاهر إلا أن يقال أن الجامع بين المعنيين في اليتم شدة الحاجة إلى ما يقوم به دين ودنيا الشخص، وقيام كلّ من الوالد البيولوجي وشيخ التربية الذي أبٌ بالمعنى المجازي مقام من يكفي اليتيم تلك الحاجة.

وفي موضع آخر أكثر وضوحا نجد الأميرَ عبد القادر يُوغل في الإشارة ويبالغ في التوسع، وحملِ الألفاظ عل المعاني البعيدة. فإذا كان الحمار في قصة لقمان معلومَ الدلالة ظاهرَها، والكلام مسوقٌ في الأصل لصوت الحمار لا لعقله، فإن حملَ الحمار وما عطف عليه من الصوت على المريد يتكلم بالكلام الصوفي خصوصا في الجناب الإلهي بما لا يحسن له معنى، فيتقلب ذلك عليه وعلى شيخه؛ لا يظهر هذا الحمل سالما من الاعتراض لضعف الإشارة المعتمد عليها. ونص كلامه عند قوله تعالى(إنَّ أنكرَ الأصواتَ لصَوْتُ الحميرِ)[سورة لقمان:19]: " هو المريد يتكلم بالحقائق قبل إدراكه، أو أنّ الكلام والنهي الوارد في الآية هو للمشايخ الذين لهم أتباع مريدون، ربما وضعوا الأسرار في غير موضعها، أذاعوها لغير أهلها... وقد شاهدنا في زماننا من المريدين من سمع بعض أسرار الألوهية وبعض الحقائق من مشايخهم فصاروا يتكلمون بها في المجالس العامة، وظهرت منهم أمورٌ فظيعة من الجسارة والقباحة، والتهجم على الجناب الأعلى الإلهي، والتكلم بكلمات ما عرفوا لها أصلا، ولا ذاقوا لها طعما؛ بل نظنّ والعلم عند الله أن مشايخهم إنما تلقفوها من الكتب أو من غيرهم، وما ذاقوا لها طعما ولا عرفوا لها حقيقة؛ إذ لو عرفوا حقيقتَها لصانوها."[67]. ولعل الجامع هنا هو الاستنكار من وضع الشيء في غير محله وفيها زيادة بشعة على محل الحاجة هذا إن وجدت حاجة أصلا.

ولبيان هذا اللون من المعالجة البيانية الصوفية للآيات الكريمة، وإن كانت كثيرة وظاهرة عند الأمير عبد القادر نسجلُ هنا أنه ليس وحده في ذلك، وأن الشيخ أحمد العلوي قد تكررَ له ذلك مع فارق أنه يذكر ما يفيده ظاهر الآية. ونحن ننقل هنا مثالين عنه، الأول عن المناسبة بين النجم والنفس المحمدي في تفسير قوله تعالى (والنجم إذا هوى)[سورة النجم:01] " فأقول: أن المقسَمَ به كناية عن نور ثاقب، تنتهي فيه الأنوار، وتستمد منه البصائر والأبصار. ولا يصرف بهذا الاعتبار إلا النفس المحمدي والروح الأبدي، ولكل امرئ ما نوى، ولكل قلب ما حوى. قال الله تعالى (والنجم إذا هوى) والمناسبة أن نقول: وجه الشبه بين النجم والنفس المحمدي وجود الاهتداء في كل منهما زيادة على النور المتّحدِ فيهما. والمعنى أن النجم يُهتدى به بسبب هويّه وعروجِه، ولولا ذلك لما اهتدى به، فصار ميلُه وانتقاله من لوازم الاهتداء؛ فكذلك النفس المحمدي يهتدى به بسبب ميله عن مركزه الأسنى الذي هو التوجه والتلقي من الألوهية إلى ما لا بد

---

[65] – عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار الحسني الجزائري، ولد بنواحي وهران بالغرب الجزائري، وبها درس العلوم الشرعية. بكّر هو وأبوه بالرحلة إلى بلاد المشرق للحج، وزار خلال ذلك دمشق وبغداد. حافظ على كيان الدولة الجزائرية أيام دخول الاحتلال الفرنسي فقاومه إلى **1847**م. له كتب عديدة والذي يهمّ هنا هو كتاب **المواقف**، وهو تفسير بالإشارة المحضة لمواطن كثيرة من القرآن، وقد طبع المواقف مرارا. للأمير عبد القادر سند متصل إلى مرتضى الزبيدي شارح القاموس.". توفي بدمشق **1883**م. معجم أعلام الجزائر 280.

[66] _ المواقف، للأمير عبد القادر. المصدر السابق. 394/1.

[67] _ المواقف، للأمير عبد القادر. 392/1.

منه من لوازم البشرية والأمور الاختصاصية، فيكون في ذلك أسوة واهتداء للمقتدي."[68]. وهذا الذي ذكره من وجه المناسبة من المعاني المحتملة وشاهدها من المعاني العامة موجود؛ لكنه لا يحلُّ محلَّ الظاهر ولا يدانيه، ولا يلزَم من لم يسلمه وجها لتفسير الآية، وإن كان يسلمه من جهة شواهده العامة.

والمثال الثاني ما قاله العلوي حول معنى الهوى عند قوله تعالى (وما ينطقُ عن الهوى)[سورة النجم:03]، فقد قال: " فالمتبادرُ من الفهم أنه لا يتكلم بالقرآن عن هوى نفسه، والأعمُّ من ذلك أنه لا يفعلُ فعلا ما من سائر الأفعال الظاهرة والباطنة إلا والله سبحانه وتعالى هو الفاعلُ به فيها (ومارميتَ إذ رميتَ ولكنّ الله رمى)[سورة الأنفال: 17]، ومن ذلك قوله (أبصرْ به وأسمعْ)[سورة الكهف: 26]. ثم أقول أن الأحسن من تفسير الهوى أنه المحبة، وعلى هذا يحمل قوله تعالى (وما ينطقُ عن الهوى)[سورة النجم: 03]، أي لا يفشي ما أكنه فؤاده من أسرار المحبة التي خصص بها دون بقية البشر، وقل من يطيقها. حتى قيل في قوله تعالى (نارُ الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة)[سورة الهمزة:06]، أنها المحبة."[69]. وهذا مخالفٌ لما ذكره المفسرون من تفسير الهوى بالمعنى الظاهر الذي هو الصفة النفسية المذمومة.

_ التفسير بالمعاني الصوفية عند ابن باديس (1940م): وإنما نسبتُ ذلك إليه لأنه صوفي ذا طريقة لم ينكرْ هو شخصيا نسبتَه إليها فيما استقبل من أيامه، وإنما كان إنكارُه على ما دخل التصوفَ من البدع الشنيعة والروح السلبية حتى غدا التصوف وكثير من طرقه ورجالها عائقا في وجه كلّ حركة إصلاح اجتماعية، ووجد في ذلك الاستعمار ملاذا من أي فكر ديني يتزعم أصحابُه قيادةَ المجتمع أو يشاركون القادة الاجتماعيين بعبارة أدق. وأريد هنا أن أزيد موضوع البحث وضوحا بأن أنقل مواضع من تفسير ابن باديس[70]، وهو يحمل على القبوريين باعتبار كون تراثهم ينتمي كثيرٌ منه إلى الطرق الصوفية ومن ثم إلى خط التصوف عموما؛ فو يحمّلهم مسؤولية ما أصاب الأمة من الضلال الحاصل بسبب الترويج لأضرحة المشايخ وقبورهم، والأضرحة المقصودة بالدعاء والنذر المنهي عنه شرعا أشد النهي. فقد قال عند قوله تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [الإسراء: 56 -57]. " تطبيق: إذا علمتَ هذه الأحكام، فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال: فتراهم يدْعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضرّ، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون. ويذهبون إلى الأضرحة التي شيّدت عليها القباب، أو ظللت بها المساجد فيدعون من فيها، ويدقّون قبورهم، وينذرون لهم، ويستثيرون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعهم، فكيف يتركونهم؟؟ وقد يهددونهم بقطع الزيارة، وحبس [النذور]. وتراهم هنالك في ذلّ وخشوع وتوجه، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم!! فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلّها عبادة لأولئك المدعوين، وإن لم يعتقدوها عبادة؛ إذ العبرة باعتبار الشرع لا باعتبارهم. فيا حسرتنا على أنفسنا كيف لبسنا الدين لباساً مقلوباً، حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال."[71].

---

[68] _ لباب العلم في سورة النجم، أحمد بن مصطفى العلاوي (المطبعة العلاوية – مستغانم- الجزائر. الطبعة الثالثة) ص/06.

[69] _ لباب العلم في تفسير سورة النجم،المرجع نفسه. /14.

[70] – عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي الجزائري، ولد بمدينة قسنطينة، وبها تعلم ثم بتونس بجامع الزيتونة وتخرج بشهادة التطويع. رحل ابن باديس إلى المشرق وحج ولقيَ في رحلته جماعة من العلماء. زار لبنان وسوريا ومصر في رحلة العودة وأجازه الشيخ بخيت بشهادة العالمية من الأزهر. من مشايخه حمدان الونيسي ومحمد الطاهر بن عاشور ومحمد النخلي القيرواني، ومحمد الخضر حسين، والصالح النيفر... قام بتدريس تفسير القرآن بقسنطينة خمسا وعشرين سنة فختمه. أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ألف ابن باديس على أن تآليفه قليلة ووجيزة منها في التفسير: **مجالس التذكير في التفسير**، وطبع ونشر بالجزائر. وطبعته دار الفكر باسم تفسير ابن باديس ...". [70]. توفي ابن باديس رحمه الله عام 1359هـ/1940م. معجم أعلام الجزائر: 28-29.

[71] _ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس 119.

وما ذكره من مثل هذا السعي الباطل اتجاه سكان القبور كان شائعا ومتبعا بلا نكير عبر قرون طويلة، لم تمنع منه الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة والعقائد الواضحة التي قررها علماء الإسلام، وحملوا فيها على صور الشرك الظاهر مما قد يصيب المجتمع المسلم. بل وجد من أشباه العلماء وأدعياء العلم من يدافع عنه مرة بالسكوت على العامة استرضاء لهم، وأخرى بالحمل على المنكرين له. وتكاد التفاسير وهو ما يهمّنا هنا أن تسكت عنه إلا قليلا باعتبار أنها جانبت قضايا الواقع في كثير من تفاصيله.

وليس معنى مجانبة المفسرين لمباحث التصوف التنكرَ لما صحّ من حقائقه، وسلِم من مضامينه؛ بل إنك لتجد معالجةً للآيات الكثيرة بنبرة أخلاقية مستمدة من الإسلام موافقة في كثير من مناحيها لتوجيهات التصوف السني ومشايخه؛ فهذا ابن باديس وهو بصدد بيان ما في القرآن من الأخلاق مع التحذير من خطه الأعجمي، وأبعاده الفلسفية فهو يقول: " وبين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومساوئ الأخلاق ومضارها، وبين السبيل للتخلّي عن هذه والتحلّي بتلك، مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخيبة بتَدْسيتها فهجرنا ذلك كلّه، ووضعنا أوضاعا من عند أنفسنا، واصطلاحات من اختراعاتنا، خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلى الغلو والتنطُّع، وعن السنة البيضاء إلى الأحداث والبدع، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمي، والتخيل الفلسفي ما أبعدها غايةَ البعد عن روح الإسلام، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها، ومعارضة هداية القرآن بها."[72]. ويرى القارئ أن هذا النص لابن باديس غير ما كنا عليه سابقا إذ هو يصحح التصوف بالقرآن وأوضاعه الشرعية، وفي نفس الوقت ينفي عنه ما زيد فيه باسمه من الأوضاع البائسة والأفكار البالية.

وفي نفس الجيل تقريبا وبنفس النبرة في الإنكار والحمل على صور الضلال التي كان المجتمع الجزائري يغرق فيها كغيره من المجتمعات الإسلامية إلى عهد قريب نجد الشيخ اطفيش يضمن تفسيرَه في مواضع متعددة الحمل على الطواف بغير الكعبة وذلك عند قوله تعالى (ولْيطوّفوا بالبيت العتيق)[سورة الحج: 29]، فهو يقول: " ولا يجوز الطوافُ بغير الكعبة ولو بالمسجد النبوي، ولو ببيت المقدس، وأهل " **يَسْجَن** "[73]يطوفون بمسجد عند شعبة يقال لها " موم "، وبمسجد فوق جبل أبي العباس، ويطوفون بهما سبعاً وتعظيما وتبركا وتضرعا، وهو بدعة محرمة، وكذا أهل " غارداية " يطوفون سبعا بمسجد، ويطوفون سبعا بسارية فيه. وأظنّ ذلك قد ترك، ولا حجة لذلك فهو حرام، وذلك عجيب يطاف على مسجد كأنه كعبة، ولا يخافون العقاب. ومثل ذلك ما يفعله أهل المغرب الأقصى من محاكاتهم أضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام، من جعل الكسوة لها، وتحديد الحرام، على مسافة معلومة، بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم آمناً، وسوق الذبائح لها على هيئة الهدى، واتخاذ الموسم كلّ عام." [74].

والشيخ بمثل هذا التعرض يكون قد لامس في تفسيره بعض قضايا المجتمع المعقدة، ورد علاجها إلى الآيات القرآنية التي هو بصدد تفسيرها. وفي ذلك من بيان الحق ما لا يخفى، وبيان حكم الله القاطع في مثل هذه الضلالات السائدة على مرأى ومسمع من المشايخ، ولا خلاف في أنها كانت تنسب إلى التصوف وأهله وهو منها براء. وقد خلت غالب تفاسير القرون المحددة من هذا الصدع بالنكير على واقع الضلال الذي كان سائدا وغالبا، والتعرض له في التفسير أكثر وقعا وفاعلية من التعرض إليه في الفتاوى أو التآليف ذات الموضوعات العامة.

---

[72] _ تفسير ابن باديس، المرجع نفسه. 174.

[73] _ بلدة بقرية غرداية من أرض الجزائر.

[74] _ تيسير التفسير، للقطب محمد اطفيش. 310/6.

خاتمة:

يتبين مما مرّ وسبق عرضُه ولو بشكل موجز أن المفسرين الجزائريين قد عرفوا هذا اللونَ من التفسير، وأنهم أسوةً بغيرهم قد ضمنُّوا حقائق التصوف مباحثَ التفسير، وأنهم قد التزموا ترتيبَه بعد ما يفيده ظاهرُ الآيات، سواء من جهة اللفظ فهم يؤخرونه عنه، أو من جهة المعنى فهم يجعلونه كالتوسعة لما يفيده نص الآية دون أن يكون في ذلك أدنى معارضة بينهما، وأنهم قد اقتصروا أحيانا على ذكر المعنى الإشاري للعلم بالمعنى الظاهر وتسليم ما يفيده.

وهكذا واكب خط التفسير عند الجزائريين ما كان عند غيرهم عنيتُ أمثالَهم من مفسري المشرق الإسلامي من صيانة تفاسير الصوفية من إغراقها بالمعاني الباطنية الرديئة، والمخالفة لظاهر الشريعة المقصود إلزامُ العباد بها علما وعملا. وهي تلك المعاني الفاسدة المقحمة تحت الألفاظ القرآنية الشريفة حين احتاجت إليها هذه الفرق لتبقى تحت مظلة الإسلام والتي ابتدعتها في العقائد والأفكار والأذكار وصور العبادات مما لم تفده ظواهر الآيات بوجه من الوجوه، وحملها الواقع المستمرّ فيما يحمله السيل.

ويمكن تلخيص ما انتهى إليه البحث في أمور منها:

- اعتناء المفسرين الجزائريين قديما وحديثا بالتفسير الصوفي تأليفا وتدريسا
- التزام المفسرين الجزائريين بظواهر النصوص الشريفة.
- اتباع منهج التوسع في مدلول الآيات بما لا يخالفها ولا ما يلغيها.
- الجمع في عرض التفسير غالبا بين الظاهر والإشارة و الجمع الدائم بين المعاني الظاهرة والمشار إليها وإن اكتفي بذكر الأخيرة في التدوين والتأليف كما هو عند الأمير عبد القادر في المواقف.
- وجود جملة من المفسرين الإباضية بالخصوص تنكر هذا الشكل من التفسير مصدرا ونتائج.

والحمد لله أولا وآخرا على ما مهّد من الإعانة ويسّر من التوفيق.

مصادر ومراجع البحث:

_ عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن** طباعة دار الفكر 1985م (ط:01)

_ محمد الطاهر بن عاشور (1974م)، **التحرير والتنوير**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984(ط1)

_ أبو بكر جابر الجزائري (2016م)، **أيسر التفاسير من كلام العلي الخبير**، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 2002م، (ط4)،

_ بيوض ابراهيم بن عمر (1982م) **في رحاب القرآن، الجزائر**، غرداية، نشر جمعية التراث، 2001م (ط01)،

_ محمد بن رزق بن طرهوني (على قيد الحياة) **التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**، الرياض، دار ابن الجوزي، 2005م (ط1)،

_ عبد الرحمان الثعالبي ()، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: عمار طالبي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م (ط2)،

_ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي (توفي911)، **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت، دار الفكر، 1978م (ط4)،

_ بن حرازم ()، **جواهر المعاني في مناقب أحمد التجاني**، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2002م (ط1)،

_ أحمد بن عليوة (1934م)، **البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور**، الجزائر، المكتبة العلوية، ب ت (ط1)

_ الأمير عبد القادر الجزائري (1883م)، **المواقف**، الجزائر نشر جمعية الأمير عبد القادر، 2005م (ط1)

_ أحمد بن مصطفى العلاوي (توفي 1934م)، **لباب العلم في سورة النجم**، الجزائر، المطبعة العلاوية، (ط3)، ص/06.

_ عبد الحميد بن باديس (1940م)، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م (ط1)،

_ محمد بن يوسف اطفيش (1914م)، **تيسير التفسير** نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة ، 2010م، (إصدار 1)،

_ محمد بن يوسف اطفيش (1914م)، **هميان الزاد إلى دار المعاد**، نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة، 2010م، (إصدار 1))

_ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض، لبنان،

_ الزركلي (1976م)، الأعلام، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1986م، ط:02.

_ عبد الرحمان مرحبا (معاصر)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب العربي، لبنان، 1982م، (ط01) 196/1.

المخطوطات:

_ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (963هـ)، **رياض الأزهار وكنز الأسرار، مخطوط بالأنترنت.**

السيرة الذاتية

اللقب: بلحاج

الإسم: جلول

تاريخ ومكان الازدياد: 1966/01/01م

الحالة العائلية: متزوج وأب ثلاثة أطفال.

المستوى العلمي: باحث في الدكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية.

المهنة: مفتش التوجيه والتكوين المسجدي.

العنوان: شارع باستور مسجد عبد الحميد بن باديس بلدية عين تموشنت الجمهورية الجزائرية.

رقم الهاتف: 0664977600

البريد الإلكتروني: **Djelloulogbi46@hotmail.com**

الأعمال العلمية:

- الروض الإكليلي من رسائل المغيلي، مجلد حائز على جائزة تراث الإمام المغيلي الدولية بالجزائر 1912م.
- معجم المعارف والشمائل السنوسية جزآن، شاركت به في جائزة تراث الإمام السنوسي الدولية، 2007م، مخطوط ينتظر الطباعة.
- شفاء الألم شرح الحكم للخروبي الطرابلسي، تحقيق. الحكم للخروبي والشرح له أيضا. مخطوط ينتظر الطباعة.
- بستان الأزهار في مناقب أحمد بن يوسف المليانى، للصباغ المغربي، تحقيق، ينتظر الطباعة.

العدد الثامن عشر (18)/جوان 2018
ISSN : 1112-6205

المسعى

مجلة علمية محكمة تعنى بالبحوث اللسانية واللسانيات التطبيقية والدراسات البينية للغة العربية.

تصدر عن مخبر المعالجة الآلية للغة العربية

جامعة تلمسان – الجزائر.

الحاسوبي تطويع العلاقة التحديات اللغة

المشكل

مجلة علمية محكمة تعنى بالبحوث اللسانية واللسانيات التطبيقية
والدراسات البينية للغة العربية.
تصدر عن مخبر المعالجة الآلية للغة العربية
جامعة تلمسان – الجزائر.

العدد الثامن عشر (18)/جوان 2018
ISSN : 1112-6205

مجلة المشعل

دورية علمية محكمة تصدر عن:
مخبر المعالجة الآلية للغة العربية
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان.

تعنى بالبحوث اللسانية واللسانيات التطبيقية والدراسات البينية للغة العربية.

العدد 18/ جوان 2018

ISSN: 1112-6205

مدير المجلة:

أ.د/ سيدي محمد غيثري

هيئة التحرير:

د/ عبد القادر بوشيبة.....رئيس التحرير.
د/الطاهر قطبي .....المدقق اللغوي.
د/سعيد بن عامر .....مدقق اللغة الأجنبية.
د/إبراهيم مناد.....عضوا.
أ/حنيفة بوزار.....أمينة تحرير المجلة.

الهيئة العلمية الاستشارية:

أ.د/ عمر ديدوح .....تلمسان/الجزائر.
أ.د/ سيدي محمد غيثري.....تلمسان/الجزائر.
أ.د/ عبد القادر سلامي.....تلمسان/الجزائر.
أ.د/ طاهر بوغازي.....تلمسان/الجزائر.
أ.د/ عبد المجيد عيساني.....ورقلة/الجزائر.
أ.د/إدريس حمروش.....قسنطينة/الجزائر.
أ.د/رشيد بلحبيب.....الدوحة/قطر.
.د/محمد خواجة الكوسوفي.....الدوحة/قطر.
أ.د/ وليد العناتي.....البتراء/الأردن.
أ.د/ نجيب علي عبد الله السويدي.....صنعاء/اليمن.
أ.د/ ناصر الدين أبو خضير.....بير زيت/القدس-فلسطين.
د/ تواتي بن تواتي.....الأغواط/الجزائر.
د/ عبد الحكيم والي دادة.....تلمسان/الجزائر.
د/مسعود دادون.....الأغواط/الجزائر.
د/خيرة قصري.....بجاية/الجزائر.
د/ محمد بلعيدوني.....تلمسان/الجزائر.

شروط وقواعد النشر في مجلة المشعل.

ترقبا لصدور العدد الـ19 من مجلة "المشعل"، في شهر ديسمبر 2018، بحول الله تعالى، وحرصا من هيئة تحريرها على تطوير أدائها، وطموحا منها في الارتقاء بالنشر العلمي المتقن، فإنها تدعو الباحثين الذين يرغبون في نشر أبحاثهم بها أن يقدموها وفق شروط، وقواعد هي على الشكل التالي:

شروط النشر:

تعنى المجلة أساسا بالبحوث اللسانية واللسانيات التطبيقية (اللسانيات الحاسوبية، والمعالجة الآلية للغة العربية، وبحوث علم الاجتماع اللغوي وعلم النفس اللغوي، والتخطيط والسياسة اللغوية، وعلم الأعصاب اللساني، والتعليمية وغيرها). وتنشر كل البحوث المتعلقة بالمصطلح وقضاياه، والمواقعية، والدراسات اللغوية القرآنية، والدراسات المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية، والدراسات البينية للغة العربية، وتقبل فيها البحوث باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية.

أن يكون موضوع البحث في الحقول العلمية المشار إليها سابقا.

أن يتصف البحث بالأصالة والجدة، والرصانة العلمية، وأن يكون متبعا لمنهجية إعداد البحوث الأكاديمية بالحرص على التوثيق وحسن استخدام المصادر والمراجع.

ألا يقل عدد صفحات البحث عن 15 صفحة، بما في ذلك ملخص البحث وهوامشه وملاحقه إن وجدت.

تنشر البحوث بعد خضوعها للتحكيم العلمي على نحو سري من طرف محكّمَين أو أكثر.

المواد المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

قواعد كتابة البحث:

أن يكتب البحث بخط Traditionnel Arabic بحجم 16 باللغة العربية، أما باللغات الأجنبية فبخط Times New Roman، وبحجم 14.

المجلة:

ي محمد غيثري

لتحرير:

.....رئيس التحرير.

.....المدقق اللغوي.

.....مدقق اللغة الأجنبية.

.....عضوا.

.....أمينة تحرير المجلة.

ة الاستشارية:

..... تلمسان/الجزائر.

.....تلمسان/الجزائر.

.....تلمسان/الجزائر.

.....تلمسان/الجزائر.

.....ورقلة/الجزائر.

.....قسنطينة/الجزائر.

.....الدوحة/قطر.

.....الدوحة/قطر.

.....البتراء/الأردن.

ي.....صنعاء/اليمن.

.....بير زيت/القدس-فلسطين.

.....الأغواط/الجزائر.

.....تلمسان/الجزائر.

.....الأغواط/الجزائر.

..... بجاية/الجزائر.

.....تلمسان/الجزائر.

أن تكون هوامش البحث في آخر المقال وتكون مرقمة بصفة آلية، وتكون مكتوبة بخط Traditionnel Arabic بحجم 14 باللغة العربية، أما باللغات الأجنبية فبخط Times New Roman، وبحجم 12.

أن يذكر في الهامش كل المعلومات المتعلقة بالمصدر والمرجع حين استعماله لأول مرة، ويبدأ بذكر عنوان الكتاب أولا ثم باقي المعلومات الأخرى. ولذلك فإن الباحث غير ملزم بوضع قائمة للمصادر والمراجع لبحثه.

أن يخلو البحث من الأخطاء اللغوية والإملائية وأخطاء الطباعة.

أن يتضمن البحث ملخصا موجزا باللغة العربية (في حدود مائتي (200) كلمة، مذيلا بخمس (5) كلمات مفتاحية)، ويرفق به ترجمة له باللغة الإنجليزية.

أن يكون البحث مذيلا بخاتمة لا تتجاوز صفحة واحدة تتضمن أهم النتائج والخلاصات.

أن تكون أرقام الإحالات والهوامش موضوعة بين قوسين، ومرتفعة عن خط الكتابة.

التواصل مع هيئة تحرير المجلة:

على الباحث أن يرسل بحثه إلى هيئة تحرير المجلة على البريد الإلكتروني للمجلة، وتكون المراسلة باسم مدير الخبر ومدير المجلة الأستاذ الدكتور "سيدي محمد غيثري"، أو أن يتقدم به في شكل قرص مضغوط إلى سكرتيرة المخبر الكائن بقطب إيمامة، وعلى الباحث أن يرفق بمقاله سيرة ذاتية موجزة تتضمن اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتسب إليها، وقنوات الاتصال به، كرقم الهاتف والبريد الإلكتروني، ويكون التواصل معه من أجل المسائل التالية:

لإشعار الباحث بكل التفاصيل عن بحثه، من حيث: استلام بحثه، وخضوع بحثه للتحكيم، وضرورة التعديل فيه إن لزم الأمر، ونتيجة التحكيم، ومقبولية بحثه للنشر، واستلامه وعدا بالنشر حينها من طرف هيئة التحرير.

لإشعار الباحث، الذي قبل بحثه للنشر، بصدور العدد الذي يتضمن بحثه، واستلام نسخة منه.

محتويات العدد الـ 18

عنوان المقال	صاحبه	الصفحة
افتتاحية العدد الثامن عشر (18)	مدير المجلة سيدي محمد غيثري.	07
الأبعاد الوجدانية في أدب جبران	وو هاو كلية اللغات الشرقية جامعة سيتشوان للدراسات الدولية، جمهورية الصين الشعبية	08
أثر الدّلالة الصّوتيّة للصّفات الخاصّة في الخِطاب القرآني (تطبيقات على بعض الأنساق القرآنية)	فراكيس امحمد جامعة معسكر/الجزائر.	22
أسس صناعة المعاجم في ضوء الفكر اللساني للعلامة عبد الرحمن الحاج صالح - المعجم المدرسي نموذجا -	أحمد قبور جامعة الدكتور يحي فارس المدية/ الجزائر.	40
إشكالية التعدد اللغوي في الإعلام الجزائري -الإشهار أنموذجا -	حيزية كروش جامعة الشلف/ الجزائر.	60
إعداد وتأهيل معلّم اللغة العربية	ليلى صديق جامعة مستغانم / الجزائر.	72
أفعال الكلام في خطبة محمد البشير الإبراهيمي مقاربة تداولية المدونة : كلمة بإذاعة صوت العرب: القاهرة 1955 "موالاة المستعمر خروج عن الإسلام".	باجي بن عودة المركز الجامعي نور البشير - البيض/الجزائر.	82
الأنشطة اللغوية في منهاج الجيل الثاني السنة الأولى من التعليم الابتدائي – أنموذجا	نجاة مدني جامعة تلمسان/الجزائر	106
برامج الحاسوب ودورها في خدمة اللغة العربية	حبيب بوزوادة. جامعة معسكر/الجزائر	120
التداولية علم جديد في التواصل	ناوي نبيلة جامعة تلمسان/الجزائر	140

[redacted]

صلات المفسرين الجزائريين بغيرهم في العالم الإسلامي	بلحاج جلول جامعة تلمسان/ الجزائر.	152
علاقة علم اللّغة بلسانيّات الكلام	خديجة عبد الرحيم. المركز الجامعي -مغنية - تلمسان/الجزائر	172
فاعلية التلفزيون التثقيفية و التعليمية	غربي سامية جامعة تلمسان/الجزائر	180
مصطلح التناص في شعر مصطفى الغماري - قراءة في آية السيف نموذجا-	بوجمعة عائشة جامعة تلمسان/ الجزائر.	188
المعايير التربوية لقياس الكفاية في اللغة العربية للناطقين بغيرها	حسن بدوح جامعة الحسن الأول – سطات – المملكة المغربية	202
المفاهيم الدلالية بين مصطلحي التطور والتغيير	سعاد آمنة بوعناني جامعة تلمسان/الجزائر.	214
نحو تأصيل نظريّة تماسكيّة نصّيّة عربيّة	الطيب العزالي قواوه جامعة العربي التبسي - تبسة/ الجزائر.	228

صلات المفسرين الجزائريين بغيرهم في العالم الإسلامي.

بلحاج جلول
جامعة تلمسان/ الجزائر.

Summary:

The activity of the Algerian school has emerged in the interpretation since the ninth century AH as a broad scientific activity, in addition to the activity inside the homeland, which is the collection of interpretation, teaching and writing in it, the composition reviewed by the books of translations in various forms, as well as the many public and private holidays. The men of this school were not cut off from the Islamic world around them, but they had tours in the east and west, and knew the Algerian students of science many of the sheikhs of interpretation, they sat in mosques and schools ... and took them the decisions of that teaching, and get the composition, In the mosques of the Orient and the Maghreb and its schools, and worked on the composition of the scholars in the interpretation of interpretations, came brief times, and others in the form of the footnote to increase the explanation and statement, and attention to work origin.
In addition, they obtained their interpretation of the texts, bringing the Algerian school's rules of interpretation to their first sources. Many of this and others are mentioned in detail in his chapters, and I mention here a whole so that the picture is clear. I would like to emphasize that this communication continues at least in achievement, teaching.

Keys words : interpretation . Coran. Algéria. Religieous school.

ملخّص:

ظهر نشاط المدرسة الجزائرية في التفسير منذ القرن التاسع الهجري كنشاط علمي واسع، إذ إضافة إلى النشاط داخل الوطن والمتمثل في تحصيل التفسير، وتدريسه والتأليف فيه تآليفَ استعرضتْها كتب التراجم بمختلف أشكالها، وأيضا ما لهم في ذلك من الإجازات الكثيرة العامة والخاصة. فإن رجال هذا المدرسة لم ينقطعوا عن العالم الإسلامي من حولهم، بل كانت لهم جولات في شرقه وغربه، وعرف طلبة العلم الجزائريون كثيرا من مشايخ التفسير، فجلسوا إليهم في المساجد والمدارس...وأخذوا عنهم مقررات ذلك التدريس، وتحصلوا على تآليفهم، وقاموا بدورهم بالتدريس في جوامع المشرق والمغرب ومدراسه، وعملوا على تآليف علمائه في التفسير تفاسيرَ، جاءت مرات مختصرةً، وأخرى على شاكلة الحاشية لزيادة الشرح والبيان، والاستدراك على العمل الأصل.

وزيادة على ذلك تحصلوا على أسانيدهم في التفسير، فوصلوا بذلك أسانيد المدرسة الجزائرية في التفسير إلى مصادرها الأولى.

وكثيرٌ من هذا وغيره مذكور مفرقا في محالّه، وأذكره هنا مجموعا لتتضح بذلك الصورة.

وأحب أن أؤكد أن هذا التواصل لا يزال مستمرا على الأقل في التحصيل، والتدريس.

الكلمات المفتاحية : التفسير . القرآن . الجزائر. التدريس.

مقدمة:

عرفت المدرسة الجزائرية في التفسير خلال القرن التاسع الهجري نشاطا علميا وواسعا، إذ إضافة إلى النشاط داخل الوطن والمتمثل في تحصيل التفسير، وتدريسه والتأليف فيه تآليفَ استعرضتْها كتب التراجم بمختلف أشكالها، وأيضا ما لهم في ذلك من الإجازات الكثيرة العامة والخاصة. فإن رجال هذا المدرسة لم ينقطعوا عن العالم الإسلامي من حولهم، بل كانت لهم جولات في شرقه وغربه، وعرف طلبة العلم الجزائريون كثيرا من مشايخ التفسير، فجلسوا إليهم في المساجد والمدارس...وأخذوا عنهم مقررات ذلك التدريس، وتحصلوا على تآليفهم، وقاموا بدورهم بالتدريس في جوامع المشرق والمغرب ومدراسه، وعملوا على تآليف علمائه في التفسير تفاسيرَ، جاءت مرات مختصرةً، وأخرى على شاكلة الحاشية لزيادة الشرح والبيان، والاستدراك على العمل الأصل.

وزيادة على ذلك تحصلوا على أسانيدهم في التفسير، فوصلوا بذلك أسانيد المدرسة الجزائرية في التفسير إلى مصادرها الأولى. وكثيرٌ من هذا وغيره مذكور مفرقا في محالّه، وأذكره هنا مجموعا لتتضح بذلك الصورة. وأحب أن أؤكد أن هذا التواصل لا يزال مستمرا على الأقل في التحصيل، والتدريس.

أ – الرحلة طلبا لتحصيل التفسير:

والمقصود بالتحصيل هنا رحلة طلبة العلم الجزائريين إلى خارج الوطن، لأخذ التفسير خصوصا، وغيره من العلوم عن مشايخ عصرهم، سواء بالمغرب العربي كتونس وفاس ومراكش، أو المشرق الإسلامي كمصر والحجاز والشام وبلاد الروم. وكالعادة أذكر ما هو كالتقليد السابق عن القرن التاسع لإثبات جذور هذه المسيرة العلمية، والإشارة إلى امتدادها عبر العصور. فهذا ابن مرزوق الحفيد يأخذ عن جده وقد كان معروفا بالتفسير، وأخذ الجدُّ ابن مرزوق عن العلامة الصفاقسي بتونس؛ فقد قال الجدُّ المذكور: " وسمعت من لفظه كتابَه الذي أعربَ فيه وأغرب في إعراب القرآن العظيم."[01]. وحضر الصفاقسي عند أبي حيان " واستقر إبراهيمُ الصفاقسي بالقاهرة ولازمَ شيخَ العربية أبا حيان."[02]. ومعروف تخصص كلٌّ من الصفاقسي المذكور وأبي حيان في القرآن إعرابا وتفسيرا. وأخذ الجد ابن مرزوق أيضا عن العشّاب 736هـ وهو من كبار المفسرين، وفي المعيار المعرب للونشريسي نقولٌ في التفسير عنه.[03].

ومن أهل القرن التاسع الإمام المفسر أحمد البسيلي، الذي أخذ التفسيرَ عن جماعة منهم " الإمام ابن عرفة، وأبي الحسن البطروني، والوليّ ابن خلدون، وأبي مهدي عيسى الغبريني."[04].

بل قيد المسيليُّ التفسيرَ عن ابن عرفة التونسي، فيكون بذلك قد قدم خدمة للعلم بهذا التقييد، وشارك بذلك في حفظ تفسير بان عرفة من الضياع.

وتجد أيضا ابنَ مرزوق الحفيد قد تتلمذ على المفسر ابن جزي الغرناطي، والظاهر أن ذلك كان بالأندلس، وفي النص التالي ما يفيد ذلك وغيرَه من شواهد الرحلة، والتحصيل فقد أخذ ابن مرزوق الحفيد" العلم عن جماعة كالسيد الشريف العلامة أبي محمد عبد الله ابن الإمام العالم الشريف التلمساني، والإمام عالم المغرب سعيد العقباني...وبتونس عن الإمام ابن عرفة...وأجازه من الأندلس...وأبي محمد بن جزي."[05]. ومعلوم أن جميع هؤلاء مفسرون، ولهم في التفسير تآليف، وأسانيدهم فيه موصولة، وإجازاتهم مشهورة.

وفي النص التالي زيادة ذكر لأشخاص أخذ عنهم ابن مرزوق التفسير، يهمنا منهم من هو بتونس؛ إذ أخذه " عن أبيه وعمه وجده وسعيد العقباني، وبتونس عن ابن عرفة وأبي العباس القصار."(06). ومعروف أن القصار من المفسرين وهو من شيوخ البسيلي.

وممن رحل إلى تونس فأخذ العلم عن أحد مشايخها في التفسير ابن فائد القسنطيني، ففي بعض النصوص أنه أخذ " الفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني."[07]. والقلشاني مفسرٌ تونسي، كما أخذ ابن فائد عن " محمد بن محمد بن عيسى العفوي الزَّلديوي المغربي: أخذ عنه كإبراهيم بن فائد، قال: وله تصانيف عدة في فنون منها تفسيرالقرآن..."(08)، والنص لا يفيد أنه أخذ عنه التفسير، لكن الزلديوي المذكور من المفسرين. هذا عن أهل المغرب، أما أهل المشرق فلهم إليه رحلة فيما تذكر كتب التراجم عن ابن فائد أيضا " تل النافع على الزَّيْنب نعيًا شبل حضر مجلس ابن الجزري في سنة ثمان وعشرين."[09]. وهو نوع من الاهتمام بتحصيل ما يتعلق بتفسير القرآن.

ومن مشايخ ابن فائد والذين لم يتكلف لهم رحلة بل استغلّ مرورَهم ببجاية أو إقامتهم بها، وهم من أهل الأندلس فأخذ عنهم التفسير، وبعضَ ما يتعلق به من العلوم أذكر منهم شخصيتين، الأولى ابن فرّاج، إذ كان من مشايخه في العربية ما ذكر من أنه لما رجع إلى جبال بجاية فأخذ العربية عن الأستاذ عبد العالي بن فراج. وأخذ ابن فائد القسنطيني " المعاني والبيان عن أبي عبد الله محمد اللبسي الحكم الأندلسي ورد عليهم حاجاً."[10].

وأختم بهذا النص الذي يعمم استفادة ابن فائد من رحلته إلى تونس على عادة كثير من طلبة في هذا القرن، إذ نجده يرحل " إلى تونس فأخذ الفقه أيضاً وكذا المنطق عن أبي عبد الله الأبي والفقه أيضاً وكذا التفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني والفقه وحده عن

يعقوب الزعبي والأصول عن عبد الواحد الفرياني."[11]. والفنون الزائدة على التفسير هي من ضروريات ثقافة المفسر.

ورحل الصدقاوي من تلمسان بلده قاصدا المشرق، وكان مما درسه على شيوخها التفسير؛ إذ لقي به أعلاما اشتهروا بالتدريس، بل منهم من اشتهر حتى حد الاختصاص بتدريس التفسير كالبرهان بن ظهيرة، فكان الصدقاوي " يحضر دروس البرهاني بن ظهيرة."[12] وابن ظهيرة هذا كما هو معلوم من كبار المفسرين والمدرسين للتفسير وغيره؛ بل إن هذه الشخصية العلمية حازت القبولَ التام ،كما يفيده النصُّ التالي والذي فيه " عالمالحجازالبرهانبنظهيرة."[13].

وفي نهاية القرن التاسع تذكر الكتب شخصيةً كبيرة، هي امتداد لعائلة عريقة في العلم والتفسير أيضا، فقد رحل ابن مرزوق الكفيف إلى تونس، ومن أشياخه فيها " الإمام الحافظ المصنف الكبير العلامة أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله القلشاني قرأ عليه شيخنا رضي الله عنه وسمع وتفقه، ومن مقروآته عليه طائفة من الإرشاد لأبي المعالي، وحضر عليه إلقاء تفسير طائفة من الكتاب العزيز أولها قوله تبارك وتعالى (ولقَدْ ذَرَأْنا لجهنَّمَ...) [الأعراف: 179]، ومنتهاها قوله سبحانه (ولو أسمعهم لتولّوا وهم مّعرضُون) [الأنفال: 23] بما يجب لذلك الإلقاء من بيان المعاني واستنباط الأحكام بإيراد الأسولة والانفصال عنها وغير ذلك. ولم تتفق له منه إجازة."[14].

ومن أشياخ الكفيف في التفسير أيضا وهو بتونس " الإمام الخطيب المدرس الجهبذ الناقد أبو عبد الله بن عقاب... وسمع عليه بمجلس درسه جملة من تفسير القرآن العزيز سماع تفقه في أحكامه، وتفهم لمعانيه مع ما أفاده رضي الله عنه مما لم تحتو عليه كتب التفسير من أبكار أفكاره، وأخذه عن شيوخه بعباراته الفصيحة واستدلالاته المحكمة الصحيحة."[15]، ولم يقع في النص تفصيل لمقدار الجملة المذكورة، ولكن الضروري قد حصل، وهو ما يسمى به الطالب آخذا عن شيخه دراسة، لا فقط إجازة.

ومن الشخصيات التلمسانية التي رحلت إلى فاس فأقامت بها الفترة الطويلة، الشيخ المطْغري؛ إذ قد قدم فاسا وبها العلامة ابن غازي. رحل المطغري رحلته العلمية " سنة 891هـ، فلازم العلامة ابن غازي 29 سنة في البحث والتحقيق، وأخذ عنه، وعن ابنه أحمد. وأخذ عنه علوما عديدة. وهو شيخه على الحقيقة، وسمع المطغري منه علوما كثيرة وختم عليه كتبا عديدة، ذكرها ابن منجور في فهرسته، ومنها التفسير. فقد ذكر ابن هارون المذكور: " قال: تفسير القرآن العزيز سمعناه من ألم السجدة إلى آخر القرآن ومن أوله إلى قوله (وليخش

الذين لو تركوا من خلفهم) أو ما يقرب منه بمجلسه الذي بمدرسة الخسّة.".[16] وسائر ما أخذه عنه مما ذكره ابن منجور هو مما يتصل بالتفسير بسبب متين كالعربية والمعاني، والفقه والكلام. وفي النص التالي تفصيل لما أجمل في غيره مما أخذه عنه المطغري رحمهم الله جميعا.

أخذ المطغري عن ابن غازي بفاس عام 891هـ" وهو قارئ دروسه في المدونة والموطأ والعمدة والتفسير وخليل والعربية والحساب والفرائض وغيرها. جمع عليه سبعا وحصل عنه علما جما حتى قيل له: خزانة علم لكثرة الفنون عنده. أجازه ابن غازي عام ست وتسعمائة وختم عشرين ختمة بعد السبع وغيرها، والبخاري نحو عشر ختمات، والموطأ بالباجي وغيره؛ قراءة بحث وتحقيق، وجامع الأصول لابن الأثير وترغيب للمنذري، واكتفاء أبي الربيع وقراءة الشيخ أحمد بن غازي. وانتفع عليه في هذه الكتب وفي شروحها وغريبها. وكذا السلالجية وعقيدة ابن أبي زيد وأصلي ابن الحاجب ومختصر ابن عرفة وقانون ابن العربي وجمع الجوامع، وموافقات الشاطبي والتنقيح، وفي الرسالة أربع ختمات، والمدونة والمختصر مرتين وابن الحاجب وبعض التوضيح والألفية مرارا واللامية والجرُّومية، والمغني والشاطبية الكبرى والتيسير وابن بري، ومورد الظمآن والتلخيص مع شرح السعد والبردة بشرح ابن مرزوق مرارا، وابن أبي جمرة على البخاري..."[17].

وفي القرن الثاني عشر تطالعنا شخصية اهتمت كثيرا بلقاء العلماء، ووصل أسانيد العلوم عنهم، وقد تمَّ له من ذلك ما أراد، وأمد بدوره الجيل الذي بعده بأسانيده، وما تلقاه عن شيوخه، وهو الإمام عيسى المهدي الثعالبي. وقد ترجمتْ له المصادر وأشادت به. والمهمّ هنا أن أذكر أنه " رحل إلى مكة شرفها الله تعالى، وأخذ بها عن أجلائها كالقاضي تاج الدين المالكي، والإمام زين العابدين الطبري، والشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ علي بن الجمال المكيين، وأجازوه بمروياتهم."[18]. وهؤلاء وغيرهم ممن احتواه منتخب أسانيده.هم حلقة الوصل بين أجيال القرن الحادي عشر والذي يليه، وقد لقيهم وسمع منهم، وجلس إليهم رحمه الله. ولقي غيرَهم إذ كان مقامه الطويل، وإقامته الدائمة ببلد الله الحرام قد مكنته من لقاء أعداد من الشيوخ ممن وفدوا إلى الحرم حاجين ومعتمرين.

وبخصوص الرحلة العلمية من منطقة توات بصحراء الجزائر إلى اتجاهات مختلفة منها فاس ومراكش، وبلد الله الحرام يجد الباحثُ أن عمر بن عبد الرحمان التنلاني قد رحل مرات متعددة بعضها داخل الوطن زمن التحصيل، والباقي خارجه كرحلته إلى الحج. فالرحلة الأولى كانت إلى بلاد التكرور رفقة شيخه عمر بن محمد الكنتي كما ذكر التنلاني في

فهرسته، وفي الرحلة الثانية لمدينة إروان للقراءة على شيخه المذكور. والظاهر أنهما في نفس السنة كما تفيده فهرسة المؤلف.

والرحلة الثالثة كانت لسجلماسة لزيارة الشيخ صالح بن محمد الغماري، وكانت بتاريخ 1168هـ. وفي خلالها زار فاسا أيضا حيث تم له لقاء شيخه أحمد بن عبد العزيز الهلالي. وكان القصد من هذه الرحلة " أن يأخذ عنه القرآن العظيم بمقرأ الإمام نافع بروايتي ورش وقالون من طريق الأزرق وأبي نشيط."(19) وأما رحلته الأخيرة فقد كانت عام 1188هـ للحج وقد تمّ له ما أراد من نفس العام. وفصل كل ذلك في رحلته إلا أن بها كثيرا من السقط والنقص.

وفي أواخر القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر تاقتْ نفس أبي راس الناصري المعسكري إلى الرحلة على عادة النابغين من طلبة العلم وأهله، وقد سجل هو بنفسه رحلته التي " ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب ومن لقي من الأعيان.".[20].

وقد كانت الرحلة ولو في زمانه محطّ أنظار المفكرين والمصلحين، لما يستفيده صاحبها من " طلب العلم واكتساب المعارف."[21]، ولقاء "الأفاضل من أهل مصر وتونس وفاس..."[22]. كما لقي الإمام الزبيدي اللغوي المشهور فقد جاء " أنه لقيَ فيمن لقيَه، وأجازه من العلماء بمصر الشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس."[23]. كما لقي العلامة الأمير صاحب التفسير لسورة القدر والمعوذتين كما هو معروف من بعدُلما ارتحل الشيخ أبو راس " إلى مصر واجتمع بأكابر علمائها مثل الشيخ...محمد الأمير."[24].

واستمرت رحلة الأعيان والمشايخ إلى مصر والمشرق، فهذا ابن باديس رحمه الله قد رحل إلى مصر والحجاز، ولبنان...بعد أن رحل شيخه حمدان لونيسي ولقيه في رحلته.وقد كان الرحلة عهد الاحتلال تأخذ شكل الهجرة إذ غالبا ما انتهت بالإقامة الدائمة ببلاد الشام، والحجاز ومصر. وكان قبل ذلك وهو ما يهم الباحث هنا قد رحل بعد أن تعلم بمسقط رأسه إلى " بتونس حيث أتم دارسته بجامع الزيتونة وتخرج بشهادة التطويع (1911_ 1912م)."[25].

وحل أيضا الشيخ مصطفى بن عليوة إلى المشرق وتركيا، وقد ذكرت ذلك كله من قبلُ، ولا أعلم إن كانت رحلة طلب علم أو فقط رحلة سياحة واعتبار... وكذلك فعل الشيخ محمد ابن إبراهيم الطرابلسي قرقر، حيث رحل في طلب العلم خارج الوطن، وتم له " أخذ مبادئ النحو...،وحضر دروس التفسير والفرائض للشيخ نصر القُمّي مفتي طرابلس..."[26].

وأود أن أشيرُ هنا إلى استمرار الرحلة في تحصيل التفسير بالشام ومصر، خصوصا من جهة الطلبة الذين رحلوا يطلبون الإجازات في القراءات خصوصا، والعلم الشرعي عموما، منهم:

الشيخ رشيد بريك الذي لقي بمصر الدكتور توفيق النحاس " الذي أجازني في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، ورواية ورش عن نافع من طريق الأصبهاني من طريقي التجريد والكفاية. كما أجازني بمروياته المتصلة بثبت الأمير، وما فيه من الصحاح من الأحاديث والعلوم النافعة، وأذن لي بتدريسها وشرحها والإجازة بها."[27]. وكذلك الأستاذ محمد بن عبد القادر عبيد يتحدث عن محمد فال بن محمد، أخذ عن جملة من المشايخ و" عن شيخنا الجليل أحمد بن الشيخ أحمد المرابط قرأت عليه نظم السنوسية لابن الطيب الفاسي، كما لازمت دروسه في تفسير كتاب الله المجيد.". والأستاذ عمار راجعي الذي درس عند الشيخ عبد الرزاق الحلبي " التفسير والنحو والإعراب."[28]. والسيد مار رقبة الشريف عن الشيخ عبد القادر حمودي، فقد حدث عن نفسه فقال: "... وقرأت عليه الربع الأخير من كتاب الله تعالى."[29]، وأخذ عن الشيخ محمد راتب النابلسي" تفسير القرآن بجامع عبد الغني النابلسي، جامع العثمان الميسات."[30].

وممن رحل أيضا إلى الشام وأقام بها مدة الشيخ مقداد بن موسى بن علي فريوي، أخذ عن علمائه، وتقدم بشهادة علمية في ميدان التفسير، وكان موضوعها: تحقيق كتاب الكفاية في تفسير القرآن، للإمام أبي أحمد عبد العزيز بن أحمد الديريني، من الفاتحة إلى آخر سورة النساء. وهو موضوع رسالة الدكتوراه التي ستناقش قريبا بإذن الله، وإن كان في العمر بركة أتممناه إلى آخر القرآن بعونه تعالى."[31]. وهو جهد مشكور جزاه الله خيرا.

وأختم بالشيخ شعيب قويدر، والذي قد تكون رحلته من أواخر الرحلات إلى الشام ولا أن علم الآن كم بقيَ به، ولكنه حدث عن نفسه فذكر أنه " وفي عام 2000م سافرت إلى الشام، حيث التحقنا بمعهد بدر الدين الحسيني بدمشق، درسنا فيه حوالي أربع سنوات، وكنا ندرس في المعهد 23 مادة منها: الفقه والحديث والتفسير، والتجويد..."[32].

وكل هذه الرحلات الحديثة كانت مع بدايات الثمانينات من القرن الماضي، مع ابتداء الصحوة الإسلامية، وتجدد الرغبة في وصل ما كاد أن ينقطع من أسانيد العلم، ولقاء الشيوخ. وغالبها كان إلى بلاد الشام سوريا خصوصا. وقد استمر ذلك إلى أن تغيرت الحال فظهرت الثورة المستمرة بهذه البلاد، والله المرجو أن تستقرُّ الأحوال على ما فيه صلاح البلاد والعباد، وأن يرفع الظلم عن المظلومين...

ب _ تدريس التفسير خارج الجزائر.

كلّ الذي مرُّ إنما هو الرحلة لتحصيل التفسير، وقد مثلتُ بما ذكرتُ وليس الغرض الاستقصاء، إذ أن ذلك ليس بالوسع؛ لكثرته واتساع دائرته وكثرة الراحلين من طلبة هذه البلاد إلى مختلف البلدان. والمقصود الآن الدلالة على شكل جديد من أشكال الصلات العلمية والثقافية بين مدرسة التفسير الجزائرية وغيرها من المدارس، من جهة أن جملة من أعيان مفسريها قد كان لهم نشاط واسع بالمساجد والمدارس في مختلف البلاد والتي منها فاس ومراكش، وتونس ومصر والحجاز والشام، وبلاد الروم...

ذكرتُ من قبل في نصوص متعددة أن البسيلي كان من المفسرين، وأنه قيد تفسيرَ شيخه ابن عرفة، في كتاب بحجم كبير وآخر صغير، وأنه كان يدرس بالمدرسة الحكيمية بتونس، ولا يستبعد بل هو أمر وارد جدا أنه كان يدرس تفسير شيخه ابن عرفة إذ كان به حفيا.

وينقل السخاوي ما يدل على مقدرة المشدالي في التدريس فقد قال: " وسمعت البقاعي يقول غير مرة أنه لم يكن ينظر في دروسه التفسيرية في غير القرآن، وأنه يستلقي على قفاه ويتأمل فيأتي بصواعق لا ينهض غيره لها."[33]. وتولى التدريس بعدة مدارس بعدة أماكن، ونافسه غيرُه في تولي التدريس ببعض المدارس"حتى انتزع له تدريس التفسير بقبة المنصورية."[34].

وفي نص ختامي أنه لقي محمد بن سيف الدين الحنفي حيث وَليَ تدريسَ التفسير "بقبة المنصورية برغبة أبي الفضل المغربي."[35]. فهذه نصوص تشيرُ إلى تدريس المشدالي التفسيرَ خارجَ الوطن في أماكن كبيرة، وأسماء كبيرة أيضا ممن تتلمذ عليه خصوصا في التفسير.

وممن تولى التدريس تدريس التفسير بالخصوص الإمام الشمُني، فقد تولاه في مدارس عديدة، ودرّس فنون كثيرة فقد نقل السيوطي وهو من تلامذته أن الشمُني المذكور " أقرأ التفسير والحديث والفقه والعربية والمعاني والبيان وغيرها، وانتفع به الجمُّ الغفير، وتزاحموا عليه، وافتخروا بالأخذ عنه، مع الخير والعفة، والتواضع والشهامة وحسن الشكل والأبهة والإجماع عن بني الدنيا. أقام بالجمّالية مدة، ثم ولي المشيخة والخطابة بتربة قايتباي الجركسي بقرب الجبل، ومشيخة مدرسة اللالا.". والسيوطي إضافة إلى أنه من تلاميذ الشمني فهو خبير بالدرس، وبأقدار العلماء، وفضائل المدرسين. والسيوطي أصلا من المفسرين وله فيه المؤلفات الكبيرة كالدر المنثور في التفسير بالمأثور، والحواشي الكبيرة كالتي وضعها على تفسير البيضاوي.

وأستزيد من النقل عن تدريس الشمني للتفسير، ففي ترجمة ابن الكركي، وجدتُ الأخير درّس عنه فنون عديدة زيادة على التفسير، " إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي إمام

السلطان(ولد 835هـ) ويعرف بابن الكركي... ومما أخذ عن الشمُنِّي التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان والمنطق وغيرها بقراءته وقراءة غيره تحقيقا ودراية."[36]. وهي كلّها علوم تمس إليه حاجة المفسر، وورد أيضا في ترجمة "أحمد بن محمد الكناني الشافعي(826هـ/895هـ) ... وسمع على الشمني في حاشيته على المغني بل سمع عليه في التفسير والحديث وغيرهما."[37]. كما ورد أيضا في ترجمة " محمد بن علي بن علي بن محمد بن نصير - كبُكَيْر – الشمس أبو الفضل الدمشقي القوصي الأصل القاهري الشافعي. وأكثر من الأخذ عن الشمني في فنون كالتفسير والأصلين والعربية والمعاني"[38]. وهو شخصية شامية وردت على مصر. وفي هذه النصوص وفي غيرها مما تركتُ ذكرَه أن الشمني كان مقصودا في تدريس التفسير وما يتبعه من العلوم المساعدة، وأنه استمر على ذلك السنين العديدة؛ بل إنه لم ينقطع عن التفسير خصوصا بالمدارس الرسمية حتى وفاته، وأن كثيرا من أعيان القرن التاسع هم من تلامذته كما يفيده النظر في الضوء اللامع للسخاوي.

وممن درس بالمغرب الأقصى الشيخ ابن شقرون، ففي بعض التراجم أنه كان يدرس التفسير، وأن بعضهم " حضر أيضا عند الإمام مفتي المغرب سيدي شقرون بن هبة الله الوهراني التلمساني في مجالس عديدة من التفسير والفقه والنحو والكلام."[39]. وهي تقريبا العلوم الضرورية للمفسر.

وممن درس التفسير أيضا يحي الشاوي، وقد أوردت على لسان المحبي في خلاصة الأثر أنه سمع عليه في جملة من أصحابه تفسير الفاتحة من تفسير البيضاوي مع حاشية العصام عليها، مع التحقيق التام. قال المحبي: " قرأنا عليه في تركيا تفسير سورة الفاتحة من تفسير البيضاوي وأجازنا جميعا بإجازة نظمها لنا."[40]. وكذلك درس الأمير عبد القادر من خلال مجالسه كتاب المواقف وقد عرفت به، وأنه من التفسير الإشاري. وهو لون معدود في التفسير رغم كثرة الخلاف في عده من التفسير. وكان ذلك بالمسجد الأموي.

ومنهم أيضا الشيخ محمد الشريف اليعقوبي، وكان يدرس في بيته موظفا تفسير القرآن: " ثم يشرع يدرس يعظ ويرشد معتمدا على تفسير القرآن الكريم بروح صوفية."[41]. إذ كان يدْرسُ الجلالين على البيطار، بعد أن كان قرأه على بعض المشايخ كما في النص التالي من نفس المرجع " وكان يحضر على المحدث الشيخ بدر الدين الحسيني في مجلس خاص تفسير الجلالين، وأخذ منه إجازة. وهو نص يفيد أن التدريس أخذ يجنحُ إلى هجْر المطولات والاقتصار على المختصرات، كالبيضاوي، بل كتفسير الجلالين.

وكذلك كان العلامة الأمير ذو الأصول الجزائرية (مازونة)، يدرس التفسير للطبقات العليا من الطلبة خصوصا بالأزهر الشريف، بل كان يحدث أن يلقي درسا أميريا في التفسير: " وفي منتصفه كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع... حصلت به الجمعية وحضر الباشا الدفتر دار والمشايخ وصلوا به الجمعة وبعد انقضاء الصلاة عقد الشيخ محمد الأميرا لمالكي درس وظيفته وأملى(إنما يعمر مساجد الله...)الآية والأحاديث المتعلقة بذلك وثم المجلس وخلع عليه الباشا بعد ذلك خلعة."[42]. وهو النص يفيد أن خصوص ذلك الدرس كان بمسجد السيدة زينب.

وأختم بهذين النصين المعاصرين ففيهما كما هو معلوم وشاهد أن الشيخ أبا بكر الجزائري لا يزال حفظه الله يدرس التفسير بالمسجد النبوي: " وقد انبرى الشيخ لتدريس التفسير ضمن دروسه في المسجد النبوي التي تذاع غبًّا بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية ."[43]. فهو عمل مزدوج يفسر بالمسجد النبوي ويذاع على الناس لتعم الفائدة، ولعل هذا الشكل هو من أوسع الانتشار، فقد سمعه عليه مباشرة مسلمون من جنسيات مختلفة، وسمعه الناس من دو لمختلفة غبر الإذاعة إضافة إلى أن تفسير قد لقي قبولا كبيرا. وهو أمر ذكرته من قبل فلا أطيل بإعادته.

وذكر أيضا بعض الباحثين " وقد التقيت به عدة مرات وأخبرني أنه استمر في تدريس التفسير في المسجد النبوي طيلة خمس وأربعين سنة ختم خلالها القرآن أربع مرات وهو الآن في الختمة الخامسة."[44].

ومما هو من قبيل الصلات الوثيقة والمستمرة بين المدرسة الجزائرية، وغيرهما من المدارس شرقا وغربا، اعتماد مقررات المشرقية خصوصا في التدريس، وهو في أصله حالة صحية تدل على مواكبة المفسرين الجزائريين عبر العصور لحركة التفسير الإسلامية، والتي تعتمد خلاصة ما انتهى إليه الإنتاج التفسيري، وهو من جهة ثانية محاولة جادة لإضافة ما يمكن من النقد، والتمحيص، والتوسع في المباحث. والمقصود باعتماد الكتاب مقررا أن الشيخ يشرحه ويكون بين يدي الطلبة منه نسخ للقراءة وربما الحفظ. وأما المطالعة فقد كان يرجع المشايخ إلى كثير من كتب التفسير لأجل التوسع والتحقيق. وقد ذكرت مرارا بعض المفسرين الجزائريين الذين ذكروا مصادر تفاسيرهم كالسيخ أبي راس الناصري، وابن باديس...

والباحث يجد ظاهرة اعتماد المنتج التفسيري المشرقي قديما في نشاط المدرسة الجزائرية، فمنذ البدايات الأولى والتي لم تتجاوز القرن الثاني، نجد قبولا كبيرا لتفسير يحي بن سلام

(200هـ) في الأوساط المغربية، وذلك أن الجميع وجد ضالته في هذا التفسير الأثري الموسع، وقام باختصاره كما سبق هود بن محكم الهواري، واتجاه في اختصاره بما يتناسب ومشربه العقائدي الإباضي، واعتمد أهل بجاية كما في عنوان الدراية تفسير بن حميد، إلى أن ظهر الكشاف للزمخشري (538هـ)، فرغم ما فيه من الاعتزال الذي اجتهد صاحبه في تضمينه مباحث التفسير إلا أن المشايخ في المدارس والمساجد وفي التآليف قد جعلوه ضالتهم، وعمدتهم. وشاع تدريسه شرقا وغربا، ولا يذكر قول للمتأخرين في التفسير إلا ويذكر مقرونا معه ما ذهب إليه الزمخشري. وقد مر في الباحث أن السجلماسي قد قرأ في القرن الحادي عشر الكشاف ثلاثين مرة...

ومع كل هذا الاهتمام المتطاول الفترات إلا أننا لا أكاد أجد عملا لعالم جزائري، رغم كثرة ما عمل عليه من الشروح والحواشي، باستثناء عمل السنوسي والذي اختصر فيه حاشية التفتازاني على الكشاف. وهو عمل لم يصل بأيدي الباحثين.

وقد كان لظهور تفاسير أبي حيان قيمة علمية، وفرصة للتخفيف من ضرورات الرجوع المستمر للكشاف، وذلك لكثرة ما تعقبه به أبو حيان (745هـ) في مباحث النحو خصوصا والعربية عموما. وكذلك ظهر تفسير ابن عطية الأندلسي (542هـ) فزاد في تضييق دائرة الرجوع إلى الكشاف كيل بعير، على أن ذلك لم يعدم من قيمة الرجوع إليه لما حواه من التحقيقات التي لا نظير لها.

واعتمد علماء التفسير بالجزائر تفسير الإمام البيضاوي (685هـ)، والذي جمع محاسن ما تفرق قي غيره، وناسب وضوحه الحاجات العلمية لمختلف الطبقات الطلابية، ومع أنه قد شاع في المدارس إلا أننا لا نجد عليه حاشية لمفسر جزائري إلى بداية القرن الثاني عشر، حيث وضع الشيخ البليدي حاشية المشهورة، ولم يقع تداولها بين العلماء، وكذلك وضع الشيخ طاهر الجزائري ما يشبه الحاشية على تفسير البيضاوي. ومر أيضا أن بعض الإباضية وضع حاشية على التفسير المذكور. وكان من أواخر ما اعتمده الجزائريون من التفاسير تفسير الجلالين، والمنسوب إلى جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي. ولبعض الإباضية عليه حاشية.

- صلات التآليف على تفاسير أهل المشرق.

ومن أشكال الصلات الوثيقة بين المدرسة الجزائرية وسائر المدارس المشرقية والمغربية، التآليف في موضوع التفسير، وذلك أن مجموعة من أعمال المفسرين المشارقة والمغاربة كانت قد وصلت وفي وقت مبكر إلى المعاهد العلمية والمساجد، وجرى تناولها على المستوى التدريس أو

المطالعة. ولا شك أنه بعد البحث الطويل وتقليب النظر العلمي في مضامينها، تحددت المواقف بإزائها.

فقبل القرن التاسع نجد عمل هود بن محكم الهواري الذي اختصر تفسير يحي بن سلام، وكذلك ورد في ترجمة أحمد بن محمد المعافري القلعي (القرن السابع) أنه " اختصر كتاب التفسير لأبي عمر الداني اختصارا بليغا وجيزا، يدل على علمه وجودة فهمه."[45]. وليس بين أي الباحثين شيء من نصوصه.

وبحلول القرن التاسع تجد عمل البسيلي الذي قيد فيه مجالس ابن عرفة في التفسير؛ إذ "كانت له دروس في التفسير يلقيها على طلبته منذ بداية تدريسه بمدرسة التوفيق في مستهل النصف الأخير من القرن الثامن، وجمع تلامذته تفسيره الفريد التحرير والبديع في التقرير."[46].

ولم يكن عمل البسيلي بالذي تغيب فيه شخصيته، فيكون مجرد ناسخ لعمل شيخه، بل الذي هو مؤكد أنه لم يقيد جميع المجالس، ولأجل ذلك كمّل مواضع منه بغيره من تفاسير، فهو إذن " تفسير قيده عن شيخه ابن عرفة، وأضاف إليه زوائد من غيره، وفيه فوائد، ونُكَت ذكرَ فيه بعد أن أورد أسئلة وأجوبة في بعض الآيات، " وهذه الأسئلة وأجوبتها وأمثالها وكل ما ذكرنا في كتابنا هذا مما يقع بين الطلبة في مجلس شيخنا ابن عرفة أو بينه وبينهم."[47].

وقد كتب مؤلف صاحب كشف الظنون، أنه :" أبو العباس أحمد بن عمر البسيلي الإمام الفقهي العامل الكامل الخير الشيخ الفاصل، أخذ عن ابن عرفة، له تقييد في التفسير، قيده عن ابن عرفة فيه فوائد مهمة، ونكت وله فيه قصة مذكورة في نيل الابتهاج."(48). وهو تقريبا ما فصلت الكلام فيه عند ترجمة البسيلي والتعريف بتفسيره. وأما ما ذكره بروكلمان من أنه "أحمد بن محمد البسيلي مفسر، أخذ عن ابن عرفة من تصانيفه: تفسير القرآن العظيم."[49]. فهو إجمال موهم أن البسيلي المذكور له عمل مستقل في التفسير، والذي بين يدي الباحثين هو ما قيده عن شيخه.

وكذاك عمل الثعالبي على تفسير ابن عطية مختصرا مشهورا حوى المهم من كتاب ابن عطية، وزاد عليه تحقيقات وتعقيبان رآها الثعالبي مهمة، جمعها من مصادر عديدة، وبإحالات أكيدة أشار إلى كلّ ذلك بقوله: " فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر، ما أرجوا أن يقرّ...وبالجملة فحيث أطلاق الكلام لأبي حيان."[50]. وقد شاع هذا المختصر وعمّ النفعُ به

قديما، ولا تزال طبعاته تتوالى حديثا. وهو للإشارة عمل أندلسي لقي قبولا وشاع الانتفاع بع شرقا وغربا.

وممن عمل مختصرا على كتاب مشرقي، الشيخ محمد بن يوسف السنوسي فقد اختصر حاشية التفتازاني على الكشاف: " مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف."[51]. وطبيعة هذا العمل واضحة فهو ينتمي إلى الأزمنة التي شاعت فيها المباحث الكلامية والنحوية والبلاغية وأتخم التفسير بها.

وللشيخ التنلاني التواتي عمل على الدر المصون اختصرُ فيه هذا الأخير عملَ ابن السمين، وهو في إعراب النحو ومباحث المعاني...وإن كان اقتصر التنلاني على الإعراب فقط، ولم يتجاوز النفعُ به منطقة توات من صحراء الجزائر لبعد المسافة، وتوفر الأصل. كما أن لبعض الإباضيين وهو للشيخ يوسف بن محمد المصعبي المليكي أبو يعقوب (1773م) حاشية على الجلالين، ولم أطلع عليها.

ولبعض الإباضيين الشيخ إبراهيم بن بيحمان (1817م) حاشية على تفسير البيضاوي، وهوفي ذلك يستجيب لحاجات علمية، لكون تفسير البيضاوي قداشتهر وعم النفع به، واعتمده المشايخ في المساجد والمدارس، وكثرت الحواشي عليه شرقا وغربا. وكذلك يأتي عملُ الشيخ طاهر الجزائري حاشية على تفسير البيضاوي، وهو " من كتبه التي لا زالت مخطوطة: تفسير القرآن في أربع مجلدات."[52]. وممن عمل حاشية على تفسير البيضاوي السيد البليدي رحمه الله، وهي نتاج تدريس مستمر وطويل لتفسير البيضاوي.

وفي القرن الحادي عمل الإمام يحي الشاوي عملا علميا دقيقا، على عملين مشرقيين هما تفسير الكشاف وتفسير أبي حيان، وعمل أندلسي هو تفسير المحرر الوجيز لابن عطية. وقد أبدى فيه من التحقيقات ما هو معلوم لمن طالعه.

- الصلات العلمية عن طريق الإجازات:

ومما أختم به هذه النقطة هو الإشارة إلى الإجازات المتبادلة بين المفسرين الجزائريين وغيرهم من العلماء والمفسرين، من ذلك الإجازات التي جمعها الثعالبي، وضمنها كتابه غنيمة الواجد، وفيهم من المصريين ولي الدين العراقي، وكثير من المشرقيين...وفي النص التالي لابن مريم "أجازه جميع من ذكرنا _ العبارة لابن مريم _الإجازة العامة بما لهم من المصنفات والمرويات، وهذا فخر كبير اجتماع هؤلاء كلهم له، وناهيك من هم بجده والعراق يو ابن عرفة وابن خلدون، وصاحب القاموس، وابن الملقن والبلقيني والعيني والبرزلي. فقل أن

يجتمع لأحد مثل هؤلاء في مشيخته من مجيزيه. وتخرج به هو كذلك فحول العلماء وتدب جمع الولي أب يزيد الثعالبي."[53].

وكذلك أخذ العلامة المفسر ابن زاغو لما كان يدرس خارج الوطن الإمام ولي الدين العراقي (816هـ) وسمع منه الحديث، وأجازه إلا أن الذي بين أيدي الباحثين أنه كان يتولى تدريسه فقد ذكر القلصادي أنه قرأ عليه " صحيح البخاري كلّه ومن أول صحيح مسلم إلى أثناء الوصايا..."[54]. والعادة أن يتم طلب الإجازة ومنحها. وهو ما يفيده النص التالي من أن ابن زاغو أخذ الإجازة أيضا عن الحافظ شهاب الدين الكلوتاتي (835هـ) فقد " أجاز له جميع ما يجوز له وعنه روايته. قال ومن مروياته تفسير الواحدي الأوسط، وأسباب النزول له."[55].

ومن المفسرين الجزائيين الذين أجازوا غيرهم وهم خارج الوطن الإمام تقي الشمني، إذ إضافة إلى التدريس الواسع لجيل كامل من الطلبة، أجاز كثيرين لا يحصيهم العد. وقد ورد من ذلك مثلا في ترجمة عبد الباسط بن خليل (ق 09هـ) أنه " أجاز له الشمني."[56]، وكذا موسى ابن عمر اللقاني فقد " أجاز له شيخنا الشمني."[57]، وأيضا ممن روى " عنه بالإجازة التقي الشمني" شيخه إبراهيم بن.يونس الحنفي.

وورد في كتب التراجم أن ابن مرزوق الكفيف أنه زيادة على ما أخذه من مقررات التدريس على هؤلاء وغيرهم فإن " كل هؤلاء أجازوه وقرأ عليهم مشافهة إلا ابن حجر فمكاتبة."[58]. يقصد مجموعة من الأعيان من داخل الوطن وخارجه.

وبخصوص الشيخ المطغري فقد ضمن ابن منجور الفاسي ي فهرسته ما رواه عن المطغري، إذ كان للمطغري المذكور ثبَتُ أخذه عن ابن غازي وغيره فكان ممن "صرح بإجازته العامة له من هم سقين وعلي بن هارون المطغري."[59]. وذكر الكتاني في شأن مرويات ابن هارون أنه يروي " ماله من طريق أبي العباس المقري عن عمه سعيد بن محمد المقري التلمساني عنه. ح: ومن طريق المنجور عنه."[60]. كما يروي المطغري عن شيخه ابن غازي ثبته المشهور : " فقد أجازه فيه شيخه المذكور عام 906هـ مما قرأ هو أو قرئ بمحضره."[61]. وفصل في ثبته ذلك إذ قال " ومن كتب القراءات صدر التفسير لأبي عمرو الداني، وناولني سائره وأجازنيه حسبما في الإجازة القرآنية."[62]. كما يروي المطغري أيضا عن أبي الفضل بن إبراهيم بن الإمام و" هو الإمام العالم التلمساني، دخل الحجاز ومصر والشام وافريقية، وحمل عن الرجال ما جمعه في فهارس أرويها بالسند إلى أبي العباس المقري عن عمه سعيد عن أبي الحسن عليّ بن هارون عن ابن غازي عن أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي عنه إجازة سنة 834 هـ."[63].

ولما كان الشيخ يحي الشاوي قد رحل إلى المشرق و" أقام بمدة بمصر في مصر في عودته من الحج سنة أربعة وسبعين، وتصدر للإقراء بالأزهر."، وهنالك على ما يبدو ثم من مصر والمقام بالأزهر " رحل إلى سورية والروم (تركيا)، فأكرمه شيخ الإسلام يحي المنقاري والصدر الأعظم وحضر مجلسا علميا بحضرة السلطان."، وهنالك تولى التدريس وكان له تلاميذ ذكر بعضهم أننا " قرأنا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام..."[64]، وعاد للقاهرة فتولى التدريس في الأشرفية وغيرها."[65]. وعند تلميذه المحبي زيادة " قرأنا عليه في تركيا تفسير سورة الفاتحة من تفسير البيضاوي وأجازنا جميعا بإجازة نظمها لنا. "[66]. والنص الأخير هو ما يفيدنا فائدة مباشرة لتعلقها بالإجازات.

وفي القرن الثاني عشر نجد أحمد بن قاسم البوني قد " رحل إلى المشرق."[67] وتلقى عن عديد ممن ذكرتهم المصادر كـ" عبد الباقي ابن يوسف الزرقاني المتوفى سنة 1099م/1688م."(68). وله أسانيد متصلة مشهورة، كما أخذ البوني المذكور عن سليمان الروداني وهو من المفسرين، وله أسانيد مشهورة تلقاها عن كثير من علماء المشرق والمغرب، وهو من المغرب الأقصى، وقد ضمنها كتابه صلة الخلف بموصول السلف. وزيادة على ذلك كان الروداني كما قال المحبي في ترجمته " كان له في التفسير وأسماء الرجال وما يتعلق به يد طائلة."[69].

وورد في ترجمة الشيخ عبد الرحمان التنلاني أن من شيوخه في التفسير من المغرب الأقصى الإمام المسناوي والعلامة المعداني قال عن نفسه: " وأخذت كثيرا من التفسير عن شيخ الشيوخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد المسناوي، وسمعت مواضع منه على الشيخ العلامة الفقيه المتفنن أبي علي سيدي الحسن بن رحال المعداني، والباقي إجازة."[70]. وهو في هذا النص يجمع بين الدراسة والإجازة. وفي نص آخر في إجازة رابعة من شيخه لمحمد بن علي الدرعي: " أجزت الفقيه المذكور فيما نقل عني وسمع وسطره في هذه الكراسة من جميع مروياتي ومقروآتي ومسموعاتي...تفسير الجلالين، مؤلفات السنوسي، مؤلفات ابن حجر."[71]. ومن المجيزين أيضا للتنلاني شيخه أحمد بن عبد العزيز الهلالي:" حضر مجلسه واستفاد منه استجازة فأجازه إجازة شاملة جامعة لما تفرق في غيرها من الإجازات."[72]. وهي إجازة عامة مطلقة شملت ما تفرق في غيرها من أسانيد الكتب والمرويات.

وممن رحل أيضا خارج الوطن لتحصيل العلم ابن باديس، فبعد أن رحل إلى الزيتونة وتأهل للتعليم من جامع الزيتونة بها و" رحل إلى المشرق وحج ولقي في رحلته جماعة من العلماء.

وعاد سنة 1913م."[73]. وبمناسبة هذه الرحلة " حج وزار لبنان وسوريا ومصر في رحلة العودة وأجازه الشيخ بخيت بشهادة العالمية من الأزهر."[74].

وكذلك أجاز مجموعة من المفسرين الجزائريين كثيرا من أعيان العلماء شرقا وغربا، فهذا الأمير عبد القادر وهو بالمشرق العربي على عادة المشايخ يجيزهم بمختلف مروياته والتي منها التفسير كما في كتاب إمداد الفتاح: فقد اتصل سند الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله وهو من أهل الشام بمن أجاز لهم الأمير عبد القادر والخضر حسين، وحمدان لونيسي، والبشير الإبراهيمي، والأمير المالكي...حيث يروي الشيخ المذكور عن شيخه محمد بن عبد الله بن عبد الله الخاني الدمشقي الشافعي (1316هـ) عن الأمير عبد القادر. ويروي الخاني المذكور عن إبراهيم السقا عن الأمير الصغير. كما يروي أيضا عن مصطفى لمبلط عن الأمير الكبير. ويروي أيضا عن الأمير عبد القادر.[75]، ويروي أيضا عبد الفتاح أبو غدة عن شيخه الخاني عن الشيخ طاهر بن صالح الجزائري (1338هـ) ما له من الأسانيد.

وكذلك اتصل سند الشيخ أبو غدة بأحمد الشريف بن محمد السنوسي عن والده محمد الشريف عن محمد بن علي السنوسي (جد أحمد الشريف) بأسانيده.[76]. وتتصل أسانيد الشيخ أبي غدة المذكور عن أستاذه الشيخ الخضر حسين (1377هـ)، وهو يروي عن خاله محمد المكي بن مصطفى بن عزوز التونسي الجزائري الأصل عن محمد بن الصديق عن المدني بن عزوز عن مصطفى بن عبد الرحمان عن علي بن الأمين وكلهم جزائريون بما لهم من أسانيد ذكرتها في ترجمة الخضر حسين.[77].

خـاتمة.

وبهذا يظهر للناظر جليا أن المفسرين الجزائريين لم يكونوا بمعزل عمن حولهم من المفسرين وإنتاج التفسير، سواء كان ذلك بالمشرق أو المغرب،قديما أو حديثا؛ بل الذي يظهر أنهم كانوا مواكبين لما كان يتم إنتاجه بالمشرق، تجد مصداق ذلك اطلاعهم على تفسير يحي بن سلام في زمانه، وتفسير الكشاف...وواكبوا حركة الإصلاح على عهد محمد عبده ورشيد رضا واطلعوا على جهودهما في التفسير. واشتغلوا على نفس الوسائل من كتاب، ومجلة ونوادي، وتفسير عبر الإذاعة والتلفزيون...ومرت أطوار التفسير عندهم بدوري التفسير المدرسي، ودور التفسير الإصلاحي.

الإحالات

1 _ شجرة النور الزكية، لمخلوف. 1/.09

2 _ شجرة النور، المرجع نفسه. 1/.05

3 _ لتفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، للطرهوني 1/174، طبقات الداوودي 1/66.

4 _ تعريف الخلف برجال السلف، للحفناوي. 2/87.

5 _تعريف الخلف، المرجع نفسه. 1/.135

6 _فهرس الفهارس والأثبات، للكتاني.1/ 524.

7 _ فهرس الفهارس، المرجع السابق. 2/09.

8 _عمَّر حتى زاد على المائة، ومات بتونس في سنة اثنتين وثمانين رحمه الله. انظر الضوء اللامع 4/.381

9 _ الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، للسخاوي. 1 / 72.

10 _ الضوء اللامع، المصدرنفسه. 1/72.

11 _ الضوء اللامع، المصدرالسابق 1/72.

12 _الضوء اللامع. 1/149.

13 _ الضوء اللامع. 1/.149

14 _ ثبت الوادي آشي، للوادي آشي الأندلسي. .312

15 _ ثبت الوادي آشي، المصدر نفسه. 311.

16 _ فهرست ابن منجور، لابن منجور. 43.

17 _ نيل الابتهاج، للتنبكتي. 212 -213.

18 _تعريف الخلف 1/86.

19 _ الغصن الداني، بلعالم القبلاوي. 60.

20 _ معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض. 306.

21 _تعريف الخلف. 2/.342

22 _تعريف الخلف. 2/.342

23 _ تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمان الجيلالي. 3/.572

24 _ تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق. 3/.573

25 _ معجم أعلام الجزائر، 28.

26 _معجم أعلام الإباضية، لمجموعة من الباحثين. 2/.786

27 _ دليل الطالبين إلى معرفة القراء الجزائريين المجازين،سالم بوحامدي. 2/53.

28 _دليل الطالبين، المرجع نفسه. 2/90 -91.

29 _دليل الطالبين، المرجع السابق. 2/181.

30 _دليل الطالبين. 2/186.

31 _دليل الطالبين 2/196.

32 _ دليل الطالبين .2/233.

33 _دليل الطالبين. 2/373.

34 _الضوء اللامع. 4/386.

35 _الضوء اللامع، المصدر نفسه. 4/.388

36 _الضوء اللامع، المصدر السابق 4/ 378.

37 _ بغية الوعاة في طبقات النحاة، للسيوطي.1/377.

38 _ الضوء اللامع. 1/ 36.

39 _ الضوء اللامع. 1/ 378.

40 _الضوء اللامع 4/ 190.

41 _ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الوفراني المراكشي / 132.

42 _خلاصة الأثر المحبي 1/370.

43 _ نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، للفاداني. 1227.

44 _ عجائب الآثار، للجبرتي.2/ 535.

45 _ التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا 1/.202

46 _ التفسير والمفسرون المصدر السابق. 1/202.

47 _تعريف الخلف. 2/80.

48 _ تفسير ابن عرفة برواية البسيلي 64، نقلا فهرست الرصاع 81.

49 _معجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ. 1/104.

50 _كشف الظنون، للتهانوي. 1/438 -439.

51 _ تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان. 2/249.

52 _الجواهر الحسان، عبد الرحمان الثعالبي. 1/08.

53 _معجم أعلام الجزائر. 176، ثبت الوادي آشي 442.

54 _معجم أعلام الجزائر.101، معجم المفسرين، لعادل نويهض. 1/241.

55 _ فهرس الفهارس والأثبات للكتاني. 1/ 524.

56 _ البستان في أولياء تلمسان، لابن مريم. 43.

57 _ ثبت الوادي آشي 117 -118.

58 _الضوء اللامع. 2 / 205.

59 - الضوء اللامع. 5 / 99.

60 _ نفح الطيب من تاريخ الأندلس الرطيب، للمقري. 5/ 419.

61 _ فهرس الفهارس والأثبات 2/ 567.

62 _ فهرس الفهارس والأثبات 2/ .1105

63 _ فهرست ابن منجور 43.

64_ فهرست ابن منجور 44.

65 _ فهرس الفهارس والأثبات 1/ 161.

66 _تعريف الخلف 191/1.

67 _ الطرهوني 370/1.

68 _خلاصة الأثر للمحبي 370/1.

69 _خلاصة الأثر، المرجع نفسه49.

70 _المرجع أعلاه. 49.

71 _ خلاصة الأثر 204/4.

72 _ الغصن الداني، لبلعالم القبلاوي. 14.

73 _ الغصن الداني. 36.

74 _ الغصن الداني. 26.

75 _ معجم أعلام الجزائر. 28.

76 _ معجم أعلام الجزائر. 28.

77_ إمداد الفتاح من أسانيد الشيخ عبد الفتاح، محمد بن عبد الله آل رشيد. 287.

N° 18/Juin 2018

ISSN : 1112-6205

ALMICHAAL

Revue semestrielle scientifique dotée d'un comité de lecture,

éditée par laboratoire Traitement Automatique

de la langue Arabe et les études inter disciplines de la langue arabe

Université de Tlemcen - Algérie